المستطرف

في

كل فن مستظرف

تأليف

بهاء الدين أبي الفتح
محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي
المتوفى سنة ٨٥٤ هـ

عني بتحقيقه

إبراهيم صالح

المجلد الثاني

دار صادر
بيروت





المستطرف

في كل فن مستظرف

تأليف

بهاء الدين أبي الفتح
محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي
المتوفى سنة ٨٥٤هـ

عني بتحقيقه

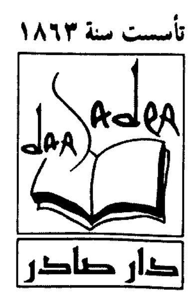
إبراهيم صالح

الجزء الثاني

دار صادر
بيروت

الطبعَة الأولى
1999

تأسست سنة ١٨٦٣



P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر
ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

Tel & Fax (+961) 04.920978 / 04.922714 / 01.448827 هاتف وفاكس

البابُ السَّابع والثَّلاثون

في الوفاء بالوعد ، وحِفظ العهد ، ورِعاية الذِّمم

• أَرجحُ دليلٍ يتمسَّكُ به الإنسان ، كتابُ الله تعالى ، الَّذي مَن تَمَسَّكَ به هَداهُ ، ومَن استدلَّ به أَرشدَه هُداه .

• قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة : ٥/ ١] .

• وقال جَلَّ ذِكْرُهُ وتَقَدَّسَ اسمُه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴾ [الرعد : ١٣/ ٢٠] .

• وقال جَلَّ وَعَلا : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ [النحل : ١٦/ ٩١] .

• وقال تعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٣٤]

• والآياتُ في ذلك كثيرةٌ ، ومِن أَشَدِّها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٦١/ ٢ـ٣] .

• ورُوي في «صَحيحي البُخاري ومُسلم»[١] عن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «آيةُ المُنافقِ ثلاثٌ ، إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أَخلَفَ ، وإذا ائْتُمِنَ خانَ» .

• فالوفاءُ من شِيَمِ النُّفوس الشَّريفة والأَخلاق الكريمةِ والخِلال الحميدة ،

---

(١) البخاري (٣/ ١٦٢) (كتاب الشهادات) . ومسلم (١/ ٧٨) رقم (١٠٧) .

يَعْظُمُ صاحبُه في العُيون ، وتَصْدُقُ فيه خَطَراتُ الظُّنون .

● ويُقال[١] : الوعدُ وجهٌ والإنجازُ مَحاسنُه ، والوعدُ سحابةٌ والإنجازُ مَطَرُهُ .

● وقال عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه : لكلِّ شيءٍ رأسٌ ، ورأسُ المعروفِ تَعجيلُه .

● وأنشدوا[٢] : [من الطويل]

إذا قُلْتَ في شَيْءٍ : نَعَمْ ، فَأَتِمَّهُ ... فإنَّ نَعَمْ دَيْنٌ على الحُرِّ واجِبُ

وإلا فَقُلْ : لا ، تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِها ... لِئَلا يَقولَ النّاسُ : إنَّكَ كاذِبُ

● وقال آخر[٣] : [من البسيط]

لا كَلَّفَ اللهُ نَفْساً فَوْقَ طاقَتِها ... وَلا تَجودُ يَدٌ إلا بِما تَجِدُ

فَلا تَعِدْ عِدَةً إلا وَفَيْتَ بِها ... واحْذَرْ مَقالَ خِلافٍ لِلَّذي تَعِدُ

● وقال[٤] أعرابيٌّ : وَعْدُ الكريمِ نَقْدٌ وتَعجيلٌ ، ووعدُ اللَّئيم مَطْلٌ وتَعليلٌ .

● وقال[٥] أعرابيٌّ أيضاً : العُذْرُ الجميلُ خيرٌ من المَطْلِ الطَّويل .

● ومدح[٦] بشّار خالد بن بَرْمَكٍ ، فأَمر له بعشرين أَلفاً ، فأَبطأَت عليه ، فقال

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٤٥٥) .

(٢) لابن أبي خازم في العقد الفريد (١/ ٢٤٥) وثمرات الأوراق (١٤١) . وبلا نسبة في بهجة المجالس (١/ ٤٩٦) .

(٣) الأول مما أنشده جعفر بن أبي طالب في العقد الفريد (١/ ٢٣٦) . وهو للحطيئة في الحماسة المغربية (٢/ ١٢٢٤) وليس في ديوانه . وبلا نسبة في التمثيل والمحاضرة (١٠) .

(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٧) والعقد الفريد (١/ ٢٤٤) وبهجة المجالس (١/ ٤٩٢) ومحاضرات الراغب (١/ ٥٦٣) .

(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٤٤٧) .

(٦) الأغاني (٣/ ١٨٥) وديوانه (٤/ ١٠٤) . وفي عيون الأخبار (٣/ ١٤٥) والمناقب والمثالب رقم (٥٣٢) وثمرات الأوراق (١٤٢) والعقد الفريد (١/ ٢٤٦) لعبد الصمد بن الفضل الرقاشي في خالد بن ديسم عامل الرَّيّ .

لقائده : أَقِمْني حيثُ يَمُرُّ ، فأقامه ، فمرَّ ، فأَخذ بِلِجام بَغلته وأَنشأ يقول : [من الطويل]

أَظَلَّتْ علينا مِنْكَ يَوْماً سَحابَةٌ أَضاءَ لَها بَرْقٌ وأَبْطا رَشاشُها
فَلا غَيْمُها يُجلى فَيَيْأَسَ طامِعٌ وَلا غَيْثُها يَأْتي فَتُروى عِطاشُها

فقال : لا تَبرحْ حتَّى يُؤتى بها .

• وقال صالح بن [جناح] اللَّخميّ[1] : [من الطويل]

لَئِنْ جَمَعَ الآفاتِ فالبُخْلُ شَرُّها وَشَرٌّ من البُخْلِ المواعيدُ والمَطْلُ
وَلا خَيْرَ في وَعْدٍ إِذا كانَ كاذِباً وَلا خَيْرَ في قَوْلٍ إِذا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

• وقيل[2] : ماتَت للهُذَليِّ أُمُّ وَلَدٍ ، فأَمر المنصورُ الرَّبيعَ أَن يُعَزِّيَهُ ويقولَ له : إِنَّ أَميرَ المؤمنين مُوَجِّهٌ إِليك جاريةً نفيسه ، لها أَدبٌ وظَرْفٌ يُسَلِّيك بها ، وأَمر لك معها بفَرسٍ وكُسوةٍ وصِلَةٍ . فلم يزل الهُذَليُّ يتوقَّعُ وَعْدَ أَمير المؤمنين ، ونَسيه المنصورُ ، فحجَّ المنصورُ ومعه الهُذَليُّ ، فقال المنصورُ وهو بالمدينة : إِنِّي أُحبُّ أَن أَطوفَ اللَّيلةَ المدينة ، فاطلُبْ لي مَن يَطوفُ بي . فقال الهُذَليُّ : أَنا لها يا أَمير المؤمنين ؛ فطاف به حتَّى وصلَ بيتَ عاتكة ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، وهذا بيتُ عاتكة الَّذي يقولُ فيه الأَحْوَصُ[3] : [من الكامل]

---

(١) له في ربيع الأبرار (٣/ ٤٥١) ومجموعة المعاني (٨٣) . وللأقيشر في التذكرة السعدية (٢٢٢) وديوانه (١٠٤) . ولدعبل في ديوانه (٤١٠) ولعلي بن الجهم في المناقب والمثالب رقم (٥٤٤) وديوانه (٢٥٦) . وبلا نسبة في بهجة المجالس (١/ ٤٩٤) وأدب الإملاء (٤٢) وبخلاء الخطيب (١١٩) .
(٢) الأغاني (٢١/ ١٠٦) وثمار القلوب (١/ ٤٨٦ـ٤٨٨) وأخبار الأذكياء (٤٢) وعيون الأخبار (١/ ٥١) وزهر الآداب (٢٠٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٩٦) وثمرات الأوراق (١٥٩) وخزانة الأدب (٢/ ٥١) وسمط اللآلي (١/ ٢٥٩) وربيع الأبرار (٣/ ٤٥٣) .
(٣) ديوانه (١٦٦) .

يـا بَيْـتَ عـاتِكَـةَ الَّـذي أَتَعَـزَّلُ   حَـذَرَ العِـدا وَبِـهِ الفُـؤَادُ مُـوَكَّـلُ
إِنّـي لأَمْنَحُـكَ الصُّـدودَ وإِنَّـني   قَسَمـاً إِليـكَ مـع الصُّـدودِ لأَمْيَـلُ

فكرهَ المنصورُ ذِكْرَ بيتِ عاتكة من غير أَن يسأَلَه عنه ؛ فلمّا رجعَ المنصورُ أَمَرَّ القصيدةَ على قَلبه فإِذا فيها :

وأَراكَ تَفْعَـلُ مـا تَقـولُ وَبَعْضُهُـمْ   مَـذِقُ اللِّسـانِ يَقُـولُ مـا لا يَفْعَـلُ

فذكرَ المنصورُ الوعدَ الَّذي كان وعدَ به الهُذَليَّ ، فأَنجزَهُ له ، واعتذرَ إِليه .

● وقال الشّاعر : [من السريع]

تَعْجيـلُ وَعْـدِ المَـرْءِ أُكْـرُومَـةٌ   تَنْشُـرُ عَنْـهُ أَطْيَـبَ الـذِّكْـرِ
والحُـرُّ لا يَمْطُـلُ مَعْـروفَـهُ   وَلا يَليـقُ المَطْـلُ بـالحُـرِّ

● وقال آخر : [من الكامل]

وَلَقَـدْ وَعَـدْتَ وأَنْـتَ أَكْـرَمُ واعِـدٍ   لا خَيْـرَ فـي وَعْـدٍ بِغَيْـرِ تَمـامِ
أَنْعِـمْ عَلَـيَّ بِمـا وَعَـدْتَ تكَـرُّمـاً   فـالمَطْـلُ يُـذْهِـبُ بَهْجَـةَ الإِنْعـامِ

● وقال آخر : [من الطويل]

لِعَبْـدِكَ وَعْـدٌ قَـدْ تَقَـدَّمَ ذِكْـرُهُ   فَـأَوَّلُـهُ حَمْـدٌ وآخِـرُهُ شُكْـرُ
وَقَـدْ جُمِعَـتْ فيـكَ المَكـارِمُ كُلُّهـا   فَمـا لَـكَ عـن تَـأْخيـرِ مَكْرُمَـةٍ عُـذْرُ

● وقال آخر : [من الوافر]

وَميعـادُ الكَـريـمِ عَلَيْـهِ دَيْـنٌ   فَـلا تَـزِدِ الكَـريـمَ علـى السَّـلامِ
يُـذَكِّـرُهُ سَـلامُـكَ مـا عَلَيْـهِ   وَيُغْنيـكَ السَّـلامُ عـنِ الكَـلامِ

● وقال آخر : [من الطويل] .

شَكـاكَ لِسـاني ثـمَّ أَمْسَكْـتُ نِصْفَـهُ   فَنِصْـفُ لِسـاني بـامْتِـداحِـكَ يَنْطِـقُ
فـإِنْ لَـمْ تُنْجِـزْ ما وَعَـدْتَ تَـرَكْتَني   وَبـاقـي لِسـانـي بـالمَـذَمَّـةِ مُطْلَـقُ

● وقال آخر : [من البسيط]

باتَتْ لِوَعْدِكَ عَيْني غَيْرَ راقِدَةٍ والليلُ حَيُّ الدَّياجي مَيِّتُ السَّحَرِ
هذا وَقَدْ بِتُّ مِنْ وَعْدٍ على ثِقَةٍ فَكيفَ لَوْ بِتُّ من هَجْرٍ على حَذَرِ

● وقال آخر : [من الوافر]

نُذَكِّرُ بالرِّقاعِ إذا نُسينا ويأبى اللهُ أَنْ تَنْسى الكِرامُ

وأمّا الوفاءُ بالعهد ورعاية الذِّمم :

● فقد[1] نُقل فيه من عجائب الوقائع وغَرائب البدائع ما يُطربُ السَّامع ويُشَنِّفُ المسامع ، كقضيَّة الطّائيِّ وشَريكٍ نَديم النُّعمان بن المنذر .

● وتلخيصُ معناها أَنَّ النُّعمان كان قد جعلَ له يَومين ، يومُ بُؤْسٍ مَن صادَفَه فيه قَتَلَه وأَرداه ، ويومُ نَعيمٍ مَن لَقيه فيه أَحسن إليه وأَغناه . وكان هذا الطّائيُّ قد رَماه حادثُ دهرِه بسهامِ فاقَتِهِ وفَقره ، فأَخرجَته الفاقةُ من مَحَلِّ استقرارِه ليرتادَ شيئاً لِصِبْيَتِهِ وصِغاره ، فبينَما هو كذلك إذ صادفَه النُّعمان في يوم بُؤسه ، فلمّا رآهُ الطّائيُّ علِمَ أَنَّه مقتولٌ وأَنَّ دَمَهُ مَطلولٌ ، فقال : حيّا اللهُ الملِك ، إنَّ لي صِبيةً صِغاراً وأَهلاً جِياعاً ، وقد أَرَقْتُ ماءَ وَجهي في حُصول شيءٍ من البُلْغَةِ لهم ، وقد أَقْدَمني سوءُ الحظِّ على الملِك في هذا اليوم العَبوس ، وقد قَرُبْتَ من مَقَرِّ الصِّبية والأَهل ، وهُم على شَفا تَلَفٍ من الطَّوى ، ولن يتفاوتَ الحالُ في قَتلي بين أَوَّل النَّهار وآخره ؛ فإن رأَى الملِكُ أَن يأذنَ لي في أَن أُوصل إليهم هذا القوتَ ، وأُوصي بهم أَهلَ المروءَةِ من الحيِّ ، لئلا يهلكوا ضَياعاً ، ثم أَعودَ إلى الملِك وأُسَلِّمُ نَفسي لنفَاذ أَمره .

فلمّا سَمعَ النُّعمان صورةَ مَقاله ، وفَهم حقيقةَ حالِه ، ورأَى تَلَهُّفَهُ على ضَياع

---

(١) الأغاني (٢٢/ ٨٩) ومجمع الأمثال (١/ ٧٠) وفصل المقال (٤٤٥) والمحاسن والمساوىء (١/ ١٨١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٧) .

أَطفاله ، رَقَّ له ورَثى لحاله ، غير أَنَّه قال له : لا آذنُ لك حتَّى يضمنَك رجلٌ معنا ، فإِن لم تَرجع قَتلناه ؛ وكان شريكُ بن عديّ بن شُرَحْبيل[١] نديمُ النُّعمان معه ، فالتفتَ الطّائيُّ إِلى شَريكٍ وقال له[٢] : [من مجزوء الرمل]

يــا شَــريــكَ بــنَ عَــدِيٍّ	مــا مِــنَ المَــوْتِ انْهِــزامْ
مَــن لأَطْفــالٍ ضِعــافٍ	عَــدِمُــوا طَعْــمَ الطَّعــامْ
بيــنَ جُــوعٍ وانْتِظــارٍ	وافْتِقَـــارٍ وَسَقـــامْ
يــا أَخــا كُــلِّ كَــريــمٍ	أَنْــتَ مِــنْ قَــوْمٍ كِــرامْ
يــا أَخــا النُّعمــانِ جُــدْ لــي	بِضَمـــانٍ والْتِـــزامْ
وَلَـــكَ اللهُ بِـــأَنِّـــي	راجِـــعٌ قَبْـــلَ الظَّـــلامْ

فقال شَريكُ بن عديّ : أَصلحَ اللهُ الملِك ، عليَّ ضَمانُه .

فمرَّ الطائيُّ مُسرعاً ، وصار النُّعمان يقولُ لشريك : إِنَّ صَدْرَ النَّهار قد وَلَّى ، ولم يَرجع ؛ وشَريكٌ يقول : ليسَ للملِك عليَّ سبيلٌ حتَّى يأتيَ المساءُ ؛ فلمّا قرُبَ المساءُ قال النُّعمان لشَريك : قد جاءَ وَقتُك ، قُم فتأَهَّبْ للقتل ؛ فقال شَريك : هذا شخصٌ قد لاحَ مُقبلاً ، وأَرجو أَن يكونَ الطّائيَّ ، فإِن لم يكنْ فأَمْرُ الملِك مُمْتَثَلٌ .

قال : فبينما هم كذلك وإِذا بالطّائيِّ قد اشتدَّ عَدْوُهُ في سَيره مُسرعاً حتَّى وصلَ ؛ فقال : خَشيتُ أَن ينقضيَ النَّهارُ قبل وُصولي ؛ ثم وقفَ قائماً وقال : أَيُّها الملك ، مُرْ بأَمرك ؛ فأَطرقَ النُّعمان ثم رفع رأسه وقال : واللهِ ما رأَيتُ أَعجبَ منكما ، أَمّا أَنتَ يا طائيُّ فما تركتَ لأَحدٍ في الوفاءِ مَقاماً يقومُ فيه ، ولا ذِكراً يفتخرُ به ؛ وأَمّا أَنت يا شَريك فما تركتَ لكريمٍ سَماحةً يُذكرُ بها في

---

(١) المعروف أنه أبو الحوفزان شريك بن عمرو .

(٢) هذه رواية غريبة ليست في مصادر الخبر ؛ وانظر أَبيات شريك ثمّة .

الكُرماء ؛ فلا أكون أَنا أَلأَمَ الثَّلاثة ، أَلا وإِنِّي قد رَفعتُ يوم بُؤسي عن النّاس ، ونَقضتُ عادتي كرامةً لوفاءِ الطَّائيِّ وكَرَمِ شَريك . فقال الطّائيُّ : [من الكامل]

وَلَقَـدْ دَعَتْنـي لِلْخِـلافِ عَشيـرتـي ... فَعَـدَدْتُ قَـوْلَهُـمُ مـن الإِضْـلالِ
إِنِّـي ٱمـرؤٌ مِنِّـي الـوفـاءُ سَجِيَّـةً ... وَفَعـالُ كُـلِّ مُهَـذَّبٍ مِفْضـالِ

فقال له النُّعمان : ما حَمَلَك على الوفاءِ وفيه إِتلافُ نَفْسِك؟ فقال : ديني ، فَمن لا وفاءَ فيه لا دينَ له .

فأَحسنَ إِليه النُّعمان ، ووصَلَهُ بما أَغناه ، وأَعادَه مُكَرَّماً إِلى أَهله ، وأَناله ما تمنَّاه .

• ومن ذلك ما حُكي[1] : أَنَّ الخليفةَ المأمونَ لمّا وَلَّى عبدَ الله بن طاهر بن الحسين مصر والشّام وأَطلق حُكمه ، دخلَ على المأمون بعضُ إِخوانه يوماً فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ عبدَ الله بن طاهر يميلُ إِلى وَلد أَبي طالب ، وهَواه مع العلويِّين ، وكذلك كانَ أَبوه قَبله ؛ فحصلَ عند المأمون شيءٌ من كلام أَخيه من جِهة عبد الله بن طاهر فَتَشَوَّشَ فِكْرُهُ وضاقَ صدرُه ، فاستحضرَ شخصاً وجعلَه في زِيِّ الزُّهّاد والنُّسّاك الغُزاة ، ودَسَّهُ إِلى عبد الله بن طاهر ، وقال له : امضِ إِلى مصرَ ، وخالطْ أَهلها ، وداخِلْ كُبراءَها ، واسْتَمِلْهُمْ إِلى القاسم بن محمّد العَلَويّ ، واذكرْ مَناقبه ، ثم بعد ذلك اجتمعْ ببعض بِطانَة عبد الله بن طاهر ، ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادْعُهُ إِلى القاسم بن محمَّد العلويّ ، واكشفْ باطنَه وابحثْ عن دَفين نِيَّتِهِ ، وائْتِني بما تَسمعُ .

ففعل ذلك الرَّجلُ ما أَمره به المأمونُ ، وتوجَّه إِلى مصر ، ودعا جماعةً من أَهلها ، ثم كتب ورقةً لطيفةً ودَفعها إِلى عبد الله بن طاهر وقتَ رُكوبه ، فلمّا نزلَ من الرُّكوب وجلسَ في مَجلسه ، خرجَ الحاجبُ إِليه وأَدخله على عبد الله

---

(١) المحاسن والمساوىء (١/ ١٨٧) .

ابن طاهر وهو جالس وَحْدَه ، فقال له : لقد فَهمتُ ما قَصدتَ ، فهاتِ ما عندك ؛ فقال : وَلِيَ الأَمانُ؟ قال : نعم . فأَظهرَ له ما أَراده ، ودعاه إِلى القاسم بن محمّد ؛ فقال له عبد الله : أَوَ تُنصفني فيما أَقولُه لك؟ قال : نعم . قال : فهل يجبُ شُكرُ النّاس بعضُهم لبعضٍ عند الإحسانِ والمِنَّة؟ قال : نعم ؛ قال : فيجبُ عَلَيَّ وأَنا في هذه الحالة الَّتي تَراها من الحُكم والنِّعمة والولاية ، ولي خاتمٌ في المشرق وخاتمٌ في المغرب ، وأَمري فيما بينهما مُطاعٌ ، وقَولي مقبولٌ ، ثم إِنِّي أَلتفتُ يَميناً وشِمالاً فأَرى نِعمةَ هذا الرَّجل غامرةً وإِحسانه فائِضاً عليَّ ، أَفتدعوني إِلى الكُفر بهذه النِّعمةِ ، وتقول : اُغدرْ وجانبِ الوفاء؟ والله لو دَعوتَني إِلى الجَنَّةِ عِياناً لمَا غَدَرْتُ ، ولمَا نَكَثْتُ بَيْعَتَهُ وتركتُ الوفاء له ؛ فسكتَ الرَّجلُ ؛ فقال له عبد الله : واللهِ ما أَخافُ إِلا على نَفسك ، فارحلْ من هذا البلد .

فلمَّا يَئِسَ الرَّجلُ منه ، وكشفَ باطِنَهُ ، وسَمِعَ كلامه ، رجعَ إِلى المأمون ، فأَخبره بصورة الحالِ ، فَسَرَّهُ ذلك ، وزاد في إِحسانِه إِليه ، وضاعَفَ إِنعامَه عليه .

● وممّا يُعَدُّ من مَحاسِن الشِّيَم ومكارم أَخلاقِ أَهل الكَرَمِ ، وَيَحُثُّ على الوفاءِ بالعُهُودِ ورعايةِ الذِّمَم ، ما رواه حَمزة بن الحُسين الفقيه في تاريخه ، قال :

قال لي أَبو الفَتْح المِنطيقي : كُنّا جُلوساً عند كافور الإِخشيدي ، وهو يومئذٍ صاحبُ مصر والشّام ، وله من البَسْطَةِ والمَكَنَةِ ، ونُفوذِ الأَمر وعُلُوِّ القَدْرِ ، وشُهرة الذِّكر ، ما يَتجاوزُ الوَصفَ والحَصْر ، فحضَرَت المائدةُ والطَّعام ، فلمّا أَكلنا نامَ وانصرفْنا ، ولمّا انتبَهَ من نَومه طلبَ جماعةً مِنّا ، وقال : امضوا السَّاعة إِلى عَقَبَةِ النَّجّارين ، وسَلوا عن شَيخٍ مُنَجِّمٍ أَعور كان يقعدُ هناك ، فإِن كان حيّاً فأَحضروه ، وإِن كان قد تُوُفِّي فَسَلوا عن أَولاده ، واكشفوا أَمرهم .

قال : فمضينا إِلى هُناك ، وسأَلنا عنه ، فوجدناه قد مات ، وتركَ بِنتين إِحداهما مُتَزَوِّجَة ، والأُخرى عاتِقٌ ؛ فرجَعنا إِلى كافور وأَخبرناه بذلك ، فَسَيَّرَ

في الحال واشترى لكلِّ واحدةٍ منهما داراً ، وأَعطاهما مالاً جزيلاً وكُسوةً فاخرةً ، وزَوَّجَ العاتقَ ، وأَجرى على كلِّ واحدةٍ منهما رِزقاً ، وأَظهر أنَّهما من المتعلِّقين به لرعاية أُمورهما ؛ فلمّا فعلَ ذلك وبالغَ فيه ضحكَ ، وقال : أَتعلمون سببَ هذا؟ قلنا : لا ؛ فقال : اعلموا أَنِّي مَررتُ يوماً بوالدِهما المُنَجِّم ، وأَنا في مُلك ابن عبّاس الكاتِب ، وأَنا بحالةٍ رَثَّةٍ ، فوقفتُ عليه ، فنظرَ إِليَّ واستجلبني ، وقال : أَنت تصيرُ إِلى رجلٍ جليلِ القدر ، وتبلغُ منه مبلغاً كبيراً ، وتنالُ خيراً ؛ ثم طلب منِّي شيئاً ، فأَعطيتُه درهمين كانا معي ، ولم يكن معي غيرهما ، فرمى بهما إِليَّ وقال : أُبَشِّرُكَ بهذه البِشارة وتعطيني درهمين؟ ثم قال : وأُزيدك ، أَنت ـ واللهِ ـ تملكُ هذا البلد ، وأَكثر منه ، فاذكرْني إِذا صرتَ إِلى الَّذي وعدتُك به ، ولا تنسَ . فقلت له : نعم ؛ فقال : عاهِدني أَنَّك تَفي لي ولا يشغلك ذلك عن افتقادي ؛ فعاهدتُه ، ولم يأخذ منِّي الدِّرهمين ، ثم إِنِّي شُغلت عنه بما تجَدَّدَ لي من الأُمور والأَحوال ، وصرتُ إِلى هذه المنزلة ، ونسيتُ ذلك ؛ فلمّا أَكلنا اليوم ونمتُ رأَيتُه في المنام قد دخلَ عليَّ ، وقال لي : أَين الوفاءُ بالعهد الَّذي بيني وبينك ، وإِتمام وعدِك؟ لا تغدرْ ، فيغدرَ بك ؛ فاستيقظتُ وفعلتُ ما رأَيتُم ؛ ثم زاد في إِحسانه إِلى بنات المنجِّم وفاءً لوالدهما بما وَعده ؛ والله أَعلم .

● وممّا أَسْفَرَت عنه وُجوه الأَوراق ، وأَخبرت به الثِّقاتُ في الآفاق ، وظَهرت روايته بالشّام والعراق ، وضُرب به الأَمثالُ في الوفاء بالاتِّفاق ، حديثُ السَّموأل بن عادياء ، وتلخيص معناه[1] :

إِن امرأَ القيس الكِنْديّ لمّا أَراد المُضِيَّ إِلى قيصر مِلك الرُّوم ، أَودعَ عند السَّموأَل دُروعاً وسِلاحاً وأَمتعةً تُساوي من المال جُملةً كثيرةً ، فلمّا مات امرؤُ

---

(١) الأغاني (٢٢/١١٨) ومجمع الأمثال (٢/ ٣٤٧) وجمهرة العسكري (٢/ ٣٤٥) والمستقصى (١/ ١٧٤) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٢) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٨٥) .

القَيس أَرسل مِلكُ كِندة[1] يطلبُ الدُّروع والأَسلحة المُودعة عند السَّموأل ، فقال السَّموأَلُ : لا أَدفعُها إلا لمستحقِّها ، وأَبى أَن يدفعَ إِليه منها شيئاً ؛ فعاودَه ، فأَبى وقال : لا أَغدرُ بِذِمَّتي ، ولا أَخونُ أَمانتي ، ولا أَتركُ الوفاءَ والواجبَ عليَّ . فقصده ذلك الملكُ من كندة بعَسكره ، فدخل السَّموأَلُ في حِصنه وامتنعَ به ، فحاصرَه ذلك الملكُ .

وكان ولدُ السَّموأَلِ خارجَ الحِصن ، فظفرَ به ذلك الملكُ ، فأَخذه أَسيراً ، ثم طاف حول الحِصن وصاحَ بالسَّموأل ، فأَشرف عليه من أَعلى الحصن ، فلمّا رآهُ قال له : إِنَّ وَلدك قد أَسرتُه ، وها هو معي ، فإِن سَلَّمْتَ إِليَّ الدُّروع والسِّلاح الَّتي لامرىءِ القيس عندك رحلتُ عنك ، وسلَّمتُ إِليك وَلدك ، وإِن امتنعتَ من ذلك ذبحتُ وَلدك وأَنت تنظرُ ، فاخترْ أَيَّهما شئتَ . فقالَ له السَّموأَلُ : ما كنتُ لأَخفرَ ذِمامي وأُبطلَ وَفائي ، فاصنعْ ما شِئت ؛ فذَبح ولدَه وهو ينظرُ ؛ ثم لمّا عجزَ عن الحِصن رجع خائباً ؛ واحتسبَ السَّموأَلُ ذبحَ ولده ، وصَبَرَ مُحافظةً على وَفائه .

فلمَّا جاءَ الموسمُ وحضرَ ورَثةُ امرىء القيس ، سلَّمَ إِليهم الدُّروع والسِّلاح ، ورأَى حِفظَ ذِمامِهِ ورعايةَ وَفائهِ أَحبَّ إِليه من حياةِ ولدِهِ وبقائه ؛ فسارت الأَمثالُ في الوفاءِ تُضْرَبُ بالسَّمَوْأَل ، وإِذا مَدحوا أَهلَ الوفاءِ في الأَنامِ ذَكروا السَّموأَلَ في الأُوَلِ ؛ وكم أَعلى الوفاءُ رُتبةَ من اعتقلَه بيديه ، وأَغلى قيمةَ مَن جعلَه نُصب عينيه ، واستنطقَ الأَفواه لفاعله بالثَّناء عليه ، واستطلَقَ الأَيدي المقبوضة عنه بالإِحسانِ إِليه .

- وممّا وُضع في بُطون الدَّفاتر ، واستحسنته عُيون البَصائر ، ونَقلته الأَصاغر

---

(١) كذا ، وهو غير صحيح ، وصوابه : ملك الحيرة . وقيل : الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام .

عن الأَكابر ، وتَداولته الأَلسنة من الأَوائل والأَواخِر ، ما رواهُ خادم أَمير المؤمنين المأمون ، قال[1] :

طَلَبني أَميرُ المؤمنين ليلةً ، وقد مَضى من اللَّيلِ ثُلُثَهُ فقال لي : خُذْ معك فُلاناً وفُلاناً ، وسمَّاهما ، أَحدُهما عليّ بن محمَّد ، والآخر دينار الخادم ، واذهبْ مُسرعاً لِما أَقوله لك ، فإِنَّه قد بَلَغَني أَنَّ شيخاً يحضرُ ليلاً إِلى دُور البرامكة ، ويُنشد شِعراً ، وَيذكُرهم ذِكْراً كثيراً ، ويَنْدُبُهم ويَبكي عليهم ، ثم ينصرفُ ؛ فامضِ الآن أَنت وعليّ ودينار حتَّى تَروا هذه الخَرابات ، فاستَتروا خلفَ بعض الجُدران ، فإِذا رأَيتُم الشَّيخَ قد جاء وبكى وندبَ وأَنشد شيئاً ، فائْتوني به . قال : فأَخذتُهما ومَضَينا حتَّى أَتينا الخرابات ، وإِذا نحنُ بغُلامٍ قد أَتى ، ومعه بِساطٌ وكُرسيٌّ حديدٍ ، وإِذا شيخٌ وسيمٌ له جَمالٌ ، وعليه مَهابةٌ ووقـارٌ ، قـد أَقبـل ، فجلسَ علـى الكُـرسـيّ ، وجعـلَ يبكـي وينتحـبُ ويقولُ : [من الطويل]

وَلَمّـا رَأَيْـتُ السَّيْـفَ جَنْـدَلَ جَعْفـراً ... وَنـادى مُنـادٍ لِلْخَلِيْفَـةِ فـي يَحْيـى

بَكَيْـتُ علـى الـدُّنيـا وزادَ تَـأَسُّفـي ... عَليهـم وَقُلْـتُ الآنَ لا تَنْفَـعُ الـدُّنيـا

مع أَبياتٍ أَطالها وردَّدها ، فلمّا فرغَ قَبَضْنا عليه ، وقُلنا له : أَجِبْ أَمير المؤمنين ؛ ففزِعَ فَزَعاً شديداً ، وقال : دَعوني حتَّى أُوصي وصيَّةً ، فإِنِّي لا أُوقنُ بعدها بحياةٍ . ثم تقدَّمَ إِلى بعضِ الدَّكاكين ، فاستفتحَ ، وأَخذ ورقةً ، وكتبَ فيها وصيَّةً ودَفعها إِلى غُلامه ، ثم سِرنا به ؛ فلمَّا مَثَلَ بين يدي أَمير المؤمنين زَجَرَه ، وقال له : مَن أَنت؟ وبماذا استَوجَبَت البرامكةُ منكَ ما تَفعلُه في خَرائب دُورهم؟ وما تقولُه فيها؟ ـ قال الخادمُ : ونحنُ وقوفٌ نسمعُ ـ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ للبرامِكة عندي أَيادي خطيرةً ، أَفتأذنُ لي أَن

---

(١) المحاسن والمساوىء (١/ ١٨٨) الفرج بعد الشدة (٣/ ١٦٦) .

أُحَدِّثك حَديثي معهم؟ قال : قُل . قال : يا أَمير المؤمنين ، أَنا المنذر بن المُغيرة ، من أَولاد الملوك ، وقد زالت عنِّي نِعْمَتي كما تزولُ عن الرِّجال ، فلمّا رَكبني الدَّيْنُ ، واحتجتُ إِلى بيع مَسْقَطِ رَأسي ورؤوس أَهلي ، أَشاروا عليَّ بالخُروجِ إِلى البرامِكَةِ ، فخَرجتُ من دمشق ومعي نَيِّفٌ وثلاثون امرأَةً وصَبِيّاً وَصَبِيَّةً ، وليس معنا ما يُباع ولا ما يُوهَب ، حتَّى دخلنا بغداد ، ونَزلنا في بعض المساجد ، فدعوتُ بثُويْبات لي كنتُ قد أَعددتُها لأَستمنحَ بها النّاس ، فلبستُها وخرجتُ ، وتركتُهم جِياعاً لا شيءَ عندهم ، ودخلتُ شوارعَ بغداد أَسأَلُ عن دُورِ البَرامِكة ، فإِذا أَنا بمسجدٍ مُزخرفٍ ، وفيه مِئة شيخٍ بأَحسن زِيٍّ وزينةٍ ، وعلى الباب خادمان ، فطمعتُ في القوم ، وولجتُ المسجدَ ، وجلستُ بين أَيديهم وأَنا أُقَدِّمُ وأُؤَخِّرُ ، والعَرَقُ يَسيلُ مِنِّي ، لأَنَّها لم تكُن صِناعتي ، وإِذا بخادمٍ قد أَقبل فدعا القوم ، فقاموا وأَنا معهم ، فدخلوا دار يَحيى بن خالد ، ودخلتُ معهم ، وإِذا بيحيى جالسٌ على دِكَّةٍ له في وَسط بُستانٍ ، فسلَّمنا ، وهو يَعُدُّنا مئةً وواحد ، وبين يديه عشرةٌ من وَلده ، وإِذا غُلامٌ أَمردُ قد عَذَرَ خَدّاه ، قد أَقبل من بعض المقاصير ، بين يديه مئةُ خادمٍ مُمَنْطَقون ، في وَسط كلِّ خادمٍ منطقةٌ من ذَهب يَقرُب وزنُها من أَلف مثقالٍ ، ومع كلِّ خادمٍ مجمرةٌ من ذهبٍ في كلِّ مجمرةٍ قطعةٌ من عودٍ كهيئة الفِهْرِ ، قد قَرَنَ بها مثلَها من العنبر السُّلطاني ، فوضَعوه بين يدي الغُلام إِلى جنب يحيى ، ثم قال يحيى للقاضي : تكلَّم وزَوِّج بنتي عائشة من ابن عمِّي هذا . فخطب القاضي ، وزوَّجَه ، وشهدَ أُولئك الجماعة ، وأَقبلوا علينا بالنِّثار ببنادق المِسك والعنبر ، فالتقَطْتُ ـ واللهِ يا أَمير المؤمنين ـ مِلْءَ كُمِّي ، ونظرتُ ، فإِذا نحنُ في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مئةً وإِثنا عشر رجلاً ، فخرج إِلينا مئة واثنا عشرَ خادماً ، مع كلِّ خادمٍ صينيَّةٌ من فِضَّةٍ عليها أَلفُ دينارٍ ، فوضعوا بين يدي كلِّ رجلٍ مِنّا صِينيَّةً ، فرأَيتُ القَاضي والمشايخ

يَصُبُّون الدَّنانير في أكمامهم ، ويَجعلون الصَّواني تحتَ آباطهم ، ويقومُ الأوَّلُ فالأوَّلُ ، حتَّى بقيتُ وَحدي بين يدي يحيى ، لا أَجسرُ على أَخذ الصِّينيَّةِ ؛ فغمزَني الخادمُ ، فجَسرتُ وأَخذتُها ، وجعلتُ الذَّهب في كُمِّي ، وأَخذتُ الصِّينيَّة في يدي وقُمت ، وجعلتُ أَلتفتُ إلى ورائي مخافةَ أَن أُمنعَ من الذَّهاب بها ، فبينما أَنا كذلك في صحن الدَّار ويحيى يلحظُني إذ قال للخادم : ائْتني بذلك الرَّجل . فَرُدِدْتُ إليه ، فأَمرَ بصَبِّ الدَّنانير والصِّينيَّة وما كان في كُمِّي ، ثم أَمرني بالجُلوس ، فجلستُ فقال لي : ممَّنِ الرَّجل؟ فقَصصت عليه قِصَّتي ، فقال للخادم : ائْتني بوَلدي موسى ؛ فأُتي به ، فقال له : يا بُنَيَّ ، هذا رجلٌ غريبٌ ، فخُذهُ إليك ، واحفظْهُ بنفسِك وبنِعمتك .

فقبضَ موسى على يَدي ، وأَدخلني إلى دارٍ من دُوره ، فأَكرمَني غايةَ الإكرام ، وأَقمتُ عنده يومي وليلتي في أَلَذِّ عيشٍ ، وأَتَمِّ سُرورٍ ؛ فلمَّا أَصبح دعا بأَخيه العبّاس وقال : إنَّ الوزيرَ قد أَمرني بالعَطف على هذا الرَّجلِ ، وقد علمتَ اشتغالي في دار أَمير المؤمنين ، فاقبضْه إليك ، وأَكرمْه ؛ ففعلَ ذلك ، وأَكرمني غايةَ الإكرام ، فلمّا كان من الغد تسلَّمني أَخوه أَحمد ، ثم لم أَزل في أَيدي القوم يتداولوني عشرةَ أَيّامٍ لا أَعرفُ خبرَ عِيالي وصِبياني أَفي الأَموات هم أَم في الأَحياء .

فلمّا كان اليوم الحادي عشر جاءني خادمٌ ومعه جماعةٌ من الخدم ، فقالوا لي : قُم ، فاخرجْ إلى عِيالك بسلامٍ . فقلت : واوَيْلاه ، سُلِبْتُ الدَّنانير والصِّينيَّة ، وأَخرجُ إلى عيالي في هذه الحالة! إنّا للهِ وإنَّا إليه راجعون! فَرُفع السِّتر الأَوَّل ، ثم الثّاني ، ثم الثّالث ، ثم الرّابع ، فلمّا رَفع الخادم السِّتر الأَخير قال لي : مهما كان لك من الحوائج ، فارفعْها إليَّ ، فإنِّي مأمورٌ بقضاءِ جميعِ ما تأمرني به ؛ فلمّا رُفع السِّترُ رأَيتُ حُجرةً كالشَّمس حُسناً ونُوراً ، واستقبلني منها رائحةُ النَّدِّ والعُود ونَفحات المِسك ، وإذا بصِبياني وعيالي

يتقلَّبون في الحرير والدِّيباج ، وحَمل إِليَّ أَلف أَلف درهمٍ وعشرةَ آلاف دينارٍ ومَنشورين بضَيعتين ، وتلكَ الصِّينيَّة الَّتي كنتُ أَخذتُها بما فيها من الدَّنانير والبنادق ؛ وأَقمتُ يا أَمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاثَ عشرةَ سنةً لا يعلمُ النَّاس أَمن البرامكة أَنا أَم رجلٌ غريبٌ اصطنعوني ؛ فلمّا جاءَتهم البَلِيَّةُ ، ونزلَ بهم من أَمير المؤمنين الرَّشيد ما نزل ، أَجحفَني عمرو بن مَسعدة ، وأَلزَمَني في هاتين الضَّيعتين من الخِراج ما لا يفي دَخْلُهما به ، فلمّا تحامَل عليَّ الدَّهرُ كُنتُ في أَواخر اللَّيل أَقصدُ خرابات القوم ، فأَندبُهم وأَذكرُ حُسْنَ صَنيعهم إِليَّ وأَشكرهم على إِحسانهم .

فقال المأمون : عليَّ بعَمرو بن مَسعدة ؛ فلمّا أُتيَ به قال : يا عَمرو : أَتعرفُ هذا الرَّجل؟ قال : نعم يا أَمير المؤمنين ، هو بعضُ صَنائع البرامكة ؛ قال : كَم أَلزمتَه في ضَيعته؟ قال : كذا وكذا ؛ قال : رُدَّ له كلَّ ما اسْتَأْدَيْتَهُ منه في مُدَّته ، ووقِّعْ له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده .

قال : فَعلا نحيبُ الرَّجلِ وبُكاؤه ، فلمّا رأَى المأمونُ كثرةَ بُكائه قال : يا هذا قد أَحسنّا إِليك ، فَلِمَ تَبكي؟ قال : يا أَمير المؤمنين ، وهذا أَيضاً من صَنائع البرامكة ، إِذ لو لم آتِ خَراباتهم ، فأَبكيهم وأَندُبهم حتَّى اتَّصل خَبري بأَمير المؤمنين ، ففعل ما فَعل ، فمن أَين كنتُ أَصِلُ إِلى أَمير المؤمنين؟ .

قال إِبراهيم بن مَيمون : فلقد رأَيتُ المأمون قد دَمعت عيناه ، وظهر عليه حُزنه ، وقال : لَعَمْري هذا من صَنائع البرامكة ، فعليهم فابْكِ ، وإِيَّاهُم فاشكرْ ، ولهم فأَوفِ ، ولإِحسانهم فاذكُر .

- وقيل[1] : إِذا أَردتَ أَن تعرفَ وفاءَ الرَّجل ، ودوامَ عَهده ، فانظرْ إِلى حنينه

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٢) وبهجة المجالس (١/ ٧٩٥) والبصائر والذخائر (٧/ ١٤٤) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢١) .

إلى أَوطانه ، وتَشَوُّقَه إلى إخوانه ، وكثرةَ بُكائه على ما مضى من زَمانه .

● قال الشّاعر[1] : [من الطويل]

سَقَى اللهُ أَطْلالَ الوفاءِ بِكَفِّهِ فَقَدْ دَرَسَتْ أَعْلامُهُ وَمَنازِلُهْ

● وقال آخر[2] : [من الكامل]

اُشْدُدْ يَدَيْكَ بِمَنْ بلَوْتَ وَفاءَهُ إِنَّ الوفاءَ مِنَ الرِّجالِ عَزيزُ

● وقال[3] مالِك بن عُمارة اللَّخمي : كنتُ أُجالسُ في ظِلِّ الكعبة أيّام الموسِمِ عبدَ الملك بن مروان ، وقَبيصة بن ذُؤَيب ، وعُروة بن الزُّبير ، وكُنّا نَخوضُ في الفِقه مرَّةً ، وفي المُذاكرة مَرَّةً ، وفي أَشعار العربِ وأَمثال النّاس مَرَّةً ؛ فكنتُ لا أَجدُ عند أَحدٍ ما أَجدُه عند عبد الملك بن مروان من الاتِّساعِ في المعرفة والتَّصَرُّفِ في فُنون العِلم ، وحُسن استماعه إذا حُدِّثَ ، وحَلاوة لفظه إذا حَدَّثَ ، فَخَلوتُ معه ليلةً ، فقلتُ له : واللهِ إنّي لَمسرورٌ بكَ لِما شاهدتُه من كثرةِ تَصَرُّفك وحُسن حَديثك ، وإقبالك على جَليسك ؛ فقال : إن تَعِشْ قَليلاً ، فَسترى العيونَ طامِحَةً إليَّ ، والأَعناقَ نَحوي مُتطاولةً ، فإذا صارَ الأَمرُ إليَّ ، فلعلَّك أَن تنقلَ إليَّ رِكابَك ، فَلأَمْلأَنَّ يَديك .

فلمّا أَفْضَت إليه الخلافةُ ، توجَّهْتُ إليه ، فوافيتُه يومَ الجُمعة ، وهو يخطبُ على المنبر ، فلمّا رآني أَعرضَ عنِّي ، فقلتُ : لعلَّه لم يعرفْني ، أَو عَرَفَني وأَظهرَ لي نُكْرَةً ، فلمّا قُضِيَتِ الصَّلاةُ ودخلَ بيته لم أَلبث أَن خرجَ الحاجبُ ،

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٤) .
(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٤١).
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٥٩) والجليس والأنيس (٢/ ٣٠٦) والموفقيات (٢٠٩) وعيون الأخبار (١/ ٢٥٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٨) والبصائر والذخائر (٩/ ١٢٤) والإمتاع والمؤانسة (٢/ ٧٠) ومحاضرات الراغب (١/ ٤٥٥) .

فقال : أَين مالكُ بن عُمارة؟ فقمتُ ، فأَخذ بيدي ، وأَدخلني عليه ، فمدَّ إِليَّ يدَه وقال : إِنَّك تَراءَيتَ لي في مَوضعٍ لا يجوزُ فيه إِلا ما رأَيتَ ، فأَمّا الآن ، فمَرحباً وأَهلاً ، كيفَ كنتَ بعدي؟ فأَخبرتُه ، فقال : أَتذكرُ ما كنتُ قلتُ لك؟ قلت : نعم ، فقال : والله ما هُو بميراثٍ وَعَيْناهُ ، ولا أَثَرٍ رَوَيْناه ، ولكنِّي أُخبركَ بخصالٍ منِّي سَمَتْ بها نَفسي إِلى الموضِعِ الَّذي تَرى ؛ ما خُنْتُ ذا وُدٍّ قَطُّ ، ولا شَمَتُّ بمصيبةٍ عَدُوٍّ قَطُّ ، ولا أَعرضتُ عن مُحَدِّثٍ حتَّى يَنتهي حديثُه ، ولا قَصدتُ كبيرةً من مَحارم الله تعالى مُتَلَذِّذاً بها ، فكنتُ أُؤَمِّلُ بهذه أَن يرفعَ الله تعالى مَنزلتي ؛ وقد فَعل .

ثم دعا بغلامٍ ، فقال له : يا غُلام ، بَوِّئْهُ مَنْزلاً في الدّار ؛ فأَخذ الغلامُ بيدي ، وأَفرد لي مَنزلاً حَسَناً ؛ فكنتُ في أَلَذِّ حالٍ ، وأَنعم بَالٍ ، وكان يسمعُ كلامي وأَسمعُ كلامَه ، ثم أَدخلُ عليه في وقتِ عَشائه ، وغَدائه ، فيرفعُ مَنزلتي ويُقبل عليَّ ويُحادثني ، ويَسأَلُني مرَّةً عن العراق ومرَّةً عن الحجاز ، حتَّى مضَت لي عِشرون ليلةً ، فتغدَّيتُ يوماً عنده ، فلمَّا تفرَّقَ النّاسُ نهضتُ قائماً ، فقال : على رِسْلِكَ ؛ فقعدتُ ، فقال : أَيُّ الأَمرين أَحَبُّ إِليك ؛ المقامُ عندنا مع النَّصَفَةِ لك في المُعاشرة ، أَو الرُّجوعُ إِلى أَهلك ولك الكرامة؟ فقلت : يا أَمير المؤمنين ، فارقتُ أَهلي ووَلدي على أَنِّي أَزورُ أَمير المؤمنين ، وأَعودُ إِليهم ، فإِن أَمَرَني أَميرُ المؤمنين اخترتُ رُؤيتَه على الأَهل والوَلد ؛ فقال : لا ، بل أَرى لك الرُّجوعَ إِليهم ، والخيارُ لك بعدُ في زيارتنا ، وقد أَمرنا لك بعشرين أَلف دينار ، وكَسوناك وحَملناك ؛ أَتراني قد مَلأْتُ يَديك؟ فلا خيرَ فيمن يَنْسى إِذا وَعَدَ وَعْداً ؛ وَزُرْنا إِذا شئتَ ، صَحِبَتْكَ السَّلامةُ .

● ومن الوفاء[1] : ما رُوي عن أَبي زكّار الأَعمى ، وكان قد انقطع إِلى آل

---

(١) الأغاني (٧/ ٢٢٧ و١٢/ ١٩١) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٠) ووفيات الأعيان (١/ ٣٣٨) و(٣٤٥) .

بَرْمَك ، قال مَسرورٌ الكبيرُ : لمّا أَمَرني الرَّشيدُ بقتل جَعفر بن يحيى ، دخلتُ عليه ، فوجدتُ عنده أَبا زكّار الأعمى يُغَنِّيه ويقول[1] : [من الوافر]

فَــلا تَحْـزَنْ فَكُــلُّ فتــىً سَيَــأْتــي عَليــهِ المَــوْتُ يَطْــرُقُ أَو يُغــادي

فقلتُ : في هذا واللهِ قد أَتيتُكَ ، ثم أَمسكتُ بيد جعفرٍ وأَقمتُه ، وضربتُ عُنقه ، فقال أَبو زكّار : ناشَدْتُكَ اللهَ إلا ما أَلحقتني به ؛ فقلتُ له : ما الَّذي حَمَلَك على هذا؟ فقال : أَغناني عن النّاس ؛ فقلتُ : حتَّى أَسْتَأْمِرَ الرَّشيد ؛ ثم أَحضرتُ الرَّأْسَ إِلى الرَّشيد ، وأَخبرتُه بخبرِ أَبي زكّار ، فقال : هذا رجلٌ فيه مُصطنعٌ ، اضممهُ إِليك ، وانظرْ ما كان يُجري عليه جعفرٌ فادفعه إِليه .

- وكان[2] يحيى بن خالد إِذا أَكّد في يَمينه قال : لا والَّذي جعل الوفاءَ أَعَزَّ ما يُرى .

- قال أَبو فِراسِ بن حَمدان الشّاعر[3] : [من الطويل]

بِمَــنْ يَثِــقُ الإِنْســانُ فِيمــا يَنُــوبُــهُ وَمِــنْ أَيْــنَ لِلْحُــرِّ الكَــريــمِ صِحــابُ

وَقَــدْ صــارَ هــذا النَّــاسُ إلا أَقَلَّهُــمْ ذِئــابــاً علــى أَجْســادِهِــنَّ ثِيــابُ

- وسأَلَ[4] المنصورُ بعضَ بِطانة هِشامٍ عن تَدبيره في الحُروب ، فقال : كانَ رحمه الله تعالى يفعلُ كذا وكذا ؛ فقال المنصورُ : عليكَ لَعنةُ الله ، تَطَأُ بِساطي وَتَتَرَحَّمُ على عَدُوِّي؟ فقال : إِنَّ نِعمَة عَدُوِّكَ لَقِلادةٌ في عُنقي ، لا يَنزِعُها إِلا غاسِلي ؛ فقال له المنصورُ : ارجعْ يا شَيخ ، فإِنِّي أَشهدُ أَنَّك لَوَفِيٌّ حافظٌ للخَير ؛ ثم أَمر له بمالٍ ، فأَخذَه ، ثم قال : واللهِ لولا جَلالةُ أَمير المؤمنين

---

(١) لكثير عزة في ديوانه (٢٢٢) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٢) وفيه : . . . أَعزَّ ما برأ .
(٣) ديوانه (٣٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٢) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/٣٤٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٣) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٧٤) والمحاسن والمساوىء (١/ ١٨٥) .

وإمضاءُ طاعَته ما لبستُ لأَحدٍ بعد هِشامٍ نِعمةً . فقال له المنصورُ : لله دَرُّك ، فلو لم يكنْ في قَومك غيرُك لكنتَ قد أَبقيتَ لهم مَجْداً مُخلَّداً .

• وخرَجَ[1] سُليمان بن عبد الملك ، ومعه يزيدُ بن المُهَلَّب في بعض جَبابين الشّام ، فإذا امرأَةٌ جالسةٌ على قبرٍ تبكي ، قال سُليمان : فَرَفَعَتِ البُرْقُعَ عن وَجهها ، فحَكَت شَمْساً من مُتون غَمامةٍ ، فوقَفنا مُتَحَيِّرين نَنْظُرُ إليها ، فقال لها يَزيد بن المهلَّب : يا أَمة الله ، هل لكِ في أَمير المؤمنين بَعْلاً؟ فنظَرَتْ إلينا ، ثم أَنشأَتْ تقول : [من الطويل]

فإنْ تَسْأَلاني عن هَوايَ فإنَّهُ بحَوْماءِ هذا القَبْرِ يا فَتَيانِ
وإنِّي لأَسْتَحْييهِ والتُّرْبُ بَيْنَنا كَما كُنْتُ أَسْتَحْييهِ وَهْوَ يَراني

• ومن[2] أحسن الوفاء ما رُوي عن نائلة بنت الفُرافِصَة بن الأَحوص الكَلْبيّ زوج عُثمان رضي الله عنهما ، أَنَّ عُثمان لمّا قُتِل أَصابَتْها ضَرْبَةٌ على يَدها ، وخَطبها مُعاوية ، فَرَدَّتْهُ ، وقالت : ما يُعْجِبُ الرَّجل مِنِّي؟ قالوا : ثَناياك ؛ فكَسرت ثَناياها ، وبَعَثَت بها إلى مُعاوية ، فكان ذلك ممّا رَغَّب قريشاً في نِكاح نِساء بني كَلب .

• ولمَّا[3] أَحسَّ مُصعب بن الزُّبير بالقَتْلِ ، دَفع إلى مَولاه زياد فَصَّ ياقوتٍ قيمته أَلفُ أَلفٍ ، وقال له : انْجُ بهذا ؛ فأَخذَه زيادٌ وَدَقَّه بين حَجَرين ؛ وقال : والله لا يَنتفعُ به أَحدٌ بعدَك .

• ولمّا[4] قُدِّمَ هُدْبَة بن الخَشْرَم للقتل بحَضرة مَروان بن الحكم ، قالت

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٩) وأخبار النساء (١٢٦) (برواية أخرى) .
(٢) عيون الأخبار (٤/ ٤٦) وأنساب الأشراف (٤/ ١/ ٤٩٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٩ ونثر الدر (٤/ ٦٢) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٨٧) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٠) .
(٤) الأغاني (٢١/ ٢٧٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٠) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٨٧ و٢/ ٢٢١) وأسماء المغتالين (٢٦٢) .

زَوجته : إنَّ لهدبَةَ عندي وديعةً ، فأَمهلْه حتَّى آتيَكَ بها ، فقال : أَسرعي ، فإِنَّ النَّاسَ قد كثُروا ، وكان مَروان قد جلسَ لهم بارزاً عن داره ، فمضَت إِلى السُّوق ، وأَتت إِلى قَصّابٍ ، فقالت : أَعطني شَفْرَتَك ، وخُذ هذين الدِّرهمين ، وأَنا أَرُدُّها عليك ، فأَخَذَتْهما وقَرُبَتْ من حائِطٍ ، وأَرسلَت مِلْحَفَها عن وَجهها ، ثم جَدَعَت أَنْفَها من أَصله ، وقطَعت شَفتيها وردَّت الشَّفرة إِلى القَصّاب . ثم أَقبلت حتَّى دخلَت بين النّاس ، فقالت : أَتراني يا هُدبة مُتَزَوِّجَةً بعدَ ما ترى؟ فقال : الآن طابَت نَفْسي بالموت ، فجَزاك اللهُ من حَليلةٍ وَفِيَّةٍ خَيْراً .

• ولنجعلْ لهذا الباب من القَضايا خِتاماً ، هو أَوجزها كلاماً ، وأَحسنُها نِظاماً ، وأَبيَنُها حُكماً وأَحكاماً ، وهي قضيَّةٌ جمعَت الأَمرين : وفاءً وغَدراً ، وعُرْفاً ونُكْراً ، وخَيْراً وشَرّاً ، ونَفْعاً وضُرّاً ، واشتَملَت على حال شَخصين أَحدُهما وَفى بعهده ففازَ ونَجا ، وحازَ من مُقترحات مُناه ما أَمَّلَ ورَجا ؛ وغَدَرَ الآخرُ ، فلمْ يجدْ له من جَزاءِ غَدْرِهِ إِلى النَّجاة فَرَجاً ، ولم يلقَ له من ضيقِ الغَدْرِ مَخْرَجاً .

وهو ما ذَكَرَهُ عبد الله بن عبد الكريم ، وكان مُطَّلِعاً على أَحوال أَحمدِ بن طولون ، عارِفاً بأُمورِه ، عالِماً بورُوده وصُدوره ، فقال ما معناه :

• إنَّ أَحمد بن طولون وجدَ عند سِقايته طِفلاً مَطروحاً ، فالتَقطه ورَبّاه ، وسمَّاه أَحمد وشَهَرَهُ باليَتيم ، فلمّا كبرَ ونَشأَ كان أَكثرَ النّاس ذَكاءً وفِطْنَةً ، وأَحسنَهم زِيّاً وصُورةً ، فصارَ يَرعاهُ ويعلِّمُه حتَّى تهذَّبَ وتَمَرَّن ، فلمّا حَضرت أَحمد بن طولون الوفاةُ أَوصى وَلده أَبا الجيش خُمارويه به ، فأَخذه إِليه .

فلمَّا مات أَحمد بن طولون أَحضره الأَمير أبو الجيش إِليه ، وقال له : أَنت عندي بمكانةٍ أَرعاك بها ، ولكنَّ عادتي أَنِّي آخذُ العهدَ على كُلِّ مَن أُصَرِّفُهُ في شيءٍ أَنَّه لا يَخونُني ؛ فعاهَدَهُ ، ثم حَكَّمَهُ في أَمواله ، وقَدَّمَه في أَشغاله ، فصار أَحمد اليتيم مُستحوِذاً على المقامِ ، حاكِماً على جميعِ الحاشيةِ الخاصِّ

والعامِّ ، والأميرُ أَبو الجيش بن طولون يُحسنُ إليه ، فلمّا رأى خِدمته مُتَّصِفَةً بالنُّصْح ومَساعيه مُتَّسِمَةً بالنُّجْح ، رَكَنَ إليه ، واعتمدَ في أُمور بُيوته عليه ، فقال له يوماً : يا أَحمدُ ، امضِ إلى الحُجرة الفُلانيَّة ، ففي المجلسِ حيثُ أَجلسُ سُبْحَةُ جَوهرٍ ، فائتني بها ؛ فمضَى أَحمد ، فلمّا دخلَ الحُجرة وجدَ جاريةً من مُغَنِّيات الأَمير وحَظاياه مع شابٍّ من الفرّاشين ، ممَّن هو من الأمير بمَحَلٍّ قريبٍ ، فلمَّا رأَياهُ خرج الفتى ، وجاءَت الجاريةُ إلى أَحمد وعرَضَت نفسَها عليه ، ودَعَتْهُ إلى قضاءِ وَطَرِهِ ، فقال لها : مَعاذَ الله أَن أَخونَ الأَمير ، وقد أَحسنَ إليَّ وأَخذَ العهدَ عليَّ ؛ ثم تركَها ، وأَخذ السُّبْحَةَ وانصرفَ إلى الأَمير ، وسلَّمَها إليه . وبقيَت الجاريةُ شديدةَ الخوفِ من أَحمد بعدَما أَخذ السُّبْحَةَ ، وخرجَ من الحجرةِ لئلا يذكرَها للأمير ، فأقامَت أَيّاماً لم تجد من الأَمير ما غَيَّره عليها .

ثم اتَّفق أَنَّ الأَميرَ اشترى جاريةً وقدَّمها على حظاياه ، وغَمَرها بعطاياه ، واشتغل بها عمَّن سِواها ، وأَعرض لِشَغَفِهِ بها عن كلِّ مَن عنده حتَّى كاد لا يذكرُ جاريةً غيرها ، ولا يَراها ، وكان أَوَّلاً مَشغولاً بتلك الجارية الخاسرةِ الخائنةِ ، الخائبةِ الغادرةِ ، العائبةِ العاهرةِ ، الفاسقةِ الفاجرة ؛ فلمَّا أَعرضَ عنها اشتغالاً بالجارية الجديدة المسجَّدة السَّعيدة ، الحامدةِ المحمودةِ ، الوَصيفةِ الموصوفةِ ، الأَليفة المألوفة ، العارِفةِ المعروفةِ ، وصَرَفَ لبهجةِ مَحاسنها وكثرةِ آدابها وَجْهَهُ عن مُلاعبةِ أَترابها ، وشَغَلَتْهُ بعُذوبة رُضابها عن ارتشافِ رُضابِ أَضْرابها ، وكانت تلك الجاريةُ الأُولى لحُسنها متأَمِّرةً على تأميره ، لا تخافُ من وَلِيِّهِ ولا نَصيرِه ، فكبُر عليها إعراضُه عنها ، ونَسبت ذلك إلى أَحمد اليتيم لاطِّلاعِهِ على ما كان منها ، فدخلت على الأَمير وقد ارْتَدَتْ من الكآبةِ بجلبابِ نُكْرِها ، وأَعلنَت بالبُكاء بين يديه لإتمامِ كَيْدِها ومَكرِها ، وقالت : إنَّ أَحمد اليتيم راودني عن نَفسي .

فلمّا سمعَ الأَميرُ ذلك استشاطَ غَيْظاً وغَضَباً ، وهمَّ في الحال بقَتله ، ثم عاوده حاكمُ عَقله ، فتأَنّى في فِعله ، واستحضر خادماً يعتمدُ عليه ، وقال له : إذا أَرسلتُ إِليك إِنساناً ومعه طَبَقٌ من ذهبٍ ، وقلتُ لك على لِسانه : املأ هذا الطبق مِسْكاً ، فاقتلْ ذلك الإِنسان ، واجعلْ رأسَه في الطَّبق ، وأَحضرْه مُغَطّى ؛ ثم إِنَّ الأَمير أَبا الجيش جلس لشُربه ، وأَحضر عنده نُدماءه الخواصَّ ، وأَدناهم لمجلس قُرْبِهِ ، وأحمد اليتيم واقفٌ بين يديه ، آمنٌ في سِرْبِهِ ، لم يخطرْ بخاطِره شيءٌ ، ولا هَجَسَ هاجِسٌ في قلبه ؛ فلمّا مَثُل بين يدي الأَمير ، وأَخذَ منه الشَّرابُ شَرع في التَّدبير ، فقال : يا أَحمد ، خُذْ هذا الطَّبق ، وامضِ به إِلى فلان الخادم ، وقل له : يقولُ لك الأَميرُ : املأْ هذا الطَّبق مِسْكاً ؛ فأَخذَه أَحمد اليتيم ومضى ، فاجتاز في طريقه بالمغنِّين وبقيَّة النُّدماء ، والخواصِّ ، فقاموا إِليه وسأَلوهُ الجلوسَ معهم ، فقال : أَنا ماضٍ في حاجةٍ للأَمير أَمرني بإِحضارها في هذا الطَّبق ؛ فقالوا له : أَرسلْ من ينوبُ عنك في إِحضارها ، وخُذْها أَنت وادخلْ بها على الأَمير ، فأَدار عينيه ، فرأَى الفتى الفرّاشَ الَّذي كان مع الجارية ، فأَعطاه الطَّبَقَ ، وقال له : امضِ إِلى فلان الخادم ، وقل له : يقولُ لك الأَمير : املأْ هذا الطَّبَقَ مِسْكاً ؛ فمضى ذلك الفرّاش إِلى الخادم ، فذكر له ذلك ، فقَتله ، وقطَع رأسَه وغطّاه ، وجعلَه في الطَّبق ، وأَقبل به ، فناوله لأَحمد اليتيم ، فأَخذه وليس عنده علمٌ من باطن الأَمر ، فلمّا دخلَ به على الأَمير كَشَفَهُ وتأَمّله وقال : ما هذا؟ فقصَّ عليه خَبَرَهُ وقُعوده مع المغنِّين وبقيَّة النُّدماء وسُؤالهم له الجلوسَ معهم ، وما كان من إِنفاذ الطَّبق ، وإِرساله مع الفرّاش ، وأَنَّه لا علمَ عنده غير ما ذَكره . قال : أَتعرفُ لهذا الفرّاش خبراً يستوجبُ به ما جَرى عليه؟ فقال : أَيُّها الأَمير ، إِنَّ الَّذي تمَّ عليه بما ارتكَبَهُ من الخِيانة ، وقد كنتُ رأَيتُ الإِعراض عن إِعلام الأَمير بذلك ؛ وأَخَذَ أَحمدُ يحدِّثُه بما شاهدَه وما جَرى له من حديث الجارية من أَوَّله إِلى آخره ، لمّا أَنفذَه

لإِحضار السُّبحة الجوهرِ ؛ فدعا الأَمير أَبو الجيش بتلك الجارية واستقْرَرها ، فأَقَرَّت بصِحَّةِ ما ذكره أَحمد ، فأَعطاه إِيّاها ، وأَمره بقَتلها ، ففعل ، وازدادت مَكانة أَحمد عنده ، وعلَت مَنزلته لديه وضاعَف إِحسانَه إِليه ، وجعلَ أَزِمَّةَ جميعِ ما يتعلَّقُ به بيديه .

● فانظرْ ـ رحمَك الله ـ إِلى آثارِ الوفاءِ كيف تَحمي من المعاطبِ ، وتُنجي من قَبضة التَّلف بعد إِمضاء القَواضب ، ويُفضي بصاحبه إِلى ارتقاء غَوارب المراتب ، فهذا الغُلام لمّا وَفى لمولاه بعهده ـ وهو بَشَرٌ مثله ، وليس في الحقيقة بعَبده ـ واطَّلع الله عزَّ وجلَّ على صِدق نِيَّته وقَصده ، دفَع عنه هذه القَتلة الشَّنيعة بلُطفٍ من عنده ، فإِذا كان العبدُ مع خالقه ورازقه وافياً في طاعته بعَقده كيف لا يفيضُ عليه من أَلطاف مواهب بِرِّهِ ورِفْدِه ، ويفتحُ له من أَنواع رَحمته وأَقسام نِعْمته ما لا مُمسك له من بعده؟ .

● وقالوا[1] : ليسَ شيءٌ أَوفى من القُمْرِيَّة ؛ إِذا مات ذَكَرُها لم تَقْرَبْ آخَرَ بعدَه ، ولا تزالُ تَنوحُ عليه إِلى أَن تموتَ .

● واللهُ سُبحانه وتعالى أَعلمُ بالصَّواب ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم تَسليماً كثيراً إِلى يوم الدِّين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

❊ ❊ ❊

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٤١) .

الباب الثّامن والثّلاثون

في كتمان السِّرِّ وتحصينه وذَمِّ إفشائه

• قال[1] الله تعالى حِكايةً عن يعقوب صلواتُ الله وسَلامه عَليه : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ﴾ [يوسف : ١٢/٥] الآية ؛ فلمّا أَفشى يُوسف عليه السَّلام رُؤْياه بِمَشْهَدِ امرأَةِ يَعقوب أَخْبَرَتْ إِخوَتَه ، فَحَلَّ به ما حَلَّ .

• ومن شَواهد الكتاب العزيز في السِّرِّ قولُه تَعالى : ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ [النجم : ٥٣/ ١٠] .

• وقولُه تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾ [التكوير : ٨١/ ٢٤] أَي بِمُتَّهَمٍ[2] .

• وفي[3] الحديث : «استَعينوا على قَضاءِ حَوائِجكم بالكِتمان ، فإِنَّ كُلَّ ذي نِعْمَةٍ مَحْسودٌ» .

• وقال[4] عليٌّ رضي الله عنه وكرَّم وَجهه : سِرُّكَ أَسيرُك ، فإِذا تكلَّمتَ به صِرْتَ أَسيرَه .

• واعلم[4] أَنَّ أُمناءَ الأَسرار أَقَلُّ وُجوداً من أُمناء الأَموال ، وحِفظُ الأَموال أَيسرُ من كِتمان الأسرار ، لأَنَّ أَحرازَ الأَموال منيعةٌ بالأَبواب والأَقفال ، وأَحرازَ

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٣١) .

(٢) اختصار مخلٌّ عن التذكرة الحمدونية (٣/ ١٤٨) . ونصه فيه : ﴿وَمَا هُوَ على الغَيْبِ بِظَنين﴾ في قراءة مَن قرأَه بالظّاء ، أَي بِمُتَّهم ، وهي قراءة أَبي عمرو وابن كثير والكسائِيّ .

(٣) سراج الملوك (٢/ ٤١٣) وعيون الأخبار (١/ ٣٨) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٨٢) .

(٤) سراج الملوك (٢/ ٤١٣) .

الأَسرارِ بارزةٌ يُذيعُها لسانٌ ناطقٌ ، ويُشيعها كلامٌ سابقٌ ؛ وحَمْلُ الأَسرار أَثقلُ من حَمل الأَموال ؛ فإِنَّ الرَّجلَ يستقلُّ بالحِمْلِ الثَّقيل ، فَيحملُه ويَمشي به ، ولا يَستطيعُ كَتْمَ السِّرِّ ؛ وإِنَّ الرَّجلَ يكونُ سِرُّهُ في قَلبه ، فَيَلْحَقُهُ من القَلَقِ والكَرْبِ ما لا يَلْحَقُهُ من حَمْلِ الأَثقال ، فإِذا أَذاعَه استراحَ قَلْبُهُ ، وسَكنَ خاطِرُهُ ، وكأَنَّما أَلقى عن نَفسه حِمْلاً ثَقيلاً .

- وقال[1] عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : القُلوبُ أَوعيةٌ والشِّفاهُ أَقفالُها ، والأَلسنُ مفاتيحها ، فلْيحفظْ كُلُّ إِنسانٍ مِفتاح سِرِّه .

- ومن[1] عجائب الأُمور : أَنَّ الأَموالَ كُلَّما كَثُرَت خَزائِنها كان أَوثقَ لها ، وأَمَّا الأَسرارُ فإِنَّها كُلَّما كَثُرت خَزائنها كان أَضْيَعَ لها ، وكم من إِظهارِ سِرٍّ أَراقَ دَمَ صاحبه ، ومنَعه من بُلوغِ مآربِه ؛ ولو كَتَمَهُ أَمِن سَطواته .

- وقال[2] أَنو شروان : مَن حَصَّنَ سِرَّهُ ، فله بتَحصينه خَصلتان ، الظَّفَرُ بحاجته ، والسَّلامة من السَّطوات .

- وقيل[3] : كُلَّما كثُرت خُزّانُ الأَسرار زادت ضَياعاً .

- وقيل[3] : انفردْ بِسِرِّك لا تُودعْهُ حازماً فَيَزِلَّ ، ولا جاهِلاً فَيَخون .

- وقال كعبُ بن سَعد الغَنَويّ[4] : [من الطويل]

وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلرِّجالِ سَريرَتي　　　وَلا أَنا عَن أَسْرارِهِمْ بِسَؤولِ

- وقال أَبو مُسلم صاحبُ الدَّولة[5] : [من البسيط]

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤١٤) .

(٢) سراج الملوك (٢/ ٤١٤) ولباب الآداب (٢٣٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٤٩) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٨٤) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٠) ونثر الدر (٤/ ١٧٣) .

(٤) له في كامل المبرد (٢/ ٨٨٢) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٢) .

(٥) له في التذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٣) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٨٢) .

أَدْرَكْتُ بالحَزْمِ والكِتْمانِ ما عَجَزَتْ عَنْـهُ مُلـوكُ بَنِـي مَـرْوانَ إذْ جَهـدُوا
ما زِلْتُ أَسْعى عَليهمْ في دِيَارِهِمُ والقَوْمُ في غَفْلَةٍ بالشّام قَدْ رَقَدُوا
حتَّى ضَـرَبْتُهُـمُ بـالسَّيْـفِ فـانْتَبَهـوا مِـن نَـوْمَـةٍ لَـمْ يَنَمْهـا قَبْلَهُـمْ أَحَـدُ
وَمَـن رَعـا غَنَمـاً فـي أَرْضِ مَسْبَعَـةٍ ونـامَ عَنْهـا تَـوَلَّـى رَعْيَهـا الأَسَـدُ

• وأَسَرَّ[1] رجلٌ إلى صديقه حَديثاً ، ثم قال له أفهمتَ؟ قال : بل جهلتُ . ثم قال له : أحفظتَ؟ قال : بل نسيتُ .

• وقيل[2] لبعضهم : كيفَ كِتمانُك للسِّرِّ؟ قال : أَجحدُ المُخبِرَ ، وأَحلفُ للمستَخبِرِ .

• وقال[3] المُهَلَّبُ : أَدْنى أخلاقِ الشَّريف كِتمانُ السِّرِّ ، وأَعلى أَخلاقِهِ نِسيانُ ما أُسِرَّ إليه .

• ومن أَحسن ما قيل في كتمان السِّرِّ قول الشّاعر[4] : [من الكامل]

وَلَهـا سَـرائِـرُ فـي الضَّميـرِ طَـوَيْتُهـا نَسِـيَ الضَّميـرُ بِـأَنَّهـا فـي طَيِّـهِ

• وقد أَجازه الشَّيخ شمس الدِّين البُديري ، فقال : [من الكامل]

إنِّـي كَتَمْـتُ حَـديـثَ لَيْلَـى لَـمْ أَبُـحْ يَــوْمــاً بِظــاهِــرِهِ وَلا بِخَفيِّــهِ
وَحَفِظْــتُ عَهْــدَ وِدادِهــا مُتَمَسِّكــاً فــي حُبِّهــا بِــرَشَــادِهِ أَو غَيِّــهِ
«وَلَها سَرَائِرُ في الضَّميرِ طَوَيْتُها نَسِـيَ الضَّميـرُ بِـأَنَّهـا فـي طَيِّـهِ»

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤١٥) وعيون الأخبار (١/ ٣٩) وبهجة المجالس (١/ ٤٦٢) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٠) .
(٢) سراج الملوك (٢/ ٤١٥) وعيون الأخبار (١/ ٤٠) وبهجة المجالس (١/ ٤٦٢) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٧) وكامل المبرد (٢/ ٨٨٥) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥١) .
(٤) بلا نسبة في سراج الملوك (٢/ ٤١٦) .

• وقيل[1] : كِتمانُ الأَسرار يدلُّ على جَواهر الرِّجال ، وكما أَنَّه لا خيرَ في آنيةٍ لا تُمسك ما فيها ، فكذلك لاخَيْرَ في إِنسانٍ لا يُمسكُ سِرَّه .

• قال الشّاعر[2] : [من الطويل]

وَمُسْتَودِعي سِرّاً كَتَمْتُ مَكانَهُ ... عَنِ الحِسِّ خَوْفاً أَنْ يَنُمَّ بِهِ الحِسُّ
وَخِفْتُ عليهِ مِن هَوَى النَّفْسِ شَهْوَةً ... فَأَوْدَعْتُهُ مِنْ حَيْثُ لا يَبْلُغُ الحِسُّ

• وقال قَيسُ بنُ الخَطيم[3] : [من الطويل]

أَجُودُ بِمَكْنونِ التِّلادِ وَإِنَّني ... بِسِرِّيَ عَمَّنْ سالَني لَضَنِينُ
وإِنْ ضَيَّعَ الأَقْوامُ سِرِّي فإِنّني ... كَتُومٌ لأَسْرارِ العَشيرِ أَمينُ

• وقال جَعفر بن عُثمان[4] : [من السريع]

يا ذا الَّذي أَوْدَعَني سِرَّهُ ... لا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي
لَمْ أُجْرِهِ قَطُّ على فِكْرَتي ... كَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ في أُذْني

• وكان[5] عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقولُ : ما أَفشيتُ سِرِّي إِلى أَحدٍ قَطُّ فأَفشاهُ فَلُمْتُهُ ، إِذ كان صَدري به أَضيق .

• وقال[6] الأَحنف بن قيس : يضيقُ صَدْرُ الرَّجل بِسِرِّه ، فإِذا حَدَّث به أَحداً قال : اكتمْه عَلَيَّ ! .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤١٥) .
(٢) بلا نسبة في سراج الملوك (٢/ ٤١٦) .
(٣) ديوانه (١٠٦ و١٧٤) وسراج الملوك (٢/ ٤١٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٢) .
(٤) هو المصحفي ، والبيتان في سراج الملوك (٢/ ٤١٩) ونفح الطيب (١/ ٦٠٢) وجذوة المقتبس (١/ ٢٨٨) .
(٥) لعمرو بن العاص في ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٧) وسراج الملوك (٢/ ٤١٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٠) .
(٦) سراج الملوك (٢/ ٤١٩) .

• قال الشّاعر[1] : [من الطويل]

إذا المَـرْءُ أَفْشـى سِـرَّهُ بِلِسـانِـهِ وَلامَ عَلَيْـهِ غَيْـرَهُ فَهْـوَ أَحْمَـقُ
إذا ضاقَ صَدْرُ المَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَـدْرُ الَّـذي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَـقُ

• وقال آخر[2] : [من الوافر]

إذا مـا ضـاقَ صَـدْرُكَ عـن حَـديثٍ وَأَفْشَتْـهُ الـرِّجـالُ فَمَـنْ تَلُـومُ
وإنْ عـاتَبْـتُ مَـن أَفْشَـى حَـديثي وَسِـرِّي عِنْـدَهُ فَـأَنَـا المَلُـومُ

• وقال[3] صالح بن عبد القدُّوس : لا تُودِعْ سِرَّكَ إلى طالبِه ، فالطَّالبُ للسِّرِّ مُذيعٌ ؛ ولا تُودِع مالَكَ عند مَن يَستدعيه ، فالطَّالبُ للوديعةِ خائِنٌ .

• وقيلِ[4] لأعرابيٍّ : ما بَلَغَ من حِفظِك للسِّرِّ؟ قال : أُفَرِّقُهُ تحتَ شِغافِ قَلْبي ، ثم أَجمعُه وأَنساه كأَنِّي لم أَسمعْه .

• وكان[5] أَحزمُ النّاس مَن لا يُفشي سِرَّهُ إلى صَديقه ، مَخافةَ أَن يقعَ بينهما شَرٌّ فَيُفشيه عليه .

• وقال[6] حكيمٌ : قلوبُ الأَحرار قُبور الأَسرار .

---

(١) البيتان للعتبي من قطعة في كامل المبرد (٢/ ٨٨٠) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٨٧) ، والثاني بلا نسبة في سراج الملوك (٢/ ٤١٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٢) .
(٢) هما لرجل من بني سعد في ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٧) وبهجة المجالس (١/ ٤٦١) .
(٣) نصفه الأول لصالح بن عبد القدوس في سراج الملوك (٢/ ٤٢١) وقد كتب بصورة النثر وهو في الحقيقة شعر من بحر الرمل ، ونصه :
لا تُـدِعْ سِـرّاً إلـى طـالِبِـهِ مِنـك فـالطّـالـبُ للسِّـرِّ مُـذيـعُ
ونصفه الثاني فيه منسوباً لحكيم .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٧) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٨) وسراج الملوك (٢/ ٤١٨) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥١) .
(٦) ربيع الأبرار (٥/ ٤٣٨) .

• وقيل[١] : الطُّمَأنينة إلى كُلِّ أَحدٍ قبلَ الاختبار حُمْقٌ .

• وقال بعضُهم[٢] : [من الطويل]

إذا ما غَفَرْتُ الذَّنْبَ يَوْماً لِصاحِبٍ فَلَسْتُ مُعيداً ما حَييتُ لَهُ ذِكْرا
وَلَسْتُ إذا ما صاحِبٌ خانَ عَهْدَهُ وَعِندي لَهُ سِرٌّ مُذيعاً لَهُ سِرّا

• وأَين هذا من قول القائل[٣] : [من الطويل]

ولا تُودِعي الأَسْرارَ أُذْني فإِنَّما تَصُبِّينَ ماءً في إِناءٍ مُثَلَّمِ

• أَو القائل[٤] : [من الطويل]

وَلا أَكْتُمُ الأَسرارَ لكنْ أُذيعُها وَلا أَدَعُ الأَسْرارَ تَعْلو على قَلْبي
وإِنَّ قَليلَ العَقْلِ مَن باتَ لَيْلَةً تُقَلِّبُهُ الأَسْرارُ جَنْباً إِلى جَنْبِ

• وقال آخر[٥] : [من الوافر]

وإِنَّكَ كُلَّما اسْتُودِعْتَ سِرّاً أَنَمُّ مِنَ النَّسيمِ على الرِّياضِ

• وقال إِسحاق بن إِبراهيم الموصلي[٦] : [من الطويل]

أُناسٌ أَمِنّاهُم فَنَمُّوا حَديثَنا فَلَمَّا كتَمْنا السِّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا

• ولله دَرُّ المتنبِّي حيثُ قال[٧] : [من الطويل]

---

(١) لبزرجمهر في ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٨) .
(٢) هما لسلمة اليشكري في ربيع الأبرار (٥/ ٣٤٨) .
(٣) بلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٣/ ١٦١) ومحاضرات الراغب (١/ ١٢٩) .
(٤) هما لسحيم الفقعسي في بهجة المجالس (١/ ٤٦٠) وبلا نسبة في عيون الأخبار (١/ ٤١) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٦٣) وربيع الأبرار (٤/ ٢٨٦) .
(٥) للسري الرفاء في ديوانه (١٥٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٩) .
(٦) له في التذكرة الحمدونية (٣/ ١٥٩) .
(٧) ديوانه بشرح العكبري (١/ ١٩٢) .

وَلِلسِّــرِّ مِنِّــي مَــوضِــعٌ لا يَنــالُــهُ   نَـــديـــمٌ ولا يُفضـــي إِليـــهِ شَـــرابُ

• وقد اقتصَرنا من ذلك على هذا القَدْرِ اليَسير ، وحسبُنا الله ونِعم الوكيل ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

* * *

البابـ التّاسع والثّلاثون

في الغَدر ، والخِيانة ، والسَّرقة ، والعداوة ، والبَغضاء ، والحسد وفيه فصول

الفصل الأَوَّل

في الغَدر والخيانة

• قال رسول الله ﷺ : «أَعْجَلُ الأَشياءِ عُقوبةً البَغْيُ» .

• وعن[1] أَبي هُريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «المَكْرُ والخَديعةُ والخِيانة في النّار» .

• وقال[2] أَبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه : ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه كُنَّ عليه ؛ البَغْيُ والنَّكْثُ والمَكْر ؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس : ٩/ ٢٣] . وقال تَعالى : ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح : ٤٨/ ١٠] ، وقال تعالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٤٣] .

• وكم أَوقعَ القَدَرُ في المهالك من غادرٍ ، وضاقَت عليه من مَوارد الهَلكات فَسيحاتِ المصادر ، وطَوَّقه غَدْرُهُ طَوقَ خِزْيٍ ، فهو على فَكِّه غيرُ قادر ، وأَوقعَه في خطَّةِ خَسْفٍ وَوَرْطَةِ حَتْفٍ ، فما له من قُوَّةٍ ولا ناصِر .

• ويشهدُ لصحَّةِ هذه الأَسباب ما أَحاطت به عُلوم ذوي الأَلباب من قصَّة ثَعلبة

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٦٩) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٢٧٣) .

ابن حاطب الأنصاريّ ، وتلخيص معناها[1] :

• أنَّ ثَعلبةَ هذا كان من أنصار النَّبيِّ ﷺ ، فجاءَه يوماً وقال : يا رسولَ الله ، ادعُ الله أَن يرزقَني مالاً ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «ويحَك يا ثَعلبة ، قليلٌ تُؤَدِّي شُكرَه خَيْرٌ من كَثيرٍ لا تُطيقه» .

ثم أَتاه بعد ذلك مرَّةً أُخرى ، فقال : يا رسول الله ، ادعُ الله أَن يرزقني مالاً ؛ فقال رسول الله ﷺ : «يا ثَعلبة ، أَما لك في رَسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ ، والَّذي نَفسي بيده لو أَردتُ أَن تسيرَ الجبالُ معي ذَهباً وفِضَّةً لسارت» .

ثم أَتاه بعد ذلك مرَّةً ثالثةً ، فقال : يا رسولَ الله ، ادعُ الله أَن يرزقَني مالاً ، والَّذي بعثَك بالحقِّ نَبيّاً ، لئن رَزَقَني الله مالاً لأُعطينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه . وعاهدَ الله تعالى على ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : «اللَّهُمَّ ارزقْ ثَعلبة ما قال» .

فاتَّخذ ثعلبةُ غَنماً ، فنَمت كما ينمو الدُّود ، فضاقَت عليه المدينة ، فتنحَّى عنها ، ونزلَ وادياً من أَوديتها ، وهي تَنمو كما ينمو الدُّود ، وكان ثعلبةُ لكثرةِ مُلازمته للمسجدِ يُقال له : حَمامة المسجد ، فلمّا كثُرت الغَنم وتنحَّى صار يصلِّي مع رسول الله ﷺ الظُّهرَ والعَصر ، ويُصلِّي بقيَّة الصَّلوات في غنمه ، فكثُرت ونَمت حتَّى بَعُدَ عن المدينة ، فصار لا يشهدُ إلا الجمعة ، ثم كثُرت ونَمت فتباعد أَيضاً عن المدينةِ حتَّى صار لا يشهدُ جمعةً ولا جماعةً ، فكان إِذا كان يومُ الجمعة خرجَ يتلقَّى النَّاس ويسأَلهم عن الأَخبار ، فذكره رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ فقال : «ما فعل ثعلبة؟» قالوا : يا رسولَ الله ، اتَّخذ غَنماً ما يَسعها وادٍ ؛ فقال رسول الله ﷺ : «يا ويح ثَعلبة» .

فأَنزل الله تعالى آية الصَّدقة ، فبعثَ رسول الله ﷺ رجلين ، رجل من بني سُليم ، ورجلٌ من جُهينة ، وكتبَ لهما أَنصاب الصَّدقة ، وكيف يأخذانها ،

---

(١) أسد الغابة (١/ ٢٨٤) والإصابة (١/ ٢٠٦) .

وقال لهما : «مُرّا بثَعلبة بن حاطب ، وبرجلٍ آخر من بني سُليم ، فخُذا صَدقاتهما» . فخرجا حتّى أتيا ثَعلبة ، فسأَلاه الصَّدقة ، وأَقرآه كتابَ رسول الله ﷺ ، فقال : ما هذه إلا جِزيةٌ ، أَو : ما هذه إلا أُخت الجِزية! انطلقا حتّى تَفرغا ، ثم عُودا إليَّ ؛ فانطلقا ، وسمع بهما السُّلمي ، فنظر إلى خيار إبله ، فعزَلها للصَّدقة ، ثم استقبلهما بها ، فلمّا رأَياه قالا : ما هذا؟ قال : خُذاه ، فإنّ نفسي به طيِّبةٌ ؛ فَمَرّا على النّاسِ وأَخذا الصَّدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة ، فقال : أَروني كتابكُما . فقرأَه ، ثم قال : ما هذه إلا جِزية ؛ أَو : ما هذه إلا أُخت الجزية؟ اذهبا حتّى أَرى رأياً .

قال : فذَهبا من عنده ، وأَقبلا على رسول الله ﷺ ، فلمّا رآهما قال قبلَ أَن يتكلَّما : «يا ويحَ ثَعلبة» . فأَنزل الله تعالى : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝٧٧ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة : ٩/ ٧٥-٧٨] ، وكان عندَ رسول الله ﷺ رجلٌ من أَقارب ثعلبة ، فسمعَ ذلك ، فخرجَ حتّى أَتاه ، فقال : وَيحك يا ثعلبة ، قد نَزَّلَ الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثَعلبة حتّى أَتى النّبي ﷺ ، فسأَله أَن يقبلَ صَدَقته ، فقال : « إنَّ الله تعالى منعني أَن أَقبلَ مِنْكَ صدقةً» . فجعلَ ثَعلبةُ يَحثو التُّرابَ على رأسِهِ وَوَجْهِهِ ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا عَمَلُكَ ، قد أَمرتُك فلم تُطعني » .

فلمّا أَبى رسول الله ﷺ أَن يقبلَ صَدقته رجع إلى منزله ، وقُبض رسول الله ﷺ ولم يَقبل منه شيئاً .

ثمّ أَتى إلى أَبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه حين استُخلف فقال : قد علمتَ مَنزلتي من رسول الله ﷺ ومَوضعي من الأَنصار ، فاقبل صَدَقتي ؛ فقال أَبو بكر رضي الله عنه : لم يَقبلْها رسول الله ﷺ منك ، فلا أَقبلُها أَنا ؛ فقُبضَ أَبو بكرٍ

رضي الله تعالى عنه ، ولم يَقبلها .

فلمّا وَلي عُمر رضي الله عنه أَتاه ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، اقبلْ صَدقتي ؛ فلمْ يَقبلها منه ، وقال : لم يَقبلها رسول الله ﷺ ولا أَبو بكرٍ رضي الله عنه ، فأَنا لا أَقبلُها ؛ وقُبض عمر رضي الله عنه ، ولم يَقبلها .

ثمَّ وَلي عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فسأَله أَن يقبلَ صَدَقته ، فقال له : لم يَقبلْها رسول الله ﷺ ولا أَبو بكرٍ ولا عُمَر رضي الله عنهما ، فأَنا لا أَقبلُها .

ثمَّ هلكَ ثَعلبة في خلافة عُثمان رضي الله عنه .

فانظر إِلى سُوءِ عاقبة غَدره ، كيفَ أَذاقه وَبالَ أَمره ، وَوَسمه بسِمَةِ عارٍ قَضَت عليه بخسره ، وأَعقبه نِفاقاً يُخزيه يومَ فاقَته وفَقره؟ فأَيُّ خِزيٍ أَرجَحُ من تَركِ الوفاءِ بالميثاق؟ وأَيُّ سُوءٍ أَقبحُ من غَدرٍ يَسوقُ إِلى النِّفاق؟ وأَيُّ عارٍ أَفضحُ من نَقْضِ العَهد إِذا عُدَّت مَساوِئُ الأَخلاق؟ .

• وكان[1] يُقال : لم يغدرْ غادِرٌ قَطُّ إِلا لِصِغَر هِمَّتِه عن الوفاء ، واتِّضاع قَدْرِهِ عن احتمالِ المكاره في جَنْبِ نَيْل المكارم .

• قال الشّاعر[2] : [من الطويل]

غَـدَرْتَ بِـأَمْـرٍ كُـنْـتَ أَنْـتَ جَـذَبْـتَـنـا إِلـيـهِ وَبِـئْـسَ الشِّـيْـمَـةُ الغَـدْرُ بـالعَـهْـدِ

• ولمّا[3] حَلف محمَّد الأَمين للمأمون في بيت الله الحرام ، وهما وَلِيّا عهدٍ ، طالبَه جعفر بن يحيى أَن يقولَ : خذَلني الله إِن خذلتُه ؛ فقال ذلك ثلاث مرّات ، فقال الفضلُ بن الرَّبيع : قال لي الأَمين في ذلك الوقت عند خروجه من

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٦٢) .

(٢) البيت لعارق الطائي من قطعة في ربيع الأبرار (٤/ ٣٧١) . وهو له في التذكرة الحمدونية (٣/ ٣٨) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٣/ ٢٧) .

بيت الله : يا أَبا العبّاس ، أَجدُ نَفْسي أَنَّ أَمري لا يتمُّ ؛ فقلتُ له : ولِمَ ذلك؟ ـ أَعزَّ اللهُ الأَمير ـ؟ قال : لأَنِّي كُنتُ أَحلفُ وأَنا أَنوي الغدرَ ؛ وكان كذلك لم يتمَّ أَمره .

• وورد[1] في أَخبار العرب أَنَّ الضَّيزن بن معاوية بن قُضاعة ، كان مَلِكاً بين دِجلة والفُرات ، وكان له هناك قَصرٌ مشيدٌ يُعرف بالجَوْسَق ، وبلغَ مُلكه الشّام ، فأَغار على مَدينة سابور ذي الأَكتاف ، فأَخذَها وأَخذ أُختَ سَابُور ، وقَتل منهم خَلْقاً كَثِيراً ، ثم إِنَّ سابُورَ جَمع جُيُوشاً وسارَ إِلى الضَّيزن فأَقام على الحِصن أَربع سنين لا يَصل منه إِلى شيءٍ ، ثم إِنَّ النَّضيرة بنت الضَّيزن عَرِكَت ـ أَي حاضَت ـ فخَرجت من الرَّبَض ، وكانت من أَجمل أَهل دَهرها ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إِذا حِضْنَ ، وكان سَابُورُ من أَجمل أَهل زمانِهِ ، فرآها ورأَته ، فعَشقها وعَشقته ، وأَرسلت إِليه تقولُ : ما تَجعلُ لي إِن دَللتُك على ما تهدمُ به هذه المدينة وتقتلُ أَبي؟ فقال : أُحَكِّمُكِ ؛ فقالت : عليكَ بِحمامةٍ مُطَوَّقَةٍ وَرْقاء ، فاكتبْ عليها بحَيْضِ جاريةٍ ، ثم أَطلِقْها ، فإِنَّها تقعدُ على حائطِ المدينة فتتداعى المدينةُ كلُّها ـ وكانَ ذلك طِلَّسْماً لا يَهدمها إِلا هو ـ ففعل ذلك فقالت له : وأَنا أَسقي الحرسَ الخمرَ ، فإِذا صُرعوا فاقتلهم ؛ ففعل ذلك فتداعَت المدينةُ ، وفَتحها سابورُ عَنوةً ، وقَتل الضَّيزنَ ، واحتمل ابنتَه النَّضيرة وأَعرس بها ، فلمَّا دخل بها لم تزلْ ليلَتها تَتَضوَّرُ وتَتململُ في فراشِها وهو من حَريرٍ مَحشوٍّ بريشِ النَّعام ، فالتمسَ ما كان يُؤذيها فإِذا هو ورقةُ آسٍ التصقَت بِعُكْنَتِها وأَثَّرت فيها ؛ وقيل : كان يُنْظَرُ إِلى مُخِّ عَظمها من صَفاء بِشْرَتها ؛ ثم إِنَّ سابورَ بعد ذلك غَدَرَ بها وقَتلها .

قيل : إِنَّه أَمر رجلاً فركبَ فَرساً جَموحاً وضَفر غَدائرها بذَنبه ، ثم

---

(١) عيون الأخبار (٤/ ١١٩) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٣٨٣) ووفيات الأعيان (٥/ ١٦٥) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٢) ومعجم البلدان (٢/ ٢٦٨) والأخبار الطوال (٤٨) .

استركضَه فقطَّعها قطعاً ؛ قطَعه الله ما أَغدره .

• وتقول[1] العربُ : جَزاني جزاء سِنِمّار ، وهو أَنَّ يَزدجرد بن سابور لمّا خاف على وَلده بَهرام ، وكان قبله لا يعيشُ له ولدٌ ، سأَل عن منزلٍ صَحيحٍ مَريءٍ فَدُلَّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنَه بهرام إلى النُّعمان ، وهو عاملُه على أَرض العرب ، وأَمره أَن يبنيَ له جَوْسَقاً ؛ فامتثلَ أَمره ، وبَنى له جَوسقاً كأَحسن ما يَكون ؛ وكان الَّذي بنى الجوسقَ رجلٌ يُقال له سِنِمّار ، فلمّا فَرغَ من بنائه عَجبوا من حُسنه فقال : لو علمتُ أَنَّكم تُوفوني أُجرته لَبنيتُه بناءً يدورُ مع الشَّمسِ حيثُ دارت ؛ فقالوا : وإِنَّك لَتبني أَحسنَ من هذا ولم تَبْنِهِ؟ ثم أُمر به فطُرح من أَعلى الجوسقِ فتقطَّع ، فكانت العرب تقولُ : جزاني جَزاء سِنِمّار .

• وممّن[2] غدرَ : عبدُ الرَّحمن بن مُلْجَمٍ لَعَنَهُ الله ؛ غَدرَ بِعليٍّ رضي الله عنه وقَتَلَهُ .

• وعَمرو[2] بن جُرموز : غَدَرَ بالزُّبير بن العوّام رضي الله عنه وقَتله .

• وأَبو[2] لُؤلؤة غُلام المغيرة بن شعبة لعنَه الله : غدرَ بأَمير المؤمنين عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه وقتلَه .

• وجعل[3] المنصورُ العهدَ إِلى عيسى بن موسى ثم غدرَ به وأَخَّره ، وقدَّم المهديَّ عليه ، فقال عيسى : [من الطويل]

---

(١) ثمار القلوب (١/ ٢٤٨) والأغاني (٢/ ١٤٤) وتاريخ الطبري (٢/ ٦٥) والهفوات النادرة (٢٣٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٣٣) . وكتب الأمثال : الميداني (١/ ١٥٩) والمستقصى (٢/ ٥٢) وجمهرة العسكري (١/ ٣٠٥) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٢٨٥) .

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢٦٧ـ٢٦٨) ومعجم الشعراء (٩٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٤) .

أَيَنْسى بَنو العَبّاسِ ذَبِّيَ عَنْهُمُ ... بِسَيْفي وَنارُ الحَرْبِ ذاكٍ سَعيرُها
فَتَحْتُ لَهُمْ شَرْقَ البِلادِ وَغَرْبَها ... فَذَلَّ مُعاديها وَعَزَّ نَصيرُها
أُقَطِّعُ أَرْحاماً عَلَيَّ عَزيزَةً ... وَأُسْدِي مَكيداتٍ لَها وَأُثيرُها
فَلَمّا وَضَعْتُ الأَمْرَ في مُسْتَقَرِّهِ ... وَلاحَتْ لَهُ شَمْسٌ تَلأْلأَ نُورُها
دُفِعْتُ عَنِ الأَمْرِ الَّذي أَسْتَحِقُّهُ ... وَسيقَت بأَوْساقٍ من الغَدْرِ عِيْرُها

• وخَرجَ[1] قومٌ للصَّيدِ فطَردوا ضَبعةً حتَّى أَلجؤوها إلى خِباءِ أَعرابيٍّ ، فأَجارها وجعل يُطعمها ويَسقيها ، فبينما هو نائمٌ ذات يومٍ إذ وَثبت عليه فبَقَرَتْ بَطنَهُ وهَربت ، فجاء ابنُ عمِّه يطلُبه ، فوجده مُلقىً ، فتَبِعَها حتَّى قَتلها ، وأنشد يقول : [من الطويل]

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْروفَ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ ... يُلاقي كَما لاقَى مُجيرُ أُمِّ عامِرِ
أَعَدَّ لَها لَمَّا اسْتَجارَتْ بِبَيْتِهِ ... أَحاليبَ أَلْبانِ اللِّقاحِ الدَّرائِرِ
وَأَسْمَنَها حَتَّى إذا ما تَمَكَّنَتْ ... فَرَتْهُ بِأَنْيابٍ لَها وَأَظافِرِ
فَقُلْ لِذَوي المَعْروفِ هذا جَزاءُ مَن ... يَجُودُ بِمعروفٍ على غَيْرِ شاكِرِ

• وحكى بعضُهم قال[2] : دخلتُ الباديةَ فإذا أَنا بعجوزٍ بين يديها شاةٌ مقتولةٌ وإِلى جانبها جروُ ذِئبٍ . فقالت : أَتدري ما هذا؟ فقلتُ : لا ؛ قالت : هذا جَرْوُ ذِئبٍ ، أَخذناه صغيراً وأَدخلناه بيتنا وربَّيناه ، فلمَّا كبر فَعل بشاتي ما تَرى ؛ وأَنشدَت : [من الوافر]

---

(١) ثمار القلوب (١/ ٥٩٦) وأمالي ابن دريد (٢٢٣) وربيع الأبرار (٥/ ٣٢٠) والمزهر (١/ ٤٩٤) وتمام المتون (٣٧٩) والمحاسن والمساوىء (١/ ٢٠٣) والميداني (٢/ ١٤٤) والمستقصى (٢/ ٢٣٢) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٢) .

(٢) عيون الأخبار (٢/ ٥) وثمار القلوب (١/ ٥٨١) والحيوان (٤/ ٤٨) وتمام المتون (٣٨٠) والمحاسن والمساوىء (١/ ٢٠٤) والميداني (١/ ٤٤٦) ، والمستقصى (١/ ٢٣٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٥٢) .

بَقَرْتَ شَوَيْهَتي وَفَجَعْتَ قومي ... وَأَنْتَ لِشاتِنا إِبْنٌ رَبيبُ
غُذِيْتَ بِدَرِّها وَرَبيتَ فينا ... فَمَنْ أَنْباكَ أَنَّ أَباكَ ذِيْبُ
إذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ ... فَلا أَدَبٌ يُفيدُ وَلا أَديبُ

• اللَّهُمَّ إِنَّا نَعوذُ بكَ من البَغيِ وأَهله ، ومن الغادرِ وفِعله ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

الفصل الثّاني

في السَّرقة والسُّرّاق

• قيل[1] : مَرَّ عمرو بن عُبيد بجماعةٍ وُقوفٍ فقال : ما هذا؟ قيل : السُّلطانُ يقطعُ سارقاً ؛ فقال : لا إِله إلا الله ، سارقُ العلانية يقطعُ سارق السِّرِّ! .

• وأَمر[2] الإِسكندرُ بِصَلب سارقٍ ؛ فقال : أَيُّها المَلِكُ ، إِنِّي فَعلتُ ما فَعلتُ وأَنا كارهٌ ؛ فقال : وتُصْلَبُ أَيضاً وأَنت كارهٌ .

• وسرقَ[3] مَدَنِيٌّ قَميصاً ، فأَعطاه لابنهِ يَبيعه ، فَسُرِقَ منه ، فجاءَ له ، فقال : بكم بِعْتَهُ؟ قال : برأس المالِ .

• وقال[4] [سباع] بن كوثل السُّلَميّ ـ وكان لِصّاً فاتكاً ـ : [من الطويل]

وإِنِّي لأَسْتَحْيي مِنَ اللهِ أَنْ أُرى ... أُجَرِّرُ حَبْلي لَيْسَ فيه بَعيرُ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٧٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٢٧٤) والبصائر والذخائر (٣/ ١٤٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢٧٤) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٣) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٢٧٧) ، والمعروف أن البيتين للأحيمر السعدي . انظر أشعار اللصوص (١/ ١٠٨) .

وأَنْ أَسْـأَلَ المَـرْءَ الـدَّنِـيءَ بَعيـرَهُ   وَأَجْمـالُ رَبِّـي فـي البِـلادِ كَثيـرُ

• قال الفرزدقُ(١) : [من الطويل]

وإِنَّ أَبـا الكَـرْشـاءِ لَيْـسَ بِسـارقٍ   وَلَكِـنْ مَتى مـا يَسْرِقُ القَـوْمُ يَـأْكُـلِ

• وكان(٢) لِعَمرو بن دُويرة البَجَليّ أَخٌ قد كَلِف ببنتِ عمٍّ له ، فتسوَّر عليها الدّارَ ذات ليلة ، فأَخذه إِخوتها وأَتوا به خالدَ بن عبد الله القَسْريّ ، وجعلوه سارقاً ، فسأَله خالد ، فصدَّقهم ليدفَع الفَضيحةَ عن الجاريةِ ، فهمَّ خالدٌ بقَطعه ، فقال عمرو أَخوه : [من الطويل]

أَخـالِـدُ قَـدْ واللهِ أُوْطِئْـتَ عَشْـوَةً   ومـا العـاشِـقُ المَظْلـومُ فينـا بِسـارِقِ
أَقَـرَّ بِمـا لـم يَـأْتِـهِ المَـرْءُ إِنَّـهُ   رَأَى القَطْعَ خَيْراً مِن فَضيحةِ عاشِقِ

فعفا عنه خالدٌ ، وزوَّجَهُ الجاريةَ .

الفصل الثّالث

فيما جاء في العَداوَة والبَغضاء

• قد ذَكرَ الله عزَّ وجلَّ العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [المائدة : ٥/ ٦٤] .

• وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف : ١٢/ ٥] .

• وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٣٥/ ٦] .

• وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ٦٤/ ١٤] .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٧٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٢٧٧) والمستجاد (١٧١) والفرج بعد الشدة (٤/ ٣٠٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٢٥) .

• وقال[1] رسول الله ﷺ : «أَعدى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتي بين جَنْبَيْكَ» .

• وقال[2] أَبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه : العداوةُ تُتوارَثُ .

• وقال زياد بن عُبيد الله[3] : [من الوافر]

فَلَـوْ أَنِّـي بُليـتُ بِهـاشِمِـيٍّ خُـؤولَتُـهُ بَنُـو عَبْـدِ المَـدانِ
صَبَـرْتُ علـى عَـداوَتِـهِ وَلكـن تَعـالَـوا فـانْظُـروا بِمَـن ابْتَـلانـي

• وبَثَّ[4] رجل في وجه أَبي عُبيدةً مَكروهاً ، فأَنشأَ يقول : [من الطويل]

فَلَـوْ أَنَّ لَحْمـي إِذْ وَهَـى لَعِبَـتْ بِـهِ سِبـاعٌ كِـرامٌ أَوْ ضِبـاعٌ وَأَذْؤُبُ
لَهَـوَّنَ وَجْـدي أَوْ لَسَلَّـى مُصيبتـي وَلكنَّمـا أَوْدى بِلَحْمِـيَ أَكْلُـبُ

• وقيل[5] لِكسرى : أَيُّ النّاسِ أَحبُّ إِليك أَن يكون عاقِلاً؟ قال : عدوِّي ؛ قيل : كيف ذلك؟ قال : لأَنَّه إِذا كان عاقلاً كُنتُ منه في عافيةٍ وأَمنٍ .

• وقيل[6] : كونوا من المرءِ الدَّغِلِ أَخْوَفَ من الكاشِحِ المُعْلِنِ ، فإِنَّ مُداواة أَهلِ العِلَلِ الظّاهرة أَهونُ من مُداواة ما خَفي وبَطَن .

• وقالوا[7] : إِيّاكَ أَن تعاديَ مَن إذا شاءَ طَرح ثيابه ، ودخلَ مع الملِك في لِحافه .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٦٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٦٥) وعيون الأخبار (٣/ ١٠٧) .
(٣) قال في ربيع الأبرار (٣/ ٥٦٦):زياد بن عبيد الله بن عبد المدان ، خال أَبي العبّاس السّفّاح ، وكان ولاّه المدينة ، فعزله عنها المنصور وعذّبه ، فقال : [البيتين] .
يقول : لو بُليتُ بذلك من السّفّاح الذي أَخوالُه كرام لكان أَهون عليّ من أَن أُبلى به ممّن أُمُّه أَمَةٌ . يعني المنصور .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٥٦٧) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٣٢٤) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٥٦٨) .
(٦) لفيلسوف في ربيع الأبرار (٣/ ٥٦٩) .
(٧) ربيع الأبرار (٣/ ٥٦٩) .

• وقال أَبو العتاهية[١] : [من الوافر]

تَنَـــحَّ عَـــنِ القَبيـــحِ وَلا تَـــرِدْهُ ... وَمَـــنْ أَوْلَيْتَـــهُ حَسَنـــاً فَـــزِدْهُ

سَتُكْفَـــى مِـــن عَـــدُوِّكَ كُـــلَّ كَيْـــدٍ ... إِذا كـــادَ العَـــدُوُّ فَـــلا تَكِـــدْهُ[٢]

• وكانت[٣] جليلةُ بنت مُرَّة أُختُ جَسّاس تحتَ كُليب ، فقَتل أَخوها زوجَها وهي حُبلى بِهِجْرِس بن كُليب ، فلمّا كَبُرَ وشَبَّ قال : [من الطويل]

أَصابَ أَبي خالي وَما أَنا بالَّذي ... أَميلُ وَأَمْري بيـنَ خـالـي وَوالِـدي

وَأَوْرَثَ جَسّـاسُ بـنُ مُـرَّةَ غُصَّـةً ... إِذا مـا اعْتَـرَتْني حَـرُّهـا غيـرُ بـارِدِ

ثم قال بعد ذلك : [من البسيط]

يـا لَلـرِّجـالِ لِقَلْـبٍ مـالَـهُ آسـي ... كَيْـفَ العَـزاءُ وَثَـأْري عِنْـدَ جَسّـاسِ

ثم حَمَلَ على خَالِهِ فقَتَلَهُ وقال : [من الوافر]

أَلَـمْ تَـرَنـي ثَـأَرْتُ أَبـي كُلَيْبـاً ... وَقَـدْ يُـرْجَـى المُـرَشَّـحُ لِلـذُّحُـولِ

غَسَلْـتُ العـارَ عـن جُشَـمِ بْـنِ بَكْـرٍ ... بِجَسّـاسِ بـنِ مُـرَّةَ ذي البَتُـولِ

• بيتٌ[٤] : [من البسيط]

سَـنَّ العَـداوَةَ آبـاءٌ لَنـا سَلَفُـوا ... فَلَـنْ تَبيـدَ وَلِـلآبـاءِ أَبْنـاءُ

• ويُقال[٥] : دارِ عَدُوَّك لأَحد أَمرين : إِمّا لصَداقةٍ تُؤمنك ، أَو لفُرصةٍ تُمكنك .

• وكتب[٦] سُويد [بن منجوف] إِلى مصعب : [من الوافر]

---

(١) ليسا في ديوانه ، وهما للواثق بالله في ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٠) .
(٢) روايته في الأصول : ستلقى . . . × . . . ولم نكده . والمثبت رواية الربيع .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٠) .
(٤) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٣ و٥٩٢) وعيون الأخبار (٣/ ١٠٧) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٣) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٣) والتذكرة الحمدونية (٥/ ٢٣٢) .

فَبَلِّغْ مُصْعَباً عَنِّي رَسُولي وَهَلْ تَلْقَى النَّصيحَ بِكُلِّ وادِ
تَعَلَّمْ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ تُناجِي وإِن ضَحِكُوا إِليكَ هُمُ الأَعادِي

- ويُقال[1] : فُلانٌ كثيرُ المَراقِ مُرُّ المَذاق .

- وقال[2] الحجّاج لخارجيٍّ : واللهِ إِنِّي لأُبغضكَ ؛ قال : أَدخلَ الله الجنَّةَ أَشَدَّنا بُغضاً لِصَاحبه .

- ولمَّا[2] أَراد أَنوشروان أَن يُقلِّد ابنَه هُرمز وِلاية العَهد ، استشارَ عُظماء مَملكته ، فأَنكروا عليه ، وقال بعضُهم : إِنَّ أُمَّهُ تُركيَّةً ، وقد علمتَ في أَخلاقهم ما علمتَ ؛ فقال : إِنَّ الأَبناءَ يُنسبون إِلى الآباء لا إِلى الأُمَّهات ، وكانت أُم قَباذ تركيَّةً ، وقد رأَيتُم من حُسن سِيرته ما رأَيتُم ؛ فقيل : هو قَصيرٌ وذلك يذهبُ ببَهاء المُلك ؛ فقال : إِنَّ قِصَرَهُ من رِجليه ، ولا يَكاد يُرى إِلاّ جالساً أَو راكباً ، فلا يَستبينُ ذلك فيه . فقيل : هو بَغيضٌ في النّاس ؛ فقال : أَوّاه ، هَلَكَ ابني هُرمز ؛ فقد قيل : إِذا كان في الإِنسان خيرٌ واحدٌ ، ولم يكن ذلك الخيرُ المحبَّةَ إِلى النّاس فلا خيرَ فيه ؛ وإِذا كان فيه عيبٌ واحِدٌ ، ولم يكن ذلك العيبُ البُغضُ في النّاس فلا عَيبَ فيه .

- [عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أَبي طالب ، في الفضل بن السّائب][3] : [من الطويل]

وَلَسْتَ بِراءٍ عَيْبَ ذي الوُدِّ كُلَّهِ وَلا بُغْضَ ما فيهِ إِذا كُنْتَ راضِيا
فَعَيْنُ الرِّضا عَن كُلِّ عَيْبٍ كَليلةٌ كَما أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبدي المَساويا

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٤) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٥) والزيادة منه ، والبيتان في ديوانه (٩٠) .

• وفي المعنى قيل[1] : [من الوافر]

وَعَيْــنُ البُغْــضِ تُبْــرِزُ كُــلَّ عَيْــبٍ وَعَيْــنُ الحُــبِّ لا تَجِــدُ العُيــوبــا

• وعن[2] أَبي حيّان ، قال : قال لُقمان : نقلتُ الصُّخورَ وحَملت الحديد ، فلم أَر شيئاً أَثقلَ من الدَّينِ ، وأَكلتُ الطَّيِّبات وعانَقتُ الحِسان ، فلم أَر شيئاً أَلذَّ من العافية .

وأَنا أَقول : لو نَزَحُوا البِحار وَكَنَسوا القِفار ، لوَجَدوها أَهونَ من شَماتة الأَعداء ، خُصوصاً إِذا كانُوا مُساهمين في نَسَبٍ أَو مُجاورين في بَلَدٍ .

اللَّهُمَّ إِنّا نَعوذُ بكَ من تَتابع الإِثم ، وسُوءِ الفَهم ، وشَماتة ابن العَمِّ .

• وقيل[3] لأَيُّوب عليه السَّلام : أَيُّ شيءٍ كان عليك في بَلائك أَشَدُّ؟ قال : شَماتة الأَعداء .

• وأَنشد الجاحظ[4] : [من الوافر]

تَقُــولُ العــاذِلاتُ تَسَــلَّ عَنْهــا وَداوِ غَليــلَ قَلْبِــكَ بــالسُّلُــوِّ

وَكَيْــفَ وَنَظْــرَةٌ مِنْهَــا اخْتِــلاســاً أَلَــذُّ مــن الشَّمــاتَــةِ بــالعَــدُوِّ

• وقال ابن أَبي عُيَيْنَةَ المهلَّبيّ[5] : [من الكامل]

كُلُّ المَصائِبِ قَدْ تَمُرُّ على الفَتى فَتَهُــونُ غَيْــرَ شَمــاتَــةِ الأَعْــداءِ[6]

• وقال الجاحظ : ما رأَيتُ سِناناً أَنفذَ من شَماتة الأَعداء .

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥٨١) وبهجة المجالس (١/ ٧٤٣) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٥٨١) بلا نسبة .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٢) وبهجة المجالس (١/ ٧٤٦) .
(٦) كذا هي القافية في إحدى روايتي الربيع ، ثم كرّر البيت وبعده آخر برواية : × . . . . غير شماتة الحسّاد ؛ وهكذا هي رواية بهجة المجالس ومحاضرات الراغب (١/ ٢٥٤) .

● وقيل[1] : لما قُبض رسول الله ﷺ سَمع بموتِه نساءٌ من كِندَة وحَضرموت ، فَخَضَبْنَ أَيدِيَهُنَّ وضَربن بالدُّفوف ، فقال رجلٌ منهم : [من الكامل]

أَبْلِغْ أَبا بَكْرٍ إذا ما جِئْتَهُ ... أَنَّ البَغايا رُمْنَ أَيَّ مَرامِ

أَظْهَرْنَ في مَوْتِ النَّبِيِّ شَماتَةً ... وَخَضَبْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالعُلّامِ

فاقْطَعْ هُديتَ أَكُفَّهُنَّ بِصارِمٍ ... كالبَرْقِ أَوْمَضَ في مُتونِ غَمامِ

فكتبَ أَبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه إِلى المُهاجر عامِله ، فأَخذهنَّ وقطعَ أَيديَهُنَّ .

● ويقال[2] : فلانٌ يتربَّصُ بكَ الدَّوائرَ ، ويتمنَّى لك الغَوائل ، ولا يُؤَمِّلُ صَلاحاً إِلا في فَسادك ، ولا رِفْعَةً إِلا في سُقوط حالِكَ .

● وقال[3] حكيمٌ : لا تأْمَن عدوَّكَ وإِن كان ضَعيفاً ، فإِنَّ القَناة قد تقتلُ وإِن عَدِمَتِ السِّنان .

● قال الشّاعر : [من الوافر]

فَلا تَأْمَنْ عَدُوَّكَ لَوْ تَراهُ ... أَقَلَّ إِذا نَظَرْتَ مِنَ القُرادِ

فإِنَّ الحَرْبَ يَنْشَأُ مِن جَبانٍ ... وإِنَّ النارَ تُضْرَمُ مِن رَمادِ

● بيتٌ مفردٌ[4] : [من الطويل]

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مُسيئاً فإِنَّهُ ... يَشُدُّ على كَفِّ المُسيءِ فَيَجْلِبُ

---

(1) ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٣) وعيون الأخبار (٣/ ١١٦) وبهجة المجالس (١/ ٧٤٣) .

(2) ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٣) .

(3) ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٧) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٤٧) .

(4) لأوس بن حجر في ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٨) وليس في ديوانه .

• وقال عُبيد الله بن سُليمان بن وَهب[1] : [من البسيط]

كِفـايَـةُ اللهِ خَيْـرٌ مِـن تَـوَقِّينـا	وَعـادَةُ اللهِ فـي الماضِيـنَ تَكْفِيْنَـا
كـادَ الأَعـادي فـلا واللهِ مـا تَـرَكُـوا	قَـوْلاً وَفِعْـلاً وَتَلْقينـاً وَتَهْجِينـا
وَلَمْ نَزِدْ نَحْنُ في سِرٍّ وفي عَلَنٍ	علـى مَقـالَتِنـا يـا رَبنـا اكْفِيْنَـا
فكـانَ ذاكَ وَرَدَّ اللهُ حـاسِـدَنـا	بِغَيْظِـهِ لَـمْ يَنَـلْ تَقْـديـرَهُ فِينـا

الفصل الرّابع

في الحَسَد

• قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء : ٤/ ٥٤].

• وقال[2] رسول الله ﷺ : «استَعينوا على قَضاءِ حَوائجكم بالكِتمان ، فإنَّ كُلَّ ذي نِعْمَةٍ مَحسودٌ» .

• وقال[3] عليٌّ رضي الله عنه : الحاسدُ مُغتاظٌ على مَن لا ذَنْبَ له .

• وقيل[4] : الحسودُ غَضبان على القَدَر .

• وَيُقال : ثلاثةٌ لا يهنأُ لصاحبها عيشٌ . الحقد والحسد وسوءُ الخلق .

• وقيل[5] : بئسَ الشعار الحسد .

• وقيل[6] لبعضِهم : ما بالُ فُلان يُبغضُك؟ قال : لأَنَّه شَقيقي في النَّسب ،

---

(١) له في ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٦) .
(٣) التمثيل والمحاضرة (٤٥٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٨٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٩) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٨١) .
(٥) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨٠) .
(٦) التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨١) ونثر الدر (٦/ ١٦) .

وجاري في البلد ، وشَريكي في الصِّناعة ؛ فذَكر جَميعَ دراعي الحَسَد .

● وقال[1] أَعرابيٌّ : الحسدُ داءٌ مُنصفٌ ، يفعلُ في الحاسِد أَكثَرَ من فِعله في المحسود ؛ وهو مأخوذٌ من الحديث : «قاتَلَ الله الحسدَ ما أَعْدَلَه ، بدأَ بصاحبه فقَتله» .

● وقال الفَقيهُ أَبو اللَّيث السَّمرقنديّ ، رحمةُ الله تعالى عليه : يصلُ إِلى الحاسد خمسُ عُقوباتٍ قبلَ أَن يصلَ حسدُه إِلى المحسودِ ، أُولاها : غَمٌّ لا ينقطعُ ، الثَّانية : مُصيبةٌ لا يُؤجَرُ عليها ، الثَّالثة : مَذَمَّةٌ لا يُحمد عليها ، الرّابعة : سَخَطُ الرَّبِّ ، الخامسة : يُغْلَقُ عنه بابُ التَّوفيق .

● ومن ذلك[2] : ما حُكي أَنَّ رجلاً من العرب دخل على المعتصم ، فقرَّبه وأَدناه وجعلَه نَديمه ، وصار يدخلُ على حَريمه من غير استئذان ؛ وكان له وزيرٌ حاسدٌ ، فغارَ من البدويِّ وحسدَه ، وقال في نفسه : إِن لم أَحتلْ على هذا البدويِّ في قَتله ، أَخَذَ بقلبِ أَمير المؤمنين ، وأَبعدني منه ؛ فصار يتلطَّف بالبدويِّ حتَّى أَتى به إِلى منزله ، فطبخَ له طعاماً ، وأَكثَرَ فيه من الثُّوم ، فلمَّا أَكل البدويُّ منه قال له : احذرْ أَن تقربَ من أَمير المؤمنين ، فيشمَّ منك رائحةَ الثُّوم ، فيتأَذَّى من ذلك ، فإِنَّه يكره رائحته ؛ ثم ذهب الوزير إِلى أَمير المؤمنين ، فخلا به وقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ البدويَّ يقولُ عنك للنَّاس : إِنَّ أَمير المؤمنين أَبخر ، وهلكتُ من رائحة فَمه .

فلمَّا دخل البدويُّ على أَمير المؤمنين جعل كُمَّه على فَمه مخافةَ أَن يشمَّ منه رائحة الثُّوم ، فلمّا رآه أَمير المؤمنين وهو يسترُ فَمه بكُمِّه قال : إِنَّ الَّذي قاله الوزيرُ عن هذا البدويِّ صحيحٌ ؛ فكتب أَمير المؤمنين كتاباً إِلى بعض عُمَّاله

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٨٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٢) .

يقول فيه : إذا وصلَ إليك كتابي هذا ، فاضرب رقبةَ حامله ؛ ثم دعا البدويَّ ودفع إليه الكتاب ، وقال له : امضِ به إلى فُلانٍ وائتني بالجواب ؛ فامتثل البدويُّ ما رسمَ به أمير المؤمنين ، وأخذ الكتاب وخرجَ بِهِ من عنده ، فبينما هو بالباب إذ لقيَه الوزير ، فقال : أين تريد؟ قال : أتَوَجَّهُ بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان ؛ فقال الوزير في نفسه : إنّ هذا البدويَّ يحصلُ له من هذا التَّقليد مالٌ جزيلٌ ؛ فقال له : يا بدويّ ، ما تقولُ فيمن يُريحك من هذا التَّعب الَّذي يلحقُك في سَفرك ، ويُعطيك ألفي دينار؟ فقال : أنت الكبير ، وأنت الحاكم ، ومهما رأيته من الرَّأي أفعلُ ؛ قال : أعطني الكتابَ ؛ فدفعه إليه ، فأعطاه الوزير ألفي دينار ، وسار بالكتاب إلى المكان الَّذي هو قاصدُه ، فلمّا قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير .

فبعد أيّامٍ تَذكَّرَ الخليفةُ في أمر البدويِّ ، وسأل عن الوزير ، فأُخبر بأنَّ له أيّاماً ما ظهر ، وأنَّ البدويَّ بالمدينة مقيمٌ ، فتعجَّب من ذلك وأمر بإحضار البدويِّ ، فحضر ، فسأله عن حاله ، فأخبره بالقصَّة التي اتَّفقت له مع الوزير من أوَّلها إلى آخرها ، فقال له : أنت قُلتَ عنِّي للنّاسِ أنِّي أبخر؟ فقال : معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدَّثَ بما ليس لي به علم ، وإنَّما كان ذلك مَكْراً منه وَحَسَداً ؛ وأعلمَهُ كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثُّوم وما جرى له معه . فقال أمير المؤمنين : قاتَلَ اللهُ الحسدَ ما أعدلَهُ ، بدأ بصاحبه فقتله . ثم خلعَ على البدويّ واتَّخذه وزيراً ، وراح الوزير بِحَسده .

● وقال المغيرة [بن حبناء] شاعر آل المهلّب[1] : [من البسيط]

---

(١) البيتان للمغيرة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٧) ومعجم الشعراء (٢٧٣) وبهجة المجالس (١/ ٤١٥) . وهما لعمر بن لجأ في ديوانه (١٣٨) والحماسة البصرية (١/ ١٤٢) ووفيات الأعيان (٦/ ٢٨٣) وتاريخ بغداد (٢/ ٣٧٢) . والثاني لحاتم الطائي في أسرار الحكماء (١٣٦) وانظر ديوانه (٢٩٤) .

آلُ المُهَلَّبِ قَومٌ إنْ مَدَحْتَهُمُ ... كانُوا الأكارِمَ آباءً وأَجْدادا
إنَّ العرانينَ تَلْقاها مُحَسَّدَةً ... ولا تَرى لِلِئامِ النَّاسِ حُسّادا

- وقال[1] عُمر رضي الله عنه : يَكفيك من الحاسد أنَّه يغتمُّ وقتَ سُرورك .
- وقال[2] مالكُ بن دينار : شهادةُ القُرّاءِ مقبولةٌ في كلِّ شيءٍ إلاّ شهادةَ بعضِهم على بعضٍ ، فإنَّهم أشَدُّ تحاسُداً من التُّيوس .
- وعن[3] أنس رضي الله تعالى عنه ، رفَعه : «إنَّ الحسَد يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النَّارُ الحطَب» .
- وقال منصور الفقيه[4] : [من الوافر]

مُنافَسَةُ الفَتى فِيما يَزُولُ ... علَى نُقصانِ هِمَّتِهِ دَليلُ
وَمُختارُ القَليلِ أَقَلُّ مِنْهُ ... وَكُلُّ فَوائِدِ الدُّنيا قَليلُ

- يقولُ[5] الله عزَّ وجلَّ : الحاسدُ عدوُّ نِعمتي ، مُتَسَخِّطٌ لِفِعلي ، غيرُ راضٍ بِقِسمتي الَّتي قسمتُ لعبادي .
- قال الشّاعر[6] : [من المتقارب]

أَيا حاسِداً لي على نِعْمَتي ... أَتَدْري على مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ
أَسَأْتَ على اللهِ في حُكْمِهِ ... لأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لي ما وَهَبْ

---

(١) لعثمان في ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٧) والتمثيل والمحاضرة (٤٥٢) . وبلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٢/ ١٨٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٨) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٨) وبهجة المجالس (١/ ٤٠٨) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٥٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٨١) .
(٤) ديوانه (١٦٠) وربيع الأبرار (٣/ ٥٧٧) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٨) .
(٦) الأبيات لمنصور الفقيه في ديوانه (١٧٧) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٥٣) .

فـــأَخْـــزَاكَ رَبِّـــي بِـــأَنْ زادَنـــي وَسَـــدَّ عليـــكَ وُجُـــوهَ الطَّلَـــبْ

• وقال[1] الأَصمعيُّ : رأَيتُ أَعرابيّاً قد بلغَ عُمره مئةً وعشرين سنةً ، فقلتُ له : ما أَطولَ عُمُرَك؟ فقالَ : تركتُ الحسدَ فبقيتُ.

• وقالوا[2] : لا يَخلو السَّيِّد من وَدودٍ يَمدحُ وحَسودٍ يَقدحُ.

• وقال[3] ابنُ مَسعودٍ رضي الله عنه : أَلا لا تُعادوا نِعَمَ الله ، قيل : ومَن يُعادي نِعَم الله؟ قال : الَّذين يَحسدون النّاس على ما آتاهُم الله من فَضْله.

• وقيل[2] لعبدِ الله بن عُروة : لمَ لَزِمْتَ البَدْوَ ، وتركتَ قَومك؟ فقال : وهل بَقي إِلا حاسدٌ على نِعمةٍ أَو شامتٌ على نَكبةٍ.

• وقال الشّاعر[4] : [من البسيط]

يا طالِبَ العَيْشِ في أَمْنٍ وَفي دَعَةٍ رَغْـداً بِـلا قَتَـرٍ صَفْـواً بِـلا رَنَـقِ
خَلِّصْ فُؤَادَكَ مِن غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فالغِلُّ في القَلْبِ مِثْلُ الغُلِّ في العُنُقِ

• وقال آخر[5] : [من مجزوء الكامل]

اصْبِـرْ علـى حَسَـدِ الحَسـو دِ فـإِنَّ صَبْـرَكَ قـاتِلُـهْ
كـالنّـارِ تَـأْكُـلُ بَعْضَهـا إِنْ لَـمْ تَجِـدْ مـا تَـأْكُلُـهْ

• وفي[6] «نوابغ الحكم» : الحسدُ حَسَكٌ ، مَن تَعَلَّقَ به هَلَك.

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٨) ومحاضرات الراغب (١/ ٢٥٦) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٩) وبهجة المجالس (١/ ٤٠٧) والتذكرة الحمدونية (٢/ ١٨١) والعقد الفريد (٢/ ٣٢٠) .
(٤) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٠) .
(٥) هما لابن المعتز في ديوانه (٢/ ٤١٢) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٥٨٩) .

● ولبعضهم[1] : [من البسيط]

إنِّي حُسِدْتُ فَزادَ اللهُ في حَسَدِي ... لا عاشَ مَنْ عاشَ يَوْماً غَيْرَ مَحْسودِ

● وقال نَصر بن سيّار[2] : [من البسيط]

إنِّي نَشَأْتُ وَحُسّادي ذَوو عَدَدٍ ... يا ذا المَعارِجِ لا تُنْقِصْ لَهُمْ عَدَدا

إنْ يَحْسُدوني على ما بي لِما بِهِمُ ... فَمِثْلُ ما بيَ مِمّا يَجْلِبُ الحَسَدا

● وكان[3] [ابن] عُمر رضي الله عنه يقول : نعوذ بالله من كل قدرٍ وافق إرادة حاسدٍ .

● وقيل[4] لأَرسطاطاليس : ما بالُ الحسودِ أَشَدُّ غَمّاً؟ قال : لأَنَّه أَخذَ بنصيبه من غُموم الدُّنيا ؛ ويُضاف إلى ذلك غَمُّه لِسُرور النَّاس .

● والله سُبحانه وتعالى أَعلم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) لمعن بن زائدة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٩٠) .

(٢) له في ربيع الأبرار (٣/ ٥٩٠) وروضة العقلاء (١١٤) وأسرار الحكماء (١٣٥) . والأول فقط في بهجة المجالس (١/ ٤١٦) .

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٦) .

(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٥٧٦) .

البابُ الأربعون

في الشَّجاعةِ وثَمرتها ، والحروبِ وتَدبيرها ، وفضلِ الجِهادِ ، وشِدَّةِ البأس ، والتَّحريض على القِتال
وفيه فصلان

الفصل الأوَّل

في فَضل الجهاد في سبيل الله وشِدَّة البَأْس

• وقد أَثنى الله تعالى على الصَّابرين في البَأْساء والضَّرّاء وحِينَ البَأْسِ ، ووصَف المجاهدين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٦١/ ٤] .

• ونَدَبَ[١] إلى جِهادِ الأَعداء ، ووعَدَ عليه أَفضل الجزاءِ ؛ والرَّأْيُ في الحربِ أَمامَ الشَّجاعة .

• قال[٢] رسول الله ﷺ : «الحربُ خُدعة» .

• وقال[٣] ﷺ : «ما مِن قطرةٍ أَحَبُّ إلى الله تعالى من قطرةِ دمٍ في سَبيله ، أَو قطرةِ دمعٍ في جوفِ ليلٍ من خَشيته» .

• وسمعَ[٤] رجلٌ عبدَ الله بن قيس رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٩٥) .
(٢) سراج الملوك (٢/ ٦٨٩) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٩٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢٢٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٩٦) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٢٣٠) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٣٩٦) .

«إِنَّ الجَنَّة تحتَ ظِلال السُّيوف» ، فقال : يا أَبا موسى ، أَنت سمعتَ رسول الله ﷺ يقولُه؟ قال : نعم ؛ فرجعَ إِلى أَصحابه ، فقال : أَقرأُ عليكم السَّلام ؛ ثم كسرَ جَفنَ سيفه ، فأَلقاه ، ثم مشى بسيفه إِلى العدوِّ ، فضربَ به حتَّى قُتل .

● وكتبَ[1] أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد : اْعلم أَنَّ عليك عُيوناً من الله تَرعاك وتَراك ، فإِذا لقيتَ العدوَّ فاحرصْ على الموت تُوهب لك السَّلامة ، ولا تغسلْ الشُّهداء من دِمائهم ، فإِنَّ دمَ الشَّهيدِ يكونُ له نُوراً يوم القيامة .

● وعن[2] أَنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حين انتَهينا إِلى خَيْبَرَ : «اللهُ أَكبرُ ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنّا إِذا نَزَلْنا بساحَةِ قَومٍ فَساء صَباحُ المُنْذَرين» .

● وعنه[2] رَفَعَهُ : «لَغدوةٌ في سَبيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها» .

● وعن[2] ابنِ مَسعودٍ رَفَعَهُ : «إِنَّ أَرواحَ الشُّهداء في حَواصِلِ طُيورٍ خُضْرٍ ، لها قَناديلُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ ، تَسرحُ من الجنَّة حيثُ شاءَت ، ثمَّ تأوي إِلى تلك القَناديل» .

● وقيل[3] : إِنَّ أَنس بن النَّضر عمَّ أَنس بن مالِكٍ رضي الله عنه لم يَشهدْ بَدْراً ، فلم يزلْ مُتَحَسِّراً يقولُ : أَوَّلُ مَشهدٍ شَهدَهُ رسول الله ﷺ غُيِّبْتُ عنه ؛ فلمّا كان يومُ أُحدٍ قال : واهاً لريح الجنَّة دونَ أُحد ؛ فقاتَلَ حتَّى قُتِلَ ؛ فَوُجِدَ في بَدَنِهِ بِضْعٌ وثمانون ما بَيْنَ ضَرْبَةٍ وطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ ، فقالت أُخته : الرُّبَيِّع بنتُ النَّضر : فما عرفتُ أَخي إِلا بِبَنانه .

● وعن[4] فَضالة بن عُبيد ، رَفَعَهُ : «كُلُّ ميتٍ يُختَم على عَمله إِلا المرابطَ ، فإِنَّه يُنَمَّى له عَمَلُه إِلى يوم القيامة ، ويُؤَمَّنُ من فِتنة القَبر» .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ١٩٨) ومحاضرات الراغب (٢/ ١٣٦) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٢٢٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢٣١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٧٥) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٢٣٢) .

• وعن[1] سَهل بن حُنيف ، رَفَعَهُ : «مَن سأَل الله الشَّهادة بِصِدْقٍ ، بَلَّغَهُ الله منازلَ الشُّهداء وإِن ماتَ على فِراشه» .

• فنسأل الله أَن يرزقنا الشهادة ، ويجعلنا من الَّذين أَحسنوا ، فلهم الحسنى وزيادة .

الفصل الثّاني

في الشَّجاعة وثَمرتها ، والحروبِ وتَدبيرها[2]

• اعلمْ أَنَّ الشَّجاعةَ عمادُ الفَضائل ، ومَن فَقَدَها لم تكملْ فيه فَضيلةٌ ؛ ويُعَبَّرُ عنها بالصَّبرِ وَقُوَّةِ النَّفْسِ .

• قال[3] الحُكماء : وأَصلُ الخيرِ كُلِّه في ثَبات القَلبِ .

• والشَّجاعةُ[4] عندَ اللِّقاء على ثلاثةِ أَوجهٍ :

الوجهُ الأَوَّلُ : رجلٌ إِذا التقى الجَمعان ، وتَزاحف العسكران ، وتكالَحت[5] الأَحداقُ بالأَحداقِ ، برزَ من الصَّفِّ إِلى وَسَطَ المُعترك ، يحملُ وَيَكُرُّ ويُنادي : هل مِن مُبارزٍ .

والثّاني : إِذا نشبَ القومُ واختَلَطوا ، ولم يدرِ أَحدٌ منهم من أَين يأتيه الموتُ ، يكونُ رابطَ الجأش ، ساكنَ القلب ، حاضرَ اللُّبِّ ، لم يخالطْهُ الدَّهَشُ ، ولا تأخذُهُ الحيرةُ ، فيتقلَّبُ تقلُّبَ المالِكِ لأُمورِه ، القائمِ على نَفسه .

والثّالثُ : إِذا انهزمَ أَصحابُهُ يلزمُ السَّاقة ، ويضربُ في وُجوهِ القَوم ،

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٣٦) .

(٢) الفصل بكامله منقول عن سراج الملوك للطرطوشي .

(٣) سراج الملوك (٢/ ٦٦٧) .

(٤) سراج الملوك (٢/ ٦٧١) .

(٥) كذا في الأصول . وفي سراج الملوك : واكتحلت الأحداق بالأحداق .

ويَحُولُ بينَهم وبين عَدُوِّهِم ، ويُقَوِّي قلوبَ أَصحابِه ، ويُرَجِّي الضَّعيفَ ، ويَمُدُّهُم بالكلام الجميلِ ، ويُشَجِّعُ نُفوسَهم ؛ فَمَن وَقَعَ أَقامه ، ومَن وَقَفَ حَمَله ، ومَن كَبا بِهِ فَرَسُهُ حَماه ، حتَّى ييأَسَ العدوُّ منهم ؛ وهذا أَحْمَدُهُم شجاعةً .

وعن هذا قالوا : إِنَّ المقاتلَ مِن وراءِ الفارِّين كالمستغفِرِ من وراءِ الغافلين ؛ ومِن أَكرمِ الكَرَمِ الدِّفاعُ عن الحُرَم .

● **وحكى** سيِّدي أَبو بكرٍ الطَّرطوشيّ ، رحمةُ الله تعالى عليه في كتابه «سِراج الملوك» قال[1] :

● كان شُيوخ الجُند يَحكون لنا في بِلادنا ، قالوا : دارَت حربٌ بين المسلمين والكُفّار ، ثم افترقوا فَوَجَدوا في المُعْتَرَكِ قطعةَ خُوذَةٍ قَدرَ الثُّلُثِ بما حَوَتْهُ من الرَّأْسِ ؛ فقالوا : إِنَّه لم يُرَ قَطُّ ضَرْبَةٌ أَقوى منها ، ولم يُسْمَعْ بمثلها في جاهليَّةٍ ولا إِسلامٍ ، فحمَلَتْها الرُّومُ وعَلَّقَتْها في كَنيسةٍ لهم ؛ فكانُوا إِذا عُيِّروا بانهزامِهم يقولون : لَقينا أَقواماً هذا ضَرْبُهُمْ ؛ فَيرحلُ أَبطالُ الرُّوم إِليها لِيَرَوْها .

● قالوا[2] : ومن الحَزْمِ أَن لا يحتقرَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ وإِن كان ذَليلاً ، ولا يغفلَ عنه وإِن كان حَقيراً ، فكم [من] بُرغوثٍ أَسْهَرَ فيلاً ، ومنعَ الرُّقادَ مَلِكاً جليلاً .

● قال الشّاعر[3] : [من المتقارب]

فَلا تَحْقِرَنَّ عَدُوّاً رَماك ... وإِنْ كانَ في ساعِدَيْهِ قِصَرْ
فإِنَّ السُّيُوفَ تَحُزُّ الرِّقابَ ... وَتَعْجَزُ عَمَّا تَنالُ الإِبَرْ

● واعلموا[4] أَنَّ النّاسَ قَد وَضعوا في تَدبير الحروبِ كُتباً ، ورتَّبوا فيها

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٧٢_٦٧٥) .
(٢) سراج الملوك (٢/ ٦٧٧) .
(٣) البيتان بلا نسبة في سراج الملوك (٢/ ٦٧٧) ونفح الطيب (٣/ ٢٣١) .
(٤) سراج الملوك (٢/ ٦٧٨) .

تَرتيباً ، ولنصفْ منها أَشياءَ ، نبدأُ منها أَولاً بما ذكره الله تعالى في القُرآن العظيم ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٨/ ٦٠].

فقوله تعالى : «ما استطعتُم» مُشتملٌ على كلِّ ما هو في مَقدورِ البَشَرِ من العُدَّةِ والآلَةِ والحِيلة .

وَفَسَّرَ النَّبي ﷺ القُوَّةَ حينَ مرَّ على أُناسٍ يَرمون ، فقال : «أَلا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ» .

● وأَفضلُ العُدَّةِ أَنْ يُقدِّمَ بين يَدَي اللِّقاءِ عَمَلاً صالِحاً ، من صَدَقَةٍ وصِيامٍ ، وردِّ المظالم ، وصِلَةِ الرَّحم ، ودعاءٍ مُخلصٍ ، وأَمرٍ بمعروفٍ ، ونَهْيٍ عن مُنكر ، وأَمثال ذلك .

● والشَّأْنُ[1] كلُّ الشَّأنِ في استجادة القُوَّادِ ، وانتخابِ الأُمراء ، وأَصحابِ الأَلوية ؛ فقد قالت حُكماء العَجَم : أَسَدٌ يَقودُ أَلْفَ ثَعْلَبٍ خيرٌ من ثَعلبٍ يَقودُ أَلفَ أَسدٍ .

● فلا ينبغي أَن يُقَدَّمَ على الجيشِ إِلا الرَّجُلُ ذو البَسالةِ والنَّجدةِ ، والشَّجاعةِ والجُرأَةِ ، ثابتُ الجأشِ ، صارمُ القَلْبِ ، صادقُ البَأْسِ ، مِمَّنْ قد تَوَسَّطَ الحُروبَ ، ومارسَ الرِّجالَ ومارَسُوه ، ونازَلَ الأَقران ، وقارَعَ الأَبطال ، عارفاً بمواضِعِ الفُرَصِ ، خَبيراً بمواضِعِ القَلْبِ والمَيْمَنَةِ والمَيْسَرَةِ من الحُروبِ ، فإِنَّه إِذا كان كذلك وصَدَرَ الكُلُّ عن رأيه كانوا جَميعاً كأَنَّهم مِثْلُهُ ، فإِنَّه إِن رأَى لِقراعِ الكتائبِ وَجْهاً وإِلا رَدَّ الغَنَمَ إِلى الزَّريبةِ .

● واعلمْ[2] أَنَّ الحرب خُدْعَةٌ عندَ جَميعِ العُقلاء .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٧٩) .

(٢) سراج الملوك (٢/ ٦٨٠) وانظر قول عظماء الترك في ثمار القلوب (١/ ٥٧٠) والتوفيق (٦١) والتمثيل والمحاضرة (١٥٣) والحيوان (٢/ ٣٥٣) .

وكَانَ عُظماءُ التُّرْكِ يقولون : يَنبغي للعاقلِ العظيمِ القيادِ أَن يكونَ فيه عِدَّةُ أَخلاقٍ من البهائم ؛ شَجاعةُ الدِّيكِ ، وبَحثُ الدَّجاجةِ ، وقَلْبُ الأَسد ، وحَمْلَةُ الخِنزيرِ ، ورَوَغانُ الثَّعلب ، وصَبْرُ الكَلْبِ على الجِراحِ ، وحِراسَةُ الكُرْكِيِّ ، وغارَةُ الذِّئْبِ ، وسِمَنُ نُغَيْرٍ ـ وهي دُوَيْبَّةٌ تكونُ بخُراسان تَسْمُنُ على التَّعَبِ والشَّقاء ـ.

وكان يُقال : أَشَدُّ خَلْقِ اللهِ تَعالى عَشَرةٌ : الجبالُ ، والحَديدُ يَنحتُ الجِبَالَ ، والنَّارُ تَأْكُلُ الحَديدَ ، والماءُ يُطفىء النَّارَ ، والسَّحابُ يَحملُ الماءَ ، والرِّيحُ تُصَرِّفُ السَّحابَ ، والإِنسانُ يَتَّقِي الرِّيح بجنَاحيه ، والسُّكْرُ يَصْرَعُ الإِنسَانَ ، والنَّومُ يُذْهِبُ السُّكْرَ ، والهَمُّ يمنعُ النَّومَ ؛ فأَشَدُّ خَلْقِ رَبِّكَ الهَمُّ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نعوذُ بك من الهَمِّ والحَزَنِ.

• ومنَ[1] الحِيَلِ في الحربِ : أَن يَبُثَّ جَواسيسَه في عَسْكَرِ عَدُوِّه ليستعلمَ أَخبارهم ، ويستميلَ قلوبَ رُؤسائهم ، وذَوي الشَّجاعة منهم ، فَيَدُسُّ إِليهم ، ويَعِدُهُم وَعْداً جَميلاً ، وَيُقَوِّي أَطماعَهم في نَيْلِ ما عِنْدَهُ من الهِبَاتِ الفَخْمَة والولاياتِ السَّنِيَّةِ ؛ وإِن رأَى وَجْهاً عاجَلَهُم بالهَدايا ؛ وسامَهُم إِمَّا الغدرَ بِصاحِبهم ، وإِمّا الاعتزالَ وقتَ اللِّقاء ؛ ويكتبُ على السِّهام أَخباراً مُزَوَّرَةً ، ويَرمي بها في جُيوشهم.

• واعلمْ[2] أَنَّ الحِيلة لا تَرُدُّ القَضاءَ والقَدَرَ ، وأَنَّ الدُّوَلَ إِذا زالَت صارَت حِيلَتُها وَبالاً عليها ، وإِذا أَذِنَ اللهُ تَعالى في حُلولِ البلاءِ كانَتِ الآفَةُ في الحِيْلَةِ.

وقالت الحكماء : إِذا نزلَ القَضاءُ كان العَطَبُ في الحِيلة.

ويغلبُ الضَّعيفُ بإِقبالِ دَولته كما يغلبُ القَويُّ ببقاءِ مُدَّتِه.

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٨١).

(٢) سراج الملوك (٢/ ٦٨٣).

فمن الحَزْمِ المألوفِ عندَ سُوّاسِ الحُروبِ ، أَن تكونَ حُماةُ الرِّجال وكُماةُ الأَبطالِ في القَلب ، فإِنَّه إِذا انكسرَ الجناحان كانَتِ العيونُ ناظِرَةً إِلى القَلب ، فإِذا كانَت رايَتُهُ تَخفقُ ، وطُبولُهُ تَضربُ ، كانت حِصْناً للجَناحين يأوي إِليه كُلُّ مُنهزمٍ ، وإِذا انكسرَ القلبُ تَمَزَّقَ الجناحان .

مِثالُ ذلك : أَنَّ الطَّائرَ إِذا انكسرَ أَحدُ جَناحيه تُرَجَّى عَودَتُهُ ولو بعدَ حِينٍ ، وإِذا انكسرَ الرَّأْسُ ذهَبَ الجَناحان .

وقَلَّ عسكرٌ انكسرَ قَلْبُهُ فأَفْلَحَ أَو تَراجَعَ ، اللَّهُمَّ إِلا أَن تكونَ مَكيدةً من صاحبِ الجيشِ ، فيُخْلي القَلبَ قَصْداً وتَعَمُّداً ، حتَّى إِذا توسَّطَهُ العدوُّ ، واشتغلَ بِنَهْبِهِ ، انطبقَ عليه الجناحان .

فقد فعلَ ذلك رِجالٌ من أَهلِ الحُروبِ .

- ويُقال[1] : حَبِّبْ إِلى عدوِّكَ الفرارَ بأَن لا تَتبَعَهُم إِذا انهَزموا .
- ويُقال[2] : الشُّجاعُ مُحَبَّبٌ حتَّى إِلى عَدُوِّهِ ، والجبانُ مُبَغَّضٌ حتَّى إِلى أُمِّه .
- ولمَّا[3] أَقبلَ كِسرى بن هُرمز إِلى مُحاربةِ بَهرام قال له صاحِبُه : أَما تَسْتَعِدُّ؟ قال : عُدَّتي ثَباتُ قَلبي ، وإِصابَةُ رَأْيي ، ونَصْلُ سَيْفي ، ونُصْرَةُ خالِقي .
- وخرجَ[4] يزيدُ بن عبد الملِك من بعضِ مَقاصيره وعليه دِرْعٌ ، وذلكَ في أَيّام قِتال يَزيد بن المُهَلَّب ، فأَنشده مَسْلَمَةُ قولَ الحُطيئة[5] : [من البسيط]

قَوْمٌ إِذا حارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ   دُونَ النِّساءِ وَلَوْ باتَتْ بِأَطْهارِ

---

(١) القول للإسكندر في ربيع الأبرار (٤/ ٢١٠) .
(٢) القول مما كتبه أفراسياب إلى أخيه كرسون ، في ربيع الأبرار (٤/ ٢١٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢١٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٢١٩) .
(٥) كذا في ربيع الأبرار ، والبيت للأخطل في ديوانه (١/ ١٧٢) وليس للحطيئة .

فقال يزيدُ : إنَّما ذاك إذا حارَبْنا أَكْفاءَنا ، وأَمّا مثلُ هذا ونُظرائه فلا ؛ فقام إليه مَسْلَمَةُ ، فَقَبَّلَهُ بين عَيْنَيْه .

● وقيل[1] : لمّا ماتَ مَلِكُ الفُرْسِ أَرادوا أن يُمَلِّكوا عليهم رَجُلاً من آل ساسان ، فوفَد عليهم بَهرام جُور فقال : اعمَدوا إلى أَسَدين جائِعين ، فاطْرَحوا بَينَهُما التَّاجَ ، فمَن أَخَذَه فهو الملِك . فَفَعلوا ، فدنا مِنهما فأَهْوَيا نَحوه ، فأَخذ بِرأسِ أَحدهما ، فأَدناه من رأسِ الآخرِ ، ثم نَطَحَهُ به فقَتَلهما جَميعاً ، وشدَّ على التَّاجِ فأَخذَه ووضَعه على رَأسِهِ ، ومَلَّكَتْهُ الفُرْسُ عليهم .

● وقيل[2] : لم يكنْ في العَجَمِ أَرْمى من الملِك بَهرام ، خَرج يَتَصَيَّدُ يَوماً ، وهو مُرْدِفٌ حَظِيَّةً لهُ كان يَعْشَقُها ، فَعَرَضَت له ظِباءٌ ، فقال : في أَيِّ مَوضع تُريدين أَن أَضَعَ هذا السَّهم؟ فقالت : أُريدُ أَن تُشَبِّهَ ذُكرانَها بالإِناثِ وإناثَها بالذُّكرانِ ؛ فرمى ظَبْياً ذَكَراً بنشّابَةٍ ذاتِ شُعبتين فاقتلَع قَرْنَيْه ، ورَمى ظَبْيَةً بنَشّابتين أَثْبَتهما في مَوقِعِ القَرنين ؛ ثم سَأَلَتْهُ أَن يجمَع بين ظِلْفِ الظَّبي وأُذُنِهِ بنِشّابةٍ ، فرَمى أَصلَ الأُذنَ بِبُندقةٍ ثم أَهوى الظَّبي بِرِجْلِهِ إلى أُذُنِه لِيَحْتَكَّ ، فَرماه بنشّابةٍ فَوَصَلَ أُذُنَه بِظِلْفِه .

ويُقال[3] : إنَّ من أَعظم المكايدِ في الحَربِ : الكَمينُ ؛ وذلك أَنَّ الفارسَ لا يَزالُ على حَمِيَّةٍ في الدِّفاع وَحَمي الذِّمارِ حتَّى يلتفتَ فَيرى وراءَهُ بَنْداً مَنْشوراً ، ويسمعَ صوتَ الطَّبلِ ، فحينئذٍ يكونُ هَمُّهُ خلاصَ نَفْسِهِ .

● وعليـك بـانتخـابِ الفُـرسـان واختيـارِ الأَبطـال ، ولا تَنْـسَ قـولَ الشَّاعر[4] : [من الرجز]

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٢١) .

(٢) ثمار القلوب (١/ ٣٠٣) وعيون الأخبار (١/ ١٧٨) وربيع الأبرار (٤/ ٢٢٥) وحياة الحيوان (٢/ ٦) وغرر ملوك الفرس (٥٤٢) ، واسم الجارية فيه : آزاذوار الصَّنّاجة .

(٣) سراج الملوك (٢/ ٦٨٤-٦٨٥) .

(٤) البيت لابن دريد من مقصورته ، شرح المقصورة للتبريزي (٨٣) .

والنَّــاسُ أَلْــفٌ مِنْهُــمُ كَــواحِــدٍ وَوَاحِــدٌ كــالأَلْــفِ إِنْ أَمْــرٌ عَنــى

بل قد جُرِّبَ ذلك ، فَوُجِدَ الواحدُ خَيْراً من عَشرة آلافٍ .

- وسَأَحكي لك من ذلك ما تَرى فيه العَجَب ؛ فمن ذلك :

لمّا التَقى المُستعين بن هُود مع الطَّاغية ابن رُدْميل النَّصْرانيّ على مَدينة وَشْقَة ـ من ثُغور بِلاد الأَندلس ـ وكان العَسكران كالمُتكافِئَين ، كُلُّ واحدٍ مِنهما يُقارب عِشرين أَلف مُقاتل ، بين خيّلٍ ورَجْلٍ. فَحَدَّثَ مَن حَضَرَ الوَقعةَ من الأَجناد ، قال :

لمّا دَنا اللِّقاءُ ، قال الطَّاغيةُ ابن رُدْميل لِمَن يثقُ بعَقله ومُمارسته للحُروب من رِجاله : استعلِمْ لي مَن في عَسكر المُسلمين من الشُّجعان الَّذين نَعرفُهم كما يَعرفونَنا ، ومَن غابَ منهم ومَن حَضَر ؛ فذَهب ، ثم رجعَ ، فقال له : فيهم فُلان وفُلان ، فعدَّ سبعةَ رجالٍ. فقال له : انظرْ مَن في عَسكري من الرِّجالِ المَعْروفين بالشَّجاعة ، ومَن غابَ منهم ؛ فعدَّهُم ، فوجدَهم ثمانيةَ رِجالٍ لا يَزيدون ؛ فقام الطَّاغيةُ ضاحِكاً مَسروراً ، وهو يقولُ : ما أَبْيَضَكَ من يومٍ. ثم ثارت الحربُ بينهم ، فلم تَزَلِ المُضاربةُ بين الفَريقين لم يُوَلِّ أَحَدُهُمْ دُبُرَهُ ، ولا تَزحزحَ عن مَقامه ، حتَّى فَني أَكثرُ العَسكرين ، ولم يفرَّ واحدٌ منهم .

قال : فلمَّا كان وقتُ العَصر نَظروا إِلينا ساعةً ، ثم حَملوا علينا حَمْلَةً وداخَلوا مُداخلةً ، فَفَرَّقوا بيننا ، وصِرْنا شَطرين ، وحالوا بَينَنا وبين أَصحابنا ، فكان ذلك سببُ وَهْنِنا وَضَعْفِنا ، ولم تَقُمِ الحربُ إِلا ساعةً ونحنُ في خَسارةٍ معهم ، فأَشارَ مُقَدَّمُ العَسكرِ على السُّلطان أَن ينجوَ بنفسه ؛ وانكسرَ عَسكرُ المسلمين ، وتفرَّقَ جمعُهم ، وَمَلَكَ العدوُّ مَدينة وَشْقَة .

فلْيعتبرْ ذو الحَزْمِ والبَصيرة مِن جَمْعٍ يَحتوي على أَربعين أَلف مُقاتلٍ ، ولم يَحضُرْهُ من الشُّجعان المعدودين إِلا خمسةَ عشرَ نَفَراً! .

ولْيعتبر بضَمان العِلْج بالظَّفَرِ ، واسْتبشارِهِ بالغَنيمة ، لمّا زادَ في أَبطاله رجلٌ واحدٌ! .

● **وحَكى**[1] سيِّدي أَبو بكرٍ الطَّرطوشي رحمةُ الله تعالى عليه ، قال : سمعتُ أُستاذنا القاضي أَبا الوليد [الباجي رحمه الله] ، يَحكي قال : بَينما المنصورُ بن أَبي عامرٍ في بعضِ غَزواته إذ وقفَ على نَشَزٍ من الأَرضِ مُرتفعٍ ، فرأَى جُيوشَ المسلمين من بين يَديه ، ومِن خَلفِه ، وعن يَمينه وعن شِماله ، قد مَلأوا السَّهلَ والجَبَلَ ، فالتفتَ إِلى مُقَدَّمِ العَسكر ، وهو رجلٌ يعرف بابن المُصْحَفي ، فقال له : كيفَ تَرى هذا العسكرَ أَيُّها الوَزيرُ؟ قال : أَرى جَمْعاً كثيراً ، وجَيْشاً واسعاً كَبيراً ؛ فقال له المنصورُ : ما تَرى ، هل يكونُ في هذا الجيشِ أَلفُ مُقاتلٍ من أَهل الشَّجاعةِ والنَّجْدَةِ والبَسالة؟ فسكتَ ابنُ المُصْحَفِيّ ؛ قال له المنصورُ : ما سُكوتُك؟ أَليس في هذا الجيشِ أَلفُ مُقاتلٍ؟ قال : لا ؛ فتعجَّبَ المنصورُ ، ثم قال : فهل فيهم خَمسمئةِ مُقاتلٍ من الأَبطال المعدودين؟ قال : لا ؛ فَحَنَقَ المنصورُ ، ثم قال : أَفيهم مئةُ رجلٍ من الأَبطال؟ قال : لا ؛ قال : أَفيهم خَمسون رجلاً من الأَبطال؟ قال : لا ؛ قال : فَسَبَّهُ المنصورُ ، وأَغلظَ عليه ، وأَمر به ، فأُخرجَ على أَسوإِ حَالٍ ؛ فلمَّا توسَّطوا بلادَ الرُّوم ، اجتمعَتِ الرُّوم ، وتَصافَّ الجَمعان ، فَبَرَزَ عِلْجٌ من الرُّوم بين الصَّفَّين شاكي السِّلاح ، وجعل يَكرُّ وَيَفِرُّ ، ويقول : هل مِن مُبارز؟ فبرزَ إِليه رجلٌ من المسلمين ، فَتَجاولا ساعةً ، فقتَله العِلْجُ ، فَفَرح المشركون ، وصاحوا ؛ واضطَربَ المسلمون لها ؛ ثم جَعل العِلْجُ يموجُ بين الصَّفَّين ويُنادي : هل مِن مُبارز ، اثنين لواحدٍ؟ فبرز إِليه رجلٌ من المسلمين ، فتجاولا ساعةً ، فقَتَله العِلْجُ ، وجعل يكرُّ ويَحمل ، ويُنادي ويَقول : هل مِن مُبارز ، ثلاثةٌ لواحدٍ ، فبرزَ إِليه رجلٌ من المسلمين ، فقتَله العِلْجُ ، فصاحَ المشركون ، وذَلَّ المسلمون ؛ وكادَت أَن

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٨٦) والزيادة منه .

تكونَ كَسْرَةً ؛ فَقيل للمنصورِ : ما لَها إلا ابنُ المُصْحَفيّ ؛ فَبَعَثَ إليه ، فَحَضَر ؛ فقال له المنصورُ : ألا ترى ما صَنَعَ هذا العِلْجُ الكَلْبُ منذُ اليوم؟ فقال : لقد رأَيتُه ، فما الَّذي تُريده؟ قال : أَن تكفي المُسلمين شَرَّهُ . قال : الآن يُكْفَى المُسلمونَ شَرَّهُ إن شاءَ الله تعالى ؛ ثم قَصدَ إلى رجالٍ يَعرِفُهم ، فاستقبلَهُ رجلٌ من أَهل الثُّغور على فَرَسٍ قد تَهَرَّتَ أَوْراكُها هُزالاً ، وهو حامِلٌ قِرْبَةَ ماءٍ بين يَديهِ على الفَرَسِ ، والرَّجُلُ في حِلْيَتِهِ ونَفْسِهِ غير مُتَصَنِّع ، فقال له ابنُ المُصْحَفي : أَلا تَرى ما يَصنعُ هذا العِلْجُ منذُ اليوم؟ قال : قد رأَيتُه ، فما الَّذي تُريده؟ قال : أُريد أَن تكفي المسلمين شَرَّهُ . قال : حُبّاً وكَرامةً ؛ ثم إنَّه وَضَعَ القِرْبَةَ بالأَرض ، وبرزَ إليه غيرَ مُكْتَرِثٍ به ، فَتجاولا ساعةً ، فلم يَرَ النَّاسُ إلا المُسلم خارجاً إليهم يركضُ ولا يَدرون ما هُناك ، وإذا برأسِ العِلْج يلعبُ بها في يَده ، ثم أَلقى الرَّأْسَ بين يَدي المنصور ؛ فقال له ابنُ المُصْحفي : عن هؤلاء الرِّجالِ أَخبرتُك . قال : فردَّ ابنَ المُصحفي إلى مَنزلته ، وأَكرمه ، ونَصَرَ اللهُ جُيوشَ المسلمين وعَساكر المُوَحِّدين .

● حُكِيَ[١] أَنَّه كان للعربِ فارسٌ يُقال له : ابن فَتْحُون[٢] ؛ وكانَ أَشجعَ العَربِ والعَجَم في زَمانه ، وكان المُستعين يُكرمُه ويُعَظِّمُهُ ، ويُجري له في كلِّ عَطِيَّةٍ خَمسمئةِ دينارٍ ، وكانت جُيوشُ الكُفَّار تَهابُهُ ، وتَعرفُ منه الشَّجاعة ، وتَخشى لقاءَه ، فَيُحْكَى أَنَّ الرُّوميَّ كان إذا سَقى فَرَسَهُ ولم يَشرب يقولُ له : وَيْلَك ، لِمَ لا تَشربُ؟ هل رأَيتَ ابنَ فَتحون في الماء؟! . فَحَسَدَهُ نُظَراؤُه على كَثرةِ العَطاء ، ومَنْزِلَتِهِ من السُّلطان ، فَوَشَوا به عند المُستعين ، فأَبعدَه ومَنعه من عَطائه ؛ ثم إنَّ المُستعين أَنشأَ غَزوةً إلى بلادِ الرُّوم ، فتقابلَ المُسلمون

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٧٠١) .

(٢) قال الطرطوشي : وكان بسرقسطة فارسٌ يُقال له : ابن فتحون ، وكان يُناسبني ، فيقع خال والدتي ، وكان أَشجع العرب والعجم .

والمُشركون صُفوفاً ، ثم برزَ عِلْجٌ إلى وسطِ الميدان ، ونادى وقال : هل مِن مُبارزٍ؟ فبرزَ إليه فارسٌ من المسلمين ، فتَجاولا ساعةً ، فقَتَله الرُّوميُّ ؛ فصاحَ المشركون سُروراً ، وانكَسَرت نُفوسُ المسلمين ، وجعل الكلبُ الرُّوميُّ يجولُ بين الصَّفَّين ويُنادي : هل من اثنين لواحدٍ؟ فخرجَ إليه فارسٌ من المسلمين ، فقتَله الرُّوميُّ ، فصاحَ الكُفَّارُ سُروراً ، وانكَسَرَتْ نُفوسُ المسلمين ، وجعلَ الكلبُ يَجولُ بين الصَّفَّين ، ويُنادي ويقول : ثَلاثةٌ لِواحدٍ ؛ فلم يَجترىءْ أَحدٌ من المسلمين أَن يخرجَ إليه ؛ وبقيَ النَّاسُ في حَيْرَةٍ ، فَقيل للسُّلطان : ما لَها إلا أَبو الوليد ابن فَتْحون ؛ فدَعاه ، وتَلَطَّف به ، وقال له : يا أَبا الوليد ، أَما ترى ما يَصنعُ هذا العِلْجُ؟ فقال : ها هو بِعَيْني ؛ قال : فما الحِيلة فيه؟ قال : السَّاعة أَكفي المُسلمينَ شَرَّهُ ؛ فلبسَ قَميصَ كَتَّانٍ ، واستَوى على سَرْجِ فَرَسِهِ بلا سِلاحٍ ، وأَخذَ بِيَدِهِ سَوْطاً طويلاً ، وفي طَرَفِهِ عُقْدَةٌ مَعقودةٌ ، ثم برزَ إليه ، فتعجَّبَ منه النَّصرانيُّ ، ثم حملَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحِبِهِ ، فلم تُخْطِ طَعنةُ النَّصرانيِّ سَرْجَ ابنِ فَتحون ، وإذا ابنُ فَتحون مُتَعَلِّقٌ برقَبَةِ الفَرَسِ ، ونَزلَ إلى الأَرض لا شيءَ منه في السَّرْجِ ، ثم انقلبَ في سَرْجِهِ وحَمل على العِلْجِ وضَرَبَهُ بالسَّوطِ ، فالتوى على عُنقه ، فَجَذَبه بيده من السَّرْجِ ، فاقْتَلَعَهُ ، وجاءَ به يَجُرُّهُ حتَّى أَلقاهُ بين يَدي المستعين ؛ فعلم المُستعينُ أَنَّه كان قد أَخطأ في صُنعه مع أَبي الوليد بن فَتْحون ، فاعتذرَ إليه ، وأَكرَمه ، وأَحسن إليه ، وبالغَ في الإِنعام عليه ، وردَّه إلى أَحسن أَحواله ، وكان من أَعزِّ النَّاسِ إليه .

• ويَنبغي[1] لقائدِ الجيشِ أَن يُخفيَ العَلامةَ الَّتي هو مَشهورٌ بها ، فإِنَّ عَدُوَّهُ قد يَستعلمُ حِلْيَتَهُ وأَلوانَ خَيْلِهِ ورايَتَهُ ، ولا يلزمَ خَيمتَهُ ليلاً ولا نهاراً ، ولْيبدِّل زِيَّهُ ويُغَيِّرْ خَيمَتَهُ كي لا يَلتمسَ عَدُوُّهُ غِرَّةً منه ، وإذا سكنَ الحربُ ، فلا يمشي في

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٩١) .

النَّفَرِ اليَسير من قَومه خارجَ عَسكره ، فإنَّ عُيونَ عَدُوِّهِ مُتَجَسِّسَةٌ عليه ، وبهذا الوجهِ كَسَرَ المُسلمونَ جُيوشَ أفريقيَّةَ عندَ فَتْحِها ؛ وذلكَ أَنَّ الحربَ سَكَنَتْ وَسَطَ النَّهارِ ، فَجعَلَ مُقَدَّمُ العَدُوِّ يَمشي خارجَ عَسكره يتميَّزُ عَساكرَ المسلمين ، فجاءَ الخبرُ إلى عبد الله بن أَبي السَّرْحِ وهو نائمٌ في قُبَّتِهِ ، فخرجَ فيمن وَثِقَ به من رِجالِه ، وحَمَلَ على العدوِّ ، فَقَتَلَ المَلِكَ ، وكان الفَتْحُ .

● وبمثل[١] هذا قَهَرَ أَلْب أَرْسلان مَلِكُ التُّرْكِ ، مَلِكَ الرُّوم وقَمَعَهُ ، وقَتَلَ رِجالَهُ ، وأَبادَ جَمْعَهُ .

وكانت الرُّومُ قد جَمعت جُيوشاً يقلُّ أَن يُجمعَ لغَيرهم مِن بَعدهم مثلُها ، وكان قد بلغَ عددهُم ستَّمئة أَلف ، كتائبَ مُتواصلةً ، وعَساكرَ مُترادفةً ، وكَراديسَ يَتلو بَعضُها بعضاً ، لا يُدركُهم الطَّرْفُ ، ولا يُحصيهم العَدَدُ ، وقد استعدُّوا من الكُراعِ والسِّلاح والمَجانيق ، والآلاتِ المُعَدَّةِ للحُروبِ وفَتْحِ الحُصون بما لا يُحصى ، وكانوا قد قَسَّموا بلاد المسلمين ، الشام ، والعِراق ، ومِصر ، وخُراسان ، ودِيار بَكر ، ولم يَشُكُّوا أَنَّ الدَّولَةَ قد دَارت لهم ، وأَنَّ نُجومَ السُّعودِ قد خَدَمَتْهُمْ ، ثم استَقْبَلوا بلادَ المُسلمين ، فَتَواتَرت أَخبارُهم إلى بلاد المسلمين ، واضطَربت لها مَمالكُ أَهل الإسلام ، فاحتشَدَ لِلقائِهم الملِكُ أَلْبْ أَرْسلان ، وهو الَّذي يُسَمَّى الملِكَ العادلَ ، وجَمَعَ جُموعَهُ بمدينة أَصْبَهان ، واستعدَّ بما قَدِرَ عليه ، ثم خرجَ يَؤُمُّهُم ، فلم يزَلْ العَسكران يَتَدانيان إلى أَن عادَت طلائعُ المسلمين إلى المسلمين ، وقالوا لأَلْب أَرسلان : غداَيَتراءى الجَمْعان ؛ فباتَ المُسلمونَ ليلةَ الجُمعة ، والرُّومُ في عَددٍ لا يُحصيهم إلا الله الَّذي خَلَقَهُم ، وما المسلمون فيهم إلا أَكْلَةُ جائعٍ ؛ فَبقي

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٩٤) .
وانظر لتفصيل معركة منازكرد : كامل ابن الأثير (١٠/ ٦٥) وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤١٥) والمنتظم (١٦/ ١٢٣) وما بعد . . . .

المسلمونَ وَجِلين لِما دَهَمَهُم ، فلمّا أَصبحوا صَباحَ يوم الجُمعة نَظَرَ بعضُهم إلى بَعضٍ ، فهالَ المسلمينَ ما رأَوا من كَثرةِ العَدُوِّ ، فأَمَرَ أَلْب أَرسلان أَن يُعَدَّ المسلمون ، فبلغوا اثني عَشَرَ أَلفاً ، فكانوا كالشَّامَةِ البَيضاء في الثَّورِ الأَسود ، فجَمَعَ ذَوي الرَّأْيِ من أَهل الحربِ والتَّدبير والشَّفَقَة على المسلمين ، والنَّظَر في العواقبِ ، واستَشارهم في استخلاص أَصْوَبِ الرَّأْيِ ، فَتشاوروا بُرْهَةً ، ثم اجتمعَ رَأْيُهُمْ على اللِّقاء ، فتوادَعَ القومُ وتَحالَلوا ، وناصَحوا الإِسلامَ وأَهله ، وتَأَهَّبوا أُهْبَةَ اللِّقاء ، وقالوا لأَلَبْ أَرسلان : بِسم الله ، نَحملُ عليهم؟ فقال أَلْب أَرْسلان : يا مَعْشَرَ أَهْلِ الإِسلام ، أَمْهِلوا ، فإِنَّ هذا يَوْمُ الجُمعة ، والمسلمونَ يَخطُبون على المنابر ، ويَدعونَ لنا في شَرْقِ البلادِ وغَرْبِها ، فإِذا زالَت الشَّمْسُ ، وعَلِمْنا أَنَّ المسلمين قَد صَلَّوا ، ودَعَوا اللهَ أَن ينصُرَ دِينَهُ ، حَمَلْنا عليهم إِذ ذاك ؛ وكان أَلْب أَرْسلان قد عَرَفَ خَيْمَةَ مَلِكِ الرُّوم وعَلامَتَهُ وزِيَّهُ وَزِينَتَهُ وَفَرَسَهُ ، ثم قال لِرجاله : لا يَتَخَلَّفْ أَحدٌ منكم أَن يفعلَ كَفِعْلي ، ويتبعَ أَثَري ، ويَضربَ بِسَيفه ، ويَرمي سَهْمَهُ حيثُ أَضربُ بِسَيفي ، وأَرمي بِسَهمي ؛ ثم حَمل بِرجالِهِ حَمْلَةَ رَجُلٍ واحدٍ إِلى خيمةِ مَلِكِ الرُّوم ، فقَتلوا من كان دُونَها ، وَوَصلوا إِلى الملِكِ ، فقَتلوا مَن كان دُونه ، وجَعلوا يُنادونَ بِلِسان الرُّوم : قُتِلَ المَلِكُ ، قُتِلَ المَلِكُ ؛ فسَمعت الرُّومُ أَنَّ مَلِكَهُم قد قُتِلَ ، فَتَبَدَّدُوا ، وتَمَزَّقوا كُلَّ مُمَزَّقٍ ، وعملَ السَّيْفُ فيهم أَيّاماً ، وأَخَذَ المُسلمون أَموالهم ، وغنائمهم ، وأَتوا بالملِك أَسيراً بين يدي أَلْب أَرْسلان ، والحَبْلُ في عُنُقِه ، فقال له أَلْب أَرْسلان : ماذا كُنتَ تَصْنَعُ بي لو أَسَرْتَني؟ قال : وهل تَشُكُّ أَنّني كنتُ أَقتلك؟ فقال له أَلْب أَرْسلان : أَنت أَقَلُّ في عَيني من أَن أَقْتُلَك ، اذهَبوا به فَبيعُوه لِمَن يَزيدُ فيه ؛ فكان يُقادُ والحبلُ في عُنقه ، ويُنادى عليه : مَن يَشتري مَلِكَ الرُّوم؟ وما زالوا كذلك يَطوفون به على الخِيام ، ومَنازل المسلمين ، ويُنادون عليه بالدَّراهم والفُلوس ، فلم يَدفَعْ فيه أَحدٌ شيئاً ، حتَّى باعُوه من إِنسانٍ بِكَلْبٍ ، فأَخذَه الَّذي يُنادي عليه ،

وأَخـذَ الكَلْـبَ ، وأَتـى بهمـا إلـى أَلْـب أَرْسـلان ، وقـال : قـد طُفْـتُ بـه جميـعَ العَسكرِ ، وناديتُ عليه ، فلم يبذلْ أَحَدٌ فيهِ شيئاً سِوى رَجُلٍ واحدٍ دفَعَ فيه هذا الكَلْبَ ؛ فقال : قد أَنصَفَك ، إنَّ الكلبَ خيرٌ منه . ثم أَمر أَلْب أَرْسلان بعد ذلك بإطلاقِهِ ، وذَهبَ إلى القُسطنطينيَّة ، فعزَلَتْهُ الرُّوم ، وكَحَّلوه بالنّار .

فانظرْ ماذا يأتي على المُلوكِ إذا عُرِفوا في الحربِ من الحِيلة والمكيدة .

● اللَّهُمَّ انصرْ جُيوشَ المسلمين وعساكِرَ المُوَحِّدين ، وأَهْلِكِ الكَفَرَة والمُشركين ، وانصُر المسلمين نَصْراً عَزيزاً ، بِرَحمتِكَ يا أَرحمَ الرّاحمين .

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم ، والحمدُ لله رَبِّ العالمين .

* * *



البابُ الحادي والأربعون

في ذِكر أَسماءِ الشُّجْعانِ ، وذِكْرِ الأَبطالِ ، وطَبقاتِهم وأَخبارهم[1] وذِكر الجُبناء وأَخبارهم ، وذَمِّ الجُبْنِ

الطَّبَقَةُ الأُولى : الَّذين أَدركوا الجاهليَّةَ والإِسلام :

- **حمزةُ بن عبدِ المُطَّلب ، رضي الله عنه[2] :**

عَمُّ رسول الله ﷺ ، أَسَدُ الله ، وأَسدُ رسوله ﷺ . قُتل في غَزاة أُحُد ، رَماه وَحشِيٌّ مَولى جُبير بن مُطعم بِحَرْبَةٍ فَقَتله . وكان فارسَ قُريش غيرَ مُدافَع ، وبَطَلَها غيرَ مُمانع ؛ وعَظُمَ قَتْلُهُ على النَّبي ﷺ ونَذَرَ أَن يقتلَ به سَبعينَ رجلاً من قُريش ، وكبَّر عليه في الصَّلاة سَبعين تكبيرةً .

- **أَميرُ المؤمنين عليُّ بن أَبي طالبٍ ، رضي الله عنه وكرَّمَ وَجهه[2] :**

آيةٌ من آياتِ الله ، ومُعجزةٌ من مُعجزاتِ رسول الله ﷺ ، ومُؤَيَّدٌ بالتَّأْييد الإلهي ، كاشِفُ الكُروبِ ومُجَلِّيها ، ومُثَبِّتُ قواعِدِ الإِسلام ومُرْسيها ، وهو المُتَقَدِّمُ على ذوي الشَّجاعة كلِّهم بلا مِرْيَةٍ ولا خِلافٍ .

رُوي[3] عنه رضي الله عنه أَنَّه قال : والَّذي نَفْسُ ابن أَبي طالبٍ بِيَدِه ، لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بالسَّيفِ أَهونُ عَلَيَّ من مَوْتَةٍ على فِراشٍ .

---

(١) عن التذكرة الحمدونية .

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٠) .

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢٥٧) .

• وقال[١] بعضُ العرب : ما لَقينا كتيبةً فيها عليٌّ بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلا أَوصى بعضُنا إِلى بعضٍ .

• وقال[٢] رضي الله عنه لمعاوية : قد دعوتَ النّاسَ إِلى الحرب ، فدعِ النَّاسَ جانباً ، واخرجْ إِليَّ لِيُعْلَمَ أَيُّنا المَرِينُ على قَلبه ، والمُغَطَّى على بَصره ، وأَنا ابو الحسن قاتلُ جَدِّك وخالِك وأَخيك شَدْخاً يوم بَدرٍ ، وذلك السَّيفُ معي ، وبذلك القَلب أَلقى عَدُوِّي .

• وقيل[٣] له ـ كَرَّمَ اللهُ وَجهه ـ : إِذا جالَت الخيلُ ، فأَين نطلُبك؟ قال : حيثُ تَركتموني .

• وقيل[٣] له : كيف تقتلُ الأَبطال؟ قال : لأَنِّي كنتُ أَلقى الرَّجُلَ ، فأُقَدِّرُ أَنِّي أَقتلُه ، ويُقَدِّرُ هو أَنِّي أَقتلُه ، فأَكون أَنا ونفسُه عَوناً عليه .

• وقال[٣] مُصعب بن الزُّبير : كان عليٌّ رضي الله عنه حَذِراً في الحُروب ، شَديدَ الرَّوَغان ، لا يكادُ أَحدٌ يتمكَّنُ منه ، وكانَت دِرْعُهُ صَدْراً لا ظَهرَ لها ، فقيل له : أَما تَخافُ أَن تُؤْتَى من قِبَل ظَهرِك؟ فقال : إِذا مَكَّنْتُ عَدُوِّي من ظَهري ، فلا أَبقى الله عليه إِن أَبقى عَلَيَّ .

قتلَه[٤] عبدُ الرَّحمن بن مُلْجَم المُرادي ، لَعنةُ الله تعالى عليه ، غَدَرَهُ وهو في صَلاةِ الصُّبحِ ؛ وسببُ ذلك أَنَّ عبد الرَّحمن بن ملجَم لعنَه الله ، تزوَّجَ بقَطامِ بنت عَلْقَمة ، وكانت خارجيَّةً ، فقالت له : لا أَقنعُ إِلا بصَداقٍ أُسَمِّيه ، وهو ثلاثةُ آلافِ درهمٍ ، وعبدٌ وأَمَةٌ ، وأَن تقتلَ عليَّ بن أَبي طالبٍ . فقال لها : لكِ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢١٥) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٧٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/٢١٨) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٠٠) .
(٤) كامل المبرد (٣/ ١١١٦) والمعمرون والوصايا (١٥١) والأخبار الطوال (٢١٣ـ٢١٥) .

ما سأَلت إلا عليَّ بن أَبي طالب ، وكيفَ لي به؟ قالت : تَغتالُه ، فإن سَلِمْتَ أَرَحْتَ النّاسَ من شَرِّهِ ، وأَقمتَ مع أَهْلِكَ ، وإن أُصِبْتَ دخلْتَ الجَنَّةَ ؛ فقال[1] : [من الطويل]

ثَـــلاثَـــةُ آلافٍ وَعَبْـــدٌ وقَيْنَـــةٌ وَضَـرْبُ عَلـيٍّ بـالحُسـامِ المُخَـذَّمِ
فَـلا مَهْـرَ أَغلـى مِـن عَلـيٍّ وإنْ غَـلا وَلا فَتْـكَ إلا دُونَ فَتْـكِ ابْـنِ مُلْجَـمِ

قيل : إنَّه طَعَنَهُ وهو داخلَ المسجدِ في الغَلَس ، وذلك في تاسعَ عشرَ رمضان المعظَّم ، سنة أَربعين .

كُفِّن رضي الله عنه في ثلاثةِ أَثوابٍ ، ودُفن في الرَّحْبَة ممّا يلي بابَ كِنْدَة من أَبواب المسجد .

• قالوا : ولمّا ضَربهُ ابنُ مُلجَم لعنه الله ، ثارَ الحسنُ والحُسين وعبدُ الله بن جَعفر رضي الله عنهم ، فاحتَضنُوه ، وقام المُغيرةُ بن نَوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب ، فأَخذَه ، فأَومأَ عليٌّ رضي الله عنه إلى المُغيرة : أَن صَلِّ بالنّاسِ ؛ فَصَلَّى بهم الفَجر ، وأَقبلت هَمْدان ، فدخلوا على عَليٍّ ، فقالوا : يا أَميرَ المؤمنين : لا تقومُ لهم قائمةٌ إن شاء الله تعالى ؛ فقال : لا تَفعلوا ، إنَّما النَّفْسُ بالنَّفْسِ .

قال : ثم إنَّ الحسنَ رضي الله عنه صلَّى الفجرَ وصعدَ المنبرَ ، فأَراد الكلام ، فَخنَقَتْهُ العَبْرَةُ ، ثم نطقَ ، فقال : الحمدُ لله على ما أَحْبَبْنا وكَرِهْنا ، وأَشهدُ أَن لا إله إلا الله ، وَحْدَهُ لا شَريكَ له ، وأَشهدُ أَنَّ مُحَمداً عبدُهُ ورسولُه ﷺ وإنِّي أَحتسبُ عندَ الله عزَّ وجلَّ مُصابي بأَفضل الآباء رسول الله ﷺ القائل : «مَن أُصيبَ بمصيبةٍ فَلْيَتَسَلَّ بِمصيبتهِ فِيَّ ، فإنَّها أَعظمُ المصائب» .

والله الَّذي لا إله إلا هو ، الَّذي أَنزلَ على عبده الفُرقان ، لقد قُبض في هذه

---

(١) وكذا في كامل المبرد ، والبيتان لابن أبي ميّاس المرادي ، وانظر شعر الخوارج (٧) وعند أبي حاتم أن المرأة هي قائلة البيتين! .

اللَّيلةِ رجلٌ ما سَبَقَهُ الأَوَّلون بعد رسول الله ﷺ ولا يُدركُه الآخرون ، فعندَ الله نَحتسبُ ما دَخل علينا وعلى جَميع أُمَّة محمَّدٍ ﷺ ؛ فوالله لا أَقولُ اليومَ إلا حَقّاً ، لقد دَخلَتْ مُصيبةٌ اليومَ على جَميع العِبادِ والبِلاد والشَّجر والدَّوابِّ ، ولقد قُبض في اللَّيلة الَّتي رُفِع فيها عِيسى بن مريم عليهما السَّلام إلى السَّماء ، وقُبض فيها مُوسى ابن عِمران ، ويُوشَع بن نُون عليهما السَّلام ، وأُنزل فيها القُرآن على محمَّدٍ ﷺ ، ولقد كان رسول الله ﷺ يَبعثُه في السَّريَّةِ ، ويَسيرُ جِبريلُ عن يَمينه ومِيكائيلُ عن يَساره ، فما يرجعُ حتَّى يفتحَ اللهُ عزَّ وجلَّ على يديه ؛ وما تركَ صَفراءَ ولا بَيضاء إلا سَبعمئة درهم أَراد أَن يبتاعَ بها خادِماً لأَهله ، أَلا إِنَّ أُمورَ الله تعالى تَجري على أَحوالها ، فما أَحسنَها من الله ، وأَسْوَأَها من أَنفسِكم ؛ أَلا إِنَّ قُريشاً أَعطَتْ أَزِمَّتَها شياطينها ، فقادَتْها بأَعِنَّتها إلى النّار ، فمنهم من قاتَل رسول الله ﷺ حتَّى أَظهره الله تعالى عليه ، ومنهم مَن أَسَرَّ الضَّغينَةَ حتَّى وَجد على النِّفاق أَعواناً ؛ رُفِعَ الكتابُ ، وجَفَّ القَلَمُ ، وأُمورٌ تُقضى في كتابٍ قد خلا .

ثم أَطرقَ الحسنُ ، فبكى النَّاسُ بُكاءً شديداً ، ثم نزلَ ، فجرَّد سيفَه ، ودعا بابن مُلْجَم ، فأَقبل يخطِرُ واضِعاً شَعْرَهُ على أُذنيه ، حتَّى قام بين يديه ، فقال : يا حَسن ، إِنِّي ما عاهدتُ الله تعالى على عَهْدٍ قطُّ إلا وَفيتُ به ؛ عاهدتُ الله تعالى على أَن أَقتلَ أَباكَ وقد قَتلتُه ، فإِن تُخَلِّني أَقتلْ مُعاوية ، فإِن أَنا قتلتُه أَضعُ يدي على يدك ، وإِن أُقْتَلْ ، فهو الَّذي تُريد . فقال الحسنُ رضي الله عنه : أَما والله لا سَبيلَ إِلى بقائك ؛ ثمّ قامَ إِليه فضَربه بالسَّيف ، فاتَّقاه ابنُ مُلْجَمٍ بيدٍ ، ثم أَسرع بالسَّيف فيه فقَتله .

ومن الأبطال :

● **خالد بن الوليد بن المغيرة المَخزوميّ ، رضي الله عنه**[1] :

سيفُ اللهِ وسيفُ رسولِه ﷺ ، بَطَلٌ مَذكورٌ ، وفارسٌ مشهورٌ في الجاهليَّةِ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨١) .

والإسلام . قَتَلَ مالِكَ بنَ نُوَيْرَة ، وقَتَلَ مُسَيلمَةَ الكذَّابَ لعنَهُ الله .

وكان الفَتحُ لِخالدٍ يَومَ اليمامة ، وهو الَّذي فتحَ دِمشق ، وأَكثَرَ بلاد الشّام ، وله وقائعُ عظيمةٌ في الرُّوم ، أَيَّدَ الله بها الإسلام .

مات على فِراشه ، وكان يقول : لقد شَهِدتُ كذا وكذا زَحْفاً ، وما في جَسَدي مَوضِعُ شِبْرٍ إلا وفيه أَثَرُ طَعْنَةٍ أَو ضَرْبَةٍ أَو رَمْيَةٍ ، وها أَنا أَموتُ على فِراشي ، لا نامَتْ عينُ الجبان ؛ وكان يُنشد ويَرتجز ويقول[1] : [من الرجز]

لا تُرْعِبونا بالسُّيوفِ المُبْرَقَة ... إنَّ السِّهامَ بالرَّدى مُفَوَّقَهْ
والحَرْبُ وَرْهاءُ العِقالِ مُطْلَقَةْ ... وَخالِدٌ مِن دِيْنِهِ على ثِقَهْ

رضي الله عنه .

● **الزُّبير بن العوّام رضي الله عنه**[2] :

● حَوارِيُّ رسول الله ﷺ وابنُ عَمَّتِهِ ، بطلٌ شُجاعٌ لا يُمارَى ، وشَهْمٌ لا يُحاوَل . قَتله عَمرو بن جُرموز ، اغتاله وهو في الصَّلاة .

● **عَمرو بن مَعدي كَرِب الزُّبيديّ**[3] :

فارسٌ من فُرسان الجاهليّة ، وله مواقفُ مذكورةٌ ، ومواطنُ مشهورةٌ ، وأَسلم ثم ارتدَّ ، ثم عاد إلى الإسلام ، وشهدَ حُروب الفُرس ، وكان له فيها أَفعالٌ عظيمةٌ ، وأَحوالٌ جَسيمةٌ ؛ وكان أَميرُ المؤمنين عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه إذا رآهُ قال : الحمدُ لله الَّذي خَلَقَنا وخَلَقَ عَمراً .

روي عنه رضي الله عنه أَنَّه سأَله يوماً ، فقال له : يا عَمرو ، أَيُّ السِّلاح

---

(١) الأشطار له في ربيع الأبرار (٤/ ٢٣٣) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٠) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٢ و٤٤٢ و٤٤٤) .

أَفضلُ في الحرب؟ قال : فَعَنْ أَيِّها تَسأَلُ؟ قال : ما تقولُ في السِّهام؟ قال : منها ما يُخطىء ويُصيب ، قال : فما تقولُ في الرُّمح؟ قال : أَخوك ورُبَّما خانَك . قال : فما تقولُ في التُّرس؟ قال : هو الدَّائرُ ، وعليه تدورُ الدَّوائِرُ ، قال : فما تقولُ في السَّيف؟ قال : ذلك العُدَّةُ عند الشِّدَّة .

وقيل : إِنَّه نزلَ يوم القادسية على النَّهر ، فقال لأَصحابه : إِنَّني عابرٌ على هذا الجِسر ، فإِن أَسرعتُم مقدارَ جَزْرِ الجَزور وَجدتُموني وسَيفي بيدي أُقاتلُ به تِلْقاءَ وَجهي ، وقد عَرَفَني القومُ ، وأَنا قائمٌ بينهم ، وإِن أَبطأْتُم وجَدتموني قَتيلاً بينَهم ؛ ثم انغمسَ فَحمل على القوم ، فقال بعضُهم لبعضٍ : يا بَني زُبَيْد ، علامَ تَدَعُون صاحِبَكُم؟ والله ما نَظُنُّ أَنَّكم تُدركونه حَيّاً ؛ فَحَملوا فانتهوا إِليه ، وقد صُرع عن فَرسه ، وقد أَخذَ برجلِ فَرَسِ رَجلٍ من العَجَم ، فأَمسكها والفارسُ يضربُ فَرسه ، فلم تقدرْ أَن تتحرَّكَ ، فلمّا رآنا أَدركناهُ رَمى الرَّجلُ نَفْسَهُ وخلَّى فَرَسَهُ ، فركبَه عَمرو وقال : أَنا أَبو ثَوْر ، كِدْتُم والله تَفْقِدُونَني . قالوا : أَين فَرَسُكَ؟ فقال : رُمي بِنُشَّابةٍ ، فَعَارَ وشَبَّ فَصرعني .

ويُروى أَنَّه حَمَلَ يومَ القادسيَّة على رُستم وهو الذي كان قدَّمه يزدجرد ملِكُ الفُرس يوم القادسية على قِتالِ المسلمين ، فاستقبلَه عَمرٌو ، وكان رُستم على فيلٍ ، فضَرب عمرٌو الفيلَ فقطَع عُرقوبَه ، فسقطَ رُستم وسَقَطَ الفيلُ عليه مع خُرْجٍ كان فيه أَربعون أَلف دينار ، فقُتل رُستم وانهزمَت العَجَم .

وقُتل عمرو بنَهاوند في وقعةِ الفُرس بعد أَن عُمِّر حتَّى ضَعُف[1] ؛ وكان من الشُّعراءِ المَعدودين ، وفيه يقول العباس بن مِرْداس[2] : [من الطويل]

إِذا مات عَمْرو قُلْتُ لِلْخَيْلِ أَوْطِئي زُبَيْداً فَقَدْ أَوْدى بِنَجْدَتِها عَمْرو

---

(١) مات بقرية من قرى نهاوند يُقال لها رُوذة . (مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٣٠٩) .
(٢) ديوانه (٧٩) وربيع الأبرار (٤/ ١٩٨) .

- **ومنهم طُليحة الأَسدي رضي الله عنه**[1] :

كان من أَكبر الشُّجعان جاهليَّةً وإِسلاماً ، ثم ارتدَّ وتنبّأَ ، وجمَع جمعاً عَظيماً ، فَفَلَّ خالدُ بن الوليد جَمْعَهُ ، وكان يَتكَهَّنُ ، ثم عاد إِلى الإِسلام ، وشهدَ حربَ القادسيَّةِ وغيرها من الفُتوح .

- **والمقداد بن الأَسود رضي الله عنه** :

كان من أَشجع الفُرسان ، شَديدَ البأس ، قويَّ الجنان ، رابطَ الجأش ، وله في الشُّجعان اسمٌ مشهورٌ ووصفٌ مذكورٌ ، يعجزُ الواصفُ عن وَصف صِفاته ، رضي الله عنه وأَرضاه .

- **وسعدُ بن أَبي وقّاص الزُّهري الأَنصاريّ ، رضي الله عنه**[1] :

كان فارساً بطلاً رامياً ، وهو أَوَّلُ مَن رَمى في سبيل الله بِسَهمٍ .

ولمّا قُتل عُثمان بن عفّان رضي الله عنه اعتزلَ ، ولم يشهدِ الحربَ بَعدَه ، ومات حَتْفَ أَنفه .

- **أَبو دُجانة الأَنصاري ، رضي الله عنه**[2] :

الَّذي خرجَ يتبخترُ بين الصَّفَّين ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام : «إِنَّها لَمِشْيَةٌ يُبْغضُها اللهُ تَعالى إِلا في هذا المَوْضع» .

- **والمُثَنَّى بن حارِثة الشَّيْباني ، رضي الله عنه**[2] :

هو أَوَّل من فَتح حربَ الفُرس .

- **وأَبو عُبيد بن مسعود الثَّقفي ، رضي الله عنه**[2] :

قاتَلَ القومَ يومَ قُسِّ النّاطِف في حرب القادِسيَّة .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٢) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٣) .

- **وعمّار بن ياسر ، رضي الله عنه**[1] :

صاحبُ رسول الله ﷺ الَّذي قال فيه رسول الله ﷺ : «الحقُّ يَدورُ مع عمّار حيثُ دارَ» . وأَخبرَ أنّه تقتُله الفِئَةُ الباغيةُ ، فَقُتِلَ بصِفِّين مع عليٍّ رضي الله عنه .

- **هاشِمُ بن عُتْبَة ، رضي الله عنه**[1] :

من أَكابر الشُّجعان ، صاحبُ رايةِ عليٍّ رضي الله عنه بِصِفِّين .

- **مالكُ بن الحارث النَّخَعيّ ، الأَشتر رضي الله عنه**[1] :

ماتَ مَسموماً في شَرْبَةٍ من عَسَلٍ ، فقال مُعاوية : إِنَّ لله جُنوداً منها العَسل .

- **القعقاعُ بن عَمرو**[1] :

- طاعِنُ الفِيلِ في عَشِيَّةِ القادسيَّة ، رضي الله عنه .

الطَّبقة الثّانية

- **عبدُ الله بن الزُّبير بن العوّام رضي الله عنه**[2] :

قاتِلُ جُرجير ملِك إِفريقيَّة الَّذي كان يَرى أَنَّه أَشجعُ أَهل عصرِه .

قال عُمر بن عبد العزيز لابن أَبي مُلَيْكة : صِفْ لي عبدَ الله بن الزُّبير ؛ فقال : والله ما رأَيتُ جِلْداً قطُّ رُكِّبَ على لَحْمٍ ، ولا لَحْماً على عَصَبٍ ، ولا عَصَباً على عَظْمٍ ، مثلَ جِلْدِه ولَحمه وعَصَبِه ، ولا رأَيتُ نَفْساً بين جَنبين مثلَ نَفْسٍ رُكِّبَتْ بين جَنبيه ؛ ولقد قامَ يوماً إِلى الصَّلاةِ ، فمرَّ حَجَرٌ من حِجارة المِنجنيقِ بين لَحْيَيْهِ وصَدره ، فوالله ما خَشَعَ له بَصَرُهُ وقَطَعَ له قِراءتَه ، ولا رَكعَ دونَ الرُّكوع الَّذي كان يَركع .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٣) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٢٠ و٤٧٠ و٤٨٤) .

قتله الحجّاجُ بعد أن حُوصر بمكَّةَ ، وأسلمَه أصحابُه وعَشيرتُه ، وصَلَبَهُ الحجّاج ؛ أَلا إلى اللهِ تَصيرُ الأُمور .

- **أَبو هاشم محمَّد بن عليٍّ بن أَبي طالبٍ ، ابنُ الحَنَفِيَّة ، رضي الله عنه**[1] :

كان أبوه يُلْقيه في الوقائِع ويتَّقي بهِ العَظائم ، وهو شديدُ البأسِ ، ثابتُ الجنان . قيل له يوماً : ما بالُ أَمير المؤمنين عليّ كرَّم الله وَجهه يُقْحِمُكَ الحروبَ دون الحسنِ والحُسين رضي الله عنهما؟ فقال : لأَنَّهما كانا عَينيه وكنتُ أَنا يديه ، فكان يتَّقي عينيه بِيَدَيه .

وقيل[2] : إنَّ أَباه عليّاً رضي الله عنه اشترى دِرْعاً فاستَطالها ، فأَراد أَن يقطعَ منها ، فقال له محمَّد : يا أَبَتِ ، عَلِّم مَوضِعَ القَطعِ ؛ فَعَلَّمَ على مَوضعٍ منها ، فقبضَ محمَّدٌ بيده اليُمنى على ذَيلها ، وبالأُخرى على مَوضع العلامة ، ثم جَذَبَها ، فقَطعها من الموضع الذي حَدَّه أَبوه .

وكان عبدُ الله بن الزُّبير مع تَقَدُّمه في الشَّجاعة يحسدُه على قُوَّته ، وإِذا حُدِّثَ بهذا الحديث غَضِبَ .

مات حَتْفَ أَنْفِه بِشِعْبِ رَضْوى .

- **عبدُ الله بن خازم السُّلَميّ ، رضي الله عنه**[3] :

والي خُراسان ، شَجيعُ مُضَر وفارسُها في عَصره ، قَتله وَكيعُ بن أَبي سُود بخُراسان في الفِتنة .

- **وكيعُ بن أَبي سُود**[3] :

قاتِلُ عبدِ الله بن خازم المتقدِّم ذِكره ، شُجاعٌ فاتِكٌ أَهوجُ وَلي خُراسان .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٤) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٢٢١) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٢٢) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٧٧ و٤٨٤) .

قيل : لمّا قَتل عبدَ الله بن خازم ، ولم يتمَّ أَمرُه لِهَوجِهِ ، مات حَتْفَ أنفه .

- **مصعبُ بن الزُّبير بن العوَّام**[1] :

شُجاعُ بطلٌ جَوادٌ ، جادَ بماله وبنفسه ، قَتله عُبيد الله بن زيَاد في الحروب الَّتي كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان .

- **عُمير بن الحُباب السُّلَمي**[2] :

فارسُ الإِسلام ؛ قَتله بَنُو تغلب في الحرب الَّتي كانت بينهم وبين قَيس .

- **مَسْلَمَةُ بن عبد الملِك بن مروان**[3] :

فَحْلُ بَني أُمَيَّة ، وفارسُها ، ووالي حُروبها .

قيل : إِنَّه جَلسَ يوماً ليقضيَ بين النّاس بمصرَ ، فكلَّمته امرأَةٌ ، فلم يُقبلْ عليها ، فقالت : ما رأَيتُ أَقلَّ حياءً من هذا قَطُّ ؛ فكشفَ عن ساقِه فإِذا فيها أَثَرُ تِسْعِ طَعناتٍ ؛ فقال لها : هل تَرين أَثَرَ هذا الطَّعن ، واللهِ لو أَخَّرْتُ رِجلي قيد شِبْرٍ ما أَصابَتني واحدةٌ منهنَّ ، وما منَعني من تأخيرِها إِلا الحياءُ ، وأَنتِ تَنْحليني قِلَّتَهُ! .

- **المعتصم**[4] :

بطلٌ شُجاعٌ ، فارسٌ صِنديدٌ ، لم يكن في بَني العبّاسِ أَشجعَ منه ولا أَشَدَّ قَلْباً .

قال ابنُ أَبي دواد : كان المعتصمُ يقولُ لي : يا أَبا عبد الله ، عضَّ على ساعِدي بأَكثر قُوَّتِكَ ؛ فأَقول : واللهِ يا أَمير المؤمنين ، ما تَطيبُ نَفْسي بذلك ،

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٤ و٤١١) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٥) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٦ و٤٢٣) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٩ و٤٢٣) .

فيقول : إنَّه لا يَضُرُّني ؛ فأَرومُ ذلك ، فإذا هو لا تعملُ فيه الأَسِنَّةُ ، فكيف تَعملُ فيه الأَسْنان! .

ويُقال : إنَّه طَعَنَهُ بعضُ الخوارجِ ، وعليه دِرْعٌ ، فأَقام المعتصم ظَهْرَه ، فقَصم الرُّمحَ نِصْفَين .

• وكان يَشُدُّ يدَه على كِتابة الدِّينار فَيمحوها ، ويأخذُ عَمود الحديدِ فَيلويهِ حتَّى يصيرَ طَوْقاً في العُنق .

• **إبراهيم بن الأَشتر النَّخعي**[1] :

كان من الشُّجعان المَعدودين ، حارَبَ عُبيد الله بن زياد وهو في أَربعة آلاف ، وعُبيدُ الله في سَبعين أَلفاً ، فظهرَ به وقتلَه بيده وهَزمَ جَيْشَهُ .

• **عُبيد الله بن الحُرِّ الجُعْفيّ**[2] :

شُجاعٌ شاعرٌ فاتِكٌ ، له وقائعُ عظيمةٌ هائلةٌ ، وأَخبارُه في الشَّجاعة مَشهورةٌ .

• **جَحدر بن رَبيعة العُكْلي**[2] :

• كان[3] بَطَلاً شُجاعاً فاتِكاً مُغيراً شاعِراً ، قَهر أَهل اليمامة ، وأَبادَهم ، فبلغ ذلك الحجَّاجَ بن يوسف ، فكتبَ إِلى عامِله يُوَبِّخُهُ بِتَغَلُّبِ جحدرٍ عليه ، ويأمرُهُ بالتَّجَرُّدِ له حتَّى يقتلَه أَو يحملَه إِليه أَسيراً ، فوجَّهَ العاملُ إِليه فِتْيَةً من بني حَنظلة ، وجعلَ لهم جُعْلاً عَظيماً إِن هم قَتلوا جَحْدراً أَو أَتوا به أَسيراً ، فتوجَّهَ الفِتيةُ في طَلبه حتَّى إِذا كانوا قريباً منه أَرسلوا يقولون له : إِنَّهم يُريدون الانقطاعَ إِليه والارتفاقَ به ؛ فوثقَ بذلك منهم ، وسَكن إِلى قَولهم ، فبينما هو معهم يوماً إِذ وَثبوا عليه فَشَدُّوه وَثاقاً ، وقَدِمُوا به على العامِل ، فوجَّه به إِلى الحجّاج

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٠٨ و٤٨٦) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٦) .

(٣) الجليس والأنيس (٣/ ٨٧) والموفقيات (١٧٢) .

معهم ، فلمّا قَدِموا به عليه ومَثَلَ بين يَديه قال له : أَنت جَحدر؟ قال : نعم ، أَصلحَ اللهُ الأَمير ؛ قال : ما جَرّأَكَ على ما بَلَغني عنك؟ قال : أَصلح الله الأَميرَ ، كَلَبُ الزَّمان ، وجَفْوَةُ السُّلطانِ ، وجُرْأَةُ الجَنان ؛ قال : وما بلغَ من أَمرك؟ قال : لو ابتَلاني الأَميرُ ، وجَعلني مع الفُرسان ، لرأَى منّي ما يُعجبه ، قال : فتعجَّبَ الحجّاجُ من ثَبات عَقْلِهِ ، ومَنطقه ، ثم قال : يا جَحدر ، إنّي قاذفٌ بكَ في حاجِرٍ فيه أَسَدٌ عَظيمٌ ، فإن قتلَكَ كَفانا مؤونتك ، وإن قتلتَه عَفَوْنا عَنكَ . قال : أَصلحَ اللهُ الأَمير ، قَرُبَ الفَرَجُ إن شاء الله تعالى ؛ فأُمر به ، فَصَفَّدوه بالحديد ، ثم كتبَ إلى عاملِه أَن يرتادَ له أَسَداً ويحملَه إليه ، فتحيَّلَ العاملُ وارتاد له أَسَداً كان كاسِراً خَبِيثاً قد أَفنى عامَّةَ المواشي ، فتحيَّلوا حتَّى أَخذوه وصَيَّروه في تابوتٍ وسَحَبوه على عَجَلٍ ، فلمّا قَدِموا به على الحجّاج أَمر به فأُلقي في الحائِر ولم يطعمْ شيئاً ثلاثةَ أَيّامٍ حتى جاع واستكلَب ، ثم أَمر بجَحدرٍ أَن يُنزلوه إليه ، فأَعطوه سَيفاً وأَنزلوه إليه مُقَيَّداً ، وأَشرفَ الحجّاجُ والنّاسُ حوله يَنظرون إلى الأَسد ما هو صانعٌ بجَحدر ، فلمّا نظرَ الأَسد إلى جَحدرَ نهضَ ووثَبَ وتمطَّى ، وزَعَقَ زَعقةً دَويت منها الجبالُ ، وارتاعَت أَهلُ الأَرضِ ، فشدَّ عليه جَحدرُ ، وهو ينشدُ ويقولُ[1] : [من الرجز]

لَيثٌ وَلَيثٌ في مَجالٍ ضَنْكِ ... كِلاهُما ذو قُوَّةٍ وسَفْكِ
وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَتْكِ ... إنْ يَكْشِفِ اللهُ قِناعَ الشَّكِّ
فَأَنْتَ لي في قَبْضَتي وَمُلْكي

ثم دَنا منه وضَربه بسيفِه ففَلَقَ هامَتَهُ ، فكبّرَ النّاسُ ، وأَعجبَ الحجّاجَ ذلك ، وقال : للهِ دَرُّكَ ما أَنْجَبَكَ ؛ ثم أَمر به ، فأُخرج من الحائِر وفُكَّ عنه قُيودُه ، وقال له : اخترْ إمّا أَن تُقيمَ معنا فنُكرمَك ، ونقرِّبَ من مَنزلتك ؛ وإمّا

(١) أشعار اللصوص (٢/ ٩٦) .

أَن نأذنَ لك ، فتلحقَ ببلادك وأَهلك على أَن تضمنَ لنا أَن لا تُحدث بها حَدَثاً ، ولا تُؤذي بها أَحداً ؛ قال : بل أَختارُ صُحبتَك أَيُّها الأَمير ؛ فجعلَه من سُمّاره وخَواصِّه ، ثم لم يلبثْ أَن ولاّهُ على اليمامةِ . وكان من أَمره ما كانَ .

● **المُهَلَّبُ بن أَبي صُفْرَة**[1] :

كان من الشُّجعان ، ومن الأَبطالِ المعدودة ، وأَولاده كُلُّهم أَنجادُ أَبطالٍ ، إلا أَنَّ المُغيرة من بينهم كان أَشَدَّ تمكُّناً ؛ وكان المُهَلَّبُ يقول : ما شَهِدَ معي المُغيرةُ حَرْباً إِلا رأَيتُ البُشرى في وَجهِه .

وحَمل عليه بعضُ الشُّجعان ، وفي يديه شَجرةٌ ، فلمّا رآها نَكَّسَ رأْسَهُ على قَرَبُوس السَّرْجِ ، وحَمَلَ مِنْ تَحْتِها فبَرَاها بِسَيفه .

وكان[2] المُهَلَّبُ يقولُ : أَشجعُ النَّاسِ ثلاثةٌ : ابنُ الكَلْبِيَّة ، وأَحمرُ قُريش ، وراكبُ البَغلةِ ؛ فابنُ الكلبِيَّة : مُصعب بن الزُّبير ، وأَحمر قريش : عُمر بن عُبيد الله بن مَعمر ، ما لَقي خيلاً قطُّ إلا فرَّقَها ، وراكبُ البغلة : عبّادُ ابن الحُصين ، ما كان قطُّ في كُرْبَةٍ إِلا فَرَّجَها ، وهو من فُرسان الإِسلام .

كان للمُهَلَّبِ في الحروبِ مَكايدُ مَشهورةٌ ، ووقائِعُه أَبادت الخوارجَ بعد أَن كانوا قد استولوا على المسلمين .

وكان سَيِّداً كريماً ، مات حَتف أَنفه ، وكذلك ابنُه المغيرة ؛ وفيه يقولُ زيادُ الأَعجم[3] : [من الكامل]

مـاتَ المُغيـرةُ بَعْـدَ طُـولِ تَعـرُّضٍ ... لِلْقَتْـلِ بَيْـنَ أَسِنَّـةٍ وَصَفـائِـحِ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٧ و٤١٢) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤١١) .
(٣) ديوانه (٨٩) .

- وكان في **الخوارجِ** فوارسُ مَشهورةٌ لا تَثبتُ لهم الرِّجال ، وذِكرُهم يطولُ ، ويَخرج عمّا أَردناه . فمنهم :
- **أَبو بلال مِرداس**[1] : خرجَ في أَربعين فهزَم أَلفين .
- **وشَبيب الخارجي**[1] :

الَّذي غَرِق في الفُرات ، نَذرت امرأَتُه غَزالة أَن تُصَلِّي في جامع الكوفة رَكعتين ، تقرأُ في الأُولى البَقرة وفي الثّانية آل عمران ، فعبَر بها جِسرَ الفُرات وأَدخلها الجامعَ ، ووقفَ على بابِه يَحميها حتَّى وَفت بِنَذْرها ، والحجّاجُ في الكوفة في خَمسين أَلفاً .

- ومنهم : **قَطريّ بن الفُجاءة**[2] :

كان رأسَ الخوارج ، وخاطَبوه بأَمير المؤمنين ، وعَظّموهُ وبَجَّلوه ، وأَشعارُه في الشَّجاعة تدلُّ على مَكانِه منها ، قُتل في بعضِ وقائِع الخوارج .

الطَّبقة الثَّالثة

- **معنُ بن زائدة الشَّيباني**[2] : قتلَه الخوارجُ بسجِستان في أَيّام المَهدي .
- **الوليدُ بن طَريف الشَّيباني**[2] : قَتله يَزيد بن مَزْيَد .
- **عمر بن حَفْص**[3] :

كان من الفُرسان المعدودة ، نُقِلَ عنه أَنَّه كان يَتَصَيَّدُ ، فَتَتَبَّعَ حِمارَ وحشٍ ، وما زالَ يركضُ إِلى أَن حاذاهُ ، فجمعَ رجليه ووثَب من على فَرسه وصار على ظهر حِمار الوحش ، وصار يَحُزُّ عُنقَه بسيفٍ أَو سكِّينٍ في يَدِه حتَّى قَتله .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٧) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٨) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٨) وفي الأصول : عمرو بن حنيفة . خطأ .
وهو عمر بن حفص هزارمرد ، وهو حفص بن عثمان بن قبيصة أخي المهلّب (التذكرة) .

• **أَبو دُلَف القاسمُ بن عِيسى العِجْليّ**[1] :

فارسٌ بطلٌ ، شاعرٌ ، نديمٌ ، جامعٌ لما تفرَّق في غيره ، طعنَ فارسَين رَديفين ، فأَنفذَ الرُّمْحَ من ظَهريْهِما ، وحَمل برُمحه أَربعة نَفرٍ ؛ وفيه يقول بَكْر ابن النَّطّاح[2] : [من الكامل]

قَالُوا وَيَنْظِمُ فَارِسَيْنِ بِطَعْنَةٍ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ وَلا يَرَاهُ جَلِيلا
لا تَعْجَبُوا لَوْ كَانَ مَدُّ قَنَاتِهِ ... مِيْلاً إِذاً نَظَمَ الفَوارِسَ مِيْلا

وسأَله[3] يوماً رجلٌ شيئاً ؛ فقال له : أَتسأَلُ وَجَدُّكَ القائل[4] : [من الطويل]

وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنّا يَعِشْ بِحُسامِهِ ... وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِن سائِرِ النّاس يَسْأَلِ
وإِنّا لَنَلْهُو بالسُّيوفِ كَما لَهَتْ ... فَتاةٌ بِعِقْدٍ أَو سَخابِ قَرَنْفُلِ

فخرجَ الرَّجلُ ، فَجَرَّدَ سَيفَهُ ، فلم يصادفْه في طَريقه إِلا وكيلٌ لأَبي دُلَف ومعه مالٌ جزيلٌ ، فاستَلَبَهُ منه وقتَله ، فبلغَ الخبرُ أَبا دُلف فقال : دَعوه ، فإِنِّي عَلَّمتُه على نفسي .

• **بكرُ بن النَّطّاح** :[5] بطلٌ شجاعٌ ، فارسٌ فاتكٌ ، له أَشعارٌ مشهورةٌ ، وأَخبارٌ مذكورةٌ .

وممّا جاء في مَدح السَّيف :

• قال[6] رسول الله ﷺ : «الخَيْرُ في السَّيف ، والخَيرُ مَعَ السَّيْفِ ، والخَيْرُ بالسَّيفِ» .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٨) .
(٢) ديوانه (٢٥٧) (ضمن شعراء مقلّون) وربيع الأبرار (٤/ ٢٣٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢٤٠) .
(٤) هما لبكر بن النطاح في ديوانه (٢٥٨) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٥٩) . ولطاهر بن الحسين في المناقب والمثالب لريحان رقم (٧٤٥) . وبلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٢٤٠) .
(٥) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٨٩) .
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ٢٠٣) .

• وكان[1] صمصامةُ عَمرو [بن معدي كرب] أَشهرَ سُيوف العَرب ؛ وممَّن تَمَثَّلَ به نَهْشَل [بن حرِّي] ، فقال[2] : [من الطويل]

أَخٌ مـاجِـدٌ مـا خـانَنـي يَـوْمَ مَشْهَـدٍ كَما سَيْفُ عَمْروٍ لَمْ تَخُنْهُ مَضارِبُهْ

ولمّا وَهَبَه عَمروٌ لخالد بن سَعيد بن العاص عاملِ رسول الله ﷺ على اليَمن قال[3] : [من الوافر]

خَليلـي لَـمْ أَخُنْـهُ وَلَـمْ يَخُنِّـي إذا مـا صـابَ أَوْسـاطَ العِظـامِ
خَليلـي لَـمْ أَهَبْـهُ مِـن قِـلاهُ وَلكـنَّ المـواهِـبَ لِلكِـرامِ
حَبـوتُ بِـهِ كَـريمـاً مـن قُـريـشٍ فَسُـرَّ بِـهِ وَصِيْـنَ عـنِ اللِّئـامِ
وَوَدَّعْـتُ الصَّفِـيَّ صَفِـيَّ نَفْسـي علـى الصَّمْصـام أَضْعـافُ السَّـلامِ

ولم يزلْ في آل سَعيدٍ حتَّى اشتراهُ خالدُ بن عبد الله القَسْريّ بمالٍ جزيلٍ لهشام ، وكان قد كَتب إِليه فيه ، فلم يزلْ عند بَني مروان ، ثم طَلبه السَّفّاح والمنصورُ والمهديُّ ، فلم يَجدوهُ ، فجدَّ الهادي في طَلبه حتَّى ظفِرَ بهِ .

وكان مكتوباً عليه هذا البيت[4] : [من الكامل]

ذَكَـرٌ علـى ذَكَـرٍ يَصُـولُ بِصَـارِمٍ ذَكَـرٌ يَمـانٍ فـي يَميـنِ يَمـانـي

• وقال ابن الرُّومي[5] : [من السريع]

لَـم أَرَ شَيْئـاً حـاضِـراً نَفْعُـهُ لِلْمَـرْءِ كـالـدِّرْهَـمِ والسَّيْـفِ

---

(١) ثمار القلوب (٢/ ٨٨٥) وربيع الأبرار (٤/ ٢٠٣) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٧٢) والأغاني (١٥/ ٢١١) والعقد الفريد (١/ ١٨٠) والزيادات لازمة .
(٢) ديوانه (٨٦) (ضمن شعراء مقلون) .
(٣) ديوان عمرو بن معدي كرب (١٦٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٢٠٦) وديوان عمرو (٢١٢) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٢٠٧) وديوانه (٤/ ١٥٨٥) .

يَقْضي لَهُ الدِّرْهَمُ حاجَاتِهِ والسَّيْفُ يَحميهِ مِن الحَيْفِ

• وقال زَيْدُ بن عليٍّ رضي الله عنهما[1] : [من البسيط]

السَّيْفُ يَعْرِفُ عَزْمي عِنْدَ هَزَّتِهِ والرُّمْحُ بي خَبِرٌ ، واللهُ لي وَزَرُ
إنّا لَنَأْمَلُ ماكانَتْ أَوائِلُنا مِنْ قَبْلُ تَأْمَلُهُ إنْ ساعَدَ القَدَرُ

• وقال عبدُ الله بن طاهر[1] : [من الطويل]

يَبيتُ ضَجيعي السَّيْفُ طَوْراً وَتارَةً تَعَضُّ بِهاماتِ الرِّجالِ مَضارِبُهْ
أَخو ثِقَةٍ أَرْضاهُ في الرَّوْعِ صاحِباً وَفَوْقَ رِضاهُ إنَّني أَنا صاحِبُهْ
وَلَيْسَ أَخو العَلْياءِ إلا فَتىً لَهُ بِها كَلَفٌ ما تَسْتَقِرُّ رَكائِبُهْ

• وقَدِمَ[2] عُروةُ بن الزُّبير على عبدِ الملِك بن مروان بعد قَتْلِ أَخيه عبد الله ، فطَلب منه سَيْفَ الزُّبير ، وقال له : رُدَّهُ عليَّ ، فإنَّه السَّيفُ الَّذي أعطاهُ رسول الله ﷺ له يوم حُنَيْن ، فقال له عبدُ الملك : أَوَ تعرفُه؟ قال : نعم . قال : بماذا؟ قال : أَعرفُهُ بما لا تَعرفُ به سَيْفَ أَبيك ، أَعرفُه بقولِ الشّاعر[3] : [من الطويل]

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائِبِ

• وقال الأَجدع الهَمْدانيّ[4] : [من الطويل]

لَقَدْ عَلِمَتْ نِسْوانُ هَمْدانَ أَنَّني لَهُنَّ غَداةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَذُولِ
وَأَبْذُلُ في الهَيْجاءِ وَجْهي وإِنَّني لَهُ في سِوى الهَيْجاءِ غَيْرُ بَذُولِ

• وقال آخر[5] : [من البسيط]

---

(١) له في ربيع الأبرار (٤/ ٢٣٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/٢٥٨) .
(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه (٦٠) .
(٤) له في ربيع الأبرار (٤/ ١٩٩) .
(٥) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/٢٣٨) .

عِشْرونَ أَلْفَ فَتىً ما مِنْهُمُ أَحَدٌ   إلا كَأَلْفِ فَتىً مِقْدامَةٍ بَطَلِ
راحَتْ مَزاوِدُهُمْ مَمْلُوءَةً أَمَلاً   ففَرَّغُوها وأَوْكَوْها مِنَ الأَجَلِ

ومن أَخبار الشُّجعان ما حكاهُ الفضْل بن يَزيد :

• قال : نزلَ علينا بنو تَغلب في بعضِ السِّنين ، وكنتُ مَشغوفاً بأَخبار العرب أَن أَسمعَها وأَجمعَها ، فبينما أَنا أَدورُ في بعض أَحيائهم إِذا أَنا بامرأَةٍ واقفةٍ في فناءِ خِبائها ، وهي آخذَةٌ بيدِ غُلامٍ قَلَّما رأَيتُ مثلَه في حُسنه وجَماله ، له ذُؤابتان كالسَّبَجِ المنظوم ، وهي تُعاتبه بلسانٍ رَطْبٍ وكلامٍ عَذْبٍ ، تَحِنُّ إِليه الأَسماعُ ، وتَرتاحُ له القُلوبُ ؛ وأَكثرُ ما أَسمعُ منها : أَي بُنَيَّ ؛ وهو يبتسمُ في وَجهها ، قد غلبَ عليه الحياءُ والخَجَل ، كأَنَّهُ جاريةٌ بِكْرٌ لا يَرُدُّ جواباً ، فاستحسنتُ ما رأَيتُ ، واستَحْلَيْتُ ما سمعتُ ، فدنوتُ منه وسلَّمتُ ، فردَّ عليَّ السَّلام ، فوقفتُ أَنظرُ إِليهما ، فقالت : يا حَضَريُّ ، ما حاجَتُك؟ فقلت : الاستكثارُ ممّا أَسمعُ ، والاستمتاعُ بما أَرى من هذا الغُلام ؛ فقالت : يا حَضَرِيُّ ، إِن شِئتَ سُقْتُ إِليكَ من خَبره ما هو أَحسنُ من مَنظره ؛ فقلت : قد شئتُ ، يَرحمكِ الله ؛ فقالت : حَمَلْتُهُ والرِّزْقُ عَسِرٌ ، والعَيْشُ نَكدٌ ، حَمْلاً خَفيفاً ، حتَّى مَضَت له تسعةُ أَشهر ، وشاءَ الله عزَّ وجلَّ أَن أَضَعه ، فوضعتُه خَلْقاً سَوِيّاً ، فَوَرَبِّكَ ما هو إِلا أَن صار ثالثَ أَبويه حتَّى أَفْضَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ وأَعطى ، وأَتى من الرِّزقِ بما كَفى وأَغنى ، ثم أَرضعتُه حَولين كاملين ، فلمّا استَتَمَّ الرَّضاع نَنَلْتُه من خِرَقِ المهدِ إِلى فِراشِ أَبيه ، فَرُبِّيَ كأَنَّهُ شِبْلُ أَسَدٍ ، أَقيهِ بَرْدَ الشِّتاءِ ، وحَرَّ الهَجير ، حتَّى إِذا مَضَت له خمسُ سِنين أَسْلَمْتُهُ إِلى المُؤَدِّبِ ، فَحَفَّظَهُ القُرآن فَتلاه ، وعلَّمَهُ الشِّعرَ فَرواه ، ورَغِبَ في مَفاخر قَومه وآبائه وأَجداده ، فلمّا أَن بلغَ الحُلم ، واشتدَّ عَظْمُهُ ، وكَملَ خَلْقُه ، حَمَلْتُهُ على عِتاقِ الخيلِ ، فَتفَرَّسَ وَتَمَرَّسَ ، ولبسَ السِّلاحَ ، ومَشى بين بُوَيْتات الحَيِّ الخُيَلاء ، فأَخذَ في قِرى الضَّيفِ وإِطعام الطَّعام ، وأَنا عَليه وَجِلَةٌ ، أُشفق عليه

من العُيونِ أَن تُصيبَهُ ، فاتَّفَقَ أَن نزلْنا بِمَنْهَلٍ من المناهل بين أَحياء العرب ، فخرجَ فِتيان الحيِّ في طَلب ثأرٍ لهم ، وشاء اللهُ تعالى أَن أَصابتْهُ وَعْكَةٌ شَغَلَتْهُ عن الخُروج ، حتَّى إِذا أَمعنَ القومُ ، ولم يبقَ في الحيِّ غيرُه ، ونحنُ آمنون وادعُون ، ما هو إِلا أَن أَدبرَ اللَّيل وأَسفرَ الصَّباح حتَّى طَلَعَتْ علينا غُرَرُ الجياد وطَلائع العدوِّ ، فما هو إِلا هُنَيهةٌ حتَّى أَحرزوا الأَموال دون أَهلها ، وهو يَسأَلني عن الصَّوت ، وأَنا أَسترُ عنه الخبرَ إِشفاقاً عليه وضَنّاً به ، حتَّى إِذا علت الأَصواتُ وبرزَت المُخَدَّرات رَمى دثاره وثار كما يثُور الأَسد ، وأَمر بإِسراجِ فَرسه ، ولبسَ لأْمَةَ حَرْبِهِ ، وأَخذَ رُمحه بيده ، ولحق حُماة القوم ، فطَعن أَدناهم منه فَرمى به ، ولحق أَبعدَهم منه فقَتله ، فانصرفَت وُجوهُ الفُرسان ، فرأَوه صَبِيّاً صَغيراً لا مَدد وَراءَهُ ، فحَملوا عليه ، فأَقبل يَؤُمُّ البُيوت ؛ ونحن نَدعو اللهَ عزَّ وجلَّ له بالسَّلامة ، حتَّى إِذا مدَّهم وراءَه وامتدُّوا في أَثره عطَفَ عليهم ، ففرَّقَ شَمْلَهُمْ وشتَّتَ جَمْعَهم ، وقلَّلَ كَثْرَتَهم ، ومزَّقَهُم كُلَّ مُمَزَّق ، ومرقَ كما يمرُقُ السَّهم ، وناداهم : خَلُّوا عن المالِ ، فوالله لا رَجعتُ إِلا بِهِ ، أَو لأَهْلِكَنَّ دونَه ؛ فانصرفَت إِليه الأَقرانُ ، وتمايَلَت نحوه الفُرسان ، وتميَّزَت له الفِتيان ، وحملوا عليه وقد رَفعوا إِليه الأَسِنَّةَ ، وعَطفوا عليه بالأَعِنَّة ، فوثَب عليهم وهو يهدرُ كما يهدرُ الفَحْلُ من وراءِ الإِبل ، وجعلَ لا يحملُ على ناحيةٍ إِلا حطمها ، ولا كتيبَةٍ إِلا مزَّقها حتَّى لم يبقَ من القومِ إِلا مَن نَجا به فَرَسُهُ ، ثم ساقَ المالَ ، وأَقبلَ بهِ ، فكبَّرَ القومُ عند رُؤيته ، وفرحَ النَّاسُ بسَلامته ، فواللهِ ما رأَينا قطُّ يوماً كان أَسمحَ صَباحاً وأَحسنَ رَواحاً من ذلك اليوم ، ولقد سمعتُه يقولُ في وُجوه فَتَيات الحيِّ هذه الأَبيات[1] :

[من الطويل]

---

(١) خمسة أبيات منها في حماسة القرشي (١٣٧) بلا نسبة .

تَـأَمَّلْـنَ فِعْلـي هَـلْ رَأَيْتُـنَّ مِثْلَـهُ | إذا حَشْرَجَتْ نَفْسُ الجبانِ مِنَ الكَرْبِ
وَضـاقَـتْ عليه الأَرْضُ حتَّى كَـأَنَّهُ | مِنَ الخَوْفِ مَسْلوبُ العَزيمةِ والقَلْبِ
أَلَـمْ أُعْـطِ كُـلاًّ حَقَّـهُ وَنَصِيبَـهُ | مِنَ السَّمْهَرِيِّ اللَّدْنِ والمُرْهَفِ العَضْبِ
أَنا ابنُ أَبي هندِ بنِ قَيْسِ بنِ مالِكِ | سَليلُ المعالي والمكارِمِ والسَّيْبِ
أَبى لِيَ أَن أُعْطي الظُّلامَةَ مُرْهَفٌ | وَطِرْف قَوِيُّ الظَّهْرِ والجَوْفِ والجَنْبِ
وَعَزْمٌ صَحيحٌ لَوْ ضَرَبْتُ بِحَدِّهِ الْـ | ـجِبالَ الرَّواسي لانْحَطَطْنَ إلى التُّرْبِ
وَعِـرْضٌ نَقـيٌّ أَتَّقـي أَنْ أَعِيْبَـهُ | وَبَيْتٌ شَريفٌ في ذُرى تَغْلَبِ الغُلْبِ
فـإنْ لَـم أُقـاتِـلْ دُونَكُـنَّ وأَحْتَمـي | لَكُنَّ وأَحْميكُـنَّ بـالطَّعْـنِ والضَّرْبِ
فلا صَدَّقَ اللاّتي مَشَيْنَ إلى أَبي | يُهَنِّينَـهُ بـالفـارِسِ البَطَـلِ النَّـدْبِ

● وقال الشّاعر : [من الكامل]

آراؤُهُـمْ وَوُجـوهُهُـمْ وَسُيُـوفُهُـمْ | فـي الحـادِثـاتِ إذا دَجَـوْنَ نُجـومُ
مِنْهـا مَعـالِـمُ لِلْهُـدى وَمَصـابِـحٌ | تَجْلـو الـدُّجى والأُخْـرَيـاتُ رُجـومُ

● وقال آخر : [من الطويل]

فَـوارِسُ قَـوّالـونَ لِلْخَيْـلِ أَقْـدِمـي | وَلَيْـسَ علـى غَيْـرِ الـرُّؤُوسِ مَجـالُ
بِـأَيْـدِيهِـمُ سَمْـرُ العَـوالـي كَـأَنَّمـا | تَشيـبُ علـى أَطْـرافِهِـنَّ ذُبـالُ

● وقال آخر : [من الكامل]

قَـوْمٌ إذا اقْتَحَمـوا العَجـاجَ رَأَيْتَهُـمْ | شُمساً وَخِلْـتَ وُجـوهَهُـمْ أَقمـارا
لا يَعـدلـونَ بِـرِفْـدِهِـمْ عـن سـائِـلٍ | عَـدَلَ الـزَّمـانُ عَليهِـمُ أَو جـارا
وإذا الصَّـريـخُ دَعـاهُـمُ لِمُلِمَّـةٍ | بَـذَلـوا النُّفـوسَ وَفـارَقـوا الأَعمـارا

ذِكْرُ الجُبْنِ والجُبناء ، وأَخبارهم ، وما جاءَ عنهم :

● قد استعاذَ سيِّدُنا رسول الله ﷺ من الجُبن ، فقال : «اللَّهمَّ إِنِّي أَعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَنِ ، وأَعوذُ بكَ من العَجْزِ والكَسَل ، وأَعوذُ بكَ من الجُبْنِ والبُخْلِ ،

وأعوذُ بكَ من غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرِّجالِ» .

نعوذُ باللهِ ممّا استعاذَ منه سيِّدُ الخَلْقِ رسول الله ﷺ .

• ويَكفيك أَن يُقالَ في وَصْفِ الجَبان[1] : إن أَحَسَّ بعصفُورٍ طَارَ فُؤَادهُ ، وإِن طَنَّتْ بَعوضَةٌ طالَ سُهادُهُ ، يَفْزَعُ من صَرير الباب ، ويقلقُ من طَنين الذُّباب ، إن نَظَرْتَ إليه شَزْراً أُغْمِي عليه شَهْراً ، يَحْسبُ خُفوقَ الرِّياح قَعقعةَ الرِّماح .

• قال الشّاعر[2] : [من الطويل]

إذا صَـوَّتَ العُصفـورُ طـارَ فُـؤَادُهُ وَلَيْـثٌ حَـديـدُ النّـابِ عِنْـدَ الثَّـرائِـدِ

• وكان **حسّان بن ثابت** رضي الله عنه من الجُبناء[3] ، رُوي عن ابن الزُّبير أَنَّه قال : كان حسّان في فارعٍ ـ أُطُمٍ له ـ مع النِّساءِ يومَ الخَندق ، فأَتاهم في ذلك اليوم يَهوديٌّ يطوفُ بالحِصنِ ، فقالت صَفِيَّةُ بنت عبد المطَّلب رضي الله عنها : يا حَسّان ، إِنَّ هذا اليَهوديَّ كما تَرى يطوفُ بالحِصن ، وإِنِّي والله ما آمَنُهُ أَن يدلَّ على عَوراتِنا مَن وراءَهُ من اليهود ، فانزلْ إليه فاقتُلْهُ . فقال : يغفرُ الله لك يا بِنت عبد المطَّلب ، لقد عَرفتِ ما أَنا بصاحبِ هذا ؛ قال : فاعتجَرَت صَفِيَّةُ ، ثم أَخذَت عَموداً ونزلَتْ من الحِصْنِ ، فَضَرَبَتْهُ بالعَمود حتَّى قَتَلَتْهُ ، ورَجَعت إِلى الحِصْنِ ، فقالت : يا حَسّان ، قُمْ إِليه فاسلُبْهُ ، فإِنَّه ما مَنعني من

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٣٨) .

(٢) البيت لحرثان بن عمرو في أمالي القالي (٢/ ١٥٧) وبلا نسبة في عيون الأخبار (١/ ١٦٦) والعقد الفريد (١/ ١٤٣ و١٤٥) وديوان المعاني (١/ ١٧٤) .

(٣) الأغاني (٤/ ١٦٥) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٤٦) . قلت : لا صحَّة لما رواه بعضهم عن جُبن حسان ، ولو كان ذلك صحيحاً لعاب عليه رسول الله ﷺ فخره بشجاعته ، ولكنه كان مقطوع الأكحل لا يطيق حمل السيف بيُمناه ، وقد ذكر هذا في شعره : [ديوانه ٣٥٢] .

أَضَـرَّ بجسمـي مَـرُّ الـدُّهـورِ وخـانَ قـراعَ يـدي الأَكحـلُ
وقـد كنـتُ أَشهـدُ عيـن الحـروبِ ويحمـرُّ فـي كَفِّـيَ المنصـلُ

سَلبه إلا أَنَّه رَجُلٌ ؛ فقال : ما لي بِسَلْبِهِ مِن حاجةٍ .

● وقيل[1] : كان لفتىً من قُريشٍ جاريةٌ ، مَليحةُ الوجهِ ، حَسَنَةُ الأَدب ، وكان يُحبُّها حُبّاً شَديداً ، فأَصابَتْهُ إِضاقَةٌ وفاقَةٌ ، فاحتاجَ إِلى ثَمنها ، فحملَها إِلى العراق ، وكان ذلك في زمنِ الحجّاج بن يُوسف ، فابتاعَها منه الحجّاجُ فوقَعَت منه بمنزلةٍ ، فقدِمَ عليه فَتىً من ثَقيف من أَقاربه ، فأَنزلَه قريباً منه ، وأَحسنَ إِليه ، فدخل على الحجَّاج ، والجاريةُ تُكَبِّسُهُ ، وكان الفتى جَميلاً ، فجعلَت الجاريةُ تُسارقُهُ النَّظَرَ ، ففطِنَ الحجَّاجُ بها ، فوهَبها له ، فأَخذَها وانصرف ، فباتَت معه لَيلَتها وهَربت بغَلَسٍ ، فأَصبحَ لا يَدري أَينَ هي ، وبلغَ الحجَّاجَ ذلك ، فأَمر مُنادياً أَن ينادي : بَرِئَت الذِّمَّةُ ممَّن رأَى وصيفةً من صِفَتِها كذا وكذا ولم يُحضِرْها ؛ فلم يلْبَثْ أَن أُتيَ له بها ، فقال لها الحجّاج : يا عَدُوَّةَ الله ، كنتِ عندي من أَحَبِّ النَّاسِ إِليَّ ، فاخترتِ ابنَ عمِّي ، شابّاً حسنَ الوَجه ، ورأَيتُك تُسارقينَه النَّظَر ، فعلمتُ أَنَّك شُغِفْتِ به ، فَوهَبْتُكِ له ، فهربْتِ من لَيلتك؟ فقالت : يا سيِّدي ، اسمعْ قِصَّتي ، ثم اصنع بي ما شئتَ . قال : هاتي ولا تُخفي شيئاً . قالت : كنتُ للفتى القُرَشيِّ ، فاحتاجَ إِلى ثَمني ، فحملَني إِلى الكوفة ، فلمَّا قَرُبْنا منها دَنا منِّي فوقعَ عليَّ ، فسمعَ زَئيرَ الأَسد ، فوثَبَ واخترطَ سَيفَه وحملَ عليه ، وضَربَه ، فقَتله ، وأَتى برأسه ، ثم أَقبل عليَّ وما بَرَدَ ما عِنده ؛ ثم قَضى حاجَته ؛ وإِنَّ ابنَ عمِّك هذا الَّذي اخترتَه لي لمّا أَظلمَ اللَّيلُ قام إِليَّ ، فلمّا علا بَطني وقَعَتْ فأرَةٌ من السَّقف ، فضَرط ، ثم غُشي عليه ، فمَكث زماناً طويلاً وأَنا أَرُشُّ عليه الماءَ ، وهو لا يَفيقُ ، فَخِفْتُ أَن يموتَ ، فَتَتَّهِمَني به ، فهربتُ فَزَعاً منك . فما مَلكَ الحجّاجُ نفسَه من شِدَّةِ الضَّحك ، وقال : ويحك اكتُمي هذا ، ولا تُعلمي به أَحداً . قالت : على أَن

---

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٢٧ـ٤٢٨) .

لا تَرُدَّني إليه . قال : لكِ ذلك .

● وحدَّث[1] جارٌ لأَبي حَيَّة النُّمَيري قال : كان لأَبي حيَّة سيفٌ ليس بينَه وبين العصا فرقٌ ، وكان يُسَمِّيهِ لُعابَ المَنِيَّة ، فأَشرفتُ عليه ذات ليلةٍ وقد انتَضاهُ ، وهو واقفٌ على بابِ بيتِه ، وقد سمعَ حِسّاً في دارِه ، وهو يقولُ : أَيُّها المُغْتَرُّ بنا ، المُجترىءُ علينا ، بِئْسَ ـ واللهِ ـ ما اخترتَ لِنفسك ؛ خيرٌ قَليلٌ ، وسَيْفٌ صَقيلٌ ، وهو لُعابُ المَنِيَّةِ الَّذي سَمعتَ به ؛ اُخرجْ بالعَفْو عنك قبل أَن أَدخلَ بالعُقوبة عليك ؛ ثم فتحَ الباب على وَجَلٍ ، فإِذا كَلْبٌ قد خرجَ ، فقال : الحمدُ لله الذي مَسَخَكَ كَلْباً وكَفانا حَرْباً .

● وخرج[2] المعتصمُ يوماً إِلى بعضِ مُتَصَيَّداتِه ، فظهر له أَسَدٌ ، فقالَ لرجلٍ من أَصحابه أَعجَبه قِوامُه وسِلاحه وتَمام خَلْقِه : أَفيك خَيْرٌ يا رَجل؟ قال : لا ؛ فضحكَ المعتصمُ ، وقال : قَبَّحَ اللهُ الجَبان .

● ورأى[3] الاسكندرُ سَمِيّاً له لا يزال ينهزم ، فقال له : يا رجل ، إِما أَن تغيِّر فعلك وإِما أَن تغيِّر اسمك .

● ووقعَ[4] في بعضِ العساكر ضَجَّةٌ ، فوثَبَ خُراسانيٌّ إِلى دابَّتِه لِيُلْجِمَها ، فَصَيَّرَ اللِّجامَ في الذَّنب من الدَّهَشِ ، وقال يُخاطبُ الفَرَسَ : هَبْ جَبْهَتَكَ عَرَضَتْ ، فناصِيَتُكَ كيفَ طالَت! .

● وخرجَ[5] **أَسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكِلابي** في أَلَفين لِمُحاربةِ أَبي بِلال مِرداس ، وكان

---

(١) ثمار القلوب (٢/ ٩٦٩) وعيون الأخبار (١/ ١٦٨) والشعر والشعراء (٢/ ٧٧٤) وطبقات ابن المعتز (١٤٣) وربيع الأبرار (٤/ ٢٠٦) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٢٩) والأغاني (١٦/ ٣٠٧) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٤/ ٤٩٤) ومحاضرات الراغب (٢/ ١٨٤) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٩٦) وبهجة المجالس (٢/ ٢٠١) والبصائر والذخائر (١/ ٨٣) .

(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٢٠٢) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٩٦) والبصائر والذخائر (٧/ ٢٠٤) .

(٥) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٩٧) والعقد الفريد (١/ ١٤٨) وعيون الأخبار (١/ ١٦٣) ومحاضرات الراغب (٢/ ١٨٤) .

مِرداسُ في أَربعين ، فانهزمَ أَسلمُ منه ، فلامُوه على ذلك ، وذَمَّه ابنُ زِيادٍ ، فقال : لأَن يَذُمَّني ابنُ زيادٍ حَيّاً أَحَبُّ إِليَّ من أن يمدَحَني مَيتاً .

وكان أَسْلَمُ بعد ذلك إِذا خرجَ إِلى السُّوق ومَرَّ بِصبيانٍ صاحُوا به : أَبو بلال وَراءَك ؛ فَكَبُرَ ذلك عليه ، فشَكاهم إِلى ابن زياد ، فأَمر صاحبَ الشَّرِطَةِ أَن يَكُفَّهم عنه .

● وفي ذلك يقولُ بعضُهم شِعراً : [من الطويل]

يَقُولُ جَبانُ القَوْمِ في حالِ سُكْرِهِ ... وَقَدْ شَرِبَ الصَّهْباءَ : هَلْ مِن مُبارِزِ
وأَيْنَ الخُيُولَ الأَعْوجِيّاتُ في الوَغى ... أُنـازِلُ مِنْهُـمْ كُـلَّ لَيْـثٍ مُنـاهِـز
فَفي السُّكْرِ قَيْسٌ وابنُ مَعْدي وعامِرٌ ... وَفـي الصَّحْـوِ تَلْقـاهُ كَبَعْـضِ العَجـائِـزِ

● هذا ما انتهى إِلينا من هذا الباب ، والحمد لله الكريم الوهّاب ، وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأَصحابه الطَّاهرين ، والحمد لله ربِّ العالمين .

* * *



البابُ الثّاني والأربعون
في المَدْحِ والثَّناءِ ، وشُكْرِ النِّعمة ، والمُكافَأةِ
وفيه فُصولٌ

الفصل الأوَّل
في المَدْحِ والثَّناءِ

• المدحُ : وَصْفُ الممدوحِ بِأَخلاقٍ يُمْدَحُ عليها صاحبُها ، يكونُ نَعْتاً حَميداً ؛ وهذا يَصِحُّ من المولى في حقِّ عَبْدِهِ ؛ فقد قال الله تَعالى في حقِّ نَبيِّه أَيُّوب عليه الصَّلاة والسَّلام : ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص : ٣٨/ ٤٤] .

وقال تعالى لِنَبيِّه محمَّد ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٦٨/ ٤] .

وقال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون : ٢٣/ ١ـ٢] إلى آخر الآية .

فعلى هذا يجوزُ مدحُ الإِنسان بما فيه من الأَخلاق الحميدة .

• وأَمَّا[١] قولُه ﷺ : «إِذا رَأَيْتُمُ المادحين فاحْثُوا في وُجوهِهُمُ التُّرابَ» .

فقد قال العُتبيُّ : هو المدحُ الباطلُ والكذبُ ، وأَمّا مدحُ الرَّجل بما فيه فلا بأسَ به ؛ وقد مدحَ أَبو طالبٍ والعبّاسُ وحسّانُ وكعبٌ وغيرُهُم رسول الله ﷺ ولم يبلُغْنَا أَنَّه حثا في وَجْهِ مادحٍ تُراباً ، وقد مَدَحَ هو ﷺ المهاجرين والأَنصار رضي الله عنهم .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ١٥٥) .

وفي حَثْوِ التُّراب مَعنيان : أَحدُهما : التَّغليظُ في الرَّدِّ عليه ؛ والثّاني : كأَنَّه يُقال له : بفيك التُّرابُ .

● وكان[1] أَبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه إذا مُدِحَ قال : اللّهُمَّ أَنت أَعلمُ بي من نَفسي ، وأَنا أَعلمُ بنفسي منهم ، اللّهُمَّ اجعلْني خَيْراً مِمّا يَحسبون ، واغفرْ لي ما لا يَعلمون ، ولا تؤَاخذْني بما يَقولون .

● ومدحَ[2] ساريةُ بن زُنَيْم الدِّيلي رسول الله ﷺ ، وهو ساريةُ الَّذي أَمَّرَهُ عمرُ رضي الله عنه على السَّريَّة ، وناداه في خُطبته بقوله : يا ساريةَ الجَبَلَ الجَبَلَ ؛ فَمِن مَدْحِهِ في رسول الله ﷺ قولُه[3] : [من الطويل]

فَما حَمَلَتْ مِن ناقَةٍ فَوْقَ ظَهْرِها ... أَبَـرَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً مِـن مُحَمَّـدِ

وهو أَصدقُ بيتٍ قالَته العربُ .

● ومن[4] أَحسنِ ما مَدَحه به حسّانُ رضي الله عنه قولُه : [من الوافر]

وَأَحْسَـنُ مِنْـكَ لَـمْ تَـرَ قَـطُّ عَيْنـي ... وَأَجْمَـلُ مِنْـكَ لَـمْ تَلِـدِ النِّسـاءُ
خُلِقْـتَ مُبَـرّأً مِـنْ كُـلِّ عَيْـبٍ ... كَـأَنَّـكَ قَـدْ خُلِقْـتَ كمـا تشـاءُ

● ومن[5] أَحسن ما مدحه به عبدُ الله بن رَواحة الأَنصاريّ رضي الله عنه ، قوله : [من البسيط]

لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ فيـهِ آيـاتٌ مُبَيِّنَـةٌ ... كـانَـتْ بَـديهَتُـهُ تُنْبيـك بـالخَبَـرِ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ١٥٥) وأسرار الحكماء (٢٣) وعيون الأخبار (١/ ٢٧٦) ونثر الدر (٢/ ١٥) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٨١) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ١٥٦) وتاريخ الخلفاء (١٥٢ و١٥٣) .
(٣) أشعار اللصوص (١/ ٧١) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ١٥٦) والبيت في ديوانه (٣٧١) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ١٥٦) والبيت في ديوانه (١٦٠) .

• ولمَّا حَجَجْتُ وَزُرْتُهُ ﷺ ، تطفَّلتُ على جَنابهِ المعظَّم وامتدحتُهُ بأَبياتٍ مُطَوَّلةٍ ، وأَنشدتُها بين يديه بالحُجرة الشَّريفة تجاه الصُّندوق الشَّريف ، وأَنا مكشوفُ الرَّأْسِ ، وأَبكي ؛ من جُملتها : [من الكامل]

يا سَيِّدَ السَّاداتِ جِئْتُكَ قاصِداً ... أَرْجو رِضاك وأَحْتَمي بِحماكا
واللهِ يا خَيْرَ الخَلائِقِ إِنَّ لي ... قَلْباً مَشُوقاً لا يَرومُ سِواكا
وَوَحَقِّ جاهِكَ إِنَّني بِكَ مُغْرَمٌ ... واللهُ يَعْلَمُ أَنَّني أَهْواكا
أَنْتَ الَّذي لولاكَ ما خُلِقَ امْرُؤٌ ... كَلا ولا خُلِقَ الورى لَوْلاكا
أَنْتَ الَّذي مِن نُورِكَ البَدْرُ اكْتَسى ... والشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ بِنُورِ بَهاكا
أَنْتَ الَّذي لمَّا رُفِعْتَ إِلى السَّما ... بِكَ قَدْ سَمَتْ وَتَزَيَّنَتْ لِسُراكا
أَنْتَ الَّذي ناداكَ رَبُّكَ : مَرْحَباً ... وَلَقَدْ دَعاكَ لِقُرْبِهِ وَحَباكا
أَنْتَ الَّذي فينا سَأَلْتَ شَفاعَةً ... ناداكَ رَبُّكَ : لَمْ تَكُنْ لِسِواكا
أَنْتَ الَّذي لَمَّا تَوَسَّلَ آدمٌ ... مِنْ ذَنْبِهِ بِكَ فازَ وَهْوَ أَباكا[1]
وَبِكَ الخَليلُ دَعا فَعادَتْ نارُهُ ... بَرْداً وَقَدْ خَمَدَتْ بِنُورِ سَناكا
وَدَعاكَ أَيُّوبٌ لِضُرٍّ مَسَّهُ ... فَأُزيلَ عَنْهُ الضُّرُّ حينَ دَعاكا
وَبِكَ المسيحُ أَتى بَشيراً مُخْبِراً ... بِصفاتِ حُسْنِكَ مادِحاً لِعُلاكا
وَكذاكَ مُوسى لَمْ يَزَلْ مُتَوَسِّلاً ... بِكَ في القِيامَةِ مُرْتَجٍ لِنَداكا
والأَنْبياءُ وَكُلُّ خَلْقٍ في الورى ... والرُّسْلُ والأَمْلاكُ تَحْتَ لِواكا
لَكَ مُعْجِزاتٌ أَعْجَزَتْ كُلَّ الوَرى ... وَفضائِلٌ جَلَّتْ فَلَيْسَ تُحاكى
نَطَقَ الذِّراعُ بِسُمِّهِ لَكَ مُعْلِناً ... والضَّبُّ قَدْ لَبّاكَ حينَ أَتاكا
والذِّئْبُ جاءَكَ والغَزالَةُ قَدْ أَتَتْ ... بِكَ تَسْتَجيرُ وَتَحْتَمي بِحِماكا
وكذا الوحوشُ أَتَتْ إِليكَ وَسَلَّمَتْ ... وَشَكا البَعيرُ إِليكَ حينَ رآكا

---

(١) كذا ، والوجه : × . . . وهو أبوكا .

وَدَعَـوْتَ أَشْجـاراً أَتَتْـكَ مُطيعـةً ... وَسَعَـتْ إِليـكَ مُجيبَـةً لِنِـداكـا
والمـاءُ فـاضَ بِـراحَتَيـكَ وَسَبَّحَـتْ ... صُمُّ الحَصى بالفَضْلِ في يُمْناكا
وَعَليكَ ظَلَّلَتِ الغَمامَةُ في الوَرى ... والجِـذْعُ حَـنَّ إِلـى كَـريـمِ لُقـاكـا
وَكـذاكَ لا أَثَـرٌ لِمَشْيِـكَ فـي الثَّـرى ... والصَّخْـرُ قَـدْ غـاصَـتْ بِـهِ قَـدَمـاكـا
وَشَفَيْتَ ذا العـاهـاتِ مـن أَمْـراضِـهِ ... وَمَـلأْتَ كُـلَّ الأَرْضِ مِـنْ جَـدْواكـا
وَرَدَدْتَ عَيْـنَ قَتـادةٍ بَعْـدَ العَمـى ... وابـنُ الحُصَيْـنِ شَفَيْتَـهُ بِشِفـاكـا
وكـذا حَبيـبٌ وابـنُ عَفْـرا عِنْـدَمـا ... جَـرَحـا شَفَيْتَهِمَـا بِلَمْـسِ يَـداكـا
وَعلـيٌّ مِـن رَمَـدٍ بِـهِ داوَيْتَـهُ ... فـي خَيْبَـرٍ فَشُفـي بِطِيْـبِ لَمـاكـا
وَسَأَلْتَ رَبَّكَ في ابْنِ جابِرَ بَعْدَما ... قَـدْ مـاتَ أَحْيـاهُ وَقَـد أَرْضـاكـا
وَمَسَسْـتَ شـاةً لأُمِّ مَعْبَـدَ بَعْـدَمـا ... نَشَفَـتْ فَـدَرَّتْ مـن شَفـا رُقْيـاكـا
وَدَعَـوْتَ عـامَ المَحْـلِ رَبَّـكَ مُعْلِنـاً ... فـانْهَـلَّ قَطْـرُ السُّحْـبِ عِنْـدَ دُعـاكـا
وَدَعَـوْتَ كُـلَّ الخَلْـقِ فـانْقـادوا إِلـى ... دَعْـواكَ طَـوْعـاً سـامِعيـن نِـداكـا
وَخَفَضْتَ دِيْنَ الكُفْرِ يا عَلَمَ الهُدى ... وَرَفَعْـتَ دِينَـكَ فـاسْتَقـامَ هُنـاكـا
أَعْداكَ عادوا في القَليبِ بِجَهْلِهِمْ ... صَرْعَى وَقَدْ حُرِمُوا الرِّضا بِجفاكا
فـي يـومِ بَـدْرٍ قـد أَتَتْـكَ مَـلائِـكٌ ... مِـن عِنـدِ رَبِّـكَ قـاتَلَـتْ أَعْـداكـا
والفَتْـحُ جـاءَكَ يَـوْمَ فَتْحِـكَ مَكَّـةً ... والنَّصْـرُ فـي الأَحْـزَابِ قـد وافـاكـا
هُـودٌ ويُـونُـس مـن بَهـاكَ تَجَمَّـلا ... وَجَمـالُ يُـوسُـفَ مـن ضِيـاءِ سَنـاكـا
قَـدْ فُقْـتَ يـا طَـهَ جَميـعَ الأَنْبيـا ... نُـوراً فَسُبْحـانَ الَّـذي سَـوَّاكـا
واللهِ يـا يـاسيـنُ مِثْلُـكَ لَـمْ يَكُـنْ ... فـي العـالَميـنَ وَحَـقِّ مَـن نَبَّـاكـا
عَـنْ وَصْفِـكَ الشُّعَـراءُ يـا مُـدَّثِّـرُ ... عَجِـزُوا وَكَلُّـوا عـن صِفـاتِ عُـلاكـا
إِنْجيـلُ عِيسـى قـد أَتـى بِـكَ مُخْبِـراً ... وَأَتـى الكِتـابُ لَنـا بِمَـدْحِ حُـلاكـا
مـاذا يَقـولُ المـادِحـونَ ومـا عَسـى ... أَنْ يَجْمَـعَ الكُتَّـابُ مِـن مَعْنـاكـا
واللهِ لَـوْ أَنَّ البِحـارَ مِـدادُهُـمْ ... والعُشْـبَ أَقْـلامٌ جُعِلْـنَ لِـذاكـا

لَـمْ تَقْـدِرِ الثَّقَـلان تَجْمَـعُ ذَرَّةً ... أَبَـداً ومـا اسْطـاعـوا لَـهُ إِدْراكـا
لـي فيـكَ قَلْـبٌ مُغْـرَمٌ يـا سَيِّـدي ... وَحُشـاشَـةٌ مَحْشُـو ةٌ بِهَـواكـا
فـإِذا سَكَـتُّ فَفيـكَ صَمْتـي كُلُّـهُ ... وإذا نَطَقْـتُ فَمـادِحٌ عُلْيـاكـا
وإذا سَمِعْـتُ فَعَنْـكَ قَـوْلاً طَيِّبـاً ... وإذا نَظَـرْتُ فَـلا أَرى إِلاَّكـا
يا مالِكي كُنْ شافِعي مِن فاقَتي ... إِنِّـي فَقيـرٌ فـي الـورى لِغِنـاكـا
يـا أَكْـرَمَ الثَّقَلَيْـنِ يـا كَنْزَ الـورى ... جُدْ لي بِجُودِكَ وارْضِني بِرِضاكا
أَنا طامِعٌ في الجُودِ مِنْكَ وَلَمْ يَكُنْ ... لابـنِ الخَطيـبِ مـن الأَنـامِ سِواكـا
فَعسـاكَ تَشْفَـعُ فيـهِ عِنْـدَ حِسـابِـهِ ... فَلَقَـدْ غَـدا مُسْتَمْسِكـاً بِعُـراكـا
وَلأَنْـتَ أَكْـرَمُ شـافِـعٍ وَمُشَفَّـعٍ ... وَمَـنِ الْتَجـا لِحِمـاكَ نـالَ وفـاكـا
فاجْعَلْ قِرايَ شَفاعةً لي في غَدٍ ... فَعَسى أُرى في الحَشْرِ تَحْتَ لِواكا
صلَّـى عليـكَ الله يـا خَيْـرَ الـوَرى ... مـا حَـنَّ مُشْتـاقٌ إِلـى مَثْـواكـا
وعلـى صَحـابَتِـكَ الكِـرامِ جَميعِهِمْ ... والتَّـابِعيـنَ وَكُـلِّ مَـنْ والاكـا

وماذا عسى أَن يقولَ المادِحون في وَصف مَن مَدَحَهُ اللهُ تعالى وأَثنىٰ عليه ، وقد قال ﷺ : «أَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ ، ولا فَخْر»؟ .

واللهِ لو أَنَّ البِحارَ مِدادٌ ، والأَشجارَ أَقلامٌ ، وجميعَ الخلائقِ كُتَّابٌ لَما استطاعوا أَن يَجمعوا النَّزرَ اليَسير من بعض صِفاته ، ولكَلُّوا عن الإِتيان ببعضِ بعضِ وَصْفِ مُعجزاته ﷺ .

● ومَدح[1] رجلٌ هشامَ بن عبدِ الملك ، فقال له : يا هذا ، إِنَّه قد نُهِيَ عن مَدْح الرَّجلِ في وَجهه ؛ فقال : ما مدحتُك ، ولكن ذَكَّرْتُك نِعَمَ الله عليكَ ، لِتُجَدِّدَ لها شُكراً ؛ فقال له هشامٌ : هذا أَحسنُ من المدح ؛ ووصَلَه وأَكرمَه .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/١٥٧) .

• وكتب[1] رجلٌ إلى عبد الله بن يَحيى بن خاقان : رأَيتُ نَفْسي فيما أَتعاطى من مَدْحِكَ كالمُخبر عن ضَوْءِ النَّهار الباهِرِ ، والقَمر الزَّاهِرِ ، وأَيقنتُ أَنِّي حيثُ أَنتهي من القَولِ منسوبٌ إلى العجز ، مُقَصِّرٌ عن الغاية ، فانصرفتُ عن الثَّناءِ عليك إلى الدُّعاءِ لك ، ووَكَلْتُ الإخبارَ عنكَ إلى عِلْمِ النَّاس بك .

• وقال نهار بن توسعة في رجلٍ من آل المُهَلَّب[2] : [من الطويل]

فَتـىً دَهْـرَهُ شَطْـرانِ فِيمـا يَنُـوبُـهُ ... فَفي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفي جُودِهِ شَطْرُ
فَلا من بُغاةِ الخَيْرِ في عَيْنِهِ قَذىً ... وَلا مِنْ زَئيرِ الحَرْبِ في أُذْنِهِ وَقْرُ

• وقال[3] أَعرابيٌّ لرجلٍ : لا يُذَمُّ بَلَدٌ أَنت تأْويهِ ، ولا يُشْتكى زَمانٌ أَنتَ فيه .

• وكان[4] الحجَّاجُ يَستثقلُ زياد بن عَمرو العَتكيّ ، فلمَّا قَدِم على عبد الملك ابن مروان قال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ الحجَّاجَ سَيْفُكَ الَّذي لا يَنبو ، وسَهْمُكَ الَّذي لا يَطيشُ ، وخادِمُكَ الَّذي لا تَأْخُذُه فيكَ لَوْمَة لائِمٍ ؛ فلم يكنْ بعد ذلك على قلبِ الحجَّاج أَخفَّ منهُ .

• وقال[5] رجلٌ لآخرَ : أَنتَ بُستان الدُّنيا ، فقال له : وأَنت النَّهْرُ الَّذي يُسقى منه ذلك البُستان .

• وقال[6] رجلٌ لأَبي عَمرو الزَّاهد صاحبِ كتاب «الياقوتة في اللُّغة» : أَنتَ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/١٥٧) .
(٢) البيتان له في ربيع الأبرار (٥/١٥٨) وبلا نسبة في التذكرة السعدية (١/١٠٧) والمناقب والمثالب لريحان رقم (١٤٥) .
وعبارة ب ، ط : وقال الحارث بن ربيعة! . والمثبت من آ وربيع الأبرار .
(٣) ربيع الأبرار (٥/١٥٨) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/١٥٨) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/١٥٨) .
(٦) ربيع الأبرار (٥/١٥٩) .

والله عينُ الدُّنيا ؛ فقال له : وأَنت والله بؤبؤُ تلكَ العَين .

● وقال القاسمُ بن أُميَّة بن أَبي الصَّلْت الثَّقفي[1] : [من الكامل]

قَـوْمٌ إذا نَـزَلَ الغَـريـبُ بِـدارِهِـمْ   تَـرَكُـوهُ رَبَّ صَـواهـلٍ وقِيـانِ
وإذا دَعَـوْتَهُـمُ لِيَـوْمِ كَـريهَـةٍ   سَـدُّوا شُعـاعَ الشَّمْـسِ بـالفُـرسـانِ

● وقال أَوس بن [حارثة بن لأْم] في حاتم الطَّائي[2] : [من الطويل]

فـإنْ تَنْكِحي مـاويَّةَ الخَيْرِ حـاتِمـاً   فَمـا مِثْلُـهُ فِينـا وَلا فـي الأَعـاجِـمِ
فَتـىً لا يَـزالُ الـدَّهْـرَ أَكْبَـرُ هَمِّـهِ   فِكـاكُ أسيـرٍ أَو مَعُـونَـةُ غـارِمِ

● وقال ابنُ حَمدون في آل المُهَلَّب[2] : [من الكامل]

آلُ المُهَلَّـبِ مَعْشَـرٌ أَمْجـادُ   وَرِثُـوا المَكـارِمَ والـوَفـاءَ فَسـادُوا
شـادَ المُهَلَّـبُ مـا بَنـى آبـاؤُهُ   وَأَتـى بَنُـوهُ مـا بَنـاهُ فشـادُوا
وكـذاك مـن طـابَـتْ مَغـارِسُ نَبْتِـهِ   وَبَنـى لَـهُ الآبـاءُ والأَجْـدادُ

● وكان[3] الفَرزدق هَجّاءً لِعُمر بن هُبَيْرَة ، فلمَّا سُجن ونُقِبَ له السِّجنُ ، وسارَ هو وبَنوه تحت الأَرض ، قال الفَرزدقُ : [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتَ الأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُها   وَلَـمْ يَبْـقَ إلاَّ بَطْنُهـا لَـكَ مَخْـرَجـا
دَعَـوْتَ الَّـذي نـاداهُ يُـونُـسُ بَعْـدَمـا   ثَـوى فـي ثَـلاثٍ مُظْلِمـاتٍ فَفَـرَّجـا

● قال ابنُ هُبَيْرَةَ : مارأَيتُ أَشرفَ من الفَرزدق ، هَجاني أَميراً ومَدحني أَسيراً .

---

(١) البيتان له في ربيع الأبرار (٥/ ١٥٩) والوحشيات (٢٦١) ومعجم الشعراء (٢١٣) والحماسة البصرية (١/ ١٣٤) ولكعب بن جعيل في لباب الآداب (٣٦٦) . وللأحوص في المناقب والمثالب رقم (٥٥٥) وليس في ديوانه . وبلا نسبة في عيون الأخبار (٣/ ١٥٢) والعقد الفريد (١/ ١٠٨) ولباب الآداب (٢٥٧) .
(٢) له في ربيع الأبرار (٥/ ١٦٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ١٦٣) والأغاني (٢١/ ٣١٢) .

• وقال سَرِيّ بن عبد الرَّحمن المَدَني في يزيد بن حاتم[1] [بن قبيصة] : [من الكامل]

يا واحِدَ العُرْبِ الَّذي دانَتْ لَهُ ... قَحْطانُ قاطِبَةً وَسادَ نِزارا
إِنِّي لأَرْجو إِنْ لَقيتُكَ سالِماً ... أَنْ لا أُعالِجَ بَعْدَكَ الأَسْفارا

• وقال[2] كعبُ بن مالِك الأَنصاري في آل هاشم : [من الكامل]

يا آلَ هاشِمٍ الإِلهُ حَباكُمُ ... ما لَيْسَ يَبْلُغُهُ اللِّسانُ المِقْصَلُ
قَوْمٌ لأَصْلِهِمُ السِّيادَةُ كُلُّها ... قِدْماً وَفَرْعُهُمُ النَّبِيُّ المُرْسَلُ

• وقال الحُسين بن دِعْبل الخُزاعيّ[3] : [من الكامل]

مَلَكَ الأُمورَ بجُودِهِ وَحُسامِهِ ... شَرَفاً يَقُودُ عَدُوَّهُ بِزِمامِهِ
فأَطاعَ أَمْرَ الجُودِ في أَمْوالِهِ ... وَأطاعَ أَمْرَ اللهِ في أَحْكامِهِ

• وقال آخر[4] : [من الكامل]

يَلْقى السُّيوفَ بِصَدْرِهِ وَبِنَحْرِهِ ... وَيُقيمُ هامَتَهُ مَقامَ المِغْفَرِ
وَيَقُولُ لِلطِّرْفِ : اصْطَبِرْ لِشَبا القَنا ... فَعَقَرْتُ رُكْنَ المَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ
وإِذا تَراءَى شَخْصُ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ ... مُتَسَرْبِلٍ أَثْوابَ مَحْلٍ أَغْبَرِ
أَوْمى إِلى الكَوْماءِ هذا طارِقٌ ... نَحَرَتْنِي الأَعْداءُ إِنْ لم تُنْحَري

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ١٦٤) . وفي الأصول : وقال سري بن عبد الرحمن الرفاء في خالد بن حاتم!! . والمثبت من ربيع الأبرار ، فهو مصدره .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ١٦٥) وديوانه (٢٦٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ١٦٥) .
(٤) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ١٦٦) وأمالي القالي (١/ ٤٣) . وللعلوي صاحب الزنج في التذكرة الحمدونية (٢/ ٤٣٦) والبصائر والذخائر (٤/ ٥٣) . وفي الحماسة البصرية (١/ ٢٠) لعبد الملك بن معاوية الحارثي أو الحجين بن حجر الغساني .

• وقال شاعرُ بني تَميم[1] : [من الوافر]

إذا لَبِسُوا عَمائِمَهُمْ طَوَوْها ... على كَرَمٍ وإن سَفَروا أَناروا
يَبِيعُ وَيَشْتَري لَهُمُ سِواهُمُ ... وَلَكِنْ بالطِّعانِ هُمُ تِجارُ
إذا ما كُنْتَ جارَ بَني تَميمٍ ... فَأَنْتَ لأَكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جارُ

• وقالت[2] امرأَةٌ من بني نُمَيْر ، وقد حَضَرَتْها الوفاةُ ، وأَهلُها مُجتمعون : مَن ذا الَّذي يقولُ[3] : [من الوافر]

لَعَمْري ما رِماحُ بَني نُمَيْرٍ ... بِطائِشَةِ الصُّدورِ وَلا قِصارِ

قالوا : زياد الأعجم . قالت : أُشهدُكم أَنَّ له الثُّلُثَ من مالي ؛ وكان مالاً كثيراً .

• وأَثنى رجلٌ عى رجلٍ ، فقال : هو أَفصحُ أَهلِ زَمانه إذا حَدَّثَ ، وأَحسنُهم استماعاً إذا حُدِّثَ ، وأَمسكُهم عن الملاحاةِ إذا خُولِفَ ، يُعطي صَديقَه النَّافلَةَ ولا يَسأَلُه الفَريضة ، له نَفْسٌ عن الفَحشاءِ مَحصورةٌ وعلى المعالي مَقْصورةٌ ، كالذَّهبِ الإِبريزِ الَّذي يعزُّ كُلَّ أَوانٍ ، والشَّمسُ المُنيرةُ الَّتي لا تَخفى بكلِّ مَكان ، هو النَّجم المُضيءُ للحَيران ، والمَنْهَلُ الباردُ العَذْبُ لِلعطشان .

• وقال الحسن بن هانىء[4] : [من الطويل]

إذا نَحنُ أَثْنَيْنا عَلَيْكَ بِصالِحٍ ... فَأَنْتَ كَما نُثْني وَفَوْقَ الَّذي نُثْني

---

(١) الأبيات للخريمي في ديوانه (٦٩) . وفي الحماسة البصرية (١/ ١٣٢) لأبي الطمحان القيني . والأول والثاني في ديوان المعاني (٢/ ٦٥) والتذكرة الحمدونية (٢/ ٤٢٥) لابن هرمة وهما في ديوانه (١٢٢) . وبلا نسبة في البصائر والذخائر (٧/ ١١٠) .
(٢) الأشباه والنظائر للخالديين (١/ ٩٩) ونثر الدر (٤/ ٥٢) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٣٢) و(٧/ ٢١٥) .
(٣) ديوان زياد الأعجم (١١٩) .
(٤) ديوان أبي نواس (١/ ١٢٩) (فاغنر) .

وإنْ جَرَتِ الأَلْفاظُ يَوْماً بِمِدْحَةٍ لِغَيْرِكَ إنْساناً فَأَنْتَ الَّذي نَعْني

• وله في الفَضْل بن الرَّبيع[1] : [من البسيط]

لَقَدْ نَزَلْتَ أَبا العَبَّاسِ مَنْزِلَةً ما إن تَرى خَلْفَها الأَبْصارَ مُطَّرَحا

وَكَلْتَ بالدَّهْرِ عَيْناً غَيْرَ غافِلَةٍ بِجُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّ ما جَرَحا

• وقال زياد الأعجم في محمَّد بن القاسم الثَّقفيّ[2] : [من الكامل]

إنَّ المنابِرَ أَصْبَحَتْ مُخْتالَةً بِمُحَمَّدِ بنِ القاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ

قادَ الجُيوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يا قُرْبَ سَوْرَةِ سُؤْدَدٍ مِن مَوْلِدِ

• ومن بدائع مَدائح المتنبّي قولُه[3] : [من البسيط]

لَيْتَ المدائِحَ تَسْتَوفي مَناقِبَهُ فَما كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ

خُذْ ما تَراه وَدَع شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ في طَلْعَةِ البَدْرِ ما يُغْنيك عَن زُحَلِ

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكانَ القَوْلِ ذا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِساناً قائِلاً فَقُلِ

• ومدح[4] أبو العتاهية عُمر بن العلاء ، فأَعطاه سبعين أَلفاً ، وخلع عليه خِلَعاً سَنِيَّةً ، حتَّى إنه لم يَستطع أَن يقومَ ، فغارَ الشُّعراء منه ، فجَمعهم وقال : يالله العجبَ ، ما أَشَدَّ حَسَدَ بعضِكم لبعضٍ ، إنَّ أَحَدَكُم يأتينا لِيَمْدَحَنا فيتغزَّلُ في قصيدته بخمسين بيتاً ، فما يبلغُنا حتَّى يذهبَ رَوْنَق شِعره ، وقد تشبَّب أَبو العتاهية بأَبياتٍ يَسيرةٍ ثم قال[5] : [من الكامل]

إنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمانِ وَصَرْفِهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الأَميرِ حِبالا

لَوْ يَسْتَطيعُ النَّاسُ مِن إجْلالِهِ جَعَلُوا لَهُ حُرَّ الوُجوهِ نِعالا

---

(١) ديوانه (١/ ١٨١) .
(٢) ديوانه (١٨٦) . وفي فتوح البلدان للبلاذري (٥٤٠) لحمزة بن بيض الحنفي .
(٣) ديوانه بشرحه المنسوب للعكبري (٣/ ٨٠ـ٨١) .
(٤) الأغاني (٤/ ٣٨) .
(٥) ديوانه (٦٠٥ـ٦٠٦) .

إنَّ المَطــايــا تَشْتكيــكَ لأَنَّهــا ... قَطَعَــتْ إِلَيْـكَ سَبـاسِبـاً وَرِمـالا
فــإِذا وَرَدْنَ بِنــا وَرَدْنَ خَفـائِفـاً ... وإِذا صَــدَرْنَ بِنـا صَــدَرْنَ ثِقــالا

• ووفد[1] أَبو نُواس على الخَصيب بمصر ، فأَذن له وعنده الشُّعراءُ ، فأَنشدَ الشُّعراء أَشعارَهم ، فلمَّا فَرغوا قال أَبو نُواس : أُنشدُ أَيُّها الأَمير قصيدةً هِي كعصا موسى تلقَفُ ما صنعوا؟ قال : أَنشدها ؛ فأَنشده قصيدَته الَّتي منها قوله[2] : [من الطويل]

إذا لَمْ تُزُرْ أَرضَ الخَصيبِ رِكابُنا ... فَـأَيَّ فَتَـىً بَعْـدَ الخَصيـبِ نَـزُورُ
فَتـىً يَشْتَـري حُسْـنَ الثَّنـاءِ بِمـالِـهِ ... وَيَعْلَـمُ أَنَّ الـدَّائـراتِ تَـدُورُ
فَمـا فـاتَـهُ جُـودٌ وَلا حَـلَّ دُونَـهُ ... وَلَكِـنْ يَسيـرُ الجُـودُ حَيْـثُ يَسيـرُ

فاهتزَّ الخَصيبُ لها طَرَباً ، وأَمر له بأَلف دينار ، ووصيفٍ ووصيفة .

• وحُكي[3] أَنَّ أَبا دُلَف سار يوماً مع أَخيه معقل ، فرأَيا امرأَتين تتماشيان ، فقالت إحداهما للأُخرى : هذا أَبو دُلَف؟ قالت : نَعم ، الَّذي يقولُ فيه الشَّاعر[4] : [من المديد]

إنَّمــا الــدُّنْيــا أَبــو دُلَــفٍ ... بَيْـــنَ بــادِيْــهِ وَمُحْتَضَــرِهْ
فـــإِذا وَلَّـــى أَبـــو دُلَـــفٍ ... وَلَّـــتِ الــدُّنْيــا عَلــى أَثَــرِهْ

فبكى أَبو دلف حتَّى جرت دُموعه ؛ فقال له مَعقل : ما لَكَ يا أَخي تبكي؟ فقال : لأَنِّي لم أَقضِ حقَّ الذي قال هذا ؛ قال : أَوَلم تعطه مئة أَلف درهم؟ قال : واللهِ ما في نَفْسي حَسرة إلاَّ لكوني لم أُعطه مئة أَلف دينار .

---

(١) الوافي بالوفيات (١٣/ ٣٢٣) .
(٢) ديوانه (١/ ٢٢١) .
(٣) الأغاني (٢٠/ ٢٢) .
(٤) ديوان العكوك (٦٨) .

• ويقال[1] : هذه المِدْحَة ، فأين المِنْحة؟

• قال بعضُهم[2] : [من الوافر]

إذا ما المَدْحُ صارَ بِلا نَوالٍ مِنَ المَمْدوحِ كانَ هُوَ الهِجاءُ

• وامتدح[3] محمَّد بن سُلطان المعروف بابن حَيُّوس ، محمَّدَ بنَ نصر صاحبَ حلب ، فأجازه بألف دينار ، ثم مات محمَّد بن نصر ، وقام ولدُه نَصْرٌ مقامَه ، فقصده محمَّد بن سُلطان بقصيدةٍ مَدحه بها منها[4] : [من الطويل]

تَباعَدْتُ عَنْكُمْ حُرْفَةً لا زَهادَةً وَسِرْتُ إِلَيْكُمْ حينَ مَسَّنيَ الضُّرُّ

فَجادَ أَبو نَصْرٍ بأَلْفٍ تَصَرَّمَتْ وإِنِّي عَليمٌ أَنْ سَيُخْلِفُها نَصْرُ

فلما فرغَ من إنشادها قال نصرٌ : واللهِ لو قال : سَيُضْعِفُها نَصْرُ لأَضْعفتُها له : وأَعطاه أَلف دينار في طَبَقِ فِضَّةٍ .

• ومدح بعض الشُّعراء ـ وقيل : هو البديعُ الهَمَذانيُّ ـ إنساناً فقال[5] : [من البسيط]

يَكادُ يَحْكِيهِ صَوْبُ الغَيْثِ مُنْسَكِباً لَوْ كانَ طَلْقَ المُحَيّا يُمْطِرُ الذَّهَبا

والدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ والشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ واللَّيْثُ لَوْ لَمْ يَصِدْ والبَحْرُ لَوْ عَذُبا

• وقال آخر : [من الطويل]

أَخو كَرَمٍ يُفْضي الوَرى مِن بِساطِهِ إِلى رَوْضِ مَجْدٍ بالسَّماحِ مَجُودِ

وَكَمْ لِجِباهِ الرَّاغِبينَ لَدَيْهِ مِنْ مَجالِ سُجودٍ في مَجالِسِ جُودِ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ١٦٠) .

(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ١٦٠) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٧٧) .

(٣) وفيات الأعيان (٤/ ٤٣٨ـ٤٣٩) وزبدة الحلب (٢/ ٤٥ـ٤٦) والوافي بالوفيات (٣/ ١١٨ـ١١٩) .

(٤) ديوانه (١/ ٢٤٨) .

(٥) ديوان بديع الزمان (٣٤) .

• ويُقال : فُلانٌ رقيقُ الجودِ ودَخيلُه ، وزَميلُ الكَرَم ونَزيلُه ، وغُرَّةُ الدَّهرِ وتَحجيلُه ؛ مَواهبُهُ الأَنواءُ ، وصَدْرُهُ الدَّهناءُ ؛ عَوْنُهُ مَوقوفٌ على اللَّهيفِ ، وغَوْثُهُ مبذولٌ للضَّعيفِ ؛ يطفو جُودُهُ على مَوجودِهِ ، وهِمَّتُهُ على قُدْرَتِهِ ؛ يَنابيعُ الجودِ تتفجَّرُ من أَنامله ، ورَبيعُ السَّماح يضحكُ عن فواضِله ؛ إن طلبتَ كريماً في جُوده مِتَّ قبلَ وُجوده ، أَو ماجِداً في أَخلاقه مِتَّ ولم تُلاقِهِ ؛ باسِلٌ تَعوَّدَ الإِقدامَ حيثُ تَزِلُّ الأَقدامُ ، وشُجاعٌ يَرى الإِحجامَ عاراً لا تَمحوهُ الأَيَّامُ ؛ له خُلُقٌ لو مازَجَ البحرَ لنفَى مُلُوحَتَهُ ، وصَفَّى كُدورَتَهُ ؛ خُلُقٌ كَنسيمِ الأَشجارِ على صَفَحاتِ الأَنهارِ ، وأَطيبُ من زَمنِ الوردِ في الأَيَّامِ ، وأَبهجُ من نُور البَدر في الظَّلام ؛ خُلُقٌ يجمعُ الأَهواءَ المتفرِّقَة على مَحَبَّتِهِ ، ويُؤَلِّفُ الآراءَ المُتَشَتِّتَة في مَوَدَّته ؛ هو مِلْحُ الأَرضِ إذا فَسَدت ، وعِمارة الدُّنيا إذا خَرِبَت ؛ يحلُّ دقائقَ الإِشكال ، ويُزيل جلائلَ الأَشكال ؛ البيانُ أَصغرُ صِفاته ، والبَلاغةُ عُنوانُ خَطَراته ؛ كأَنَّما أُوحِيَ التَّوفيقُ إلى صَدره ، وحُبِسَ الصَّوابُ بين طَبعه وفِكْره ، فهو يَبْعَثُ بالكلام ، ويَقودُه بأَلين زِمام ؛ حتَّى كأَنَّ الأَلفاظَ تتحاسدُ في التَّسابق إلى خواطره ، والمعاني تتغايرُ في الامتثالِ لأَوامره ، يُوجزُ فلا يُخِلُّ ويُطنبُ فلا يُمِلُّ ؛ كلامُه يشتدُّ مَرَّةً حتى تقولَ الصَّخْرُ أَو أَيبسُ ، ويلينُ تارةً حتَّى تقولَ الماءُ أَو أَسلسُ ؛ فهو إذا أَنشأَ وَشَّى وإذا عَبَّر حَبَّر ، وإذا أَوجَز أعجزَ ، تاهَت به الأَيَّامُ ، وباهَت في يَمينه الأَقلامُ ، له أَدبٌ لو تُصُوِّرَ شَخْصاً ، لكان بالقلوب مُخْتَصّاً .

• قال الشاعر : [من الوافر]

لَـهُ خُلُـقٌ علـى الأَيَّـامِ يَصْفُـو ... كَمـا تَصْفُـو علـى الـزَّمَـنِ العُقـارُ

• وقال آخر : [من الكامل]

لَو كانَ يحوي الرَّوْضُ ناضِرَ خُلْقِهِ ... مـا كـانَ يَـذْبُـلُ نَـوْرُهُ بِشِتـائِـهِ

أَو قـابَـلَ الأَفْـلاك طـالِـعُ سَعْـدِهِ ... مـا صـارَ نَحْسٌ فـي نُجومِ سَمـائِـهِ

• وقال آخر : [من الطويل]

وَوَجْهُكَ بَدْرٌ في الغياهِبِ مُشْرِقٌ ... وَكَفُّكَ في شُهْبِ السِّنينِ غَمامُ
عَجِيبٌ لِبَدْرٍ لا يَزالُ أَمامَهُ ... سَحابٌ وَلا يَغْشاهُ مِنْهُ ظَلامُ
وَأَعْجَبُ مِن هذا غَمامٌ إذا سَطا ... تَلَظَّى مَكانَ البَرْقِ مِنْهُ حُسامُ

• وقال الحُسين بن مُطَيْر الأَسديّ(١) : [من الطويل]

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ ... وَيَوْمُ نَعيمٍ فيهِ للنَّاسِ أَنْعُمُ
فَيُمْطِرُ يَوْمَ الجُودِ مِن كَفِّهِ النَّدى ... وَيُمْطَرُ يَوْمَ البُؤْسِ مِن كَفِّهِ الدَّمُ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ البُؤْسِ خَلّى عِقابَهُ ... على النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ على الأَرْضِ مُجْرِمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الجُودِ خَلَّى يَمينَهُ ... عن المالِ لَمْ يُصْبِحْ على الأَرْضِ مُعْدِمُ

• وللشَّيخ جمال الدِّين بن نُباتة (٢) : [من الكامل]

واللهِ ما عَجَبي لِقَدْرِكَ إِنَّهُ ... قَدْرٌ على باغي مَداهُ بَعيدُ
إلاَّ لِكَوْنِكَ لَسْتَ تَشْكو وَحْشَةً ... في هذهِ الدُّنْيا وَأَنْتَ وَحيدُ

• ولصفيِّ الدِّين الحِلِّيّ(٣) : [من الكامل]

أُثْني فَتُثْنيني صِفاتُكَ مُظْهِراً ... عِيّاً وَكَمْ أَعْيَتْ صِفاتُك خاطِبا
لَوْ أَنَّني والخَلْقُ جَمْعاً أَلْسُنٌ ... تُثْني عَليكَ لَما قَضَيْنا الواجِبا

• وللشَّيخ برهان الدِّين القيراطيّ : [من السريع]

أَوْصافُكُمْ تَجْري أَحاديثُها ... مَجْرى النُّجُومِ الزُّهْرِ في الأُفْقِ
كَما أَحاديثُ النَّدى عَنْكُمْ ... تُسْنِدُها الرُّكْبانُ مِن طُرْقِ

---

(١) ديوانه (٧٠) ، والأبيات لأحمد بن مطير في العقد الفريد (١/ ٣١٥) .
(٢) ديوانه (١٧٠) .
(٣) ديوانه (٩٨) .

• وللشَّيخ جمال الدين بن نُباتة [1] : [من الطويل]

رَوَتْ عَنْكَ أَخْبارُ المعالي مَحاسِناً ... كَفَتْ بِلِسانِ الحالِ عَن أَلْسُنِ الحَمْدِ
فَوَجْهُكَ عن بِشْرٍ وَكَفُّكَ عن عَطا ... وَخُلْقُكَ عن سَهْلٍ وَرَأْيُكَ عن سَعْدِ

• وقال غيره : [من البسيط]

مَن زارَ بابَكَ لَمْ تَبْرَحْ جوارِحُهُ ... تَروي أَحاديثَ ما أَوْلَيْتَ مِن مِنَنِ
فالعَيْنُ عن قُرَّةٍ والكَفُّ عن صِلَةٍ ... والقَلْبُ عن جابِرٍ والسَّمْعُ عن حَسَنِ

• ولأبي فراس ابن حَمْدان[2] : [من الوافر]

لَئِنْ خُلِقَ الأَنامُ لِحَتِّ كَأْسٍ ... وَمِزْمارٍ وَطُنْبورٍ وَعُودِ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنو حَمْدان إلاَّ ... لِمَجْدٍ أَو لِبَأْسٍ أَو لِجُودِ

• وقال آخر : [من البسيط]

إنَّ الهِباتِ الَّتي جادَ الكِرامُ بِها ... مَطْروقَةٌ وَنَدى كَفَّيْكَ مُبْتَكَرُ
ما زِلْتَ تَسْبِقُ حتَّى قالَ حاسِدُكُم : ... لَهُ طَريقٌ إلى العَلْياءِ مُقْتَصِرُ

• ولمحمَّد بن مُناذر في آل بَرْمَك[3] : [من الطويل]

أَتانا بَنو الأَمْلاكِ من آلِ بَرْمَكٍ ... فيا طِيبَ أَخْبارٍ وَيا حُسْنَ مَنْظَرِ
لَهُمْ رِحْلَةٌ في كُلِّ عامٍ إلى النَّدا ... وأُخْرى إلى البيتِ العَتيقِ المُنَوَّرِ
إذا نَزَلُوا بَطْحاءَ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ ... بِيَحْيَى وَبالفَضْلِ بنِ يَحْيَى وَجَعْفَرِ
فَما خُلِقَتْ إلاَّ لِجُودٍ أَكُفُّهُمْ ... وَأَقْدامُهُمْ إلاَّ لِسَعْيٍ مُظَفَّرِ

---

(١) ديوانه (١٧٤) .
(٢) ديوانه (١٠٣) .
(٣) طبقات ابن المعتز (١٢٥) وزهر الآداب (٣٦٩) وحماسة ابن الشجري (١/ ٣٩٨) والأغاني (١٨/ ٢٠١) .

إذا رامَ يَحْيى الأَمْرَ ذُلَّتْ صِعابُهُ   وَناهيكَ مِن داعٍ لَهُ وَمُدَبِّرِ

• ولمَّا عُزل إبراهيم بن المُدَبِّر عن صدقات البصرة تلقاهُ مجنونٌ وأنشد[(١)] : [من الرمل]

لَيتَ شِعْري أيُّ قَومٍ أجْدَبُوا   فَأُغيثوا بِكَ مِنْ بَعْدِ العَجَفْ

نَظَرَ اللهُ لَهُمْ مِن بَيْننا   وَحُرِمْناكَ بِذَنْبٍ قَد سَلَفْ

يا أَبا إسحاقَ سِرْ في دَعَةٍ   وامْضِ مَصْحُوباً فَما مِنْكَ خَلَفْ

إنَّما أنْتَ رَبيعٌ باكِرٌ   حَيْثُما صَرَّفَهُ اللهُ انْصَرَفْ

• وقال آخر[(٢)] : [من البسيط]

لَوْ كانَ يَقْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ من كَرَمٍ   قَوْمٌ لَقِيلَ اقْعُدوا يا آلَ عَبَّاسِ

ثمَّ ارتَقُوا في شُعاعِ الشَّمْسِ وارْتَفِعوا   إلى السَّماءِ فَأَنْتُمْ سادَةُ النَّاسِ

• وللحُسين بن مُطير الأسديّ في المهديّ[(٣)] : [من البسيط]

لَوْ يَعْبُدُ النَّاسُ يا مَهْدِيُّ أَفْضَلَهُمْ   ما كانَ في النَّاس إلاَّ أَنْتَ مَعْبُودُ

أَضْحَتْ يَمينُكَ مِن جُودٍ مُصَوَّرَةً   لا بَلْ يَمينُكَ مِنْها صُوِّرَ الجُودُ

لَوْ أَنَّ مِن نُورِهِ مِثْقالُ خَرْدَلَةٍ   في السُّودِ طُرّاً إذَنْ لابْيَضَّتِ السُّودُ

• وقال آخر : [من الكامل]

أَوْلَيْتَني نِعَماً وَفَضْلاً زائداً   وَبَرَرْتَني حتَّى رَأَيْتُكَ والِدا

أَقْسَمْتُ لَوْ جازَ السُّجُودُ لِمُنْعِمٍ   ما كُنْتُ إلاَّ راكِعاً لَكَ ساجِدا

---

(١) الأبيات لأبي شراعة القيسي البصري في الأغاني (٢٢/ ١٨٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣٤) . وفي البصائر والذخائر (٢/ ٨٧) لأبي هفّان ، ثم نقل عن المرزباني نسبتها إلى أبي شراعة .

(٢) البيتان لأبي دلامة في ديوانه (٥٦) وتاريخ دمشق (٣٨/ ٢٣١) وتاريخ الخلفاء (٣١٦) .

(٣) الأغاني (١٦/ ٢٣) وديوانه (٤٨) .

• وقال آخر : [من الطويل]

ثناؤُكَ في الدُّنْيا من المِسْكِ أَعْطَرُ   وَحَظُّكَ في الدُّنيا جَزيلٌ مُوَقَّرُ
وَكَفُّكَ بَحْرٌ والأَنامِلُ أَنْهُرٌ   رَعى اللهُ كَفّاً فيهِ بَحْرٌ وَأَنْهُرُ
أُعِيْذُكَ بالرَّحمنِ مِن كُلِّ حاسِدٍ   فَلا زالَتِ الحُسّادُ تَغْبَى وَتَصْغُرُ
لِساني قَصيرٌ في مَديحِكَ سَيِّدي   لأَنِّي فَقيرٌ والفَقيرُ مُقَصِّرُ

الفصل الثّاني

في شُكر النِّعمة

• أَمّا[1] الشُّكر الواجبُ على جميعِ الخلائقِ فَشُكْرُ القَلب ، وهو أَن يعلمَ العبدُ أَنَّ النِّعمةَ من اللهِ عزَّ وجلَّ ، وأَنْ لا نعمةَ على الخَلْقِ من أَهل السَّموات والأَرض إلا وَبدايَتُها من اللهِ تَعالى ، حتَّى يكونَ الشُّكرُ للهِ عن نفسك وعن غَيرك .

• والدَّليلُ على أَنَّ الشُّكرَ مَحلُّهُ القلبُ ، وهو المعرفةُ ، قولُه تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٦/ ٥٣] أي أَيْقِنُوا أَنَّها من الله .

• وقيل[2] : الشكر معرفة العجز عن الشكر .

• وقد[3] رُوي أَنَّ داودَ عليه السَّلام قال : إِلهي ، كيفَ أَشكرُك وشُكري لكَ نِعمةٌ من عِندك؟ فأَوْحَى اللهُ تعالى إِليه : الآنَ قد شَكَرْتَني .

---

(١) عن سراج الملوك (٢/ ٤٢٤) .
(٢) القول لأبي عثمان عمرو بن عبيد في سراج الملوك (٢/ ٤٢٥) .
(٣) سراج الملوك (٢/ ٤٢٥) وربيع الأبرار (٥/ ٣٢٤) .

• وفي هذا يُقال[1] : الشُّكْرُ على الشُّكْرِ أَتمُّ الشُّكْرِ .

• ولمحمود الورّاق[2] : [من الطويل]

إذا كـانَ شُكْـري نِعْمَـةَ اللهِ نِعْمَـةً | عَلَـيَّ لَـهُ فـي مِثْلِهـا يَجِـبُ الشُّكْـرُ
فَكَيْـفَ بُلـوغُ الشُّكْـرِ إلا بِفَضْلِـهِ | وإنْ طـالَـتِ الأَيّـامُ واتَّصَـلَ العُمْـرُ
إذا مَـسَّ بـالسَّـراءِ عَـمَّ سُـرورُهـا | وإن مَـسَّ بـالضَّـرّاءِ أَعْقَبَهـا الأَجْـرُ
فَمـا مِنْهُمـا إلا لَـهُ فيـهِ نِعْمَـةٌ | تَضيقُ بِها الأَوْهامُ والسِّرُّ والجَهْرُ

• وفي[3] مُناجاة موسى عليه السَّلام : إلهي ، خلقتَ آدمَ بيدِك ، وفَعلتَ وفعلتَ ، فكيفَ شَكَرَكَ؟ فقال : عَلِمَ أَنَّ ذلك مِنِّي ، فكانَت مَعْرِفَتُهُ بِذَلك شُكْرَهُ لي .

• وأَمّا[3] شُكرُ اللِّسان ، فقد قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى : ١١] .

• ويُروى[4] عن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنه أَنَّه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ لَم يَشْكُرِ القليل لم يَشْكُرِ الكَثيرَ ، ومَن لم يَشكرِ النّاسَ لم يَشكرِ اللهَ» .

• والتَّحَدُّثُ بالنِّعَم شُكْرٌ ؛ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : تَذاكروا النِّعَمَ ، فإنَّ ذِكْرَها شُكْرٌ .

• وأَمّا[5] الشُّكْرُ الَّذي في الجَوارح : فقد قالَ اللهُ تَعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ : ٣٤/١٣] الآية . فجَعلَ العَمَلَ شُكراً .

• ورُوي[6] أَنَّ النَّبي ﷺ قام حتَّى تورَّمَت قَدَماه ، فقيل له : يا رسولَ الله ،

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٢٥) .
(٢) ديوانه (١٢١) .
(٣) سراج الملوك (٢/ ٤٢٦) .
(٤) سراج الملوك (٢/ ٤٢٦) وفضيلة الشكر (٦٢) .
(٥) سراج الملوك (٢/ ٤٢٨) .
(٦) سراج الملوك (٢/ ٤٢٩) وفضيلة الشكر (٤٨ و٤٩) .

أَتفعلُ هذا بنَفسك ، وقد غفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبكَ وما تَأَخَّر؟ قال : «أفلا أكُونُ عَبْداً لله شَكُوراً؟» .

● وقال[1] أَبو هارون : دخلتُ على أَبي حازم ، فقلتُ له : يَرحمُك الله ، ما شُكْرُ العَينين؟ قال : إذا رأَيتَ بهما خيراً ذكرته ، وإذا رأَيتَ بهما شرّاً سَتَرْتَهُ ؛ قلتُ : فما شُكْرُ الأُذنَين؟ قال : إذا سمعتَ بهما خيراً حَفظتَه ، وإذا سمعتَ بهما شَرّاً نَسيتَه .

● وفي[2] حِكمة إدريس عليه الصَّلاة والسَّلام : لن يَستطيعَ أَحدٌ أَن يشكرَ اللهَ على نِعمةٍ بمثلِ الإنعامِ على خَلْقِهِ ، ليكونَ صانِعاً إِلى الخَلْقِ مثلَ ما صَنَعَ الخالِقُ إِليهِ ، فإذا أَردتَ أَن تحرسَ دوامَ النِّعمة من الله تَعالى عَليك ، فأَدِم مُواساةَ الفُقَراءِ .

● وقد[3] وَعَدَ اللهُ تعالى عِبادَهُ بالزِّيادة على الشُّكر ، فقال تَعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ١٤/٧] .

● وقد[3] جَعَلَ لِعبادِه علامةً يَعرفُ بها الشَّاكرَ ، فمَن لم يَظْهَرْ عليه المزيدُ عَلِمْنا أَنَّه لم يَشكرْ ، فإذا رأَينا الغَنِيَّ يَشكرُ الله تعالى بِلسانه ، ومالُهُ في نُقصانٍ ، عَلِمْنا أَنَّه قد أَخَلَّ بالشُّكرِ ، إمّا أَنَّه لا يُزكّي مالَهُ أَو يُزَكّيه لِغيرِ أَهله ، أَو يُؤَخِّره عَن وقتِهِ ، أَو يمنعُ حقّاً واجباً عليه ، من كُسوةِ عُريانٍ ، أَو إطعامِ جائعٍ ، أَو شِبْهِ ذلكم ، فيَدخلُ في قَولِ النَّبي ﷺ : «لَو صَدَقَ السَّائلُ ما أَفلحَ مَن رَدَّهُ» ؛ قال الله تَعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١٣/١١] . وإذا غَيَّروا ما بِهِم من الطَّاعات غَيَّرَ اللهُ ما بِهِم من الإحسان .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٢٩) .
(٢) سراج الملوك (٢/ ٤٣٠) .
(٣) القول للطرطوشي في سراج الملوك (٢/ ٤٣٢) .

● وقالَ[١] بعضُ الحُكماءِ : مَن أُعطيَ أربعاً لم يُمْنَعْ من أَربعٍ ، مَن أُعطيَ الشُّكْرَ لا يُمنع المزيدَ ، ومَن أُعطيَ التَّوبَةَ لا يُمنع القَبول ، ومَن أُعطيَ الاستخارَةَ لم يُمنعِ الخِيْرَةَ ، ومَن أُعطيَ المشورةَ لم يُمنع الصَّوابَ .

● وقال[٢] المُغيرة بن شُعبة : اشكُرْ مَن أَنعمَ عليك ، وأَنعمْ على مَن شَكَرَك ؛ فإِنَّه لا بقاءَ للنِّعم إذا كُفِرَت ، ولا زَوال لها إذا شُكِرَتْ .

● وكان[٢] الحسنُ يقول : ابنَ آدم ، متى تَنْفَكُّ مِن شُكْرِ النِّعمةِ وأَنت مُرْتَهَنٌ بها ، كلَّما شَكرتَ نِعمةً تَجدَّدَ لك بالشُّكرِ أَعظمُ منها عَليك ، فأَنتَ لا تَنْفَكُّ بالشُّكرِ من نِعمةٍ إلا إِلى ما هو أَعظمُ مِنها .

● ورُوي[٣] أَنَّ عُثمان بنَ عفّان رضي الله عنه دُعي إِلى أَقوامٍ ليأخذَهم على رِيبةٍ ، فافترَقوا قبلَ أَن يأخذَهم عُثمان ، فأَعتقَ رَقبةً شُكراً للهِ تعالى ، إِذ لم يَجْرِ على يَديهِ فَضيحةُ مُسلمٍ .

● ويُروى[٣] أَنَّ نَملةً قالت لسُليمان بن داود عليهما السَّلام : يانَبيَّ الله ، أَنا على قَدْري أَشْكَرُ لله منكَ ـ وكان راكباً على فرسٍ ذَلولٍ ـ فَخَرَّ ساجِداً لله تَعالى ؛ ثم قال : لولا أَنِّي أُبجِّلُكَ لَسَأَلْتُكَ أَن تنزعَ منِّي ما أَعطيتني .

● وقال[٤] صَدَقة بن يَسار : بينما داود عليه السلام في مِحرابِه ، إِذ مَرَّت به دُودةٌ ، فَتَفَكَّر في خَلْقِها ، وقال : ما يَعْبَأُ الله بِخَلْقِ هذه ، فأَنطقها اللهُ تَعالى له ، فقالت له : يا داود ، تُعْجِبُكَ نَفْسُكَ! وأَنا على قدرِ ما آتاني اللهُ تعالى أَذْكَرُ للهِ وأَشْكَرُ له منكَ على ما آتاكَ! .

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٤٣٤) .
(٢) سراج الملوك (٢/ ٤٣٥) .
(٣) سراج الملوك (٢/ ٤٣٦) .
(٤) سراج الملوك (٢/ ٤٣٧) .

• وقال[1] عليٌّ رضي الله عنه : احذَروا نِفارَ النِّعَم ، فَما كُلُّ شاردٍ مَردودٌ .

• وعَنْهُ[1] عليه السَّلام : إذا وَصَلَتْ إليكم أطرافُ النِّعَمِ فلا تُنَفِّروا أَقصاها بقِلَّةِ الشُّكر .

• وقيل[2] : إذا قَصَّرَتْ يَداكَ عن المُكافأةِ ، فَلْيَطُلْ لِسانُكَ بالشُّكر .

• وقال[3] حكيمٌ : الشُّكرُ ثلاثُ مَنازل : ضَميرُ القَلبِ ، ونَشْرُ اللِّسانِ ، ومُكافأةُ اليَد .

• قال الشّاعر[4] : [من الطويل]

أَفـادَتْكُـمُ النَّعْمـاءُ مِنِّـي ثَـلاثَـةً   يَـدي وَلِسـانـي والضَّميـرَ المُحَجَّبـا

• وقال[5] ابنُ عائشة : كان يُقال : ما أَنعمَ اللهُ على عَبدٍ نِعمةً ، فَظَلَمَ بها ، إلا كان حقّاً على الله تعالى أَن يُزيلَها عنه .

• وأَنشد أَبو العبّاس ابن عُمارة في المعنى[6] : [من الوافر]

أَعـارَكَ مـالَـهُ لِتَقـومَ فيـه   بِـواجِبِـهِ وَتَقْضـي بَعْـضَ حَقِّـهْ
فَلَـمْ تَقْصِـدْ لِطـاعَتِـهِ وَلَكِـنْ   قَوِيْتَ على مَعاصِيْهِ بِرِزْقِهْ

• وقال آخر[6] : [من الطويل]

وَلَـوْ أَنَّ لـي فـي كُـلِّ مَنْبَـتِ شَعْـرَةٍ   لِسـانـا يُطيـلُ الشُّكْـرَ كُنْـتُ مُقَصِّـرا

• وقال[7] محمّد بن حَبيب الرّاوية : إذا قَلَّ الشُّكْرُ خَسِرَ المَنَّ . ورُوي : إذا

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٨) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٤/ ٩٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٨) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٩٣) .
(٤) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣١٨) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٩) .
(٦) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٠) .
(٧) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢١) .

جُحِدَتِ الصَّنيعةُ خَسِرَ الامتِنان .

• وسُئل[1] بعضُ الحُكماء : ما أَضيَعُ الأَشياء؟ قال : مَطَرٌ جَوْدُ في أَرضٍ سَبْخَةٍ ، لا يَجِفُّ ثَراها ولا ينبتُ مَرعاها ؛ وسِراجٌ يُوقَدُ في الشَّمسِ ؛ وجاريةٌ حَسناءُ تُزَفُّ إِلى أَعمى ؛ وصَنيعةٌ تُسدى إِلى مَن لا يَشكرُها .

• وقال[2] عبدُ الأَعلى بن حمّاد : دخلتُ على المتوكِّل ، فقال : يا أَبا يَحيى ، قد هَمَمْنا أَن نصلَك بخيرٍ فَتَدافَعَتْهُ الأُمور ؛ فقلتُ : يا أَمير المؤمنين ، بَلَغني عن جَعفر بن محمَّد الصَّادق أَنَّه قال : مَن لم يَشْكُر الهِمَّةَ لم يشكرِ النِّعمة ؛ وأَنشدتُهُ[3] : [من البسيط]

لأَشْكُـرَنَّ لَـكَ مَعْـروفاً هَمَمْـتَ بِـهِ ... فـإِنَّ هَمَّـكَ بـالمَعْـروفِ مَعْـروفُ
وَلا أَلُـومُـكَ إِنْ لَـمْ يُمْضِـهِ قَـدَرٌ ... فـالشَّـرُّ بـالقَـدَرِ المَحْتُـومِ مَصْـروفُ

• وقال أَبو فراس ابن حَمْدان[4] : [من الطويل]

وَمـا نِعْمَـةٌ مَكْفـورَةٌ قَـد صَنَعْتُهـا ... إِلى غَيْرِ ذي شُكْرٍ بِمانِعَتي أُخْرى
سـآتـي جَميـلاً مـا حَيِيـتُ فـإِنَّنـي ... إِذا لَـمْ أَفِـدْ شُكْـراً أَفَـدْتُ بِـهِ أَجْـرا

• وقال[5] عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه : مَن امتَطى الشُّكر ، بلغَ به المَزيد .

• وقيل[6] : مَن جعلَ الحمدَ خاتمةَ النِّعمة ، جعلَهُ اللهُ فاتحةً للمزيد .

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ١٦٩) وانظر (١٦١) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٢ـ٣٢٣) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٩١) .
(٣) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار وعيون الأخبار (٣/ ١٦٥) وبهجة المجالس (١/ ٣١٦) وفضيلة الشكر (٦٧) . ونسبا للباهلي في التذكرة الحمدونية . وهما لعمرو بن المبارك في التذكرة السعدية (٢٣٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٣) وديوانه (١١١) .
(٥) لعلي في ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٤) .
(٦) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٤) .

• وقال[1] ابن السَّمّاك ، النِّعمةُ من الله تعالى على عَبده مَجهولةٌ ، فإذا فُقِدَت عُرفت .

• وقيل[1] : مَن لم يَشكرْ على النِّعمة فقد استَدعى زَوالَها .

• وكان يُقال : إذا كانَت النِّعمةُ وَسيمةً ، فاجعَلْ الشُّكرَ لها تَميمةً .

• وقال[1] حكيمٌ : لا تَصطنعوا ثلاثةً ؛ اللَّئيمَ ، فإنَّه بمنزلةِ الأَرض السَّبْخَةِ ؛ والفاحشَ ، فإنَّه يَرى أَنَّ الَّذي صنعتَ إليه إنَّما هو لِمَخافةِ فُحْشِهِ ؛ والأَحمق ، فإنَّه لا يعرفُ قدر ما أَسديتَ إليه ؛ وإذا اصطنعتَ الكريمَ فازرعْ المعروفَ واحصدِ الشُّكر .

• ودخل[2] أَبو نُخَيْلَة على السَّفّاح لينشدَه ، فقال : ما عَسيتَ أَن تقولَ بعدَ قولِكَ لِمَسْلَمَةَ[3] : [من الطويل]

أَمَسْلَمَــةُ يــا فَخْــرَ كُــلِّ خَليفَــةٍ ... وَيا فارِسَ الدُّنْيا ويا جَبَلَ الأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ دَيْنٌ على الفَتى ... وَمــا كُــلُّ مَــن أَوْلَيْتَــهُ نِعْمَــةً يَقْضــي
وأَحْيَيْتَ لي ذِكْري وَما كانَ خامِلاً ... وَلكنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وسمعَه الرَّشيدُ فقال : هكذا يكونُ شِعْرُ الأَشراف ؛ مَدَحَ صاحِبَهُ ، ولم يضعْ نَفْسَهُ .

• وعن[4] نصر بن سَيّار ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما ، عن النَّبي ﷺ أَنَّه قال : «مَن أَنْعَمَ على رَجلٍ نِعمةً ، فلم يَشكرْ لَه ، فدَعا عليه ،

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٦) وعيون الأخبار (٣/ ١٦٥) وبهجة المجالس (١/ ٣١٣) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٨٥) .
(٣) ديوانه (٢٥٧) (ضمن مجلة المورد العراقية مج ٧ ع ٣) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٨) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٩٩) ونثر الدر (٥/ ٩٤) . والحديث فقط في فضيلة الشكر (٧٠) .

استُجيبَ له» . ثم قال نَصرٌ : اللَّهُمَّ إنِّي أَنعمتُ على بَني بسّام فلم يَشكروا ، اللَّهُمَّ اقتلْهم ؛ فقُتلوا كلُّهم .

• وعن[1] عليٍّ بن الحُسين رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّ المؤمنَ لَيَشْبَعُ من الطَّعام ، فَيحمدُ الله تعالى ، فيُعطيه من الأَجر ما يُعطي الصّائم القائمَ ، إنَّ اللهَ شاكِرٌ يُحبُّ الشّاكرين» .

• وعن[1] محمَّد بن عليّ : ما أَنعمَ اللهُ على عبدٍ نِعمةً ، فعلمَ أَنَّها من اللهِ ، إلا كَتَبَ اللهُ له شُكْرَها قبلَ أَن يَحمدَهُ عليها ، ولا أَذنبَ عبدٌ ذَنْباً فعلمَ أَنَّ الله قد اطَّلَعَ عليه ، إنْ شاءَ غَفَرَ له وإِن شاءَ أَخَذَه قبلَ أَن يستغفرَه ، إلا غَفَرَ اللهُ له قبلَ أَن يستغفرَه .

• وأَولى[2] رجلٌ رَجلاً أَعرابيّاً خَيْراً ، فقال : لا أَبلاك اللهُ بِبَلاءٍ يَعجزُ عنه صَبْرُك ، وأَنعمَ عليكَ نِعْمَةً يَعْجَزُ عنها شُكرُك .

• وأَنشد بعضُهم وأَجاد[3] : [من الطويل]

سَأَشْكُرُ لا أَنّي أُجازيكَ مُنْعِماً ... بِشُكْري وَلكنْ كي يُزادَ لَكَ الشُّكْرُ
وَأَذْكُرُ أَيّاماً لَدَيَّ اصْطَنَعْتَها ... وآخرُ ما يَبقي على الشّاكِرِ الذِّكْرُ

• وقال آخر[3] : [من الكامل]

أَوْلَيْتَني نِعماً أَبوحُ بِشُكْرِها ... وَكَفَيْتَني كُلَّ الأُمورِ بِأَسْرِها
فَلأَشْكُرَنَّكَ ما حَييتُ وإنْ أَمُتْ ... فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظُمي في قَبْرِها

• وقال آخر[3] : [من الطويل]

أَيا رَبِّ قد أَحْسَنْتَ عَوْداً وَبَدْأَةً ... إليَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسانِكَ الشُّكْرُ

---

(1) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٨) .
(2) سراج الملوك (٢/ ٤٣٩) .
(3) بلا نسبة في سراج الملوك (٢/ ٤٤٠) .

فَمَـنْ كـانَ ذا عُـذْرٍ لَـدَيْـكَ وَحُجَّـةٍ ... فَعُذْرِيَ إِقْراري بِأَنْ لَيْسَ لي عُذْرُ

• وقال محمود الورّاق[1] : [من الطويل]

إِلهي لَكَ الحَمْدُ الَّذي أَنْتَ أَهْلُهُ ... على نِعَـمٍ مـا كُنْـتُ قَـطُّ لَهـا أَهْـلا

إِذا ازْدَدْتُ تَقْصيـراً تَـزِدْنـي تَفَضُّـلاً ... كأَنِّيَ بالتَّقْصيرِ أَسْتَوْجِبُ الفَضْلا

• وقد أَحسن نُصَيْبٌ في وَصف الثَّناء والشُّكر بقوله[2] : [من الطويل]

فَعـاجُـوا وأَثْنَـوا بـالَّـذي أَنْـتَ أَهْلُـهُ ... وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحقائِبُ

• وقال رجلٌ مِنْ غَطَفان[3] : [من البسيط]

الشُّكْـرُ أَفْضَـلُ مـا حـاوَلْـتَ مُلْتَمِسـاً ... بِــهِ الــزِّيــادَةَ عِنْــدَ اللهِ والنّــاسِ

• وقيل[4] : اشْكُرِ المُنعمَ عليكَ ، وأَنْعِمْ على الشَّاكِرِ لكَ ، تَستوجبْ مِنْ رَبِّكَ الزِّيادة ومن أَخيك المُناصَحَةَ .

الفصل الثّالث

في المُكافَأَة

• قال رسول الله ﷺ : «مَن أَسدى إِليكم مَعروفاً فكافِئوه ، فإِنْ لم تَقدروا فادْعُوا له» .

• ولمّا[5] قَدِمَ وَفْدُ النَّجاشيِّ على رسول الله ﷺ ، قام يخدمُهم بِنَفْسِهِ ، فقيلَ

---

(١) ديوانه (١٦٤) .

(٢) ديوانه (٥٩) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٨٦) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٤/ ٩٨) .

(٤) التذكرة الحمدونية (٤/ ٨٤) .

(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٩) .

له : يا رسولَ الله ، لو تَرَكْتَنا كَفَيْناك ؛ فقال : «كانوا لأصحابي مُكْرِمين» .

• وقيل[1] : أَتى رجلٌ من الأَنصار إِلى عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال : [من البسيط]

اُذْكُرْ صَنيعيَ إِذْ فاجاكَ ذُو سَفَهٍ يَوْمَ السَّقيفَةِ والصِّدِّيقُ مَشْغولُ

فقال عمر بأَعلى صوته : اُدنُ منِّي ، فدنا منه ، فأَخذَ بِذِراعه حتَّى استشرَفَهُ النّاسَ ، وقال : أَلا إِنَّ هذا رَدَّ عنِّي سَفيهاً من قَومه يَوم السَّقيفة ؛ ثم حَمله على نَجيبٍ ، وزادَ في عَطائه ، وولاهُ صَدَقَة قَومه ، وقرأَ : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن : ٥٥/ ٦٠] .

• وقال[2] رجلٌ لسَعيد بن العاص ، وهو أَميرُ الكوفة : لي يَدٌ عِندك بَيضاءُ ؛ قال : وما هي؟ قال : كَبَتْ بكَ فَرَسُك ، فتقدَّمتُ إِليك قبلَ غِلمانِك ، فأَخذتُ بعَضدك وأَركبتُك ، وأَسقيتُك ماءً ؛ قال : فأَينَ كنتَ إِلى الآن؟ قال : حُجِبْتُ عن الوُصولِ إِليك ؛ قال : قد أَمَرْنا لك بِمئَتي أَلف درهمٍ ، وبما يَملكه الحاجبُ إِذ حَجَبَك عنّا .

• وكان[3] قَطَرِيُّ بنُ الفُجاءَة الخارجيُّ أَسَرَهُ الحجّاج ثم مَنَّ عليه ، فأَطلقَه ، فقيل له : عاوِد قِتالَ عدوِّ اللهِ ؛ فقال : هَيهات ، شَدَّ يَداً مُطْلِقُها ، وأَرَقَّ رَقَبَةً مُعْتِقُها ؛ ثم قال[4] : [من الكامل]

أَأُقاتِلُ الحَجّاجَ عَن سُلطانِهِ بِيَدٍ تُقِرُّ بأَنَّها مَوْلاتُهُ
ماذا أَقولُ إِذا وَقَفْتُ إِزاءَهُ في الصَّفِّ واحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلاتُهُ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣١٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٢٧) وزهر الآداب (٨٥٥) .
(٤) شعر الخوارج (٣١) .

أَأقولُ : جارَ عليَّ؟ لا ، إِنِّي إذاً لأَحَقُّ مَن جارَتْ عليهِ وُلاتُهُ
وَتَحَدَّثَ الأَقوامُ أَنَّ صَنائِعاً غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلَتْ نَخلاتُهُ

• واجتازَ[١] الشَّافعيُّ رحمهُ الله تَعالى بِمصر في سوقِ الحذّائين ، فسقطَ سَوْطُهُ ، فقامَ إِنسانٌ ، فأَخذَه وَمَسَحَهُ ونَاولَهُ إِيّاه ، فقالَ لغُلامه : كَم مَعَك؟ قال : عَشرةُ دَنانيرَ ؛ قال : ادْفَعْها إِليه واعتذرْ له .

• واستنشدَ[٢] عبدُ الملِك عامراً الشَّعبيَّ ، فأَنشدَه لغيرِ ما شاعرٍ ، حتَّى أَنشدَ لحسّان[٣] : [من الكامل]

مَنْ سَرَّهُ شَرَفُ الحياةِ فَلَمْ يَزَلْ في عُصْبَةٍ من صالِحي الأَنْصارِ
البائِعينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ بالمَشْرَفيِّ وبالقَنا الخَطّارِ
النّاظِرينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ كالجَمْرِ غَيْرِ كَليلَةِ الأَبْصارِ

فقامَ أَنصاريٌّ ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، استوجبَ عامِرٌ الصِّلَةَ ؛ عليَّ سِتُّونَ من الإِبل كما أَعطينا حسّان يومَ قالَها ؛ فقال عبدُ الملك : ولهُ عِندي سِتُّون أَلفاً ، وسِتُّون من الإِبل .

• وعن[٤] عليٍّ كرَّمَ الله وجْهَهُ : أَحْسِنُوا في عَقِبِ غَيْرِكُم ، تُحْفَظوا في عَقِبِكُم .

• وقال[٥] المدائنيُّ : رأَيتُ رجلاً يطوفُ بين الصَّفا والمَرْوَة على بَغلةٍ ، ثم رأَيتُه ماشِياً في سَفَرٍ ، فسأَلتُه عن ذلك فقال : ركبتُ حيثُ يَمشي النّاسُ ، فكان حقّاً على الله أَن يُرْجِلَني حيثُ يركبُ النّاس .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ١١) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ١٢ـ١٣) .
(٣) الأبيات مما لم يرد في طبعات ديوانه (عرفات ، حنفي ، برقوقي) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ١٥) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٣) .

ومما جاء في المكافأةِ

• ما حُكي عن الحسن بن سَهل[1] قال : كنتُ يوماً عند يَحيى بن خالد البَرْمَكيّ ، وقد خَلا في مَجْلِسِه لإحكامِ أمرٍ من أُمور الرَّشيد ، فبينَما نحنُ جُلوسٌ إذْ دخلَ عليه جماعةٌ من أَصحابِ الحوائجِ ، فقَضاها لهم ، ثمَّ توجَّهوا لشأنِهم ، فكان آخرَهُم قياماً أَحمدُ بن أَبي خالدَ الأَحول ، فنظرَ يحيى إليه والتفتَ إلى الفَضْلِ ابنِه ، وقال : يا بُنَيَّ ، إنَّ لأَبيك مع هذا الفتى حَديثاً ، فإذا فرغتُ من شُغلي هذا ، فأَذْكِرْني أُحدِّثْكَ به ؛ فلمَّا فَرَغَ من شُغله وطَعِمَ ، قال له ابنُه الفَضْلُ : أَعَزَّكَ اللهُ يا أَبي ، أَمَرْتَني أَن أُذكِّرَكَ حَديثَ أَبي خالدِ الأَحول ؛ قال : نَعم يا بُنَيّ ؛ لمّا قَدِمَ أَبوكَ العراقَ أَيّامَ المَهْديّ كان فَقيراً لا يملكُ شَيئاً ، فاشتدَّ بي الأَمْرُ إلى أَنْ قال لي مَن في مَنزلي : إنّا قد كَتَمْنا حالَنا وزادَ ضَرَرُنا ، ولنا اليومَ ثلاثةُ أَيّام ما عِندنا شيءٌ نَقتاتُ بهِ ؛ قال : فبكيتُ يا بُنَيَّ لذلك بكاءً شديداً ، وبقيتُ وَلْهانَ وحَيْران ، مُطْرِقاً مُفكِّراً ، ثم تذكَّرْتُ مَنديلاً كان عِندي ، فقلتُ لهم : ما حالُ المِنديل؟ فقالوا : هُو باقٍ عندنا ؛ فقلتُ : ادفَعوه لي ؛ فأَخذْتُهُ ، ودَفعتُه إلى بعض أَصحابِي وقلتُ له : بِعْهُ بما تَيَسَّرَ ؛ فباعَهُ بسبعةَ عشرَ دِرهماً ، فدفعتُها إلى أَهلي ، وقلتُ : أَنفقوها إلى أَن يرزقَ اللهُ غيرَها ، ثم بكَّرتُ من الغَدِ إلى بابِ أَبي خالدٍ وهو يومئذٍ وزيرُ المهديِّ ، فإذا النّاسُ وُقوفٌ على دارِه يَنتَظرونَ خُروجَه ، فخرجَ عليهم راكباً ، فلمّا رآني سلَّم عليَّ ، وقال : كيفَ حالُك؟ فقلتُ : يا أَبا خالد ، ما حالُ رجلٍ يبيعُ من مَنزله بالأَمس مِنديلاً بسبعةَ عشرَ دِرهماً ؛ فنظرَ إليَّ نَظَراً شَديداً ، وما أَجابني جَواباً ، فرجعتُ إلى أَهلي كسيرَ القَلب ، وأَخبرتُهم بما اتَّفَقَ لي مَع أَبي خالد ، فقالوا : بئسَ ـ واللهِ ـ ما فَعلتَ ؛ تَوَجَّهْتَ إلى رجلٍ كان يَرتضيكَ لأَمرٍ جليلٍ ،

---

(١) عن يحيى بن خاقان ، في الوزراء والكتّاب للجهشياري (١٤٠) والفرج بعد الشدة (٣/ ٢٤٣) .

فكشفتَ له سِرَّكَ ، وأَطلَعْتَهُ على مَكنونِ أَمرِكَ ، فأَزْرَيْتَ عِنْدَهُ بِنَفْسِكَ ، وصَغَّرْتَ عنده مَنزلتَك بعد أَن كُنْتَ عنده جَليلاً؟ فما يراكَ بعد اليوم إلا بهذه العين . فقلتُ : قد قُضِي الأَمرُ الآن بما لا يُمكن استدراكُه .

فلمّا كان من الغدِ بكَّرتُ إلى باب الخليفةِ ، فلمّا بلغتُ البابَ استقبلَني رجلٌ ، فقال لي : قد ذُكرتَ السّاعة ببابِ أَمير المؤمنين ؛ فلم أَلتفتْ لِقوله ، فاستقبلَني آخرُ ، فقال لي كمقالَةِ الأَوَّلِ ، ثم استقبلَني حاجبُ أَبي خالدٍ ، فقال لي : أَين تكونُ؟ قد أَمَرني أَبو خالدٍ بإِجلاسِك إلى أَن يخرجَ من عندِ أَمير المؤمنين ؛ فجلستُ حتَّى خرجَ ، فلمَّا رآني دَعاني ، وأَمر لي بِمَرْكَبٍ ، فركبتُ وسِرْتُ معه إلى مَنزله ، فلمّا نزلَ قال : عليَّ بِفُلانٍ وفُلانٍ الحنّاطين[1] ، فأُحْضِرا ، فقالَ لهما : أَلم تَشتريا منِّي غَلاتِ السَّواد بثمانية عشرَ أَلفِ أَلفِ درهمٍ؟ قالا : نعم ؛ قال : أَلم أَشْترطْ عَليكُما شَركَةَ رجلٍ معكما؟ قالا : بلى ؛ قال : هو هذا الرَّجلُ الَّذي اشترطتُ شَرِكَتَهُ لكما ؛ ثم قال لي : قُمْ معهما ؛ فلمّا خرجْنا قالا لي : ادخُلْ مَعنا بعضَ المساجدِ حتَّى نُكَلِّمَكَ في أَمرٍ يكونُ لك فيه الرِّبْحُ الهَنيءُ ؛ فدَخلنا مَسجداً ، فقالا لي : إنَّك تَحتاجُ في هذا الأَمر إلى وُكلاءَ وأُمناءَ وكَيّالينَ وأَعوان ومُؤَن لَم تُعِدَّ منها شيئاً ، فهلْ لكَ أَن تَبيعَنا شَرِكَتَكَ بمالٍ نُعَجِّلُه فتنتفعَ به ، ويسقطَ عنك التَّعبُ والكَلَفُ؟ فقلتُ لهما : وكم تَبْذُلان لي؟ فقالا : مئةَ أَلف درهم ؛ فقلتُ : لا أَفعل ، فما زالا يَزيداني وأَنا لا أَرضى إلى أَن قالا لي : ثلاثمئة أَلف درهم ، ولا زيادةَ عندنا على هذا ؛ فقلتُ : حتَّى أُشاورَ أَبا خالد . قالا : ذلك لك . فرجعتُ إليه وأَخبرتُه ، فدعا بهما ، وقال لهما : هل وافَقتماه على ما ذكر؟ قالا : نعم . قال : اذهبا ، فأَقبضاهُ المالَ السّاعة ؛ ثم قال لي: أَصْلِحْ أَمرك وتَهَيّأْ ، فقد قَلَّدْتُكَ العَمل ؛ فأَصلحتُ شأني وقلَّدني ما وَعَدني به ، فما زلتُ في زيادةٍ

---

(١) تجار الحنطة .

حتَّى صارَ أَمري إِلى ما صار ؛ ثم قال لولده الفَضل : يا بُنَيَّ فما تقولُ في ابن مَن فَعَلَ بأَبيك هذا الفِعل ، وما جَزاؤه؟ قال : حقٌّ لَعمري وَجبَ عليك له ؛ فقال : والله يا وَلدي ، ما أَجدُ له مُكافأَةً غيرَ أَنِّي أَعزلُ نَفْسي وأُوَلِّيه ؛ ففعلَ ذلك رضي الله عنه ؛ وهكذا تكونُ المكافأَةُ .

● ومن[1] ذلك ما حُكي عن العبّاس صاحبِ شَرطَةِ المأمون ، قال : دخلتُ يوماً مَجلسَ أَمير المؤمنين ببغداد ، وبين يَديه رجلٌ مُكَبَّلٌ بالحديد ، فلمّا رآني قال لي : عبّاسُ ؛ قلتُ : لَبَّيْكَ يا أَمير المؤمنين : قال : خُذْ هذا إِليكَ ، فاستَوثِقْ منه ، واحتفظْ به ، وبَكِّرْ بِهِ إِليَّ في غَدٍ ، واحترزْ عليهِ كُلَّ الاحتراز .

قال العبّاسُ فدعوتُ جماعةً ، فحَملوهُ ، ولم يقدرْ أَن يتحرَّكَ فقلتُ في نَفسي : معَ هذه الوصيَّة الَّتي أَوصاني بها أَمير المؤمنين من الاحتفاظِ به ، ما يجبُ إِلا أَن يكونَ معي في بيتي ؛ فأَمرتُهم ، فتَركوهُ في مَجلسٍ لي في داري ، ثم أَخذتُ أَسأَلُهُ عن قَضِيَّته ، وعن حاله ، ومن أَين هو ، فقال : أَنا من دِمشق ؛ فقلت : جَزى اللهُ دمشق وأَهلَها خيراً ، فمَن أَنت من أَهلها؟ قال : وعمَّن تسأَلُ؟ قلتُ : أَتعرفُ فلاناً؟ قال : ومِن أَين تعرفُ ذلك الرَّجل؟ فقلتُ : وقعَ لي معه قضيَّةٌ . فقال : ما كنتُ بالَّذي أُعرِّفُكَ خَبَرَهُ حتَّى تُعَرِّفَني قَضِيَّتَكَ مَعه ؛ فقال : ويحَكَ ، كنتُ مع بعضِ الوُلاة بدمشق ، فَبَغَى أَهلها وخَرجوا علينا حتَّى إِن الوالي تدلَّى في زِنْبيلٍ من قَصر الحجّاج ، وهربَ هو وأَصحابُه ، وهربتُ في جُملة القوم ، فبينَما أَنا هاربٌ في بعض الدُّروب ، وإِذا بجماعةٍ يَعدُون خَلفي ، فما زلتُ أَعدو أَمامَهم حتَّى فُتُّهُمْ ، فمررتُ بهذا الرَّجل الَّذي ذكرتُه لك ، وهو جالسٌ على بابِ داره ، فقلتُ : أَغِثْني ، أَغاثك الله ؛ قال : لا بأسَ عليك ؛ ٱدخلِ الدّار ؛ فدخلتُ ، فقالَت زوجتُه : ٱدخُلْ تِلْكَ المقصورة ؛ فدخلتُها ، ووقفَ الرَّجل على باب الدّار ، فما شعرتُ إِلا وقد

(١) المحاسن والمساوىء (١/ ٢٨٨) .

دخلَ والرِّجالُ معه يقولون : هو واللهِ عِندكَ ؛ فقال : دُونَكم الدّار ؛ فَفَتَّشُوها حتَّى لم يَبْقَ سِوى تلك المَقصورة ، وامرأَتُه فيها ؛ فقالوا : هو هَهنا ؛ فصاحَت بهم المرأَةُ ونَهَرَتْهُمْ فانصرفوا ، وخرجَ الرَّجلُ وجلسَ على باب داره ساعةً ، وأَنا قائمٌ أَرجفُ ، ما تَحملُني رجلاي من شِدَّة الخوف ؛ فقالت المرأَةُ : اجلسْ لا بأسَ عليك ؛ فجلستُ ، فلم أَلبثْ حتَّى دخلَ الرَّجلُ ، فقال : لا تَخَفْ ، قد صَرَفَ اللهُ عنكَ شَرَّهُم ، وصِرْتَ إِلى الأَمْنِ والدَّعَة إِن شاءَ اللهُ تَعالى . فقلتُ له : جَزاكَ الله خَيْراً ، فما زال يُعاشِرني أَحسن مُعاشرةٍ وأَجْمَلَها ؛ وأَفردَ لي مَكاناً في دارِه ، ولم يُحْوِجْني إِلى شيءٍ ، ولم يَفْتُرْ عن تَفَقُّدِ أَحوالي ، فأَقمتُ عنده أَربعةَ أَشهرٍ في أَرْغَدِ عَيشٍ وأَهْنَئِه إِلى أَن سكَنَتِ الفِتْنَةُ وهدأَت ، وزال أَثَرُها ؛ فقلتُ له : أَتأْذَنُ لي في الخُروج حتَّى أَتفقَّد حالَ غِلماني ، فلعلِّي أَقفُ منهم على خَبرٍ ، فأَخذ عليَّ المواثيقَ بالرُّجوع إِليه ، فخرجتُ وطلبتُ غِلماني ، فلم أَرَ لهم أَثراً ، فرجعتُ إِليه ، وأَعلمتُه الخبرَ ، وهو مع هذا كلِّه لا يَعرفُني ، ولا يَسأَلني ، ولا يعرف اسمي ، ولا يُخاطبني إِلا بالكُنْيَةِ ؛ فقال : علامَ تَعْزِمُ؟ فقلتُ : عزمتُ على التَّوجُّهِ إِلى بغداد ؛ فقال : القافلةُ بعد ثلاثةِ أَيّام تخرجُ ، وها أَنا قد أَعلمتُك . فقلتُ له : إِنَّك تفضَّلتَ عليَّ هذه المدَّة ، ولكَ عليَّ عهدُ الله أَنِّي لا أَنسى لك هذا الفَضل ، ولأُوفِيَنَّكَ مهما استطعتُ .

قال : فدعا غلاماً له أَسودَ ، وقال له : أَسْرِجْ الفرسَ الفُلانيّ ؛ ثم جَهِّزْ آلةَ السَّفَر ؛ فقلتُ في نَفسي : أَظُنُّ أَنَّه يريدُ أَن يَخرجَ إِلى ضيعةٍ أَو ناحيةٍ من النَّواحي ؛ فأَقاموا يَومَهم ذلك في كَدٍّ وتَعَبٍ ؛ فلمَّا كان يومُ خُروجِ القافلة جاءني السَّحَرَ ، وقال لي : يا [أَبا] فُلان ، قُمْ ، فإِنَّ القافلَةَ تخرجُ السَّاعةَ ، وأَكرهُ أَن تنفردَ عنها ؛ فقلتُ في نَفسي : كيفَ أَصنعُ ، وليس معي ما أَتزوَّدُ به ولا ما أَكري به مَركوباً؟ ثم قُمتُ ، فإِذا هو وامرأَتُهُ يَحملان بُقْجَةً من أَفخرِ

الملابِسِ ، وخُفَّين جَديدين ، وآلَةَ السَّفَر ؛ ثم جاءَني بسيفٍ ومِنْطَقَةٍ فَشَدَّهُما في وَسَطي ، ثم قَدَّمَ بَغْلاً ، فحملَ عليه صُندوقين وفَوقها فَرْشٌ ، ودفع إِليَّ نُسخةَ ما في الصُّندوقين ، وفيهما خَمسةُ آلاف درهم ، وقَدَّمَ إِلي الفرس الَّذي كان جَهَّزَهُ ، وقال : اركبْ ، وهذا الغُلامَ الأَسودُ يخدمُك ويَسوسُ مركوبَك . وأَقبلَ هو وامرأَتُهُ يَعتذران إِليَّ من التَّقصير في أَمري ، وركبَ معي يُشَيِّعُني ، وانصرفتُ إِلى بغداد ، وأَنا أَتوقَّعُ خَبَرَهُ لأفِيَ بِعَهدي له في مُجازاته ومُكافأَته ، واشتغلتُ مع أَمير المؤمنين ، فلم أَتفرَّغ أَن أُرسلَ إِليه مَن يَكشفُ خَبَرَهُ ، فلهذا أَنا أَسأَلُ عنه .

فلمّا سمعَ الرَّجلُ الحديثَ قال : لقد أَمكنَك اللهُ تَعالى من الوفاء ، ومُكافأَته على فِعْلِه ، ومُجازاته على صَنيعه بلا كُلْفَةٍ عَليك ، ولا مَؤُونَةٍ تَلْزَمُكَ . فقلتُ : وكيفَ ذلك؟ قال : أَنا ذلكَ الرَّجُلُ ، وإِنَّما الضُّرُّ الَّذي أَنا فيه غَيَّرَ عليك حالي ، وما كنتَ تَعرفُهُ مِنِّي ؛ ثم لم يَزِل يذكرُ لي تَفاصيلَ الأَسباب حتَّى أَثْبَتُّ مَعرفتَهُ . فَما تَمالَكْتُ أَن قُمتُ وقَبَّلْتُ رأسَهُ ، ثم قلتُ له : فما الَّذي أَصارَك إِلى ما أَرى؟ فقال : هاجَت بدمشقَ فِتنةٌ مثلَ الفِتنةِ الَّتي كانت في أَيّامك ، فَنُسِبَتْ إِليَّ ، وبعثَ أَمير المؤمنين بجيوشٍ فأَصلحوا البَلَدَ ، وأُخذتُ أَنا وضُرِبْتُ إِلى أَن أَشرفتُ على الموت ، وقُيِّدْتُ وبُعثَ بي إِلى أَمير المؤمنين ، وأَمري عنده عظيمٌ ، وخَطْبي لديهِ جَسيمٌ ، وهو قاتِلي لا مَحالَةَ ، وقد أُخْرِجْتُ من عِند أَهلي بلا وَصِيَّةٍ ، وقد تَبِعَني من غِلماني مَن يَنصَرفُ إِلى أَهلي بِخَبري ، وهو نازلٌ عند فُلان ، فإِن رأَيتَ أَن تجعلَ من مُكافأَتِكَ لي أَن تُرسلَ مَن يُحضرُه لي حتَّى أُوصيَه بما أُريد ؛ فإِن أَنت فَعلتَ ذلك ، فقد جاوزتَ حَدَّ المُكافأة ، وقُمت لي بوفاءِ عَهدك . قال العبّاس : قلتُ : يَصنعُ الله خيراً .

ثم أَحضَرَ حدّاداً في اللَّيل فَكَّ قُيودَه ، وأَزال ما كان فيه من الأَنْكال ،

وأَدخله حمّامَ داره ، وأَلْبَسَهُ من الثّياب ما احتاجَ إليه ، ثم سَيَّرَ مَن أَحضرَ إليه غُلامه ، فلمّا رآه جعلَ يَبكي ويُوصيه ، فاستدعَى العبّاسُ نائِبه ، وقال : عليَّ بالفَرَسِ الفُلانيّ ، والفَرَسِ الفُلانيّ ، والبَغْلَ الفُلانيّ ، والبغلةَ الفُلانيَّة ، حتَّى عَدَّ عشرةً ، ثم عشرةً من الصّناديق ، ومِن الكُسوة كذا وكذا ، ومن الطَّعام كذا وكذا .

قال ذلك الرَّجلُ : وأَحضرَ لي بَدْرَةَ عَشرةِ آلاف دِرهمٍ ، وكيساً فيه خَمسة آلاف دينار ، وقال لنائِبه في الشَّرطة : خُذْ هذا الرَّجُلَ وشَيِّعْهُ إلى حَدِّ الأَنْبار ؛ فقلتُ له : إِنَّ ذَنْبي عندَ أَمير المؤمنين عظيمٌ ، وخَطْبي جَسيمٌ ، وإِنْ أَنْتَ احتَجَجْتَ بأَنِّي هربتُ ، بَعَثَ أَميرُ المؤمنين في طَلبي كُلَّ مَن على بابه فأُرَدُّ وأُقتلُ ؛ فقال لي : انْجُ بنَفْسِكَ ، ودَعْني أُدبِّرُ أَمري ؛ فقلتُ : واللهِ ما أَبرحُ من بَغدادَ حتَّى أَعلمَ ما يَكونُ مِن خَبرِك ؛ فإِن احتَجْتَ إلى حُضوري حَضَرْتُ ؛ فقال لصاحِبِ الشَّرطَة : إنْ كانَ الأَمْرُ على ما يَقولُ فَلْيَكُنْ في مَوضع كذا ، فإِن أَنا سَلِمْتُ في غَداةِ غَدٍ أَعْلَمْتُهُ ، وإِن أَنا قُتِلْتُ ، فقَد وَقَيْتُهُ بنَفسي كما وَقاني بنَفْسِه ، وأَنشدُكَ اللهَ أَن لا يذهبَ من مالِه درهمٌ ، وتجتهدُ في إِخراجه من بَغداد .

قال الرَّجلُ : فأَخذَني صاحبُ الشَّرطَة وصَيَّرني في مكانٍ أَثِقُ به ، وتَفرَّغَ العبّاسُ لِنفسه ، وتحنَّطَ وجَهَّزَ له كَفَناً .

قال العبّاسُ : فلم أَفرُغْ من صَلاة الصُّبح إلا وأَرسلَ المأمونُ في طَلبي ، ويقولون : يَقولُ لك أَميرُ المؤمنين : هاتِ الرَّجلَ معك وقُمْ . قال : فتَوَجَّهتُ إلى دار أَمير المؤمنين ، فإذا هو جالسٌ وعليه ثِيابُه وهو يَنتظِرُنا . فقال : أَيْنَ الرَّجلُ؟ فسكتُّ ، فقال : وَيحك ، أَينَ الرَّجل؟ فقلتُ : يا أَمير المؤمنين ، اسمعْ مِنّي ؛ فقال : للهِ عَليَّ عَهْدٌ لَئِنْ ذَكرتَ أَنَّهُ هَرَبَ لأَضربنَّ عُنُقَك . فقلتُ : لا واللهِ يا أَمير المؤمنين ما هَرَبَ ، ولكنْ اسمعْ حَديثي وحَديثه ، ثم شأْنَكَ وما تُريدُ أَن تفعلَه في أَمري ؛ قال : قُل . فقلتُ : يا أَمير المؤمنين ، كان من حَديثي معه كَيْتَ وكَيْتَ ؛ وقَصَصْتُ عليه القِصَّةَ جميعَها ، وعرَّفْتُهُ أَنَّني أُريدُ أَن

أَفي له وأُكافئَه على ما فَعله مَعي ، وقلتُ : أَنا وسيِّدي ومَولاي أَميرُ المؤمنين بينَ أَمرين : إِمّا أَن يصفحَ عنِّي ، فأَكونَ قد وفيتُ وكافأتُ ، وإِمّا أَن يقتُلَني فأَقِيَهُ بنَفسي ؛ وقد تحنَّطتُ وها كَفَني يا أَمير المؤمنين ؛ فلمّا سمعَ المأمونُ الحديثَ قال : ويلكَ ، لا جَزاكَ اللهُ عن نَفسك خَيْراً ، إِنَّه فعلَ بك ما فَعَل من غيرِ مَعرفةٍ ، وتُكافئُه بعد المَعرفةِ والعَهْدِ بهذا لا غَير؟ هلا عَرَّفْتني خَبَرَهُ فَكُنّا نُكافِئُهُ عنكَ ، ولا نُقَصِّرُ في وَفائِكَ له؟ فقلتُ : يا أَمير المؤمنين ، إِنّه هَهنا ، قد حَلَفَ أَن لا يَبرحَ حتَّى يَعرفَ سَلامتي ؛ فإِن احتجتَ إِلى حُضوره حَضَرَ ، فقال المأمونُ ، وهذه مِنَّةٌ أَعظمُ من الأُولى ، اذهبْ الآن إِليه ، فَطَيِّبْ نَفْسَهُ ، وسَكِّن رَوْعَهُ ، وائتني به حتَّى أَتولّى مُكافأَتَهُ .

قال العبّاسُ : فأَتيتُ إِليه ، وقلتُ له : لِيَزُلْ خَوْفُكَ ، إِنَّ أَمير المؤمنين قال كَيْتَ وكَيْتَ . فقال : الحمدُ لله الَّذي لا يُحمدُ على السَّرَّاءِ والضَّرّاءِ سِواه ؛ ثم قامَ فَصَلَّى رَكعتين ، ثم ركبَ وجِئْنا ؛ فلمّا مَثَلَ بين يَدَيْ أَمير المؤمنين أَقبلَ عليه وأَدْناهُ من مَجلسِه ، وحَدَّثَه حتَّى حضرَ الغَداءُ . وأَكلَ مَعهُ وخَلعَ عليهِ ، وعرضَ عليه أَعمالَ دِمشق ، فاستَعفى ، فأَمر له المأمونُ بعشرةِ أَفراسٍ بسُروجِها ولُجُمِها ، وعَشرةِ أَبغالٍ بآلاتها ، وعَشرِ بِدَرٍ ، وعَشرة آلاف دينار ، وعَشرةِ مَماليك بدوابِّهم ، وكتبَ إِلى عامِله بدمشقَ بالوصيّة بِه ، وإِطلاقِ خَراجِه ؛ وأَمَرَهُ بِمُكاتَبته بأَحوالِ دِمشق ، فصارَت كُتُبُهُ تَصِلُ إِلى المأمون ، وكلَّما وَصَلَتْ خَريطَةُ البَرِيدِ وفيها كِتابُه يقولُ لي : يا عبّاسُ ، هذا كتابُ صَديقك ؛ والله تعالى أَعلم .

ومن عجائبِ هذا الأُسلوب وغرائبه

● ما أَورده[1] محمّد بن القاسم الأَنباري رحمه الله تعالى ، أَنَّ سَوّاراً صاحبَ رَحْبَةِ سَوّار ، وهو من المَشهورين ، قال :

---

(١) الفرج بعد الشدة (٣/ ١٤٣) .

انصرفتُ يوماً من دار الخليفةِ المَهْديّ ، فلمّا دخلتُ مَنزلي دَعوتُ بالطَّعام ، فلم تَقبلْهُ نَفْسي ، فأَمرتُ به فرُفِع ، ثم دعوتُ جاريةً كنتُ أُحِبُّها وأُحِبُّ حَديثَها وأَشتغلُ بها ، فلم تَطِبْ نَفسي ، فدخلَ وَقتُ القائِلة ، فلم يأخذْني النَّومُ ، فنهضتُ ، وأَمرتُ ببغلةٍ فأُسْرِجَتْ ، وأُحْضِرَت فركبتُها ، فلمّا خرجتُ من المنزلِ استقبلَني وكيلٌ لي ومعه مالٌ ، فقلتُ : ما هذا؟ فقال : أَلفا درهمٍ جَبَيْتُها من مُسْتَغَلِّكَ الجديد ؛ قلتُ : أَمسكها مَعكَ واتبَعْني ؛ فأَطلقْتُ رأسَ البَغلة حتَّى عَبَرَتِ الجِسْرَ ، ثم مَضيتُ في شارعِ دار الرَّقيق حتَّى انتهيتُ إلى الصَّحراء ، ثم رَجعتُ إلى باب الأَنبار ، وانتهيتُ إلى بابِ دارٍ نظيفٍ عليه شَجرةٌ ، وعلى البابِ خادمٌ ، فعَطشتُ ، فقلتُ للخادمِ : أَعِنْدَك ماءٌ تَسقينيه؟ قال : نعم ؛ ثم دخلَ وأَحضرَ قُلَّةً نَظيفةً طَيِّبَةَ الرَّائحةِ عليها مِنديلٌ ، فناوَلني ، فشربتُ ، وحضرَ وقتُ العَصر ، فدخلتُ مَسجداً على الباب فصلّيتُ فيه ، فلمّا قَضيتُ صَلاتي إذ أَنا بأَعمى يلتمسُ ، فقلتُ : ما تُريدُ يا هذا؟ قال : إيّاكَ أُريدُ . قلتُ : فما حاجَتُكَ؟ فجاءَ حتَّى جلسَ إلى جانبي ، وقال : شَمَمْتُ منكَ رائحةً طَيِّبَةً ، فظَننتُ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ النَّعيمِ ، فأَردتُ أَن أُحَدِّثَك بشيءٍ ، فقلتُ : قُلْ ؛ قال : أَلا تَرى إلى باب هذا القَصر؟ قلتُ : نَعم ؛ قال : هذا قَصْرٌ كان لأَبي ، فباعَه ، وخرجَ إلى خُراسان ، وخَرجتُ معه ، فَزالت عنّا النِّعَمُ الَّتي كُنّا فيها ، وعَمِيتُ ، فَقَدِمْتُ هذه المدينةَ ، فأَتيتُ صاحبَ هذا الدَّار لأَسأَلَهُ شيئاً يَصِلُني به وأَتَوَصَّلُ إلى سَوّارٍ ، فإنَّه كان صَديقاً لأَبي ؛ فقلتُ : ومَن أَبوك؟ قال : فُلانُ بن فُلان ؛ فعَرَفْتُهُ ، فإذا هو كانَ من أَصدَقِ النَّاسِ إليَّ ، فقلتُ له : يا هذا ، إنَّ الله تعالى قد أَتاك بسَوّارٍ ، مَنَعَهُ من الطَّعام والنَّوم والقَرار ، حتَّى جاءَ به ، فأَقعدَه بين يَديكَ ؛ ثم دعوتُ الوكيلَ ، فأَخذتُ الدَّراهمَ منه ، فدفعتُها إليه ، وقلتُ له : إذا كان الغدُ فَسِرْ إلى مَنزلي ؛ ثم مَضيتُ ، وقلتُ : ما أُحدِّثُ أَميرَ المؤمنين بشيءٍ أَظرفَ من هذا ؛ فأَتيتُهُ ،

فاستأذنتُ عليه فأَذنَ لي ، فلمّا دخلتُ عليهِ حَدَّثْتُهُ بما جَرى لي ، فأَعجَبَهُ ذلك ، وأَمر لي بأَلفي دينار ، فأُحضِرَتْ ، فقال : ادفَعْها إِلى الأَعمى ، فنهضتُ لأَقومَ ، فقال : اجلسْ ، فجلستُ ، فقال : أَعليكَ دَيْنٌ؟ قلتُ : نَعم . قال : كَم دَيْنُكَ؟ قلت : خَمسونَ أَلفاً ؛ فحادَثَني ساعةً ، وقال : امضِ إِلى منزِلِكَ ؛ فمضيتُ إِلى مَنزلي فإِذا بخادمٍ مَعهُ خَمسون أَلفاً ، وقال : يقولُ لَكَ أَميرُ المؤمنين : اقضِ بها دَينَكَ . قال : فَقَبَضْتُ منه ذلك ، فلمّا كان من الغدِ أَبطأَ عليّ الأَعمى ، وأَتاني رسولُ المهديِّ يدعوني ، فَجِئْتُهُ ، فقال : قد فَكَّرْتُ البارحةَ في أَمرِك ، فقلتُ : يَقْضي دَيْنَهُ ، ثم يَحتاجُ إِلى القَرْضِ أَيضاً ، وقد أَمرتُ لك بخمسين أَلفاً أُخرى ؛ قال : فَقَبَضْتُها وانصرفتُ ، فجاءَني الأَعمى ، فدفعتُ إِليه الأَلفي دينار ، وقلتُ له : قد رَزَقَكَ اللهُ تَعالى بِكَرَمِهِ ، وكافَأَكَ على إِحسان أَبيك ، وكافأَني على إِسداءِ المعروفِ إِليك ؛ ثم أَعطيتُه شيئاً آخرَ من مالي ، فأَخذَه وانصرفَ . واللهُ سُبحانه وتَعالى أَعلم .

ومِمَّا هو أَوضحُ حُسناً وأَرْجَحُ مَعنىً :

- ما حَكاه[1] القاضي يَحيى بن أَكثم رحمة الله عليه ، قال : دخلتُ يوماً على الخَليفة هارون الرَّشيد ولد المَهديّ ، وهو مُطرقٌ مُفَكِّرٌ ، فقال لي : أَتعرفُ

---

(١) الجليس والأنيس (٣/ ٣٦٦) والأغاني (٢٢/ ٨٥) .
قلت : إيراد هذا الخبر على هذا النحو المتناقض يدلُّ على سذاجة الأبشيهي بما لا مزيد عليه ؛ فأين عَبيد بن الأبرص الجاهليّ من الرَّشيد العبّاسيّ ، وبينهما من السنين ما بينهما ؟!! .
فالخبر في رواية المعافي منقول عن طريقين بسندين : أَحدهما عن الحسين بن القاسم الكوكبي ، عن أَبي الفَضل الربعي ، عن أبيه ؛ والثاني عن محمد بن القاسم الأنباري بسنده عن الشرقي بن القطامي قال : قال الرشيد للمفضل الضبّي : أَخبرني يا مفضل عن قول العرب : (البيت) . . . .
وقال أبو الفرج وقرأت في بعض الكتب ، عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، وهو خبر مصنوع ، يتبين التَّوليد فيه . ثم أورد الخبر مختصراً ؛ وليس فيهما ذكر الحج والصّلاة والتقرب إلى الله !!! .

قائلَ هذا البيت[1] : [من البسيط]

الخَيْـرُ أَبْقـى وإِنْ طـالَ الـزَّمـانُ بِـهِ والشَّرُّ أَخْبَثُ ما أَوْعَيْتَ مِن زادِ؟

فقلتُ : يا أَمير المؤمنين ، إنَّ لهذا البيتِ شأناً مع عَبيد بن الأبرص ؛ فقال : عَلَيَّ بِعبيدٍ ، فلمّا حضرَ بين يَديه ، قال له : أَخبرني عن قَضِيَّة هذا البيت ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، كنتُ في بعضِ السِّنين حاجّاً ، فلمّا تَوَسَّطْتُ الباديةَ في يومٍ شَديدِ الحَرِّ سَمعتُ ضَجَّةً عَظيمةً في القافِلة أَلْحَقَتْ أَوّلَها بآخِرها ، فسأَلتُ عنِ القِصَّةِ ، فقال لي رَجلٌ من القَوم : تَقَدَّم تَر ما بالنّاسِ ؛ فَتَقَدَّمْتُ إلى أَوَّلِ القافِلة ، فإذا أَنا بشُجاعٍ أَسودَ فاغِرٍ فاهُ كالجِذْعِ ، وهو يَخُورُ كما يَخورُ الثَّورُ ويَرغُو كَرُغاءِ البَعير ؛ فهالَنِي أَمْرُهُ وبَقِيْتُ لا أَهتدي إلى ما أَصنعُ في أَمره ، فَعَدَلْنا عن طَريقِه إلى ناحيةٍ أُخرى ، فعارَضَنا ثانياً ، فَعلمتُ أَنَّه لِسَبَبٍ ، ولم يَجسرْ أَحدٌ من القَوم أَن يَقْرَبَهُ ، فقلتُ : أَفدي هذا العالَم بنَفسي ، وأَتَقَرَّبُ إلى الله تعالى بِخَلاص هذه القافِلة مِن هذا ؛ فأَخذتُ قِرْبَةً من الماءِ ، فَتَقَلَّدْتُها وسَلَلْتُ سَيفي وتقدَّمْتُ ؛ فلمّا رآني قَرُبْتُ منه سَكَنَ ، وبَقيتُ مُتَوَقِّعاً منه وَثْبَةً يَبْتَلِعُني فيها ، فلمَّا رأَى القِرْبَةَ فَتحَ فاهُ ، فجعلتُ فَمَ القِرْبَةِ في فِيهِ ، وصَبَبْتُ الماءَ كما يُصَبُّ في الإناءِ ، فلمَّا فَرَغَتِ القِرْبَةُ تَسَيَّبَ في الرَّمل ومَضى ، فتعجَّبتُ من تَعَرُّضِهِ لَنا وانصِرافِهِ عنّا من غيرِ سوءٍ لَحِقَنا منه .

ومَضَينا لحجِّنا ثمَّ عُدْنا في طَريقِنا ذلك وحطَطْنا في مَنزلنا ذلك في ليلةٍ مُظلمةٍ مُدْلَهِمَّةٍ ، فأَخذتُ شيئاً من الماءِ وعَدَلْتُ إلى ناحيةٍ عن الطَّريق ، فقضيتُ حاجَتي ، ثمَّ تَوضَّأْتُ وصَلَّيتُ ، وجلستُ أَذكرُ اللهَ تَعالى ، فأَخَذَتْني عَيْني ، فنِمْتُ مَكاني ، فلمَّا استيقظتُ مِنَ النَّوم لم أَجِدْ للقافِلَةِ حِسّاً ، وقد ارتَحلوا وبَقيتُ مُنْفَرداً ، لم أَرَ أَحَداً ولم أَهتَدِ إلى ما أَفعلُه ؛ وأَخذَتني حَيْرَةٌ ،

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص في ديوانه (٤٩) وديوان المعاني (١/١١٨) ، وبلا نسبة في الأمثال والحكم (٣١) . .

وجعلتُ أَضْرِبُ ، وإذا بصَوتٍ هاتفٍ أَسمعُ صَوْتَه ولا أَرى شَخْصَهُ يقولُ : [من الرجز]

يا أَيُّها الشَّخْصُ المُضَلُّ مَرْكَبُهْ ... ما عِنْدَهُ من ذي رَشادٍ يَصْحَبُهْ

دُونَكَ هذا البَكْرَ مِنّا تَرْكَبُهْ ... وَبَكْرُكَ المَيمونُ حَقّاً تَجْنُبُهْ

حتَّى إذا ما اللَّيْلُ زالَ غَيْهَبُهْ ... عِنْدَ الصَّباحِ في الفَلا تُسَيِّبُهْ

فنظرتُ ، فإذا أَنا بِبَكْرٍ قائمٍ عِندي ، وبَكْري إلى جانِبي ، فأَنَخْتُهُ ورَكِبْتُهُ وجَنَبْتُ بَكْري ، فلمَّا سِرْتُ قدرَ عَشرةِ أَميالٍ لاحَت لي القافلةُ ، وانفجرَ الفَجْرُ ، ووقفَ البَكْرُ ، فَعلمتُ أَنَّه قد حانَ نُزولي ، فتحوَّلتُ إِلى بَكري وقلتُ [1] : [من البسيط]

يا أَيُّها البَكْرُ قَدْ أَنْجَيْتَ من كُرَبٍ ... وَمِنْ هُمومٍ تُضِلُّ المُدْلِجَ الهادي

أَلا تُخَبِّرُني باللهِ خالِقِنا ... مَن ذا الَّذي جادَ بالمَعْروفِ في الوادي

وارْجِعْ حَميداً فَقَدْ بَلَّغْتَنا مِنَناً ... بُورِكْتَ من ذي سَنامٍ رائِحٍ غادي

فالتفتَ البَكْرُ إِليَّ وهو يقولُ : [من البسيط]

أَنا الشُّجاعُ الَّذي أَلْفَيْتَني رَمِضاً ... واللهُ يَكْشِفُ ضُرَّ الحائِرِ الصّادي

فَجُدْتَ بالماءِ لَمّا ضَنَّ حامِلُهُ ... تَكَرُّماً مِنْكَ لَمْ تَمْنُنْ بأَنْكادِ

فالخَيْرُ أَبْقى وإِنْ طالَ الزَّمانُ بِهِ ... والشَّرُّ أَخْبَثُ ما أَوْعَيْتَ من زادِ

هذا جَزاؤُكَ مِنّي لا أَمُنُّ بِهِ ... فاذْهَبْ حَميداً رعاكَ الخالِقُ الهادي

فعجبَ الرَّشيدُ من قَولِهِ ، وأَمرَ بالقِصَّةِ والأَبيات ، فكُتِبَتْ عنه ، وقال : لا يَضيعُ المَعروفُ أَينَ وُضِعَ ! ! .

● واللهُ سُبحانه وتَعالى أَعلمُ بالصَّواب ، وإِليه المرجعُ والمآبُ .

* * *

---

(١) ديوانه (٤٩) .

البابُ الثّالث والأربعون

في الهِجاء ومُقدّماته

● القصدُ[1] من الهجاء الوقوفُ علىٰ مُلَحِهِ ، وما فيه من أَلفاظٍ فَصيحةٍ ومَعانٍ بَديعةٍ ، لا التَّشَفِّي بالأَعراض والوقوعَ فيها . وليسَ الهجاءُ دليلاً علىٰ إساءَةِ المَهْجُوِّ ولا صِدْقِ الشّاعرِ فيما رَماهُ به ، فما كُلُّ مَذمومٍ بِذَميمٍ ، وقد يُهْجَىٰ الإِنسانُ بُهتاناً وظُلْماً أَو عَبَثاً أَو إِرْهاباً .

● قال[2] المتوكِّلُ لأَبي العَيْناء : كم تمدحُ النّاسَ وتَذُمُّهم ؟ قال : ما أَحسنوا وأساؤوا .

● وقد رضيَ الله تعالىٰ علىٰ عبدٍ من عَبيده فمدَحَه ، فقال : ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص : ٣٠ ، ٤٤] ، وغَضب علىٰ آخر ، فقال : ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم : ١٢ ـ ١٣] .

قيل : الزَّنيمُ : المُلْصَقُ بالقَومِ وليسَ منهم .

● وقال[3] دِعْبِلُ في المأمون بعد البَيْعَةِ له وقَتْلِ الأَمين[4] : [من الكامل]

إِنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِين هُمُ هُمُ ... قَتَلوا أَخاك وشَرَّفُوكَ بِمَقْعَدِ
شادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طُولِ خُمولِه ... واسْتَنْقَذُوكَ من الحَضيضِ الأَوْهَدِ

---

(١) عن التذكرة الحمدونية (٥/ ٩٢) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٥/ ٩٣) ونثر الدر (٣/ ١٩٥) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٥/ ٩٣) وثمار القلوب (٢/ ٧٦٢) والأغاني (٢٠/ ١٣١) وزهر الآداب (٩٣) .
(٤) ديوانه (١٢٣) .

فقالَ المأمونُ : ما أَبْهَتَهُ ! ليت شِعري مَتىٰ كُنتُ خامِلاً ، وفي حِجْرِ الخِلافة رُبِّيْتُ وَبِدَرِّها غُذيتُ ؟

• ولمَّا[1] قُتل جعفرُ بن يَحيىٰ بَكىٰ عليه أبو نُواس ، فقيل له : أَتبكي علىٰ جَعفرٍ وأَنت هَجَوْتَهُ ؟ فقال : كان ذلك لِرُكوبِ الهوىٰ ، وقد بَلَغَهُ ـ واللهِ ـ أَنّي قلتُ[2] : [من الطويل]

ولستُ وإِن أَطْنَبْتُ في وَصِفِ جَعفرٍ ... بـأَوَّلِ إِنسـانٍ خَـري فـي ثِيـابِـهِ

فكتبَ : يُدْفَعُ إِليه عشرةُ آلافِ درهمٍ يَغسلُ بِها ثِيابه .

• ومن[3] العَبَثِ بالهَجْو ، ما رُوي أَنَّ الحُطَيئة هَمَّ بِهجاءٍ ، فلم يجدْ مَن يستحقُّه ، فقال[4] : [من الطويل]

أَبَـتْ شَفَتـايَ اليَـوْمَ إِلاَّ تَكلُّمـاً ... بِسُـوءٍ فَـلا أَدْري لِمَـنْ أَنـا قـائِلُـهْ
أَرىٰ لِـيَ وَجْهـاً قَبَّـحَ اللهُ خَلْقَـهُ ... فَقُبِّـحَ مِـنْ وَجْـهٍ وَقُبِّـحَ حـامِلُـهْ

وعَبَثَ بأُمِّه ، فقال[5] : [من الوافر]

تَنَحَّـيْ فـاجْلِسـي عَنّـا بَعيـداً ... أَراحَ اللهُ مِنْـكِ العـالَمينـا
أَغِـربـالاً إذا اسْتُـودِعْـتِ سِـرّاً ... وكـانُـونـاً علـىٰ المُتَحَـدِّثينـا
حَيـاتُـكِ مَـاعَلِمْـتُ حَيـاةُ سَـوْءٍ ... وَمَـوْتُـكِ قَـدْ يَسُـرُّ الصَّـالِحينـا

• وقال[6] رجلٌ : ما أُبالي أَهُجيتُ أَم مُدحتُ ؛ فقال له الأَحنفُ : أَرَحْتَ نفسَك مِنْ حيثُ تعبَ الكِرامُ .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٥/ ٩٤) .
(٢) ديوانه (٢/ ١١٧) (فاغنر) والمناقب والمثالب رقم (١٠٧٤) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٥/ ٩٥) والأغاني (٢/ ١٦٣) وكامل المبرد (٢/ ٧٢٦) .
(٤) ديوانه (٢٨٢) .
(٥) ديوانه (٢٧٧) .
(٦) التذكرة الحمدونية (٥/ ٩٧) وعيون الأخبار (٢/ ٤١) .

• وقال[1] رجلٌ لآخر : إن هَجَوْتَني أتموتُ ابنتي ؟ قال : لا ؛ قال : أفتخربُ ضَيْعَتي ؟ قال : لا ؛ قال : فَرِجْلي مع ساقي إلىٰ حَلْقي في حِرِ أُمِّك ؛ قال : ولِمَ تَرَكْتَ رأسَكَ ؟ قال : لأنظرَ ما تَصنعُ .

• وأنا أقولُ : إنَّما يَخشىٰ من الهَجْوِ مَن يخافُ علىٰ عِرْضِهِ ؛ وأمَّا مَن لا يَخافُ علىٰ عِرْضِهِ فقد يَستوي عِندَه المَدْحُ والذَّمُّ ؛ وبِئس الرَّجلُ ذاك .

• وكان[2] الرَّجل من نُمَيْرٍ إذا قيلَ له : مِمَّن الرَّجلُ ؟ يقول : مِن نُمَيْرٍ ؛ وأمال بها عُنُقَه ، فلمّا هَجاهم جريرٌ بقَوله[3] : [من الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمَيْرٍ ... فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا

صارَ إذا قيلَ لأحدِهم : مِمَّن الرَّجل ؟ يقولُ : من بني عامر .

وما لَقِيَتْ قَبيلةٌ من العرب بِهَجْوٍ ما لَقيت نُمَيْرٌ بِهَجْوِ جَرير .

• وهجا[4] ابنُ بسّام رجلاً ، فقال : [من الخفيف]

يا طُلوعَ الرَّقيبِ من غَيْرِ إلْفٍ ... يا غَريماً أَتىٰ علىٰ مِيْعادِ

يا رُكوداً في وَقْتِ غَيْمٍ وَصَيْفٍ ... يا وُجُوهَ التُّجّارِ يَوْمَ كَسادِ

• وقَصَدَ[5] ابنُ أبي عُيينة قَبيصةَ المُهَلَّبيّ ، واستَماحَهُ ، فلم يَسْمَحْ له بِشيءٍ ، فانصرفَ مُغْضَباً ، فَوَجَّهَ إليه داودُ بن يَزيد بن حاتم ، فتَرَضّاه ، وأَحسنَ إليه ، فقال في ذلك : [من الكامل]

---

(١) في التذكرة الحمدونية (٥/ ٩٧) : وقال بعض النبط لبشار : إن هجوتني تخرب ضيعتي ؟ قال : لا ؛ قال : فتموت عيشونة ابنتي ؟ . . . .
(٢) التذكرة الحمدونية (٥/ ٩٩) والأغاني (٢٠/ ٢٠ و٣٠ و٣٢ و٣٤) .
(٣) ديوانه (٢/ ٨٢١) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٥/ ١٠٦) وثمار القلوب (١/ ٢٦٦) . والبيتان في هجاء أخيه .
(٥) الأغاني (٢٠/ ١٠٥ ـ ١٠٦) ومعجم الشعراء (١١٠) والتذكرة الحمدونية (٥/ ١٥٩) والمناقب رقم (٩٥١) .

داودُ مَحمــودٌ وأَنْــتَ مُـذَمَّـمٌ   عَجَبـاً لِـذاك وأَنْتُمـا مِـن عُـودِ
وَلَـرُبَّ عُـودٍ قَـد يُشَـقُّ لِمَسْجِـدٍ   نِصْفـاً وَبـاقيـهِ لِحُـشٍّ يَهـودِ
فـالحُـشُّ أَنْـتَ لَـهُ وَذاك بِمَسْجِـدٍ   كَـمْ بَيْـنَ مَـوْضِـعِ مَسْلَـحٍ وَسُجُـودِ
هـذا جَـزاؤكَ يـا قَبيـصُ لأَنَّـهُ   جـادَتْ يَـداهُ وأَنْـتَ قُفْـلُ حَـديـدِ

• وله هجاءٌ في خالد[1] : [من الطويل]

أَبـوك لَنـا غَيْـثٌ يُغيـثُ بِـوَبْلِـهِ   وَأَنْـتَ جَـرادٌ لَسْـتَ تُبْقي ولا تَـذَرْ
لَـهُ أَثَـرٌ فـي المَكْـرُمـاتِ يَسُـرُّنـا   وَأَنْـتَ تُعَفِّـي دائِمـاً ذلِـكَ الأَثَـرْ

وقال المُبَرِّدُ في حَقِّه : لم يَجتمعْ لأَحدٍ من المُحْدَثين في بيتٍ واحدٍ هِجاءُ رجلٍ ومَدْحُ أَبيه إِلاَّ لهُ .

• ولمّا[2] قعدَ حمّاد عَجْرَد لِتأديبِ وَلَد الأَمين ، قال بشّار بن بُرد[3] : [من البسيط]

قُـلْ لِـلأَميـنِ جَـزاكَ اللهُ صـالِحَـةً   لا تَجْمَعِ الدَّهْرِ بينَ السَّخْلِ والذِّيبِ
السَّخْـلُ يَعلَـمُ أَنَّ الـذِّئْـبَ آكِلُـهُ   والذِّئْبُ يَعلمُ ما بالسَّخْلِ من طِيْبِ

وقال فيه أَيضاً[4] : [من مجزوء الخفيف]

---

(١) الأغاني (٢٠/ ١١٦) . وخالد هو ابن يزيد بن حاتم المهلبي .
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٢١٢) . وما ذكره المؤلف نقلاً عن ابن خلكان أن حماداً قعد لتأديب ولد الأمين فغير صحيح ، لأن حماداً توفي سنة ١٦١هـ وبويع للأمين سنة ١٩٣هـ . والصواب ما ذكره الثعالبي في الكناية والتعريض ٧١ قال : ويروىٰ أن حماد عجرد لمّا أُقعد لتأديب ولد العبّاس بن محمد وفيه رواية البيت الأول : قل للأمير . . . .
(٣) ديوانه (٤/ ٣١) ؛ وينسبان إلىٰ حماد عجرد في هجاء قطرب النحوي في الأغاني (١٤/ ٣٣٢) ومعاهد التنصيص (١/ ٣٠٠) وهما لأبي نواس في ديوانه (١/ ٢٩٥) (فاغنر) .
(٤) ديوانه (٤/ ٢١٠) والأغاني (١٤/ ٣٣١) والكناية والتعريض (٧٢) ومعاهد التنصيص (١/ ٢٩٩) والأبيات قيلت للربيع لما اتصل به حماد مؤدّباً لولده .

يـــا أَبـــا الفَضْــــلِ لا تَنَــمْ وَقَــعَ الــذِّئْــبُ فــي الغَنَــمْ
إِنَّ حَمّــــــادَ عَجْـــــرَدٍ شَيْــخُ سَــوْءٍ قَــدِ اغْتَنَــمْ
بَيْـــنَ فَخْـــذَيْـــهِ حَـــرْبَـــةٌ فِــي غِـــلافٍ مِـــنَ الأَدَمْ
إِنْ رَأَىٰ ثَـــــمَّ غَفْلَـــــةً مَجْمَـــجَ المِيْـــمَ بـــالقَلَـــمْ

فشاعَت الأَبياتُ ، فأَمَر الأَمينُ بإِخراجِ حمّاد .

● **وقال**[1] رجلٌ لأَخيه لأَبويه : لأَهْجُوَنَّكَ هِجاءً يَدخلُ مَعك في قَبْرك ، قال : كيفَ تَهجوني وأَبوك أَبي ، وأُمُّك أُمِّي ؟ قال : أَقول : [من الطويل]

غُـلامٌ أَتـاهُ اللُّـؤْمُ مـن شَطْـرِ نَفْسِـهِ ولـم يـأتِـهِ مـن شَطْـرِ أُمٍّ ولا أَبِ

[فقال : قتلتني ، قَتلكَ الله .]

● وكان[2] بشار بن بُرد هَجا المهديَّ وهجا يعقوبَ بن داود ، فقال[3] : [من البسيط]

بنـي أُمَيَّـةَ هُبُّـوا طـالَ نَـوْمُكُـمُ إِنَّ الخَليفَـةَ يَعقـوبَ بـنَ داودِ
ضاعَتْ خِلافَتُكُمْ يا قَوْمُ فالْتَمِسوا خَليفَـةَ اللهِ بيـنَ النّـاي والعُـودِ

فدخلَ يعقوبُ علىٰ المهديِّ ، فأَخبرَه أَنَّ بشّاراً هَجاه ، فاغتاظَ المهديُّ وانحدَر إِلىٰ البصرة لينظرَ في أَمرها ، فسمعَ أَذاناً في ضُحىٰ النَّهار ، فقال : انظرُوا ما هذا ؟ وإذا بِهِ بشّار وهو سَكران ؛ فقال له : يا زِنديق ، عَجبتُ أَن يكونَ هذا من غيرك ؛ ثم أَمرَ به ، فضَربه سَبعين سَوْطاً ، حتّىٰ أتلفه بها وأُلقي في سَفينة ؛ فقال : ليت عينَ أَبي الشَّمَقْمَق تَراني حيثُ يَقول[4] : [من مجزوء الرمل]

إِنَّ بَشّـــارَ بـــنَ بُـــرْدٍ تَيْـسٌ أَعمَـىٰ فـي سَفينَـهْ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٥/ ١٤٣) .
(٢) الأغاني (٣/ ٢٤٣ و٣٤٧) .
(٣) ديوانه (٣/ ٩١) ومعاهد التنصيص (١/ ٣٠٠) .
(٤) ديوان أبي الشمقمق (٥٢) (ضمن شعراء عباسيون لغرونباوم) والمعاهد (١/ ٣٠٤) .

فلمّا ماتَ أُلقيَتْ جُثَّتُهُ في الماء ، فحملَه الماءُ ، فأَخرجه إِلىٰ الدِّجلة ، فجاءَ بعضُ أَهله ، فحَملوه إِلىٰ البَصرة ؛ وأُخرجَت جنازَته ، فما تَبِعَهُ أَحَدٌ ، وتَباشَرَ عامَّةُ النّاسِ بموتِهِ لِما كان يَلحقُهم من الأَذىٰ منه .

• وخاصَمَ[1] أَبو دُلامةَ رجلاً ، فارتفعا إِلىٰ عافية القاضي ، فلمّا رآهُ أَبو دُلامة أَنشد يقولُ[2] : [من المتقارب]

لَقَد خاصَمَتْني دُهاةُ الرِّجالِ ... وخاصَمْتُها سَنَةً وافِيَهْ
فَما أَدْحَضَ اللهُ لي حُجَّةً ... ولا خَيَّبَ اللهُ لي قافِيَهْ
ومَن خِفْتُ مِنْ جَوْرِهِ في القَضاءِ ... فَلَسْتُ أَخافُكَ يا عافِيَهْ

فقال عافيةُ : لأَشْكُوَنَّكَ إِلىٰ أَمير المؤمنين ، ولأُعْلِمَنَّهُ أَنَّكَ هَجَوْتَني . قال له أَبو دُلامة : إِذاً واللهِ يَعْزِلُك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأَنَّكَ لا تَعرفُ الهجاءَ من المَدْح ؛ قال : فبلغَ ذلك المنصورَ ، فضَحك وأَمر له بجائزةٍ .

• ودخلَ[3] أَبو دُلامة علىٰ المَهديِّ وعندهُ إِسماعيلُ بن عليّ ، وعيسىٰ بن موسىٰ ، والعبّاس بن محمَّد ، وجماعةٌ من بني هاشِم ، فقال له المهديُّ : واللهِ لئن لم تَهْجُ واحِداً ممَّن في هذا البيت لأَقطعنَّ لِسانك ؛ فنظرَ إِلىٰ القوم وتحيَّرَ في أَمره ، وجعل ينظرُ إِلىٰ كلِّ واحدٍ ، فيغمزُه بأَنَّ عليه رِضاه ؛ قال أَبو دُلامة : فازددتُ حَيرةً ، فما رأَيتُ أَسْلَمَ لي من أَن أَهجوَ نَفسي ، فقلتُ[4] : [من الوافر]

---

(١) الأغاني (١٠/ ٢٥٧) وطبقات ابن المعتز (٥٧ ـ ٥٨) وتاريخ بغداد (١٢/ ٣١٠) وأخبار القضاة (٣/ ١٣٩) .

(٢) ديوانه (٨٦) .

(٣) الأغاني (١٠/ ٢٦٩) وطبقات ابن المعتز (٥٧) وتاريخ بغداد (٨/ ٤٨٩ و٤٩٣) والتذكرة الحمدونية (٥/ ١٧٢) .

(٤) ديوانه (٧٩) . والأول والثاني ينسبان إلىٰ أبي عطاء السندي في هجاء أبي دلامة ، في تاريخ بغداد (٨/ ٤٨٩) ووفيات الأعيان (٢/ ٧٧) .

أَلا أَبْلِـغْ لَـدَيْـكَ أَبـا دُلامَـهْ   فَلَسْـتَ مِـن الكِـرامِ وَلا كَـرامَـهْ

جَمَعْـتَ دَمـامَـةً وجَمَعْـتَ لُـؤْمـاً   كـذاكَ اللُّـؤْمُ تَتْبَعُـهُ الـدَّمـامَـهْ

إذا لَبِـسَ العِمـامَـةَ قُلْـتَ قِـرْداً   وخِنْـزيـراً إذا نَـزَعَ العِمـامَـهْ

فضحكَ القومُ ، ولم يبقَ منهم أَحدٌ إلاّ أَجازَه .

• وقال[1] ابنُ الأعرابيِّ : إنَّ أهجىٰ بيتٍ قالَه المُحْدَثون قولُ محمَّد بن وُهَيْبٍ في عليّ بن هشام[2] : [من البسيط]

لم تَنْدَ كَفَّاكَ مِن بَذْلِ النَّوالِ كَما   لـم يَنْـدَ سَيْفُـكَ مُـذْ قُلِّـدْتَـهُ بِـدَمِ

• وهجا[3] بعضُهم القمرَ ، فقال : يَهدمُ العُمر ، ويُوجب أُجرةَ المَنزل ، ويُشْحِبُ الأَلوان ، ويَقرضُ الكَتّان ، ويُضِلُّ السّاري ، ويُعينُ السّارق ، ويَفضحُ العاشِق .

• ولابن مُنقذ[4] في ابن طُلَيْب المِصْري وقد احترقَت دارُه : [من الكامل]

انظـرْ إلـىٰ الأَيّـامِ كَيْـفَ تَسُـوقُنـا   قَسْـراً إلـىٰ الإقْـرارِ بـالأَقْـدارِ

مـا أَوْقَـدَ ابـنُ طُلَيْـبٍ قَـطُّ بِـدارِهِ   نـاراً وكـانَ خَـرابُهـا بـالنّـارِ

• وكان[5] للوجيهِ ابنِ صُورة المِصري ـ دَلاّلِ الكُتُبِ ـ دارٌ بمِصر مَوصوفَةٌ بالحُسْنِ ، فاحترَقَت ، فقال فيها ابنُ المُنَجِّم : [من الطويل]

---

(١) الأغاني (١٩/ ٨١ ـ ٨٢) ومعاهد التنصيص (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) والتذكرة الحمدونية (٥/ ١٢٦) . وفي الأصول : في محمد بن هاشم !! .

(٢) ديوانه (٨٨) (ضمن شعراء عباسيون) .

(٣) تحسين القبيح (١١٧) .

(٤) ديوان أسامة بن منقذ (٢٠٧) ووفيات الأعيان (١/ ١٩٦) .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ١٩٧) .
وابن صورة : هو أبو الفتوح ناصر بن علي بن خلف الأنصاري .
وابن المنجم: هو علي بن مفرج المنجم، نشو الدولة. (الخريدة ـ قسم مصر ـ (١/ ١٦٨)).

أَقولُ وقد عايَنْتُ دارَ ابنِ صُورَةٍ ... ولِلنّارِ فيها وَهْجَةٌ تَتَضَرَّمُ
فَما هو إلاّ كافِرٌ طالَ عُمْرُهُ ... فَجاءَتْهُ لمّا اسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ

• وقد أَحسنَ الأَيبُ كمالُ الدِّين عليّ بن محمَّد بن المبارك ، الشَّهير بابن الأَعمىٰ في ذَمِّ دارٍ كان يَسكنُها ، حيثُ قال[1] : [من الكامل]

دارٌ سَكَنْتُ بِها أَقَلُّ صِفاتِها ... أَنْ تَكْثُرَ الحَشَراتُ في جَنَباتِها
الخَيْرُ عَنْها نازِحٌ مُتَباعِدٌ ... والشَّرُّ دانٍ مِن جَميعِ جِهاتِها
مِن بَعْضِ ما فِيها البَعُوضُ عَدِمْتُهُ ... كَمْ أَعْدَمَ الأَجْفانَ طِيبَ سِناتِها
وتَبيتُ تُسْعِدُها بَراغيثٌ مَتىٰ ... غَنَّتْ لَها رَقَصَتْ علىٰ نَغماتِها
رَقْصٌ بِتَنْقيطٍ وَلكِنْ قافُهُ ... قد قُدِّمَتْ فيه علىٰ أَخَواتِها
وَبِها ذُبابٌ كالضِّبابِ يَسُدُّ عَيْـ ... ـنَ الشَّمْسِ ، ما طَرَبي سِوىٰ غَنّاتِها
أَيْنَ الصَّوارِمُ والقَنا مِن فَتْكِها ... فِينا وأَيْنَ الأُسْدُ مِن وَثَباتها
وَبِها مِن الخطّافِ ما هُوَ مُعْجِزٌ ... أَبْصارَنا عَن وَصْفِ كَيْفِيّاتِها
وبِها خفافيشٌ تطيرُ نَهارَها ... معَ لَيْلِها ليستْ على عاداتِها
وَبِها مِنَ الجِرْذان ما قَد قَصَّرَتْ ... عنهُ العِتاقُ الجُرْدُ في حَمَلاتها
وَبِها خَنافِسُ كالطَّنافِسِ أُفْرِشَتْ ... فِي أَرْضِها وَعَلَتْ علىٰ جَنَباتِها
لَو شَمَّ أَهْلُ الحَرْبِ مُنْتِنَ فَسْوِها ... أَرْدَىٰ الكُماةَ الصِّيْدَ عن صَهَواتِها
وَبَناتُ وَرْدانٍ وأَشكالٌ لَها ... مِمّا يَفُوتُ العَيْنَ كُنْهُ ذَواتِها
أَبَداً تَمُصُّ دِماءَنا فَكَأَنَّها ... حَجّامَةٌ لَبَدَتْ علىٰ كاساتِها
وَبِها مِن النَّمْلِ السُّلَيْمانيِّ ما ... قَد قَلَّ ذَرُّ الشَّمْسِ عن ذَرّاتِها
ما راعَني شَيْءٌ سِوىٰ وُزْغانِها ... فَنَعُوذ بالرَّحمٰنِ مِن نَزَغاتِها[2]

---

(١) القصيدة بأطول ممّا هنا في فوات الوفيات (٣/ ٨٩ ـ ٩١) ومطالع البدور (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) وحياة الحيوان (٢/ ٤٢٣ ـ ٤٢٥) .

(٢) في ط : × فتعوّذوا بالله من لدغاتها .

سَجَعَتْ علىٰ أَوْكارِها فظَنَنْتُها ... وُرْقَ الحَمامِ سَجَعْنَ في شَجَراتِها

وَبِها زَنابيرٌ تُظَنُّ عَقارِباً ... لا بُرْءَ لِلْمَسْمُومِ مِن زَفَراتِها[1]

وَبِها عَقارِبُ كالأقارِبِ رُتَّعٌ ... فِينا حَمانا اللهُ لَدْغَ حُماتِها

كيفَ السَّبيلُ إلىٰ النَّجاةِ وَلا نَجا ... ةَ ولا حَياةَ لِمَنْ رَأىٰ حَيّاتِها

مَنْسُوجَةٌ بالعَنْكَبُوتِ سَماؤُها ... والأَرْضُ قَد نُسِجَتْ بِبَزّاقاتِها[2]

فَضَجيجُها كالرَّعْدِ في جَنَباتِها ... وَتُرابُها كالرَّمْلِ في خَشَباتِها

والبُومُ عاكِفَةٌ علىٰ أَرْجائِها ... والدُّودُ يَبْحَثُ في ثَرىٰ عَرَصاتِها

والجِنَّ تَأْتيها إذا جَنَّ الدُّجىٰ ... تَحْكي الخُيولَ الجُرْدَ في حَمَلاتِها[3]

والنَّارُ جُزْءٌ مِن تَلَهُّبِ حَرِّها ... وَجَهَنَّمٌ تُعْزَىٰ إلىٰ لَفَحاتِها[4]

شاهَدْتُ مَكْتُوباً علىٰ أَرْجائِها ... وَرَأَيْتُ مَسْطوراً علىٰ جَنَباتِها[4]

لا تَقْرَبُوا مِنْها وخافُوها وَلا ... تُلْقُوا بِأَيْديكُمْ إلىٰ هَلَكاتِها

أَبَداً يَقُولُ الدّاخِلونَ بِبابِها : ... يا رَبِّ نَجِّ النّاسَ مِن آفاتِها

قالوا إذا نَدَبَ الغُرابُ مَنازِلاً ... يَتَفَرَّقُ السُّكّانُ مِن ساحاتِها

وَبِدارِنا أَلْفا غُرابٍ ناعِقٍ ... كَذَبَ الرُّواةُ فأَيْنَ صِدْقُ رُواتِها

صَبْراً لَعَلَّ اللهَ يُعْقِبُ راحَةً ... لِلنَّفْسِ إذْ غُلِبَتْ علىٰ شَهَواتِها

دارٌ تَبيتُ الجِنُّ تَحْرُسُ نَفْسَها ... فيها وَتَنْدُبُ باخْتِلافِ لُغاتِها

كَمْ بِتُّ فيها مُفْرَداً والعَيْنُ مِن ... شَوْقِ الصَّباحِ تَسِحُّ مِن عَبَراتِها

وأَقولُ : يا رَبَّ السَّمٰواتِ العُلا ... يا رازِقاً لِلوَحْشِ في فَلَواتِها

أَسْكَنْتَني بِجَهَنَّمِ الدُّنيا فَفي ... أُخْراي هَبْ لي الخُلْدَ في جَنّاتِها

---

(١) في ط : × حَرُّ السَّموم أخفُّ من زفراتها .

(٢) في ط : × . . . . نسجت علىٰ آفاتها .

(٣) هذا البيت لم يرد في أ ، ب ، وفوات الوفيات .

(٤) البيتان لم يردا في أ ، ب .

واجْمَعْ بِمَنْ أَهواهُ شَمْلي عاجِلاً ... يـا جـامِـعَ الأَرْواحِ بَعْـدَ شَتـاتِهـا

• ولبعضهم في بَلّان[1] : [من البسيط]

أَشكـو إلـىٰ الله بَـلاّنـاً بُليـتُ بـهِ ... مَسَّـتْ أَنـامِلُـهُ ظَهْـري فـأَدْمـانـي

فَـلا يُـدَلِّـكُ تَـدْليكـاً بِمَعْـرِفَـةٍ ... ولا يُسَـرِّحُ تَسْـريحـاً بـإِحسـانِ

• وللشَّيخ شَمس الدِّين البُدَيْري في بَلاّنٍ أَيضاً : [من الوافر]

وَبَـلاّنٍ لَـهُ ظُفْـرٌ يُبـاهـي ... بِـهِ حَـدَّ الشِّفـارِ المُـرْهَفـاتِ

هَـرىٰ جِسْمـي فـأَلْبَسَـهُ نَجيعـاً ... علـىٰ حُلَـلِ السُّتُـورِ السَّـابِـلاتِ

وَرامَ يُليـنُ أَعضـائـي بِـرِفْـقٍ ... فَـأَيْبَسَهـا وَكَسَّـرَ قَـوْقَحـاتـي

وَلَـمْ أَنْظُـرْ لَـهُ أَبَـداً جَميـلاً ... وَذلِـكَ مِـن عَظيـمِ المُهْلِكـاتِ

وأَعْمَـىٰ مُقْلَتـي بِصُنـانِ إِبْـطٍ ... يَفُـوحُ بـهِ عَلـىٰ كُـلِّ الجِهـاتِ[2]

فَـلا تَجْعَـلْ إِلَهـي مِثْـلَ هـذا ... يُغَسِّلُنـي إذا حـانَـتْ وَفـاتـي

• ولعبضِهم في حَمّامٍ : [من الوافر]

وَحَمّـامٍ دَخَلْنـاهُ لأَمْـرٍ ... حَكـىٰ سَقَـراً وَفيهـا المُجْـرِمُـونـا

فَيَصْطَـرِخُـوا يَقُـولـوا : أَخْـرِجُـونـا ... فَـإِنْ عُـدْنـا فَـإِنّـا ظـالِمـونـا

• وللشَّريف أَبي يَعْلىٰ الهاشِميّ البَغداديّ في نِظام المُلْكِ يُهَدِّدُهُ بالهِجاء ، يقولُ[3] : [من الوافر]

---

(١) في القاموس والتاج (بلل) : البلّان ـ كشدّاد ـ الحمّام . وقال الزَّبيدي (٢٨/ ١١٦) : قلتُ : وأَطلقوا الآن البلّان علىٰ مَن يخدُم في الحمّام ، وهي عامِّيَّةٌ . وزاد في أ : هو المغسّل في الحمّام .
والبيتان لشيخ الشيوخ بحماة في مطالع البدور (٢/ ١٣) .

(٢) في أ ، ب : نفوري إِذ عميتُ بنتن إِبطٍ × .

(٣) هو ابن الهبّاريّة ، والأبيات في ديوانه (٧٧) . وتهديده بالهجاء في قوله :

وهـا أَنـا سـاكـتٌ فـإن اصطلحنـا ... وإِلّا خـانـنـي صبـري وقلـتُ

أَيَجْمُلُ يا نِظامَ المُلْكِ أَنِّي ... أُعاوِدُ من ذَراك كَما قَدِمْتُ
وأَصْدُرُ عن حِياضِك وهْيَ نَهْبٌ ... بأَفْواهِ السُّقاةِ وما وَرَدْتُ
يَدُلُّ علىٰ فِعالِكِ سُوءُ حالي ... ويُخْبِرُ عن نَوالِكَ إن كَتَمْتُ
إذا اسْتُخْبِرْتُ ماذا نِلْتُ مِنْهُ ... وقد عَمَّ الوَرىٰ كَرَماً سَكَتُّ

• ومِمَّن عَرَّضَ بالهَجْوِ في شِعره الخوارزميُّ ، قال في أَبي جعفر[1] : [من المتقارب]

أَبا جَعْفَرٍ لَسْتَ بالمُنْصِفِ ... وَمِثْلُكَ إن قالَ قَوْلا يَفي
فَإِنْ أَنْتَ أَنْجَزْتَ لي ما وَعَدْتَ ... وَإلاّ هُجيتَ وأُدْخِلْتَ في
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ ما بَعْدَ في ... فَغَطِّ الحَديثَ ولا تَكْشِفِ

• ومَدَحَ السَّراجُ الورّاق إِنساناً فلم يُجِزْهُ ، فكتبَ يُعَرِّضُ له بالهِجاء ويُهَدِّدُهُ ، يقولُ : [من الوافر]

أَعِدْ مَدْحي عَلَيَّ وَخُذْ سِواهُ ... فَقَدْ أَتْعَبْتَني يا مُسْتَريحُ
وَلا تَغْضَبْ إذا أَنْشَدْتُ يَوْماً ... سِواهُ وَقيلَ لي : هذا صَحيحُ

• ولهُ أَيضاً يقولُ : [من الوافر]

أَعِدْ مَدْحاً كَذَبْتُ عَليكَ فيهِ ... وَقَد عُوقِبْتُ بالحِرمانِ عَنْهُ
وَلكِنِّي سَأَصْدُقُ فيكَ قَوْلاً ... فَلا يَصْعبْ عليكَ الحَقُّ مِنْهُ

• وقال بعضُهم في حُجّاج قَدِموا ولم يُهدوا إِليه شيئاً[2] : [من الطويل]

مَضَوا لِيَحُجُّوا والوُجوهُ كَأَنَّها ... تكادُ لِفَرْطِ البِشْرِ أَن تُوضِحَ السُّبُلا
وَعادوا كَأَنَّ القارَ فوقَ وُجوهِهِمْ ... فَلا مَرْحَباً بالقادِمين ولا سَهْلا

---

(١) الأبيات بلا نسبة في الغيث المسجم (١/ ٣٣٥) .
(٢) الثالث مع آخر قبله مضيا في الباب الأول فصل الحجّ ، منسوبين لعمرو بن حيّان الضّرير .

وَجــاؤوا ومــا جــادُوا بِعُــودِ أَراكــةٍ   وَلا وَضَعوا في كَفِّ طِفْلٍ لَنا نُقْلا

• وقال آخر : [من الطويل]

إذا رُمْتُ هَجْواً في فُلانٍ تَصُدُّني   خَــلائِــقُ قُبْــحٍ عَنْــهُ لا تَتَــزَحْــزَحُ
تَجــاوَزَ قَــدْرَ الهَجْــوِ حَتَّــىٰ كــأَنَّــهُ   بِــأَقْبَــحِ مــا يُهْجَــىٰ بِــهِ المَـرْءُ يُمْـدَحُ

• وهجا بعضُهم امرأَةً ، فقال[1] : [من الطويل]

لها جِسْمُ بُرغُوثٍ وساقا بَعُوضَةٍ   وَوَجْهٌ كَـوَجْـهِ القِـرْدِ بَـلْ هُـوَ أَقْبَـحُ
تُبَــرِّقُ عَيْنَيْهــا إذا مــا رَأَيْتَهــا   وتَعْبَسُ فِي وَجْهِ الضَّجيعِ وَتَكْلَحُ
لَهــا مَنْظَــرٌ كــالنّــارِ تَحْسَــبُ أَنَّهــا   إذا ضَحِكَتْ في أَوْجُهِ النّاسِ تَلْفَحُ
إذا عــايَــنَ الشَّيْطــانُ صُــورَةَ وَجْهِهــا   تَعَــوَّذَ مِنْهــا حِيْــنَ يُمْســي وَيُصْبِــحُ

• ولبعضِهم في عَظيمِ أَنْفٍ[2] : [من الخفيف]

لَــكَ وَجْــهٌ وَفيــهِ قِطْعَــةُ أَنْــفٍ   كَجِــدارٍ قَــد دَعَّمُــوهُ بِنَعْلَــهْ
وَهْــوَ كــالقَبْــرِ فــي المِثــالِ وَلكــنْ   جَعَلــوا نَصْبَــهُ علــىٰ غَيْــرِ قِبْلَــهْ

• وفيه أَيضاً : [من الوافر]

رَأَيْنــا لِلــزَّكِــيِّ جِــدارَ أَنْــفٍ   يُضــاهِــي فــي تَشــامُخِــهِ الجِبــالا
تَصَــدَّىٰ لِلهِــلالِ لِكَــيْ يَــراهُ   فَلَــولا عُظْمُــهُ لَــرَأَىٰ الهِــلالا

• ولبعضِهم في أَبْخَرَ مُخَنَّثٍ : [من البسيط]

قــالُــوا فُــلانٌ بِــهِ نَتَــنٌ فَقُلْــتُ لَهُــمْ   يا قَوْمُ قَد حارَ فِكْري في مَساوِيْهِ
يــا قَــوْمُ لا تَعْجَبُــوا مِــن نَتْــنِ نَكْهَتِــهِ   فــالأَيْــرُ يَــدْفَــعُ مــا فِيــهِ إِلــىٰ فِيْــهِ

---

(١) بلا نسبة في العقد الفريد (٣/ ٤٥٧) .
(٢) هما لابن سناء الملك في ديوانه (٤٨٢) . وسيكرر البيتان في الباب (٤٦) .

• ولِصَفِيِّ الدِّين الحِلِّي[1] : [من الطويل]

رأىٰ فَرَسِي إِصْطَبْلَ عيسىٰ فَقال لي : « قِفا نَبْكِ مِن ذِكْرىٰ حَبيبٍ وَمَنْزِلِ »
بِـهِ لَـمْ أَذُقْ طَعْـمَ الشَّعِيـرِ كَـأَنَّنـي « بِسِقْطِ اللِّوىٰ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ »
تُقَعْقِـعُ مِـن بَـرْدِ الشِّتـاءِ أَضـالِعـي « لِما نَسَجَتْها مِن جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ »

• وله أَيضاً[2] : [من الوافر]

لِيَهْنِـكَ أَنَّ لـي وَلَـداً وَعَبْـداً سَـواءٌ فـي المَقـالِ وفـي المَقـامِ
فهـذا سـابِـقٌ مِـن غَيْـرِ سِيـنٍ وَهـذا عَـاقِـلٌ مـن غَيْـرِ لامِ

• وله في طَبيبٍ يُدعىٰ إِسحاق[3] : [من الطويل]

مَباضِـعُ إِسحـاقَ الطَّبيـبِ كـأَنَّهـا لهـا بِفَنـاءِ العـالَميـنِ كَفيـلُ
مُعَـوَّدَةٌ أَن لا تُسَـلَّ نِصـالُهـا فَتُغْمَـدَ حتَّـىٰ يُسْتَبـاحَ قَتيـلُ

• ولهُ في أَحمقَ طَويلِ اللِّسان[4] : [من الكامل]

لَـو أَنَّ قُـوَّةَ وَجْهِـهِ فـي قَلْبِـهِ قَنَـصَ الأُسـودَ وَجَنْـدَلَ الأَبْطـالا
أو كـانَ طُـولُ لِسـانِـهِ بِيَمينِـهِ أَفْنَـىٰ الكُنُـوزَ وأَنْفَـذَ الأَمـوالا

• وهجا أَعرابيٌّ رجلاً ثم مَدَحَهُ فقال : [من الكامل]

إِنِّـي مَـدَحْتُـكَ مِـن فَسـادِ قَـريحَتـي وَعَلِمْـتُ أَنَّ المَـدْحَ فيـكَ يَضيـعُ
لكِـنْ رَأَيْـتُ المِسْـكَ عِنْـدَ فَسـادِهِ يُـدْنَـىٰ إِلـىٰ بَيْـتِ الخَـلا فَيَضُـوعُ

• **وقيل**[5] لبعضهم : ما تَقولُ في فُلان وفُلان ؟ قال : هما الخَمْرُ والمَيْسِرُ ،

---

(١) ديوانه (٥٦٦) والأعجاز المضمّنة من معلقة امرىء القيس .
(٢) ديوانه (٦٣٦) .
(٣) ديوانه (٦٤١) .
(٤) ديوانه (٦٤٢) .
(٥) في ربيع الأبرار (٢/ ٤٣٢) والتذكرة الحمدونية (٥/ ١٧٣) ونثر الدر (٣/ ٢٠٠) : قيل لأبي العيناء : ما تقول في محمد بن مكرم والعبّاس بن رستم . . . .

إِثْمُهُما أَكبرُ مِن نَفْعهما .

• وقيل[1] لِرجلٍ : كيفَ وَجدتَ فُلاناً ؟ قال : طَويلَ اللِّسان في اللُّؤمِ ، قصيرَ الباعِ في الكَرَمِ ، وَثَّاباً على الشَّرِّ ، مَنَّاعاً لِلخير .

• وسمعَ[2] أَعرابيٌّ قولَه تَعالىٰ : ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ [التوبة : ٩٧] . فانتفَضَ ، ثم سَمع قولَه تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [التوبة : ٩٩] . فقال : اللهُ أَكبرُ ، هَجانا ثم مَدَحَنا ؛ وكذلك قال الشّاعر : [من الطويل]

هَجَوْتُ زُهَيْراً ثُمَّ إِنِّي مَدَحْتُهُ ... وما زالَتِ الأَشْرافُ تُهْجَىٰ وتُمْدَحُ

• اسْتَبَّ[3] رجُلان ، فقال أَحدُهما للآخرَ : لو قُطِعَ زُبُّكَ وعُلِّقَ ، لم تَبْقَ زانيةٌ بالكوفةِ إلاّ عَرَفَتْهُ .

• وقال أَبو يزيد العَبْديّ[4] : [من الكامل]

ولَقَدْ قَتَلْتُكَ بالهِجاءِ فَلَمْ تَمُتْ ... إِنَّ الكِلابَ طَويلَةُ الأَعمارِ

• وقال[5] المُتَوَكِّل لأَبي العَيْناء : ما بَقِيَ أَحَدٌ في المجلسِ إِلاَّ هَجاك وذَمَّك غَيري ؛ فقال : [من الطويل]

إِذا رَضِيَتْ عَنِّي كِرامُ عَشيرتي ... فلا زالَ غَضْباناً عَلَيَّ لِئامُها

* * *

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٤٣٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٤٤٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٤٥٤) .
(٤) له في ربيع الأبرار (٢/ ٤٥١) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٤٣١) .

البابُ الرَّابع والأربعون

في الصِّدق والكذب

وفيه فصلان

الفصلُ الأوَّل

في الصِّدق

● قال[1] الله تعالىٰ مبشراً للصادق : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة : ١١٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

فمدحهم وبين لهم المغفرة والأجر العظيم .

● وقال[2] عُمر رضي الله عنه : عليكَ بالصِّدقِ وإن قتَلَكَ .

● وما أحسن ما قيل في ذلك : [من السريع]

عَلَيْكَ بالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ ... أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنارِ الوَعِيدْ

وابْغِ رِضا المَوْلىٰ فَأَغْبىٰ الوَرَىٰ ... مَن أَسْخَطَ المَوْلىٰ وأَرْضىٰ العَبِيدْ

● وقال[3] إسماعيل بن عَبد الله : لمّا حضَرَت أَبي الوفاةُ جمعَ بَنيه ، فقال لهم : يا بَنِيَّ ، عليكُم بتقوىٰ الله وعَليكم بالقُرآن ، فَتَعاهَدُوه ؛ وعليكُم بالصِّدق حتَّى لو قَتَل أَحدُكم قَتيلاً ، ثم سُئل عنه أَقَرَّ بِهِ ؛ واللهِ ما كَذَبْتُ كِذبةً قطُّ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٤٨) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢٥٩) .

مُذْ قَرأتُ القُرآن .

• وعن[1] عائشةَ رضيَ الله عنها قالت : سأَلتُ رسولَ الله ﷺ : بمَ يُعرفُ المؤمنُ ؟ قال : « بِوَقارِهِ ، وَلِيْنِ كَلامه ، وَصِدْقِ حَديثه » .

• وقيل[2] : لِكُلِّ شَيءٍ حِلْيَةٌ ، وحِلْيَةُ المَنْطِقِ الصِّدْقُ .

• وقال[3] مَحمود الورّاق : [من السريع]

الصِّــدْقُ مَنْجــاةٌ لأَرْبــابِــهِ وَقُــرْبَــةٌ تُــدْنــي مِــن الــرَّبِّ

• **وقيل**[4] : الصِّدْقُ عَمودُ الدِّين ، ورُكنُ الأدبِ ، وأَصلُ المُروءَة ؛ فلا تتمُّ هذه الثَّلاثةُ إلاّ بهِ .

• وقال[5] أَرسطاطاليس : أَحسنُ الكلامِ ما صَدَقَ فيه قائِلُهُ ، وانتفَع به سامِعُهُ .

• وقال[4] المُهلَّب بن أَبي صُفرة : ما السَّيْفُ الصّارمُ في يدِ الشُّجاعِ بأَعَزَّ لهُ من الصِّدْقِ .

• وكان يُقالُ عن الصَّدوق[6] : فلانٌ وَقَفَ لِسانَه علىٰ الصِّدْقِ .

• ويُقال[7] : الصِّدْقُ مَحمودٌ مِن كُلِّ أَحدٍ إلاّ من السّاعِي .

• ويُقال[8] : لو صَدَقَ عَبْدٌ فيما بينَه وبينَ الله تعالىٰ حقيقةَ الصِّدْقِ لاطَّلَعَ علىٰ خَزائنِ الغيبِ ، ولكانَ أَميناً في السَّمٰوات والأَرض .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٦٤) وبهجة المجالس (١/ ٥٧٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦١) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٦٤) .
(٣) ديوانه (٧٧) وبعده آخر في ربيع الأبرار (٣/ ٢٦١) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦١) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦١) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٦١) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٤) .
(٧) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٤) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٩ و٦١ و٧٧) .
(٨) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٥) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٧٧) .

• وقيل[1] : مَن لَزِمَ الصِّدْقَ وَعَوَّدَ لِسانَه بهِ وُفِّقَ .

• ويُقال[2] : الصِّدْقُ بالحُرِّ أَحْرىٰ .

• وقال[3] عُتْبَةُ بن أَبي سُفيان : إِذا اجتَمعَ في قَلبكَ أَمران لا تَدري أَيَّهما أَصْوَبُ ، فانْظُرْ أَيَّهما أَقْرَبُ إِلىٰ هَواك فَخالِفْهُ ، فإِنَّ الصَّوابَ أَقربُ إِلىٰ مُخالفة الهوىٰ .

• وقال[3] أَرسطاطاليس : الموتُ مع الصِّدقِ خيرٌ من الحَياة معَ الكَذب .

• وكان[4] نَقْشُ خاتم ذي اليمينين : وَضْعُ الخَدِّ للحَقِّ عِزٌّ .

• وامتدح[5] ابنُ مَيّادةَ جعفرَ بن سُليمان ، فأَمر له بمئةِ ناقةٍ ، فقبَّل يدَه ، وقال : والله ما قَبَّلْتُ يَدَ قُرَشيٍّ غيرَك إِلاَّ واحداً ؛ فقال : أَهو المنصورُ ؟ قال : لا والله ؛ قال : فَمَن هو ؟ قال : الوليدُ بن يزيد . قال : فَغضب وقال : والله ما قَبَّلْتَها لله تعالىٰ ؛ فقال : والله ولا يَدَك ما قَبَّلْتُها لله تعالىٰ ، ولكن قَبَّلْتُها لِنفسي ؛ فقال : والله لا ضَرَّكَ الصِّدْقُ عِندي ؛ أَعطوه مئةً أُخرىٰ .

• وقال[6] عامرُ العَدْوانيُّ في وَصِيَّتِهِ : إِنّي وَجدتُ صِدْقَ الحديثِ طَرَفاً من الغَيْبِ فاصدُقوا ؛ يعني مَن لَزِمَ الصِّدْقَ وَعَوَّدَ لِسانَه وُفِّقَ ، فلا يَكادُ ينطقُ بِشَيءٍ يَظُنُّهُ إِلاّ جاءَ علىٰ ظَنِّهِ .

• وخطبَ[7] بِلالٌ لأَخيه امرأَةً قُرَشِيَّةً ، فقال لأَهلها : نحنُ من قد عَرفتُم ؛ كُنّا

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٦) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٧٤) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢٧٨) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٢٧٩) .
(٥) التذكرة الحمدونية (٣/ ٥١) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٧٧) .
(٧) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٧٨) .
قلت : وأصل الخبر مما رواه محمد بن الفيض الغسّاني في كتابه أخبار وحكايات=

عَبْدَينِ فأَعْتَقَنا اللهُ تَعالىٰ ، وكُنّا ضالِّين فَهدانا اللهُ تعالىٰ ، وكُنّا فَقيرين فأَغنانا اللهُ تعالىٰ ، وأَنا أَخطبُ إِليكم فُلانَةَ لأَخي ، فإِن تُنكحوها لهُ فالحمدُ للهِ تَعالىٰ ، وإِن تَردُّونا فاللهُ أكبرُ ؛ فأَقبلَ بعضُهم علىٰ بَعضٍ فقالوا : بِلالٌ مِمَّن عَرَفْتُم سابِقَتَه ومَشاهده ومَكانه من رَسول الله ﷺ ، فَزَوِّجوا أَخاه ؛ فَزَوَّجوه ؛ فلمّا انصرَفوا قال له أَخوه : يَغفرُ اللهُ لكَ ، أَما كنتَ تَذكرُ سَوابقَنا ومَشاهدَنا معَ رسولِ الله ﷺ وتَتركُ ما عَدا ذلك ؟ فقال : مَهْ يا أَخي ، صَدَقْتُ فأنكحَكَ الصِّدْقُ .

● وخطبَ[(١)] الحجّاجُ فأَطالَ ، فقام رجلٌ فقال : الصَّلاةَ ، فإِنَّ الوقتَ لا ينتظرُكَ والرَّبُّ لا يَعذُرُك ؛ فأمر بحبسِه ، فأَتاه قومُه زَعموا أَنَّه مَجنونٌ ، وسألوه أَن يُخلي سَبيله ؛ فقال : إن أَقَرَّ بالجُنون خَلَّيْتُهُ ؛ فقيل له ، فقال : مَعاذَ الله ، لا أَزعمُ أَنَّ اللهَ ابتلاني وقد عافاني . فبلغ ذلك الحجّاجَ ، فعفا عنه لِصِدْقِه .

الفصلُ الثّاني

في الكَذب وما جاءَ به

● قال اللهُ تَعالىٰ في الكاذِبين : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٠] .

= (ص ٤٥ ـ ٤٦) بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه ؛ أن بلالاً قدم الشام في خلافة عمر مع أخيه أبي رويحة الذي آخىٰ بينهما رسول الله ﷺ ، فنزلا داريا في خولان ، فخطب بلال لأخيه من خولان فزوجوه .
وعنه نقل ابن عساكر في التاريخ الكبير (٢/ ٢٥٤أ) نسخة « س » ومختصره (٤/ ١٧) والذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٨) .

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٨٠) .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

• وقال[1] رسولُ الله ﷺ : « إيّاكُم والكَذِبَ ، فإنَّ الكَذِبَ يَهدي إلىٰ الفُجورِ ، والفُجورُ يَهدي إلىٰ النّار ؛ وتَحَرَّوا الصِّدْقَ فإنَّ الصِّدْقَ يَهدي إلىٰ البِرِّ ، والبِرُّ يَهدي إلىٰ الجَنَّة » .

• وعن[2] عبدُ الله بن عُمر رضي الله تعالىٰ عنهما قال : قال رَسول الله ﷺ : « إذا كَذَبَ العبدُ كِذبةً تباعدَ المَلَكان عنهُ مَسيرةَ مِيلٍ ، من نَتْنِ ما جاءَ بهِ » .

• ويُقال[3] : راوي الكَذِبِ أَحَدُ الكَذَّابَيْن .

• ويُقال[3] : رَأْسُ المآثِمِ الكَذِبُ ، وعَمودُ الكَذِبِ البُهتانُ .

• وقيل[3] : أمرانِ لا يَنْفكّان من الكَذِبِ ؛ كَثرةُ المواعيدِ ، وشِدَّةُ الاعتذارِ .

• وقال[4] الحسنُ في قولهِ تَعالىٰ : ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٨] : وهي لِكُلِّ واصِفِ كَذِبٍ إلىٰ يوم القيامة .

• وقال[5] الأَصمعيُّ : قلتُ لِكَذّابٍ ؛ أَصَدَقْتَ قَطُّ ؟ قال : لولا أَنّي أَخافُ أَصْدُقُ في هذا لَقُلْتُ لك : لا ؛ فتعجَّبْتُ .

• وقال مَحمود بن مروان بن أَبي الجنوب[6] : [من مجزوء الكامل]

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٣٥ و٣/ ٢٥٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٤٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٣٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٣٧) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٧٩) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٥٣٩) .
(٥) عيون الأخبار (٢/ ٢٥) وبهجة المجالس (١/ ٥٧٨) .
(٦) له في ربيع الأبرار (٤/ ٥٤٠) ومعجم الشعراء (٤٩٢) . وهما لمنصور الفقيه في وفيات الأعيان (٥/ ٢٩٠) وبهجة المجالس (١/ ٨٨) وديوانه (١٦١) .

لـــي حِيْلَـــةٌ فيمَـــنْ يَنُمْـ ـمُ وَلَيْسَ في الكَذّابِ حِيْلَهْ
مَـن كـانَ يَخْلُـقُ مـا يقُـو لُ فَحِيلَتـــي فيـــهِ قَليلـــهْ

• ويُقال[1] : فُلانٌ أَكْذَبُ مِن لَمَعانِ السَّرابِ ، ومِن سَحابِ تَمُّوز .

• وكان[1] بِفَارسَ مُحْتَسِبٌ يُعْرَفُ بِجرابِ الكَذِبِ ، وكان يَقولُ : إن مُنِعْتُ الكَذِبَ انْشَقَّتْ مَرارَتي ! وإنِّي واللهِ لأَجِدُ بِهِ معَ ما يَلْحَقُني من عارِهِ من المَسَرَّةِ ما لا أَجِدُهُ بالصِّدْقِ معَ ما ينالُني مِن نَفْعِهِ .

• وقال[2] فيلسوفٌ : مَن عَرَفَ مِن نَفْسِهِ الكَذِبَ لم يُصَدِّقِ الصّادِقَ فيما يَقُولُه .

• ولبعضهم[3] : [من مجزوء الكامل]

حَسْــبُ الكَــذُوبِ مِــنَ البَلِيْـ ـيَـةِ بَعْـضُ مـا يُحْكـىٰ عَلَيْـهِ
فَمَتــىٰ سَمِعْــتَ بِكِــذْبَــةٍ مِــن غَيْــرِهِ نُسِبَــتْ إِلَيْــهِ

• وأَضافَ صَيْرَفيٌّ قوماً ، فأَقبلَ يُحَدِّثُهم ، فقالَ بعضُهم : نحنُ كما قال الله تعالىٰ : ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة : ٤٢] .

• وعن[4] عبدِ الله بن السَّرِيِّ قال : قلتُ لابنِ المُبارك : حَدِّثْنا حَديثاً ، قال : ارجِعوا ، فلستُ أُحَدِّثُكم ؛ فقيل له : إنَّك لم تَحلفْ ؛ فقال : لو حلفتُ لَكَفَّرْتُ وحَدَّثْتُكُم ، ولكن لستُ أَكذبُ ؛ فكان هذا أَحَبَّ إلينا من الحديثِ .

• وقال[5] مُجاهد : يُكْتَبُ علىٰ ابنِ آدمَ كُلُّ شَيءٍ حتَّىٰ أَنينُهُ في سَقَمِهِ ، وحتَّىٰ أَنَّ الصَّبِيَّ لَيَبْكي ، فتقولُ له أُمُّه : اسكتْ وأَشتري لك كذا ، ثم لا تَفعل ،

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٤٠) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٨٦) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٤١) .
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٥٤١) وعيون الأخبار (٢/ ٢٨) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٥٤٤) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٧٨) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٥٤٥) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٧٩) .

فَتُكتبُ كِذْبَةً .

● وقال[1] الفُضيل : ما مِن مُضْغَةٍ أَحَبَّ إلىٰ الله تعالىٰ من اللِّسانِ إذا كان صَدوقاً ، ولا مُضْغَةٍ أَبغضَ إلى الله تعالىٰ من اللِّسان إذا كان كَذوباً .

● وعن[2] ابن مَسعودٍ رضي الله عنه مَرفوعاً : «أَعْظَمُ الخَطايا اللِّسانُ الكَذوبُ» .

● قال الشّاعر[3] : [من البسيط]

لا يَكْـذِبُ المَـرْءُ إلاَّ مِـن مَهـانَتِـهِ أَوْ فعلـة السُّـوءِ أَو مِـن قِلَّـةِ الأَدَبِ
لَبَعْـضُ جِيْفَـةِ كَلْـبٍ خَيْـرُ رائِحَـةً مِن كِذْبَةِ المَرْءِ في جِدٍّ وفي لَعِبِ

● ولمّا[4] نَصَّب مُعاوية رضي الله تعالىٰ عنه ابنَه يَزيد لولايةِ العهدِ أَقعدَه في قُبَّةٍ حَمراءَ ، وجَعل النّاسُ يُسَلِّمون علىٰ مُعاوية ، ثم يُسَلِّمون علىٰ يَزيد ، حتَّىٰ جاءَ رجلٌ ، ففَعل ذلك ، ثم رجعَ إلىٰ معاوية فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، اعلمْ أَنَّك لو لم تُوَلِّ هذا أُمورَ المسلمين لأَضَعْتَها ؛ والأَحنفُ ساكتٌ ؛ فقال مُعاوية : ما لَكَ لا تَقولُ يا أَبا بَحْر ؟ فقال : أَخافُ الله تعالىٰ إن كَذَبْتُ ، وأَخافُكُم إن صَدَقْتُ . فقال : جَزاك الله خَيراً عمّا تَقولُ ؛ ثم أَمَرَ له بأُلوفٍ ؛ فلمّا خَرجَ الأَحنفُ لَقِيَهُ ذلكَ الرَّجُلُ بالبابِ ، فقال له : يا أَبا بَحر ، إنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ هذا مِن شِرارِ خلقِ الله تعالىٰ ، ولكنَّهم اسْتَوْثَقوا من الأَموال بالأَبواب والأَقفال ، فلسنا نَطمعُ في إخراجها إلاّ بِما سَمعتَ ؛ فقالَ له الأَحنفُ : يا هذا ، أَمسِكْ ؛ فإنَّ ذا الوَجْهَيْنِ خَليقٌ أَن لا يَكونَ عند الله وَجيهاً .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٥١) .
(٢) موقوفاً في ربيع الأبرار (٤/ ٥٥١) .
(٣) الأول بلا نسبة في التمثيل والمحاضرة (٤٤٨) وبهجة المجالس (١/ ٥٧٧) بهذه الرواية . وفي ربيع الأبرار (٤/ ٥٥٣) ومحاضرات الراغب (١/ ١٢٢) برواية : × . . . أو من قلة الورع .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٥٣٩) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٥٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٥٠٠) .

• وقيل[1] : إنَّ الكذبَ يُحْمَدُ إذا وَصَلَ بين المُتقاطعَيْن ، أو أَصْلَحَ بين الزَّوجين ؛ ويُذَمُّ الصِّدْقُ إذا كان غِيبةً .

• وقد[2] رُفِعَ الحَرَجُ عن الكاذبِ في الحَرْبِ ، وعن المُصْلِحِ بين المَرْءِ وَزَوْجِهِ .

• وكان[3] المُهَلَّبُ في حَرْبِ الخوارج يَكذبُ لأَصحابِه يُقَوِّي بذلك جَأْشَهم ، فكانُوا إذا رَأَوهُ مُقْبِلاً إليهم ، قالوا : جاءَنا يَكذبُ .

• وقال[4] يحيىٰ بن خالد : رأَينا شاربَ خَمْرٍ نَزَعَ ، ولِصّاً أَقْلَعَ ، وصاحِبَ فَواحشَ رَجَعَ ؛ ولم نَرَ كذّاباً صارَ صادِقاً .

• وكان[5] عَمرو بن مَعْدي كَرِب مَشهوراً بالكذب ؛ وقيل لخلفِ الأَحمر ـ وكان شديدَ التَّعَصُّب لليمن ـ: أَكان ابنُ مَعْدي كَرِب يَكذبُ ؟ فقال : كان يَكذبُ في المقَال ، ويَصدقُ في الفعالِ .

• قيل[6] : إنَّ بِلالاً لم يكذبْ مُذْ أَسلمَ ، رضي الله تعالىٰ عنه . والحمدُ للهِ وَحده .

* * *

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٥٢) وفي محاضرات الراغب (١/ ١٢٣) لفيلسوف .
(٢) التذكرة الحمدونية (٣/ ٥٢) وانظر الحديث الشريف فيه (٣/ ٦٢) ومحاضرات الراغب (١/ ١٢٣) .
(٣) عيون الأخبار (٢/ ٢٦) والتذكرة الحمدونية (٣/ ٥٢) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٣/ ٥٢) ومحاضرات الراغب (١/ ١٢٢) .
(٥) التذكرة الحمدونية (٣/ ٥٤) ونثر الدر (٦/ ٥٣٥) والأغاني (١٥/ ٢٢٣) .
(٦) التذكرة الحمدونية (٣/ ٦٣) .

البابُ الخامسُ والأربعون

في بِرِّ الوالدين ، وذَمِّ العُقوق ، وذِكر الأَولاد ، وما يجب لهم وعليهم ، وصِلَة الرَّحم والقَرابات ، وذِكر الأَنساب

وفيه فصول

الفصلُ الأَوَّل

في برِّ الوالدين وذَمِّ العُقوق

• قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ـ ٢٤] .

• وعن[1] عليٍّ رضيَ الله تعالىٰ عنهُ : لو علمَ اللهُ شيئاً في العُقوق أَدْنىٰ من « أُفٍّ » لَحَرَّمَهُ ، فلْيعملِ العاقُّ ما شاءَ أَن يعملَ فلن يدخلَ الجنَّة ، ولْيعملِ البارُّ ما شاءَ أَن يعملَ فلن يدخلَ النّار .

• وقيل : إنَّ رضا الرَّبِّ في رِضا الوالدين ، وسَخَطَ الرَّبِّ في سَخَط الوالدين .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٧٢) .

• وحَكىٰ أَبو سَهل عن أَبي صالح ، عن أَبي نَجيح ، عن رَبيعة ، عن عبد الرَّحمن ، عن عَطاء بن أَبي مُسلم ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَن حَجَّ عن والدِهِ بعد وَفاته ، كَتَبَ اللهُ لوالِدِهِ حِجَّةً وكتبَ له بَراءةً من النّار » .

• وقال[1] رسولُ الله ﷺ : « إِيّاكُم وعُقوقَ الوالدين ، فإِنَّ ريحَ الجنَّة يُوجدُ من مَسيرة خَمسمئة عامٍ ، ولا يجِدُ ريحَها عاقٌّ » .

• وكان[2] رجلٌ من النُّسّاك يُقَبِّلُ كلَّ يوم قَدَمَ أُمِّهِ ، فأبطأ يوماً علىٰ إِخوته ، فسألوه ، فقال : كنتُ أَتَمَرَّغُ في رياضِ الجنَّة ؛ فقد بلَغنا أَنَّ الجنَّة تحتَ أَقدام الأُمَّهات .

• وبلَغنا[2] أَنَّ اللهَ تعالىٰ كلَّم موسى عليه السَّلام ثلاثَة آلاف وخَمسمئة كلمةٍ ؛ فكان آخرَ كلامِهِ : يا ربِّ أَوصِني ؛ قال : أَوصيتُكَ بأُمِّك حُسناً ؛ قال له سبعَ مرات ؛ قال : حَسبي ، ثم قال : يا موسىٰ ، أَلا إِنَّ رِضاها رِضاي ، وسَخَطَها سَخَطي .

• وقال[3] عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه لابن مِهران : لا تأتينَّ أَبوابَ السَّلاطين ، وإِن أَمَرْتُهم بمعروفٍ أَو نَهَيْتَهُمْ عنِ مُنكرٍ ، ولا تَخْلُوَنَّ بامرأَةٍ وإِن علَّمتَها سُورةً من القُرآن ، ولا تَصْحَبَنَّ عاقّاً ، فإِنَّه لن يَصِلَكَ وقد عَقَّ والديهِ .

• وقال[4] فَيلسوفٌ : مَن عَقَّ والديهِ عقَّه ولدُه .

• وقال[5] المأمونُ : لم أَرَ أَحداً أَبَرَّ من الفَضْل بن يَحيىٰ بأَبيه ، بَلَغَ من بِرِّهِ به أَنه كان لا يتوضَّأُ إِلاّ بماءٍ مُسَخَّنٍ ، فمنَعهم السَّجّان من الوُقود في ليلةٍ باردةٍ ، فلمّا أَخَذَ يَحيىٰ مَضجعَه قام الفضلُ إِلىٰ قُمْقُمِ نُحاسٍ ، فملأَهُ ماءً وأَدناه من

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٦) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٣٧) وحلية الأولياء (٤/ ٨٥) ومختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ٦٣) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٨) .
(٥) عيون الأخبار (٣/ ٩٨) وربيع الأبرار (٤/ ٤٦٩) .

المِصباحِ ، فلم يزلْ قائِماً وهو في يَدهِ إِلىٰ الصَّباحِ حتَّىٰ استيقظَ يحيىٰ من مَنامهِ .

- **وقيل** : طلبَ بعضُهم من وَلده أَن يَسقيَهُ ماءً ، فلمّا أَتاهُ بالشَّرْبَةِ نام أَبوه ، فما زالَ الولدُ قائماً والشَّربةُ في يَده إِلىٰ الصَّباح ، حتَّىٰ استيقظَ أَبوه من مَنامه .

- وقال[1] رجلٌ لعمرَ بن الخطّاب رضيَ الله تعالىٰ عنه : إنَّ لي أُمّاً بلغَ منها الكبرُ أَنَّها لا تَقضي حاجَتَها إلاَّ وَظهري لها مَطِيَّةٌ ، فهل أَدَّيْتُ حقَّها ؟ قال : لا ، لأَنَّها كانت تَصْنَعُ بكَ ذلك وهي تَتَمَنَّىٰ بقاءَك ، وأَنت تَصنعُهُ وتتمنَّىٰ فِراقَها .

- وقال[2] ابنُ المُنكدر : بِتُّ أَكبسُ رِجْلَ أُمِّي وبات أَخي يُصَلِّي ، ولا تَسُرُّني ليلتُهُ بلَيلتي .

- وقيل[3] : إِنَّ محمَّد بن سِيرين كان يُكَلِّمُ أُمَّه كما يُكَلِّمُ الأَميرَ الَّذي لا يُنْتَصَفُ منه .

- وقيل[4] لِعَليّ بن الحُسين رضي الله تعالىٰ عنه : إِنَّك مِن أَبرِّ النّاس ، ولا تأكلُ مع أُمِّك في صَحْفَةٍ ! فقال : أَخافُ أَن تَسبقَ يدي يدَها ما تَسبقُ عَيناها إِليه ، فأَكونُ قد عَقَقْتُها .

الفصلُ الثّاني

في الأَولاد وحُقوقهم ، وذِكر النُّجباء والأَذكياء ، والبُلَداء والأَشقياء

- قال[5] رسولُ الله ﷺ : « الوَلَدُ رَيْحانةٌ من الجَنَّة » .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨١) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢٥) وبهجة المجالس (١/ ٧٥٨) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢٥) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤٣٤) وعيون الأخبار (٣/ ٩٧) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٢٧) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢١) .

• وقال[1] الفُضَيل : ريحُ الوَلد من الجَنَّة .

• وكان[2] يُقال: ابنُك رَيْحانَتُك سَبْعاً، ثم حاجِبُك سَبْعاً، ثم عَدُوٌّ أو صَديقٌ.

• وعن[3] أبي سَعيد الخُدْريّ رضي الله تعالىٰ عنه ، قال : قلتُ لِسَيِّدي رسولِ الله ﷺ : يا رسولَ الله : هل يُولَدُ لأهلِ الجَنَّة ؟ قال : « والَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، إنَّ الرَّجُلَ يَشْتَهي أَن يكونَ له وَلَدٌ ، فيكونَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَشَبابُهُ الَّذي يَنتهي إِليه في ساعَةٍ واحِدَة » .

• وقيل[4] : مِن حَقِّ الوَلَدِ علىٰ والِده أَن يُوسعَ عليهِ ماله كي لا يَفسقَ .

• وقال[5] عُمر رضي الله تعالىٰ عنه : إنِّي لأُكْرِهُ نَفْسي علىٰ الجِماع ، رَجاءَ أَن يُخْرِجَ اللهُ منِّي نَسَمَةً تُسَبِّحُهُ وتَذْكُرُهُ .

• وقال[6] رضي الله تعالىٰ عنه : أَكْثِروا مِن العِيال ، فإِنَّكم لا تَدرونَ بِمَنْ تُرْزَقون .

• وقال[5] شُبيبُ بنُ شَيبة : ذهبَتِ اللَّذّاتُ إلاّ من ثَلاثةٍ : شَمِّ الصِّبيان ، ومُلاقاةِ الإخوان ، والخَلْوَةِ مع النِّسوان .

• ودخلَ[7] عَمرو بن العاص علىٰ مُعاوية وعِنده ابنتُه عائِشة ، فقال : مَن هذهِ يا أَمير المؤمنين ؟ قال : هذه تُفّاحَةُ القَلبِ ؛ فقال : انْبِذْها عنك ، فإِنَّهن يَلِدْنَ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢٥) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢١) وعيون الأخبار (٣/ ٩٤) وبهجة المجالس (١/ ٧١٤) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٢٣) .

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٥) .

(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤٦١) .

(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٤٣٦) .

(٦) ربيع الأبرار (٤/ ٤٣٩) .

(٧) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) وعيون الأخبار (٣/ ٩٩) والعقد الفريد (٢/ ٤٣٨) وبهجة المجالس (١/ ٧٦٠) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٢٥) .

الأَعداءَ ، وَيُقَرِّبْنَ البُعَداء ، ويُورِثْنَ الضَّغائن . قال : لا تَقُل يا عمرو ذلك ، فوالله ما مَرَّضَ المَرْضىٰ ، ولا نَدَبَ الموتَىٰ ، ولا أَعان علىٰ الأَحزانِ إلاّ هُنَّ . فقال عَمرو : يا أَمير المؤمنين ، ما أَراكَ إلاّ قد حَبَّبْتَهُنَّ إليَّ .

• وقيل[1] لِرجلٍ : أَيُّ ولدِك أَحبُّ إليك ؟ قال : صَغيرُهم حتَّىٰ يَكبرَ ، ومَريضُهم حتَّىٰ يَبرأَ ، وغائِبُهم حتَّىٰ يحضرَ .

• وقال[2] ابنُ عامرٍ لأمرأَته أُمامة بنتِ الحَكَم الخُزاعيَّة : إن وَلَدْتِ غُلاماً فَلَكِ حُكْمُكِ ؛ فلمَّا وَلَدَت قالت : حُكْمي أَن تُطعمَ سَبعةَ أَيّامٍ ، كُلَّ يومٍ علىٰ أَلفِ خِوانٍ من فالوذَجٍ ، وأَن تعقَّ بأَلفِ شاةٍ ؛ ففَعل لها ذلك .

• وغضبَ[3] مُعاوية علىٰ يَزيد ، فهَجرَه ، فقال الأَحنفُ : يا أَمير المؤمنين ، أَولادُنا ثِمارُ قُلوبِنا وعِمادُ ظُهورنا ، ونحنُ لهم سَماءٌ ظَليلةٌ وأَرضٌ ذَليلة ، وبهم نَصولُ علىٰ كلِّ جَليلةٍ ، فإِن غَضِبوا فأَرضِهم ، وإِن سأَلوا فأَعطِهم ، وإِن لم يَسأَلوا فابتدِئْهم ، ولا تَنظرْ إِليهم شَزْراً فَيَملُّوا حَياتَك ويَتَمَنَّوا وَفاتَك . فقال مُعاوية : يا غُلام ، إِذا رأَيتَ يزيدَ فأَقْرِهِ السَّلامَ ، واحملْ إِليه مِئتي أَلف درهم ؛ ومِئتي ثَوبٍ ؛ فقال يزيد : مَن عِنْدَ أَمير المؤمنين ؟ فقيل له : الأَحنف . فقال يَزيد بن مُعاوية : عَلَيَّ بهِ ؛ فقال : يا أَبا بَحر ، كيفَ كانَت القِصَّة ؟ فَحكاها له ، فشكرَ صَنيعه ، وشاطَرَهُ الصِّلَة .

• **حَكىٰ**[4] الكِسائيُّ أَنَّه دخلَ علىٰ الرَّشيد يوماً ، فأَمر بإِحضار الأَمين والمأمونِ وَلَديه ، قال : فلم يلبث قليلاً أَن أَقبلا ككوكبَي أُفُق ، يَزينُهما هُداهُما

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ٩٢) وفي محاضرات الراغب (١/ ٣٢٢) : قال كسرىٰ لغيلان .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٨٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢٩) وعيون الأخبار (٣/ ٩٢) وبهجة المجالس (١/ ٧٦٤) والعقد الفريد (٢/ ٤٣٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) ومعجم الأدباء (٤/ ١٧٤٠) .

ووقارُهما ، وقد غَضَّا أَبصارَهُما ، حتّىٰ وَقَفا في مَجلسه ، فسلَّما عليه بالخِلافة ، ودَعَوَا له بأَحسن الدُّعاء ، فاستَدْناهُما ، وأَجلسَ مُحمّداً عن يَمينه وعبدَ الله عن يَساره ، ثم أَمرني أَن أُلقيَ عليهما أبواباً من النَّحو ، فما سأَلتُهما شيئاً إلاّ أَحسَنا الجوابَ عنه ، فسرَّه ذلك سُروراً عَظيماً ، وقال : كيف تَراهُما ؟ فقلتُ : [من الطويل]

أَرىٰ قَمَرَيْ أُفْقٍ وَفَرْعَيْ بَشامَةٍ ... يَزينُهُما عِرْقٌ كَريمٌ وَمَحْتِدُ
سَليلَيْ أَميرِ المُؤمنينَ وَحائِزَيْ ... مَواريثَ ما أَبْقىٰ النَّبيُّ محمَّدُ
يَسُدّانِ أَنْفاقَ النِّفاقِ بِشيْمَةٍ ... يَزينُهُما حَزْمٌ وَسَيْفٌ مُهَنَّدُ

ثم قلتُ : ما رأيتُ ـ أَعزَّ اللهُ أَميرَ المؤمنين ـ أَحداً من أَبناءِ الخِلافةِ ومَعْدِنِ الرِّسالةِ وأَغصانِ هذه الشَّجرةِ الزّاكيةِ أَدْرَبَ مِنهما أَلسُناً ، ولا أَحسنَ أَلفاظاً ، ولا أَشَدَّ اقتداراً علىٰ الكلام ، رَوِيَّةً وحِفْظاً منهما ؛ أَسأَلُ الله تعالىٰ أَن يزيدَ بهما الإسلام تأييداً وعِزّاً ، ويُدْخِلَ بهما علىٰ أَهْلِ الشِّرْكِ ذُلاًّ وَقَمْعاً ؛ وأَمَّنَ الرَّشيدُ علىٰ دُعائِه ، ثم ضَمَّهما إليه ، وجمعَ عليهما يَديه ، فلم يَبسُطْهما حتّىٰ رأَيتُ الدُّموع تَنحدرُ علىٰ صَدره ، ثم أَمَرَهُما بالخُروج ، وقال : كأَنِّي بهما وقد دَهَمَ القَضاءُ ، ونَزَلَت مَقاديرُ السَّماء ، وقد تَشَتَّتَ أَمْرُهُما ، وافترَقَتِ كَلمتُهما بِسَفْك الدِّماء ، وتَهَتُّكِ السُّتور .

● وكان[1] يُقال : بَنو أُمَيَّةَ دَنٌّ خَلٍّ ، أَخرجَ اللهُ منه زِقَّ عَسَلٍ ، يَعني عُمر بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه .

● وسَبَّ[2] أَعرابيٌّ وَلدَهُ ، وذَكَرَ له حَقَّهُ ، فقال : يا أَبتاه ، إِنَّ عظيمَ حَقِّكَ عَلَيَّ لا يُبْطِلُ صَغيرَ حقِّي عليك .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢١) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٩) وعيون الأخبار (٣/ ٩٢) وبهجة المجالس (١/ ٧٧٠) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٢٧) . وقال ابن عبد البر : هو عمر بن ذر الهمداني .

• قال الشّاعر[1] : [من الوافر]

أُحِــبُّ بُنَيَّتــي وَوَدِدْتُ أَنِّــي ... دَفَنْـتُ بُنَيَّتـي فـي قـاعِ لَحْـدِ
ومــا بـي أَن تَهُـونَ عَلَـيَّ لَكِـنْ ... مخـافَـةَ أَن تـذوقَ البُؤْسَ بَعْـدي
فــإِن زَوَّجْتُهــا رَجُــلاً فَقيــراً ... أَراهــا عِنْــدَهُ والهَــمُّ عِنْــدي
وإِن زَوَّجْتُهــا رَجُــلاً غَنِيّــاً ... فَيَلْطِـمُ خَـدَّهـا وَيَسُـبُّ جَـدِّي
سَــأَلْـتُ الله يَــأْخُـذُهـا قَــريبـاً ... وَلـو كـانَـت أَحَـبَّ النّـاسِ عِنْـدي

• وقال هارون بن عليّ بن يَحيىٰ المُنَجِّم[2] : [من الوافر]

أَرىٰ فـي ابنـي مَشـابـهَ مِـن علـيٍّ ... ومِــن يَحيــىٰ وذاك بِــهِ خَليــقُ
وإِن يُشْبِهْهُمــا خُلُقــاً وخَلْقــاً ... فَقـد تَسْـري إِلـىٰ الشَّبَـهِ العُـروقُ

• وقال أَبو النَّضير مَولىٰ بني سُليم[3] : [من الطويل]

وَنَفْـرَحُ بـالمولُـودِ مِـن آلِ بَـرْمَـكٍ ... ولا سِيَّما إِن كانَ مِن وَلَدِ الفَضْلِ

• وقال الحسنُ بن زَيد العَلَويّ[4] : [من البسيط]

قـالـوا عَقيـمٌ فَلَـمْ يُـولَـدْ لَـهُ وَلَـدٌ ... والمَـرْءُ يَخْلُفُـهُ مِـن بَعْـدِهِ الـوَلَـدُ
فَقُلْـتُ مَـنْ عَلِقَـتْ بـالحَـرْبِ هِمَّتُـهُ ... عــافَ النِّسـاءَ وَلَـمْ يَكْثُـرْ لَـهُ عَـدَدُ

• وكان الزُّبير بن العوّام رضي الله عنه يُرْقِصُ وَلَدَه وَيقول[5] : [من الرجز]

أَزْهَــرُ مِــن آلِ بَنــي عَتيــقِ

---

(١) الأبيات برواية مختلفة في المحاسن والمساوىء (٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) بلا نسبة . ولم يرد في أ ، ب سوىٰ الأول والثاني ، وهما بلا نسبة في عيون الأخبار (٣/ ٩٣) وبهجة المجالس (١/ ٦٧٤) .
(٢) له في ربيع الأبرار (٤/ ٤٥٤) ومعجم الشعراء (٤٦٥) .
(٣) له في ربيع الأبرار (٤/ ٤٤٩) .
(٤) له في ربيع الأبرار (٤/ ٤٣٧) .
(٥) له في ربيع الأبرار (٤/ ٤١٦) وعيون الأخبار (٢/ ٤٣٩ و٣/ ٩٥) وبهجة المجالس (١/ ٧٦٨) والعقد الفريد (٢/ ٤٣٩) .

مُبـــارَكٌ مِـــن وَلَـــدِ الصِّـــدِّيـــقِ
أَلَـــذُّهُ كَمـــا أَلَـــذُّ رِيقـــي

• وكانَت أعرابيَّةٌ تُرْقِصُ وَلَدَها وتَقول[1] : [من الرجز]

يـــا حَبّـــذا رِيْـــحُ الـــوَلَـــدْ   رِيْـــحُ الخُـــزامَـــىٰ فـــي البَلَـــدْ
أَهَكَـــــذا كُـــــلُّ وَلَـــــدْ   أَمْ لَـــمْ يَلِـــدْ قَبْلـــي أَحَـــدْ

• وكان أَعرابيٌّ يُرْقِصُ وَلده ويقولُ[2] : [من الرجز]

أُحِبُّـــهُ حُـــبَّ الشَّحيـــحِ مـــالَـــهُ
قَـــد ذاقَ طَعْـــمَ الفَقْـــرِ ثُـــمَّ نـــالَـــهُ
إِذا أَرادَ بَـــــذْلَـــــهُ بَـــــدا لَـــــهُ

• وكان[3] لأَعرابيٍّ امرأَتان ، فولَدت إِحداهُما جاريةً والأُخرىٰ غُلاماً ، فَرَقَّصَتْهُ أُمُّه يوماً وقالَت مُعايرةً لِضُرَّتِها : [من الرجز]

الحَمْـــدُ للهِ الحَميـــدِ العـــالـــي   أَنْقَـــذَنـــي العـــامَ مِـــن الحَـــوالِ
مِـــن كُـــلِّ شَـــوْهـــاءَ كَشَـــنٍّ بـــالـــي   لا تَـــدْفَـــعُ الضَّيْـــمَ عَـــن العِيـــالِ

فَمسعَتْها ضُرَّتُها فأَقبلت تُرقصُ ابنتَها وتقولُ : [من الرجز]

ومـــا عَلَـــيَّ أَن تكـــونَ جـــاريَـــهْ   تَغْســـلُ رَأْســـي وَتكُـــون الفـــالِيَـــهْ
وتَـــرْفَـــعُ السّـــاقِـــطَ مِـــن خِمـــارِيَـــهْ   حتَّـــىٰ إِذا مـــا بَلَغَـــتْ ثمَـــانيَـــهْ
أَزَّرْتُهـــــا بِنُقْبَـــــةٍ يَمـــــانيَـــــهْ   أَنْكَحْتُهـــا مَـــروانَ أَو مُعـــاوِيَـــهْ
أَصْهـــارَ صِـــدْقٍ وَمُهـــورٍ غـــالِيَـــهْ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٧) وعيون الأخبار (٣/ ٩٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢٢) وعيون الأخبار (٣/ ٩٩) وبهجة المجالس (١/ ٧٦٨) والعقد الفريد (٢/ ٤٣٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٣٧) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٣٧٧) ومحاضرات للراغب (١/ ٣٢٥) .

قال : فَسمعَها مَروان ، فتزوَّجها علىٰ مئةِ أَلفِ مثقالٍ ، وقال : إن أُمَّها حقيقةٌ أَن لا يُكذبَ ظَنُّها ويُخانَ عهدُها ؛ فقال مُعاوية : لولا مَروان سَبَقَنا إِليها لأَضْعفنا لها المَهْرَ ، ولكنْ لا نَحرمُ الصِّلَة ؛ فبعثَ إِليها بمئتي أَلف درهم . واللهُ أَعلم .

وممّا جاء في الأَولاد البُلَداء ، القَليلي التَّوفيق :

- **قيل**[1] : نَظَرَ أعرابيٌّ إِلىٰ ولدٍ لهُ قَبيحِ المنظرِ ، فقال له : يا بُنَيَّ إِنَّك لستَ مِن زينةِ الحياةِ الدُّنيا .

- وقال[2] رجلٌ لولَده وهو في المكتبِ : في أَيِّ سُورة أَنت ؟ قال : لا أُقسم بهذا البَلَدِ، ووالدي بلا وَلَدٍ، فقال: لَعَمري مَن كنتَ أَنت وَلدَه ، فهو بِلا وَلَد .

- وأَرسلَ[3] رجلٌ وَلَده يَشتري له رِشاءً للبئرِ طولُه عِشرون ذِراعاً ، فوصَل إِلىٰ نصفِ الطَّريق ، ثم رجعَ فقال : يا أبتِ عشرونَ في عَرْضِ كَمْ ؟ قال : في عَرْضِ مُصيبتي فيكَ يا بُنَيَّ .

- وكان لرجلٍ من الأَعرابِ ولدٌ اسمُه حَمزة ، فبينَما هو يوماً يَمشي مع أَبيه إذا برجلٍ يصيحُ بشابٍّ : يا عبدَ الله ؛ فلم يُجبه ذلك الشّابُّ ، فقال : أَلا تسمعُ ؟ فقال : يا عمُّ ، كُلُّنا عَبيدُ الله ، فأَيّ عبدٍ تعني ؟ فالتفتَ أَبو حَمزة إِليه وقال : يا حمزةُ ، أَلا تنظرُ إِلىٰ بلاغةِ هذا الشّابِّ ؟ فلمَّا كان من الغدِ إذا برجلٍ يُنادي شابّاً : يا حَمزة ؛ فقال حمزةُ ابنُ الأَعرابيّ : كُلُّنا حَماميزُ الله ، فأَيّ حمزة تعني ؟ فقال له أَبوه : ليس يَعنيكَ ، يا مَن أَخمدَ اللهُ بِهِ ذِكْرَ أَبيه .

- وكان[2] لمحمّد بن بشير الشّاعر ابنٌ جَسيمٌ ، فأرسلَه في حاجتِهِ ، فأَبطأَ عليه ، ثم عاد ولم يَقْضِها ، فنظرَ إِليه ثم قال : [من مجزوء الخفيف]

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٩) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٢٤) .

عَقْلُـــهُ عَقْـــلُ طـــائِـــرٍ وَهْـــوَ فـــي خِلْقَـــةِ الجَمَـــلْ

فأَجابه :

مُشْبَـــهٌ بِـــكَ يـــا أَبـــي لَيْـــسَ لـــي عَنْـــكَ مُنْتَقَـــلْ

• ونهىٰ[1] أَعرابيٌّ ابنَه عن شُرب النَّبيذ ، فلم يَنْتَهِ وقال : [من الطويل]

أَمِـنْ شَـرْبَـةٍ مِـن مـاءِ كَـرْمٍ شَـرِبْتُهـا غَضِبْتَ عَلَيَّ ؟ الآنَ طابَتْ ليَ الخَمْرُ
سأَشْرَبُ فاسْخَطْ لا رَضِيْتَ كِلاهُما حَبيبٌ إِلىٰ قَلْبي عُقُوقُكَ والسُّكْرُ

وقيل : قال ذلك يزيد بن مُعاوية لأَبيه حين نَهاه عن شُرب الخمر .

وممّا جاء في صِلَة الرَّحِم :

• قال[2] رسولُ الله ﷺ : « صِلَةُ الرَّحِمِ مَنْماةٌ للوَلَدِ مَثْراةٌ للمالِ » .

• وقيل[3] : وُجِدَ حَجَرٌ حينَ حَفَرَ إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلام أَساسَ البيتِ مكتوبٌ عليه بالعبرانيَّة : أَنا الله ذوبَكَّة خلقتُ الرَّحِمَ ، وشَقَقْتُ لها اسماً من أَسمائي ، فمَن وَصَلَها وَصَلْتُهُ ، ومَن قَطَعَها بَتَتُّهُ ؛ أَي قطعتُه .

• وقال رسولُ الله ﷺ : « أَعْجَلُ الخيرِ ثَواباً صِلَةُ الرَّحِم » .

• وحدَّثنا[4] أَبو سهلٍ عن صالح ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن منصور ، عن عَطاء بن أَبي مروان ، عن أَبيه ، عن كعب الأَحبار ، أَنَّه قال : والَّذي فَلَقَ البحر لموسىٰ بن عِمران ، إِنَّ في التَّوراة لمكتوباً : يا ابنَ آدمَ ، اتَّقِ ربَّكَ ، وبرَّ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٧١) وعيون الأخبار (٣/ ٩٣) بلا نسبة . وهما لأعرابي في المناقب والمثالب رقم (١٢٣٨) . وهما ليزيد بن معاوية في فوات الوفيات (٤/ ٣٣٣) وديوانه (٥٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٢٧) .
(٣) انظر سنن أبي داود (٢/ ١٣٣ رقم ١٦٩٤) والترمذي (٤/ ٢٧٨) رقم (١٩٠٧) .
(٤) حلية الأولياء (٥/ ٣٨٩) .

والدَيك ، وصِلْ رَحِمَك ، أزدْ في عُمرك ، وأُيَسِّرُ لك في يَسيرك ، وأَصرفُ عنك عَسيرك .

• وعن أَبي أُمامة الباهليّ رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « صنائعُ المعروف تَقي مَصارع السُّوء ، وصَدَقَةُ السِّرِّ تُطفىءُ غَضَبَ الرَّبِّ جلَّ وعلا ، وصِلَةُ الرَّحِم تَزيدُ في العُمر » . وذَكر تمامَ الحديث .

الفصل الثّالث

في ذِكر الأَنساب والأَقارب والعشيرة

• قال[1] عُمر رضي الله عنه : تَعَلَّموا أَنسابَكم تَعرفوا بها أُصولَكم ، فَتَصلوا بها أَرحامَكم .

• وقيل[2] : لو لم يَكن من مَعرفة الأَنساب إلاّ الاعتزازُ بها من صَولة الأَعداء ، وتنازُعِ الأَكفاءِ ، لكان تَعلُّمها من أَحزم الرّأي ، وأَفضل الثَّواب ؛ أَلا ترىٰ إلىٰ قولِ قومِ شُعيب عليه السَّلام حيث قالوا : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود : ٩١] فأبقوا عليه لِرَهْطِهِ .

• وقال[3] عُمر رضي الله عنه : تعلَّموا العربيَّة ، فإنَّها تزيدُ في المروءَة ؛ وتعلَّموا النَّسبَ ، فَرُبَّ رَحِمٍ مَجهولةٍ قد وُصِلَت بِعِرفانِ نَسَبِها .

• وسُئل عيسىٰ عليه السَّلام : أَيُّ النّاس أَشرفُ ؟ فقبَض قَبضتين من تُراب ، وقال : أَيُّ هاتين أَشرفُ ؟ ثم جَمعهما وطَرَحَهما ، وقال : النَّاسُ كلُّهم من تُراب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٧٢) مرفوعاً وعيون الأخبار (٣/ ٨٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٤٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٤١) .

• كان[1] أَبو كَبْشَةَ جَدَّ رسولِ الله ﷺ من قِبَلِ أُمِّه ، فلمَّا خالَفَ رسولُ الله ﷺ دينَ قُريش قالوا : نَزَعَهُ عِرْقُ أَبي كَبْشَة ، حيثُ خالَفَهم في عِبادة الشِّعْرىٰ .

• وقال[2] خالد بن عبد الله القَسْريّ : سأَلتُ واصِل بن عَطاء عن نَسَبِهِ ، فقال : نَسَبي الإِسلام ، الَّذي مَن ضَيَّعَهُ ، فقد ضَيَّعَ نَسَبَهُ ، ومَن حَفِظَه فقد حَفِظَ نَسَبَه ؛ فقال خالد : وَجْهُ عَبْدٍ ، وكلامُ حُرٍّ .

• ومن[3] كلامِ عليٍّ كرَّم الله وَجهه : أَكرمْ عَشيرتكَ ، فإِنَّهم جناحُك الَّذي به تَطيرُ ؛ فإِنَّك بهم تَصولُ ، وبهم تَطولُ ، وهم العدَّةُ عندَ الشِّدَّة ؛ أَكرمْ كريمَهم ، وعُدْ سَقيمهم ، وأَشركهُم في أُمورك ، ويَسِّرْ عن مُعْسِرِهم .

• وكان[4] يُقال : إذا كان لك قريبٌ ، فلم تمش إِليه بِرِجلك ، ولم تُعطه من مالِك ، فقد قطَعتَه .

• ويُقال[5] : حَقُّ الأَقارب إِعظامُ الأَصغر لِلأَكبر ، وحُنُوُّ الأَكبرِ علىٰ الأَصغر .

• قال[6] رسولُ الله ﷺ : «حقُّ كبيرِ الإِخوةِ علىٰ صَغيرهم ، كحقِّ الوالِدِ علىٰ وَلَده» .

• قال بعضُهم[7] : [من الكامل]

وإِذا رُزِقْـتَ مِـن النَّـوافِـلِ ثَـرْوَةً ... فـامْنَـحْ عَشيـرتَـكَ الأَدانـي فَضْلَهـا
واعْلَـمْ بـأَنَّـكَ لا تُسَـوَّدُ فيهِـمُ ... حتَّـىٰ تُـرىٰ دَمِـثَ الخَـلائِـقِ سَهْلَهـا

* * *

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٧٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٨) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٥) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٤٦٤) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٤٦٢) .
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ٤٧١) وبهجة المجالس (١/ ٧٧٤) .
(٧) للمقنّع الكندي في ربيع الأبرار (٤/ ٤٦٠) وديوانه (٢١١) (ضمن شعراء أمويّون) .

البابُ السّادس والأربعون

في الخَلْق وصِفاتهم وأَحوالهم ، وذِكر الحُسْنِ والقُبح ، والقِصَر ، والألوان ، والثياب ، وما أَشبه ذلك

وفيه فصول

الفصل الأَوَّل

في الحُسْنِ ومَحاسنِ الأَخلاق

• وإِلىٰ سيِّدنا محمَّدٍ رسولِ الله ﷺ ينتهي الحُسْنُ والجَمال .

كان[١] سيِّدُنا محمَّد ﷺ : رَبْعَةً من القَوم ، لا بائِناً من طُولٍ ولا تَقتحمُهُ عَيْنٌ من قِصَرٍ ، أبيضَ اللَّونِ مُشْرَباً بِحُمْرَةٍ ، أَدْعَجَ[٢] العينين ، مُفَلَّجَ الثَّنايا[٣] ، دقيقَ المَسْرُبَةِ[٤] ، أَزْهَرَ الجبين ، واضِحَ الخَدِّ ، أَقْنىٰ[٥] الأَنْف ، كأَنَّ عُنُقَهُ إبريقُ فِضَّةٍ ، ظاهرَ الوَضاءة ، يتلألأُ وَجهُه تلألُؤ القمر ، شَثْنَ[٦] الكَفَّين ، مَسيحَ القدمين ، واسعَ الصَّدرِ ، من لَبَّتِهِ[٧] إِلىٰ سُرَّتِهِ شَعْرٌ يَجري

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٤٧) وطبقات ابن سعد (١/ ٤١٠) والمعرفة والتاريخ (٣/ ٢٨٣) وأنساب الأشراف (١/ ٣٨٦) وتاريخ الإسلام (١/ ٤٣٤) والوافي بالوفيات (١/ ٦٤) .

(٢) الدعج : شدّة سواد العين .

(٣) الفلج : التباعد ما بين الأسنان .

(٤) المسربة : الشعر المستدق ما بين اللبّة إلىٰ السُّرَّة .

(٥) القنا : احديداب في الأنف .

(٦) الشثن : الغلظ .

(٧) اللبّة : المنحر .

كالقَضيب ، ليس في بَطنه ولا صَدره شَعْرٌ غيرهُ ، أَشْعَرَ الذِّراعين والمَنْكِبَيْن ، لم يبلُغ شَيْبُهُ في رأسِه ولِحْيَتِهِ عِشرين شَعْرَةً ، ضَخْمَ الكراديس[1] ، أَنْوَرَ المُتجَرَّدِ ، إِذا مَشىٰ كأَنَّما يَنْحطُّ من صَبَبٍ[2] ، وإِذا التفتَ التفتَ جميعاً ، بين كتفيهِ خاتمُ النُّبُوَّةِ ، كأَنَّه زِرُّ حَجَلَةٍ أَو بيضُ حَمامةٍ ، لونُهُ كلَونِ جَسَدِهِ ، أَبْلَجَ الوَجْهِ ، حَسَنَ الخَلْقِ ، وَسيماً قسيماً ، في جَبينهِ زَجَجٌ ، وفي عَينيه دَعجٌ ، وفي عُنُقِهِ سَطَعٌ ، وفي لِحيته كثافَةٌ ، إِنْ صَمَتَ فعليهِ الوَقارُ ، وإِن تكلَّمَ سَما وعلاهُ البَهاء ، أَجملَ النَّاس وأَبهاهم من بَعيد ، وأَحسنَهم وأَكملَهم من قَريبٍ ، كأَنَّما مَنْطِقُهُ خَرَزاتُ نَظْمٍ يَتَحدَّرْنَ .

- قال أَنس رضي الله عنه : ما رأَيتُ من ذي لِمَّةٍ سَوادءَ ، في حُلَّة حَمراء ، أَحسنَ من رسول الله ﷺ .

- ومدَحه ﷺ حسّانُ بنُ ثابتٍ رضيَ الله عنه فقال[3] : [من الوافر]

وأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْني ... وأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّساءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِن كُلِّ عَيْبٍ ... كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كما تَشاءُ

اللَّهمَّ صَلِّ وسَلِّم عليه ، واجعلْه شَفيعاً لمن يُصَلِّي عليه .

- وقال[4] ﷺ : «ما حَسَّنَ اللهُ خَلْقَ عَبْدٍ وخُلُقَهُ إِلاّ استَحْيا أَن يُطْعِمَ لَحْمَهُ النّارَ» .

- وقد[5] كان المُتَوَكِّلُ رحمهُ الله من أَحسن الخُلفاء العبّاسيَّة وَجْهاً وأَبهاهُم مَنْظراً .

- وكان[6] مُصعبُ بن الزُّبير من أَحسن النّاس وَجْهاً .

---

(١) الكردوس : كل عظمين التقيا في مفصل .
(٢) الصّبب : المنحدر .
(٣) ديوانه (٣٧١) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/٢٥٨) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/٢٥٥) .
(٦) ربيع الأبرار (٢/٢٥٩) .

حُكي أنَّه كان جالساً بفِناء داره يوماً بالبَصرة ، إذ جاءَت امرأَةٌ فوقَفت تنظرُ إليه ، فقال لها : ما وُقوفُك يَرحمُكِ الله ؟ فقالت : طَفِيءَ مِصباحُنا ، فَجِئْنا نَقتبسُ من وَجْهك مِصباحاً .

• وقيل[١] لأَعرابيّة ظَريفةٍ : ما بالُ شَفتيك مُشَقَّقَةٌ ؟ فقالت : إنَّ التّينَ إذا حَلا تَشَقَّقَ ؛ والوردُ يتشقَّقُ إذا مَسَّهُ النَّدىٰ .

• وكانت[٢] لُبابة بنت عبد الله بن عبّاس رضي الله تعالىٰ عنهم من أَجمل النّاس وَجْهاً ، وكانت عند الوليد بن عُتبة بن أَبي سفيان ، فكانت تقول : ما نَظَرْتُ وَجْهي في مِرآةٍ مع إنسانٍ إلاّ رَحِمْتُهُ مِن حُسن وَجهي ، إلاّ الوليدَ ، فكنتُ إذا نظرتُ إلىٰ وَجْهي مع وَجهه رَحمتُ وَجْهي من حُسْنِ وَجهه .

• قال الشّاعر[٣] : [من الطويل]

وَلَو أَنَّه في عَهْدِ يُوسُفَ قُطِّعَتْ ... قُلوبُ رِجالٍ لا أَكُفُّ نِساءِ

• وقال كُثَيِّر[٤] : [من الكامل]

لَوْ أَنَّ عَزَّةَ حاكَمَتْ شَمْسَ الضُّحىٰ ... في الحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ لَقَضىٰ لَها

وممّا جاء في مَحاسن الخَلْق مَنظوماً علىٰ التّرتيب من الفَرْقِ إلىٰ القَدَم :

ما قيل في الشَّعر :

• كان[٥] يُقال : مَن تَزَوَّجَ امرأَةً ، أو اتَّخَذَ جاريةً ، فلْيَستحسنْ شَعْرَها ، فإنَّ الشَّعرَ الحَسَنَ أَحَدُ الوَجهين .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٦٨) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٣) .
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٩) .
(٤) ديوانه (٣٩٤) وربيع الأبرار (٢/ ٢٥٩) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٦٤) .

• قال بَكرُ بنُ النَّطّاح[1] : [من الكامل]

بَيْضاءُ تَسْحَبُ مِن قِيامٍ شَعْرَها ... وَتَغيبُ فيهِ وَهوَ جَثْلٌ أَسْحَمُ
فَكَأَنَّها فيهِ نَهارٌ ساطِعٌ ... وكأَنَّهُ لَيلٌ عَلَيْها مُظْلِمُ

• ولِلمتنبِّي[2] : [من الكامل]

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَعْرِها ... في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيالِيَ أَرْبَعا
واسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّماءِ بِوَجْهِها ... فَأَرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ في وَقْتٍ مَعا

• وله أيضاً[3] : [من الوافر]

لَبِسْنَ الوَشْيَ لا مُتَجَمِّلاتٍ ... وَلكِنْ كي يَصُنَّ بِهِ الجَمالا
وَضَفَّرْنَ الغَدائِرَ لا لِحُسْنٍ ... وَلكِنْ خِفْنَ في الشَّعرِ الضَّلالا

• وقال الصَّفَدي : [من الكامل]

لولا شَفاعَةُ شَعرِهِ في صَبِّهِ ... ما كانَ زارَ ولا أَزالَ سَقاما
لكِنْ تَنازَلَ في الشَّفاعَةِ عِنْدَهُ ... فَغَدا علىٰ أَقْدامِهِ يَترامىٰ

• وقال ابنُ الصّائغ : [من الوافر]

ثَنىٰ غُصْناً وَمَدَّ عَلَيهِ فَرْعاً ... كَحَظِّي حينَ أَطْلُبُ مِنْهُ وَصْلا
وَبَلْبَلَهُ علىٰ الأَرْدافِ مِنْهُ ... فَلَمْ أَرَ مِثْلَ ذاكَ الفَرْعِ أَصْلا

• وقال آخر : [من السّريع]

أَرْخىٰ ثَلاثاً يَوْمَ حَمّامِهِ ... ذَوائِباً تَعْبَقُ مِنْها الغَوالْ
فَقُلْتُ والقَصْدُ ذُؤاباتُهُ : ... واسَهَري في ذي اللَّيالي الطِّوالْ

---

(١) ديوانه (٢٦١ ـ ٢٦٢) (ضمن شعراء مقلّون) والمحب والمحبوب (١/ ١٦) .
(٢) ديوانه (٢/ ٢٦٠) .
(٣) ديوانه (٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) والمحب والمحبوب (١/ ٢٦) .

● وقال آخر : [من الرجز]

بَـدَتْ تُـرِيْنـا قُـرْطَهـا ، وشَعْـرُهـا مُتَّصِـــلٌ بِكَعْبِهـــا كَمـــا تَـــرىٰ
يـا عَجَباً لِشَعْـرِهـا لَمّـا ابْتَـدىٰ مِـن الثُّـرَيّـا فـانْتَهـىٰ إلـىٰ الثَّـرىٰ

● وقال آخر[1] : [من الطويل]

تَـوارَتْ عـن الـواشي بِلَيْـلِ ذَوائِـبٍ لَهـا مِـن مُحَيّـا واضِـحٍ تَحْتَـهُ فَجْـرُ
يُغَطّـي عَلَيْهـا شَعْـرُهـا بِظَـلامِـهِ « وَفي اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ »

وممّا قيل في الأصداغ :

● (قال الشّاعر : [من الطويل]

أَقولُ لهُ : أَسْرَفْتَ في التِّيهِ ، قال : لا تَقُلْ عن جَمالي في الهوىٰ غَيْرَ ما جرىٰ
فـأَبْيَـضُ طَـرْفـي واقِـفٌ عِنْـدَ خَـدِّه وأَسْوَدُ شَعْري قد تَواضَعَ لِلثَّرىٰ)[2]

● قال ابنُ المُعْتَزِّ[3] : [من الكامل]

رِيْـــمٌ يَتِيْـــهُ بِحُسْـــنِ صُـــورَتِـــهِ عَبَـــثَ النُّعـــاسُ بِلَحْـــظِ مُقْلَتِـــهِ
وَكَـــأَنَّ عَقْـــرَبَ صُـــدْغِـــهِ وَقَفَـــتْ لَمّـــا دَنَـــتْ مِـــن نـــارِ وَجْنَتِـــهِ

● وقال العَلَويّ[4] : [من الوافر]

وَعَهْـدي بـالعَقـارِبِ حِيْـنَ تَشْتُـو يُخَفِّـفُ لَـدْغُهـا وَتَقِـلُّ ضُـرّا
فَمـا بـالُ الشِّتـاءِ أَتَـىٰ وَهَـذي عَقـارِبُ صُـدْغِهـا تَـزْدادُ شَـرّا

---

(١) البيتان للسراج الوراق في الغيث المسجم (١/ ١٢٢) والشطر الأخير مضمن من قول أبي فراس في ديوانه (١٤٥) .
(٢) من أ .
(٣) ديوانه (١/ ٣٢٦) والمحب والمحبوب (١/ ٢٩) .
(٤) بهذه النسبة في المحب والمحبوب (١/ ٣٣) وهو ابن طباطبا العلوي ، وليسا في ديوانه . وهما للصاحب بن عباد في ديوانه (١٧٥) ومن غاب عنه المطرب (١٧٧) .

• وقال آخر[1] : [من الطويل]

وَمـا ضَـرَّهُ نـارٌ بِخَـدَّيْـهِ أَلْهَبَـتْ ... وَلَكِـنْ بِهـا قَلْـبُ المُحِـبِّ يُعَـذَّبُ
عَنـاقيـدُ صُـدْغَيْـهِ بِخَـدَّيْـهِ تَلْتَـوي ... وأَمْـواجُ رِدْفَيْـهِ بِخَصْـرَيْـهِ تَلْعَـبُ
شَرِبْتُ الهَـوىٰ صِرْفاً زُلالاً وإِنَّمـا ... لَـواحِظُـهُ تَسْقـي وَقَلْبـيَ يَشْـرَبُ

وقال آخر : [من البسيط]

حَلَّ القِبـا وَلَـوىٰ صُـدْغَيْـهِ فـانْعَقَـدا ... واحَيْـرَتـي بَيْـنَ مَحْلُـولٍ وَمَعْقُـودِ
وأَسْكَـرَتْنـي ثَنـايـاهُ وَرِيْقَتُـهُ ... هَلْ هَذِهِ الخَمْرُ مِن تِلْكَ العناقيدِ[2]

وممّا قيلَ في مَدْح العِذار :

• قال أَبو فِراس بن حَمْدان[3] : [من الكامل]

يـا مَـنْ يَلُـومُ علـىٰ هَـواهُ جَهـالَـةً ... انْظُـرْ إِلـىٰ تِلْـكَ السَّـوالِـفِ تَعْـذُرِ
حَسُنَـتْ وطـابَ نَسِيمُهـا فكَـأَنَّهـا ... مِسْـكٌ تَسـاقَـطُ فَـوْقَ خَـدٍّ أَحْمَـرِ

• وقال محمَّد بن وُهَيْب[4] : [من الوافر]

صُـدُودُكَ والهـوىٰ هَتكـا اسْتِتـاري ... وَسـاعَـدَنـي البُكـاءُ علـىٰ اشْتِهـاري
وَكَـمْ أَبْصَـرْتُ مِـن حُسْـنٍ ولكـنْ ... عَلَيْـكَ لِشِقْـوَتـي وَقَـعَ اخْتِيـاري
وَلَـمْ أَخْلَـعْ عِـذاراً فيـكَ إِلاّ ... لِمـا عـايَنْـتُ مِـن خَلْـعِ العِـذارِ

• وقال آخر : [من الكامل]

وَمُعَـذَّرٍ رَقَّـتْ حَـواشـي خَـدِّهِ ... فَقُلُـوبُنـا وَجْـداً عليـهِ رِقـاقُ

---

(١) بلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ٣٧) . وهي لابن المعتز في نهاية الأرب (٢/ ٦٨) وليست في ديوانه .
(٢) في أ : يا مسكري بثناياه . . .
(٣) ديوانه (١٥٧) والمحب والمحبوب (١/ ٤٣) ومن غاب عنه المطرب (١٧٩) .
(٤) ديوانه (٧٨) (ضمن شعراء عباسيون) والمحب والمحبوب (١/ ٤٧) .

لـم يَكْـسُ عـارِضَـهُ السَّـوادُ وإِنَّمـا   نَفَضَـتْ عليـهِ سَـوادَهـا الأَحْـداقُ

● وقال آخر : [من الكامل]

وَمُهَفْهَـفٍ راقَـتْ نَضـارَةُ وَجْهِـهِ   والعَيْـنُ تَنْظُـرُ مِنْـهُ أَحْسَـنَ مَنْظَـرِ
أَصْلَـىٰ بِنـارِ الخَـدِّ عَنْبَـرَ خـالِـهِ   فَبَـدا العِـذارُ دُخـانَ ذاكَ العَنْبَـرِ

● وقال آخر : [من الكامل]

أَصْبَحْـتِ سُلْطـانَ القُلـوبِ مَـلاحَـةً   وَجَمـالُ وَجْهُـكِ لِلْبَـرِيَّـةِ عَسْكَـرُ
طَلَعَـتْ طَـلائِـعُ وَجْنَتَيْـكِ مُغيـرَةً   بـالنَّصْـرِ يَقْـدَمُهـا لـواءٌ أَخْضَـرُ

● وقال آخر[1] : [من الكامل]

يـا ذا الَّـذي خَـطَّ العِـذارُ بِخَـدِّهِ   خَطَّيْـنِ هـاجـا لَـوْعَـةً وَبَـلابِـلا
مـا صَـحَّ عِنْـدي أَنَّ لَحْظَـكَ صـارِمٌ   حتَّـىٰ حَمَلْـتَ بِعـارِضَيْـك حَمـائِـلا

● وقال آخر : [من البسيط]

مَن لا رَأَىٰ كَعْبَةَ الحُسْنِ الَّتي حُرِسَتْ   بالنَّحْلِ حَيْثُ مَقامُ الشَّهْدِ في فَمِهِ
فَلْيَنْظُرِ النَّمْلَ أَضْحىٰ فوقَ عارِضِهِ   يَطوفُ سَبْعاً ويَسْعىٰ حَوْلَ مَبْسَمِهِ

● وقال بدرُ الدِّين الدَّماميني : [من الوافر]

تَحَـدَّثَ لَيْـلُ عـارِضِـهِ بِـأَنِّـي   سَـأَسْلُـوهُ وَيَنْصَـرِمُ المَـزارُ
فَـأَشْـرَقَ صُبْـحُ غُـرَّتِـهِ يُنـادي :   حَـديـثُ اللَّيـلِ يَمْحُـوهُ النَّهـار

● وقال آخر : [من المتقارب]

وقـالـوا : اُسْـلُ عَنْـهُ فَقَـدْ شـانَـهُ   عِـذارٌ أَراحَـكَ مِـن صَـدِّهِ
فقُلْـتُ : وَهِمْتُـم وَلكنَّنـي   خَلَعْـتُ العِـذارَ علـىٰ خَـدِّهِ

---

(١) هما لابن عبد ربّه الأندلسي في وفيات الأعيان (١/ ١١٠) .

• وقال سيِّدي أَبو الفَضْل بن أَبي الوفاء رحمه الله : [من الطويل]

علىٰ وَجْنَتَيْهِ جَنَّةٌ ذاتُ بَهْجَةٍ   تَرىٰ لِعُيونِ النّاسِ فيها تَزاحُما
حَمىٰ وَرْدَ خَدَّيْهِ حُماةُ عِذارِهِ   فيا حُسْنَ رَيْحانِ العِذارِ حَما حِمىٰ

• وقال ابن نُباتة[1] : [من الكامل]

وَبِمُهْجَتي رَشَأٌ يَميسُ قَوامُهُ   فَكَأَنَّهُ نَشْوانُ مِن شَفَتَيْهِ
شُغِفَ العِذارُ بِخَدِّهِ ورآهُ قَدْ   نَعِسَتْ لَواحِظُهُ فَدَبَّ عَلَيْهِ

• وقال المَوْصِليّ : [من الكامل]

لِحَديث نَبْتِ العارِضَيْن حَلاوَةٌ   وَطَلاوَةٌ هامَتْ بِها العُشّاقُ
فإِذا نَهاني المَرْءُ قُلْتُ : تَرَفَّقُوا   فَإِلَيْكُمُ هذا الحديثُ يُساقُ

• وقال آخر : [من الكامل]

أَصْبَحْتُ مَأْسوراً بِسَهْمِ لِحاظِهِ   وَمُقَيَّداً مِن صُدْغِهِ بِسَلاسِلِ[2]
حتَّىٰ بَدا سَيْفُ العِذارِ مُجَرَّداً   فَخَشِيْتُ مِنْهُ وقُلْتُ : هذا قاتلي

• وقال آخر : [من الكامل]

يا صاحِ قَدْ حَضَرَ المُدامُ وَمُنْيَتي   وَحَظِيتُ بَعْدَ الهَجْرِ بالإِيْناسِ
وَكَسا العِذارُ الخَدَّ حُسْناً فاسْقِني   واجْعَلْ حَديثَكَ كُلَّهُ في الكاسِ

• وقال ابن نُباتة[3] : [من الطويل]

وَضَعْتُ سِلاحَ الصَّبْرِ عَنْهُ فَما لَهُ   يُغازِلُ بالأَلْحاظِ مَن لا يُغازِلُهْ

---

(١) ديوانه (٥٧٧) .
(٢) هذه رواية أ ، ب . أما رواية ط فهي :
أَصبحتُ مكسوراً بسهم لحاظه   ومقيّداً من صدغه ولسانه
حتىٰ بدا سيف العذار مجرّداً   فخشيتُ يقتلني وذا من شانه
(٣) ديوانه (٤٢٣) .

وَسالَ عِذارٌ فَوْقَ خَدَّيْهِ سائِلٌ   على خَدِّهِ فَلْيَتَّقِ اللهَ سائِلُهْ

وممّا قيل في ذَمِّ العِذار :

• قال الشّاعر : [من الوافر]

غَدا لمّا الْتَحىٰ لَيْلاً بَهيماً   وكانَ كَأَنَّهُ قَمَرٌ مُنيرُ
وقَد كَتَبَ السَّوادُ بِعارِضَيْهِ   لِمَنْ يَقْرا : وجاءَكُمُ النَّذيرُ

• وقال آخر في ذَمِّه : [من السريع]

قلتُ لأَصحابي وَقَدْ مَرَّ بي   مُنْتَقِباً بَعْدَ الضِّيا بالظُّلَمْ
باللهِ يا أَهْلَ وِدادي قِفُوا   ثُمَّ انْظُروا كَيْفَ زَوالُ النِّعَمْ

• وقال آخرُ : [من البسيط]

ما زالَ يَنْتِفُ رَيْحاناً بِعارِضِهِ   حتّىٰ اسْتَطالَ عليهِ صارَ يَحْلِقُهُ
كأَنَّما طُورُ سِيْنا فَوْقَ عارِضِهِ   طُوْلَ الزَّمانِ فَمُوسىٰ لا يُفارِقُهُ

• وقال الحاجري[1] : [من الكامل]

ما زالَ يَحْلِفُ لي بِكُلِّ أَلِيَّةٍ   أَن لا يَزالَ مَدىٰ الزَّمانِ مُصاحبي
لمّا جَنىٰ نَزَلَ العِذارُ بِخَدِّهِ   فَتَعَجَّبُوا لِسوادِ وَجْهِ الكاذِبِ

• قال ابن المعتزّ[2] : [من البسيط]

يا رَبِّ إِن لم يَكُنْ في وَصْلِهِ طَمَعٌ   وَلَم يَكُنْ فَرَجٌ مِن طُولِ هِجْرَتِهِ
فاشْفِ السَّقامَ الَّذي في لَحْظِ مُقْلَتِهِ   واسْتُرْ مَلاحَةَ خَدَّيْهِ بِلِحْيَتِهِ

---

(١) هما له في وفيات الأعيان (٣/ ٥٠١) . ورواية الأول في أ ، ب : . . . بكل وثيقةٍ × .
(٢) ديوانه (١/ ٣٢٧) والمحب والمحبوب (١/ ٥٦) . ورواية الأول في أ : × . . . من طول جفوته .

وممّا قيل في الجَبين والحواجب :

• قال خالدُ الكاتب[1] : [من الطويل]

لَها مِن مَهاةِ الرَّمْلِ عَيْنٌ مَريضَةٌ ... ومِن ناضِرِ الرَّيْحانِ خُضْرَةُ حاجِبِ
ومِـن يـانِـع الأَغْصـانِ قَـدٌّ وَقـامَـةٌ ... ومِن حالِكِ الحِبْرِ اسْوِدادُ الذَّوائِبِ

• وقال آخر[2] : [من الطويل]

غَـزانـي الهَـوَىٰ فـي جَيْشِـهِ وَجُنُـودِهِ ... وعَبّا عليَّ الجَيْشَ مِن كُلِّ جانِبِ
بِمَيْسَـرَةٍ أَجْنـادُهـا أَعْيُـنُ المَهـا ... وَمَيْمَنَـةٍ تَقْضِـي بِـزُجِّ الحـواجِـبِ

• وقال آخر[3] : [من الوافر]

أَيــا قَمَــراً تَبَسَّــمَ عــن أَقــاحِ ... وَيــا غُصْنــاً يَميــلُ مـع الـرِّيـاحِ
جَبينُـــكَ والمُقَبَّـــلُ والثَّنـــايـــا ... صَبــاحٌ فــي صَبــاحٍ فــي صَبــاحِ

وممّا قيل في العُيون :

• قال[4] الأَصمعيُّ : ما وَصَفَ أَحَدٌ العيونَ بمثلِ ما وَصَفَ عَديّ بنُ الرِّقاعِ في قوله : [من الكامل]

وَكَــأَنَّهــا دُونَ النِّســاءِ أَعــارَهــا ... عَيْنَيْـهِ أَحْـوَرَ مِـن جـآذِرِ جـاسِـمِ
وَسْنـانَ أَقْصَـدَهُ النُّعـاسُ فَـرَنَّقَـتْ ... فــي جَفْنِـهِ سِنَـةٌ وَلَيْـسَ بِنـائِـمِ

---

(١) هما له في المحب والمحبوب (١/ ٨٨) وليسا في ديوانه . والأول من قصيدة أوردها الشّيرزي في جمهرة الإسلام (٣٩ ب ـ ٤٠ أ) منسوبة إلىٰ ديك الجن ، وهي في ديوانه (٢٢٩ ـ ٢٣٤) . ورواية الأول في ط : لها من ظباء الرمل . . . × .
(٢) هما بلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ٨٩) .
(٣) هما لديك الجن في ديوانه (٨١) والمحب والمحبوب (١/ ٢٩٨) .
(٤) عن المحب والمحبوب (١/ ٩١) والبيتان فيه وفي ديوانه (١٢٢) ورواية الثاني في ط : . . . . تلاعبت × .

● وقال ابن المعتزّ[1] ـ (والنّاسُ يَسْتَبْدِعُونَهُ) ـ: [من الطويل]

عَليمٌ بِما تَحْتَ الضُّلوعِ مِن الهَوىٰ ... سَريعٌ بِكَرِّ اللَّحْظِ والقَلْبُ جازِعُ
فَيَجْرَحُ أَحْشائي بِعَيْنٍ مَريضَةٍ ... كما لانَ مَتْنُ السَّيْفِ والحَدُّ قاطِعُ

● وقال الأَخطل[2] : [من الوافر]

فَلا تَلْمُمْ بِدارِ بَني كُلَيْبٍ ... وَلا تَقْرَبْ لَها أَبَداً رِحالا
تَرىٰ فيها بَوارِقَ مُومِساتٍ ... يَكَدْنَ يَنِكْنَ بالحَدَقِ الرِّجالا

● وقال أَبو فِراسٍ وأَحسن[3] : [من الطويل]

وَبِيْضٍ بِأَلْحاظِ العُيونِ كَأَنَّما ... هَزَزْنَ سُيوفاً واسْتَلَلْنَ خَناجِرا
تَصَدَّيْنَ لي يَوماً بِمُنْعَرَجِ اللِّوىٰ ... فَغادَرْنَ قَلْبي بالتَّصَبُّرِ غادِرا
سَفَرْنَ بُدوراً وانْتَقَبْنَ أَهِلَّةً ... وَمِسْنَ غُصوناً والْتَفَتْنَ جآذِرا

● وقال آخر[4] : [من الكامل]

وَمَريضِ جَفْنٍ لَيْسَ يَصْرِفُ طَرْفَهُ ... نَحْوَ امْرِىءٍ إِلاّ رَماهُ بِحَتْفِهِ[5]
قَدْ قُلْتُ إِذْ أَبْصَرْتُهُ مُتَمايِلاً ... والرِّدْفُ يَجْذِبُ خَصْرَهُ مِن خَلْفِهِ
يا مَنْ يُسَلِّمُ خَصْرَهُ مِن رِدْفِهِ ... سَلِّمْ فُؤادَ مُحِبِّهِ مِنْ طَرْفِهِ

---

(١) ديوانه (١/ ٣٨٠) والمحب والمحبوب (١/ ٩٣) .
(٢) ديوانه (١/ ١٣٤) والمحب والمحبوب (١/ ٩٥) . ورواية الثاني في ط : .... مرهفات × .
(٣) ديوانه (١١٣) . والثالث للزاهي في اليتيمة (١/ ٢٣٣) والتوفيق للتلفيق (٤٦) وخاص الخاص (١٤٩) وسر العربية (٣٤٤) . ونسبت في المحب والمحبوب (١/ ٩٨) إلىٰ ابن المعتز وليست في ديوانه .
(٤) الأبيات في المحب والمحبوب (١/ ٩٩) منسوبة إلىٰ خالد ، وليست في ديوان خالد الكاتب . والثالث لأبي العلاء السروي في اليتيمة (٤/ ٥١) مع بيتين قبله .
(٥) في أ والمحب والمحبوب : ومريض طرف .... × .

• وقال أَبو هِفّان[1] : [من الوافر]

أَخـو دَنَـفٍ رَمَتْـهُ فَـأَقْصَـدَتْـهُ سِهـامٌ مِـن جُفـونِـكَ لا تَطيـشُ
قَـواتِـلُ لا نِصـالَ سِـوىٰ احْـوِرارٍ بِهِـنَّ ولا سِـوىٰ الأَهْـدابِ رِيْـشُ[2]
أَصَبْـنَ فُـؤادَ مُهْجَتِـهِ فَـأَضْحـىٰ سَقيمـاً لا يَمـوتُ وَلا يَعيـشُ
كَئيبـاً إِن تَـرَحَّـلَ عَنْـهُ جَيْـشٌ مِـنَ البَلْـوىٰ أَنـاخَ بِـهِ جُيـوشُ

• وقال آخر : [من الطويل]

وجـاؤوا إِليـهِ بـالتَّعـاويـذِ والـرُّقَـىٰ فَصَبُّوا عليهِ الماءَ مِن شِدَّةِ النَّكْسِ
وقـالـوا بـهِ مِـن أَعْيُـنِ الجِـنِّ نَظْـرةٌ وَلو أَنْصَفوا قالوا بهِ أَعْيُنُ الإِنْسِ

• وقال عزُّ الدِّين المَوْصِلي : [من الوافر]

لَهـا عَيْـنٌ لَهـا غَـزْوٌ وغَـزْلٌ مُكَحَّلَـةٌ وَلـي عَيْـنٌ تَبـاكَـتْ
وحـاكَـتْ فـي فَعـائِلِهـا المَـواضـي فيـا لَـكِ مُقْلَـةً غَـزَلَـتْ وحـاكَـتْ

• وقال بُرهان الدِّين القِيراطيّ : [من الخفيف]

شَبَّـهَ السَّيْـفَ والسِّنـانَ بِعَيْنـي مَـن لِقَتْلـي بَيْـنَ الأَنـامِ اسْتَحَـلاّ
فـأَبـىٰ السَّيْـفُ والسِّنـانُ وقـالا حَـدُّنـا دُونَ ذاكَ ، حـاشَـا وكَـلاّ

• وله أَيضاً : [من الخفيف]

بِـأَبـي أَهْيَـفُ المعـاطِـفِ لَـدْنٌ حَسَـدَ الأَسْمَـرُ المُثَقَّـفُ قَـدَّهْ
ذو جُفـونٍ مُـذْ رُمْـتُ مِنْهـا كَـلامـاً كَلَّمَتْنـي سُيُـوفُهُـنَّ بِحِـدَّهْ

• وقال بدرُ الدِّينِ بن حَبيب : [من الكامل]

---

(١) ديوانه (١٩٥) (ضمن مجلة المورد العراقية مج٩ ع١) والمحب والمحبوب (١/ ١٠٠) .
والأول والرابع في زهر الآداب (٦٥١) لأحمد بن المعذل .

(٢) في أ : قواتل لاقباح . . . × . وفي ط : فواتك . . . . × .

عَيْناهُ قَدْ شَهِدَتْ بِأَنِّي مُخْطِئٌ ... وَأَتَتْ بِخَطِّ عِذارِهِ تَذْكارا
يا حاكِمَ الحُبِّ اتَّئِدْ في قِتْلَتي ... فالخَطُّ زُورٌ والشُّهودُ سُكارىٰ

● وقال جلالُ الدِّين ابن خطيب داريّا : [من الكامل]

شَهِدَتْ جُفُونُ مُعَذِّبي بِمَلالَةٍ ... مِنِّي وأَنَّ وِدادَهُ تَكْليفُ
لَكِنَّني لم أَنْأَ عَنْهُ لأَنَّهُ ... خَبَرٌ رَواهُ الجَفْنُ وَهْوَ ضَعيفُ

● وقال الشَّيخ عزُّ الدِّين المَوْصِليّ : [من المنسرح]

يا مُقْلَةَ الحُبِّ مَهْلا ... فَقَدْ أَخَذْتِ بِثارِكْ
وَأَنْتِ يا وَجْنَتَيْهِ ... لا تَحْرِقيني بِنارِكْ

● وقال ابنُ الصّائغ : [من الوافر]

لِسَلْمىٰ مِن لَواحِظِها سِهامٌ ... لَها في القَلْبِ فَتْكٌ أَيُّ فَتْكِ
إذا رامَتْ تَشُكُّ بِهِ فُؤاداً ... يموتُ المُسْتَهامُ بِغَيْرِ شَكِّ

● وقال الصَّلاح الصَّفدي : [من البسيط]

يا عاذلي في الهَوىٰ عَيْنَيْ مُحَجَّبَةٍ ... خَفْ سِحْرَ ناظِرِها فالسِّحْرُ فيه خَفي[1]
وَخُذْ فُؤادي وَدَعْهُ نُصْبَ مُقْلَتِها ... لا تَرْمِ نَفْسَكَ بَيْنَ السَّهْمِ والهَدَفِ[2]

● وقال آخر : [من مخلّع البسيط]

بِسَهْمِ أَجْفانِهِ رَماني ... فَذُبْتُ مِن هَجْرِهِ وَبَيْنِهْ
إِنْ مِتُّ ما لي سِواهُ خَصْمٌ ... لأَنَّهُ قاتِلي بِعَيْنِهْ

● وقال آخر : [من الوافر]

بِأَسْهامِ الجُفُونِ قَتَلْتَ نَفْساً ... مُبَرَّأَةً مِن السَّلْوىٰ زَكِيَّهْ[3]

---

(١) روايته في أ : × . . . . فالشَّرُّ فيه خفي .
(٢) روايته في أ ، ب : وَدِّع فؤادي . . . . × .
(٣) روايته في ط : سهام الجفن كم قتلت لنفس × .

فَما أَقْوىٰ جُفُونَكَ وَهي مَرْضىٰ ... وَأَقْدَرَها علىٰ قَتْلِ البَرِيَّهْ

وممّا قيل في الخال :

• للصَّلاح الصَّفدي : [من الوافر]

بِرُوحي خَدُّهُ المُحْمَرُّ أَضْحىٰ ... عليهِ شامَةٌ شَرْطَ المَحَبَّهْ
كأَنَّ الحُسْنَ يَعْشَقُهُ قديماً ... فَنَقَّطَهُ بِدينارٍ وَحَبَّهْ

• ولابن الصّائغ : [من الطويل]

بِروحيَ أَفْدي خالَهُ فوقَ خَدِّهِ ... وَمَن أنا في الدُّنيا فأَفْديهِ بالمالِ
تَبارَكَ مَن أَخْلىٰ مِن الشَّعْرِ خَدَّهُ ... وأَسْكَنَ كُلَّ الحُسْنِ في ذلكَ الخالِ

• للشَّيخ جمال الدِّين ابن نُباتة[1] : [من البسيط]

للهِ خالٌ علىٰ خَدِّ الحبيبِ لَهُ ... في العاشِقين كما شاءَ الهوىٰ عَبَثُ
أَوْرَثْتُهُ حَبَّةَ القَلْبِ القَتيلِ بِهِ ... وكانَ عَهدي بأَنَّ الخالَ لا يَرِثُ

• وقال آخر : [من الكامل]

يا سالِباً قَمَرَ السَّماء جَمالَهُ ... أَلْبَسْتَني في الحُبِّ ثَوْبَ سَمائِهِ
أَحْرَقْتَ قَلْبي فارْتَمىٰ بِشَرارَةٍ ... عَلِقَتْ بِخَدِّكَ فانْطَفَتْ في مائِهِ

• للشَّيخ تقيّ الدّين ابن حِجَّة : [من مجزوء الخفيف]

قلتُ لِلخالِ إِذْ بَدا ... في نَقا جِيْدِهِ السَّعيدِ
فُزْتَ يا عَبْدُ ؛ قال لي : ... أَنا عَبْدٌ لِكُلِّ جِيْدِ

• وقال ابن أَيْبَك : [من السريع]

في الجانبِ الأَيْمَنِ مِن خَدِّها ... نُقْطَةُ مِسْكٍ أَشْتَهي شَمَّها

---

(١) ديوانه (٨٥) .

حَسِبْتُــهُ لمّــا بَــدا خــالَهــا وَجَــدْتُــهُ مِــن حُسْنِهــا عَمَّهــا

- وقال آخر : [من المجتث]

يــا صــائِــدَ الطَّيْــرِ كَــمْ ذا بــاللَّحْــظِ تُضْنــي وَتَسْبــي
نَصَبْــــتَ نُقْطَـــةَ خــالٍ فَصِــدْتَ طــائِــرَ قَلْبــي

وممّا قيل في الخُدود :

- قال الحُسين بن الضَّحّاك[1] : [من الخفيف]

صِلْ بِخَدِّي خَدَّيْكَ تَلْقَ عَجيباً مِــن مَعــانٍ يَحــارُ فيهــا الضَّميــرُ
فَبِخَــدَّيْــكَ لِلــرَّبيــعِ رِيــاضٌ وَبِخَــدَّيَّ لِلــدُّمــوعِ غَــديــرُ

- وقال ابنُ المعتزّ[2] : [من الكامل]

وَرْدُ الخُـدودِ وَنَـرْجِسُ اللَّحَظـاتِ وتَصـافُـحِ الشَّفَتَيْـنِ فـي الخَلَـواتِ
شَــيْءٌ أُسَــرُّ بِــهِ وأَعْلَــمُ أَنَّــهُ وَحَيــاةِ مَــن أَهــوىٰ مِــنَ اللَّــذّاتِ

- (وقال آخر[3] : [من البسيط]

لا مَسَّ جِسْمَكَ بل وقِّيتَ بي أَبدا ما مَسَّ جِسْمِيَ مِن تَفْتيير عَيْنَيْكا
قلبي وصُدْغَيْكَ لم يَحْرِقُهما لَهَبٌ كِلاهُما احْتَرَقا من نارِ خَدَّيكا)[4]

وممّا قيل في الثُّغور :

- قال شمسُ الدِّين ابن الصّائغ : [من الطويل]

---

(١) ديوانه (٥٨) نديم الخلفاء (١١٦) ووفيات الأعيان (٢/ ١٦٤) . ونُسبا في ط إلىٰ ابن المعتز كما نُسب ما قبلهما إلىٰ الخليع !! وهما في ديوانه (٢٨) !! .
(٢) ديوانه (١/ ٣٢٦) والمحب والمحبوب (١/ ٧٣) .
(٣) بلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ٣٣) .
(٤) من أ .

بِـرُوحـي مَـن وُلِّـي فَـوَلَّـىٰ بِمُهْجَتي وَوَلَّىٰ مَنامي وَهْوَ كالوَصْلِ شارِدُ
حَمـىٰ ثَغْـرَهُ مِنِّي بِسَيْـفِ لِحـاظِـهِ وَحَتّـامَ يَحْمـي ثَغْـرَهُ وَهْـوَ بـارِدُ

● وقال آخر : [من الكامل]

أَنْفَقْـتُ كَنْـزَ مَـدامِعـي فـي ثَغْـرِهِ وَجَمَعْـتُ فيـهِ كُـلَّ مَعْنـىً شـارِدِ
وَطَلَبْـتُ مِنْـهُ جَـزاءَ ذَلـك قُبْلَـةً فـأَبـىٰ وراحَ تَغَـزُّلـي فـي البـارِدِ

● وقال يوسف بن مسعود الصَّوّاف : [من الطويل]

رَأَىٰ ثَغْرَ مَنْ أَهْوىٰ عَذُولي فَقال لي وَلم يَدْرِ أَنَّ اللَّوْمَ في حُبِّهِ يُغْري :
شُغِلْـتَ بِهـذا وارْتَبَطْـتَ بِحُسْنِـهِ ؟ وأَحْسَنُ ما كانَ الرِّباطُ على ثَغْرِ

● وقال ابن زيان[1] : [من السريع]

لاحَـتْ علـىٰ مَبْسَمِـهِ المُشْتَهَـىٰ ثَـلاثُ شـامـاتٍ غَـدَتْ فـي الْتِئـامْ
لا تَعْجَبـوا إِن كَثُـرَتْ حَـوْلَـهُ فـالمَنْهَـلُ العَـذْبُ كَثِيْـرُ الـزِّحـامْ

وممّا قيل في طِيب الرِّيق والنَّكهة :

● قال ذو الرُّمَّة[2] : [من الطويل]

أَسِيْلَـةُ مَجْـرىٰ الـدَّمْـعِ هَيْفـاءُ طَفْلَـةٌ عَروبٌ كإيماضِ الغَمامِ ابْتِسامُها
كـأَنَّ علـىٰ فيهـا ومـا ذُقْـتُ طَعْمَـهُ مُجاجَةُ خَمْرٍ طابَ فيها مُدامُها[3]

● وقال شِهابُ الدِّين الكُردي : [من المجتث]

ذَكَـــرْتُ رِيْـــقَ حَبيبـــي بِشُـــرْبِ راحٍ مُعَطَّـــرْ
وَلَيْـــسَ ذا بِعَجيـــبٍ فـالشَّـيْءُ بـالشَّـيْءِ يُـذْكَـرُ

---

(١) في ب : وقال آخر .
(٢) ديوانه (٢/ ١٣٢٩) والمحب والمحبوب (١/ ١٤٦) .
(٣) في ط والديوان : × زجاجة خمر . . . .

• وقال غيره : [من المجتث]

رَشَفْتُ رِيْقَكَ حُلْواً   وَلَمْ يَكُنْ لِيَ صَبْرُ
وَسَوْفَ أَحْظى بِوَصْلٍ   فَأَوَّلُ الغَيْثِ قَطْرُ

• وقال الصَّلاح الصَّفدي[1] : [من الكامل]

نَقَلَ الأَراكُ بِأَنَّ رِيْقَةَ ثَغْرِهِ   مِن قَهْوَةٍ مُزِجَتْ بِماءِ الكَوْثَرِ
قَدْ صَحَّ ما نَقَلَ الأَراكُ لأَنَّهُ   يَرْويهِ نَصّاً عن « صِحاحِ الجَوْهري »

• وقال آخر : [من المتقارب]

ثَلاثٌ تَجَمَّعْنَ في ثَغْرِها   مِلاحٌ أَدِلَّتُها واضِحَهْ
فإِنْ قيلَ : ما هِيَ قُلْ لي أَقُلْ   هِيَ الطَّعْمُ واللَّوْنُ والرّائِحَهْ[2]

• وقال آخر : [من الكامل]

يا رُبَّ مُمْتَنِعِ الوِصالِ مُحَجَّبٍ   بِسُتُورِهِ كالبَدْرِ بَيْنَ غُيومِهِ
دارَتْ مَراشِفُهُ عَلَيَّ وَكَأْسُهُ   فَسَكِرْتُ في الحالَيْنِ مِن خُرْطومِهِ

• وقال آخر : [من الوافر]

أَريقاً مِن رُضابِكَ أَم رَحيقا   رَشَفْتُ فَلَسْتُ مِن سُكري أَفيقا[3]
وَلِلصَّهْباءِ أَسْماءٌ وَلكِنْ   جَهِلْتُ بِأَنَّ في الأَسْماءِ رِيْقا

ومّما قيل في حُسن الحديث :

• قال البُحتري[4] : [من الطويل]

---

(١) هذه النسبة في ط فقط . وفي أ ، ب : وقال آخر .
(٢) روايته في أ ، ب : فإن قيل ما هي هذي الثلاث × قل الطعم واللون والرائحهْ .
(٣) روايته في ط : × رشفت فكدت منه لن أفيقا .
(٤) ديوانه (٢/ ١٢٣٠) والمحب والمحبوب (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥) .

وَلَمّــا الْتَقَيْنــا والنَّقــا مَــوْعِــدٌ لَنــا   تَعَجَّــبَ رائـي الـدُّرِّ حُسْنــاً وَلاقِطُـهْ
فَمِـنْ لُـؤْلُـؤٍ تَجْلُـوهُ عِنْـدَ ابْتِسـامِهـا   ومِن لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الحَديثِ تُساقِطُهْ

• وقال آخر[1] : [من الطويل]

ظَلِلْنــا نَشــاوىٰ عِنْــدَ أُمِّ مُحَمَّــدٍ   بِيَوْمٍ وَلَمْ نَشْرَبْ شَراباً ولا خَمْرا
إذا صَمَتَـتْ عَنّـا ضَجِـرْنـا لِصَمْتِهـا   وإِنْ نَطَقَتْ هاجَتْ لأَلْبابِنا سُكْرا

• وقال سَلْم الخاسر[2] : [من الكامل]

يُمْســي وَيُصْبِــحُ مُعْــرِضــاً فَكَــأَنَّــهُ   مَلِــكٌ عَــزيــزٌ قــاهِــرٌ سُلْطــانُــهُ
لَيْسَــتْ إِســاءَتُــهُ بِنــاقِصَــةٍ لَــهُ   عِنْـدي وَلَيْـسَ يَـزينُـهُ إِحْســانُــهُ
رَخْـصُ البَنـانِ كَـأَنَّ رَجْـعَ حَـديثِـهِ   دُرٌّ يُســاقِطُــهُ إِلَــيَّ لِســانُــهُ

• [وقالَ ابنُ الرُّومي[3] :] [من الكامل]

وَحـديثُهـا السِّحْـرُ الحَـلالُ لَـوَانَّـهُ   لَـمْ يَجْـنِ قَتْـلَ العـاشِـقِ المُتَحَـرِّزِ
إِن طالَ لم يُمْلَلْ ، وإِنْ هي أَوجَزَتْ   وَدَّ المُحَـدَّثُ أَنَّهـا لـم تُـوجِـزِ)[4]
[شَـرَكُ العُقـولِ ونُـزْهَـةٌ مـا مِثْلُهـا   لِلْمُطْمَئِـنِّ وعُقْلَـةُ المُسْتَـوْفِـزِ]

• وَما أَحسنَ هذهِ الأَبيات ؛ وهي من صادقِ الشِّعر ، وفاخِرِ النَّظْمِ ، وجَزْلِ الكلامِ ، وبارعِ الوَصْفِ[5] : [من الطويل]

---

(١) هما بلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ١٥٥) والبصائر والذخائر (٢/ ٧٨) . ونسبا في أ ، ط إلىٰ سلم الخاسر خطأً وليسا في ديوانه .
(٢) ليست في ديوانه . وهي له في المحب والمحبوب (١/ ١٥٥ ـ ١٥٦) . ونسبت في أ ، ط إلىٰ ابن الرومي خطأً وليست في ديوانه . وجرىٰ تصحيح نسبة الأبيات من كتاب المحب والمحبوب للسري الرّفّاء حيث ينقل المؤلف عنه مباشرة .
(٣) ديوانه (٣/ ١١٦٤) .
(٤) من أ .
(٥) الأبيات لهدبة بن الخشرم العذري في المحب والمحبوب (١/ ١٦٣) وديوانه (١١٦ ـ ١١٨) .

وَكُلُّ حَديثِ النّاسِ إلاّ حَديثَها ... رَجيعٌ ، وَفيما حَدَّثَتْكَ الطَّرائِفُ
خَرَجْنَ بِأَعناقِ الظِّباءِ وأَعْيُنِ الـ ... ـجَآذِرِ وارْتَجَّتْ بِهِنَّ الرَّوادِفُ
رَجَحْنَ بِأَرْدافٍ ثِقالٍ وَأَسْوُقٍ ... خِذالٍ وأَعْضادٍ عَليها المَطارِفُ
(كَشَفْنَ شُفُوفاً عن شُنُوفٍ وأَعْرَضَتْ ... خُدودٌ ، ومالَتْ بالفُروعِ السَّوالفُ)[1]

وممّا في رِقَّة البَشَرة :

● قال ابن المعتزّ[2] : [من الوافر]

نَضَتْ عنْها القَميصَ لِصَبِّ ماءٍ ... فَوَرَّدَ خَدَّها فَرْطُ الحَياءِ
وقابَلَتِ الهواءَ وَقد تَعَرَّتْ ... بِمُعْتَدِلٍ أَرَقَّ مِنَ الهَواءِ
وَمَدَّت راحةً كالماءِ مِنْها ... إلىٰ ماءٍ عَتيدٍ في إِناءِ
فَلَمّا أَن قَضَتْ وَطَراً وَهَمَّتْ ... علىٰ عَجَلٍ إلىٰ أَخْذِ الرِّداءِ
رَأَتْ شَخْصَ الرَّقيبِ علىٰ تَدانٍ ... فأَسْبَلَتِ الظَّلامَ علىٰ الضِّياءِ
فَغابَ الصُّبْحُ مِنْها تَحْتَ لَيْلٍ ... وَظَلَّ الماءُ يَقْطُرُ فَوْقَ ماءِ

● وقال آخر[3] : [من الوافر]

تَغَيَّرَ عَن مَوَدَّتِهِ وَحالا ... وَكانَ مُواصِلاً فَطَوىٰ الوِصالا
وَعَلَّمَهُ التَّدَلُّلُ كَيْفَ هَجْري ... فَلَيْتَ الوَصْلَ كانَ لَهُ دَلالا
تَرىٰ مِن فَوْقِ حِقْوَيْهِ قَضيباً ... إذا ما حَرَّكَتْهُ خُطاهُ مالا
فَإِن كَلَّمْتَهُ أَثَّرْتَ فيهِ ... وإِنْ حَرَّكْتَهُ كالخَمْرِ سالا

● وقال بشّار[4] : [من الطويل]

---

(١) من أ .
(٢) ديوانه (١/ ٣١٢) والمحب والمحبوب (١/ ١٧١ و١/ ٢٠) .
(٣) بلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ١٦٩) .
(٤) ديوانه (٤/ ٩٤) والمحب والمحبوب (١/ ١٧٤) .

وَمـا ظَفِـرَتْ عَيْنـي غَـداةَ لَقِيْتُهـا بِشَـيْءٍ سِـوىٰ أَطْـرافِهـا والمَحـاجِـرِ
كَحَـوْراءَ مِـن حُـورِ الجِنـانِ غَـريـرةٍ يَرىٰ وَجْهَهُ في وَجْهِها كُلُّ ناظِرِ

• ومنهُ أَخَذَ أَبو نُواسٍ قَوْلَه[1] : [من المتقارب]

نَظَـرْتُ إلـىٰ وَجْهِـهِ نَظْـرَةً فَـأَبْصَـرْتُ وَجْهِـيَ فـي وَجْهِـهِ

• وقال آخر[2] : [من الطويل]

تَـوَهَّمَـهُ قَلْبـي فَـأَصْبَـحَ خَـدُّهُ وَفيه مَكـانَ الـوَهْـمِ مِـن نَظَـري أَثْـرُ
وَمَـرَّ بِفِكْـري جِسْمُـهُ فَجَـرَحْتُـهُ وَلَـمْ أَرَ جِسْماً قَطُّ يَجْرَحُـهُ الفِكْـرُ

• وقال آخر : [من الطويل]

سَقَىٰ اللهُ رَوْضاً قَد تَبَدَّىٰ لِناظِري بِـهِ شـادِنٌ كـالغُصْـنِ يَلْهـو وَيَمْـرَحُ
وَقَـدْ نَضَحَـتْ خَـدّاهُ مِـن مـاءِ وَرْدِهِ وَكُـلُّ إنـاءٍ بـالَّـذي فيـهِ يَنْضَـحُ

• وقال آخر : [من الوافر]

وأَهْيَـفَ خَـدُّهُ كُسِـيَ احْمِـراراً وَحـازَ الحُسْـنَ فهـو بـلا شَبيـهِ
فَلَـوْ أَخْجَلْتُـهُ بـالقَـوْلِ جَهْـدي لِحُمْـرَةِ خَـدِّهِ مـا بـانَ فيـهِ

وممّا قيل في التَّقبيل :

• لمظفَّر الأَعمىٰ : [من البسيط]

قَبَّلْتُـهُ فَتَلَظَّـىٰ جَمْـرُ وَجْنَتِـهِ وَفـاحَ مِـن عـارِضَيْـهِ العَنْبَـرُ العَبِـقُ
وجـالَ بَيْنَهُمـا مـاءٌ ، ومِـن عَجَـبٍ لا يَنْطَفـي ذا ، ولا ذا منـهُ يَحْتَـرِقُ

• وقال آخر : [من السريع]

---

(١) ديوانه (٤/ ٣٧٢) (فاغنر) والمحب والمحبوب (١/ ١٧٥) .
(٢) هما لأبي نواس في ديوانه (٧٣٠) (غزالي) والعقد الفريد (٦/ ٢٠٩) ومروج الذهب (٤/ ٣٠٦) والأغاني (٥/ ٢٢٨) .

سَـــأَلْتُـــهُ فـــي ثَغْـــرِهِ قُبْلَـــةً ... فَقـــال : ثَغْـري لـــم يَجُـــزْ لَثْمُـــهُ
فَهـــا كَهـــافـــي الخَـــدِّ واقْنَـــعْ بِهـــا ... مـــا قـــاربَ الشَّـــيْءَ لَـــهُ حُكْمُـــهُ

• وقال صاحبُ حَماة : [من الرجز]

قـــالَ الَّـــذي تَيَّمَنـــي : ... قُـــولُـــوا لِمَـــنْ خَبَّلْتُـــهُ
يَـــرومُ مِنِّـــي قُبْلَـــةً ... لَـــو مـــاتَ مـــا قَبَّلْتُـــهُ

• وللشَّيخ عزِّ الدِّين المَوْصِلي : [من السريع]

كـــالـــزَّرَدِ المَنْظُـــوم أَصْـــداغُـــهُ ... وَخَـــدُّهُ كـــالـــوَرْدِ لمّـــا وَرَدْ
بـــالغْـــتُ فـــي اللَّثْـــمِ وَقَبَّلْتُـــهُ ... فـــي الخَـــدِّ تَقْبيـــلاً يَفُـــكُ الـــزَّرَدْ

• وقال آخر[1] : [من المتقارب]

رَأَيْـــتُ الهِـــلالَ علـــىٰ وَجْهِـــهِ ... فَلَـــمْ أَدْرِ أَيّهمـــا أَنْـــوَرُ
سِـــوىٰ أَنَّ ذاك بَعيـــدُ المـــزار ... وهـــذا قَـــريـــبٌ لِمَـــنْ يَنْظُـــرُ
وذاك يَغيـــبُ وذا حـــاضِـــرٌ ... ومـــا مَـــنْ يَغيـــبُ كَمَـــنْ يَحْضُـــرُ
وَنَفْـــعُ الهِـــلالِ قَليـــلٌ لَنـــا ... ونَفْـــعُ الحبيـــبِ لَنـــا أَكْثَـــرُ

• وقال ابنُ صابر : [من الكامل]

قَبَّلْـــتُ وَجْنَتَـــهُ فَـــأَلْفَـــتَ جِيْـــدَهُ ... خَجَـــلاً ومـــاسَ بِعِطْفِـــهِ المَيّـــاسِ
فـــانْهَـــلَّ مِـــن خَـــدَّيْـــهِ فَـــوْقَ عِـــذارِهِ ... عَـــرَقٌ يُحـــاكـــي الطَّـــلَّ فَـــوْقَ الآسِ
فَكَـــأَنَّنـــي اسْتَقْطَـــرْتُ وَرْدَ خُـــدودِهِ ... بِتَصـــاعُـــدِ الـــزَّفَـــراتِ مِـــن أَنفـــاسـي

• وقال آخر : [من المجتث]

قَبَّلْـــتُ رِجْـــلَ حَبيبـــي ... فـــازْوَرَّ واحْمَـــرَّ خَـــدّا
وَقـــالَ : تَلْثِـــمُ رِجلـــي ... لَقَـــدْ تَنَـــازَلْـــتَ جِـــدّا

---

(١) الأبيات لعلي بن الجهم في ديوانه (١٣٩) . وبلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ١٩٧) .

فقُلْـــتُ : مــا جِئْــتُ بِــدْعــاً ولا تَعَـــدَّيْـــتُ حَـــدّا
رِجْـــلٌ سَعَـــتْ بِـــكَ نَحْـــوي حُقُـــوقُهـــا لا تُـــؤَدَّىٰ

وممّا قيل في الوجه الحَسَن :

● قال أَعرابيّ[(١)] : [من البسيط]

إنْسِيَّـةٌ فـي مِثـالِ الجِـنِّ تَحْسَبُهـا شَمْسـاً بَـدَتْ بَيْـنَ تَشْـريـقٍ وَتَغْييـمِ
شَقَّتْ لها الشَّمْسُ ثَوْباً مِن مَحاسِنِها فـالـوَجْـهُ لِلشَّمْـسِ والعَيْنـانِ لِلـرِّيْـمِ

● وقال عبدُ الله بن أَبي الشِّيص[(٢)] : [من المجتث]

تَعْتَـــلُّ مِـــن غَيْـــرِ عِلَّـــهْ بِـــالحُسْـــنِ أَضْحَـــتْ مُـــدِلَّـــه[(٣)]
كَـــأَنَّهـــا حِيْـــنَ تَبْـــدو شَمْـــسٌ عَلَيْهـــا مظَلَّـــهْ
وإِنْ أَضَـــاءَتْ بِلَيْـــلٍ تَفُـــوقُ نُـــورَ الأَهِلَّـــهْ

● وقال آخر[(٤)] : [من السّريع]

أُقْسِـــمُ بِـــاللهِ وآيـــاتِـــهِ مـــا نَظَـــرَتْ عَيْنـــي إِلـــىٰ مِثْلِـــهِ
ولا بَـــدا لـــي وَجْهُـــهُ طـــالعـــاً إِلّا ســـأَلْـــتُ اللهَ مِـــن فَضْ ـــلِـــهِ

● وقال آخر[(٥)] : [من الطويل]

أَنيـري مَكـانَ البَـدْرِ إِنْ أَفَـلَ البَـدْرُ وَقُومي مَقامَ الشَّمْسِ إِنْ أُخِّرَ الفَجْرُ[(٦)]

---

(١) نسبا في ط إلىٰ ابن نباتة خطأ ، وليسا في ديوانه . وهما للباهلي في المحب والمحبوب (١/ ٢١٧) .
(٢) له في المحب والمحبوب (١/ ١٨٠) .
(٣) روايته في ط : تصدُّ . . . × بالعزِّ . . . .
(٤) بلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ١٧٩) .
(٥) نسبا في المحب والمحبوب (١/ ١٨٣) إلىٰ ابن كيغلغ . وهما للمجنون في ديوانه (١٢٨) مطلع قصيدة طويلة . ونسبا في الإمتاع والمؤانسة (٢/ ١٧٢) إلىٰ عمر بن أبي ربيعة وليسا في ديوانه .
(٦) روايته في ط : أقيمي . . . × . . . قدّامها الفجر .

فَفيكِ مِنَ الشَّمْسِ المُنيرةِ نُورُها ... وَليسَ لها مِنْكِ التَّبَسُّمُ والثَّغْرُ

● وقال عُمر بن أَبي ربيعة[1] : [من الرمل]

ذاتُ حُسْنٍ إن تَغِبْ شَمْسُ الضُّحىٰ ... فَلَنا مِن وَجْهِها عَنْها خَلَفْ[2]

أَجْمَعَ النّاسُ علىٰ تَفْضيلها ... وَهَواهُمْ في سِوىٰ هذا اخْتَلَفْ

● أَخَذَ أَبو تَمّام هذا المعنىٰ فَرَدَّهُ إِلىٰ المَدْحِ ، فقال[3] : [من البسيط]

لَو أَنَّ إِجْماعَنا في فَضْلِ سُؤْدُدِهِ ... في الدِّيْنِ لم يَخْتَلِفْ في الأُمَّةِ اثْنانِ

● وقال آخر[4] : [من السريع]

يا مُفْرَداً في الحُسْنِ والشَّكْلِ ... مَن دَلَّ عَيْنَيْكَ علىٰ قَتْلي

البَدْرُ مِن شَمْسِ الضُّحىٰ نُورُهُ ... والشَّمْسُ مِن نُورِكَ تَسْتَمْلي

● وقال آخر[5] : [من الطويل]

فَفي أَرْبَعٍ مِنّي حَلَتْ مِنْكَ أَرْبَعٌ ... فَما أَنا أَدْري أَيُّها هاجَ لي كَرْبي

أَوَجْهُكَ في عَيْني أَم الرِّيقُ في فَمي ... أَم النُّطْقُ في سَمْعي أَم الحُبُّ في قَلْبي

فلمّا سَمِعَهُ يعقوب بن إِسحاق الكِنْديّ ، قال : هذا تَقسيمٌ فَلْسَفيٌّ .

● وجَعله العَلَويُّ خمسةً فقال[6] : [من الطويل]

---

(١) ديوانه (٤٩٦) والمحب والمحبوب (١/ ١٨٣) .

(٢) في أ : وفتاةٍ إن تغب . . . × .

(٣) ديوانه (٣/ ٣١١) والمحب والمحبوب (١/ ١٨٤) .

(٤) بلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ١٨٤) . وهما لابن المعتز في ديوانه (١/ ٤١١) .

(٥) نسبا إلىٰ البحتري في ديوانه (٤/ ٢٥٢٥) . وبلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ١٨٧) ومعاهد التنصيص (٢/ ٣١٢) وثمرات الأوراق (١١٧) وسرح العيون (٢٣٢) والبديع في نقد الشعر (١١٤) .

(٦) هو ابن طباطبا ، والبيتان في ديوانه (٧٦) والمحب والمحبوب (١/ ١٨٨) والتوفيق للتلفيق (٨٤) .

وفي خَمْسَةٍ مِنّي حَلَتْ مِنْكَ خَمْسَةٌ فَريقُكَ مِنْها في فَمي طَيِّبُ الرَّشْفِ
وَوَجْهُكَ في عَيْني وَلَمْسُكَ في يَدي وَنُطْقُكَ في سَمْعي وَعَرْفُكَ في أَنْفي

- وقال ابن نُباتة[1] : [من الخفيف]

أَيُّها العاذِلُ الغَبِيُّ تَأَمَّلْ مَن غدا في صِفاتِهِ القَلْبُ ذائِبْ
وَتَعَجَّبْ لِطُرَّةٍ وَجَبينٍ إِنَّ في اللَّيْلِ والنَّهارِ عَجائِبْ[2]

- وقال المخزوميُّ[3] : [من الطويل]

رَأَيْتُكِ في الشَّمْسِ المُنيرَةِ غُدْوَةً فَكُنْتِ على عَيْنَيَّ أَبْهى من الشَّمْسِ
لأَنَّكِ تَزْدادينَ باللَّيلِ بَهْجَةً وشَمْسُ الضُّحى لَيْسَتْ تُضِيءُ إذا تُمْسي[4]

- وقال آخر[5] : [من الطويل]

إذا احْتَجَبَتْ لَمْ يَكْفِكَ البَدْرُ وَجْهَها وَتكفيكَ فَقْدَ البَدْرِ إِنْ غَرُبَ البَدْرُ[6]
وَحَسْبُكَ من خَمْرٍ مَذاقَةُ رِيقِها وَوَاللهِ ما مِنْ رِيْقَها حَسْبُكَ الخَمْرُ

وممّا قيل في البَنان المُخَضَّب :

- قال ابنُ الرُّومي[7] : [من الخفيف]

وَقَفَتْ وَقْفَةً بِبابِ الطّاقِ ظَبْيَةٌ مِن مُخَدَّراتِ العِراقِ
بِنْتُ سَبْعٍ وأَرْبَعٍ وثَلاثٍ هي حَتْفُ المُتَيَّمِ المُشْتاقِ[8]

---

(١) ديوانه (٥٨) .
(٢) في أ : . . . لطرّةٍ في جبين × .
(٣) في ط : وقال محمود المخزومي . والبيتان للمخزومي في المحب والمحبوب (١/ ١٩٤) .
(٤) في ط : لأنك تزهو إن بدا الليل بهجة × . والمثبت من أ .
(٥) هما لأعرابي في المحب والمحبوب (١/ ٢١٩) وأمالي القالي (١/ ٢١٦) وسمط اللآلي (١/ ٤٦٩) .
(٦) في أ : × . . . إن غيّب البدر .
(٧) ديوانه (٤/ ١٧١٦) والمحب والمحبوب (١/ ٢٣٢) .
(٨) في ط : × أسرت قلب صبّها المشتاق .

قلتُ : مَنْ أَنْتِ يا غزالُ ؟ فقالَت : أَنـا مِـن لُطْـفِ صَنْعَـةِ الخَـلّاقِ
لا تَـرُمْ وَصْلَنـا فهـذا بَنـانٌ قَـد صَبَغْنـاهُ مِـن دَمِ العُشّـاقِ

• وقال الرّاضي بالله[1] : [من الكامل]

قالوا : الرَّحِيلَ ؛ فأَنْشَبَتْ أَظْفارَها في خَدِّها وَقَد اعْتَلَقْنَ خِضابا
فظَنَنْتُ أَنَّ بَنانَها مِن فِضَّةٍ قَطَفَتْ بِنَوْرِ بَنَفْسَجٍ عُنّابا

• وقال آخر[2] : [من الكامل]

لمّا اعْتَنَقْنا لِلْوَداعِ وَأَعْرَبَتْ عَبَراتُنا عَنّا بِدَمْعٍ ناطِقِ
فَرَّقْنَ بَيْنَ مَحاجِرٍ وَمعاجِرٍ وَجَمَعْنَ بَيْنَ بَنَفْسَجٍ وشَقائِقِ

• وقال آخر : [من الطويل]

وَلَمّا تَلاقَيْنا رَأَيْتُ بَنانَها مُخَضَّبَةً تَحْكي عُصارَةَ عَنْدَمِ
فَقُلْتُ : خَضَبْتِ الكَفَّ بَعْدي أَهَكذا يَكُونُ جَزاءُ المُسْتَهامِ المُتَيَّمِ
فقالَت وَأَذْكَتْ في الحَشا لاعِجَ الجَوىٰ مَقالَةَ مَن بالوُدِّ لَمْ يَتَبَرَّمِ :
(وحَقِّكَ ما هذا خِضابٌ خَضَبْتُهُ فلا تَكُ بالبُهْتانِ والزُّورِ مُتْهِمي
ولكِنَّني لمّا رأَيْتُكَ راحلاً وقد كنتَ لي زِنْدي وكفِّي ومعصَمي)[3]
بَكَيْتُ دَماً يَوْمَ النَّوىٰ فَمَسَحْتُهُ بكَفَّيَّ فاحْمَرَّتْ بَنانيَ مِن دَمي

• وقال آخر : [من الوافر]

دَنَوْنَ عَشِيَّةَ التَّوْديعِ مِنِّي وَلي عَيْنانِ بالدَّمِ تَجْرِيانِ
فَلَمْ يَمْسَحْنَ إِكْراماً جُفُوني وَلَكِن رُمْنَ تَخْضيبَ البَنانِ

---

(١) له في المحب والمحبوب (١/ ٢٣٤) . وبلا نسبة في ديوان المعاني (١/ ٢٥٤) .
(٢) هما لابن كيغلغ في المحب والمحبوب (١/ ٢٣٤) . وهما في معجم الشعراء (٤١٤) لمحمد بن سعيد العامري الدمشقي .
(٣) من أ .

وممّا قيل في النُّحور :

• قال دعبل[1] : [من الوافر]

أَتـاحَ لـكَ الهـوىٰ بِيْـضٌ حِسـانٌ ... سَلَبْنَـكَ بـالعُيـونِ وبـالنُّحـورِ[2]
نَظَـرْتَ إِلىٰ النُّحـورِ فَكِـدْتَ تَقْضـي ... فَـأَولـىٰ لـو نَظَـرْتَ إِلـىٰ الخُصـورِ

وممّا قيل في نَعت النُّهود :

• قال العبّاس بن الأَحنف[3] : [من الكامل]

والله لَـوْ أَنَّ القُلـوبَ كَقَلْبِهـا ... مـا رَقَّ لِلـوَلَـدِ الضَّعيـفِ الـوالِـدُ
جـالَ الـوِشـاحُ علـىٰ قَضيـبٍ زانَـهُ ... تُفّـاحُ صَـدْرٍ ليـسَ يُقْطَـفُ نـاهِـدُ

• وقال آخر[4] : [من الطويل]

وَمَحْجـوبَـةٍ عِنْـدَ الـوَداعِ رَأَيْتُهـا ... تُنَشِّـفُ دَمْعـاً بـالـرِّداءِ المُمَسَّـكِ
وَتَبْكـي حِـذارَ البَيْـنِ مِنْهـا بِـدَمْعَـةٍ ... تَسيلُ علىٰ الخَدَّيْنِ في حُسْنِ مَسْلَكِ
فَتَحْسَبُ مَجْرىٰ الدَّمْعِ مِن وَجَناتِها ... بَقِيَّـةَ طَـلٍّ فَـوْقَ وَرْدٍ مُمَعَّـكِ
وَقَـدْ سَفَـرَتْ عـن غُـرَّةٍ بـابِلِيَّـةٍ ... وصَـدْرٍ بِـهِ نَهْـدٌ كَحُـقٍّ مُفَلَّـكِ

• وقال عَمرو بن كُلثوم[5] : [من الوافر]

تُـريـكَ إِذا دَخَلْـتَ علـىٰ خَـلاءٍ ... وقَـدْ أَمِنَـتْ عُيـونَ الكـاشِحينـا
ثُـدِيّـاً مِثْـلَ حُـقِّ العـاجِ رَخْصـاً ... حَصينـاً مِـن أَكُـفِّ الـلاّمِسينـا

• وقال آخر : [من البسيط]

---

(١) ديوانه (١٥٨) والمحب والمحبوب (١/ ٢٤٤) .
(٢) في ط : . . . بيضاً حساناً × تباهي . . . . والثاني : × فكيف إذا . . . .
(٣) ديوانه (٨١ ـ ٨٢) .
(٤) لعلي بن الصباح في المحب والمحبوب (١/ ٢٥٠) .
(٥) ديوانه (٧٩ ـ ٨٠) والمحب والمحبوب (١/ ٢٥٠) .

بِصَـدْرِهـا كَـوْكَبـا دُرٍّ كَـأَنَّهُمـا رُكْنانِ لَمْ يَدْنَسا مِنْ لَمْسِ مُسْتَلِمِ
صـانَتْهُمـا بِسُتُـورٍ مِـن غَـلائِلِهـا فالنَّاسُ في الحِلِّ والرُّكْنانِ في الحَرَمِ

• وقال آخر[1] : [من الوافر]

صُـدُورٌ فَـوْقَهُـنَّ حِقـاقُ عـاجٍ وَدُرٌّ زانَـهُ حُسْـنُ اتِّسـاقِ
يَقُـولُ النّـاظِـرونَ إِذا رَأَوهُ : أَهـذا الحَلْـيُ مِـن هَـذي الحِقـاقِ
ومـا تِلْـكَ الحِقـاقُ سِـوىٰ ثُـدِيٍّ قُـدِرْنَ مـن الحِقـاقِ علىٰ وِفـاقِ[2]
نَـواهِـدُ لا يُعَـدُّ لَهُـنَّ عَيْـبٌ سِـوىٰ مَنْـعِ المُحِـبِّ مـن العِنـاقِ

• وقال آخر : [من الوافر]

لَقَـدْ فتَكَـتْ عُيُـونُ الغِيْـدِ فِيْنـا بِبِيْـضٍ مُـرْهَفـاتٍ وَهْـيَ سُـودُ
وَتَطْعَنُنـا القُـدودُ إِذا اعْتَنَقْنـا بِسُمْـرٍ مِـن أَسِنَّتِهـا النُّهـودُ

ومِمّا قيل في الأَرداف والخُصور :

• قال ابنُ الرّومي[3] : [من الكامل]

وَسَقَتْـكَ كَـأْسَ مُـدامَـةٍ مِـن كَفِّهـا مَقْـرونَـةً بِمُـدامَـةٍ مِـن ثَغْـرِهـا
وَتَمـايَلَـتْ فَضَحِكْـتُ مِـنْ أَرْدافِهـا عَجَبـاً وَلَكِنِّـي بَكَيـتُ لِخَصْـرِهـا

• أَلْطُنْبُغا الجاوُلي[4] : [من الخفيف]

رِدْفُـهُ زادَ فـي الثَّقـالَـةِ حتّـىٰ أَقْعَـدَ الخَصْـرَ والقَـوامَ السَّـوِيّـا
نَهَـضَ الخَصْـرُ والقَـوامُ وقـامـا وضَعيفـانِ يَغْلِبـانِ قَـوِيّـا

---

(١) الأبيات لابن الرومي في ديوانه (٤/ ١٦٥٢) والمحب والمحبوب (١/ ٢٥٢) .
(٢) في ط : × جُعلن . . . .
(٣) ديوانه (٣/ ١١٥٠) . ورواية الأول في ط : وشربت . . . × .
(٤) له في الوافي بالوفيات (٩/ ٣٦٧) وفوات الوفيات (١/ ٢٠٦) والغيث المسجم (١/ ١٢٣) .

• وقال آخر[1] : [من المجتث]

يـــا خَصْـــرَهُ كَـــمْ جفـــاءً ... تُبْـــدِي وَأَنْـــتَ بَخيـــلُ

يـــا رِدْفَـــهُ مِلْـــتَ عَنِّـــي ... مـــا أَنْـــتَ إِلاَّ ثَقيـــلُ

• القيراطي : [من المجتث]

بَـــدَتْ رَوادِفُ بَـــدْري ... تَحْـــتَ الخُصَيْـــرِ لِعَيْنـــي[2]

فَقُلْـــتُ : يـــا بَـــدْرُ هـــذا ... حقّـــاً جِبـــالُ حُنَيْـــنِ

• وقال آخر : [من الطويل]

أُسائِلُها : أَيْنَ الوِشاحُ ؟ وقَد سَرَتْ ... مُعَطَّلَـةً مِنْـهُ ، مُعَطَّـرَةَ النَّشْـرِ

فَقـالَـت وَأَوْمَـتْ لِلسِّوارِ : نَحَلْتُهُ ... إِلىٰ مِعْصَمي لمّا تَلَقْلَقَ في خَصْري

• وقال آخر : [من الكامل]

بِيْـضٌ وسُمْـرٌ مُقْلَتـاهُ وَقَـدُّهُ ... بَـدْرٌ وَلَيْـلٌ وَجْنَتـاهُ وَشَعْـرُهُ

أَقْسىٰ مِـن الحَجَـرِ الأَصَـمِّ فُـؤادُهُ ... وأَرَقُّ مِـن شَكْـوىٰ المُتَيَّـمِ خَصْـرُهُ

• وقال آخر[3] : [من الوافر]

رَخيمـــاتُ المَقـــالِ مُبَطَّنـــاتٌ ... جَواعِلُ في البُرىٰ قَصَباً خِدالا[4]

جَمَعْـنَ فَخـامَـةً وخُلـوصَ عِتْـقٍ ... وقَـدّاً بَعْـدَ ذلِـكَ واعْتِـدالا

• وليسَ[5] لأَحدٍ من شُعراءِ العربِ ، في نَعْتِ محَاسنِ النِّساءِ ، ما لِذي الرُّمَّةِ من الأَوصاف البارعَة ، بجودةِ سَبْكٍ ورقَّةِ لَفْظٍ ، حتّىٰ كأنَّه حَضَريٌّ من نازِلةِ

---

(١) هما بلا نسبة في الغيث المسجم (١/ ٢٨٨) .

(٢) في الأصول : × تحت الحنين لعيني . فأصلحته اجتهاداً .

(٣) هما لذي الرمّة في ديوانه (٣/ ١٥١٥) والمحب والمحبوب (١/ ٢٦٤) .

(٤) الأول في أ : رخيمات الدلال . . × . وفي ط : رخيمات المقال مدلّلات × .

(٥) عن المحب والمحبوب (١/ ٢٦٤) والزيادة منه .

المَدَرِ لا سُكَّان الوَبَرِ ، [وهو بجَفْوَةِ البَدوِ وعُنجهيَّة الصَّراحة ؛ فهو أَعرابيٌّ مُهاجرٌ ، وَوَحْشِيٌّ حاضرٌ] .

وممّا قيل في المعاصم :

● قال عُمر بن أَبي ربيعة(١) : [من الكامل]

سَتَروا الوُجُوهَ بأَذْرُعٍ وَمَعاصِمِ ... وَرَنَوا بِنُجْلٍ لِلقُلوبِ كَوالِمِ
حَسَرُوا الأَكِمَّةَ عن سَواعِدِ فِضَّةٍ ... فَكَأَنَّما انْتُضِيَتْ مُتُونُ صَوارِمِ

وممّا قيل في اعتدال القَوام :

● قال صلاح الدِّين الصَّفدي : [من الطويل]

تَقولُ له الأَغْصانُ مُذْ هَزَّ عِطْفَهُ : ... أَتَزْعُمُ أَنَّ اللِّينَ عِنْدَكَ ما ثَوى
فَقُمْ نَحْتكِمْ لِلرَّوضِ عِنْدَ نَسيمِهِ ... لِتَقْضي علىٰ مَن مالَ مِنّا إِلىٰ الهوىٰ

● وقال القاضي مَجد الدِّين ابن مَكانس : [من الطويل]

أَقولُ لِحِبِّي : قُمْ وَمِسْ يا مُعَذِّبي ... كَمَيْلَةِ خَوْدٍ غَيَّرَ السُّكْرُ حالَها(٢)
وَلا تَلْهُ عن شَيْءٍ إِذا ما حَكَيْتَها ... فقَام كَغُصْنِ البانِ لِيْناً وما لَها

● وقال آخر : [من مجزوء الكامل]

ومُحَكِّمٍ أَعْطافَهُ ... في قَتْلِ صَبٍّ ما غَوىٰ
فاعْجَبْ لعادِلِ قَدِّهِ ... في النَّفْسِ يَحْكُمُ بالهوَىٰ

● وقال آخر : [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ عنِّي يَميلُ وَلَمْ يَمِلْ ... يَوماً إِليَّ فَصِحْتُ مِن أَلَمِ الجَوىٰ :
لِمَ لا تَميلُ إِليَّ يا غُصْنَ النَّقا ؟ ... فأَجاب : كيفَ ، وأَنتَ من جهَةِ الهوىٰ ؟

---

(١) ليسا في ديوانه . وهما في المحب والمحبوب (١/ ٢٧٠) . والثاني له في ربيع الأبرار (٢/ ٢٧١) .

(٢) في ب : × كَمَيْسَةِ خودٍ نكس السُّكر راسها .
قلت : وعليه فإن قافية البيت الثاني يجب أَن تكون : وماسَها .

• (وقال آخر : [من الطويل]

يَقولون : هَلْ مَنَّ الحبيبُ بِزَوْرَةٍ ... ومَنّاكم المَطْلُوبَ ؟ قُلنا لَهم : مَنّا
فَقالوا لنا : غُوصوا علىٰ قَدِّهِ وَما ... يُحاكي إذا ما اهْتَزَّ ، قلنا لهم : غُصْنا)[1]

ومّما قيل في السّاق :

• قال ذو الرُّمَّة[2] : [من الكامل]

لَمْ أَنْسَهُ إذْ قامَ يَكْشِفُ عامِداً ... عن ساقِهِ كاللُّؤلؤِ البَرَّاقِ
لا تَعْجَبوا إنْ قامَ فيهِ قِيامَتي ... إنَّ القيامَةَ يومَ كَشْفِ السّاقِ

• وقال آخر : [من السريع]

جاءَت بِساقٍ أَبْيَضٍ أَمْلَسٍ ... كَلُؤلؤٍ يَبْدو لِعُشّاقِها
(فافتَتَنَتَ فيه جميعُ الورىٰ ... وقامَت الحربُ علىٰ ساقِها)[3]

• وقال آخر[4] : [من مخلّع البسيط]

بَدْرٌ وَلكنَّهُ قَريبٌ ... ظَبْيٌ وَلكنَّه أَنيسُ
إن لم يَكُنْ قَدُّه قَضيباً ... فَما لأَعْطافِهِ تَميسُ

وممّا قيل في مَشْيِ النِّساء :

• قال ابنُ مقبل[5] : [من البسيط]

---

(١) من ب : ورواية الثاني فيه : فقلنا لهم غوصوا . . . × . فأصلحته كما ترىٰ .
(٢) كذا وردت نسبة البيتين إلىٰ ذي الرُّمَّة في الأصول ، وهو أمر مستبعد . وانظرهما في ديوانه (٣/ ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦) عن المستطرف .
(٣) من أ ، ب .
(٤) نسبا في ط إلىٰ ابن منقذ ، ليسا في ديوانه .
(٥) نسبا في أ إلىٰ ابن منقذ ! وفي ط بلا نسبة ، وسقطا من ب . وانظرهما في ديوان تميم (٣٢٧ ـ ٣٢٨) والمحب والمحبوب (١/ ٢٧٥) والحماسة المغربية (٢/ ١٠٩٨) .

يَهْـزُزْنَ لِلْمَشْـي أَطْـرافـاً مُخَضَّبَـةً   هَـزَّ الشِّمـالِ ضُحـىً عِيـدانَ يَبْـرينـا
أَو كــاهْتــزازِ رُدَيْنِــيٍّ تَــداوَلَــهُ   أَيْـدي التِّجـارِ فَـزادوا مَتْنَـهُ لِينـا

• وقال آخر[1] : [من الكامل]

يَمْشِيـنَ مَشْـيَ قَطـا البِطـاحِ تَـأَوُّداً   قُـبَّ البُطـونِ رَواجِـحَ الأكْفـالِ
فَكَـأَنَّهُـنَّ إذا أَرَدْنَ زِيـارتـي   يَقْلَعْـنَ أَرْجُلَهُـنَّ مِـن أَوْحـالِ

ومّا قيل في العِناق وطِيبه :

• لابن المعتزّ[2] : [من السريع]

مـا أَقْصَـرَ اللَّيْـلَ علـىٰ الـرّاقِـدِ   وأَهْـوَنَ السُّقْـمَ علـىٰ العـائِـدِ
كـأَنَّنـي عـانَقْـتُ رَيْحـانَـةً   تَنَفَّسَـتْ فـي لَيْلِهـا البـارِدِ
فَلَـوْ تَـرانـا فـي قَميـصِ الـدُّجـىٰ   حَسِبْتَنـا فـي جَسَـدٍ واحِـدِ

• وقال آخر[3] : [من الكامل]

وَمُـوَشَّـحٍ نـازَعْـتُ فَضْـلَ وِشـاحِـهِ   وَأَعَـرْتُـهُ مـن سـاعِـدَيَّ وِشـاحـا
بـاتَ الغَيُـورُ يَشُـقُّ جِلْـدَةَ وَجْهِـهِ   وَأَمـالَ أَعْطـافـاً عَلَـيَّ مِـلاحـا

• وقال ابنُ المُعَذَّل[4] : [من المتقارب]

أَقُـولُ وَجُنْـحُ الـدُّجـىٰ مُسْبَـلٌ   ولِلَّيْـلِ فـي كُـلِّ فَـجٍّ يَـدُ

---

(١) البيتان للكميت بن زيد في ديوانه (١/ ٣٦١) من قصيدة . وهما للكميت بن معروف الأَسدي في ديوانه (١٩٧ ـ ١٩٨) (ضمن شعراء مقلون) وبلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ٢٨٨) .

(٢) ديوانه (١/ ٣٤٠) والمحب والمحبوب (١/ ٣٠٧) .

(٣) هما للحسين بن الضَّحّاك في ديوانه (٣٧) والمحب والمحبوب (١/ ٣٠٦) . والأَول ثالث خمسة في ديوان الصنوبري (٤٦٩) .

(٤) ديوانه (٨٢ ـ ٨٣) والمحب والمحبوب (١/ ٣٠٩) .

وَنَحْـنُ ضَجيعـانِ فـي مُجْسَـدٍ فَلِلَّـهِ مـا ضُمِّـنَ المُجْسَـدُ
أَيـا غَـدُ إِنْ كُنْـتَ لـي مُحْسنـاً فَـلا تَـدْنُ مِـن لَيْلَتـي يـا غَـدُ
ويـا لَيْلَـةَ الـوَصْلِ لا تَقْصُـري كمـا لَيْلَـةُ الهَجْـرِ لا تَنْفَـدُ

● وقال آخر[١] : [من الطويل]

وَلَيْـلٍ رَقيـقِ الطُّـرَّتَيْـنِ تَظَلَّمَـتْ كـواكِبُـهُ مِـن بَـدْرِهِ المُتَـأَلِّـقِ
لَهَـوْنـا بِغِـزْلانِ الصَّـريمَـةِ تَحْتَـهُ نُميْتُ الهَوىٰ ما بَيْنَ صَدْرٍ ومِرْفَقِ

● قال ابن المعتزّ[٢] : [من المنسرح]

وَكَـمْ عِنـاقٍ لَنـا وَكَـمْ قُبَـلٍ مُخْتَلَسـاتٍ حِـذارَ مُـرْتَقِـبِ
نَقْـرَ العَصـافيـرِ وَهْـيَ خـائِفَـةٌ مِـن النَّـواطيـرِ يـانِـعَ الـرُّطَـبِ

● وقال ديكُ الجِنّ[٣] : [من الطويل]

وَمَجْـدولَـةٍ أَمّـا مَـلاثُ إِزارِهـا فَـدِعْـصٌ وأَمّـا قَـدُّهـا فَقَضيبُ[٤]
لهـا القَمَـرُ السّـاري شَقيـقٌ وإِنَّهـا لَتَطْلُـعُ أَحيـانـاً لَـهُ فَيَغيـبُ
أَقُـولُ لَهـا واللَّيْـلُ مُـرْخٍ سُـدولَـهُ وَغُصْنُ الهوىٰ غَضُّ الشَّباب رَطيبُ :
لأَنْـتِ المُنـىٰ يـا زَيْـنَ كُـلِّ مَليحةٍ وَأَنْـتِ الهَـوىٰ أُدْعَـىٰ لَـهُ فَـأُجيـبُ

● وقال عليّ بن الجَهْم[٥] : [من الطويل]

---

(١) هما للحسن بن وهب في المحب والمحبوب (١/ ٣١٤) .
(٢) ليسا في ديوانه ، وهما له في أشعار أولاد الخلفاء (١٧٧) والمصون (٥١) وقطب السرور (٥٢٧) .
(٣) ديوانه (٤٩) والمحب والمحبوب (١/ ٣١١) .
(٤) روايته في ط : ومعدولة مهما أمالت إزارها × فغصن . . . . وهي رواية متناقضة لا معنىٰ لها . وسقطت الأبيات من ب كما سقط الأول والثاني من أ . وأثبت رواية المحب والمحبوب .
(٥) ديوانه (٩٥) والمحب والمحبوب (١/ ٣١٦) .

سَقَىٰ اللهُ لَيْلاً ضَمَّنا بَعْدَ فُرْقَةٍ وأَدْنىٰ فُؤاداً مِن فُؤادٍ مُعَذَّبِ
فَبِتْنا جَميعاً لو تُراقُ زُجاجةٌ مِن الخَمْرِ فِيما بَيْنَنا لَمْ تَسَرَّبِ

• وقال آخر[1] : [من البسيط]

يا لَيْلُ دُمْ لي لا أُريدُ بَراحاً حَسْبي بِوَجْهِ مُعانِقي مِصْباحا[2]
حَسْبي بِهِ نُوراً وَحَسْبي رِيقُهُ خَمْراً وَحَسْبي خَدُّه تُفّاحا
حَسْبي بِمَضْحَكِهِ إذا اسْتَضْحَكْتُهُ مُسْتَغْنِياً عن كُلِّ نَجْمٍ لاحا
طَوَّقْتُهُ طَوْقَ العِناقِ بِساعِدٍ وَجَعَلْتُ كَفِّي لِلِّثامِ وِشاحا
هذا هو اليَوْمُ النَّعيمُ فَخَلِّنا مُتَعانِقَيْنِ فلا نُريدُ بَراحا

• وقال آخر : [من الطويل]

وَلَمْ أَنْسَ ضَمِّي لِلحَبيبِ علىٰ رِضىً وَرَشْفي رُضاباً كالرَّحيقِ المُسَلْسَلِ
ولا قَوْلَهُ لي عِنْدَ تَقْبيلِ خَدِّهِ : تَنَقَّلْ فَلَذّاتُ الهوىٰ في التَّنَقُّلِ

وممّا قيل في السِّمَن :

• قال[3] الرَّبيع بن سُليمان : سمعتُ الشّافعي رضي الله عنه يقول : ما رأيتُ سَميناً عاقِلاً إلاّ محمّد بن الحسن .

• قال الشاعر[4] : [من البسيط]

لا أَعْشَقُ الأَبْيَضَ المَنْفوخَ من سِمَنٍ لَكنَّني أَعْشَقُ السُّمْرَ المَهازيلا
إنِّي امْرؤٌ أَرْكَبُ المُهْرَ المُضَمَّرَ في يَوْمِ الرِّهانِ فَدَعْني واركبِ الفيلا

---

(١) الأبيات للخبز رزّي في المحب والمحبوب (١/٣١٨) ومستدرك الديوان (١٠٠) (ضمن مجلة معهد المخطوطات مج٣٩ ع٢) .
(٢) في ط : × . . . معذبي مصباحاً . والمثبت من أ والمحب .
(٣) ربيع الأبرار (٢/٢٦٦) وتاج التراجم (١٨٨) .
(٤) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/٢٦٧) .

ومما قيل في مَدح الأَلوان والشِّيات :

مَدْحُ البَياض :

• قال[1] رسولُ الله ﷺ : « البَياضُ نِصْفُ الحُسْن » .

وكان ﷺ أَبيضَ ، أَزْهَرَ اللَّون ، مُشْرَباً بِحُمْرَةٍ .

• قال الشّاعر[2] : [من الكامل]

بِيْضُ الوُجوهِ كَريمَةٌ أَحْسابُهُمْ ... شُمُّ الأُنوفِ مِن الطِّرازِ الأَوَّلِ

ومما قيل في مَدْحِ السَّواد :

• قيل[3] لِبعضهم : ما تَقولُ في السَّواد ؟ قال : النُّور في السَّواد . أَراد بذلك نُور العَينين في سَوادهما .

• وقال بعضُهم[4] : [من البسيط]

قالُوا : تَعَشَّقْتَها سَوداءَ ؟ قُلتُ لهم : ... لَوْنُ الغَوالي ولَوْنُ المِسْكِ والعُودِ

إنِّي امْرُؤٌ لَيْسَ شَأْنُ البِيْضِ مُرْتَفِعاً ... عِنْدي وَلَوْ خَلَتِ الدُّنيا من السُّود

• وقال الحَيْقُطان[5] : [من الطويل]

لَئِنْ كُنْتُ جَعْدَ الرَّأْسِ واللَّوْنُ فاحِمٌ ... فإنِّي لَسَبْطُ الكَفِّ والعِرْضُ أَزْهَرُ

وإنَّ سَوادَ اللَّونِ ليسَ بِضائِري ... إذا كنتُ يومَ الرَّوْعِ بالسَّيْفِ أَخْطِرُ

• دخل[6] إبراهيمُ بن المهديّ علىٰ المأمون ، فقال : إنَّك يا عمُّ الخليفةُ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٦١٦) .
(٢) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (١٢٣) .
(٣) في ربيع الأبرار (٤/ ٦٢٤) : قال أبو يوسف القاضي لابن نهيك : ما تقول في السّواد ؟ . . .
(٤) البيتان لابن الخطاب النصراني في ربيع الأبرار (٤/ ٦٢٤) .
(٥) له في ربيع الأبرار (٤/ ٦١٨) .
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ٦١٩) .

الأَسودُ . فقال إِبراهيم : نعم ؛ فتمثَّلَ ببيتِ سُحَيْم ، فقال[1] : [من البسيط]

إنْ كُنْتُ عَبْداً فَنَفْسي حُرَّةٌ كَرَماً   أَو أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَبْيَضُ الخُلُقِ

ثم قال : يا عمُّ ، أَخْرَجَنا الهَزْل إِلىٰ الجدّ ؛ فأَنشد إِبراهيم : [من الخفيف]

ليسَ يُزْري السَّوادُ بالرَّجُلِ الشَهْـ   ـمِ ولا بالفَتىٰ الأَريبِ الأَديبِ
إنْ يَكُنْ لِلسَّوادِ فيكَ نَصيبٌ   فبَياضُ الأَخلاقِ مِنْكَ نَصيبي

● وقال آخر : [من البسيط]

لامَ العَواذِلُ في سَوداءَ فاحِمَةٍ   كأَنَّها في سَوادِ القَلْبِ تِمْثالُ
وهامَ في الخالِ أَقوامٌ وَما عَلِمُوا   أَنِّي أَهيمُ بِشَخْصٍ كُلُّهُ خالُ

● وقيل[2] لِمَدَنيّ : كيفَ رَغبتُم في السّوادِ ؟ فقال : لو وَجَدْنا بيضاءَ لَسَوَّدْناها .

● وقال آخر[3] : [من الكامل]

يَكونُ الخالُ في خَدٍّ قَبيحٍ   فَيَكسُوهُ المَلاحَةَ والجَمالا
فكيفَ يُلامُ ذو عِشْقٍ علىٰ مَنْ   يَراها كُلَّها في الخَدِّ خالا[4]

● وقال آخر : [من البسيط]

فاسْتَحْسَنوا الخالَ في خَدٍّ فقُلتُ لَهم : إِنِّي عَشِقْتُ مَليحاً كُلُّه خالُ

● وكان[5] أَبو حازم الأَعرج المَدَني يُنشد : [من الوافر]

وَمن يَكُ مُعْجَباً بِبَناتِ كِسْرىٰ   فإِنِّي مُعْجَبٌ بِبَناتِ حامِ

---

(١) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (٥٥) . ونُسب البيت في الأصول وربيع الأبرار إلىٰ نصيب خطأً .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٦٢٥) .
(٣) البيتان لإبراهيم بن سيّابة في نزهة العمر (٨) . والأول وبعدهُ آخر فيه (ص١٢) منسوبان لبشار ، وهما في ديوانه (٤/ ١٧٤) وانظر التذكرة الحمدونية (٥/ ٣٢٠) .
(٤) في أ ، ب : فكيف يلام مشغوف علىٰ من × .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٦٢٥) بلا نسبة .

• وتَفاخَرَت[1] حَبَشِيَّةٌ ورُوميَّةٌ ، فقالَت الرُّوميَّةُ : أَنا حَبَّةُ كافورٍ ، وأَنتِ عِدْل فَحْمٍ ، فقالت الحَبَشِيَّةُ : أَنا حَبَّةُ مِسْكٍ ، وأَنتِ عِدْلُ مِلْحٍ .

• وقد[2] قال الشّاعر : [من الوافر]

أُحِـــبُّ لِحُبِّهـــا السُّـــودانَ حتَّـــىٰ أُحِـــبُّ لِحُبِّهـــا سُـــودَ الكِـــلابِ

• وقال أَبو حفص الشَّطرنجي[3] : [من السريع]

أَشْبَهَـــكِ المِسْـــكُ وَأَشْبَهْتِـــهِ قـــائِمَـــةً فـــي لَـــوْنِـــهِ قـــاعِـــدَهْ

لا شَـــكَّ إِذْ لَـــوْنُكُمـــا واحِـــدٌ أَنَّكُمـــا مِـــن طِيْنَـــةٍ واحِـــدَهْ

وممّا قيل في الصُّفرة :

• قال الشّاعر[4] : [من الطويل]

أَصَفْـراءُ كـانَ الهَجْـرُ مِنـكِ مُـزاحـاً لَيـالـيَ كـانَ الـوُدُّ مِنْـكِ مُبـاحـا

وكـان نِسـاءُ الحَيِّ مـا دُمْـتِ فيهـمُ قِبـاحـاً فَلَمّـا غِبْـتِ صِـرْنَ مِـلاحـا

• وقال آخر : [من البسيط]

قالوا : بهِ صُفْرَةٌ شانَتْ مَحاسِنَهُ فقلتُ : ما ذاكَ مِن عَيْبٍ بهِ نَزَلا

عَيْنـاهُ مَطْلـوبَـةٌ فـي ثـأرِ مَـن قَتَلَـتْ فَلَسْـتَ تَلْقـاهُ إلاَّ خـائِفـاً وَجِـلا

وممّا قيل في طُول اللِّحية :

• قيل[5] : إِنَّ اللِّحيةَ الطَّويلةَ عُشُّ البَراغيثِ .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٦٢٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٦٢٦) بلا نسبة .
(٣) هما له في المحب والمحبوب (١/ ٢٢٥) . ولبشار في العقد الفريد (٥/ ٣٣٨) وديوانه (٤/ ٤٤) . وبلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٦٢٦) .
(٤) هما لبشار في ديوانه (٤/ ٤٢) . وبلا نسبة في المحب والمحبوب (١/ ٢٢٥) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٦) .

• ونَظَرَ[1] يزيدُ بن مَزيد الشَّيباني إِلىٰ رجلٍ ذي لِحيةٍ عَظيمةٍ علىٰ صَدره ، وإِذا هو خاضِبٌ ، فقال له : يا هذا ، إِنَّك مِن لِحيتِك لفي مؤُونة ؛ فقال : أَجل ، ولذلك أَقول : [من الطويل]

لهـا دِرْهَـمٌ لِلدُّهْـنِ فـي كُـلِّ جُمعـةٍ ⁂ وآخَـــرُ لِلحِنّـــاء يَبْتَـــدرانِ

ولـولا نَـوالٌ مِـن يَـزيـدَ بـنِ مَـزْيَـدٍ ⁂ لأَصْبَـح فـي حـافـاتِهـا الجَلَمـانِ

• وقال[2] إِسحاق بن خَلَف في قَصيرٍ طويلِ اللِّحية : [من البسيط]

ماشَيْتُ داودَ فاسْتَضْحَكْتُ من عَجَبٍ ⁂ كَـأَنَّنـي والِـدٌ يَمْشـي بِمَـوْلـودِ

مـا طُـول داودَ إِلاّ طُـولُ لِحْيَتِـهِ ⁂ يَظَـلُّ داودُ فيهـا غيـرَ مَـوجـودِ

• وقال الشّاعر[3] : [من الطويل]

تَـأَمَّلْـتُ أَسـواقَ العِـراقِ فَلَـمْ أَجِـدْ ⁂ دَكـاكِينَهُـم إِلاَّ عَلَيهـا المـواليـا

جُلـوسـاً علَيهـا يَنْفُضـونَ لِحـاهُـمُ ⁂ كَما نَفَضَتْ عُجْفُ البِغالِ المَخاليا

وممّا جاء في عِظَم الخِلْقَة والطُّول والقِصَر :

• قيل[4] : خَرِبَ القُهُنْدُز[5] فَبَرَزَت منهُ جَماجمُ أَمواتٍ ، فتصدَّعت جُمجمةٌ فانتثَرَت أَسنانُها ، فوُزِنَ السِّنُّ مِنها ، فكان وَزْنُها أَربعة أَرطالٍ ، فأُتي بها إِلىٰ ابنِ المُبارك ، فجعل يُقَلِّبها وَيتعجَّبُ من عِظَمِها ، ثم قال[6] : [من المتقارب]

إِذا مـا تَـذَكَّـرْتُ أَجسـامَهُـمْ ⁂ تَصـاغَـرَتِ النَّفْـسُ حتّـىٰ تَهُـونـا

---

(1) ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٦) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٤٥ ـ ٤٦) . والجلمان : المقصّ .
(2) ربيع الأبرار (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) .
(3) البيتان بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ٢٧٦) .
(4) ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٥) وتاريخ دمشق (٣٨/ ٣٧٤) .
(5) القهندز : القلعة العتيقة .
(6) ديوانه (٦٤) .

• وأَراد[1] مِلكُ الرُّوم أن يُباهيَ أهلَ الإسلام فبعث إلىٰ معاوية رَجُلَين ، أَحدُهما طويلٌ ، والثّاني قصيرٌ شديدُ القُوَّة ؛ فدعا للطَّويل بقَيس بن سَعد بن عُبادة ، فنزَع قيسٌ سَراويلَه ورمىٰ بها إليه ، فلبِسَها الطَّويل فبلَغت ثُنْدُوَتَهُ[2] فلاموا قَيْساً علىٰ نَزْعِ السَّراويل ، فقال : [من الطويل]

أَرَدْتُ لِكَيْما يَعْلَمَ النّاسُ أَنَّها   سَراويلُ قَيْسٍ والوفُودُ شُهودُ
وكي لا يَقولوا غابَ قيسٌ وهذهِ   سَراويلُ عادِيٍّ نَمَتْهُ ثَمودُ
وإِنّي مِنَ القَوْمِ اليَمانينَ سَيِّدٌ   وما النّاسُ إلاّ سَيِّدٌ وَمَسُودُ

ثم دعا مُعاوية للرَّجلِ الشَّديدِ في قُوَّته بمحمّد بن الحَنَفِيَّة ، فخَيَّرَهُ بينَ أَن يقعَد فيُقيمَه أو يومَ فيُقْعِدَهُ ، فغلَبه في الحالتين وانصَرَفا مَغلُوبَيْن .

• وقيل[3] : كان سَلَمة بن مُرَّة النّاموس أَسَرَ امرأَ القيس بن النُّعمان اللَّخْميّ الملِك ، وكان النّاموسُ قَصيراً مُقْتَحَماً ، واللَّخميُّ طويلاً جَسيماً ، فقالت بنتُ امرِىء القَيس : يا هذا القَصير ، أَطلقْ أَبي ؛ فَسَمِعَها سَلمة بن مُرَّة ، فقال : [من الطويل]

أَلا زَعَمَتْ بِنْتُ امرِىءِ القَيْسِ أَنّني   قَصيرٌ وقَد أَعيا أَباها قَصيرُها
وَرُبَّ طويلٍ قد نَزَعْتُ سِلاحَهُ   وعانَقْتُهُ والخَيْلُ تَدْمىٰ نُحورُها

• وقالوا[4] : عِظَمُ الجَبين يَدُلُّ علىٰ البَلَه ، وعَرْضُها علىٰ قِلَّةِ العَقل ، وصِغَرُها علىٰ لُطْفِ الحَرَكَة .

وإِذا وقعَ الحاجبُ علىٰ العين دلَّ علىٰ الحَسَد .

---

(١) ثمار القلوب (٢/ ٨٥٩) ومروج الذهب (٥/ ٢٢٣) وربيع الأبرار (٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) .
(٢) الثندوة : ما أسودّ من الحلمة .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٧٢) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٧٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٣٢) .

والعينُ المتوسِّطَة في حَجمها تدلُّ علىٰ الفِطنَة ، وحُسن الخُلُق ، والمُروءة .

والّتي يَطولُ تَحديقُها تدلُّ علىٰ الحُمق .

والّتي تكسرُ طَرْفها تدلُّ علىٰ خِفَّة وطَيْشٍ .

والشَّعر علىٰ الأُذُن يدلُّ علىٰ جَودةِ السَّمع .

والأُذنُ الكبيرةُ المنتصبَةُ تدلُّ علىٰ حُمْقٍ وهَذَيان .

وممّا قيل في القُبح والدَّمامة :

• أَراد[1] رجلٌ أَن يكتبَ كتاباً لبعضِ أَصحابهِ ، فلم يَجدْ مَن يُرسلُه معه إلاّ رجلاً وَحِشَ الصُّورة ، فلم يقدِرْ علىٰ تَحْلِيَتِه لِفَرْطِ دَمامَتِهِ ، فكتبَ إلىٰ صاحبه : يأتيكَ بهذا الكتابِ آيةٌ من آيات الله تعالىٰ ونُذُرِه ، فَدَعْهُ يذهبْ إلىٰ نار الله وسَقَرِه .

• ومَرَّ[2] أَبو الأَسود الدُّؤَليّ بمجلسٍ لبني قُشير فقال بعضُ فِتيانهم : كأَنَّ وَجْهَهُ وَجْهُ عَجوزٍ راحَت إلىٰ أَهلها بطَلاقها .

• وقال[3] الجاحظُ : ما أَخْجَلَني قطُّ إلاّ امرأَةٌ ، مرَّت بي إلىٰ صائغٍ ، فقالَت له : اعملْ مِثْلَ هذا . فبقيتُ مَبهوتاً : ثم سأَلتُ الصّائغ ، فقال : هٰذه المرأَةُ أَرادَت أَن أَعملَ صُورةَ شيطانٍ ، فقلتُ : لا أَدري كيفَ أُصَوِّرُهُ ؛ فأَتت بكَ إليَّ لأُصَوِّرَهُ علىٰ صُورَتك .

• وفي الجاحظِ يقولُ الشّاعر[4] : [من الكامل]

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٦١) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٦١) .
(٤) الأبيات للجمّاز في ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٢) .

لـو يُمْسَـخُ الخِنْـزيـرُ مَسْخـاً ثـانيـاً ... مـا كـانَ إِلاَّ دُونَ قُبْـحِ الجـاحِـظِ
رَجُـلٌ يَنُـوبُ عـن الجَحيـم بِـوَجْهِـهِ ... وهو العَمىٰ في عَيْنِ كُلِّ مُلاحِظِ
ولـو المِـراةُ جَلَـتْ لَـهُ تِمْثـالَـهُ ... لـم تَخْـلُ مُقْلَتُـهُ بِهـا مِـن واعِـظِ[1]

● وقال[2] الأَصمعيُّ : رأَيتُ بَدَوِيَّةً من أَحسنِ النّاس وَجْهاً ، ولها زَوجٌ قَبيحٌ ، فقلت : يا هذه ، أَتَرضَيْنَ أَن تكوني تحتَ هذا ؟ فقالت : يا هذا ، لعلَّه أَحسنَ فيما بينَه وبينَ ربِّه ، فجَعلني ثَوابَه ؛ أَو أَسَأْتُ فيما بيني وبينَ ربِّي ، فجعلَه عذابي ؛ أَفلا أَرضىٰ بما رَضيَ اللهُ به .

● وحَجَّ[3] مُخَنَّثٌ ، فرأىٰ رجلاً قبيحَ الوجهِ يَستغفرُ ، فقال : يا حَبيبي ، ما أَرىٰ لك أَن تبخلَ بهذا الوجهِ علىٰ جهنَّم .

● وقال[3] بعضُهم لرجلٍ : طلعَ لي دُمَّلٌ في أَقبحِ المواضِعِ ؛ فقال له : كذبتَ ، هذا وَجْهُكَ ليسَ فيه شيءٌ .

● وخرج[4] رجلٌ قبيحُ الوجهِ إلىٰ اليَمَنِ ، فلم يَرَ فيها أَحسنَ منه وَجْهاً ، فقال : [من الرجز]

لَـــمْ أَرَ وَجْهـــاً حَسَنـــا ... مُنْـــذُ دَخَلْـــتُ اليَمَنـــا
فيـــا شَقـــاءَ بَلْـــدَةٍ ... أَحْسَـــنُ مَـــن فيهـــا أَنـــا

● وخطبَ[5] رجلٌ عظيمُ الأَنفِ امرأَةً ، فقال لها : قد عَرَفْتِ شَرَفي ، وأَنا كريمُ المعاشَرَة ، مُحتملٌ للمكارِهِ ؛ فقالت : ما أَشُكُّ في احتمالِكَ المكارِهَ ،

---

(١) في ط : × ورآه كان له كأعظم واعظ .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٥٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٦١) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٦١) . والرجل هو أَبو نُخيلة الشاعر ، والبيتان له في ديوانه (٢٦١) (ضمن مجلة المورد العراقية مج٧ ع٣) ومختصر تاريخ دمشق (٤/ ١٩٤) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٢٦٨) .

مع حَمْلِكَ هذا الأَنْفَ أَربعين سنةً .

- وقال الشّاعر في رجلٍ كبيرِ الأَنْف[1] : [من الخفيف]

لـكَ وَجْـهٌ وَفيـهِ قِطْعَـةُ أَنْـفٍ   كَجِـدارٍ قـد أَدْعَمُـوهُ بِنَعْلَـهْ
وهو كالقَبْرِ في المِثال ولكنْ   جَعَلـوا نَصْبَهُ علىٰ غَيْرِ قِبْلَهْ

- (وقال آخر[2] : [من الوافر]

رأَينـا للـزّكـيِّ جِـدارَ أَنْـفٍ   يُضاهي في تَشامُخِهِ الجِبالا
تَصَـدّىٰ لِلهـلالِ لكـي يَـراهُ   فلولا أَنْفُهُ لَرَأَىٰ الهلالا)[3]

- وقال آخر : [من مجزوء الرمل]

لـكَ أَنْـفٌ مِـن أُنُـوفٍ   أَنِفَـتْ مِنْـهُ الأُنُـوفُ
أَنْـتَ فـي القُـدْسِ تُصَلّـي   وهـو فـي البَيْـتِ يَطُـوفُ

وممّا جاء في الثُّقلاء :

- قال مُطيع بن إِياس[4] : [من مجزوء الرمل]

قُـلْ لِعَبّـاسٍ أَخينـا :   يـا ثَقيـلَ الثُّقَـلاءِ
أَنْـتَ فـي الصَّيْـفِ سَمـومٌ   وجَليـدٌ فـي الشِّتـاءِ
أَنْـتَ فـي الأَرْضِ ثَقيـلٌ   وثَقيـلٌ فـي السَّمـاءِ

- (وقال آخر[5] : [من مجزوء الرمل]

أَنـتَ واللهِ ثَقيـلٌ   وثَقيـلٌ وثَقيـلُ

---

(١) لابن سناء الملك في ديوانه (٤٨٢) وقد مضيا في الباب (٤٣) .
(٢) مضىٰ البيتان في الباب (٤٣) .
(٣) من أ ، د ، .
(٤) ديوانه (٣٠) (ضمن شعراء عباسيون لغرونباوم) وربيع الأبرار (٢/ ٣١٠) .
(٥) هما بلا نسبة في ربيع الأبرار (٢/ ٣٠٨) .

أنــت فـــي المَنْظَـــرِ إنْســا نٌ وفـــي المَخْبَـــرِ فيـــلُ)[1]

وممّا جاء في الملابس وألوانها ، والعَمائم ، ونَحوها :

- قال الله تَعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحىٰ : ١١] .

وقال تَعالىٰ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

- وقال[2] رسولُ الله ﷺ : « إنَّ اللهَ يُحِبُّ أن يَرىٰ أثَرَ نِعْمَتِهِ علىٰ عَبْدِهِ » .

- وقال ﷺ : « تَعَمَّموا تَزْدادوا جَمالاً » .

- وقال ﷺ : « العَمائِمُ تِيْجَانُ العَرَبِ » .

- وكان[3] الزُّبيرُ بن العوّام يقاتلُ يومَ بدرٍ ، وعليه عِمامةٌ صَفراءُ ، فنزلَت الملائكةُ ، وعليهم عمائمُ صُفرٌ ، قد أَرْخَوْها .

- وبعثَ[4] رسولُ الله ﷺ عبدَ الرَّحمن بن عَوف إلىٰ دُومةِ الجَنْدل ، فتخلَّفَ عن الجيشِ ، وأَتىٰ إلىٰ رسولِ الله ﷺ وعليه عِمامةٌ سَوداءُ من خَزٍّ ، فنقَضَها رسولُ الله ﷺ وعمَّمَه بيده ، وأَسْدَلها بينَ كَتفيه قدرَ شِبْرٍ ، وقال : « هكذا اعْتَمَّ يا ابنَ عوفٍ » .

- وبعثَ[5] ملِكُ الرُّوم إلىٰ النَّبيِّ ﷺ جُبَّةَ دِيباجٍ ، فلَبِسَها ثم كَساها عُثمان .

- (وكان الحسنُ يلبسُ ثوباً بأَربعمئة درهمٍ)[6] .

---

(١) من أ .
(٢) عيون الأخبار (١/ ٣٠٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٨) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٩) .
(٥) في ربيع الأبرار (٥/ ٩) : لبس رسول الله ﷺ حُلَّة كسرىٰ التي اشتراها له الأنصاري ، فخطب فيها ، ثم نزل فوهبها لأسامة .
(٦) من أ ، ب .

● وكان سَعيدُ بن المُسَيِّب يلبسُ الحُلَّةَ بأَلف درهمٍ ويدخلُ المسجدَ ، فقيل له في ذلك ، فقال : إِنِّي أُجالسُ ربِّي .

● وقيل : المروءَةُ الظّاهِرَة ، الثِّياب الطّاهِرَة .

● (وكان لعبّاد بن عبّاس جبابٌ كثيرةٌ عبالي علىٰ زِيٍّ واحدٍ ، يدخلُ بها علىٰ رُكن الدَّولة ، فأقام كذلك مُدَّةً ، فقال رُكن الدولة يوماً لجلسائه : ما تَنظرونَ إلىٰ نَظافةِ هذا الرَّجل ، يلبسُ جُبَّةً واحدةً منذ كذا وكذا سنةً ، لا يُبليها ولا يُغَيِّرها)[1] .

● وقيل : البسِ البياضَ والسَّواد ، فإِنَّ الدَّهرَ هكذا بياضُ نهارٍ وسَوادُ ليلٍ .

● (وقيلَ لراهبٍ : لِمَ تلبسونَ الثِّيابَ السُّودَ ؟ قال : لأَنَّها أَشبهُ بثياب أَهلِ المصائبِ)[1] .

● (وسأَل الرَّشيدُ الأَوزاعيَّ عن لُبس السَّواد ، فقال : لا أُحرِّمُه ، ولكن أكرهُه ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأَنَّهُ لا تُجلىٰ فيه عَروسٌ ، ولا يُلَبِّي فيه مُحْرِمٌ ، ولا يُكَفَّنُ فيهِ مَيِّتٌ)[1] .

● وقال أَحمدُ بنُ أَبي فَنَن فيمن لَبِسَ السّواد[2] : [من الوافر]

رَأَيْتُـكِ فـي السَّـوادِ فَقُلْـتُ : بَـدْرٌ ... بَـدا فـي ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ البَهيـمِ
وأَلْقَيْـتِ السَّـوادَ فَقُلْـتُ : شَمْـسٌ ... مَحَـتْ بِشُعـاعِهـا ضَـوْءَ النُّجـومِ

● وقَدِمَ[3] تاجرٌ إِلىٰ المدينة يحملُ من خُمُر العِراق ، فباعَ الجميعَ إِلاّ السُّود ، فشكا إِلىٰ الدّارِميّ ذلك ، وكان الدّارِميّ قد نَسَكَ وتَعَبَّدَ ، فعملَ بيتين ، وأَمر

---

(١) من أ ، ب .
(٢) ليسا في ديوانه ، وهما له في المحب والمحبوب (١/ ٢٩٦) .
(٣) الأغاني (٣/ ٤٥ ـ ٤٦) .

مَن يُغَنِّي بِهما في المدينة ، وهما هذان البيتان : [من الكامل]

قُلْ لِلمَلِيْحَةِ في الخِمارِ الأَسْوَدِ : مـــاذا فَعَلْـــتِ بِـــزاهِـــدٍ مُتَعَبِّـــدِ
قـــد كـــانَ شَمَّـــرَ لِلصَّـــلاةِ إِزارَهُ حتَّىٰ قَعَـدْتِ لَـهُ بِبـابِ المَسْجِـدِ

قال : فشاعَ الخَبَرُ في المدينةِ : إِنَّ الدّارِميَّ رجعَ عن زُهده ، وتَعَشَّقَ صاحبةَ الخِمارِ الأَسودِ ؛ فلم يبقَ في المدينة مَليحةٌ إِلاّ اشترَت لها خِماراً أَسود ؛ فلّما أَنفد التّاجرُ ما كان معهُ رجعَ الدّارِميُّ إِلىٰ تعبُّدِهِ ، وعمَدَ إِلىٰ ثيابِ نُسكه فلَبِسها .

● وقال آخر في لابسة الأحمر : [من الكامل]

وَشَمْـسٍ مِـن قَضيـبٍ فـي كَثيـبٍ تَبَـــدَّتْ فـــي لِبـــاسٍ جُلَّنـــاري
سَقَتْنـــي خَمْـــرَ رِيْقَتِهـــا وَحَيَّـــت بِـوَجْنَتِها فـأَطْفَـتْ جُـلَّ نـاري[1]

● وقال آخرُ في لابسةِ ثوبٍ خَمْريٍّ : [من السريع]

فـي ثَـوْبِهـا الخَمْـرِيِّ قَـدْ أَقْبَلَـتْ بِـــوَجْنَـــةٍ حَمْـــراءَ كـــالجَمْـــرِ
فَمِلْـــتُ سُكْـــراً حِيْـــنَ أَبْصَـــرْتُهـــا لا تُنْكِـــروا سُكْـــري مِـــن الخَمْـــرِ

● (وقال المُهَلَّبِيُّ في لابسَةٍ أَحمر[2] : [من الوافر]

تَبَـدّىٰ فـي قَميـصِ الـلاّذِ يَمشـي عَـــدُوٌّ لـــي يُلَقَّـــبُ بـــالحَبيـــبِ
فقلـتُ لـهُ : بِـمَ اسْتَحْسَنْـتَ هـذا ؟ لَقَـــدْ أَقْبَلْـــتَ فـــي زِيٍّ عَجيـــبِ
فقالَ : الشَّمْسُ أَهْدَتْ لي قميصاً بَـديـعَ اللَّـونِ مـن شَفَـقِ الغُـروبِ
فَثَـــوْبـــي والمُـــدامُ ولَـــوْنُ خَـــدِّي قَـــريـــبٌ مـــن قَـــريـــبٍ مِـــن قَـــريـــبِ

---

(١) في ط : سقتني ريقها صرفاً × . . فهاجت . . . .
(٢) هما للوزير المهلبي في المحب والمحبوب (١/ ٢٩٧) ومعجم الأدباء (٢/ ٩٩٣) . ونسبهما ابن خلكان (١/ ١٠٨) إلىٰ أحمد النامي . وهما في اليتيمة (١/ ٤٢٤) لمحمد بن عباس البصري . ونُسبا للوأواء الدمشقي في ديوانه (٣٦) .

• وقال ديكُ الجنِّ ـ وهو الَّذي أبدعَ هذا الفَنِّ ونَهَجَهُ للشُّعراء[1] ـ: [من الوافر]

أَيـا قَمَـراً تَبَسَّـمَ عـن أَقـاحِ ... ويـا غُصْنـاً يَميـلُ مَـع الـرِّيـاحِ
جَبينُـكَ والمُقَلَّـدُ والثَّنـايـا ... صَبـاحٌ فـي صَبـاحٍ فـي صَبـاحِ

• وقال أيضاً[2] : [من الوافر]

ومُـزْرٍ بـالقَضيـب إِذا تَثَنَّـىٰ ... وتَيّـاهٍ علـىٰ القَمَـرِ التَّمـامِ
سَقـانـي ثُـمَّ قَبَّلَنـي وأَوْمـا ... بِطَـرْفٍ سُقْمُـهُ يُبْـري سَقـامـي
فَبِتُّ بِـهِ ـ خـلا النَّـدمـانِ ـ أُسْقَىٰ ... مُـدامـاً فـي مُـدامٍ فـي مُـدامِ

• وقال الحُسَين بن الضَّحاك[3] : [من الطويل]

وأَبْيَـضَ فـي حُمْـرِ الثِّيـابِ كـأَنَّـهُ ... ـ إذا مـا بَـدا نِسْرِينُـهُ ـ فـي شَقـائِقِ
سَقـانـي بِخَـدَّيـهِ رحيقـاً وسَـامَنـي ... فُسُـوقـاً بِعَيْنَيْـهِ ولَسْـتُ بِفـاسِـقِ
(وَلَـوْ كُنْـتُ شَكْـلاً لِلهـوىٰ لاتَّبَعْتُـهُ ... ولكنَّ شَيْبي بالصَّباغيرُ لائقِ)[4]

• وقالَ الصَّنَوْبَريّ في لابِسَةٍ أَخضر[5] : [من المتقارب]

وَشـاطِـرَةٍ أَدَّبَتْهـا الشَّطـارَه ... حُلىٰ الرَّوضِ مِن حُسْنِها مُسْتَعارَهْ
أَتَـتْ فـي قَميـصٍ لَهـا أَخْضَـرٍ ... كمـا لَبِـسَ الـوَرَقَ الجُلَّنـارَهْ
فَقُلْتُ لَها : ما اسْمُ هَذا اللِّباسِ ... فَـأَبْـدَتْ جَـواباً لَطيـفَ العِبـارَهْ
شَقَقْنـا مَـرائِـرَ قَـوْمٍ بِـهِ ... فَنَحْـنُ نُسَمِّيـهِ شَـقَّ المَـرارهْ

---

(١) ديوانه (٨١) والمحب والمحبوب (١/ ٢٩٨) وقد مضيا .
(٢) ديوانه (١٨٢) والمحب والمحبوب (١/ ٢٩٨) .
(٣) ديوانه (٨٥ ـ ٨٦) والمحب والمحبوب (١/ ٣٠٣) .
(٤) من أ ، ب .
(٥) ديوانه (٨٣) والمحب والمحبوب (١/ ٢٩٩) وربيع الأبرار (٤/ ٦٣١) .

• وقال حكيمٌ لابنه : إيَّاكَ (ـ إذا بُليتَ بِمَنْزِلةٍ من السُّلطان ـ)[1] أن تلبسَ ما يديمُ المَلِكُ نَظَرَهُ إليك به ، واعلمْ أَنَّ الوَشْيَ لا يلبسُه إلاّ الأحمقُ أو مَلِكٌ ؛ وعليكَ بالبَياض .

• (وقال يَحيىٰ بن خالد لابنهِ : إذا فَصَّلْتَ ثياباً فَفَصِّلْها وسطاً ، فإنَّك إن وَهَبْتَها طويلاً لا تقصُرُ عليه ، وإن وهبتَها وسطاً جاءت مُطابقةً عليه)[1] .

• وقيل : لِباسُ البُخلاءِ الاسْتَبْرَقُ ، لِطُول بَقائه ؛ وَلباسُ المُتْرَفين السُّنْدُسُ ، لِقِلَّة بَقائه ؛ ولباسُ المُقتصدين الدِّيباجُ ، لِتَوَسُّطِ بَقائه .

• وقال بعضُ الأُمراءِ لحاجبهِ : أَدْخِلْ عَليَّ عاقِلاً ؛ فأَتاه برجلٍ ، فقال : بمَ عَرَفْتَ عَقْلَه ؟ فقال : رأَيتُه يلبسُ الكَتّانَ في الصَّيف ، والقطنَ في الشِّتاء ، والملبوسَ في الحَرِّ ، والجديدَ في البردِ .

• (ودخل[2] الوليدُ علىٰ هشامٍ ، وعليه عمامةُ وَشْيٍ ، فسأَلهُ عن ثَمَنِها ، فقال : أَلف ؛ فاستكثَره ، فقال الوليدُ : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّها لأكرمِ أَعضائي ، وقد تشتري أَنتَ جاريةً بعشرةِ آلاف درهمٍ لأَخسِّ أَطرافك)[1] .

• وقيل : كان لأَبرويز عِمامةٌ طولُها خَمسون ذِراعاً ، إذا اتَّسَخَتْ أَلقاها في النّار ، فيحترقُ الوَسَخُ ولا تَحترقُ ؛ وكان له رداءٌ حَسَنٌ يَتَلَوَّنُ كلَّ ساعةٍ ، وسَراويلُ مُجوهرةٌ ، وتِكَّةٌ من أَنابيبِ الزَّمُرُّدِ .

• وقيل :(الدّراريعُ لباسُ الرُّوم ،)[1] والأَقبيةُ لِباسُ الفُرسِ ، والقَراطِقُ لباسُ الهِند ، والأُزُرُ لباسُ العَربِ .

• وسُئل[3] بعضُ العَرب عن أَلوان الثِّياب . فقال : الصُّفْرُ أَشْكَلُ ، والحُمْرُ

---

(١) من أ ، ب .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ١١) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٦١٧) .

أَجْمَلُ ، والخُضْرُ أَنْبَلُ ، والسُّودُ أَهْوَلُ ، والبِيض أَفْضَلَ .

● وقال أَفلاطون : الصِّبْغُ الشَّقائقيّ والرَّوائحُ الزَّعفرانيَّة تُسَكِّنُ الغَضَب ، والصِّبْغُ الياقوتيّ والرّوائحُ الوَرديَّة تُحَرِّكُ السُّرور ، وإذا قَرَنْتَ اللَّونَ الأَحمرَ إلىٰ اللَّون الأَصفِر تحرَّكَتِ القُوَّةُ العِشْقِيَّةُ ، وإذا مَزَجْتَ الحُمْرَةَ بالصُّفْرَةِ تحرَّكَتِ القُوَّةُ الغَريزيَّةُ ، وإذا مَزَجْتَ التُّفّاحِيَّةَ بالحُمْرَةِ تَحرَّكت الطَّبائعُ كلُّها .

● (وقيل : أَفضلُ الثِّيابِ خمسةٌ : حُلَّةُ آدمَ عليه السّلام ، الَّتي أَلبسها الله تعالىٰ له في الجنَّة ؛ وقميصُ يوسفَ الذي ألقاه يعقوب علىٰ وجههِ فارتدَّ بصيراً ؛ وقميص هارون الَّذي جاء به جبريل من الجنَّة ـ حين بَعَثَهُ الله شريكاً في النُّبُوَّة ؛ وبُردةُ النَّبيِّ ﷺ التي كُفِّنَ فيها ؛ وجلبابُ فاطمة رضي الله عنها ، وكانت من صوفٍ اكتستهُ ليلة بَنىٰ بهاعليٌّ رضي الله عنه ، وخرجَت به من الدُّنيا)[1] .

● وكان[2] مصعبُ بن الزُّبير يقول : لكلِّ شَيْءٍ راحةٌ ، وراحةُ البيتِ كَنْسُهُ ، وراحَةُ الثَّوبِ طَيُّهُ .

● وقال[3] بعضُ الأَعراب : رأَيتُ في البصرةِ بُروداً كأَنَّها نُسِجَتْ بَأنواعِ الرَّبيع .

● (وجاءَت[4] امرأَةٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ فقالت : إِنِّي نَوَيْتُ أَن أُعْطيَ هذا البُرْدَ أَكرمَ العرب ؛ فقال : « أَعطيه هذا الغُلام سعيد بن العاص » . فتلك البرود السَّعيديَّة .

● وكان[5] أزدشير وَبَهرام جور وأَنوشروان يأمرون بإِخراج ما في خزائنهم من الثِّياب عن آخرها ، فيكسونها في النَّيروز والمرجان ؛ ولا نعلمُ أَن أحداً اقتفىٰ

---

(١) من أ ، ب .
(٢) عيون الأخبار (١/ ٣٠٠) وربيع الأبرار (٢/ ١٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ١٥) وعيون الأخبار (١/ ٣٠٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٤٢) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ١٥) .

أَثرهم إلاّ عبد الله بن طاهر ، فإنَّه كان لا يتركُ في هذين اليومين في خزائنه ثوباً إلاّ كساه)[1] .

ذِكرُ مَن رَذَلَ لبسُه وعَزَّت نفسُه :

● (قال[2] المبرِّد : كان رسولُ الله ﷺ يشرِّع الشَّيءَ علىٰ غيرِ جهةِ التَّلَذُّذِ ، ولكن علىٰ جهةِ الإحلال والاستنان ، ألا ترىٰ أَنَّه لبسَ حُلَّةَ كسرىٰ الَّتي اشتراها له الأنصاريُّ ، فخطبَ فيها ، ثُمَّ نزلَ فوَهبَها لأُسامة .

فَيُقال إنَّ أَبا سُفيان بن حربٍ لمّا رأَىٰ ذلك جعل يُنكرهُ ويقولُ : أَحُلَّةُ كسرىٰ بنِ هرمز علىٰ ابن الشّاة ! يعني أُسامة . وذلك لأَنَّ أُسامة ماتت أُمُّه وهو صغير فَغُذِّيَ بلبنِ شاةٍ)[1] .

● (ورُوي[3] عن أَنسٍ رضي الله عنه ، قال : دَخلتُ علىٰ رسولِ الله ﷺ وهو في عَباءةٍ يَهْنَأُ بَعيراً له .

● وعنه[3] : رأَيتُهُ يَسِمُ الغَنَمَ في آذانِها ، فَرَأَيتُهُ مُؤْتزِراً بكساءٍ .

● وعن[4] عليٍّ رضي الله عنه ، قال : رأَيتُ عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه ، وعليهِ إِزارٌ فيه إِحدىٰ وعشرون رُقعةً من أَدَمٍ ، ورقعةٌ من ثيابنا .

● وكان[4] كُمُّ قميصِ عليٍّ رضي الله عنه لا يُجاوزُ أَصابِعَه ، ويقولُ : ليسَ للكُمَّيْنِ علىٰ اليَدينِ فَضْلٌ .

● وكان[2] عُمر بن عَبد العزيز تُشتَرىٰ له الحُلَّةُ بألفِ دينارٍ ، فيقولُ : ما أَجودَها لولا خُشونة فيها ؛ فلمّا استُخلفَ كان يُشْتَرىٰ له الثَّوبُ بخمسةِ دراهم ، فيقولُ : ما أَجودَه لولا لِينهُ .

---

(١) من أ ، ب .

(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٩) .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٧) .

(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٨) وعيون الأخبار (١/ ٢٩٧) .

• وعن[1] مُسلم بن يَسار ، قال : إذا لَبِسْتَ ثوباً ، فَظَننتَ أَنَّكَ فيه أَفضلُ ممّا في غَيره ، فبئسَ الثَّوبُ هو لكَ .

• وقال[1] منصور بن عمّار : مَن تَعَرّىٰ من لِباسِ التَّقوىٰ ، لم يَسْتَتِرْ بشيءٍ من لباسِ الدُّنيا .

• وقيل[2] لعابدٍ : لو لَبِسْتَ قمياً أَجْوَدَ من قَميصك ؛ فقال : ليتَ قلبي في القلوبِ مثلَ قَميصي في القُمُصِ .

• وقيل : لا يَسُودُ الرَّجلُ حتّىٰ لا يُبالي في أَيِّ ثوبٍ ظَهَرَ .

• وكان أُوَيْس القَرَنيّ رضي الله عنه يلتقطُ الخُروقَ من المزابلِ ، فيغسلُها ويَخيطُها ويَلبَسُها .

• ودخلَ[3] بعضُ العُذريِّين علىٰ مُعاوية وعليه عَباءةٌ ، فازداره ، فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ العباءةَ لا تُكلِّمُكَ ، وإنَّما يُكلِّمُكَ مَن فيها)[4] .

• قال[5] الأَصمعيُّ : رأَيتُ أَعرابيّاً فاستَنشدتُه ، فأَنشدَني أَبياتاً ، وروىٰ أَخباراً ، فتعجَّبْتُ من جَمالهِ وسُوءِ حالهِ ؛ فسكتَ سكْتَةً ثم قال : [من مجزوء الكامل]

أَأُخَيَّ إنَّ الحادِثا تِ عَرَكْنَني عَرْكَ الأَديمِ
لا تُنْكِرَنْ أَنْ قَدْ رَأَيْـ ـتَ أَخاكَ في طِمْرَيْ عَديمِ
إن كانَ أَثْوابي بَلِيْـ ـنَ فإِنَّهُنَّ علىٰ كَريمِ[6]

• قال بعضُهم ، وقيل للشَّافعيِّ رحمه الله تعالىٰ[7] : [من الطويل]

---

(1) ربيع الأبرار (٥/ ١٠) .
(2) ربيع الأبرار (٥/ ١٩) .
(3) عيون الأخبار (١/ ٢٩٧) .
(4) من أ ، ب .
(5) ربيع الأبرار (٥/ ١١) .
(6) في ط : . . . رثاث × .
(7) ديوان الشافعي (٣٥) والمحمدون للقفطي (١٣٩) وحلية الأولياء (٩/ ٨٢) .

عَلَيَّ ثِيابٌ لو تُقاسُ جَميعُها ... بِفَلْسٍ لَكانَ الفَلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرا
وَفيهِنَّ نَفْسٌ لو يُقاسُ بِبَعْضِها ... نُفُوسُ الوَرىٰ كانَتْ أَجَلَّ وأَكْبَرا
وما ضَرَّ نَصْلَ السَّيْفِ إِخْلاقُ غِمْدِهِ ... إذا كانَ عَضْباً حَيْثُ وَجَّهَهُ بَرىٰ

• ودخل بعضُهم علىٰ الرَّشيد فازْداراهُ ، فأَنشدَه[1] : [من الوافر]

تَرىٰ الرَّجُلَ النَّحيفَ فَتَزْدريهِ ... وفي أَثْوابِهِ أَسَدٌ هَصُورُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّريرُ فَتَبْتَليهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّريرُ
لقد عَظُمَ البَعيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ ... فلَمْ يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البَعيرُ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِغَيْرِ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ علىٰ الخَسْفِ الجَريرُ
وَتَضْرِبُهُ الوَليدةُ بالهَراوىٰ ... فلا عارٌ عَلَيْهِ وَلا نَكيرُ
فإن أَكُ في شِراركُمُ قَليلاً ... فإِنِّي في خِيارِكُمُ كَثيرُ

• ويُقالُ[2] : كُلْ ما تشتهيهِ نَفْسُكَ ، والبسْ ما تَشتهيه النّاس .

وقد نَظَمَه مَن قال : [من الكامل]

إنَّ العُيونَ رَمَتْكَ إذْ فاجَأْتَها ... وَعليكَ مِن شُهَرِ الثِّيابِ لِباسُ
أَمّا الطَّعامُ فَكُلْ لِنَفْسِكَ ما اشْتَهَتْ ... واجْعَلْ لِباسَكَ ما اشْتَهَتْهُ النّاسُ

وفي هذا القَدْر كفاية ، والله أَعلمُ بالصَّواب ، وصلّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) الأبيات من الشعر المتنازع ، وكلّ من نُسبت إليه لا يرقىٰ إلىٰ زمن الرشيد ، فهي للعباس بن مرداس السلمي في ديوانه (١٧٢ ـ ١٧٣) ، أو لكثير عزّة في أمالي القالي (١/ ٤٦) وديوانه (٥٢٩) ، وتروىٰ لربيعة الرقي في ديوانه (٧١) ، أو لمعوّد الحكماء في سمط اللآلي (١/ ١٩٠) . وفيها جميعاً تخريج كثير .

(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢١) وبهجة المجالس (٢/ ٥٨) . والبيتان فيهما بلا نسبة .

الباب السّابع والأربعون

في التَّخَتُّم ، والحَلْي ، والمَصوغ ، والطِّيب ، والتَّطَيُّب ، وما أَشبه ذلك

ما جاء في التَّخَتُّم :

• عن[1] عائشةَ رضي الله عنها ، قالت : كانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخَتَّمُ في يَمينه ، وقُبض عليه الصَّلاة والسّلام والخاتمُ في يَمينه .

• قال بعضُ مَن مَدَحَه عليه الصّلاة والسَّلام : [من الكامل]

كَفُّ الرِّسالَةِ لَيسَ يَخفىٰ حُسْنُها وَتَمامُ حُسْنِ الكَفِّ لُبْسُ الخاتَمِ

• وذَكرَ[2] السَّلاميُّ ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يتختَّم في يَمينه ، والخلفاءُ بعدَه ، فنقلَه مُعاوية رضي الله تعالىٰ عنه إلىٰ اليسار ، وأَخذ الأُمَوِيَّةُ بذلك ، ثم نقلَه السَّفّاحُ إلىٰ اليمين ، فبقي إلىٰ أَيّام الرَّشيد رضي الله تعالىٰ عنه ، فنقَله إلىٰ اليَسار ، وأخذ الناس بذلك .

• وعن[2] عليٍّ رضي الله تعالىٰ عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : « تَخَتَّموا بِخَواتيم العَقيق ، فإِنَّه لا يُصيبُ أَحَدَكُم غَمٌّ ما دامَ عليه ذلك » .

• وبلغَ[3] عُمر بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه أَنَّ ابنَه اشترىٰ فَصَّ خاتَمٍ

---

(١) عيون الأخبار (١/ ٣٠٢) وربيع الأبرار (٥/ ٢٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٢٤) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٢٥) .

بألف دينار ، فكتب إليه : عَزَمْتُ عليكَ إلاّ ما بِعْتَ خاتَمك بألف دينار ، وجعلتَها في بَطْنِ جائعٍ ، واستعملْ خاتَماً من وَرِقٍ ، وانقُشْ عليه : رَحِمَ اللهُ امرأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ .

• وكان[1] خاتَم عليٍّ رضي الله عنه من وَرِقٍ ، ونَقْشُهُ : نِعمَ القادِرُ اللهُ .

• وكان[2] لأَبي نُواس خاتَمان، أَحدُهما عَقيقٌ مُرَبَّعٌ، وعليه مكتوبٌ : [من الطويل]

تَعاظَمَني ذَنْبي فَلَمّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كانَ عَفْوُكَ أَعْظَما[3]

والآخرُ حديدٌ صِينيٌّ ، عليه : أَشهدُ أَن لا إِلَه إلاّ الله مُخلصاً .

وأَوصىٰ عند موته أَن يُغْسل الفَصُّ ويُجْعَلَ في فَمه .

• قال[4] جعفر بن محمَّد رضي الله تعالىٰ عنه : ما افتقَرَت يَدٌ تختَّمَت بخاتَمِ فَيروزجٍ .

• وقيل : الخواتِمُ أَربعةٌ : الياقوتُ للعطَش ، والفَيروزجُ للمال ، والعَقيق للسُّنَّة ، والحديدُ الصِّينيُّ للحِرز ، وقيل : للخوف . والله سُبحانه وتَعالىٰ أَعلم .

ذِكر ما جاء في الحَلْي :

• قيل[5] : إِنَّ قُرْطَيْ مارِيَّة بنت ظالِمِ بن وَهب بن الحارث بن مُعاوية كان فيهما دُرَّتان كَبَيْض الحَمام ، لم يُرَ مثلُهما ، ولم يُدْرَ قيمتهما .

• وقال[6] قَحْذَم : بَعَثَني يُوسف بن عُمر إِلىٰ هِشام بياقوتَةٍ حَمراءَ يَخْرُجُ طَرفاها من كَفِّي ، كانت للرّائِقةِ جاريةِ خالدِ بن عبد الله القَسْريّ ، اشتَرَتها

---

(١) عيون الأخبار (١/ ٣٠٢) وربيع الأبرار (٥/ ٢٩) .
(٢) عيون الأخبار (١/ ٣٠٣) وربيع الأبرار (٥/ ٢٩) وديوانه (٢/ ١٧٢) (فاغنر) .
(٣) في أ : . . . . فلما عَدَلتهُ × .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣١) .
(٥) ثمار القلوب (٢/ ٨٩٦) وربيع الأبرار (٥/ ٢٦) .
(٦) ربيع الأبرار (٥/ ٣٤) .

بثلاثةٍ وسَبعين أَلف دينار ، وحَبَّةِ لُؤلؤٍ أَعظمَ ما يَكونُ من الحَبِّ ، فدخلتُ عليه بهما فقال : أَكَتَبَ مَعك بِوَزْنِهما ؟ فقلتُ : يا أَميرَ المؤمنين ، هما أَعظمُ من أن يُكتَب بوزنهما ؛ فقال : صَدقت .

● وبعث[1] معاوية إِلىٰ عائشةَ رضي الله تعالىٰ عنها طوقاً من ذَهَب ، فيه جَوهرةٌ قُوِّمَت بمئةِ أَلف دينارٍ ، فَقَسَّمَتْهُ بين أَزواج النَّبيِّ ﷺ .

● وكان[2] مَلِكُ العرب كُلَّما مَرَّت عليه سَنَةٌ من سِنِيِّ مُلْكه زيدَت في تاجِهِ خَرَزَةٌ ، وكان يُقال لها : خَرَزاتُ المُلْك .

ذِكر ما جاء في الطِّيب والتَّطَيُّب :

● قال رسولُ الله ﷺ : « أَطْيَبُ الطِّيب المِسْكُ » .

● وعن[3] عائشةَ رضي الله تعالىٰ عنها قالت : كأَنِّي أنظرُ إِلىٰ وَبيصِ الطِّيب في مَفارقِ رسولِ الله ﷺ وهو مُحْرِمٌ .

● وعن[4] سَهل بن سَعد ، يرفعُه : « إِنَّ في الجَنَّةِ لمراغاً من مسك مثل مَراغِ دوابِّكم هذه » .

● وعن[5] أَنس رضي الله تعالىٰ عنه ، قال : دخلَ علينا رسولُ الله ﷺ ، فنامَ ، فعَرِقَ ، فجاءَت أُمِّي بقارورةٍ ، فجعَلَت تَسْلُتُ العَرَقَ فيها ، فاستيقظَ وقال : « يا أُمَّ سُلَيْم ، ما هذا الَّذي تَصنعين ؟» فقالت : هذا عَرَقُكَ نَجعلُه في طِيْبِنا ، وهو من أَطيبِ الطِّيب .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٣) .
(٢) ثمار القلوب (١/ ٣٠٨) وربيع الأبرار (٥/ ٣٢) والجماهر للبيروني (٢٥٦) .
(٣) عيون الأخبار (١/ ٣٠٤) وربيع الأبرار (٢/ ٥٣٤) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٥٣٤) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٥٣٥) ومطالع البدور (١/ ٦٢) .

• وعن[1] عمر رضي الله تعالىٰ عنه ، قال : لو كنتُ تاجِراً ما اختَرتُ علىٰ العِطر ، إن فاتني رِبْحُهُ لم يَفُتْني رِيْحُه .

• وناوَلَ[1] المُتوكِّلُ ابن أبي فنن فأرةَ المسك ، فقال[2] : [من الطويل]

لَئِنْ كانَ هذا طَيِّباً وهو طَيِّبٌ   لَقَدْ طَيَّبَتْهُ مِن يَدَيْكَ الأنامِلُ

• وأهدىٰ[3] عبدُ الله بن جَعفر لمعاوية قارورةً من الغاليه ، فسأله : كم أَنْفَقَ عليها ، فذَكر مالاً جزيلاً ، فقال : هذه غاليةٌ ؛ فَسُمِّيَت بذلك .

• وشَمَّها[3] مالِك بن أَسماء بن خارجة من أُخته هند بنت أَسماء ، فقال : عَلِّميني كيفَ تَصنعين طِيْبَك ؟ فقالت : لا أَفعلُ ؛ تُريدُ أَن تُعَلِّمَهُ جواريَك ؟ هو لك مِنِّي كُلَّما أَرَدْتَه ، ثم قالت : واللهِ إِنِّي ما تَعَلَّمْتُهُ إلاّ مِن شِعرك ، حيثُ تَقول : [من الخفيف]

أَطْيَبُ الطِّيْبِ طِيبُ أُمِّ أَبانٍ   فأرُ مِسْكٍ بِعَنْبَرٍ مَسْحوقُ[4]
[خَلَطَتْهُ بِعُودها وبِبانٍ   فهوَ أَحْوىٰ علىٰ اليَدَينِ سَريقُ]

• قال[5] أبو قِلابة : كانَ ابنُ مَسعودٍ رضي الله تعالىٰ عنه ، إذا خرجَ من بَيته إلىٰ المسجدِ عَرَفَ جِيرانُ الطَّريقِ أَنَّه مَرَّ ، من طِيْبِ رِيحه .

• وقال[6] عِكْرِمَة : رأَيتُ ابنَ عبّاسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما ، يَطلي جَسدَه ، فإذا مَرَّ في الطَّريق قال النّاس : أَمَرَّ ابنُ عبّاسٍ أَم مَرَّ المِسْكُ ؟ .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٣٥) ومطالع البدور (١/ ٦٢) .
(٢) ديوانه (١٧٠) (ضمن شعراء عباسيون) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٥٣٦) والمحب والمحبوب (٣/ ١٤٦ ـ ١٤٧) .
(٤) في ط : . . . عَرف أم أبان × . والزيادة من المحب والمحبوب .
(٥) عيون الأخبار (١/ ٣٠٣) وربيع الأبرار (٢/ ٥٣٨) .
(٦) عيون الأخبار (١/ ٣٠٤) وربيع الأبرار (٢/ ٥٣٨) .

• وعن[1] الحسن بن زيد الهاشمي ، عن أبيه ، قال : رأَيتُ ابنَ عبّاسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما حينَ أَحْرَمَ ، والغاليةُ علىٰ صَلْعَتِهِ كأَنَّها الرُّبُّ .

• وقال[1] أَبو الضُّحىٰ : رأَيتُ علىٰ رأسِ الزُّبير من المِسك ، ما لو كان لي لكانَ رأسَ مالٍ .

• وقيل[2] : لمّا بَنىٰ عمرُ بن عبد العزيز رضي الله تعالىٰ عنه بفاطمةَ بنت عبدِ الملك ، أَسْرَجَ في مَسارجِهِ تلكَ اللَّيلةَ بالغالِية .

• وقال[3] الشَّعبيُّ : الرائِحةُ الطَّيِّبةُ تَزيدُ في العَقل .

• وقال[4] عليٌّ كَرَّم الله تعالىٰ وَجهه : تَشَمَّموا النَّرْجِسَ ولو في العام مَرَّةً ، فإِنَّ في قلبِ الإِنسان حالةً لا يُزيلُها إِلاّ النَّرجسُ .

• وكان الشَّعبيُّ يقول : إذا وَرَدَ الورُد صَدَرَ البَرْدُ .

• وكانت[3] الصَّحابةُ رضي الله تعالىٰ عنهم يَسْتَحِبُّونَ إذا قاموا من اللَّيل أَن يَمَسُّوا لِحاهم بالطِّيب .

• وكان[5] مَن اختلفَ في طُرقات المدينةِ وَجَدَ عَرْفاً طَيِّباً ، قيل : ولذلكَ سُمِّيت طَيْبَة .

وأَقول : والله ما طابَت طَيْبَةُ إِلاّ بالطَّيِّب الطّاهر ﷺ .

• وما أَحسنَ ما قيل : [من الطويل]

إذا لم أَطِبْ في طَيْبَةٍ عند طَيِّبٍ ... بهِ طَيْبَةٌ طابَتْ فأَينَ أَطيبُ

---

(١) عيون الأخبار (١/ ٣٠٣) وربيع الأبرار (٢/ ٥٣٨) .
(٢) عيون الأخبار (١/ ٣٠٤) وربيع الأبرار (٢/ ٥٣٩) والذخائر والتحف (٨٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٥٤٠) .
(٤) محاضرات الراغب (٢/ ٥٧٣) .
(٥) ربيع الأبرار (٢/ ٥٤٢) .

• وقيل[1] : إِنَّ فأرَةَ المِسك دُوَيْبَّةٌ شَبيهةٌ بالخِشْفِ ، تُصادُ لِسُرَّتها ، فإذا صادَها الصَّيّادُ ، عَصَب السُّرَّةَ بِعِصابةٍ شَديدةٍ ، فيجتمعُ فيها دَمُها ثم يَذْبَحُها ، ثم يأخُذُ السُّرَّةَ فَيَدْفِنُها في الشَّعير ، حتَّىٰ يَستحيلَ الدَّمُ المجتمعُ فيها مِسْكاً ذَكيّاً ، بعد أَن كان لا يُرامُ نَتْناً .

• وقد[2] يُوجَدُ جِرْذانٌ سُودٌ ، يُقالُ لها فأراتُ المِسك ، ليسَ عندَها إِلاّ رائحةٌ لازمةٌ لها .

• وحُكيَ[3] أَنَّ العنبرَ يأتي علىٰ طُفاوة الماءِ ، لا يَدري أَحَدٌ مَعْدِنَهُ ، فلا يأكُله شيءٌ إِلاّ ماتَ ، ولا ينقُرُهُ طائرٌ إِلاّ بقيَ مِنقارُهُ فيه ، ولا يقعُ عليه حيوانٌ إِلاّ نَصَلَتْ أَظْفارُهُ فيه ؛ والتُّجّار والعطّارون رُبَّما وَجدوا أَظفاراً فيه .

• وقال[3] الزَّمخشريُّ عفا الله عنه : سمعتُ ناساً من أَهل مكَّة يقولون : هو من زَبَدِ بَحْر سَرَنْديب .

• وأَجْوَدُ[3] العنبرِ الأَشْهَبُ ، ثم الأَزرقُ ، وأَدْوَنُهُ الأَسودُ .

• وفي[3] حديثِ ابنِ عبّاس رضي الله عنهما : ليسَ في العنبرِ زَكاةٌ ، إِنّما هو شيءٌ نَثَرَهُ البَحْرُ .

• وأَمّا[4] **العُودُ** : فأَجْوَدُهُ المَنْدَليُّ ، وهو مَنسوبٌ إِلىٰ مَنْدَل ، قريةٍ من قُرىٰ الهند . وأَجودُهُ أَصْلَبُهُ ، وامتحانُ رَطْبِهِ أَن تَطْبَعَ فيه نَقْشَ الخاتَم ، فإِن انطبعَ فَرَطْبٌ ، وإِلاّ فلا .

ومن خَصائصه[3] : أَنَّ رائحتَه تَثبتُ في الثَّوبِ أُسبوعاً ، فلا يَقْملُ ما دامَت فيه .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٤٣) وثمار القلوب (١/ ٦١٠) وحيوان الجاحظ (٥/ ٣٠٤ و٧/ ٢١١).
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٥٤٤) وثمار القلوب (١/ ٦١١) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٥٤٥) والمحب والمحبوب (٣/ ١٤٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٥٤٩) والمحب والمحبوب (٣/ ١٤٢) .

• **وأمّا**[١] **الكافور** : فهو ماءٌ في جَوفِ شجرٍ مكفورٍ ، يَغْرِزونَهُ بالحديدِ ، فإذا خرجَ ظاهِراً وضَرَبَهُ الهواءُ انعقدَ كالصُّموغ الجامِدَة علىٰ الأشجار .

• **وأمّا**[٢] **النَّدُّ** : فمَصنوعٌ ، وهو العودُ المُطَرّىٰ بالمِسْكِ العَنْبَرِ والبانِ .

• قال الشّاعر[٣] : [من البسيط]

لو كنتُ أَحملُ خَمْراً حينَ زُرْتُكُمُ لم يُنْكِرِ الكَلْبُ أَنّي صاحبُ الدّارِ
لكنْ أَتَيْتُ وَرِيْحُ المِسْكِ يَقْدُمُني والعَنْبَرُ النَّدُّ مَشْبوباً علىٰ النّارِ

• وكانَت مُلوك الفُرس ، تأمرُ بِرَفْعِ الطِّيب أيّام الوَرْدِ .

• وكان[٤] المُتَوَكِّلُ يلبسُ أيّام الوَرْدِ الثِّيابَ المُورَّدَة ، ويفرشُ الوردَ في مَجلسه ، ويُطَيِّبُ جميعَ آلاته بالوَرْد .

• وقال الحسنُ بن سَهل : أُمَهّاتُ الرَّياحينِ تَقْوىٰ بأُمّهاتِ الطِّيبِ ؛ فالنَّرجسُ يَقْوىٰ بالوَرد ، والوَردُ يَقْوىٰ بالمِسك ، والبَنفسجُ يَقوىٰ بالعَنبرِ ، والرَّيحانُ يَقوىٰ بالكافورِ ، والنِّسرين يَقوىٰ بالعُود .

• وقال[٥] جالينُوس : المِسْكُ يُقَوِّي القلبَ ، والعَنبرُ يُقَوِّي الدِّماغَ ، والكافورُ يُقَوِّي الرِّئَةَ ، والعُودُ يُقَوِّي المَعِدَة ، والغالِيَةُ تَحُلُّ الزُّكامَ ، والصَّنْدَلُ يَحُلُّ الأورامَ .

• وعن[٦] أَبي هُريرة رضي الله تعالىٰ عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « لاتَرُدُّوا

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٤٩) والمحب والمحبوب (٣/ ١٤٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٥٥٠) والمحب والمحبوب (٣/ ١٤٦) .
(٣) البيتان لعيينة بن أسماء الفزاري في معجم الشعراء (١٠٩) وربيع الأبرار (٢/ ٥٥١) وفي المناقب والمثالب (٩٠٩) لمالك بن أسماء .
(٤) محاضرات الراغب (٢/ ٥٧٤) .
(٥) مطالع البدور (١/ ٦٢) .
(٦) عيون الأخبار (١/ ٣٠٤) وربيع الأبرار (٢/ ٥٤٦) .

الطِّيْبَ ، فإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ خَفيفُ المَحْمَلِ » .

• تَبَخَّرَ[1] بعضُ الأُمراءِ وعنده أَعرابيٌّ ، فَفَرطَت من الأَمير رِيحٌ خفيفةٌ ، فأَراد أَن يعلمَ هل فَطِنَ بها الأَعرابيُّ أَم لا ، فقال : ما أَطْيَبَ هذا المُثَلَّثَ ! قال : نعم ولكنَّك رَبَّعْتَها .

• وقال الأَحنفُ : إِنَّ شَمَّ رائِحةِ المسكِ يُحيي القلبَ .

• وقال سَلَمَة بن عيّاش في جَعفرُ بن سُليمان بن عليّ[2] : [من الطويل]

فما شَمَّ أَنْفي رِيحَ مِسْكٍ شَمَمْتُهُ ... مِنَ النّاسِ إِلاّ ريحُ كَفِّكَ أَطيبُ

فأَمرَ له بأَلف دينارٍ ، ومئة مِثقالِ مِسْكٍ ، ومئة مثقال عَنبرٍ .

والله أَعلمُ بالصَّواب، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٥٤٧)، والخبر فيه بين بعض الأُمراء ومُزَبِّد المدني؛ ومطالع البدور (١/ ٦٢).
(٢) له في ربيع الأبرار (٢/ ٥٥٥) .

البابُ الثّامن والأربعون

في الشَّباب ، والصّحة ، والعافية ، وأَخبار المُعَمَّرين ، وما أَشبه ذلك وفيه فصول

الفصل الأوَّل

في الشَّباب وفَضْله

• رُوي[1] عن ابن عبّاسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما أنَّه قال : ما بَعَثَ اللهُ نبيّاً إلاّ شابّاً ، ولا آتىٰ العلمَ عالِماً إلاّ شابّاً ؛ ثم تلا هذه الآية : ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء : ٦٠] .

وقد أَخبرَ اللهُ تعالىٰ أَنَّهُ آتىٰ يَحيىٰ بن زَكريّا الحِكمةَ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢] .

• وذَكَرَ الفِتْيَةَ في غيرِ مَوضعٍ من كتابِه ، فقال تعالىٰ : ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ [الكهف : ١٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾ [الكهف : ١٣] .

وقال تَعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف : ٦٠] .

• وقال[1] أَنس رضي الله تعالىٰ عنه : قُبض رسولُ الله ﷺ وليسَ في رأسِه ولِحيتهِ عِشرونَ شَعرةً بيضاءَ .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٦/ ١٠) .

● وقد قدَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ أُسامة بنَ زيدٍ علىٰ جَميعِ الأَنصارِ وكِبارِ المهاجرين ، علىٰ حَداثَةِ سِنِّهِ ؛ وعتّابَ بن أَسيد وَلاّهُ مكَّةَ وبها أَكابرُ قريشٍ ؛ وعبدَ الله بن عبّاس علىٰ جَلالة قَدْرِهِ وحَظِّهِ من العِلم .

● وقال بعضُ البُلغاء : الشَّبابُ باكورةُ الحياة ، وأَطيبُ العيشِ أَوائلُه ، كما أَنَّ أَطيبَ الثِّمار بَواكيرُها .

● والشَّبابُ أَبلغُ الشُّفعاء عندَ النِّساء ، وأَكثرُ الوسائِلِ لِقُلوبهنَّ ؛ ولذلك قال الشّاعر[1] : [من الكامل]

أَحلىٰ الرِّجالِ منَ النِّساءِ مَواقِعاً ... مَن كانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدودا

● وما بَكَتِ العربُ علىٰ شَيءٍ ما بَكت علىٰ الشَّباب ؛ ولو لم يكنْ هذا الشَّبابُ حَميداً وزمانُه حَبيباً ، لِوَسامَةِ صُورته وبَهجة مَنظره وجَمال خِلْقَته واعتدالِ قامَته ، لما جاورَ اللهَ في جَنّاتِ خُلْدِه الشَّبابُ ، كما قال رسولُ الله ﷺ : « جُرْداً مُرْداً أَبناءَ ثلاثين » .

وقد جاء في ذلك أَشياء كثيرةٌ ليسَ هذا موضعُ بَسْطها .

الفصل الثّاني

في الشَّيب وفَضله

● أَوَّلُ[2] مَن شابَ سيِّدُنا إِبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام .

● وفي الخبرَ أَنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : « الشَّيْبُ نُوري ، وأَنا أَسْتَحْيي أَن أَحرقَه بِناري » .

---

(١) البيت لأبي تمام في ديوانه (١/ ٤١٥) وعيون الأخبار (٤/ ٤٤) وبهجة المجالس (٢/ ٥٢) .

(٢) ثمار القلوب (١/ ٩٧٥) وربيع الأبرار (٣/ ١١٢) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٩) ومحاضرات الراغب (٢/ ٣٢٣) .

● وعن[1] جعفر بن محمّد ، عن أَبيه ، قال : جاءَ رَجلان إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، شيخٌ وشابٌّ ، فتكلَّمَ الشّابُّ قبل أَن يتكلَّمَ الشَّيخُ ، فقال عليه الصَّلاة والسّلام : « كَبِّرْ كَبِّرْ » .

● وبهذه الرِّواية : « مَن وَقَّرَ كبيراً لكبرِ سِنّه آمَنَهُ اللهُ مِن فَزَعِ يوم القيامة » .

● وعن[2] أَنس رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنه قال : « يقولُ الله تعالىٰ : وَعِزَّتي وجَلالي وَفاقة خلقي إِليَّ ، إِنِّي لأَستحيي من عَبدي وأَمَتي يَشيبان في الإِسلام أَن أُعَذِّبَهما » . ثم بكىٰ ، فقيل له : ما يُبكيك يا رسول الله ؟ قال : « أَبكي ممَّن يَستحي الله منه وهو لا يَستحيي من الله » .

● وقال[3] : « مَن بلغَ ثمانين من هذه الأُمَّة ، حرَّمه الله علىٰ النّار » .

● وقال[3] : « إِذا بلغَ المؤمنُ ثَمانين سنةً فإِنَّه أَسيرُ الله في الأَرض ، تُكتبُ له الحسناتُ وتُمحىٰ عنه السَّيِّئات » .

● وقيل[4] : كان الرَّجلُ فيمن كان قَبلَكم ، لا يَحتلمُ حتَّىٰ يبلغَ ثمانين سنة .

● وقال[4] ابنُ وَهبٍ : إِنَّ أَصغرَ مَن مات من وُلد آدمَ ابنُ مئتي سنة ؛ فَبَكَتْهُ الإِنسُ والجِنُّ لحداثَةِ سِنِّه .

● وقال[5] النَّخَعيُّ : كان يُقال : إِذا بلغَ الرَّجلُ أَربعين سنةً علىٰ خُلُقٍ ، لم يتغيَّرْ عنه حتّىٰ يموتَ .

● وعن[6] ابن عبّاس رضي الله عنهما ، رَفَعَهُ : « مَن أَتىٰ عليه أَربعون سنةً ثم

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٨٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٨٨) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٢٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٨٨) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٨٩) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٤٤) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٩٤) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٩٤) والتذكرة الحمدونية (٦/ ١١) .

لم يغلبْ خَيْرُهُ شَرَّه ، فلْيتجهَّزْ إلىٰ النّار » .

• وعن[1] أَنس رضي الله عنه قال : قال مَلِكُ الموت لِنُوحٍ عليه الصَّلاة والسَّلام : يا أَطْوَلَ النَّبيِّين عُمراً ، كيفَ وَجدتَ الدُّنيا وَلذَّتها ؟ قال : كَرَجُلٍ دخلَ في بيتٍ له بابان ، فقام وَسَطَ البيتِ ساعةً ، ثم خرجَ من الباب الثّاني .

• ويقال[2] : أَطِعْ أَكبرَ منك ولو بِلَيْلَةٍ .

• وقال[3] عبد العزيز بن أبي رواد : مَن لم يَتَّعِظْ بثلاثٍ لم يَنْتَهِ بِشيءٍ : الإِسلام ، والقُرآن ، والشَّيب .

• وقال الشّاعر[4] : [من السريع]

يـا عـامِـرَ الـدُّنيـا علـىٰ شَيْبِـهِ	فيـكَ أَعـاجيـبُ لِمَـنْ يَعْجَـبُ
مـا عُـذْرُ مَـن يَعْمُـرُ بُنْيـانَـهُ	وَعُمْـرُهُ منهـدمٌ يَخْـرَبُ

• وقال[5] الشَّعبيُّ : الشَّيْبُ عِلَّةٌ لا يُعادُ مِنها ، ومُصيبةٌ لا يُعَزَّىٰ عليها .

• وقال الفَرزدقُ[6] : [من الطويل]

وتقولُ : كيفَ يَميلُ مِثْلُكَ لِلصِّبا	وعليـكَ مـن عظَـةِ المشيـبِ عـذارُ
والشَّيْبُ يَنْهَضُ في الشَّبابِ كأَنَّهُ	لَيْـلٌ يَصيـحُ بِجـانِبَيْـهِ نَهـارُ

• وقال أَبو دُلَف[7] : [من الطويل]

تَـأَوَّبنـي هَـمٌّ لِبَيْضَـاءَ نـابِتَـهْ	لها بِغْضَةٌ في مُضْمَرِ القَلْبِ ثابِتَهْ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ١٠٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٠٧) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ١١٠) .
(٤) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ١١١) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ١١١) .
(٦) ديوانه (١/ ٤٦٧) وربيع الأبرار (٣/ ١١١) وبهجة المجالس (٢/ ٢١٨) .
(٧) له في ربيع الأبرار (٣/ ١١٢) .

ومِـن عَجَـبٍ أنّـي إذا رُمْـتَ قَصَّهـا   قَصَصْتُ سِواها وهي تَضْحَكُ شامِتَهْ

● وقال ابنُ المعتزّ[1] : [من الكامل]

فَظَلَلْـتُ أَطْلُـبُ وَصْلَهـا بِتَـذَلُّـلٍ   والشَّيْـبُ يَغْمِـزُهـا بـأَنْ لا تَفْعلـي

● قيل[2] : صاحَ شابٌّ بشَيخٍ أحدبَ : بِكَم ابْتَعْتَ هذا القَوْسَ يا عَمّاهُ ؟ فقال : يا بُنَيَّ ؛ إن عشتَ أُعطيتَها بغيرِ ثَمَنٍ .

● ومرَّ[3] رجلٌ أَشْمَطَ بامرأَةٍ عَجيبةٍ في الجَمال ، فقال : يا هذه ، إنْ كانَ لكِ زوجٌ فبارَكَ الله لكِ فيه ، وإلا فأعلمينا ؛ فقالت : كأَنَّكَ تَخطبُني ؟ قال : نعم ؛ فقالت : إنَّ فيَّ عيباً ؛ قال : وما هو ؟ قالت : شَيْبٌ في رأسي ؛ فَثَنىٰ عِنانَ دابَّتِهِ ؛ فقالت : علىٰ رِسْلِكَ ، فلا واللهِ ما بَلَغْتُ عِشرينَ سنةً ، ولا رأَيتُ في رأسي شَعرةً بيضاءَ ، ولكنَّني أَحببتُ أَن أُعلمَكَ أَنّي أَكرهُ منكَ مثلَ ما تكرهُ منّي ؛ فأنشد[4] : [من الوافر]

(أَرىٰ شيبَ الرِّجالِ منَ الغواني   بِمَـوقِـعِ شيبِهِـنَّ مِـنَ الـرِّجـالِ

● وقال ابن المعتزّ[5] :)[6] [من الطويل]

رَأَيْنَ الغواني الشَّيْبض لاحَ بِمَفْرَقي   فَأَعْرَضْنَ عَنِّي بالخُدودِ النَّواضِرِ

● وقال آخر : [من البسيط]

---

(١) له في ربيع الأبرار (٣/ ١١٢) ، وبلا نسبة في ديوان المعاني (٢/ ١٥٨) ، وليس في ديوانه .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١١٤) وبهجة المجالس (٢/ ٢٢٩) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٤٦) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ١١٥) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٣٠) .
(٤) البيت للنميري في ربيع الأبرار (٣/ ١١٥) ، وهو لمنصور النمري في ديوانه (١٢٠) .
(٥) كذا نسب البيت في أ ، ب إلىٰ ابن المعتز ، وليس في ديوانه ؛ وهو للعتبي في ربيع الأبرار (٣/ ١٠٩) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٢٠) ومعجم الشعراء (٣٥) والأغاني (١٤/ ٢٠١). وفي العقد الفريد (٣/ ٤٣) لمحمد بن أمية ، وهو العتبي ذاته . وهو في ديوان عمر بن أبي ربيعة (٤٩٣) .
(٦) من أ ، ب .

سأَلتُها قُبْلَةً يَوماً وقد نَظَرَتْ شَيْبي وقد كنتُ ذا مالٍ وذا نِعَمِ
فأَعْرَضَتْ وتَوَلَّتْ وهي قائِلَةٌ : لا والَّذي أَوْجَدَ الأَشياءَ من عَدَمِ
ما كان لي في بَياضِ الشَّيْبِ من أَرَبٍ أَفي الحياة يَكونُ القُطْنُ حَشْوَ فَمي

• وقال آخر : [من البسيط]

قالَتْ : أَي مِسْكَةَ الشَّعْرِ البَهيم غدَتْ كافُورَةً قد أَحالَتْها يَدُ الزَّمَنِ
فَقُلْتُ : طِيْبٌ بِطيبٍ والتَّنَقُّلُ في مَعادنِ الطِّيبِ أَمْرٌ غَيْرُ مُمْتَهَنِ
قالت : صَدَقْتَ وما أَنكرتُ ذا أَبداً المِسْكُ لِلعُرْسِ والكافورُ لِلْكَفَنِ

• وقال آخر : [من البسيط]

قالَت : أَراكَ خَضَبْتَ الشَّيْبَ ! قُلتُ لها : سَتَرْتُهُ عَنْكِ يا سَمْعي ويا بَصَري
فَقَهْقَهَتْ ثم قالَت مِن تَعَجُّبِها : تكاثَرَ الغِشُّ حتَّىٰ صارَ في الشَّعَرِ

• وقال ابن نُباتة[1] : [من السريع]

تَبَسُّمُ الشَّيْبِ بِوَجْهِ الفَتَىٰ يُوجِبُ سَحَّ الدَّمْعِ مِن جَفْنِهِ
وكيفَ لا يَبْكي علىٰ نَفْسِهِ مَن ضَحِكَ الشَّيْبُ علىٰ ذَقْنِهِ

• وقال ابنُ المعتزّ[2] : [من الطويل]

فما أَقْبَحَ التَّفْريطَ في زَمَنِ الصِّبا فكَيْفَ بِهِ والشَّيْبُ في الرَّأْسِ شامِلُ

• وكان المأمونُ يتمثَّلُ بقَول الشّاعرِ[3] : [من الطويل]

رَأَتْ وَضَحاً في الرَّأْسِ مِنِّي فَراعَها فَريقانِ مُبْيَضٌّ بِهِ وبَهيمُ
تَفاريقُ شَيْبٍ في السَّوادِ لَوامِعٌ وَما حُسْنُ لَيْلٍ ليسَ فيهِ نُجُومُ[4]

---

(١) ديوانه (٥٣٥) والثاني فيه باختلاف رواية .
(٢) ديوانه (٢/ ٤١٣) . وانظر ديوان المعاني (٢/ ١٥٦) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ١١٦) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٢٧) .
(٤) روايته في ط : × فيا حسن ليل لاح فيه نجوم .

• ويقالُ[1] في الرَّجُلِ إذا شابَ : لَيْلُهُ عَسْعَسَ ، وصُبْحُهُ تَنَفَّسَ .

• وقال آخر[2] : [من الطويل]

إذا نـازَلَ الشَّيْـبُ الشَّبـابَ فـأَصْلَتـا بِسَيْفَيْهِما فالشَّيْبُ لا شَكَّ غالِبُ[3]

• وقال آخر : [من الطويل]

أَلا إِنَّ شَيْـبَ العَبْـدِ مـن نُقْـرَة القَفـا وشَيْبُ كِرامِ النّاس شَيْبُ المَفارِقِ

• (وقال[4] عُمير بن هانِىء : التَّوْبَةُ تقولُ للشابِّ : أَهلاً ومَرحباً ، وتقولُ للشَّيخِ : نقبلُك على ما كان منك)[5] .

• وقال العُتْبيُّ[6] : [من البسيط]

قالَتْ : عَهِدْتُكَ مَجْنوناً ؛ فقُلتُ لها : إِنَّ الشَّبــابَ جُنُــونٌ بُــرْؤُهُ الكِبَــرُ

• وقال عليُّ بنُ ربيعة العبادي[7] : [من الطويل]

كَبِــرتُ ودَقَّ العَظْـمُ مِنِّـي وعَقَّنـي بَنِـيَّ وزالَـتْ عـن فِـراشـي القَعـائـدُ

وأَصْبَحْتُ أَعْشىٰ أَخْبِطُ الأَرْضَ بالعَصا تُقَــوِّدُنــي بَيْــنَ البُيــوتِ الــولائِــدُ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ١١٦) .
(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ١١٧) .
(٣) في أ ، ب : إذا نازع . . . × . . . غالبه .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ١١٨) .
(٥) من أ ، ب .
(٦) له في ربيع الأبرار (٣/ ١١٩) ومعجم الشعراء (٣٥٧) . وبلا نسبة في العقد الفريد (٣/ ٤٨) وفي (٣/ ٥٧) وعيون الأخبار (٢/ ٣٢٠) لابن أبي فنن ، وهو في ديوانه (١٥٦) . وفي التذكرة الحمدونية (٦/ ١٩) لضرار بن عمرو أو للعتبي .
(٧) له في ربيع الأبرار (٣/ ١١٩) .

• وقال آخرُ[١] : [من الوافر]

عَـرِيـتُ مـن الشَّبـابِ وَكُنْـتُ غَضّـاً ... كَمـا يَعْـرَىٰ مِـن الـوَرَق القَضيـبُ
ونُحْتُ علىٰ الشَّبـابِ بِدَمْعِ عَيْنـي ... فَمـا نَفَـعَ البُكـاءُ ولا النَّحيـبُ
فيـا لَيْـتَ الشَّبـابَ يُعـودُ يَـوْمـاً ... فـأُخْبِـرَهُ بِمـا فَعَـلَ المَشيـبُ

• وقال ابنُ النّقيب : [من الطويل]

وكمْ كان من عَيْنٍ عليها وحافِظٍ ... وكـم كـانَ مِـن واشٍ بهـا ورقيـبِ
فلمّـا بَـدا شَيْبـي اطْمَـأَنَّتْ قُلُـوبُهُـمْ ... ولـم يَحْفَظُـوهـا واكْتَفَـوا بِمَشيبـي

• وقال[٢] الإمام أحمد بن حَنْبَل رحمهُ الله تَعالىٰ : ما شَبَّهْتُ الشَّبابَ إلاّ كَشَيْءٍ كان في كُمِّي فَسَقَطَ .

• قال الشّاعر[٣] : [من الكامل]

شَيئـانِ لـو بَكَـتِ الـدِّمـاءَ عَليهمـا ... عَيْنـايَ حتَّـىٰ يُـؤْذِنـا بِـذَهـابِ
لـم يَبْلُغـا المِعْشَـارَ مِـن حَقَّيْهِمـا ... فَقْـدُ الشَّبـابِ وفُـرْقَـةُ الأَحبـابِ

• وقال الجاحظُ[٤] : [من الوافر]

أَتَـرْجُـو أَن تكـونَ وأَنْـتَ شَيْـخٌ ... كَمـا قَـدْ كُنْـتَ أَيّـامَ الشَّبـابِ
لَقَـدْ كَـذَبَتْـكَ نَفْسُـكَ ، لَيْسَ ثَـوْبٌ ... دَريـسٌ كـالجَـديـدِ مـن الثِّيـابِ

ومِمّا جاء في الخِضاب :

• قال[٥] ﷺ : «عَلَيْكُم بالخِضابِ ، فإِنَّهُ أَهْيَبُ لِعَدُوِّكُم وأَعْجَبُ لِنسائِكُمْ » .

---

(١) الأَبيات لأبي العتاهية في ديوانه ٣٢ وديوان المعاني (٢/ ١٥٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٣٣) .
(٣) هما لنفطويه في بهجة المجالس (٢/ ٢٢٠) . ولأبي العيناء في التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٥٤) . وبلا نسبة في مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٢٧٣) .
(٤) له في ربيع الأبرار (٣/ ١٣٨) ومختصر تاريخ دمشق (١٩/ ١٨٨ ـ ١٨٩) .
(٥) موقوفاً علىٰ عمر في عيون الأخبار (٢/ ٣٢٦) .

• وعن أَبي عامر الأَنصاريّ رضي الله عنه : رأَيتُ أَبا بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالىٰ عنه ، يُغَيِّرُ بالحِنّاء والكَتَم .

• وقيل : خِضابُ الحِنّاءِ يُصَفِّي البَصَرَ ، ويَذْهَبُ بالصُّداعِ ، ويَزيد في الباهِ .

• بيتٌ مفردٌ[1] : [من الطويل]

نُسَوِّد أَعلاها وَتَأْبَىٰ أُصولُها وَلَيْسَ إِلىٰ رَدِّ الشَّباب سَبيلُ

• وقيل[2] : وَفَدَ عبدُ المُطَّلب بن هاشِم علىٰ سَيْف بن ذي يَزَن ، فقال له : لو خَضَبْتَ شَعْرَك ؛ فلمّا رجعَ إِلىٰ مكَّة اختضَبَ ، فقالَت امرأَتُه نُتَيْلَة : ما أَحسنَ هذا لو دامَ ؛ فقال : [من الطويل]

ولو دامَ لي هذا الخِضابُ حَمِدْتُهُ وكان بَديلاً من خَليلٍ قد انْصَرَمْ
تَمَتَّعْتُ منه والحَياةُ قَصيرةٌ ولا بُدَّ من مَوتٍ نُتَيْلَةُ أَو هَرَمْ

• وقال آخر[3] : [من مجزوء الكامل]

يا خاضِبَ الشَّيْبِ الَّذي في كُلِّ ثالِثَةٍ يَعودُ
إِنَّ الخِضابَ إِذا نَضا فَكَأَنَّهُ شَيْبٌ جَديدُ
فَدَعِ المَشيبَ وما يُريـ ـدُ فَلَنْ يَعودَ كما تُريدُ

• وقال مَحمود الورّاق[4] : [من الوافر]

فَما مِنْكَ الشَّبابُ وَلَسْتَ مِنْهُ إِذا سامَتْكَ لِحْيَتُكَ الخِضابا

---

(١) قارن بما ورد في بهجة المجالس (٢/ ٢١٧) .
(٢) الأوائل (١/ ٢٧) وطبقات ابن سعد (١/ ٨٧ ـ ٨٨) والتذكرة الحمدونية (٦/ ٢٨) .
(٣) الأبيات لمحمود الوراق في التذكرة الحمدونية (٦/ ٢٩) وبهجة المجالس (٢/ ٢١٦) وديوانه (١٠٠) . وقال ابن عبد البر : وترونىٰ له ولغيره .
(٤) ديوانه (٢٤١) . وهو ليزيد بن الحكم في عيون الأخبار (٤/ ٥١) . وبلا نسبة في بهجة المجالس (٢/ ٢١٤) .

الفصل الثّالث

في العافية والصِّحَّة

• عن[1] أَبي هُريرة رضي الله تعالىٰ عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إِليك انتَهت الأَماني يا صاحبَ العافية » .

• وعنه[1] ﷺ أنَّه قال : « أَوَّلُ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامة أَن يُقالَ له : أَلَم أُصَحِّ بَدَنَك ، وأُرَوِّكَ من الماءِ البارد » ؟ .

• وقال[2] عليٌّ رضي الله تعالىٰ عنه في قولِه تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] . هو الأَمن والصِّحَّة والعافِيَة .

• وعن[2] ابن عبّاسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما : يَسأَلُ اللهُ العبادَ عن الأَبدانِ والأَسماعِ والأَبصارِ ، فيمَ استعملوها ؟ وهو أَعلمَ بذلك .

• وقال[2] ابنُ عُيَيْنَة : مِن تَمامِ النِّعمةِ طُولُ الحياةِ في الصِّحَّة والأَمنِ والسُّرور .

• وقالَت[3] عائشةُ رضي الله تعالىٰ عنها : لو رأَيتُ ليلةَ القَدْرِ ما سأَلتُ الله إلاّ العفوَ والعافية .

• وقال[4] قَبيصةُ بن ذُؤَيب : كُنّا نَسمعُ نِداءَ عبد الملِك بن مروان من وراء الحُجرة في مَرضه : يا أَهلَ النِّعم لا تَسْتَقِلُّوا شيئاً من النِّعم مع العافية .

• ويُقال[2] : البحرُ لا جِوار له ، والمُلْكُ لا صَديق له ، والعافيةُ لا ثَمنَ لها .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٨١) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٨٣) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢٨٤) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٢٨٥) .

● قال ابن الرُّومي[1] : [من الطويل]

إذا ما كَساكَ الدَّهْرُ سِربالَ صِحَّةٍ ... وَلَمْ تَخْلُ من قُوتٍ يَحِلُّ ويَعْذُبُ

فــلا تَغْبِطَــنْ أَهْـلَ الكثيـرِ فــإِنَّمــا ... علىٰ قَدْرِ ما يُعطيهمُ الدَّهْرُ يَسْلُبُ[2]

● ويُقالُ[3] : صِحَّةُ الجِسم أَوْفَرُ القِسَم .

● وذَكَرَ[4] بعضُهم العافيَة ، فقال : أَيُّ وطاءٍ ، وأَيُّ غِطاءٍ ، وأَيُّ عَطاءٍ .

● وقال[5] حكيمٌ : إن كانَ شيءٌ فوقَ الحياةِ فالصِّحَّةُ ، وإِن كان شيءٌ مِثلَ الحياةِ فالغِنىٰ ، وإِن كان شيءٌ فوقَ الموتِ فالمَرَضُ ، وإِن كان شيءٌ مثلَ الموتِ فالفَقْر .

● وقال[6] عليٌّ رضي الله تعالىٰ عنه : ما المُبتلَىٰ الَّذي اشتدَّ به البلاءُ ، بِأَحْوَجَ إلىٰ الدُّعاء من المُعافىٰ الَّذي لا يأمَنُ البلاء .

● وقيل[7] : إنَّ فأرةَ البُيوتِ رأَت فأرَة الصَّحراء في شِدَّةٍ ومِحْنَةٍ ، فقالت لها : ما تَصنعين هَهنا ؟ اذْهبي معي إلىٰ البُيوت الَّتي فيها أَنواع النَّعيم والخِصْبِ ؛ فذهبَت معها ، وإِذا صاحبُ البيتِ الَّذي كانَت تسكُنُه قد هيَّأَ لها الرَّصَدَ ، لَبنَةً تَحْتَها شَحْمَةً ، فاقتَحَمَت لِتأخُذَ الشَّحمةَ ، فوقَعت عليها اللَّبِنَةُ فَحطَمَتْها ، فَهرِبَت الفأرَةُ البَرِّيَّةَ ، وهَزَّت رأسَها مُتَعَجِّبةً ، وقالت : أَرىٰ نِعمةً كثيرةً وبلاءً شديداً ، أَلا وإِنَّ الفقرَ والعافيةَ أَحَبُّ إِليَّ مِن غِنىً يكونُ فيه الموتُ ؛ ثم فَرَّت إلىٰ البَرِّيَّة .

---

(1) ديوانه (١/ ١٨٧) .

(2) في ب : فلا تغبطنّ المكثرين فإنّما × .

(3) القول في ربيع الأبرار (٣/ ٢٨٨) لبلاش بن فيروز .

(4) القول لعبد الصمد بن المعذل في التوفيق (١١٣) وأجناس التجنيس (٢٨) . وبلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٢٨٧) .

(5) القول لبزرجمهر في ربيع الأبرار (٣/ ٢٨٨) .

(6) ربيع الأبرار (٣/ ٢٨٩) .

• وكان[1] عندَ رُوميٍّ خنزيرٌ ، فَربطه إِلىٰ أُسطوانةٍ ، ووضعَ العَلَفَ بين يديه لِيُسَمِّنَهُ ، وكان بِجنبه أَتانٌ لها جَحْشٌ ، وكان ذلك الجحشُ يلتقطُ من العلفِ ما يتناثرُ ؛ فقال لأمِّه : يا أُمّاه ، ما أَطيبَ هذا العلفَ لو دام ؛ فقالت له : يا بُنَيَّ لا تَقْرَبْهُ ، فإِن وراءه الطّامَّةُ الكُبرىٰ ؛ فلمّا أَرادَ الرُّوميُّ أَن يذبحَ الخِنزيرَ ، ووضعَ السِّكِّينَ علىٰ حَلْقِهِ ، جعلَ يضربُ وينفخُ ، فهربَ الجحشُ وأَتىٰ إِلىٰ أُمِّه ، وأَخرج لها أَسنانه وقال : ويحكِ يا أُمّاه ، انظري هل بَقيَ في خِلال أَسناني شيءٌ من ذلك العلفِ ؟ فاقلعيهِ .

فما أَحسنَ القنعَ مع السَّلامة ، والله أَعلمُ بالصَّواب .

الفصلُ الرّابع

في أَخبار المُعَمَّرين في الجاهليّة والإِسلام

• قال[2] الحسنُ رضي الله تعالىٰ عنه : أَفضلُ النّاس ثَواباً يومَ القيامة ، المؤمنُ المُعَمَّرُ .

• وقال[3] رسولُ الله ﷺ : « أَلا أُنَبِّئُكُم بِخِيارِكم ؟ قالوا : بلىٰ يا رسولَ الله ؛ قال : « أَطْوَلُكُمْ أَعماراً في الإِسلام إِذا سَدَّدوا » .

• وزَعموا[4] أَنَّ الرَّبيعَ بنَ ضُبَعٍ الفزاريّ كان من المعمَّرين ، وأَنَّه دخلَ علىٰ بعضِ خُلفاءِ بني أُميَّة ، فسأَله عن عُمره ، فقال : عِشْتُ مِئَتي سنةً في فَترة عيسىٰ بن مَريم عليه السَّلام ، ومئة وعشرين سنةً في الجاهليَّة ، وستِّين في الإِسلام .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٩٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١١٠) . والحسن هو البصري .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٨٩) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٦/ ٣٢) . وفي الأصول : أن تبع الفزاري ! .

- [أُتيَ[1] مُعاويةُ برجلٍ من جُرهم ، قد أَتت عليه الدُّهور ،] فقال له : أَخبرني عمّا رأَيتَ في سالفِ عُمرك ؛ قال : رأَيتُ الدُّنيا ليلةً في إثر ليلةٍ ، ويوماً في إثر يومٍ ، ورأَيتُ النّاسَ بين جامعٍ مالاً مُفَرَّقاً ، ومُفَرِّقٍ مالاً مَجموعاً ؛ وبينَ قَويٍّ يَظلمُ ، وَضعيف يُظْلَمُ ؛ وصغيرٍ يكبرُ ، وكبيرٍ يَهرمُ ؛ وحَيٍّ يَموتُ ، وجَنين يُولَدُ ؛ وكلُّهم بينَ مَسرورٍ بموجود ومَحزونٍ بمفقود .
- وقد قال ابن الجوزي : إنَّ آدمَ عليه السَّلام عاش أَلف سنة ، وعاش ابنُه شِيث تسعمئة سنةً ، وعاش ابنه مَهلاييل ثمانمئة وخمساً وتسعين سنةً ، وعاش ابنُه إدريس ثلاثمئة وخمساً وسِتِّين سنة ، وعاش ابنه هُود تسعمئة واثنتين وستِّين سنةً ، وعاش ابنُه مَتُوشَلَخ تسعمئة وستين سنةً .
- وأَمّا ابنُه نُوح عليه السَّلام ، فَرُوي عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما أَنّه قال : عاشَ نوحٌ عليه السَّلام أَلفاً وأَربعمئةً وخمسين عاماً .
- وأَمّا الخَضِر عليه السَّلام ، واسمُه خَضرون ، فهو أَطولُ بني آدم عُمراً .
- وذُكر أَنَّ لُقمان عليه السَّلام ، عاش ثلاثة آلاف وخَمسمئة سنة .
- وكانت[2] العربُ لا تعدُّ من الأَعمار إلّا ما بلغ مئةً وعشرين سنة فما فوقها .
- وعاش أَكثمُ بن صَيْفيّ ثلاثمئة وستِّين سنةً ، وأَدرك الإسلام .
- وعاش سَطيحٌ سبعمئة سنة .
- وعاش قُسُّ بن ساعِدَة الإياديّ سبعمئة سنةً ، وكان من حُكماء العَرب .
- وعاش لَبيد بن ربيعة الشّاعر مِئةً وعشرين سنة ، وأَدرك الإسلام .
- وعاش دُريد بن الصِّمَّة مئة وسبعين سنة ، حتَّىٰ سقطَ حاجِباه علىٰ عَينيه ، وأَدرك الإسلام ولم يُسلم .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٦/ ٣٢) والزيادة منه .

(٢) التذكرة الحمدونية (٦/ ٣٢) .

● ومن المعمَّرين عديُّ بن حاتم الطّائيُّ وزهير بن جَناب عاشا مِئتين وعشرين سنةً .

● ومن المعمَّرين ذو الإصبع العَدْوانيّ عاش مئتين وعشرين سنة ، وهو أَحدُ حُكماء العَرب في الجاهليّة .

● ومن المعمَّرين : مَعدي كرب من آل رُعين[1] .

● ومن المعمَّرين : عبدُ المسيح بن بُقيلة ، عاش ثلاثمئة وعشرين سنةً ، وأدرك الإِسلام .

● وقد رأَيتُ رجلاً من أَهل مَحَلَّة مسير بالغَربيَّة ، وذَكَرَ أَنَّه بلغ من العُمر مِئةً وأَربعين سنةً ، وأَنَّ امرأَته بلغَت من العُمر كذلك ، ولقد رأَيتُ منه ما لم أَر من بعض شُبّان هذا العصر في القُوَّة وشِدَّة البأس ، ورأَيتُ له وَلداً شيخاً هو أَشَدُّ قُوَّةً من ولده ، وذلك في صَفر سنة تسعٍ وعشرين وثَمانمئة . والله سُبحانه وتعالىٰ أَعلم .

* * *

---

(١) في الأصول : عمرو بن معدي كرب الزبيدي . وأثبت الصواب من التذكرة الحمدونية (٦/ ٣٨) .

البابُ التّاسع والأربعون

في الأَسماء ، والكُنىٰ ، والألقاب ، وما استُحسن منها

• فأَشرفُ الأَسماء وأَعظَمُها : « بِسم الله الرَّحمن الرَّحيم » قال اللهُ تعالىٰ : ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم : ٦٥] .

• وعن[1] ابنِ عبّاسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما ، عن رسولِ الله ﷺ : « مَن رَفَعَ قِرطاساً من الأَرضِ مَكتوباً عليه « بسم الله الرَّحمن الرَّحيم » إجلالاً له ولاسمِه عن أَن يُداسَ ، كان عندَ الله من الصِّدِّيقين ، وخَفَّفَ عنه وعن والديهِ العذابَ وإِن كانا مُشْرِكَيْنِ » .

• وعن[1] ابن عبّاس رضي الله تعالىٰ عنهما : لم يَرِنَّ إبليسُ لَعَنَهُ الله قطُّ إلاّ ثلاث رَنّات ؛ رَنَّةٌ حين لُعِنَ وأُخرج من مَلكوت السَّموات والأَرضِ ، وَرَنَّةٌ حين وُلِدَ محمَّد ﷺ ، ورَنَّةٌ حين أُنزلت سُورة الحَمْد ، وفي أَوّلها « بسم الله الرَّحمن الرَّحيم » .

• وعن[2] رسولِ الله ﷺ : « لا يُرَدُّ دُعاءٌ أَوَّلُهُ « بِسم الله الرَّحمن الرّحيم » ، وإِنَّ أُمَّتي يأتونَ يومَ القيامةِ يقولون « بسم الله الرَّحمن الرَّحيم » فتثقلُ حَسناتُهم في الميزان ، فتقولُ الأُممُ : ما أَثقلَ موازينَ أُمَّةِ محمَّد ! فتقول الأَنبياءُ عليهم الصَّلاة والسَّلام : ابتداءُ كلامِهم ثلاثةُ أَسماءَ من أَسماءِ الله تعالىٰ ، لو وُضِعَتَ في كِفَّةِ الميزانِ وَوُضِعَتْ سَيِّئاتُ الخَلْقِ في كِفَّةٍ لرجَحَتْ كِفَّةُ الأَسماءِ » .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥) .

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٦) .

وأَمّا الأَسماءُ والكُنىٰ :

• ففي « صحيح مُسلم »[1] عن ابن عُمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أَحَبُّ أَسمائِكم إِلىٰ الله تعالىٰ عبدُ الله وعبدُ الرَّحمن ، وأَصْدَقُها حارث وهمّام ، وأَقْبَحُها حَرْبٌ ومُرَّة » .

• ويَنبغي أَن تُنادي مَن لا تَعرفُ اسمَه بعبارةٍ لَطيفةٍ لا يَتَأَذّىٰ بها ، ولا يكونُ فيها كَذِبٌ ، كقولِك : يا فَقيه ، يا أَخي ، يا فَقيرُ ، يا سيِّدي ، يا هذا ، يا صاحبَ الثَّوب الفُلانيّ ، أَو البَغل الفُلانيّ ، أَو الفَرس الفُلانيّ ، أَو السَّيف الفُلانيّ ، أو الرمح ، وما أَشبهَ ذلك .

• ودخلَ[2] عُبادة علىٰ المُتَوَكّل وبين يديه جامٌ من ذَهبٍ فيه أَلفُ مِثقالٍ ، فقال له : أَسأَلُك عن شيءٍ إن أَجبتني عنه ابتداءً من غيرِ أَن تُفكِّرَ فَلَكَ الجامُ بما فيه ؛ فقال : سلْ يا أَمير المؤمنين ؛ قال : أَسأَلُك عن شيءٍ له اسمٌ ولا كُنيَةَ له ، وعن شيءٍ له كنيةٌ ولا اسمَ له ؛ قال : المنارةُ ، وأَبو رِياح ؛ فعجبَ المتوكِّلُ وأَعطاهُ الجامَ بما فيه .

• وقيلَ[3] لعُثمان « **ذو النُّورَيْن** » رضي الله عنه ، لأَنَّه هو وَرُقَيَّة كانا أَحْسَنَ زَوجينِ في الإِسلام ؛ وقيل : لأَنَّه تَزَوَّجَ بِرُقَيَّةَ ثم بأُمِّ كُلثوم ابنتَيْ رسولِ الله ﷺ ، ولم يُوجَدْ مَن تَزَوَّجَ بابنتَيْ نَبيٍّ غَيرُه .

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٢ رقم ٢١٣٢) وربيع الأبرار (٣/ ٦ و١٠) .

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٩) . وفي ثمار القلوب (١/ ٣٩٥) : دخل أبو عبادة . فإذا كان « عبادة » فهو المخنث ، وإذا كان « أبو عبادة » فهو البحتري ، وهو الأرجح .

(٣) ثمار القلوب (١/ ٤٤٨) وربيع الأبرار (٣/ ١٩) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٥) .

• وكان[1] قَتادة بن النُّعمان الأنصاري رضي الله تعالىٰ عنه ، أُصيبَ في عَينه يومَ أُحُدٍ ، فسقَطَت علىٰ خَدِّه ، فَرَدَّها رسولُ الله ﷺ ، فكانت أَحسنَ وأَصَحَّ من الأُخرىٰ ، فكانت تَعْتَلُ ـ أي تَرْمَدُ ـ عَيْنُهُ الباقيةُ ، ولا تَعْتَلُّ عَيْنُهُ المَردودةُ ؛ فقيل له : **ذو العَينين** .

• وقال[2] **أَبو هُريرة** رضي الله تعالىٰ عنه : كُنِّيتُ بِهرَّةٍ صغيرةٍ كُنتُ أَحملُها في حِجْري فأَلعبُ بها ، وكان رسولُ الله ﷺ يقولُ : « يا أَبا هِرّ » واختُلِف في اسمِه، فقيل: عبدُ الرّحمن، وقيل: عبدُ شمس، وقيل: عُمير، وقيل: سُكين.

• وقال[3] الشَّعبيُّ رضي الله تعالىٰ عنه : كُنْيَةُ الدَّجّال : **أَبو يوسُف** .

• **ذو المُشَهَّرَةِ**[4] : أَبو دُجانة الأَنصاري رضي الله تعالىٰ عنه ، كان له شهرة يلبسها بين الصَّفَّين .

• **ذو الرِّئاستين**[5] ، الفَضْل بن سَهْل ، لأَنَّه دَبَّر أَمْرَ السَّيْفِ والقَلَم ، وَوَلي رئاسَةَ الجُيوش والدَّواوين ؛ ودخلَ عليه شاعرٌ يوم المِهرجان ، وبين يديه الهدايا ، فقال[6] : [من مجزوء الكامل]

اليـــومُ يَـــوْمُ المِهْـــرَجـــانِ وهَـــدِيَّتـــي فيـــهِ لِســـانـــي

---

(١) ثمار القلوب (١/ ٤٤٩) وربيع الأبرار (٣/ ٢٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٣) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٦) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢٦) .
(٤) ثمار القلوب (١/ ٤٥٠) وربيع الأبرار (٣/ ٢٨) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٧) .
(٥) ثمار القلوب (١/ ٤٥٥) وربيع الأبرار (٣/ ٢٩) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٣٠١) .
(٦) الأبيات بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٢٩) .

لَـــكَ دَوْلَتـــانِ حَـــديثَـــةٌ وقَـــديمَـــةٌ وَرِئـــاسَتـــانِ
لـــك فـــي الـــذُّرىٰ مـــن هـــاشِـــمٍ بَيْـــتٌ وبَيْـــتٌ خُســـروانـــي
عَلِـــمَ الخليفَـــةُ كيـــفَ أَنْـــ ـــتَ فَصِـــرْتَ فـــي هـــذا المكـــانِ

فأمر له بجميعِ الهدايا .

• **المُطَيّبون**(١) : بنو عبد مَناف ، وبنو أَسد بن عبد العُزّىٰ ، وزُهْرَة بن كِلاب ، وتَيْم بن مُرَّة ، والحارث بن فِهر ، غَمسوا أَيديَهم في خَلوقٍ ثم تَحالَفوا .

• **شَيْبَةُ الحَمْد**(٢) : عبدُ المُطَّلب ، لُقّب بِشَيْبَةٍ كانَت في رأْسِهِ حينَ وُلدَ ؛ قال حُذافة : [من الطويل]

بَنَي شَيْبَةِ الحَمْدِ الَّذي كانَ وَجْهُهُ يُضِـيءُ ظـلامَ اللَّيْـلِ كـالقَمَـرِ البَـدْرِ

وقيلَ له : عبدُ المُطَّلب ، لأَنَّ عَمَّهُ المُطَّلب مَرَّ بهِ في سُوقِ مكَّة مُرْدَفاً ، فَجعلوا يقولون : مَن هذا الَّذي وراءك ؟ فيقولُ : عَبْدٌ لي .

• سيِّدُنا(٣) أَبو بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالىٰ عنه ، اسمُه عبدُ الله ، ولَقَباه **العَتيق والصِّدِّيق** ، لجَماله وتَصديقه بِخَبَرِ الإِسراء ، أَو لأَنّه أَوّل مَن صَدَّق رسولَ الله ﷺ .

• سيِّدُنا(٤) عُمر رضي الله تعالىٰ عنه ، **لُقِّبَ بالفاروق** ، لأَنَّه قال يومَ أَسلم : لا يُعْبَدُ اللهُ اليومَ سِرّاً ؛ فظَهر بهِ الإِسلامُ ، وفَرَّقَ بينَ الحَقِّ والباطل .

---

(١) ثمار القلوب (١/ ٢٥١) وربيع الأبرار (٣/ ٣١) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٦٩)
(٢) ثمار القلوب (١/ ١٨٧) وربيع الأبرار (٣/ ٣٣) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٦٩) . وبيت حذافة السهمي له في ربيع الأبرار .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٧) .

• **الكامل**[1] : سَعْدُ بن عُبادة رضي الله تعالىٰ عنه ، لأَنّه كان يكتبُ ويُحسنُ الرَّمْيَ والعَوْمَ .

• طلْحةُ[2] بن عبيد الله رضي الله تعالىٰ عنه ، كان يُقال له : **طلحةُ الخيْر** ، وطلحةُ الفَيّاض ، وطَلْحة الطّلَحات لسَخائِه .

• **رَشْحُ الحَجَر** ، **وأَبو الذِّبّان**[2] : عبدُ الملِك بن مروان ، لُقِّبَ بذلك لِبُخْلِهِ وبَخْرِهِ .

• **عُكَّة العَسَل**[3] : سعيدُ بن العاص ، [وكان دَميماً نحيفاً] .

• **الحَبْر**[4] : عبدُ الله بن عبّاس رضي الله تعالىٰ عنه ، لُقِّبَ بذلكَ لِعِلْمِهِ ؛ كان يُقالُ له مَرَّةً : الحَبْر ، ومَرّةً البَحْر .

• **الأَشْدَق**[5] : عَمرو بن سَعيد ، لأَنَّه كان مائِلَ الشِّدْقِ .

• **الفَيّاض**[6] : عِكْرِمَة بن رِبْعيّ ، لُقِّب بذلكَ لِسَخائه .

• **المُصْطَلِق**[7] : جَذيمةُ بن سَعْد الخُزاعي : قيل له المُصْطَلق لِحُسْنِ صَوْتِهِ وشِدَّتِهِ ؛ وكان أَوَّلَ مَن غَنّىٰ من خُزاعة .

• **راح يَكذبُ**[8] : لُقِّبَ به المُهَلَّبُ ، لأَنّه كان يَضَعُ الحديثَ أَيّام الخوارج

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٧) .
(٢) ثمار القلوب (١/ ٣٩٣) وربيع الأبرار (٣/ ٣٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٨) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٨) . والزيادة منهما .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٨) . وبيان الجاحظ (١/ ٣١٥) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٣٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٨) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٣٧) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٨) .
(٧) ربيع الأبرار (٣/ ٣٩) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٧١) .
(٨) ربيع الأبرار (٣/ ٣٩) .

فَيُحَدِّثُ به ، فإذا رأَوهُ قالوا : راحَ يَكذبُ .

• **واصِلُ الغزّال**[١] : كان يُكْثِرُ الجلوسَ في سُوقِ الغزّالين ، وكان يَتتبَّعُ العَجائز فيه فيتصدَّقَ عليهنَّ ، ولم يَكُنْ غَزّالاً .

• **سُليمان التَّيْمي**[٢] : كانت دارُه ومَسجدُه في بني تَيْمٍ ، ولم يكنْ منهم ، وهو شَيْبانيٌّ .

• **أَبو عَمرو الشَّيباني**[٣] : لم يكنْ من بني شَيْبان ، وإِنّما كان يُعَلّمُ يَزيد بن مَزْيَد الشَّيبانيّ .

• **اليزَيدي**[٤] : كان يُعَلِّمُ يَزيدَ بن مَنصور الحِمْيَريّ ، فَنُسِبَ إِليه .

• **ذو القُروح**[٥] : امرُؤُ القَيْس ، كان مَلِكُ الرُّوم كَساهُ الحُلَّةَ المسمومةَ ، فقَرَّحَتْهُ .

• وقالوا[٦] : لم تكن الكنىٰ لأَحدٍ من الأُممِ إلاّ العرب ، وهي مفاخرهم .

• وقال بعضُهم[٧] : [من البسيط]

أُكْنيهِ حِيْنَ أُناديهِ لأُكْرِمَهُ وَلا أُلَقِّبُهُ ، والسَّوْءَةُ اللَّقَبُ

• وقيل[٨] في قَوله تعالىٰ : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه : ٤٤] أَي كَنِّياه .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٤٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٩) .
(٤) هو يحيىٰ بن المبارك . ربيع الأبرار (٣/ ٤١) والتذكرة الحمدونية ٨/ ٢٩٩ .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٤٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٩٩) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٥٣) .
(٧) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٣) والمرصع (٤١) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٤١) .
(٨) ربيع الأبرار (٣/ ٥٣) .

• ولمّا[1] ضَرَبَ موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام البَحْرَ ولم يَنْفَلِقْ ، أَوحىٰ الله تَعالىٰ إليه أَن كَنِّه ، فقال : انْفَلِقْ أَبا خالدٍ ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء : ٦٣] .

وأَمّا الأَلقابُ :

• فقد قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات : ١١] . سَمّاهُ اللهُ تَعالىٰ فُسُوقاً .

واتَّفَقَ العُلَماءُ رضي الله تعالىٰ عنهم علىٰ جَوازِ ذلك علىٰ وجهِ التَّعريفِ لِمن لا يُعْرَفُ إلّا بذلك ، كالأَعمش ، والأَعمىٰ ، والأَعرج ، والأَحول ، والأَفطس ، والأَقرع ، ونحو ذلك .

• وقَلَّ[2] من المشاهيرِ في الجاهليَّة والإسلامِ مَن ليسَ له لَقَبٌ ، ولم يَزَلْ في الأُممِ كُلِّها يَجري في المخاطباتِ والمكاتباتِ من غير نَكيرٍ ؛ غيرَ أَنَّها كانت تُطْلَقُ علىٰ حسبَ الموسُومين بها ؛ وأَمّا ما استُحسن من تلقيبِ السِّفْلَةِ بالأَلقابِ العَلِيَّةِ حتّىٰ زالَ الفَضْلُ وذهبَ التَّفاوتُ ، وانقلبَ النَّقْصُ والشَّرَفُ شَرْعاً واحِداً فَمُنْكَرٌ .

وهَبْ أَنَّ العُذْرَ مَبْسوطٌ في ذلك ، فما العُذْرُ في تَلْقيب مَن ليس من الدِّين في دَبيرٍ ولا قَبيلٍ ، ولا له فيه ناقةٌ ولا فَصيلٌ ، بل هو مَحتوٍ علىٰ ما يُضادُّ الدّين ويُنافيهِ ، بِجَمال الدّين وشَرَف الإسلام ؟ وهي لَعَمْرُ اللهِ الغصَّةُ الَّتي لا تُساغُ ، والغُبْنُ الَّذي يعجزُ الصَّبْرُ دونَه فلا يُستطاعُ ؛ نسَأَلُ الله تعالىٰ إعزازَ دينِه وإِعلاءَ كَلمته ، وأَن يُصلحَ فَسادنا ويُوقظَ غافِلنا .

---

(١) المرصع (١٥٢) .

(٢) عن ربيع الأبرار (٣/ ٥٤ ـ ٥٥) .

• والرَّجلُ يَتكنَّىٰ باسمِ وَلده ، والمرأَةُ كذلك ، وإذا كَنَّوا مَن لم يكنْ له وَلَدٌ ، فَعلىٰ جِهَةِ التَّفاؤُلِ ، وبِناء الأمَر علىٰ رَجاءِ أَن يعيشَ فيولَدَ له ؛ وقد يُكنونَ بما يلاءمُ المَكْنيَّ من غير الأولاد ، كقولِ رسولِ الله ﷺ في عليٍّ رضي الله تعالىٰ عنه « أَبو تُراب » وذلك أنَّه نام في غَزوة ذي العُشَيْرَة ، فذهبَ به النَّومُ ، فجاءَ رسولُ الله ﷺ وهو مُتَمَرِّغٌ في التُّرابِ ، فقال له : « اجلسْ أَبا تُراب » وكان أَحَبَّ أَسمائِه إِليه .

وكقَولهم : أَبو لَهَبٍ ، لِحُمْرَةِ خَدَّيْهِ ولَونه .

• وقال الزَّمخشريُّ رحمه الله تعالىٰ[1] : وسمعتُهم يُكنونَ الكَبير الرّأس والعمامة بأَبي الرّأس وأَبي العِمامة .

• وسمعتُ العربَ يُنادون الطَّويل اللَّحيةِ : يا أَبا الطَّويلة ؛ وسمعتُ عَرَبَ البُحيرة يُكنونَ بأَسماء بَناتهم ، كأَبي زَهْو ، وأَبي سُلطانة ، وأَبي ليلىٰ ، ونحو ذلك ؛ ولا حرجَ في ذلك .

• وقد تَكَنَّىٰ جماعةٌ من أَفاضل الصَّحابة بأَبي فُلانة ؛ منهم سيِّدنا عثمان بن عفّان رضي الله تعالىٰ عنه ، كان له ثلاثُ كُنىٰ : أَبو عَمرو ، وأَبو عبد الله ، وأَبو ليلىٰ .

ومنهم أَبو أُمامة ، وأَبو رُقَيَّة : تَميم الدّاريّ .

وأَبو كريمة : المقدادُ بن مَعدي كَرب .

وكثيرٌ من الصَّحابة ومن التّابعين ، رضوان الله عليهم أَجمعين .

أَبو عائشة : مَسروق بن الأَجدع .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٥) .

• وكان[1] لأَنس أَخٌ صغيرٌ ، وله نُغَيْرٌ يلعبُ به ، فمات ، فدخلَ رسولُ الله ﷺ فرآهُ حَزيناً ، فقال : « ما شأنه ؟» فقالوا : مات نُغَيْرُهُ ؛ فقال : « يا أَبا عُمَيْر ، ما فَعَلَ النُغَيْر ؟» .

• ونظرَ[2] المأمونُ إِلىٰ غُلامٍ حَسنٍ في الموكبِ ، فسأَله عن اسمِه ، فقال : لا أَدري ؛ فقال : (أَوَ يكونُ أَحدٌ لا يَعرفُ اسمَهُ ؟ قال : فاسمي الَّذِي أُعرفُ به : لا أَدري ؛ فقال :)[3] [من الطويل]

تَسَمَّيْـتَ لا أَدْري فـإِنَّـك لا تَـدري ... بِما فَعَلَ الحُبُّ المُبَرِّحُ في صَدري

• وعن عليٍّ رضي الله تعالىٰ عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : « إِذا سَمَّيْتُمُ الوَلَدَ محمّداً فأَكرموه ، ووَسّعوا له في المجلس ، ولا تُقَبِّحوا له وَجْهاً » .

• وعنه : « ما مِن قَومٍ كان بينَهم مَشورةٌ فحضرَ مَن اسمُه محمّد أَو أَحمد ، فأَدخلوه في مَشورتهم إِلاّ كان خيراً لهم ؛ وما من مائدةٍ وُضِعَت فحضَر عليها من اسمه محمّد أَو أَحمد ، إِلاّ قَدَّسَ الله ذلك المنزلَ في كُلِّ يومٍ مرَّتين ؛ كلُّ ذلك ببركةِ هذا الاسمِ الشَّريف » .

وممّا جاء في مَدح الأَسماء منظوماً :

• قال بعضُهم في مليحٍ اسمه إِبراهيم : [من الطويل]

رَأَيْـتُ حَبيبـي فـي المَنـامِ مُعـانِقـي ... وذَلِـك للمَهْجُـورِ مَـرْتَبَـةٌ عُلْيـا

وَقَد رَقَّ لي مِن بَعْدِ هَجْرٍ وَقَسْوَةٍ ... وما ضَرَّ إِبراهيمَ لو صَدَّقَ الرُّؤْيا

---

(١) ربيع الأبرار (١/ ٥٧) .

(٢) ربيع الأبرار (١/ ٦٢) ومحاضرات الراغب (١/ ٣٣٧) .

(٣) من أ ، ب .

• وفيه أَيضاً : [من الكامل]

لا زالَ بـابُـكَ كَعْبَـةً مَحْجُـوجَـةً ... وتُـرابُهـا فَـوْقَ الجِبـاهِ وَسيـمُ

حتّىٰ يُنادىٰ في البِقاعِ بأَسْرِها : ... هـذا المَقـامُ ، وأَنْـتَ إِبـراهيـمُ

• وفيه أَيضاً : [من الخفيف]

يـا سَمِـيَّ الخَليـلِ إِنَّ فُـؤَادي ... فيـهِ مِـن لَـوْعَـةِ الغَـرامِ جَحيـمُ

وعَجيـبٌ يـا قـاتِلـي أَنَّ قَلْبـي ... فيـهِ نـارٌ وأَنْـتَ فيـهِ مُقيـمُ

• ولبعضِهم في مَليحٍ اسمُه عُمر : [من البسيط]

يا أَعْدَلَ الأُمَّةِ اسْماً كَمْ تَجُورُ علىٰ ... فُـؤَادِ مُضْنـاكَ بـالهِجْـرانِ والبَيْـنِ

أَظُنُّهُـمْ سَـرَقُـوكَ القـافَ مـن قَمَـرٍ ... وأَبْـدَلُـوهـا بِعَيْـنٍ خِيْفَـةَ العَيْـنِ

• وفيه أَيضاً : [من الرمل]

مـا عَلَيْهِـمْ فـي الهَـوىٰ لَـوْ نَظَـروا ... حَيْـنَ سَمَّـوْكَ فقـالُـوا : عُمَـرُ

أَبْـدَلُـوا قـافَـكَ عَيْنـاً غَلَطـاً ... أَخْطَـأوا مـا أَنْـتَ إِلاَّ قَمَـرُ

• ولبعضِهم في مَليحٍ حامِلٍ شَمعةٍ مَوقودَةٍ اسمُه عُثمان : [من الكامل]

وافَـىٰ إِلَـيَّ بِشَمْعَـةٍ ، وضِيـاؤُهـا ... وَضِيـاؤُهُ حَكَيـا لَنـا القَمَـرَيْـنِ

نادَيْتُهُ : ما الاسْمُ يا كُلَّ المُنىٰ ؟ ... فـأَجـابنـي : عُثمـانُ ذو النُّـورَيْـنِ

• ولبعضِهم في مَليحٍ اسمُه يُوسف : [من الكامل]

يـا مَـن سَبـىٰ الشُّعَـرا بِنَمْـلِ عِـذارِهِ ... النَّجْـمُ يَشْهَـدُ لـي بِـأَنِّـي مُـذْنَـفُ[1]

صَيَّـرْتَ قَلْبـي مِـن صُدودِكَ فـاطِـراً ... فـامْنُـنْ عَلَـيَّ بِـزَوْرَةٍ يـا يُـوسُـفُ

• وللصَّفيّ الحِلّي فيمن اسمُه داود[2] : [من الكامل]

---

(١) في ط : يا من سبىٰ الشعراء غل عذاره × .

(٢) ديوانه (٤٦٨) .

وَثِقْتُ بأَنَّ قَلْبي مِن حَديدٍ وفيهِ على الهَوىٰ بَأْسٌ شَديدُ
فَلانَ علىٰ هَواك ولا عَجيبٌ إِذا داودُ لانَ لهُ الحَديدُ

• وله فيمن اسمُه مُوسىٰ[1] : [من الكامل]

أَتىٰ مُوسىٰ بآيَةِ خالِ خَدٍّ حَمَتْهُ صَوارِمُ الحَدَقِ المِراضِ
فآيَةُ ذا بَياضٌ في سَوادٍ وآيَةُ ذا سَوادٌ في بَياضِ
فَجاءَ بِضِدِّ ما قَد جاء مُوسىٰ كَليمُ اللهِ في الحِقَبِ المَواضي

• ولِلقِيراطي في مَليح اسمُه بَدر : [من مخلّع البسيط]

سَمَّوْهُ بَدْراً وَذاك لمّا أَن فاقَ في حُسْنِهِ وتَمّا
وأَجْمَعَ النّاسُ إذ رَأَوْهُ بأَنَّه اسْمٌ علىٰ مُسَمَّىٰ

• ولمؤلِّفه رحمه الله تعالىٰ في قاضي القُضاة علمِ الدِّين صالح البُلْقيني[2] :

[من الكامل]

وَعَظَ الأَنامَ إِمامُنا الحَبْرُ الَّذي سَكَبَ العُلومَ كَبَحْرِ فَضْلٍ طافِحِ
فَشَفىٰ القُلوبَ بِعِلْمِهِ وَبِوَعْظِهِ والوَعْظُ لا يشفي سِوىٰ من صالحِ

• وتوجَّهتُ مرَّةً إلىٰ بَلْتاج لاجتمعَ بالحاج خَليل بن منصور في ضَرورة ، فلم أَجدْه ، ولم يقُمْ أَحَدٌ من إِخوتِه بقَضاءِ ما تَوَجَّهْتُ بِسَبَبِه ، فقلتُ : [من الطويل]

خِصالُ خليلٍ كُلُّهُنَّ حَميدَةٌ وأَوصافُهُ تُزْري بِكُلِّ جَميلِ[3]
فلا خَيْرَ في بَلتاج إِن لم يَكُنْ بِها ولا خَيْرَ في الدُّنيا بِغَيْرِ خَليلِ

• وقال آخر في مَليح اسمُه مُقْبِل : [من الكامل]

---

(١) ديوانه (٤٦٨) .
(٢) هما له في الضوء اللامع (٧/ ١٠٩) . ورواية الأَول في أ : × . . . كفيض بحر طافح .
والثاني : × والعلم يشفي إن يكن من صالح .
(٣) في أ ، ب : خلال خليل . . . × .

يا مَن تَحَجَّبَ عن مُحِبٍّ صادِقٍ ... ما زالَ عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ يُسْأَلُ
مَن لي بِيَوْمٍ فيه تَسْمَحُ باللِّقا ... ويُقالُ لي : هذا حَبيبُكَ مُقْبِلُ

• ولبعضهم في مَليحٍ اسمُه مُحسن : [من الرجز]

وأَهْيَفٍ يَعلو على عُشّاقِهِ ... بِرُتْبَةٍ مِن الجَمالِ نالَها
وإِسْمُهُ وَهْوَ العَجيبُ مُحْسِنٌ ... وكم دُموعٍ في الهوىٰ أَسالَها

• صَفِيّ الدِّين الحِلِّي في اسم حُسين[1] : [من الوافر]

حَبيبي وافِرٌ والشَّوْقُ مِنّي ... طَويلٌ والهوىٰ عِندي مَديدُ
وأَعْجَبُ أَنَّني أَهْوىٰ حُسَيْناً ... وشَوقي في مَحَبَّتِهِ يَزيدُ

وممّا قيل في أَسماء النّساء :

• في فاطِمة : [من السريع]

عَجِبْتُ من فاتِنَةٍ لم تَزَلْ ... لِمُرْتَجي الوَصْلِ لها فاطِمَهْ
تُنْكِرُ ما أَلقاهُ مِن وَجْدِها ... وَهي بِشَوْقي والجَوىٰ عالِمَهْ

• ابن مَكانس في اسم عائِشة : [من الكامل]

يا دَهْرُ خَبِّرني بِحَقِّكَ واشْفِني ... فَسِهامُ فِكْري في أُمورِكَ طائِشَهْ
أَيَحِلُّ أَنّي في المَحَبَّةِ مَيِّتٌ ... وَحَبيبتي مِن بَعْدِ مَوْتي عائِشَهْ

• شمسُ الدِّين البُذيري في اسمِ حَليمة : [من الطويل]

وَلَمّا رَأَتْني في هَواها مُتَيَّماً ... أُكابِدُ مِن حَرِّ الغَرامِ أَليمَهْ
فَجادَتْ بِطيبِ الوَصْلِ مِنْها وَلم تَجُرْ ... ومِن أَين تَدري الجَوْرَ وَهي حَليمَهْ

• ولبعضِهم في اسمِ بَرَكَة ـ دوبيت ـ :

---

(١) ديوانه (٤٧١) .

لمَّـا نَصَـبَ الهـوىٰ لِقَلْبـي شَـرَكَـهْ نـادَيْـتُ وقَلْبـي تـارِكٌ مَـن تَـرَكَـهْ
يـا قَلْـب افِـقْ ولا تَمِـلْ لِشَـركـهْ تُغْنيـكَ سِنيـنَ سـاعـةٌ مِـن بَـرَكَـهْ

● مردوفاً أيضاً :

لمّـا نَصَـبَ الهـوىٰ لِقَلْبـي شَـرَكَـه فـــي كُـــلّ طَـــريـــقْ
نـاديـتُ وقَلبـي تـاركٌ مَـن تَـرَكَـه لـــو كـــان يُفيـــقْ
يـا قلـب أفِـقْ ولا تَمِـل لِشَـركـه مـــا الشِّـــرْكُ يَليـــقْ
تُغنيـك سنيـن سـاعـةٌ مـن بَـرَكَـه عـــن كُـــلِّ صَـــديـــقْ

ولو تتبَّعْتُ هذا المعنىٰ لاحتجتُ إلىٰ مجلَّدات ، ولكن فيما ذكرتُه كفايةٌ ، والله الموفّق ، وأَسأَلُه العناية ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

الباب الخمسون

فيما جاءَ في الأَسفار والاغترابِ ، وما قيل في الوَداع والفِراق ، والحثِّ علىٰ تَرْكِ الإقامة بِدارِ الهوان ، وحُبِّ الوطنِ والحنينِ إليه

أَمّا ما جاءَ في الأَسفار ، والحثِّ علىٰ تَرْكِ الإقامة بِدارِ الهَوانِ :

- فقد قال الله تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] .
- وفي[١] الأَثر : « سافِروا تَغْنَموا » .
- (وجاء[١] فيه أَيضاً : « السَّفَرُ قطعةٌ من العذاب » ولكلٍّ منهما موضعٌ)[٢] .
- وعن[٣] أَبي هُريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو يعلمُ النّاسُ رحمةَ اللهِ للمسافِرِ، لأَصبحَ النّاسُ علىٰ ظَهْرِ سَفَرٍ، إنّ الله بالمُسافِرِ رَحيمٌ».
- ويُقال[٤] : الحَرَكَةُ وَلُودٌ ، والسُّكُونُ عاقِرٌ .
- وقال[٥] حكيمٌ : السَّفَرُ ميزانُ الأَخلاقِ .
- (قيل[٦] لابن الأَعرابيّ : لِمَ سُمِّيَ السَّفَر سَفَراً ، قال : لأَنَّه يُسْفِرُ عن أَخلاقِ القَوم . أَي يكشفهم .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ١١٦) وبهجة المجالس (١/ ٢٢١) .
(٢) من أ ، ب .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٦٣) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٦٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣٠) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٦٦) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١١٧) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٧١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣١) .

● وقال[1] عليٌّ رضي الله عنه : سِتٌّ من المروءَة ، ثلاثٌ في الحَضَر وثلاثٌ في السَّفر ؛ فأمّا اللاّتي في الحضر : فتلاوة كتاب الله ، وعمارة مساجدِ الله ، واتّخاذ الإخوان في الله . وأمّا اللاّتي في السفر : فبذلُ الزّاد ، وحُسن الخُلُق ، والمزاح في غير معاصي الله .)[2] .

● وكان[3] بعضُهم يُريدُ السَّفَر ، فيمنَعُه والِدُه إشفاقاً عليه ، فقالَ يوماً : [من الطويل]

أَلا خَلِّني أَمضي لِشَأْني ولا أَكُنْ ... علىٰ الأَهْلِ كَلاًّ ، إنَّ ذا لَشَديدُ
تَهَيَّبَني رَيْبُ المَنونِ وَلَمْ أَكُنْ ... لأَهْرُبَ عَمّا لَيْسَ مِنْهُ مَحيدُ
فَلَو كُنْتُ ذا مالٍ لَقُرِّبَ مَجْلِسي ... وَقيل إذا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشيدُ
فَدَعْني أَجُولُ الأَرْضَ عُمْري لَعَلَّهُ ... يُسَرُّ صَديقٌ أَو يُغاظ حَسودُ

● وقال[4] رسولُ الله ﷺ : « عَلَيْكُمْ بالدُّلْجَةِ ، فإِنَّ الأَرضَ تُطوىٰ باللَّيل ما لا تُطوىٰ بالنَّهار » .

● وقال[4] كعبُ بن مالكٍ رضي الله تعالىٰ عنه : كانَ رسولُ الله ﷺ (لا يخرجُ في سَفَرٍ إلاّ يوم الخميس .

● وكان[5] رسول الله ﷺ)[6] يكرهُ أَن يُسافرَ الرَّجلُ في غَير رُفْقَةٍ .

● وقال[7] ﷺ : « الرّاكِبُ شَيْطانٌ ، والرّاكبانِ شَيطانان ، والثَّلاثَةُ رَكْبٌ » .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٧٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣١) .
(٢) من أ ، ب .
(٣) عيون الأخبار (١/ ٢٣٨) وربيع الأبرار (٣/ ٧٥) والأبيات فيهما بلا نسبة ورواية صدر الرابع كذا وردت في الأصول ، والوجه : فدعني أَجُل في الأرض . . ×. وفي مصادر الخبر : فدعني أُجَوِّل في البلاد . . ×.
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٧٧) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٧٨) .
(٦) من أ ، ب .
(٧) ربيع الأبرار (٣/ ٧٨) .

• وقال[1] ﷺ : « إذا خرجَ ثلاثةٌ في رَكْبٍ فَلْيُؤَمِّروا أَحَدَهُمْ » . [رواه الخُدْريّ] .

• وقيل[2] : أَغار حُذَيْفَةُ بن بَدر علىٰ هِجان المُنذرِ بن ماء السَّماء ، وسارَ في ليلةٍ مَسافة ثماني ليالٍ ، فَضُرب به المثلُ .

• وقال قيسُ بن الخَطيم[3] : [من الوافر]

هَمَمْنـا بـالإقـامَـةِ ثُـمَّ سِـرْنـا مَسيـرَ حُـذَيْفَـةَ الخَيْـرِ بـنِ بَـدْرِ

• وسار[4] ذَكوان مَولىٰ عُمر رضي الله تعالىٰ عنه ، من مكَّة إلىٰ المدينة في يومٍ وليلةٍ .

• وقال[5] المأمون : لا شَيْءَ أَلَذُّ من السَّفرِ في كِفايةٍ وعافيةٍ ، لأَنَّكَ تحلُّ كلَّ يومٍ في محلَّةٍ لم تحلَّ فيها ، وتُعاشرُ قوماً لم تَعرفْهم .

• (وقال[6] عليٌّ كرَّم اللهُ وجهه : الغِنىٰ في الغُرْبَةِ وطنٌ ، والفَقْرُ في الوطن غُرْبَةٌ .

وفي هذا الكلام حَثٌّ علىٰ السَّفَر عندَ الضَّرورة والفاقة .

• قال الشّاعر[7] : [من البسيط]

لـولا أُمَيْمَـةُ لـم أَجـزعْ مـن العَـدَمِ ولم أَجُبْ في اللَّيالي حِنْدسَ الظُّلَمِ

---

(1) ربيع الأبرار (٣/ ٧٨) والزيادة منه .
(2) ثمار القلوب (١/ ٢٥١) وربيع الأبرار (٣/ ٧٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣١) .
(3) ديوانه (١٢٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣١) وربيع الأبرار (٣/ ٧٢) .
(4) ربيع الأبرار (٣/ ٧٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣٢) .
(5) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٢٨) .
(6) التذكرة الحمدونية (٨/ ١١٦) .
(7) الأبيات لإسحاق بن خلف في شرح الحماسة للأعلم (٢/ ٦٩٢) . ولمحمد بن يسير الرياشي في طبقات ابن المعتز (٢٨١) . وبلا نسبة في شرح الحماسة للمرزوقي (١/ ٢٨٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٢١) .

وزادني رَغْبَةً في المالِ مَعْرفتي ... أَنَّ اليتيمةَ يَجْفُوها ذَوو الرَّحِمِ
أُحاذِرُ الفَقْرَ يوماً أن يُلِمَّ بها ... فَيَهْتِكَ السِّتْرَ عن لَحْمٍ علىٰ وَضَمِ
تَهْوَىٰ حَياتي وأَهوىٰ مَوْتَها شَفَقاً ... والموتُ أَكْرَمُ نَزّالٍ علىٰ الحُرُمِ
أَخْشىٰ فَظاظَةَ عَمٍّ أَو جَفاءَ أَخٍ ... وكُنْتُ أَخشىٰ عليها من جَفا الكَلِمِ)

أَمّا ما جاءَ في تَرْكِ الإقامةِ بِدارِ الهَوانِ :

• قال الفَرَزْدَقُ[1] : [من الطويل]

وَفي الأَرْضِ عن دارِ القِلىٰ مُتَحَوَّلٌ ... وَكُلُّ بِلادٍ أُوْطِنَتْ كَبِلادي

• وقال آخر[2] : [من الطويل]

وَما هيَ إلاَّ بَلْدَةٌ مِثْلَ بَلْدَتي ... خِيارُهما ما كانَ عَوْناً علىٰ دَهْري

• وقال آخر : [من الكامل]

وإذا البِلادُ تَغَيَّرَتْ عن حالها ... فَدَعِ المُقامَ وَبادِرِ التَّحْويلا
لَيْسَ المُقامُ عَلَيْكَ فَرْضاً واجِباً ... في بَلْدَة تَدَعُ العَزيزَ ذَليلا

• وقال صفيُّ الدِّين الحلِّي[3] : [من الطويل]

(يلومونني إذ بعْتُ بالرُّخْصِ مَنْزلي ... وما عَلموا شيئاً هُناك يُنَغِّصُ
فقلتُ لهم : قِلُّوا الملامَةَ واقصروا ... بجيرانها تغلىٰ البيوتُ وترخصُ

• وقال آخر[4]) : [من الطويل]

تَنَقَّلْ فَلَذّاتُ الهوىٰ في التَّنَقُّلِ ... وَرِدْ كُلَّ صافٍ لا تَقِفْ عِنْدَ مَنْهَلِ

---

(١) ديوانه (١/ ١٦٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١١٨) ومجموعة المعاني (٣٢٣) . وهو لمالك بن الريب في عيون الأخبار (١/ ٢٣٦) وديوانه (٢/ ٢٦٤) ضمن أشعار اللصوص .
(٢) بلا نسبة في الحنين إلىٰ الأوطان لابن المرزبان (٥٩) برواية : × . . . عوناً علىٰ الزَّمَنْ .
(٣) ديوانه .
(٤) مضت الأبيات بلا نسبة .

فَفـي الأَرْضِ أَحبـابٌ وَفيهـا مَنـازِلٌ فلا تَبْكِ مِن ذِكْرىٰ حَبيبٍ ومَنْزِلِ
ولا تَسْتَمِعْ قَوْلَ امرِئِ القَيْسِ إِنَّهُ مُضِـلٌّ ، ومَـنْ ذا يَهْتَـدي بِمُضَلِّـلِ

• وقال عُبيد الله بن الحُرِّ الجُعْفيّ[1] : [من الطويل]

فإِنْ تَجْفُ عَنّي أَو تُرِدْ لي إِهانَةً أَجِدْ عَنْكَ في الأَرْضِ العَريضَةِ مَذْهَبا

وممّا قيل في الوَداع ، والفِراق ، والشّوق ، والبكاء :

• قال جرير[2] : [من الكامل]

لـو كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنَّ آخِـرَ عَهْـدِكُـمْ يَـوْمَ الـرَّحيـلِ فَعَلْـتُ مـا لَـمْ أَفْعَـلِ

• وقيل[3] لعُمارة بن عَقيل بن بِلال بن جَرير : ما كان جَدُّكَ صانِعاً في قَوله : فَعَلْتُ ما لَمْ أَفْعَل ؟ قال : كان يَقْلَعُ عَينيهِ حتَّىٰ لا يَرىٰ مَظْعَنَ أَحبابِهِ .

• وأَنشد ثعلب[4] : [من الطويل]

وَمـا وَجْـدُ مَغْلُـولٍ بِصَنْعـاءَ مُـوْثَـقٍ بِسـاقَيْـهِ مِـن مَـاءِ الحَـديـدِ كُبُـولُ
قَليـلُ المـوالـي مُسْلَـمٌ بِجَـريـرَةٍ لَـهُ بَعْـدَ نَـوْمـاتِ العُيـونِ أَليـلُ
يَقُـولُ لـه الحـدّادُ : أَنْـتَ مُعَـذَّبٌ غَـداةَ غَـدٍ أَو مُسْلَـمٌ فَقَتيـلُ
بِـأَكْثَـرَ مِنّـي لَـوْعَـةً يَـوْمَ راعَنـي فِـراقُ حَبيـبٍ مـا إِلَيـهِ سَبيـلُ

• وقال الشّاعر[5] : [من الطويل]

ومـا أُمُّ خِشْـفٍ طُـولَ يَـوْمٍ وَلَيْلَـةٍ بِبَلْقَعَـةٍ بَيْـداءَ ظَمْـآنَ صـادِيـا

---

(١) له في مجموعة المعاني (٣٢٣) .
(٢) ديوانه (٢/ ٩٤٠) والشوق والفراق (٦٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٧٣) والجليس والأنيس (٢/ ١٤٦) ومصارع العشاق (٢/ ١١) .
(٤) الأبيات بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٧٧) . وهي للمجنون في أمالي القالي (١/ ١٦٢) ومصارع العشاق (١/ ٢٣٦) وديوانه (٢٢٢) .
(٥) الأبيات لتميم بن المعز الفاطمي في وفيات الأعيان (١/ ٣٠٢) وديوانه (٤٦٢) .

تَهيمُ ولا تَدري إِلىٰ أَينَ تَبْتَغي مُولَّهَةً حُزْناً تَجُوبُ الفَيافيا
أَضَرَّ بِها حَرُّ الهَجيرِ فَلَمْ تَجِدْ لِغُلَّتِها مِن بارِدِ الماءِ شافِيا
إِذا أَبْعَدَتْ عن خِشْفِها انْعَطَفَتْ لَهُ فَأَلْفَتْهُ مَلْهُوفَ الجوانِحِ طاوِيا
بِأَوْجَعَ مِنِّي يومَ شَدُّوا حُمُولَهُمْ وَنادىٰ مُنادِ البَيْنِ أَن لا تَلاقِيا

● وقال[1] عبد العزيز الماجَشون ، وهو من فُقهاء المدينة : قال لي المهديُّ : يا ماجَشون ؛ ما قلتَ حين فارقتَ أَحبابك؟ قال : قلتُ يا أمير المؤمنين : [من البسيط]

للهِ باكٍ علىٰ أَحبابِهِ جَزَعا قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ هذا قَبْلَ أَنْ يَقَعا
ما كانَ واللهِ شُؤْمُ الدَّهْرِ يَتْرُكُني حتَّىٰ يُجَرِّعَني مِن بُعْدِهِم جُرَعا
إِنَّ الزَّمانَ رأَىٰ إِلْفَ السُّرورِ لَنا فَدَبَّ بالبَيْنِ فيما بَيْنَنا وَسَعىٰ
فَلْيَصْنَعِ الدَّهْرُ بي ما شاءَ مُجْتَهِداً فَلا زِيادَةَ شَيْءٍ فَوْقَ ما صَنَعا

فقال : والله لأُغْنِيَنَّكَ ؛ فأَعطاه عَشْرَة آلاف دينار .

● وقال آخر : [من البسيط]

وَقَفْتُ يَوْمَ النَّوىٰ مِنْهُمْ علىٰ بُعُدٍ وَلَم أُوَدِّعْهُمُ وَجْداً وإِشْفاقا
إِنّي خَشِيتُ علىٰ الأَظْعان من نَفَسي ومِن دُموعِيَ إِحْراقاً وإِغْراقا

● وقال عُمر بن أَحمد [بن بُدَيل اليامي][2] : [من الكامل]

أَمّا الرَّحيلُ فَحِينَ جَدَّ تَرَحَّلَتْ مُهَجُ النُّفوسِ لَهُ عَنِ الأَجْسادِ
مَن لَمْ يَبِتْ والبَيْنُ يَصْدَعُ قَلْبَهُ لَم يَدْرِ كَيْفَ تَفَتُّتُ الأَكْبادِ

● وحَكىٰ[3] بعضُهم قال : دَخَلْنا إِلىٰ دَيْر هِزْقِل ، فَنَظرنا إِلىٰ مَجنونٍ في شُبّاكٍ ، وهو يُنشدُ شِعراً ، فقلنا له : أَحسنت ؛ فأَومأَ بيده إِلىٰ حَجَرٍ يَرمينا به ،

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٨٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣٢) .
(٢) له في ربيع الأبرار (٣/ ٨١) .
(٣) مصارع العشاق (١/ ١٩ ـ ٢٠ و٢١ ـ ٢٢) وعقلاء المجانين (١٣٩ ـ ١٤٠) .

وقال : أَلِمِثْلي يُقالُ أَحسنت ؟ فَفَررنا منه ، فقال : أَقسمتُ عليكم إلاّ ما رَجعتم حتّىٰ أُنشَدكم ، فإن أَحسنتُ فقولوا أَحسنتَ وإن أَنا أَسأتُ فقولوا أَسأتَ ؛ فرجَعنا إليه ، فأَنشدَ يقول : [من البسيط]

لمّـا أَنـاخـوا قُبَيْـلَ الصُّبْـحِ عِيْسَهُـمُ ... وَحَمَّلوها وَسارَتْ بالدُّمىٰ الإِبلُ
وقَلَّبَـتْ بِخِـلالِ السِّجْـفِ نـاظِـرَهـا ... يَـرْنـو إِلَـيَّ وَدَمْـعُ العَيْـنِ يَنْهَمِـلُ
وَوَدَّعَـــتْ بِبَنـــانٍ زانَـــهُ عَنَـــمٌ ... نادَيْتُ : لا حَمَلَتْ رِجْلاكَ يا جَمَلُ
يا حاديَ العِيْسِ عَرِّجْ كي أُوَدِّعَهُمْ ... يا حاديَ العِيْسِ في تَرْحالِكَ الأَجَلُ
إِنِّي علىٰ العَهْدِ لم أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ ... يا لَيْتَ شِعْري لِطولِ البُعْدِ ما فَعَلوا

فقُلنا له : ماتوا . فقال : واللهِ وأَنا أَموتُ ! ثم شهقَ شهقةً فإذا هو مَيّتٌ ؛ رحمَه الله تعالىٰ .

● وقال آخر : [من البسيط]

لمّـا عَلِمْـتُ بِـأَنَّ القَـوْمَ قـد رَحَلُـوا ... وَراهِـبُ الـدَّيْـرِ بـالنّـاقـوسِ مُشْتَغِـلُ
شَبَكْتُ عَشْري علىٰ رَأْسِي وَقُلْتُ لَهُ : ... يا راهِبَ الدَّيْرِ هَلْ مَرَّتْ بِكَ الإِبِل ؟
فَحَـنَّ لـي وَبَكـىٰ وَرَقَّ لـي وَرَثـىٰ ... وقال لي : يا فَتىٰ ضاقَت بِكَ الحِيَلُ
إِنَّ الخِيـامَ الَّتـي قَـد جِئْـتَ تَطْلُبُهُـمْ ... بالأَمْسِ كانوا هُنا والآن قَدْ رَحَلوا

● وقال الشَّيخُ الأَكبر سيِّدي مُحيي الدِّين بن عَرَبي ، رحمه الله تعالىٰ[1] : [من البسيط]

ما رَحَلُوا يَوْمَ سارُوا البُزَّلَ العِيْسا ... إلاّ وقَـد حَمَّلـوا فِيهـا الطَّـواويسـا
مِـن كُـلِّ فـاتِكَـةِ الأَلْحـاظِ مـالِكَـةٍ ... تَخـالُهـا فَـوْقَ عَـرْشِ الـدُّرِّ بَلْقيسـا
إذا تَمَشَّتْ علىٰ صَرْحِ الزُّجاجِ تَرىٰ ... شَمْساً علىٰ فَلَكٍ في حِجْرِ إِدْريسا
أُسْقُفَّـةٌ مـن بَنـاتِ الـرُّومِ عـاطِلَـةٌ ... تَـرىٰ عليهـا مـن الأَنْـوارِ نـامُـوسـا

---

(١) من قصيدة في ديوانه (ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق) (١٨٤ ـ ١٩٣) وليس فيه الأخير .

وَحْشِيَّةٌ ما لَها إِنْسٌ قد اتَّخَذَتْ ... في بَيْتِ خَلْوَتِها لِلذِّكْرِ ناوُوسا
إن أَوْمَأتْ تَطْلُبُ الإِنْجيلَ تَحْسَبُهُمْ ... قَساقساً أَو بَطاريقاً شَماميسا
نادَيْتُ إذ رَحَّلوا لِلبَيْنِ ناقَتَها ... يا حاديَ العِيْسِ لا تَحْدو بِها العِيْسا
غَيَّبْتُ أَجْنادَ صَبْري يَوْمَ بَيْنِهِمُ ... علىٰ الطَّريقِ كَراديساً كَراديسا
سارُوا وأَصْبَحْتُ أَنْعي الرَّبْعَ بَعْدَهُمُ ... والوَجْدُ في القَلْبِ لا يَنْفَكُّ مَغْروسا

● (وقال آخر : [من الطويل]

فَدَيْتُ الَّتي في القَلْب منِّي سُكونُها ... ومَن أَخَذَتْ عَهْدي بأَن لا أَخونُها
تَقُولُ ودَمْعُ العَيْنِ يَسْبِقُ قَوْلَها ... وقد أَسْعَدَتْها لِلمَسِيلِ جُفونُها
وَداعُكَ هذا قاتلي لا مَحالةٌ ... فَسَلِّم علىٰ رُوحٍ أَتَتْها مَنُونُها
وَداعُكَ أَبكىٰ مُقْلَتيَّ بِحَسْرَةٍ ... وأَذهبَ نَفْسي ثمَّ دامَ جُنُونُها)[1]

وقال آخر[2] : [من الطويل]

وَلَمّا تَبَدَّتْ لِلرَّحِيلِ جمالُنا ... وَجَدَّ بِنا سَيْرٌ وفاضَتْ مَدامِعُ
تَبَدَّتْ لَنا مَذْعورَةً مِن خِبائِها ... وناظِرُها باللُّؤلؤ الرَّطْبِ دامِعُ
أَشارَتْ بأَطْرافِ البَنانِ وَوَدَّعَتْ ... وأَوْمَتْ بِعَيْنَيْها مَتىٰ أَنْتَ راجِعُ
فَقُلْتُ لَها : واللهِ ما مِن مُسافِرٍ ... يَسيرُ ويَدْري ما بِهِ اللهُ صانِعُ
فَشالَتْ نِقابَ الحُسْنِ مِن فَوْقِ وَجْهِها ... فَسَالَتْ مِن الطَّرْفِ الكَحيلِ مَدامِعُ
وقالَت : إِلَهي كُنْ عَلَيْهِ خَليفَةً ... فيا ربّ ما خابَتْ لَدَيْكَ الودائِعُ

● (وقال آخر : [من البسيط]

---

(١) من أ ، ب ، والثالث من أ فقط والرابع من ب فقط ، وروايته فيه : وداعك أبكىٰ مقلتي دم أحمرا × ! فأصلحته كما ترىٰ ، والله أعلم .
(٢) لعلها للأقرع بن معاذ القشيري ، انظر ديوانه (١٩٤) (ضمن مجلة المورد العراقية مج٧ ع٣) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣٢) وربيع الأبرار (٣/ ٨٠) . وقارن بقصيدة قيس بن الحُدادية في الأغاني (٤/ ١٥٨) وديوانه (٢٨ ـ ٢٩) (ضمن شعراء مقلّون) .

أَسْتَـوْدِعُ اللهَ قَـومـاً مـاذَكَـرْتُهُـمُ ... إلاّ تَحَـدَّر مـن عَيْنَـيَّ مـا خَـزَنـا
سارَت مَطاياهُمُ بالحِبِّ مُسْرِعةً ... وخَلَّفُوني كئيباً أَندبُ الزَّمَنا)[١]

• وقال آخر[٢] : [من البسيط]

يـا راحـلاً وَجَميـلُ الصَّبْرِ يَتْبَعُـهُ ... هَـلْ مِـن سَبيـلٍ إِلـىٰ لُقْيـاك يَتَّفِـقُ
مـا أَنْصَفَتْـكَ دُمـوعـي وهـيَ دامِيَـةٌ ... ولا وَفَـىٰ لَـكَ قَلْبـي وَهـو يَحْتَـرِقُ

• (وقال آخر : [من البسيط]

يـا راحِـلاً سَفَـرُ الأَيّـام فـي سَفَـرِهْ ... أَسْهَرْتَ بالبَيْنِ صَبّاً نِمْتَ عن سَهَرِهْ
يـا غـائِبـاً غـابَـتِ الـدُّنيـا لِغَيْبَتِـهِ ... وكـانَ مُحْتَضِـرَ الـدُّنيـا لِمُحْتَضَـرِهْ
نَـأىٰ وخَلَّفَنـي أَعمـىٰ بـلا نَظَـرٍ ... منَ البُكاءِ علىٰ ما فاتَ من نَظَرِهْ
فـاللهُ يَحْفَظُـهُ ، اللهُ يَكْلَـؤُهُ ... واللهُ يَحْرُسُهُ في الدَّهرِ مِن غِيَرِهْ
واللهِ لـو أَنَّ لـي فـي العُمْـرِ مَقْـدِرَةً ... جَعَلْتُ جُمْلَةَ أَعوامي علىٰ عُمُرِهْ)[١]

• وقال ابنُ زُرَيْق البَغدادي[٣] : [من البسيط]

قـالَـتْ وقَـد نـالَهـا لِلْبَيْـنِ أَوْجَعُـهُ ... والبَيْنُ صَعْبٌ علىٰ الأَحبابِ مَوْقِعُهُ :
اجْعَلْ يَدَيْكَ علىٰ قَلْبي فَقَدْ ضَعُفَتْ ... قِـواهُ عـن حَمْـلِ مـا فيـه وأَضْلُعُـهُ
واعْطِفْ عليَّ المطايا ساعةً فَعَسىٰ ... مَن شَتَّ شَمْلَ الهَوىٰ بالبَيْنِ يَجْمَعُهُ
كـأَنَّني يَـوْمَ وَلَّـتْ حَسْـرَةً وأَسـىً ... غَريقُ بَحْرٍ يَرىٰ الشّاطي وَيُمْنَعُهُ

• وقال شمس الدِّين البُديري : [من الطويل]

قِفـا حـادِيـا لَيْلـىٰ فـإِنِّـيَ وامِـقٌ ... وَلا تَعْجَـلا يَـوْمـاً علـىٰ مَـن يُفـارِقُ

---

(١) من أ .
(٢) البيتان لأحمد القطرسي ، المنعوت بالنفيس ، وهما في وفيات الأعيان (١/ ١٦٥) .
(٣) قصيدة ابن زريق البغدادي تجدها في ثمرات الأوراق (٤٧٥) وما بعد ، وطبقات السبكي (١/ ٣٠٨) وما بعد وبعضها في مصارع العشاق (١/ ٢٣) وليس فيها هذه الأبيات .

وَزُمّـا مَطـايـاهـا قُبَيْـلَ مَسيـرِهـا ... لِيَلْتَـذَّ مِنْهـا بـالتَّـزَوُّدِ عـاشِـقُ
ولا تَزْجُرا بالسَّوْقِ أَظْعانَ عِيْسِها ... فـإنَّ حَبيبـي للظَّغـائِـنِ سـائِـقُ
وَلمّـا التَقَيْنـا والغَـرامُ يُـذيبُنـا ... ونحـنُ كِـلانـا فـي التَّفَكُّـرِ غـارِقُ
وَقَفْنـا وَدَمْـعُ العَيْـنِ يَحْجُـبُ بَيْنَنـا ... تُسـارِقُنـي فـي نَظْـرَةٍ وأُسـارِقُ
فـلا تَسْـأَلا مـا حَـلَّ بـالبَيْـنِ بَيْنَنـا ... ولا تَعْجَبـا أَنّـا مَشُـوقٌ وشـائِـقُ

- وقال أيضاً : [من الطويل]

تَـذَكَّـرْتُ لَيْلَـىٰ حِيْـنَ شَـطَّ مَـزارُهـا ... وَعـادَت مَنازِلُهـا خليّات بَلْقَـعُ[1]
بَكَـرْتُ عَليهـا والقَنـا يَقْـرَعُ القَنـا ... وَسُمْـرُ العَـوالـي لِلمنـايـا تُشَـرَّعُ
وخـالَفْـتُ لُـوّامـي عليهـا وَعُـذَّلـي ... وخـالَفْـتُ سُهْـدي والخَلِيُّـونَ هُجَّـعُ
وَلـم أَسْتَطِـعْ يَـوْمَ النَّـوىٰ رَدَّ عَبْـرَةٍ ... فُـؤادي أَسـىً مِـن حَـرِّهـا يَتَقَطَّـعُ
فقـالَ خَليلـي إذْ رأَىٰ الـدَّمْـعَ دائِمـاً ... يَفيضُ دَماً مِن مُقْلَتي لَيْسَ يُدْفَعُ
لَئِنْ كانَ هذا الدَّمْعُ يَجْري صَبابَةً ... علـىٰ غَيْـرِ لَيْلَـىٰ فَهْـوَ دَمْـعٌ مُضَيَّـعُ

- (وقال آخر[2] : [من الطويل]

ولمّـا وَقَفْنـا للـوَداعِ وَدَمْعُهـا ... ودَمْعـي مَبَـثٌّ لِلصَّبـابَـةِ والـوَجْـدا
بَكَتْ لُؤلؤاً رَطْباً ففاضَتْ مَدامعي ... عَقيقاً فصار الكُلُّ في نَحرها عِقْدا)[3]

- وقال آخر[4] : [من الطويل]

مَـدَدْتُ إلـىٰ التَّـوديـعِ كَفّـاً ضَعيفَـةً ... وأُخْرىٰ علىٰ الرَّمْضاءِ فَوْقَ فُؤادي
فَـلا كـان هـذا آخِـرَ العَهْـدِ مِنْكُـمُ ... ولا كـان ذا التَّـوديـعُ آخِـرَ زادي

---

(١) كذا ورد العجز في أ ، ط . وسقطت الأبيات من ب .
(٢) البيتان لابن أبي حصينة في وفيات الأعيان (٧/ ٥١) وديوانه (١/ ٢٢٧) .
(٣) من أ .
(٤) هما بلا نسبة في وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٠) .

• (وقال آخر : [من البسيط]

نَفْسي الفداءُ لمن قامَت تُوَدِّعُني ... والصَّبْرُ قد غابَ والتَّوديعُ قد حَضَرا
فَخِلْتُ مُحْمَرَّ دَمعي في غلائِلها ... من حَبِّ رُمّانِ نَهْدَيها قد انْتَثَرا)[1]

وقال آخر : [من الطويل]

وَلَمّا وَقَفْنا لِلوَداعِ عَشِيَّةً ... وَطَرْفي وقَلْبي دامِعٌ وخَفوقُ
بَكَيْتُ فأَضْحَكْتُ الوُشاةَ شَماتَةً ... كأَنِّي سَحابٌ والوُشاةُ بُروقُ

• ولمؤلِّفه رحمه الله تعالىٰ في الفراق : [من البسيط]

يا سادَةً في سُوَيْدا القَلْبِ مَسْكَنُهُمْ ... وفي مَنامي أَرىٰ أَنِّي أُعانِقُهُمْ
أَوْحَشْتُمونا وعَزَّ الصَّبْرُ بَعْدَكُمُ ... « يا مَن يَعِزُّ علينا أَن نُفارِقَهُمْ »[2]

• وقال آخر : [من الكامل]

لو أَنَّ مالِكَ عالِمٌ بِذَوي الهَوىٰ ... وَمَحَلِّهِ مِن أَضْلُعِ العُشّاقِ
ما عَذَّبَ العُشّاقَ إلاّ بالهَوىٰ ... وإِذا استَغاثُوا غاثَهم بِفِراقِ

• وقال ابنُ الوَرْدي[3] : [من مجزوء الرمل]

دَهْرُنا أَضْحىٰ ضَنينا ... باللِّقا حتَّىٰ ضَنينا
يا ليالي الوَصْلِ عُودي ... واجْمَعينا أَجْمَعينا

• وقال الشَّريف المُرتضىٰ[4] : [من الخفيف]

عَلِّلاني بِذِكْرِهِمْ واسْقِياني ... وامْزُجا لي دَمْعي بِكَأْسٍ دِهاقِ

---

(١) من أ .
(٢) العجز صدر بيت للمتنبي ، وعجزه : × وِجْدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدكم عَدَمُ
شرح ديوان المتنبي (٣/ ٣٧٠) .
(٣) ديوانه وفوات الوفيات (٣/ ١٥٩) .
(٤) ديوانه (٢/ ٣٤٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٣١٤) . وفي الأصول : وقال الشريف الرضي ! .

وَخُذا النَّوْمَ مِن جُفوني فإنِّي قَدْ خَلَعْتُ الكَرىٰ علىٰ العُشّاقِ

• وقال آخر عند ذلك : [من البسيط]

قالوا : أَتَرْقُدُ إِذْ غِبْنا ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ ؛ نَعَمْ وأُشْفِقُ من دَمْعي علىٰ بَصَري
ما حَقُّ طَرْفٍ هَداني نَحْوَ حُسْنِكُمُ أَنّي أُعَذِّبُهُ بالدَّمْعِ والسَّهَرِ

• وقال الشَّيخ عزّ الدِّين المَوْصِلي : [من الكامل]

فَسَدَتْ لِطُولِ بعادِكُمْ أَحْلامُنا وَعُقولُنا ، وَجَفا الجُفونَ مَنامُ
والطَّيْفُ قد وَعَدَ الجُفونَ بِزَوْرَةٍ يا حَبَّذا إن صَحَّتِ الأَحلامُ

وممّا قيل في البُكاء :

• قال الشّاعر : [من المجتث]

رَجَوْتُ طَيْفَ خَيالٍ وكَيْفَ لي بِهُجُوعِ
والذّارياتُ جُفُوني والمُرْسَلاتُ دُموعي

• وقال آخرَ : [من مجزوء الكامل]

ارْحَمْ ـ رُحِمْتَ ـ لِلَوْعَتي وابْعَثْ خَيالَك في الكَرىٰ
وَدُموعُ عَيْني لا تَسَلْ عَن حالِها يا ما جَرىٰ

• وقال الصَّفَدي[1] : [من الخفيف]

إنَّ عَيْني مُذْ غابَ شَخْصُكَ عَنْها يَأْمُرُ السُّهْدُ في كَراها وَيَنْهىٰ
بِدُموعٍ كَأَنَّهُنَّ الغَوادي لا تَسَلْ ما جَرىٰ علىٰ الخَدِّ مِنْها

• وله[1] : [من المنسرح]

يا قَلْبُ صَبْراً علىٰ الفِراقِ وَلَو رُوِّعْتَ مِمَّنْ تُحِبُّ بالبَيْنِ
وأَنْتَ يا دَمْعُ إن ظَهَرْتَ بِما يُخْفيهِ قَلْبي سَقَطْتَ مِن عَيْني

• وقال الشَّيخ شهابُ الدِّين ابن حَجَر : [من الكامل]

---

(١) في ط : وقال آخر .

خاضَ العواذِلُ في حَديثِ مَدامِعي   مِمّا غَدا كالبَحْرِ سُرْعَةَ سَيْرِهِ
خَبَّأْتُهُ لأَصُونَ سِرَّ هَواكُمُ   ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾[1]

• وللشّيخ إبراهيم الموّاز : [من الخفيف]

رُحْتُ يومَ الفِراقِ أُجري دُموعي   حَسْرةً إذ قَضَىٰ الفِراقُ بِبَيْني
قيلَ : كَم ذا تُجري دُموعَك ؟ تَعْمَىٰ   أَوْقِفِ الدَّمْعَ ؛ قلتُ : من بَعْدِ عَيْني

• وقال آخر : [من الكامل]

لمّا لَبِسْتُ لِبُعْدِهِ ثَوْبَ الضَّنَىٰ   وَغَدَوْتُ مِن ثَوْبِ اصْطباري عارِيا
أَجْرَيْتُ وَقْفَ مَدامِعي مِن بَعْدِهِ   وَجَعَلْتُهُ وَقْفاً عليهِ جارِيا

• وقال آخر : [من الطويل]

وَلَمْ أَرَ مِثْلي غارَ مِن طُولِ لَيْلِهِ   عليهِ كأَنَّ اللَّيْلَ يَعْشَقُهُ مَعي
وما زِلْتُ أَبكي في دُجىٰ اللَّيْلِ صَبْوَةً   من الوَجْدِ حتَّىٰ ابْيَضَّ مِن فَيْضِ أَدْمُعي[2]

• وقال عزّ الدِّين المَوْصلي : [من المجتث]

عَيْني أَفاضَتْ دُموعي   لِطُولِ صَدٍّ وَبَيْنِ
وَوَجْنَةُ الخَدِّ قالَتْ :   رَأَيْتُ غَسْلي بِعَيْني

• (وقال عامر بن [صالح بن] بن عبد الله بن عروة بن الزُّبير[3] : [من الخفيف]

لَيْتَ شِعري ولِلَّيالي صُروفٌ   هل أَرىٰ مَرَّةً بَقيعَ الزُّبيرِ
ذاك مَعْنىً أَلِفْتُهُ وقَطينٌ   تَفْرَحُ النَّفْسُ أن تَراهُم بِخَيْرِ)[4]

---

(١) سورة النساء (٤ : ١٤٠) وسورة الأنعام (٦ : ٦٨) .
(٢) في أ : × . . . ابيض مجرىٰ أدمعي . وفي ب : × . . . ابيض فيض مدامعي .
(٣) له في ربيع الأبرار (٣/ ٨١) وجمهرة نسب قريش للزبير (٢٧٥) وجمهرة ابن حزم (١٢٤) .
(٤) من أ .

● وقال قيس بن ذَريح[1] : [من الوافر]

وَما فـارَقْـتُ لَيْلـىٰ عـن مُـرادٍ وَلَكـنْ شِقْـوَةٌ بَلَغَـتْ مَـداهـا
بَكيتُ ؟ نَعَم بَكيتُ ، وكُلُّ إِلْفٍ إِذا بـانَـتْ خليلتُـهُ بَكـاهـا

● وفي[2] بعضِ الكُتب السَّماوية : إِنَّ ممّا عاقَبتُ به عِبادي أَن ابتليتُهم بفِراق الأَحِبَّة .

وممّا جاء في الحنين إلىٰ الوطن :

● أَمّا مَحبَّةُ الوطنِ فَمُسْتَوْليةٌ علىٰ الطّباعِ ، مُستدعيةٌ أَشَدّ الشَّوق إِليها .

● رُوي[3] أَنَّ أَبان بن سعيد قدِم علىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فقال : « يا أَبانُ ، كيفَ تركتَ مكَّة ؟» قال : تركت الإِذْخِرَ وقد أَعْذَق ، وتركتُ النَّمّام وقد حاصَ ؛ فاغرورقَت عَيْنا رسولِ الله ﷺ .

● وقال بِلالٌ رضي الله تعالىٰ عنه[4] : [من الطويل]

أَلا لَيْـتَ شِعْـري هَـلْ أَبيتَـنَّ لَيْلَـةً بِـوادٍ وَحَـوْلـي إِذْخِـرٌ وَجَليـلُ
وَهَـلْ أَرِدَنْ يـومـاً مِيـاهَ مَجَنَّـةٍ وَهَـلْ يَبْـدُوَنْ لـي شـامَـةٌ وَطَفيـلُ

● وقيل[5] : مِن عَلامةِ الرُّشْدِ أَن تكونَ النَّفْسُ إِلىٰ بَلَدها تَوّاقَةً ، وإِلىٰ مَسْقَطِ رأْسِها مُشْتاقةً .

---

(١) ديوانه (١٥٧) وربيع الأبرار (٣/ ٨٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٦٥) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٤٠) . الإذخر والنمام : نوعان من النبات . وأعذق : أورق . وحاص : صار أحوص .
(٤) له في أمالي القالي (١/ ٢٤٦) وبهجة المجالس (١/ ٨٠٢) والعقد الفريد (٥/ ٢٨٢) وتاريخ دمشق (١٠/ ٣١٩ و٣٢٠) ومختصره (٥/ ٢٥٩) .
(٥) الحنين إلىٰ الأوطان للجاحظ ، ضمن رسائل الجاحظ (٢/ ٣٨٥) والمحاسن والمساوىء (١/ ٤٩٦) .

ومن حبِّ الوطن :

• ما حُكي[1] أنَّ سيِّدنا يُوسفَ عليه الصَّلاة والسَّلام أَوصىٰ بأَن يُحمل تابوتُه إلىٰ مقابر آبائه ، فمنَع أَهلُ مِصر أَولياءَه من ذلك ؛ فلمّا بُعث موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام ، وأَهلَكَ اللهُ تعالىٰ فِرعونَ لعنَه الله ، حَمَلَه موسىٰ إلىٰ مقابر آبائه ، فقَبره بالأَرض المقدَّسة .

• وأَوصىٰ[2] الإسكندرُ أَن تُحْمَلَ رِمَّتُهُ في تابوتٍ من ذَهبٍ إلىٰ بلادِ الرُّوم ، حُبّاً لوَطنه .

• واعْتَلَّ[3] سابورُ ذو الأَكتاف ، وكان أَسيراً ببلادِ الرُّوم ، فقالَت له بنتُ الملِك ـ وكانت قد عَشِقته ـ : ما تَشتهي ؟ قال : شربةً من ماءِ دِجلة ، وشَمَّةً من تُراب إِصْطَخر ؛ فأَتَتْهُ بعدَ أَيّام بِشربةٍ من ماءٍ وقبضةً من تُرابٍ ، وقالت له : هذا من ماءِ دِجلة ومن تُربة أَرضك ، فشَرب واشْتَمَّ بالوهْمِ ، فَنفَعه من عِلَّتِهِ .

• وقال الجاحظُ[4] : كان المتفلسفُ من البَرامكةِ إذا سافَرَ أَحدُهم ، أَخذَ معه من تُربةِ أَرضه في جرابٍ ، يَتداوىٰ به .

• وما أَحسن ما قال بعضُهم : [من الطويل]

بِـلادٌ أَلِفْنـاهـا علـىٰ كُـلِّ حـالَـةٍ　　وقد يُؤْلَفُ الشَّيْءُ الَّذي لَيْسَ بالحَسَنْ
ونَسْتَعْذِبُ الأَرْضَ الَّتي لا هَوا بِها　　ولا مـاؤهـا عَـذْبٌ ولكنَّهـا وَطَـنْ

• ووصفَ[5] بعضُهم بلادَ الهِند ، فقال : بَحْرُها دُرٌّ ، وجِبالها ياقوتٌ ،

---

(١) الحنين إلىٰ الأوطان (٤١٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٤١) .
(٢) الحنين إلىٰ الأوطان (٤٠٩) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٤١) .
(٣) الحنين إلىٰ الأوطان (٤٠٨) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٤١) .
(٤) الحنين إلىٰ الأوطان (٤١٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٤٢) .
(٥) ثمار القلوب (٢/ ٧٦٨) ولطائف المعارف (٢١٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٤٣) .

وشجَرُها عُودٌ ، وورَقها عِطْرٌ .

• وقال[1] عُبيد الله بن سُليمان في نَهاوند : أَرْضُها مِسْكٌ ، وتُرابها الزَّعفرانُ ، وسَماؤها الفاكهة ، وحِيطانُها الشُّهد .

• وقال[2] الحجّاجُ لعامِلِهِ على أَصبهان : قد وَلَّيْتُكَ على بَلْدَةٍ ، حَجَرُها الكُحْلُ ، وذُبابُها النَّحل ، وحَشيشها الزَّعفران .

• وكان[3] يُقال : البَصْرَةُ : خِزانةُ العرَبِ ، وقُبَّةُ الإِسلام ؛ لانتقالِ قَبائلِ العربِ إِليها ، واتِّخاذ المسلمين بها وَطناً ومَركزاً .

• وكان[4] أَبو إِسحاق الزَّجّاج يقولُ : بغدادُ حاضِرةُ الدُّنيا ، وما سِواها باديةٌ .

• وأنا أقول : مصرُ ، كنانةُ الله في أَرضه ، والسّلام .

وممّا جاء في ذَمِّ السَّفر :

• قيل[5] لرَجلٍ : السَّفَرُ قِطعةٌ من العَذاب ، فقال : بل العَذابُ قِطعةٌ من السَّفر .

• وقال بعضُهم[6] : [من الرجز]

كُلُّ العَذابِ قِطْعَةٌ مِنَ السَّفَرْ   يا رَبُّ فارْدُدْنا على خَيْرِ الحَضَرْ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٤٣) .

(٢) ثمار القلوب (٢/ ٧٧٥) ولطائف المعارف (١٨١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٤٣) ومعجم البلدان (١/ ٢٠٨) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٤٣) وثمار القلوب (١/ ٢٨١) .

(٤) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٤٤) .

(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٧٠) .

(٦) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٧٠) .

• وقيل[1] لأَعرابيٍّ : ما الغِبْطَةُ ؟ قال : الكِفاية مع لُزوم الأَوطان .

• ومرَّ[2] إِياسُ بن مُعاوية بمكانٍ ، فقال : أَسمعُ صوتَ كلبٍ غَريبٍ ، فقيل له : بمَ عرفتَ ذلك ؟ قال : بخضوعِ صَوْتِهِ ، وشِدَّة نُباحِ غيره .

• (وقال الحريري : [من البسيط]

إِنَّ الغريبَ الطَّويلَ الذَّيلَ مُمْتَهَنٌ ... فكيفَ حالُ غَريبٍ مالَهُ قُوتُ
لكنَّهُ لا يشينُ الحُرَّ مَكْرُمةٌ ... فالمِسْكُ يُسْحَقُ والكافورُ مَفْتوتُ)[3]

• وأَراد أَعرابيٌّ[4] السّفَرَ ، فقال لامرأَته : [من الكامل]

عُدِّي السِّنينَ لِغَيْبَتي وَتَصَبَّري ... وَذَري الشُّهورَ فإِنَّهُنَّ قِصارُ

فأَجابته : [من الكامل]

فاذكُرْ صَبابَتَنا إِليكَ وَشَوْقَنا ... وارْحَمْ بَناتِكَ إِنَّهُنَّ صِغارُ

فأَقام ، وتَرَكَ السَّفر .

• ويُقالُ[5] : رُبَّ لازمٍ لِعَرَصَتِهِ ، فازَ بِبُغْيَتِهِ .

• (قال الشاعر[6] : [من الطويل]

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٦٧) والمحاسن والمساوىء (١/ ٤٩٠) والحنين للجاحظ (٤٠٧) والحنين لابن المرزبان ٥٦ .

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٦٩) وثمار القلوب (١/ ١٨٣) والحيوان (٢/ ٧٦) وأخبار الأذكياء (٦٩) وبهجة المجالس (١/ ٤٢٣) والوافي بالوفيات (٩/ ٤٦٦) .

(٣) من أ .

(٤) هو الحطيئة ، والخبر والبيتان في عيون الأخبار (١/ ١٤١) وبهجة المجالس (١/ ٢٢٧) ، وربيع الأبرار (١/ ٧٦) ، وليسا في ديوانه .

(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٦٥) .

(٦) لابن الرومي ، وهما في ديوانه (٥/ ١٨٢٦) .

وحَبَّبَ أَوطانَ الرِّجالِ إليهمُ مآربُ قضّاها الشَّبابُ هُنالِكا
إذا ذَكروا أَوطانَهم ذَكَّرَتْهُمُ عُهودَ الصِّبا فيها فَحَنُّوا لِذَلكا)[1]

• وقال عمرو بن الأَهتم[2] : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما ضاقَتْ بِلادٌ بأَهْلِها وَلَكنَّ أَخْلاقَ الرِّجالِ تَضيقُ

• وفيما ذكرتُه كفايةٌ ، وأَسأَلُ الله التَّوفيقَ والهِداية ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

---

(١) من أ .
(٢) ديوانه (٩٥) والمنتخب في محاسن أشعار العرب (١/١٤٥) . والتذكرة الحمدونية (٨/١٢٦) .

البابُ الحادي والخمسون

في ذِكر الغِنىٰ ، وحُبِّ المال ، والافتخارِ بِجَمعه

• قال الله تعالىٰ : ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف : ٤٦] .

• وقيل[١] : الفَقْرُ رأسُ كلِّ بَلاءٍ ، وداعيةٌ إلىٰ مَقْتِ النَّاس ؛ وهو مع ذلك مَسْلَبَةٌ للمُروءة ، مَذْهَبَةٌ للحَياء ؛ فمتىٰ نَزَلَ الفقرُ بالرَّجلِ لم يجدْ بُدّاً مِن تَرْك الحياء ؛ ومَن فَقَدَ حياءَه فَقَد مُروءَته ، ومَن فَقَدَ مُروءَته مُقِتَ ، ومَن مُقِتَ ازْدُرِيَ به ، ومَن صار كذلك كان كلامُه عليهِ لا لَهُ .

• وقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّك إن تَذَر وَرَثتَكَ أَغنياءَ ، خيرٌ من أَن تَذَرَهُم عالةً يتكفَّفون النّاس » .

• وفي الحديث[٢] : « لا خيرَ فيمن لا يُحِبُّ المالَ ، لِيصلَ به رَحِمَه ، ويُؤَدّي به أَمانَتَه ، ويَستغني به عن خَلْقِ رَبِّه » .

• وقال[٣] عليٌّ كرَّم الله تعالىٰ وَجْهه : الفقرُ الموتُ الأَكبرُ .

• وقد[٤] استعاذَ رسولُ الله ﷺ من الكُفْرِ والفَقْرِ وعَذاب القَبر .

• وقيل[٥] : مَن حَفِظَ دُنياه حَفِظَ الأَكْرَمَيْنِ ، دِيْنَهُ وَعِرْضَه .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٨٨) .

(٢) لسعيد بن المسيب في التذكرة الحمدونية (٨/ ٩٨) . ولحكيم في العقد الفريد (٣/ ٢٨) .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٩) .

(٤) محاضرات الراغب (١/ ٥٠٤) .

(٥) للحسن البصري في التذكرة الحمدونية (٨/ ١٠٤) . وبلا نسبة في عيون الأخبار (١/ ٢٤٤) وربيع الأبرار (٥/ ١٤٠) .

• قال الزّمخشريّ[1] : [من الخفيف]

لا تَلُمْنـــي إذا وَقَيْــتُ الأَواقــــي   فــالأَواقــي لِمــاءِ وَجْهِــيَ واقــي

• وقال[2] لُقمان لابنه : يا بُنَيَّ ، أكلتُ الحنظلَ وذُقْتُ الصَّبرَ ، فلم أَرَ شيئاً أَمَرَّ من الفَقر ، فإن افتقرتَ فلا تُحَدِّثْ به النّاس كيلا يَنتقصوكَ ، ولكن اسأَل الله تعالىٰ من فَضله ؛ فمَن ذا الّذي سأَل اللهَ فلم يُعطِهِ ؟ أَو دعاهُ فلم يُجِبْهُ ؟ أَو تَضَرَّعَ إليه فلم يكشفْ ما بِهِ ؟ .

• وكان العيّاشيّ[3] يقولُ : النَّاسُ لِصاحبِ المالِ أَلْزَمُ من الشُّعاعِ للشَّمسِ ؛ وهو عِندَهم أَعذَبُ من الماءِ ، وأَرفعُ من السَّماء ، وأَحلىٰ من الشُّهد ، وأَزكىٰ من الورد ؛ خَطَؤُهُ صوابٌ ، وسيِّئاتُهُ حَسناتٌ ، وقولُهُ مَقبولٌ ؛ يُرْفَعُ مَجلسُه ، ولا يُمَلُّ حَديثُه ؛ والمُفْلِسُ عند النّاسِ أَكذبُ من لَمَعانِ السَّراب ، وأَثقلُ من الرَّصاص ؛ لا يُسَلَّمُ عليه إن قَدِمَ ، ولا يُسْأَلُ عنه إن غاب ؛ إن حَضَر زَبَروهُ ، وإن غابَ شَتَمُوهُ ، وإن غَضبَ صَفَعوه ؛ مُصافحتُه تَنقُضُ الوُضوءَ ، وقِراءَتُهُ تقطعُ الصَّلاة .

• وقال بعضُهم[4] : طلبتُ الرّاحةَ لِنفسي فلم أَجدْ لها أَرْوَحَ مِن تَرْكِ ما لا يَعنيها ، وتَوَحَّشْتُ في البَرِّيَّةِ فلم أَرَ وَحْشَةً أَشدَّ من قَرين السُّوءِ ، وشَهدتُ الزُّحوفَ وغالبتُ الأَقرانَ فلم أَرَ قَريناً أَغْلَبَ للرَّجلِ من المرأَةِ السُّوءِ ، ونظرتُ إلىٰ كُلِّ ما يُذِلُّ القَوِيَّ وَيكسرُهُ فلم أَرَ شيئاً أَذَلَّ له ولا أَكْبَرَ من الفاقةِ .

• قال الشّاعر[5] : [من الطويل]

---

(١) البيت للإمام الزمخشري في ربيع الأبرار (٥/ ١٤٢) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٨٩) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٩١ ـ ٩٢) . وفي الأصول : وكان العبّاس .
(٤) التذكرة الحمدونية (٨/ ٩٢) .
(٥) هما بلا نسبة في عيون الأخبار (١/ ٢٤١) والعقد الفريد (٣/ ٣٥) .

وَكُـلُّ مُقِـلٍّ حِيْـنَ يَغْـدو لِحـاجَـةٍ إلىٰ كُلِّ ما يَلْقىٰ مِن النّاسِ مُذْنِبُ
وَكـانَ بنـو عَمِّـي يَقـولـون مَـرْحَباً فلمّـا رَأَوْنـي مُعْـدَمـاً مـاتَ مَـرْحَـبُ

● وقال آخر : [من البسيط]

المـالُ يَـرْفَـعُ سَقْفـاً لا عِمـادَ لَـهُ والفَقْـرُ يَهْـدِمُ بَيْـتَ العِزِّ والشَّـرَفِ

● وقال آخر[1] : [من الطويل]

جُـروحُ اللَّيـالـي مـا لَهُـنَّ طَبيـبُ وَعَيْـشُ الفَتـىٰ بـالفَقْـرِ لَيْـسَ يَطيـبُ
وَحَسْبُـكَ أَنَّ المَـرْءَ فـي حـالِ فَقْـرِهِ تُحَمِّقُـــهُ الأَقْـــوامُ وَهْـــوَ لَبيـــبُ
وَمَـنْ يَغْتَـرِرْ بـالحـادِثـاتِ وَصَـرْفِهـا يَبِـتْ وهـوَ مَغْلـوبُ الفُـؤادِ سَليـبُ
وما ضَرَّني إِن قال أَخْطَأْتَ جاهِلٌ إِذا قـالَ كُـلُّ النّـاس أَنْـتَ مُصيـبُ

● وقال آخر : [من البسيط]

الفَقْـرُ يُـزْري بـأَقْـوامٍ ذَوي حَسَـبٍ وقَـد يُسَـوِّدُ غَيْـرَ السَّيِّـدِ المـالُ

● وقال آخر[2] : [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ إِنَّ المـالَ قَـدْ يَجْعَـلُ الفَتـىٰ سَنِيّـاً وأَنَّ الفَقْـرَ بـالمَـرْءِ قـد يُـزْري
وَمـا رَفَـعَ النَّفْـسَ الـدَّنِيَّـةَ كـالغنـىٰ وَلا وَضَـعَ النَّفْـسَ النَّفيسَـةَ كـالفَقْـرِ

● (وقال آخر[3] : [من الوافر]

وأَنْطَقَـتِ الـدّراهِـمُ بعـد عِـيٍّ رجـالاً طـالمـا كـانـوا سُكـوتـا
فمـا عـادوا علـى جـارٍ بِخَيْـرٍ ولا رَفَعُـوا لِمَكْـرُمَـةٍ بُيـوتـا
فَـذاكَ المـالُ يُنْطِـقُ كُـلَّ وَغْـدٍ ويَتْـرُكُ كُـلَّ ذي حَسَـبٍ صَمُـوتـا[4])

---

(١) بلا نسبة في عيون الأخبار (١/ ٢٤٠) والثاني في بهجة المجالس (١/ ٢٠٢) .
(٢) هما بلا نسبة في بهجة المجالس (١/ ٢٠٩) .
(٣) بلا نسبة في بهجة المجالس (١/ ١٠٦) .
(٤) من أ .

• وقال آخَر : [من الطويل]

إذا قَلَّ مالُ المَرْءِ لانَتْ قَناتُهُ   وهانَ على الأَدْنَى فَكَيْفَ الأَباعِدُ

• وقال العبّاس بن الأَحنف[1] : [من الكامل]

يَمشي الفَقيرُ وَكُلُّ شَيءٍ ضِدُّهُ   والنّاسُ تُغْلِقُ دُونَهُ أَبوابَها
وَتَراهُ مَبْغوضاً وَلَيْسَ بِمُذنبٍ   وَيَرى العَداوَةَ لا يَرى أَسبابَها
حتّى الكِلابُ إذا رَأَتْ ذا ثَرْوَةٍ   خَضَعَتْ لَدَيْهِ وَحَرَّكَتْ أَذْنابَها[2]
وإذا رَأَتْ يوماً فَقيراً عابِراً   نَبَحَتْ عَلَيْهِ وَكَشَّرَتْ أَنْيابها

• وقال آخَر : [من السريع]

فَقْرُ الفَتى يُذْهِبُ أَنْوارَهُ   مثلَ اصفِرارِ الشَّمْسِ عِنْدَ المَغيبْ
واللهِ ما الإِنْسانُ في قَوْمِهِ   إذا بُلِي بالفَقْرِ إلاَّ غَريبْ

• وقال آخَر : [من الكامل]

إِنَّ الدّراهِمَ في المَواطِنِ كُلِّها   تَكْسُو الرِّجالَ مَهابَةً وَجَمالا
فهيَ اللِّسانُ لِمَنْ أرادَ فَصاحَةً   وَهِيَ السِّلاحُ لِمَنْ أَرادَ قِتالا

• وقال آخَر[3] : [من البسيط]

ما النّاسُ إلاَّ معَ الدُّنيا وصاحِبِها   فَكُلَّما انْقَلَبَتْ يَوماً بِهِ انْقَلَبُوا
يُعَظِّمون أَخا الدُّنْيا فإِن وَثَبَتْ   يَوماً عليهِ بما لا يَشْتَهي وَثَبُوا

• وقال[4] بعضُ الفُرس : مَن زَعَمَ أَنَّه لا يُحِبُّ المالَ فهو عندي كذّاب .

---

(١) ديوانه (٦٣) .
(٢) في ب : .... ذا بِزَّةٍ × .
(٣) لأبي العتاهية في محاضرات الراغب (١/ ٥٠٢) وليسا في ديوانه .. وبلا نسبة في العقد الفريد (٣/ ٣١) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٨/ ٩٠) ومحاضرات الراغب (١/ ٤٩٨) .

• وقال أَبو الفضل الميكالي[1] : [من السريع]

أَصْبَحَتِ الدُّنْيا لنَا عِبْرَةً ... فالحَمْدُ للهِ على ذَلِكا
قد أَجْمَعَ النّاسُ على ذَمِّها ... وَما أَرىٰ مِنْهُمْ لها تارِكا

• وقال الزَّمَخشريّ[2] : [من الكامل]

وإذا رَأَيْتَ صُعُوبَةً في مَطْلَبٍ ... فاحْمِلْ صُعُوبَتَهُ على الدِّينارِ
وابْعَثْهُ فِيما تَشْتَهِيهِ فإِنَّهُ ... حَجَرٌ يُلَيِّنُ قَسوَةَ الأَحْجارِ

• قال[3] الثَّوريّ رحمهُ اللهُ تَعالى : لأَنْ أُخَلِّفَ عشرةَ آلافِ درهمٍ يُحاسبني الله عليها ، أَحَبُّ إِليَّ من أَن أَحتاجَ إِلى لئيمٍ .

• وفي هذا المعنى قال الشّاعر : [من السريع]

احْفَظْ عُرى مالِكَ تَحْظَ بِهِ ... وَلا تُفَرِّطْ فيه تَبْقَى ذَليلْ
وإِنْ يَقولوا باخِلٌ بالعَطا ... فالبُخْلُ خَيْرٌ مِن سُؤَال البَخيلْ[4]
واحْفَظْ على نَفْسِكَ مِن زَلَّةٍ ... يُرى عَزيزُ القَوْم فِيها ذَليلْ

• (قال[5] ابنُ عُيَيْنَة : مَن كان لهُ مالٌ فَلْيُصْلِحْهُ ، فإِنَّكم في زمانٍ مَن احتاجَ فيهِ إِلى النّاس ، كان أَوّلُ ما يَبْذُلُ دِينَهُ .

• وقال[6] عمرو بن اللَّيث : الطَّيْرُ بالطَّيْرِ يُصاد ، والمالُ بالمالِ يُكْتَسَبُ .

---

(١) ليسا له وليسا في ديوانه ، وهما لأبي العتاهية في ديوانه (٢٦٧) وبهجة المجالس (٢/ ٢٨٦) .
(٢) له في ربيع الأبرار (٥/ ١٤١) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٢) .
(٤) زاد في أ ، ب بعد هذا البيت :
يا منفق المال ترفّق به ... الموت أهون من سؤال البخيل
(كذا) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٠٤) .
(٦) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٧) .

• قال الشّاعر[1] : [من الوافر]

ذَريني للغِنَىٰ أَسْعَى فإنِّي | رَأَيْتُ النّاسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ
يُباعِدُهُ النَّدِيُّ وَتَزْدَريهِ | حَليلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغيرُ
وقد يَلْقى الغَنِيُّ بِهِ جَلالاً | يَكادُ فُؤادُ صاحِبِهِ يَطيرُ
قليلٌ ذَنْبُهُ والذَّنْبُ جَمٌّ | ولكِنْ لِلغِنىٰ رَبٌّ غَفُورُ

• وقيل[2] لرجل مُستهترٍ بجمعِ المالِ : ما تصنعُ بهذا كُلِّه ؟ فقال : إنَّما أَجمعُه لِرَوْعَةِ الزَّمان ، وجَفْوَةِ السُّلطانِ ، وبُخْلِ الإخوانِ ، ودَفعِ الأَحزان .

• وقال[3] رجلٌ : كنتُ أَمشي مع سُفيان بن عُيَيْنَة ، فسأَلَه سائلٌ ، فلم يجدْ معهُ ما يعطيه ، فبكىٰ ، فقلتُ له : ما يُبكيك يا أَبا محمَّد ؟ فقال : وأَيُّ مُصيبةٍ أَعظمُ من هذه ؟ أَن يُؤَمِّلُ أَحدٌ فيكَ خيْراً فلم يَجِدْهُ فيكَ .

• وقد[4] وُجِدَ مَنقوشٌ على درهمٍ ، على الوجهِ الأَوَّلِ : [من السّريع]

قُرِنْتُ بالنُّجْحِ وبي كُلُّ ما | يُرادُ مِن تَمَتُّعٍ يُوجَدُ

وعلى الوجه الثّاني :

وَكُلُّ مَن كُنْتُ لهُ آلِفاً | فالجِنُّ والإنسُ له أَعْبُدُ)[5]

---

(١) الأَبيات لعروة بن الورد في ديوانه (٩١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٩١) وربيع الأبرار (٥/١٤٧) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ٩١) . وفي ربيع الأبرار (٥/ ١٣٦) : دخل الحسن على عبد الله بن الأهتم يعودُه ، فرآه يُصَوِّبُ بَصَرَه ويُصَعِّدُ نحو صُندوقٍ له ، فقال : يا أَبا سعيد ، ما قولُك في مئة أَلفٍ في هذا الصُّندوق لم تُوصَل منها رحمٌ ولم تُؤَدَّ زكاةٌ ؟ قال الحسنُ : ثكلتكَ أُمُّكَ ، فَلِمَ أَعْدَدْتَها ؟ قال : لروعة الزّمان . . .

(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٩١) .

(٤) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٠٣) .

(٥) من أ .

وأمّا ما جاء في الاحترازِ على الأموال :

● فقد قالوا : يَنبغي لصاحبِ المالِ أَن يحترزَ ويَحْفَظَهُ من المُطْمِعين والمُبَرْطِحين والمُمَخْرِقين والمُموِّهين والمُتَنَمِّسين .

فأمّا المُطْمِعون : فهم الّذين يَتَلَقَّوْنَ أَصحابَ الأَموالِ بالبِشْرِ والإكرامِ ، والتَّحِيَّةِ والإعظامِ ، إلى أَن يأنَسوا بهم ويَعرفوهم بالمُشاهدة ، وربَّما قَضوا ما قَدروا عليه من حَوائجهم إلى أَن يألَفوهم ، ويَحصلَ بينهم سببُ الصَّداقة ؛ ثم إنَّ أَحدَهم يذكرُ لصاحبِ المال في مَعرِض المقالِ أَنَّه كسِبَ فائدةً كثيرةً في مَعيشته ، ثم يمشي معه في الحديث إلى أَن يقولَ : إنِّي فكَّرت فيما عليكَ من المُؤَن والنَّفقات ، وهذا أَمرٌ يعودُ ضَررُه في المستقبل إن لم تساعد بالمكاسبِ ، وغَرَضي التَّقرُّبُ إليك ونُصحُكَ وخِدْمَتُك ، وأُريد أَن أُوَجِّهَ إليك فائدةً مِن المَتْجَرِ ، بشرطِ أَن لا أَضعَ يدي لك على مالٍ ، بل يكونُ مالُكَ تحتَ يَدك أو تَحت يدِ أَحدٍ من جِهَتِكَ ؛ ويخرجُ له في صِفة النّاصحين المُشفقين ، فإذا أَجابَه إلى ذلك كان أَمرُه معه على قِسمين : إن ائْتَمَنَهُ وجعلَ المالَ بيدِه ، أعطاهُ اليَسير منه على صِفة أَنَّه من الرِّبْحِ ، وطاول به الأَوقات ، ودَفع إليه في المُدَّة الطَّويلةِ الشَّيءَ اليَسير من مالِه ، ثم يحتجُّ عليه ببعض الآفاتِ ويَدَّعي الخَسارة ؛ فإن نازَعَهُ صاحبُ المالِ قابَحَهُ ، وبَرْطَلَ من جُملة المال صاحبَ جاهٍ ، فيدفَعه ويقولُ : هذا راباني ؛ فإن رُوعيَ صاحبُ المال وُفِّقَ بينهما ، على أَن يكتبَ عليه ببقيَّة المالِ وثيقةً ، فلا يَستوفي ما فيها إلاّ في الآخرة ؛ وإن هو لم يَأْتَمنه وَعوَّل أَن يكونَ القبضُ بيده ، والمتاعُ مخزوناً لديه ، واطَأَ عليه البائِعين والمُشترينَ ، وحصَّل لنفسه ، وعَمل ما يَفوز بِهِ ؛ فإن حَصَلَ لصاحبِ المالِ أَدنى ربْحٍ ، أَوْهَمَهُ أَنَّ مَفاتيح الأَرزاق بيده ، وإن كسدَ المشترىٰ أَو رخصَ أَحال الأَمرَ على الأَقدار ، وقال : ليس لي عِلْمٌ بالغَيب .

ومن أَشَدِّ المُطمعين : المُتَعَرِّضُونَ لِصَنْعَةِ الكِيمياء ، وهم الطَّمّاعون المُطْمِعون في عَمل الذَّهب والفِضَّة من غير مَعدنهما ؛ فيجبُ أَن تحذرَ التَّقَرُّبَ منهم والاستماعَ لهم فِي شيءٍ من حديثهم ؛ فإِنَّ كَذِبَهُم ظاهِرٌ ، وذلك أَنَّهم يُوهِمون الغيرَ أَنَّهم يُنيلونَهم خيراً ، ويُطلعونَهم على صَنْعَتِهِم ابتداءً منهم لا لحاجة ، وهذا يَستحيلُ ؛ ويَحتجُّون أَنَّهم ما يُلجئُهم إِلى ذلك إِلاّ عَدَمُ الإِمكان وتعذُّر المكان ، وهم غيرُ عاجزين عن ذلك ، فمنهم مَن يكونُ شَوقُه إِلى أَن يدخلَ بِهِ الإِنسانُ ويتركَ عنده عينٌ لها قيمةٌ ، فيأخذُها وينسحبُ .

ومنهم مَن يَشترطُ أَنَّ عملَه لا يَنتهي إِلى مُدَّةٍ ، فيقنعُ في تِلك المُدَّة بالأَكل غُدْوَةً وعَشِيَّةً ؛ وسبيلُه بعد ذلك إِن كان معروفاً ولا يُمكنُه الهربُ قال : فَسَدَ عليَّ العملُ من جهة كَيْتَ وكَيْتَ ؛ ويقولُ لِلَّذي يُنفق عليه : هل لك في المُعاودة ؟ فإِن حَمَلَهُ الطَّمع ووافَقَهُ ، كان هذا له أَتَمَّ غَرَضٍ ، ثم يَحتالُ آخرَ المُدَّة على الفِراق بأَيِّ سببٍ كان ؛ وإِن كان مَنكوراً غافَلَ صاحبَ المكانِ وخرجَ هارباً .

ومن المُطْمِعين قومٌ يَجعلون في الجِبال أَمارات من رَدْمٍ وحَجَرٍ ، ويأتُون إِلى أَصحابِ الأَموال ويقولون : إِنّا نَعرفُ عِلْمَ كَنْزٍ فيه من الأَماراتِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، ثم يُوقِفُونهم على وَرَقَةٍ مُعتَّقَةٍ بالصِّفَة ، ويقولون : نُريد أَن تأخذَ لنا عدَّةً تُنفقُ علينا ، ومهما حصلَ من فَضل الله تعالى لنا ولك ، فيوافقُهم على ذلك ، ويُوَطِّنُ نفسَه على أَنَّ المُدَّة تكونُ قريبةً ، فَيَعْمَلون يوماً أَو يومين ، فيظهرُ لهم أَكثرُ الأَمارات ، فيزدادُ طَمَعاً ويعتقدُ الصِّحَّة ، ثم يُدرجونَه إِلى أَن يُنفقَ عليهم ما شاء الله تعالى ، ويكون آخر أَمرهم كصاحب الكيمياء .

وإِن كانوا مَنكورين ورغبتُهم الطَّمعةُ في قِماشه أَو في العدَّةِ الَّتي معه ، فربَّما قَتلوه هناك لأَجلِ ذلك ومَضوا ؛ فهذا أَمر المُطْمِعين .

وأَمّا المُبَرْطِحون :

فَهم شَرُّ الخَوَنَةِ ، والنّاسُ بهم أَكثرُ غرراً ؛ وذلك أَنَّهم إذا نَدَبَ صاحبُ المالِ أحداً منهم لشِراءِ حاجةٍ ، سارَعَ فيها واحتاطَ في جَودتِها ، وتَوفير كَيْلِها أَو وَزْنها أو ذَرْعِها ، وَوَضَعَ من أَصل ثَمنها شيئاً وَزَنَهُ مِن عنده ، حتّى يُبَيِّضَ وَجْهَهُ عند صاحبِ المال ، ويعتقدَ نُصْحَهُ وأَمانَتَهُ ونُجْحَ مَساعيه ؛ وكذلك إن نَدَبَه لشيءٍ يَبيعهُ استظهرَ واستجادَ النَّقْدَ ؛ ولا يزالُ هكذا دَأْبُهُ حتَّى يُلقي مَقاليدَ أُمورِهِ إليه ، فَيستعطفُه ويفوزُ به ، ثم يغيِّرُ الحالَ الأَوَّلَ في الباطن . فينبغي لصاحبِ المالِ أَن لا يَغفلَ عنه .

وأَمّا المُمَخْرِقون المُمَوِّهُون :

فهم الَّذين يَتَعرَّضُون لِذَوي الأَموال ، فَيُظهرون لهم الغِنى والكِفاية ، ويُباسِطونَهم مُباسَطَةَ الأَصدقاءِ ، وَيعتمدون جَودَةَ اللِّباسِ ، ويَستعملون كثيراً من الطِّيب ، ثم إِنَّ أَحدَهم يذكرُ أَنَّه يربحُ الأَرباحَ العظيمة فيما يُعانيه ، ويَذكر ذلك مع الغَير ؛ ولا يزالُ كذلك حتَّى يثبتَ ويَستقرَّ في ذهن صاحبِ المالِ أَنَّهُ يَكتسبُ في كُلِّ سَنَةٍ الجُمَلَ الكثيرةَ من المال ، وأَنَّه لا يُبالي إِذا أَنفق أَو شرب ، فَتَشْرَهُ نَفْسُ صاحبِ المالِ لذلكَ ، فيقولُ له على سَبيل المُداعبة : يا فلان ، تُريد الدُّنيا كُلَّها لِنَفسك ؟ لِمَ لا تُشركُنا في مَتاجرك هذه وأَرباحِك ؟ فيقولُ له : أَنْتَ جَبانٌ ، يعزُّ عليك إِخراجُ الدِّينار ، وتظنُّ أَنَّك إِن أظهرتَهُ خُطِفَ منكَ ، ولاَ تَدري أَنَّهُ مثلُ البازي إِن أَرسلتَهُ أَكَلَ وأَطعمَك ، وإِن أَمسكتَهُ لم يَصِدْ شيئاً ، واحْتَجْتَ إِلى أَن تُطعمه ، وإِلاّ ماتَ ؛ وأَنا والله لو كان عندي علْمٌ أَنَّكَ تَنبسطُ لهذا ، كنتُ فَعَلْتُ معكَ خيراً كثيراً ، ولكنْ ما كان إِلاّ هكذا ؛ وما فاتَ لا كلامَ فيه ، والعملُ في المُستأنَفِ ؛ فَيَشكرُه صاحبُ المالِ ويَسأَله أَخْذَ المالِ ، فَيَمْطُلُه بِتَسليمِه ، فيزدادُ فيه رغبةً إِلى أَن يسلمَه إِليه . فيكونُ حالُهُ كحالِ المُطمع إذا صار المالُ تحتَ يَده .

وأمّا المُتَنَمِّسُون :

فهم أَهْلُ الرِّياءِ ، المُظهرونَ التَّعَفُّفَ والنُّسْكَ ومُجانبةَ الحَرام ، ومُواظبةَ الصَّلاةِ والصِّيام لكي يَشتهرَ ذِكْرُهم عندَ الخاصِّ والعامِّ ، ثم يَلْقَوْن ذوي الأَموال بالبِشْرِ والإكرام ، والتَّلَطُّفِ في المقَال ، ويَمشون إلى أَبواب المُلوك على صِفَة التَّهاني بالأَعياد ، ورُبَّما يأتي معهُ بأَحدٍ من الأَولادِ ، ويُظهرون النَّزاهةَ والغِنى ، ويَجعلون الدِّينَ سُلَّماً إلى الدُّنيا ، وأَكثرُ أَغراضِهم أَن تُودَعَ عندَهم الأَموالُ وتُفَوَّضَ إليهم الوَصايا ، ويُجِلَّهم العوامُّ ، وتَقْبَل شَهادَتَهم الحُكّامُ ، وتَندبَهم المُلوك إلى الوَصايا والأَموال ، وهؤلاء أَشَرُّ من اللُّصوص والقُطّاع ، وذلك أَنَّ شُهرةَ اللُّصوص والقُطّاع تَدعو إلى الاحترازِ منهم ، وتَشَبُّهُ هؤلاءِ بأَهل الخيرِ يَحملُ الناسَ على الاغترارِ بهم .

● قال الشّاعر[1] : [من البسيط]

صلَّـى وصـام لأَمـرٍ كـان أَمَّلَـهُ ... حتَّى حَواهُ فما صَلّى ولا صاما

● وقيل : لا فَقيرَ أَفقرَ من غَنِيٍّ يَأْمَنُ الفَقر .

● قال الشّاعر[2] : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الفَقْـرَ يُـرْجَـىٰ لـه الغِنـىٰ ... وأَنَّ الغِنـىٰ يُخْشـىٰ عليـهِ مِـنَ الفَقْـرِ

● وأَوصى[3] بعضُ الحُكماءِ وَلده ، فقال له : يا بُنَيَّ ، عليكَ بطلبِ العِلم ، وجَمعِ المال ؛ فإنَّ النّاس طائِفتان : خاصَّة وعامَّة ؛ فالخاصَّةُ تُكرِمُك لِلْعِلْمِ ، والعامَّةُ تُكرمُك لِلمالِ .

---

(١) البيت لشريك بن عبد الله القاضي في التذكرة الحمدونية (٣/ ٨٦) وربيع الأبرار (٤/ ٥٥٣) .
(٢) بلا نسبة في العقد الفريد (٣/ ١٤٢) .
(٣) لأفلاطون في أسرار الحكماء (١١٩ ـ ١٢٠) وفيه تخريجه .

• وقال[1] بعضُ الحُكماء : إذا افتقرَ الرَّجلُ اتَّهمهُ مَن كان به مُوثقاً ، وأَساء به الظَّنَّ من كان ظَنُّهُ حَسَناً ؛ ومَن نزلَ به الفَقْرُ والفاقَةُ لم يجدْ بُدّاً من تَرْكِ الحياءِ ، ومَن ذَهَبَ حَياؤه ذَهب بَهاؤُه ، وما مِن خلَّةٍ هي للغِنىٰ مَدْحٌ إلاّ وهي للفقيرِ عَيْبٌ ؛ فإن كان شُجاعاً سُمِّيَ أَهوجَ ، وإن كان مُؤْثراً سُمِّي مُفْسداً ، وإن كان حَليماً سُمِّي ضَعيفاً ، وإن كان وَقوراً سُمِّي بليداً ، وإن كان لَسِناً سُمِّي مِهْذاراً ، وإن كان صَموتاً سُمِّي عَيِيّاً .

• قال ابن أَبي عُيَيْنَة[2] : [من البسيط]

النّاسُ أَتْباعُ مَن دامَتْ لَهُ نِعَمُ ... والوَيْلُ لِلْمَرْءِ إنْ زَلَّتْ بِهِ القَدَمُ
المالُ زَيْنٌ وَمَنْ قَلَّتْ دَراهِمُهُ ... حَيٌّ كَمَنْ ماتَ إلاَّ أَنَّهُ صَنَمُ
لمّا رَأَيْتُ أَخِلاَّئي وخالِصَتي ... والكُلُّ مُسْتَتِرٌ عَنِّي وَمُحْتَشِمُ
أَبْدَوا جَفاءً وإعْراضاً فَقُلْتُ لَهُمْ : ... أَذْنَبْتُ ذَنْباً ؟ فقالوا : ذَنْبُكَ العَدَمُ

• وكان[3] ابنُ مُقْلَةَ وزيراً لبعضِ الخُلفاء ، فَزَوَّرَ عنه يَهوديٌّ كتاباً إلىٰ بلادِ الكُفّارِ ، وضَمَّنَه أُموراً من أَسرارِ الدَّولةِ ، ثم تحيَّلَ اليَهوديُّ إلىٰ أَن وَصلَ الكتابُ إلىٰ الخليفة ، فوقفَ عليه ، وكان عند ابن مُقلةِ حَظِيَّةٌ هَوِيَت هذا اليَهوديَّ ، فأَعطَتْهُ دَرَجاً بِخَطِّهِ ، فلم يزلْ يجتهدُ حتّىٰ حاكىٰ خَطُّهُ ذلك الخطَّ الَّذي كان في الدَّرْجِ ، فلمّا قرأَ الخليفةُ الكتابَ أَمرَ بقطعِ يَدِ ابنِ مُقلة ، وكان ذلك يوم عَرَفَة ، وقد لبسَ خِلْعَةَ العيدِ ومَضىٰ إلىٰ داره ، وفي مَوكبه كُلُّ مَن في الدَّولة ، فلمّا قُطعت يَدُه وأَصبحَ يوم العيد لم يأتِ أَحدٌ إليه ولا تَوَجَّعَ له ؛ ثم

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٨٨) وبهجة المجالس (١/ ٢٠٩) .

(٢) في أ : قال ابن عيينة بن أبي بكرة . وفي ب : قال عتبة بن كثير . وفي ط : قال ابن كثير . ولعل الصواب هو المثبت أعلاه . والأبيات بلا نسبة في معجم الأدباء (٣/ ٩٩٢) .

(٣) أخبار ابن مقلة في ثمار القلوب (١/ ٣٤٥) والمنتظم (١٣/ ٣٩٣) ووفيات الأعيان (٥/ ١١٣) والوافي بالوفيات (٤/ ١٠٩) . وهذه الرواية غريبة لا وجود لها في مصادر ترجمته .

اتَّضَحَت القَضِيَّةُ في أثناء النَّهار للخليفة أَنَّها من جِهَةِ اليَهوديِّ والجاريةِ ، فقَتَلهما أَشَرَّ قِتْلَةٍ ، ثم أَرسلَ إِلىٰ ابنِ مُقلة أَموالاً كثيرةً وخِلعاً سَنِيَّةً ، ونَدم علىٰ فِعله واعتذرَ إِليه ؛ فكتب ابنُ مُقلة علىٰ باب دارِه يقولُ : [من مخلّع البسيط]

تَحالَفَ النّاسُ والزَّمانُ ... فَحَيْثُ كانَ الزَّمانُ كانوا

عاداني الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ ... فانْكَشَفَ النّاسُ لي وبَانوا

يا أَيُّها المُعْرِضون عَنِّي ... عُودوا فَقَدْ عادَ لي الزَّمانُ

ثم أَقام بقيَّة عُمره يَكتبُ بيدِه اليُسرىٰ .

• قال بعضُهم : [من الخفيف]

إِنَّما قُوَّةُ الظُّهورِ النُّقودُ ... وَبِها يَكْمُلُ الفَتىٰ وَيَسودُ

كَمْ كَريمٍ أَزْرىٰ بِهِ الدَّهْرُ فينا ... وَلئيمٍ يَسعىٰ إِليه الوفودُ

• والأَطِبّاءُ يَعلمون أَمراضاً ، مِن عِلاجها اللَّعِبُ بالدِّينار وشُربُ الأَدوية والمَساليق الَّتي يُغْلىٰ فيها الذَّهب .

• قال الشّاعر : [من السريع]

أَشْفِقْ علىٰ الدِّرْهَمِ والعَيْنِ ... تَسْلَمْ مِنَ العَيْلَةِ والدَّيْنِ[1]

فَقُوَّةُ العَيْنِ بِإِنْسَانِهَا ... وَقُوَّةُ الإِنسانِ بالعَيْنِ

• واعلمْ أَنَّ القلبَ عَمودُ البَدَنِ ، فإِذا قويَ القلبُ قويَ سائرُ البَدَنِ ، وليسَ له قُوَّةٌ أَشَدَّ من المالِ ؛ وبالضِّدِّ إِذا ضعفَ من الفقرِ ضعفَ له البَدَنُ .

• حُكيَ أَنَّ مَلِكاً رأَىٰ شيخاً قد وَثَبَ وَثْبَةً عظيمةً علىٰ نهرٍ فَتَخَطَّاهُ ، والشّابُّ يعجزُ عن ذلك ، فعجبَ منه ، فاستحضرَه ، فحادَثَهُ في ذلك ، فأَراه أَلف دينارٍ مَربوطةً علىٰ وَسَطِهِ .

---

(١) في ط : احرص . . . × .

• وقال[1] لُقمان لابنهِ : يا بُنَيَّ ، شيئان إذا أَنتَ حَفظتَهما لا تُبالي بما صنعتَ بعدَهما ؛ دِيْنُكَ لِمعادِكَ ، ودِرْهَمُكَ لمعاشِكَ .

والكلامُ في هذا المعنىٰ كثيرٌ ، وقد اقتصرتُ منه علىٰ النَّزْرِ اليَسير .

وقد كان في النّاسِ مَن يتظاهرُ بالغِنىٰ ، ويَراه مُروءةً وفَخْراً .

• فمن ذلك[2] : ما حُكي عن [خُمارَوَيْه بن] أحمد بن طُولون ؛ أَنَّه دخَل يوماً بعضَ بَساتينهِ ، فرأىٰ النَّرْجِسَ وقد تَفَتَّحَ زَهرُهُ ، فاستحسنه ، فدعا بغَدائه فتغدَّىٰ ، ثم دعا بشرَابهِ فشربَ ، فلمّا انتشىٰ قال : عليَّ بأَلف مثقالٍ من المسكِ ؛ فنَثَرَهُ علىٰ أَوراق النَّرجِس .

ولْنذكر الآن نُبْذَةً من الذَّخائرِ والتُّحفِ :

• حَكىٰ الرَّشيدُ بن الزُّبير في كِتابه الملقَّب « بالعَجائب والطُّرَف » : أَن[3] أَبا الوليد ذَكر في كتابه المعروف « بأَخبار مكّة » أَنَّ رسولَ الله ﷺ لمّا فتحَ مكَّة عام الفَتح في سنة ثمانٍ من الهِجرة ، وَجد في الجُبِّ الَّذي كان في الكعبةِ سَبعين أَلَف أُوقيَّة من الذَّهب ، ممّا كان يُهدىٰ للبيتِ ، قِيمتُها أَلفُ أَلفٍ وتسعمئةُ أَلفٍ وتسعون أَلف دينار .

• وباعَ[4] زهرة التَّميميّ يومَ القادسيَّة مِنطقةَ جالينُوس حين قَتَلَه بثمانين أَلف دينار ، ولبسَ سَلَبَهُ وقِيمتُه خمسمئة أَلفٍ وخمسون أَلفاً .

• وأَصاب[5] رجلٌ يوم القادسيَّة رايةَ كِسرىٰ ، فَعُوِّضَ عنها ثلاثين أَلف دينار ،

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٩٨) بلا نسبة .

(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ٩٧) والزيادة منه .

(٣) الذخائر والتحف (١٥٥) وأخبار مكة للأزرقي .

(٤) في الذخائر والتحف (١٥٦) : وباع زهرة بن حونة التميمي . . . وليس فيه نصفه الثاني .

(٥) الذخائر والتحف (١٥٦ ـ ١٥٧) .

وكانت قيمتُها أَلفَ أَلفِ دينارٍ ومِئتي أَلف .

• ووجد[1] المُستوردُ بن رَبيعة يوم القادسيَّة إِبريقَ ذهبٍ مُرَصَّعاً بالجَوهر ، فلم يَدْرِ أَحدٌ ما قيمتُه ، فقال رجلٌ من الفُرس : أَنا آخذُه بعشرةِ آلاف دينارٍ ، ولم يعرفْ قيمتَه[2] ، فذهبَ إِلىٰ سعدِ بن أَبي وقّاص ، فأَعطاه إِيّاه وقال : لا تَبِعْهُ إِلاّ بعشرة آلاف دينار ، فباعه سعدٌ بمئةِ أَلف دينار .

• ولمّا[3] أَتت التُّرك إِلىٰ عُبيد الله بن زياد بِبُخارىٰ في سنة أَربعٍ وخمسين ، كان مع مَلِكهم امرأَتُه خاتُون ، فلمّا هَزَمهم الله تعالىٰ أَعْجَلوها عن لُبْسِ خُفَّيْها ، فَلَبِسَت إِحدىٰ فَرْدَتَيْهِ ونَسيت الأُخرىٰ ، فأَصابها المسلمون ، فَقُوِّمَت بِمِئتي أَلف دينار .

• ولمّا[4] فَتح قُتيبة بن مُسلم بُخارىٰ في سنة تسعٍ وثمانين وَجدَ فيها قُدور ذَهَبٍ يُنْزَلُ إِليها بِسَلالم .

• ودفَع[5] مُصعبُ بن الزُّبير حين أَحَسَّ بالقتلِ إِلىٰ زيادٍ مَولاه فصّاً من ياقوتٍ أَحمرٍ ، وقال له : انْجُ بهِ ؛ وكان قد قُوِّمَ ذلك الفصُّ بأَلف أَلف درهمٍ ، فأَخذه زيادٌ ورَضَّهُ بين حَجَرين وقال : والله لا ينتفعُ به أَحدٌ بعد مُصعب .

• وذكر[6] مُصعبُ بن الزُّبير أَنَّ بعضَ عُمّال خُراسان في وِلايته ظهرَ علىٰ كَنْزٍ ، فوجدَ فيه نَخْلَةً كانَت لبعضِ الأَكاسرة مَصنوعةً من الذَّهب ، مُرَصَّعةً بالدُّرِّ

---

(١) الذخائر والتحف (١٥٧ ـ ١٥٨) .
(٢) كذا في الأصول . وفي الذخائر : فعرف أن له قيمة .
(٣) الذخائر والتحف (١٦٩) .
(٤) الذخائر والتحف (١٧٠) وفيه : ولما فتح قتيبة بن مسلم بيكند مدينة التجار من رستاق سمرقند . . . .
(٥) الذخائر والتحف (١٧٣) .
(٦) الذخائر والتحف (١٧٣) والجماهر (١٤٢) .

والجواهر والياقوت الأحمر والأَصفر والزَّبرجد ، فحَملها إِلىٰ مُصعب بن الزُّبير ، فخرجَ مَن قوَّمها ، فبلَغت قيمتُها أَلفي أَلف دينار ، فقال : إِلىٰ مَن أَدفعُها ؟ فقيل : إِلىٰ نِسائك وأَهلك ؛ فقال : لا ، بل إِلىٰ رجلٍ قَدَّم عندنا يداً ، وأَوْلانا جَميلاً ؛ ادعُ لي عبد الله بن أَبي فَروة ، فدفَعها إِليهِ .

• (وابتاعَ[1] الرَّشيدُ من مُسلم بن عبد الله دُرَّةً يتيمةً بَسَبعين أَلف دينارٍ .)[2] .

• ولمَّا[3] صارَ مُوجوداً عِمادُ الدَّولة [ابن المُحترق] في قبضة أَمير الجُيوش ، وُجدَ في كُمِّه دُمْلُجُ ذَهَبٍ ، فيه جَوهرةٌ حَمراءُ كالبَيضة ، وَزْنُها سبعة عشر مثقالاً ، فأَنفذَها أَميرُ الجيوش إِلىٰ المستنصر ، فَقُوِّمَت بتسعين أَلف دينار .

• ووُجد[4] في بُستان العبّاسِ بن الحسن الوزير ، ممّا أُعِدَّ له من آلة الشُّرب يوم قُتِلَ ، سَبعمئة صينيَّة من ذَهبٍ وفِضَّة ، ووُجد له مئة أَلفِ مثقالِ عَنْبَرٍ .

• وتَرك[5] هشامُ بنُ عبد الملِك بعد موته ، اثني عشرَ أَلف قَميص وَشْيٍ ، وعشرة آلافِ تِكَّةٍ حريرٍ ، وحُمِلَت كُسوتُه لمّا حَجَّ علىٰ سَبعمئة جَمَلٍ ، وتَرَكَ بعد وَفاته أَحد عشرَ أَلفَ أَلفِ دينارٍ ، ولم تأتِ دولةُ بني العبّاس إِلاّ وجميعُ أَولاده فُقراء ، لا مالَ لواحدٍ منهم ؛ وبينَ الدَّولةِ العبّاسيَّة ووفاةِ هشامٍ سبعُ سنين .

• (وَوُجدَ[6] في ذخائر جعفر البَرمكيّ لمّا قُتل أَربعةُ آلافِ [أَلف] دينارٍ ، وكلُّ دينارٍ زِنَتُهُ مِئةُ دينار [ودينار]، مكتوبٌ علىٰ وَجهه هذا البيت : [من المتقارب]

وأَصْفَرَ مِـن ضَـرْبِ دارِ المُلـوكِ   يَلُـوحُ علـىٰ وَجْهِـهِ جعفـرُ

---

(١) الذخائر والتحف (١٧٧) .

(٢) من أ . وفيه : بمئة وسبعين ألف دينار . خطأ .

(٣) الذخائر والتحف (١٩٧) . والزيادة منه .

(٤) الذخائر والتحف (٢٢٥) .

(٥) الذخائر والتحف (٢١١) .

(٦) الذخائر والتحف (٢٢٥) . والبيتان فيه بقافية مفتوحة : جعفرا . أيسرا .

وعلىٰ الوجهِ الآخر :

يـــزيـــدُ علـــىٰ مئـــةٍ واحـــداً إذا نـــالَـــهُ مُعْسِـــرٌ يـــوسِـــرُ

• وأُخرج[1] من قصر المُستنصرِ لمّا استولوا عليه ، أُمورٌ جليلةٌ لا قيمة لها ، من التُّحَفِ والحليِّ والجواهر واليواقيت ، والثِّيابِ والسُّتُورِ والفُرُشِ والبُنودِ والعماريّات ، وقُضُبِ الفِضَّة وسُروجِ الذَّهبِ ، وغير ذلك ، لا يَقدرُ الصُّيّاغُ علىٰ عملِ مثلِهِ في سائر الأَرضِ ، ممّا تَعِبَ فيه الملوكُ الأَوائلُ في الدَّولة الأُمويَّة والعبّاسيَّة والطُّولونيَّة والإِخْشيديَّة والكافوريَّة والمغربيَّة .)[2] .

• ولمّا قُتل الأَفضلُ بن أَمير الجُيوش في شَهر رَمضان سنةَ خمسَ عشرةَ وخَمسمئة ، خلَّف بعده مئة أَلفِ أَلفِ دينارٍ ، ومن الدّراهم مئة وخمسين إِرْدَبّاً ، وخَمسةً وسبعين أَلف ثوبِ ديباجٍ ، ودَواةً من الذَّهَبِ قُوِّمَ ما عليها من الجواهر واليواقيت بمئتي أَلف دينارٍ ، وعشرة بُيوتٍ في كل بَيت منها مِسمارُ ذهبٍ قيمتُه مئة دِينار علىٰ كل مسمار عمامة لوناً ، وخلَّف لُعْبَةَ عنبرٍ يجعل عليه ثيابه إِذا نَزعها ، وخلَّف عشرة صناديق مملوءةً من الجوهر الفائِق الَّذي لا يُوجَد مثلُه ، وخلَّف خمسمئة صندوق كبار لكسوةِ حَشَمِهِ ، وخلَّف من الزَّبادي الصِّيني والبلّور المُحكم وَسْقَ مئةِ جَمَلٍ ، وخلَّف عشرة آلاف ملعقة فضَّة ، وثلاثة آلاف ملعقةَ ذَهب ، وعشرة آلاف زبديَّة فِضَّة كبار وصغار ، وأَربع قدور ذهباً ، كلُّ قِدْرٍ وزنها مِئة رطلٍ ، وسبعمئة جام ذهباً بفُصوص زُمُرُّدٍ ، وأَلف خريطةٍ مملوءة دراهم خارجاً عن الأَرادب ، في كُلِّ خريطةٍ عشرة آلاف درهمٍ ، وخلَّف من الخدم والرَّقيق والخيلِ والبغال والجِمال وحلي النِّساء ما لا يُحصي عددَهُ إِلاّ الله تعالىٰ ، وخلَّف أَلف حَسكة ذهباً وأَلفي حَسكة فِضَّةً ، وثلاثة آلاف

---

(١) مفصلاً في الذخائر والتحف (٢٤٩ ـ ٢٥٠) .
(٢) من أ .

نَرجسة ذهباً ، وخَمسة آلاف نرجسة فِضَّة ، وأَلف صُورة ذهباً ، وأَلف صُورة فضَّة منقوشةَ عَمل المغرب ، وثلاثمئة تَوْرٍ ذهباً ، وأَربعة آلاف تَوْرٍ فِضَّةً ، وخلَّف من البُسُطِ الرُّوميَّة والأَندلسيَّة ما مَلأَ به خزائنَ الإيوان وداخل قصرِ الزُّمُرُّدِ ، وخلَّف من البقر والجاموس والأَغنام ما يُباع لَبَنُهُ في كُلِّ سنة بثلاثين أَلف دينار ، وخلَّف من الحواصل المملوءة من الحُبوب ما لا يُحصىٰ .

• ولمّا احتوىٰ النّاصرُ علىٰ ذَخائر قصرِ العاضِد ، وجدَ فيه طَبْلاً كان بالقُرب من مَوضع العاضِدِ مُحتفظاً به ، فلمّا رأَوه سَخِروا منه ، فضَرِبَ عليه إنسانٌ فضَرط ، فضَحكوا منه ، ثم أَمسكه آخرُ وضَربه ، فضَرطَ ، فضَحكوا عليه ، فكسروه استهزاءً وسُخريةً ، ولم يَدْروا خاصِّيَّتَهُ ، وكانت الفائدةُ فيه أَنَّهُ وُضِعَ للقُولَنْجِ ، فلمّا أُخبروا بخاصِّيَّته نَدِموا علىٰ كَسره .

• وقد جَمعَتِ الملوكُ من الأَموال والذَّخائر والتُّحف كُنوزاً لا تُحصىٰ ، وبعد ذلك ماتوا ونفذت ذخائرُهم ، وفَنيت أَموالُهم ، فَسُبحان مَن يدومُ مُلكه وبَقاؤه .

• قال بعضُهم[1] : [من الوافر]

هَبِ الدُّنْيا تُقادُ إِلَيْكَ عَفْواً ... أَلَيْسَ مَصيرُ ذَلكَ لِلزّوالِ

• فضمَّنْتُ أَنا هذا البيتَ ، وقُلت : [من الوافر]

أَيا مَن عاشَ في الدُّنْيا طَويلاً ... وأَفْنىٰ العُمْرَ في قِيلٍ وقالِ
وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ فِيما سَيَفْنىٰ ... وَجَمَّعَ مِن حَرام أَو حَلالِ
« هَبِ الدُّنْيا تُقادُ إِلَيْكَ عَفْواً ... أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلكَ لِلزّوالِ »

وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

❋ ❋ ❋

---

(١) البيت لأبي العتاهية في ديوانه (٢٩٧) .

البابُ الثَّاني والخَمسون

في ذِكرِ الفَقْرِ ومَدْحِهِ

● قد[1] دَلَّ قولُه تعالىٰ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ ـ ٧] علىٰ ذَمِّ الغِنىٰ إِذْ كان سببَ الطُّغيان .

● وسُئِلَ[1] أَبو حَنيفة رحمه الله تعالىٰ عن الغِنىٰ والفقر فقال : وهل طَغىٰ مَن طَغىٰ مِن خَلْق اللهِ عزَّ وجلَّ إِلاّ بالغِنىٰ ؟ وتلا هذه الآية المتقدِّمة .

● والمحقِّقون[1] يَرون الغِنىٰ والفقرَ من قِبَلِ النَّفْس ، لا في المال .

● وكان[2] الصَّحابةُ رضي الله تعالىٰ عنهم يَرون الفقرَ فضيلةً .

● وحدَّث[2] الحسنُ رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « يَدخلُ فُقراءُ أُمَّتي الجنَّةَ قبل الأَغنياء بأَربعين عاماً » فقال جليسٌ للحسن : أَمن الأَغنياء أَنا أَو من الفُقراء ؟ فقال : هل تَغَدَّيْتُ اليومَ ؟ قال : نعم ؛ قال : فهل عندك ما تتَعَشَّىٰ به ؟ قال : نعم . قال : فإِذاً أَنت من الأَغنياء .

● وقال[3] ابنُ عبّاسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما : كان النَّبيُّ ﷺ يبيتُ طاوِياً لياليَ ، ما له ولا لأَهله عَشاء ، وكان عامَّةُ طعامِه الشَّعير ، ورُوي أَنَّه كان يَعْصِبُ الحجرَ علىٰ بَطنه من الجوعِ ، وكان ﷺ يأكلُ خُبْزَ الشَّعير غيرَ مَنْخولٍ .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٧٨) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ٨٠) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٨١) .

• وهذا وقد عُرِضَت عليه مَفاتيحُ كُنوزِ الأَرض . فأَبىٰ أَن يقبَلها ، صلوات الله وسلامه عليه .

• (وروىٰ[1] أَنس بن مالك ، أَنَّ فاطمة الزّهراء رضي الله عنها خَبَزَتْ قُرْصَ شَعيرٍ ، وجاءت به للنَّبيِّ ﷺ فقال : « ما هذا يا فاطمة ؟» قالت : يا رسولَ الله ، قُرْصُ شعيرٍ خَبَزْتُهُ ، فلم تَطِبْ نَفسي حتّىٰ أَتيتُكَ بهذه الكِسرة ؛ فقال : « أَما إِنَّه أَوَّلُ طعامٍ دخلَ فمَ أَبيكِ منذُ ثلاثةِ أَيّام » .)[2] .

وكان يقولُ : « اللّٰهُمَّ تَوَفَّني فقيراً ولا تَتَوَفَّني غَنِيّاً ، واحشُرني في زُمرة المساكين » .

• وقال[3] جابرُ رضي الله تعالىٰ عنه : دخلَ النَّبيُّ ﷺ علىٰ ابنتِهِ فاطمة الزّهراء رضي الله عنها ، وهي تطحَنُ بالرَّحىٰ ، وعليها كِساءٌ من وَبَرِ الإبل ، فبكى وقال : « تَجَرَّعي يا فاطمةُ مَرارَة الدُّنْيا لِنَعيم الآخِرَة غداً » فأَنزلَ الله تَعالىٰ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [الضحىٰ : ٥] .

• وقال ﷺ : « الفَقْرُ مَوْهبةٌ من مواهب الله ، ولا يَختارُهُ إِلاّ لأَوليائِهِ » .

• (وكان ﷺ[4] يجلسُ إِلىٰ فُقراء الصُّفَّة رضي الله عنهم ، وكانوا هم الفُقَراء في أَيّامِهِ ، وكانوا يَجلسون علىٰ صُفَّةٍ عندهُ ، فَعُرِفوا بها ، فأَتاهُ الأَقرع بن حابس التَّميميّ وعُيينة بن حِصن الفَزاريّ ، وقالا : [إِنّا نحبُّ أَن] تجعلَ لنا مَجلساً تعرفُ بِهِ العربُ فَضْلَنا ، فإِنَّ الوُفودَ تأتيكَ فنستحيي أن يرَوْنا مع هذهِ الأَعبُدِ ؛ [قال : « نعم » . قالوا : فاكتبْ لنا عليكَ كتاباً .] فدعا بِصَحيفةٍ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٨١) .
(٢) من أ .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٨٦) .
(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) والزيادات منه .

ليكتبَ لهم على ذلك ، فنزلَ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام : ٥٢] ثم ذَكَرَ الأَقرعَ وصاحبَهُ ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ [الأنعام : ٥٣] ثم ذكرَ الفُقراء ، فقال : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] [فَرمىٰ رسول الله ﷺ بالصَّحيفة] [وترك][1] ما بَدا له من الكتابةِ .

وقال إبراهيم بن المولود : واللهِ إنَّ الحقَّ تباركَ وتعالىٰ هو الَّذي سَلَّمَ عليهم ، والنَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسّلام واسطةٌ .)[2] .

● وفي[3] الخبر : « إذا كان يومُ القيامة يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لِملائكتِه : أَدْنُوا إليَّ أَحِبّائي ؛ فتقولُ الملائكةُ : ومَن أَحِباؤك يا إلَهَ العالمين ؟ فيقول : فُقراءُ المؤمنين أَحِبّائي ؛ فَيُدنُونَهم منه ، فيقولُ : يا عِبادِيَ الصّالحين ، إنِّي ما زَوَيْتُ الدُّنْيا عنكم لِهوانِكُمْ عَليَّ ، ولكن لِكَرامَتِكُم ؛ تَمَتَّعوا بالنَّظَرِ إليَّ ، وتَمَتَّعوا ما شِئْتُم ؛ فيقولون : وعِزَّتِكَ وَجلالِك ، لقد أَحْسَنْتَ إلينا بما زَوَيْتَ عنّا مِنها ، ولقد أَحسنتَ بِما صَرَفْتَ عنّا ؛ فيأمرُ بِهم ، فَيُكرَمون ويُحْبَرون ويُزَفُّون إلىٰ أَعلىٰ مَراتب الجِنان .

● وقال ﷺ : « هَل تُنصرونَ إلاّ بُفقرائكم وضُعفائكم ؟ والَّذِي نَفْسي بِيَده لَيَدخلنَّ فُقراءُ أُمَّتي الجَنَّةَ قبلَ أَغنيائِها بخَمسمئة عامٍ ، والأَغنياءُ جاثُونَ علىٰ رُكَبِهِم » .

● وقال عليه الصَّلاة والسَّلام « رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذي طِمْرَيْن لا يُؤْبَهُ له ، لو أَقْسَمَ علىٰ اللهِ تَعالىٰ لأَبَرَّهُ » . أَي لو قال : اللَّهمَّ إنِّي أَسأَلُك الجَنَّة لأَعطاهُ الجَنَّة ، ولم يُعْطِهِ من الدُّنيا شيئاً .

---

(١) هذه الكلمة فقط من عندي .
(٢) من أ .
(٣) نصفه الأول في ربيع الأبرار (٥/ ١٤١) .

• وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ كُلُّ أَشْعَثَ أَغبَرَ ذي طِمْرَين لا يُؤْبَهُ له ، الَّذين إِذا استَأْذَنوا علىٰ الأمير لا يُؤْذَنُ لهم ، وإِن خَطَبوا النِّساء لم ينكحوا ، وإِذا قالوا لم يُنْصَتُ لَهم ؛ حوائِجُ أَحَدهم تَتَلجلجُ في صَدره ، لو قُسِمَ نُورُه علىٰ النّاس يومَ القيامةِ لَوَسِعَهُمْ » .

• ورُوي عن خالد بن عبد العزيز ، أَنَّه قال : كان حَيْوَةُ بن شُرَيْح من البَكّائين ، وكان ضَيِّقَ الحالِ جِدّاً ، فجلستُ إِليه ذاتَ يومٍ وهو جالسٌ وَحْدَه يدعو ، فقلتُ له : يَرحمُك الله ، لو دعوتَ الله تعالىٰ ليوسِّعَ عليك في مَعيشتك ؛ قال : فالتفتَ يميناً وشمالاً فلم يَرَ أَحداً ، فأَخذ حَصاةً من الأَرض وقال : اللَّهمَّ اجعلْها ذَهَباً ؛ فإِذا هي تِبْرَةٌ في كَفِّهِ ، ما رأَيتُ أَحسنَ منها ؛ قال : فرمىٰ بها إليَّ وقال : هو أَعلمُ بِما يُصلحُ عِبادهِ ؛ فقلتُ : ما أَصنعُ بهذهِ ؟ قال : انفقْها علىٰ عِيالك ؛ فَهبْتُهُ والله أَن أَردَّها عليه .

• وقال[1] عونُ بن عبد الله : صَحِبْتُ الأَغنياءَ فلم أَجِدْ فيهم أَحَداً أَكثَرَ مِنّي هَمّاً ، لأَنّي كنتُ أَرىٰ ثياباً أَحسنَ من ثيابي ودابَّةً أَحسنَ من دابَّتي ، ثم صَحِبْتُ الفُقراء بعد ذلك ، فاستَرَحْتُ .

• قال بعضُهم[2] : [من الطويل]

وَقَـدْ يُهْلِـكُ الإِنْسـانَ كَثْـرَةُ مـالِـهِ   كَما يُذْبَحُ الطَّاووسُ مِن أَجْلِ رِيشِهِ

• وقال عبدُ الله بن طاهر[3] : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـدَّهْـرَ يَهْـدِمُ مـا بَنـىٰ   ويأْخُذُ ما أَعْطىٰ وَيُفْسِدُ ما أَسْدىٰ

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٢) .
(٢) البيت للميكالي في ديوانه (١٢٤) وربيع الأبرار (٥/ ١٤٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٠٥) .
(٣) له في التذكرة الحمدونية (٨/ ١٠٥) .

فَمَنْ سَرَّهُ أَن لا يَرىٰ ما يَسُوؤُهُ   فلا يتَّخِذْ شَيْئاً يَخافُ له فَقْدا

• وكان[١] من دُعاء السَّلَفِ رضي الله تعالىٰ عنهم : « اللَّهمَّ إِنِّي أَعوذُ بكَ مِن ذُلِّ الفَقْرِ وَبَطَرِ الغِنىٰ » .

• وقيل[٢] : مَكتوبٌ علىٰ بابِ مدينةِ الرَّقَّة : وَيْلٌ لِمَنْ جَمَعَ المالَ مِن غيرِ حَقِّه ، ووَيْلانِ لمن وَرَّثَهُ لِمن لا يَحمدُه وقَدِمَ علىٰ مَن لا يَعذرُه .

• ولمّا[٣] فُتحت بَلْخُ في زمن عُمر رضي الله تعالىٰ عنه وُجد علىٰ بابِها صخرةٌ مكتوبٌ فيها : إِنَّما يتبيَّنُ الفَقير من الغَنيِّ بعد الانصرافِ من بينِ يَدي الله تعالىٰ بعدَ العَرْضِ .

• قال الشّاعر : [من الطويل]

وَمَن يَطْلُبِ الأَعْلىٰ منَ العَيْشِ لم يَزَلْ   حَزيناً علىٰ الدُّنْيا رَهينَ غُبُونِها
إِذا شِئْتَ أَن تَحيا سَعيداً فلا تكُنْ   علىٰ حالَةٍ إِلّا رَضيتَ بِدُونها

• وقال آخر[٤] : [من الطويل]

وَلا تَرْهَبَنَّ الفَقْرَ ما عِشْتَ في غَدٍ   لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ مِنَ اللهِ واجِبُ

• وقال هارون بن جعفر الطّالبيّ[٥] : [من الخفيف]

بُوعِدَتْ هِمَّتي وَقُورِبَ مالي   فَفَعالي مُقَصِّرٌ عن مَقالي
ما اكْتَسىٰ النّاسُ مِثْلَ ثَوْبِ اقْتِناعٍ   وهوَ مِن بَيْنِ ما اكْتَسَوا سِرْبالي
وَلَقَدْ تَعْلَمُ الحَوادِثُ أَنِّي   ذو اصْطِبارٍ علىٰ صُروفِ اللَّيالي

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٦) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٧) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ١٥٠) .
(٤) للفضل بن عبد الرحمن المطلبي في ربيع الأبرار (٥/ ١٥١) .
(٥) له في ربيع الأبرار (٥/ ١٥٢) .

• وقال[1] أَعرابيٌّ : مَن وُلد في الفَقر أَبْطَرَهُ الغِنىٰ ، ومَن وُلد في الغِنىٰ لم يَزِدْهُ إلاّ تَواضُعاً .

• فما أَحسنَ الفقرَ وأَكثرَ ثوابَه ، وأَعظمَ أَجْرَ مَن رضيَ به ، وصَبَرَ عليه ؛ اللَّهمَّ اجعلنا من الصّابرين بِرَحْمَتك يا أَرحم الرّاحمين ، يا ربَّ العالمين ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أَجمعين .

* * *

(١) ربيع الأبرار (٥/١٣٨) .

البابُ الثَّالثُ والخَمسون

في التَّلَطُّفِ في السُّؤال ، وذِكر مَن سُئِلَ فَجاد

• رَوى[١] الإِمامُ مالكٌ في « المُوَطّأِ » عن زيد بن أَسلم رضي الله عنه ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أَعطوا السّائلَ ولو جاءَ على فَرَسٍ » .

• وما سُئِلَ عليه السَّلام شيئاً قطُّ ، فقال لا .

• وأَتى[٢] أعرابيٌّ إلى عليٍّ رضي الله تعالى عنه ، فسأَله شيئاً ، فقال : والله ما أَصبحَ في بَيتي شيءٌ فَضَلَ عن قُوتي ؛ فولَّى الأَعرابيُّ وهو يقول : والله لَيَسْأَلَنَّكَ الله عن مَوقفي بين يَديك يوم القيامة ؛ فبكى عليٌّ رضي الله عنه بكاءً شديداً ، وأَمر بِرَدِّهِ ، وقال : يا قَنْبَرُ ، ائْتِني بِدِرْعي الفُلانيَّة ؛ فدفَعها إلى الأَعرابيِّ ، وقال : لا تُخْدَعَنَّ عنها فطالَما كشفتُ بها الكُروب عن وَجْهِ رسولِ الله ﷺ ؛ فقال قَنبرُ : يا أَمير المؤمنين ، كان يُجْزيه عِشرون درهماً ؛ فقال : يا قَنبر ، والله ما يَسُرُّني أَنَّ لي زِنَةَ الدُّنيا ذَهباً وفِضَّةً ، فتصدَّقْتُ به ، وقَبِلَ الله منِّي ذلك ، وأَنَّه يَسأَلني عن مَوقف هذا بين يَديّ .

• وقال[٣] عليٌّ رضي الله تعالى عنه : إِنَّ لكلِّ شيءٍ ثَمرةً ، وثَمرةُ المعروفِ تَعجيلُ السَّراحِ .

• (وقال[٤] أعرابيٌّ لرجلٍ : حاجتي إليك حاجة الضّالِّ إِلى المُرْشِدِ ،

---

(١) الموطأ (٢/ ٩٩٦ ، كتاب الصدقة ٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣٩) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٥) . وهو من أ .

والمُضِلِّ إلى المُنْشِدِ) .

• وقال[1] مَسْلَمَةُ لِنُصَيْبٍ : سَلْني . فقال : كَفُّكَ بالعَطِيَّةِ أَبْسَطُ من لِساني بالمسأَلَة ؛ فقال لحاجبِهِ : ادفعْ إِليه أَلف دينار .

• وسأَل[1] رجلٌ الحسنَ بن سَهْل ، فقال له : ما وسيلتُك ؟ قال : وَسيلتي أَنِّي أَتيتُك عامَ أَوَّلَ فَبَرَرْتَني ؛ فقال : مَرحباً بمَن تَوَسَّل إِلينا بنا ؛ ثم وَصله وأَكرمَه .

• ويُقال[2] : الكريمُ إِذا سُئِلَ ارتاحَ ، واللَّئيمُ إِذا سُئِلَ ارتاعَ .

• (وسأَل[3] المأمونُ محمَّد بن حازم [البَاهليّ] أَن يرتجلَ بيتين ، فقالَ :

[من السريع]

أَنْـتَ سمـاءٌ وَيـدي أَرضُهـا والأَرضُ قـد تـأْمَـلُ غَيـثَ السَّمـا
فـازرعْ يـداً عنـديَ مَحمـودةً تحصـدْ بهـا عنـديَ حُسْـنَ الثنـا)

[فأعطاه عشرةَ آلاف درهم] .

• ولمّا[4] وَفَدَ المهديُّ من الرَّيِّ إِلى العراق ، امتدَحه الشُّعراءُ ، فقال أَبو دُلامة[5] : [من الكامل]

إِنِّـي نَـذَرْتُ لَئِـنْ رَأَيْتُـكَ قـادِمـاً أَرْضَ العِـراق وأَنْـتَ ذو وَفْـرِ
لَتُصَلِّيَـنَّ علـى النَّبـيِّ مُحَمَّـدٍ وَلَتَمْـلأَنَّ دَراهِمـاً حِجْـري

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣١٨) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٧) . والبيتان في ديوان الباهلي (٢٢) . وهو من أ .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٢١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٤٥) والأغاني (١٠/ ٢٥٣) والعقد الفريد (١/ ٢٦٣) والمستجاد (٢٣٥) .
(٥) ديوانه (٥١) .

فقال المهديُّ : صلَّى الله على محمَّد ؛ فقال أَبو دُلامة : ما أَسْرَعَكَ للأُولى وأَبطأَك عن الثّانية ؛ فضحكَ وأَمر بِبَدْرَةٍ ، فَصُبَّت في حِجْره .

• وسمعَ[١] الرَّشيدُ أَعرابيَّةً بمكَّة تقولُ : [من الخفيف]

طَحَنَتْنـا كَـلاكِـلُ الأَعْـوام وَبَـرَتْنـا طَـوارِقُ الأَيّـامِ
فـأَتَيْنـاكُـمُ نَمُـدُّ أَكُفّـاً لِقُمـامـاتِ زادِكُـمْ والطَّعـامِ
فـاطلُبـوا الأَجْـرَ والمَثُـوبَـةَ فِينـا أَيُّهـا الـزّائِـرونَ بَيْـتَ الحَـرَامِ

فَبكى الرَّشيد ، وقال لمن معه : سأَلتُكم بالله تعالى إلاّ ما دَفعتُم إليها صَدقاتكم ؛ فأَلقوا عليها الثِّيابَ حتَّى وارتْها كثرةً ، وملأوا حِجْرَها دراهمَ ودنانير .

• وسأَل[١] أَعرابيٌّ بِمكَّة وأَحسن في سُؤاله ، فقالَ : أَخٌ في الله ، وجارٌ في بلدِ الله ، وطالبُ خَيْرٍ من عندِ الله ، فهل من أَخٍ يُواسيني في الله .

• قال الشّاعر[٢] : [من الخفيف]

لبـسَ فـي كُـلِّ وَهْلَـةٍ وأَوانٍ تَتَهَيّـا صَنـائِـعُ الإِحسـانِ
فـإِذا أَمكَنَـتْ فَبـادِرْ إِليهـا حَـذراً مِـن تَعَـذُّرِ الإمكـانِ

• وقال أبو ذُفافة البَصْري[٣] : [من الكامل]

أَضْحَـتْ حَـوائِجُنـا إِليـكَ مُنـاخَـةً مَعْقُـولَـةً بِـرِحـابِـكَ الـوَصَّـالِ
أَطْلِـقْ فَـدَيْتُـكَ بـالنَّجـاحِ عِقـالَهـا حتَّـى تَثُـورَ بِنـا بِغَيْـرِ عِقـالِ

• وعن[٤] عليٍّ رضي الله تعالى عنه ، قال : يا كُمَيْلُ ، مُرْ أَهلَك أَن يَروحوا في

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٣) .
(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٣) .
(٣) له في ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٥) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٥٣) .

كَسبِ المكارمِ ، ويُدلجوا في حاجةِ مَن هو نائمٌ ؛ فوالَّذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصواتَ ما مِن أَحدٍ أَوْدَعَ قَلباً سُروراً ، إلاّ خلقَ الله تعالى من ذلك السُّرورِ لُطْفاً ، فإذا نابَتْهُ نائِبَةٌ جَرى إليها كالماءِ في انحدارِه ، حتَّى يَطردَها عنه كما تُطْرَدُ غَريبةُ الإِبلِ .

• وقال[1] لجابرِ بن عبد الله : يا جابرُ ، مَن كَثُرَت نِعَمُ الله تعالى عليه ، كَثُرَت حَوائجُ النّاسِ إليه ؛ فإذا قام بما يجبُ للهِ فيها فقد عَرَّضَها للدّوام والبَقاء ، ومَن لم يقمْ بمَا يجبُ لله فيها عَرَّضَ نِعَمَهُ لِزوالها .

• وكان[2] لَبيدُ آلى على نَفسه كلَّما هَبَّت الصَّبا أن ينحرَ ويُطعم ، وربَّما ذَبح العِتاق إذا ضاقَ الخِناقُ ؛ فخطبَ الوليدُ بن عُقبة يوماً فقال : قد علمتُم ما جَعل أبو عَقيلٍ على نَفسه ، فأَعينُوه على مُروءته ؛ ثم بعثَ إليه بخمسٍ من الإبل وبهذه الأَبيات : [من الوافر]

أَرى الجَزّارَ يَشْحَذُ مُدْيَتَيْهِ	إذا هَبَّتْ رِياحُ أَبي عَقيلِ
طَويلُ الباعِ أَبلجُ جَعْفَرِيٌّ	كريمُ الجدِّ كالسَّيفِ الصَّقيلِ
وَفى ابنُ الجَعْفَريّ بِما نَواهُ	على العِلاّتِ بالمالِ القَليلِ

فدعا لَبيدٌ بِنْتاً له خُماسيَّةً ، وقال : يا بُنَيَّةُ ، إِنِّي تركتُ الشِّعرَ ، فأَجيبي الأَمير عنّي ؛ فقالت : [من الوافر]

إذا هَبَّتْ رِياحُ أَبي عَقيلٍ	دَعَوْنا عِنْدَ هَبَّتِها الوَليدا
طَويلَ الباعِ أَبْلَجَ عَبْشَمِيٍّ	أَعانَ على مُروءَته لَبيدا
بِأَمثالِ الهِضابِ كأَنَّ رَكْباً	عَليها مِن بَني حامٍ قُعودا
أَبا وَهْبٍ جَزاكَ الله خَيْراً	نَحَرْناها وَأَطْعَمْنا الثَّريدا
فَعُدْ إِنَّ الكَريمَ لَهُ مَعادٌ	وَظَنّي في ابنِ عُقبَةَ أَن يَعودا

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣١) .
(٢) الأغاني (١٥/ ٣٧٠) وربيع الأبرار (٣/ ٣٣٦) .

فقال لَبيدٌ: أَحسنتِ واللهِ يا بُنَيَّة، لولا أَنَّكِ سأَلتِ وقُلتِ: عُد؛ فقالَت: يا أَبَتِ، إِنَّ المُلوكَ لا يُسْتَحْيا مِنهم في المسأَلَةِ؛ فقال: واللهِ لأَنْتِ في هذا أَشْعَرُ مِنِّي.

● ووفَد[1] رجلٌ من بَني ضَبَّةَ على عبدِ الملكِ، فأَنشده[2]: [من الكامل]

واللهِ مـا نَـدْري إِذا مـا فـاتَنـا ... طَلَـبٌ إِليـكَ مَـن الَّـذي نَتَطَلَّـبُ
وَلَقَـدْ ضَـرَبْنـا فـي البِـلادِ فلَمْ نَجِـدْ ... أَحَـداً سِـواكَ إِلـى المَكـارِمِ يُنْسَـبُ
فـاصْبِـرْ لِعـادَتِـكَ الَّتـي عَـوَّدْتَنـا ... أَوْ لا فـأَرْشِـدْنـا إِلـى مَـن نَـذْهَـبُ

[فأَمرَ له بأَلف دينار، فعاد إِليه من قابلٍ وأَنشدَه: [من الطويل]

يَـودُّ الَّـذي يـأْتـي مـن العُـرْفِ أَنَّـهُ ... إِذا فَعَـلَ المعـروفَ زادَ وتَمَّـمَـا
وَليـسَ كبـانٍ حيـنَ تـمَّ بِنـاؤهُ ... تَتَبَّعَـهُ بـالنَّقْـضِ حتّـى تَهَـدَّمـا]

فأَمر له بأَلف دينارٍ، فعادَ إِليه من قابلٍ، وقال: يا أَميرَ المؤمنين، إِنَّ الرَّويَّ لَيُنازعُني، وإِنَّ الحياءَ يَمنعُني؛ فأَمر له بأَلفِ دينارٍ وقال: واللهِ لو قُلْتَ حتَّى تنفَذ بُيوتُ الأَموالِ لأَعطيتُك.

● وقيل[3]: إِنَّ رجلاً عَرَضَ للمنصورِ، فسأَله حاجةً فلم يقْضِها، فعرَضَ له بعدَ ذلك، فقال له المنصورُ: أَليسَ قد كلَّمْتَني مرَّةً قبلَ هذه؟ قال: نعم يا أَميرَ المؤمنين، ولكنَّ بعضَ الأَوقاتِ أَسعدُ من بعضٍ، وبعضُ البِقاعِ أَعزُّ من بعضٍ؛ فقال: صدقتَ؛ وقَضى حاجتَه، وأَحسن إِليه.

● وَرُويَ[4] أَنَّ أَبا دُلامة الشّاعر كان واقفاً بين يَدَي السَّفّاح في بعضِ الأَيّامِ، فقال

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣٧) والمناقب والمثالب رقم (٤٩٨) والزهرة (٢/ ٦١٣) والزيادات منها.
(٢) الثاني والثالث في طبقات ابن المعتز (٢١٩ و٤٣٥) لبكر بن النّطّاح وديوانه (٢١٨) (ضمن شعراء مقلون). وهما بلا نسبة في عيون الأخبار (٣/ ١٧).
(٣) في ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٥) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٩١): تعرّضُ رجلٌ لمعاوية ....
(٤) الأغاني (١٠/ ٢٣٦) وربيع الأبرار (٣/ ٣١٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٨٢) ومحاضرات الراغب (١/ ٥٤٧ ـ ٥٤٨) وعيون الأخبار (٣/ ١٢٨).

له : سَلْنِي حاجَتك ؛ فقال : كلبُ صَيْدٍ ؛ فقال : أَعطوه إِيّاه ؛ فقال : ودابّة أَصيدُ عليها ؛ فقال : أَعطوه دابّةً ؛ فقال : وغُلاماً يقودُ الكلبَ ويَصيدُ به ؛ قال : أَعطوه غُلاماً ؛ قال : وجاريةً تُصْلِحُ لنا الصَّيْدَ وتُطْعِمُنا منه ؛ قال : أَعطوه جاريةً ؛ فقال : هؤلاء يا أَميرَ المؤمنين عِيالٌ ، ولا بُدَّ لهم من دارٍ يَسكنونَها ؛ قال : أَعطوه داراً تَجمعُهم ؛ قال : فإِن لم يكنْ لهم ضَيعةٌ فمِن أَين يعيشون ؟ قال : قد أَقطعتُكَ مِئة جَريبٍ عامرةً ومِئة جَريبٍ غامِرةً ؛ فقال : ما الغامرةُ يا أَمير المؤمنين ؟ قال : ما لا نَباتَ فيها ؛ قال : قد أَقطعتكَ يا أَمير المؤمنين خمسمئة جريبٍ غامِرة من فَيافي بني أَسَد ؛ فضحكَ وقال : اجعلوها كلَّها عامِرةً .

فانظرْ إِلى حِذقِهِ بالمسأَلة ولُطْفِهِ فيها ، كيفَ ابتدأَ بكلبِ صيدٍ فَسَهَّلَ القضيَّة ، وجعلَ يأتي بمسأَلةٍ بعد مسأَلةٍ على ترتيبٍ وفُكاهةٍ حتَّى سأَل ما سأَله ، ولو سأَل ذلك بَديهةً لمَا وصلَ إِليه .

• وحُكي عن المأمون أَنَّه قال ليحيى بن أَكْثَم يوماً : سِرْ بنا نتفرَّجُ ؛ فسارا ، فبينما هما في الطَّريق وإِذا بِمَقْصَبَةٍ ، خرجَ منها رجلٌ للمأمونِ يَتَظَلَّمُ له ، فَنَفَرَت دابَّتُه ، فأَلْقَتْهُ على الأَرْضِ صَريعاً ، فأَمر بضَرب عُنق ذلك الرَّجل ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّ المضطرَّ يرتكبُ الصَّعبَ من الأُمور وهو عالمٌ به ، ويَتجاوزُ حَدَّ الأَدب وهو كارهٌ لِتَجاوزِهِ ؛ ولو أَحْسَنَتِ الأَيّامُ مُطالبتي لأَحْسَنْتُ مُطالبتَك ، ولأَنتَ على ما لم تَفعلْ أَقدرُ منِّي على ردِّ ما قد فعلتُ ؛ قال : فبكى المأمونُ وقال : باللهِ أَعِدْ عليَّ ما قلتَ ، فأَعاده ، فالتفتَ المأمونُ إِلى يحيى بن أَكثَم وقال : أَما تنظرُ إِلى مُخاطبة هذا الرَّجلِ بأَصغرَيْهِ ؟ والنَّبيُّ ﷺ يقول : « المرءُ بأَصْغَرَيْهِ قلبِهِ ولِسانِهِ » . واللهِ لا وقفتُ لكَ إِلاّ وأَنا قائمٌ على قَدَمَيَّ ؛ فوقفَ وأَمر له بصِلةٍ جَزيلةٍ ، واعتذرَ إِليه ؛ فلمّا همَّ المأمونُ بالانصرافِ قال الرَّجلُ : يا أَميرَ المؤمنين ، بيتان قد حَضَراني ؛ ثم أَنشدَ يقولُ : [من البسيط]

ما جادَ بالوَفْرِ إِلاَّ وهو مُعْتَذِرٌ ولا عَفا قَطُّ إِلاَّ وهوَ مُقْتَدِرُ

وَكُلَّمـــا قَصَـــدوهُ زادَ نـــائِلُـــهُ كـالنَّـارِ يُـؤْخَـذُ مِنْهـا وَهـيَ تَسْتَعِـرُ

• **وقيل**[1] : إنَّ بعضَ الحُكماءِ لزمَ بابَ كِسرى في حاجةٍ دَهراً ، فلم يُوصَل إليه ، فكتبَ أَربعةَ أَسطرٍ في وَرقةٍ ودفَعها للحاجبِ ؛ فكان في السَّطر الأَوَّل : الضَّرورةُ والأَملُ أَقْدَماني عليك ؛ وفي السَّطر الثّاني : العَديمُ لا يَكونُ لهُ صَبْرٌ عن المُطالبة ؛ وفي السَّطر الثّالث : الانْصرافُ من غير فائدةٍ شَماتةُ الأَعداءِ ؛ وفي السَّطر الرّابع : إمّا نَعَمٌ مُثمرةٌ ، وإمّا لا مُريحةٌ . فلمّا قَرأَها كِسرى دفعَ له في كُلِّ سطر أَلف دينار .

• **وحُكيَ** أَنَّ رجلاً كان جاراً لابن عُبيد الله ، فأَصابَ النَّاسَ قَحْطٌ بالعراقِ حتَّى رَحَلَ أَكثرُ النّاسِ عنه ، فعزمَ جارُ ابنِ عُبيد الله على الخُروجِ من البلادِ في طلبِ المعيشةِ ، وكانت له زَوجةٌ لا تقدرُ على السَّفرِ ، فلمّا رأَت زوجَها تهيّأَ للسَّفرِ قالَت له : إذا سافَرْتَ مَن الَّذي يُنفقُ علينا ؟ قال : إنَّ لي على ابنِ عُبيد الله [أَلف] دينار ، ومعي به إشهادٌ عليه شَرعيٌّ ، فَخُذي الإشهادَ وقَدِّميه إليه ، فإذا قرأَهُ أَنفقَ عليك ممّا عندَه حتَّى أَحضرَ ؛ ثمَّ نَاوَلَها رُقعةً كتبَ فيها هذه الأَبيات ؛ يَقولُ : [من البسيط]

قالَتْ وَقَدْ رَأَتِ الأَحْمالَ مُحْدَجَةً والبَيْنُ قَد جَمَّعَ المَشْكُوَّ والشّاكي :
مَن لي إذا غِبْتَ في ذا المَحْلِ ؟ قلتُ لها : اللهُ وابــــنُ عُبيـــدِ الله مَــــولاكِ

فمضَت إليهِ المرأَةُ وحكَت له ما قال زوجُها ، وأَخبرَتْهُ بسَفَره ، وناولَتْهُ الرُّقْعَة ، فقَرأَها ، وقال : صدقَ زوجُك ؛ وما زالَ يُنفقُ عليها ، ويُواصلها بالبِرِّ والإِحسانِ إلى أَن قَدِمَ زَوجُها ، فشَكَره على فَضْلِه وإِحسانِه .

• **وحُكي**[2] أَنَّ مُطيع بن إِياسٍ مدحَ مَعْنَ بن زائدة بقَصيدةٍ حسنةٍ ، ثمَّ أَنشدَها

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ١٢٦) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٧٨) ومحاضرات الراغب (١/ ٥٤٩) .

(٢) طبقات ابن المعتز (٩٤) والأغاني (١٣/ ٣٢٥) وثمرات الأوراق (٤٧٣) ومحاضرات الراغب (١/ ٥٥٤) .

بين يديه ، فلمّا فرغَ من إنشاده أَراد معنٌ أَن يُباسِطَه ، فقال : يا مُطيع ، إن شئتَ أَعطيناكَ ، وإن شئتَ مَدحناك كما مَدَحْتَنا ؛ فاستَحْيا مُطيعٌ من اختيارِ الثَّواب ، وكَرِهَ المدح وهو مُحتاجٌ ؛ فلمّا خرجَ من عندِ معنٍ أَرسل إليه بهذين البيتين[1] : [من الوافر]

ثَنـاءٌ مِـن أَميـرٍ خَيْـرُ كَسْـبٍ   لِصـاحِـبِ نِعْمَـةٍ وأَخـي ثَـراءِ
وَلكـنَّ الـزَّمـانَ بَـرى عِظـامـي   ومـالـي كـالـدَّراهـمِ مـن دَواءِ

فلمّا قرأَها معنٌ ، ضَحك وقال : ما مِثْلُ الدراهمِ من دَواء ؛ وأَمر له بصِلَةٍ جَزيلةٍ ومالٍ كثيرٍ .

• قال الشّاعر[2] : [من الطويل]

هَـزَزْتُـكَ لا أَنِّـي جَعَلْتُـكَ نـاسِيـاً   لأَمْـري وَلا أَنِّـي أَرَدْتُ التَّقـاضِيـا
ولكنْ رَأَيْتُ السَّيْفَ مِن بَعْدِ سَلِّهِ   إلى الهَزِّ مُحتاجاً وإن كان ماضِيا

• وقال آخر[3] : [من الكامل]

ماذا أَقولُ إذا رَجَعْتُ وقيلَ لي :   مـاذا لَقيـتَ مـن الجَـواد الأَفْضَـلِ ؟
إنْ قُلْتُ : أَعطاني ؛ كَذَبْتُ ؛ وإن أَقُلْ :   بَخِـلَ الجـوادُ بِمـالِـهِ لـم يَجْمُـلِ
فَـاخْتَـرْ لِنَفْسِـكَ مـا أَقـولُ فـإِنَّنـي   لا بُـدَّ أُخْبِـرُهُـمْ وإن لـم أُسـأَلِ

• وقال آخر : [من الكامل]

لِنَـوائِـبِ الـدُّنْيـا خَبَـأْتُـكَ فـانْتَبِـهْ   يـا نـائِمـاً مِـن جُمْلَـةِ النُّـوَّامِ
أَعلَى الصِّراطِ تُزيلُ لَوْعَةَ كُرْبَتي   أَم فـي المَعـادِ تَجُـودُ بـالإِنْعـامِ

---

(١) ديوانه (٣٠) (ضمن شعراء عباسيون لغرونباوم) .
(٢) البيتان لبشار في ديوانه (٤/ ٢٥٣) والمناقب والمثالب رقم (٥٣٠) .
(٣) الأبيات لدعبل في العقد الفريد (١/ ٢٧٢) والمناقب والمثالب رقم (٥٤٩) ومختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٧٨) . وديوانه (٢٢٠ ـ ٢٢١) . وهي لأبي تمام في روضة العقلاء (٢٢٧) ومختصر تاريخ دمشق (٢٤/ ٥٣) وليست في ديوانه .

وممّا يُستحسن إلحاقُه بهذا الباب :

ذِكرُ شيءٍ ممّا جاءَ في ذَمِّ السُّؤالِ والنَّهي عنه :

● رُوي[1] عنِ عَوف بنِ مالك الأَشْجَعيّ رضي الله تعالى عنه ، قال : كُنّا عندَ رسولِ الله ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً ، فقال : « أَلا تُبايعونَ رسولَ الله ﷺ ؟ » فَبَسَطْنا أيدينَا ، وكُنّا حَديثي عهدٍ بالمُبايعة ، فقُلنا : قد بايَعناكَ يا رسولَ الله ، فعلامَ يا رسول الله نُبايِعُك ؟ قال : « أَن تَعْبُدُوا اللهَ ولا تُشركوا به شيئاً ، وتُقيموا الصَّلوات الخَمس ، وتُطيعوا الله » وأَسَرَّ كلمةً خَفِيّةً ، وهي : « ولا تَسْأَلوا النّاس شيئاً » . فلقد رأَيتُ بعضَ أُولئكَ النَّفَرِ يسقطُ سَوْطُ أَحدهم ، فَما يسأَلُ أَحداً يُناوله إيّاه . رواه مُسلم .

● وقال[2] رجلٌ لابنهِ : إيَّاكَ أَن تُريقَ ماءَ وَجهكَ عندَ من لا ماءَ في وَجهه .

● وكان لُقمان يقولُ لِولده : يا بُنَيَّ ، إيّاك والسُّؤَالَ ، فإِنَّه يُذهبُ ماءَ الحياءِ من الوَجه ، وأَعظمُ مِن هذا استخفافُ النّاس بكَ .

● وأَوحى[3] الله تعالى إلى موسى عليه السَّلام : لأَن تُدْخِلَ يَدك في فَمِ التِّنِّينِ إلى المرفق خيرٌ لكَ من أَن تَبسطَها إلى غَنِيٍّ قد نَشأَ في الفَقْرِ .

● وقيل[4] لأَعرابيٍّ : ما السُّقْمُ الَّذي لا يَبرأُ ، والجُرْحُ الَّذي لا يَندملُ ؟ قال : حاجَةُ الكَريمِ إلى اللَّئيمِ .

● وقال أَبو مُحَلِّم السَّعدي[5] : [من الطويل]

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٧٢١ رقم ١٠٤٣) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٧٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٦) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٣١٥) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٣١٨) . وهو لحُبّىٰ المدينية في عيون الأخبار (٣/ ١٣٩) .
(٥) له في ربيع الأبرار (٣/ ٣١٩) .

إذا ما رَماكَ الدَّهْرُ في الضِّيقِ فانْتَجِعْ قَديمَ الغِنى في النّاسِ إنَّك حامِدُهْ[1]
ولا تَطْلُبَنَّ الخَيْرَ مِمَّنْ أَفادَهُ حَديثاً ومَن لم يُورِثِ المَجْدَ والِدُهْ

● وقال رسولُ الله ﷺ : « مَسأَلَةُ النّاسِ من الفَواحش ، وما أُحِلَّ من الفَواحشِ غيرَها » .

● وقال[2] عليه الصَّلاة والسَّلام : « لأَن يأخذَ أَحدُكم حَبْلَهُ ، فيحتطبَ على ظَهره ، خيرٌ له من أَن يأتيَ رَجلاً فيسأَلَه ، أَعطاهُ أَو مَنَعَهُ » .

● (وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : لا تَسأَلِ النّاس فتذلَّ ، ولا تُكثِر من الشَّيءِ فتملّ .

● وقال رضي الله عنه لولدِهِ : ما رأَيتُ في وجهِ امرىءٍ أَقبحَ من ذُلِّ السُّؤال .)[3]

● قال الشّاعر[4] : [من الكامل]

ما اعْتاضَ باذِلُ وَجْهِهِ بِسُؤالِهِ عِوَضاً وَلَوْ نالَ الغِنى بِسُؤالِ
وإذا السُّؤالُ مَعَ النَّوالِ وَزَنْتَهُ رَجَحَ السُّؤالُ وَخَفَّ كُلُّ نَوالِ

● (وقال عبدُ الله بن الحجّاج الثّعلبيّ[5] : [من الرمل]

وأَخ إِنْ جاءَني في حاجَةٍ كانَ بالإنجازِ منِّي واثِقا

---

(١) روايته في ربيع الأبرار : إذا مانبا دهرٌ بمالك فانتجعْ × وبهذه الرواية بتصحيف شديد في أ .
(٢) صحيح مسلم (٢/ ٧٢١ رقم ١٠٤٢) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٧٤) .
(٣) من أ .
(٤) هما لأبي العتاهية في ديوانه (٢٨٩) . ونسبا لعلي بن ثابت الكاتب في الموشى (٢٨) . وبلا نسبة في التذكرة الحمدونية (٨/ ١٧٧) والمناقب والمثالب رقم (٢٦٧) وروضة العقلاء (١٢٥) ولباب الآداب (٣٠٧) والزهرة (٢/ ٦٦٥) .
(٥) له في ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٧) . واسمه في أ : عبد بن الحجاج الثقفي ! وانظر ترجمته في الأغاني (١٣/ ١٥٨) .

وإذا مـا جئتُـهُ فـي مِثلهـا ... كـانَ بـالـرَّدِّ بَصيـراً حـاذِقـا
يُعْمِـلُ الفِكـرةَ لـي فـي الـرَّدِّ مِـن ... قَبْـلِ أن أَبْـدأَ فيهـا نـاطِقـا)[1]

• وقال أَحمد بن يوسف الأَنْباري[2] : [من الطويل]

لَمَوْتُ الفتَى خَيْرٌ مِن البُخْلِ لِلْفتَى ... وَلَلْبُخْـلُ خَيْـرٌ مِـنْ سُـؤَالِ بَخيـلِ
لَعَمْـرُكَ مـا شَـيْءٌ لِـوَجْهِـكَ قِيْمَـةٌ ... فَـلا تَلْـقَ إِنْسـانـاً بِـوَجْـهٍ ذَليـلِ

• (وقال[3] عليّ رضيَ اللهُ عنه : ماءُ وجهكَ جامدٌ يقطرُهُ السُّؤال ، فانظرْ عندَ مَن تقطرُهُ .)

• وقال سَلْم الخاسِر[4] : [من المتقارب]

إذا أَذِنَ اللهُ فـي حـاجَـةٍ ... أَتـاكَ النَّجـاحُ علـى رِسْلِـهِ
فـلا تَسـأَلِ النّـاسَ مِـن فَضْلِهِـمْ ... وَلكـنْ سَـلِ اللهَ مِـنْ فَضْلِـهِ

• (وأَنشدَ ابنُ الأَعرابيّ[5] : [من الطويل]

أَبا هانيءٍ لا تسأَلِ النّاسَ والتَمِسْ ... بكَفَّيْـكَ فَضْـلَ اللهِ ، فـاللهُ أَوسَـعُ
فَلـو تسـأَل النّـاسَ التُّـرابَ لأَوشكـوا ... إِذا قيلَ : هاتوا ، أَن يَمَلُّوا ويمنعوا)[3]

• ويُقال : أَحَبُّ النّاس إِلى الله مَن سأَلَه ، وأَبغضُ النّاس إِلى النّاس مَن احتاجَ إِليهم وسأَلَهم .

• وفي هذا المعنى قيل : [من الكامل]

لا تَسْـأَلَـنَّ بُنَـيَّ آدَمَ حـاجَـةً ... وَسَـلِ الَّـذي أَبْـوابُـهُ لا تُحْجَـبُ
اللهُ يَغْضَـبُ إِنْ تَـرَكْـتَ سُـؤَالَـهُ ... وَبُنَـيُّ آدمَ حيـنَ يُسْـأَلُ يَغْضَـبُ

---

(1) له في ربيع الأبرار (٣/ ٣٢٦) .
(2) ربيع الأبرار (٣/ ٣٣١) . وهو من أ .
(3) من أ .
(4) ديوانه (١١٢) وربيع الأبرار (٣/ ٣٢٦) .
(5) ربيع الأبرار (٣/ ٣١٤) وعيون الأخبار (٣/ ١٨٨) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٧٦) .

• وقال محمود الورّاق[1] : [من الكامل]

شادَ المُلوكُ قُصورَهُم وتَحَصَّنُوا ... مِن كُلِّ طالبِ حاجَةٍ أَو راغِبِ
فارْغَبْ إلى مَلِكِ المُلوكِ ولا تكُنْ ... يا ذا الضَّراعَةِ طالِباً من طالِبِ

• وقال ابنُ دَقيق العيد[2] : [من الطويل]

وقائلَةٍ ماتَ الكِرامُ فَمَنْ لَنا ... إذا عَضَّنا الدَّهْرُ الشَّديدُ بِنابِهِ
فَقُلْتُ لها : مَن كانَ غايَةُ قَصْدِهِ ... سُؤالاً لِمَخْلُوقٍ فليسَ بِنابِهِ
إذا ماتَ مَن يُرْجَى فَمَقْصُودُنا الَّذي ... تُرَجِّينَهُ باقٍ فَلُوذي بِبابِهِ

• وقال بعضُ أَهل الفَضْل : [من البسيط]

لمّا افْتَقَرْتُ لِصَحْبي ما وَجَدْتُهُمُ ... لَجَأْتُ للهِ لَبّاني وأَغْناني
واهاً على بَذْلِ وَجْهي لِلوَرى سَفَهاً ... فَلَو بَذَلْتُ إلى مَولايَ والاني

• وسأَل[3] رجلٌ رجلاً حاجةً فلم يقْضِها ، فقال : سأَلتُ فُلاناً حاجةً أَقَلَّ من قِيمته ، فَرَدَّني رَدًّا أَقبحَ من خِلْقَتِهِ .

• (ويُقالُ[4] : طلبتُ من فُلانٍ حاجةً ، فما قطعَ شَعْرَةً ولا فَتَّ بَعْرَةً .

وكان للمتوكِّلِ مُضحكان ، يقال لأَحدهما شَعرة ، وللآخر بَعرة ؛ فقال شَعرةُ لِبَعرة : ما فعلَ فُلان في حاجتكَ ؟ فقال : ما فَتَّني ولا قطعكَ .)[5]

• وسأَل[6] عُروةُ مُصعَباً حاجةً فلم يَقْضِها ، فقال : علمَ اللهُ تعالى أَنَّ لكلِّ قومٍ

---

(1) ديوانه (٧٥ ـ ٧٦) وأسرار الحكماء (١٦٠) وفيه تخريج وافٍ .
(2) له في المقفى الكبير (٦/ ٣٧٧) .
(3) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٦) .
(4) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٠) .
(5) من أ .
(6) ربيع الأبرار (٣/ ٣٠٣) .

شيخاً يَفزعونَ إليهِ ، وإنّا نَفْزَعُ مِنك .

● ويُقال[1] : لا شَيْءَ أَوْجَعُ للأَخيارِ من الوقُوفِ ببابِ الأَشْرار .

● وقال الإمامُ الشَّافعيُّ رحمه الله تعالى[2] : [من الطويل]

بَلَوْتُ بَني الدُّنْيا فَلَمْ أَرَ فيهمُ ... سِوى مَن غَدا والبُخْلُ مِلْءُ إِهابِهِ

(وجرَّبتُ أَبناء الزَّمانِ فلمْ أَجدْ ... سِوى غادرٍ والغَدْرُ مِلْءُ ثِيابِهِ)[3]

فَجَرَّدْتُ مِن غِمْدِ القَناعَةِ مُرْهَفاً ... قَطَعْتُ رَجائي مِنْهُمُ بِذُبابِهِ[4]

فلا ذا يَراني واقِفاً في طَريقه ... ولا ذا يَراني قاعِداً عندَ بابِهِ

غَنِيٌّ بِلا مالٍ عن النّاس كُلِّهِمْ ... وليسَ الغِنَى إلاَّ عن الشَّيْءِ لا بِهِ

إذا ظالمٌ يستحسنُ الظُّلْمَ مَذْهَباً ... وَلَجَّ عُتُوّاً في قَبيحِ اكْتِسابِهِ

فَكِلْهُ إلى صَرْفِ اللَّيالي فإنَّها ... سَتُبدي لَهُ ما لم يَكُنْ في حِسابِهِ

فكَمْ قد رَأَيْنا ظالِماً مُتَمَرِّداً ... يَرى النَّجْمَ تِيهاً تَحْتَ ظِلِّ رِكابِهِ

فَعَمّا قليلٍ وهو في غَفلاتِهِ ... أَناخَتْ صُروفُ الحادِثاتِ بِبابِهِ

فأَصْبَحَ لا مالٌ ولا جاهَ يُرْتَجى ... ولا حَسناتٌ تَلْتَقي في كِتابِهِ

وجُوزِيَ بالأَمْرِ الَّذي كانَ فاعِلاً ... وَصَبَّ عليهِ اللهُ سَوْطَ عَذابِهِ

● وقال آخر : [من الكامل]

لا تَسْأَلَنَّ إِلى صَديقٍ حاجَةً ... فَيَحولَ عنكَ كما الزَّمانُ يَحولُ

واسْتَغْنِ بالشَّيْءِ القَليلِ فإِنَّهُ ... ما صانَ عِرْضَكَ لا يُقالُ قَليلُ

مَن عَفَّ خَفَّ على الصَّديقِ لِقاؤُهُ ... وأَخو الحوائجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٣١٥) .
(٢) ديوانه (١٥) .
(٣) من أ .
(٤) في ط : . . . صارماً × .

وأَخـوكَ مَـن وَفَّـرْتَ مـا فـي كَفِّـهِ   ومَتـى عَلِقْـتَ بـِهِ فـأَنْـتَ ثقيـلُ

● وقال آخر : [من الخفيف]

ليـسَ جُـوداً أَعطيتَـهُ بسُـؤالِ   قـد يَهُـزُّ السُّـؤالُ غيـرَ جَـوادِ
إِنَّمـا الجُـودُ مـا أَتـاك ابتـداءً   لـم تَـذُقْ فيـهِ ذِلَّـةَ التَّـرْدادِ

● وقال آخر[1] : [من السريع]

لا تَحْسَبَـنَّ المَـوْتَ مَـوْتَ البِلـى   وإِنَّمـا المَـوْتُ سُـؤَالُ الـرِّجـالْ
كـلاهِمـا مَـوْتٌ ولكِـنَّ ذا   أَخَـفُّ مـن ذاك لِـذُلِّ السُّـؤالْ[2]

● وقال الشّافعيُّ رضي الله تعالى عنه[3] : [من مخلّع البسيط]

قَنعـتُ بـالقُـوتِ مـن زَمـانـي   وصُنْـتُ نَفْسـي عـن الهـوانِ
خَـوفـا مـن النّاسِ أَن يَقـولـوا :   فَضْـلُ فُـلانٍ علـى فُـلانِ
مَـن كُنْـتُ عـن مـالِـهِ غَنِيّـاً   فـلا أُبـالـي إِذا جَفـانـي
ومَـن رآنـي بِعَيْـنِ نَقْـصٍ   رأَيتُـهُ بـالَّتـي يـرانـي
ومَـن رآنـي بعَيْـنِ تَـمٍّ   رَأَيْتُـهُ كـامِـلَ المعَـانـي

والله سبحانه وتعالى أَعلم ، وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصَحْبه وسلَّم .

* * *

---

(١) البيتان لمحمود الوراق في بهجة المجالس (١/ ١٧٥) وديوانه (٢٥٧) . وهما لأبي العتاهية في المناقب والمثالب رقم (٢٦٦) وليسا في ديوانه . وبلا نسبة في المحاسن والمساوئ (٢/ ٤٤٩) وروضة العقلاء (١٢٥) ولباب الآداب (٣٠٦) .
(٢) في أ : × أشدّ من ذاك على كلِّ حال .
(٣) ديوانه (٧٢) .

الباب الرَّابع والخَمسون
في ذِكر الهَدايا والتُّحف وما أَشبه ذلك

• قال[1] الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء : ٨٦] فَسَّرَها بعضُهم بالهَدِيَّة .

• وقال[2] ﷺ : « تَهادَوا تَحابُّوا ، فإِنَّها تجلبُ المحبَّة وتُذْهِبُ الشَّحْناءَ » .

• وقال[3] ﷺ : « الهَدِيَّةُ مُشتركةٌ » .

• وقال[4] ﷺ « مَن سَأَلَكُم باللهِ فأَعطُوه ، ومَن استَعاذَكُمْ فأَعيذُوه ، ومَن أَهدى إِليكم كُراعاً فاقْبَلوه » .

• وكان[4] ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها .

• وفي الأَثر : الهديّةُ تَجلبُ المودَّةَ إِلى القَلب والسَّمع والبَصَر .

• ومن الأَمثال[5] : إِذا قَدِمْتَ من سَفَرٍ فأَهْدِ أَهْلَكَ ولو حَجَراً .

• وقال الفَضْل بن سَهْل[6] : مَا استُرضيَ الغَضبانُ ، ولا استُعطفَ السُّلطانُ ، ولا سُلِبَتِ السَّخائمُ ، ولا دُفعت المغارمُ ، ولا استُميلَ المَحبوبُ ، ولا تُوُقِّيَ المَحْذورُ بمثل الهديَّة .

---

(١) محاضرات الراغب (١/ ٤٢٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٨) والتذكرة الحمدونية (٥/ ٨) وعيون الأخبار (٣/ ٣٤ و٣٧) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٥/ ٩) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٨) .
(٥) محاضرات الراغب (١/ ٤١٩) .
(٦) القول له في آداب الملوك (٢٤٣) ، وهو للجاحظ في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٨) .

• وأُتي فتحُ المَوْصِليُّ بهديةٍ وهي خمسون ديناراً فقال : حدَّثنا عطاء ، عن النَّبيِّ ﷺ : أَنَّه قال « من أتاهُ الله رِزقاً من غير مَسألةٍ وردَّهُ ، فكأنَّما رَدَّهُ على اللهِ تعالى » .

• وأُهدى[1] رسولُ الله ﷺ هديَّةً إلى عُمر ، فردَّها ، فقال : يا عُمر ، لِمَ رَدَدْتَ هَدِيَّتي ؟ فقال رضي الله تعالى عنه : إنِّي سمعتُك تقولُ : « خَيْرُكُم مَن لم يَقبلْ شيئاً من النّاس » . فقال : « يا عُمر ، إنَّما ذاك ما كان عن ظَهْرِ مَسأَلةٍ ، فأَمّا إذا أَتاك من غيرِ مَسأَلةٍ فإنَّما هو رِزْقٌ ساقَهُ اللهُ إليك » .

• وقالت[1] أُمُّ حَكيم الخُزاعِيَّة : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « تَهادَوا ، فإنَّه يُضاعِفُ الحُبَّ ، وَيذهبُ بغَوائلِ الصُّدور » .

• ويُقال[2] : في نَشْرِ المُهاداةِ طيُّ المُعاداة .

• (وكان[3] إبراهيم بن أدهم إذا أُهديَ إليه شيءٌ ، لم يَرُدَّه ، وكافأَه بِمِثْلَيْهِ .

• وقال بعضُهم : يَفرحُ بالهديَّةِ خمسةٌ ؛ المُهدي إذا وُفِّق للفضل ، والمهدىٰ إليهِ إذا كان أَهلاً لذلك ، والحمّالُ إذا حَمَلَها ، والمَلَكان إذ يكتبان الحسناتِ .)[4]

ذِكْرُ أَنواعِ الهدايا للخُلفاء وغَيرهم ، ممّن قَصَّرَت بهِ قُدرتُه فأَهدى اليَسير ، وكتبَ معه مُكاتبةً يعتذرُ بها :

• أُهديَ إلى سُليمان بن داود عليهما الصَّلاة والسَّلام ثمانيةُ أَشياءَ مُتباينة في يومٍ واحدٍ ؛ فِيْلَةٌ من مَلِك الهِند ، وجاريةٌ من مَلِكِ التُّرك ، وفَرَسٌ من ملكِ العرب ، وجَوهرٌ من ملكِ الصِّين ، وإِسْتَبْرَقٌ من ملِك الرُّوم ، ودُرَّةٌ من مَلِك

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٨) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦٠) .
(٤) من أ ، ب .

البَحر ، وجَرادةٌ من ملكِ النَّمل ، وذَرَّةٌ من مَلِكِ البَعوض . فتأَمَّلَ ذلك ، وقال : سُبحان القادرُ على جَمْع الأَضداد .

● وأَهدى[1] مَلِكُ الرُّوم إلى المأمون هديَّةً ، فقال المأمون : أَهْدوا له ما يكون ضِعْفَها مِئة مرَّةٍ ، ليعلَمَ عِزَّ الإِسلام ونِعمة الله تعالى علينا ؛ ففَعلوا ذلك ، فلمّا عَزموا على حَمْلها قال : ما أَعَزُّ الأَشياء عندَهم ؟ قالوا : المِسْكُ والسَّمُّور . فقال : وكم في الهَديَّةِ من ذلك ؟ قالوا : مِئتا رِطْلٍ مِسْكاً ، ومِئتا فَروة سَمُّور .

● وأَهدَت[2] قَطْرُ النَّدى إلى المُعتضد بالله في يوم نَيروزٍ في سنة اثنتين وثمانين ومئتين هديةً ، كان فيها عِشرون صِينيَّة ذهبٍ ، في عشرةٍ منها مَشامٌّ عنبرٍ وَزْنُها أَربعةٌ وثَمانون رِطلاً ؛ وعِشرون صِينيَّةَ فضَّةٍ ، في عشرةٍ منها مَشامٌّ صَنْدَلٍ زِنَتُها نَيِّفٌ وثلاثون رِطلاً ؛ وخمسُ خِلَعٍ وَشْيٍ ، قيمتُها خمسةُ آلاف دينارٍ ؛ وعَمِلَت شمّاماتٍ ليومِ النَّيروزِ بلغَت النَفقةُ عليها ثلاثةَ عشرَ أَلف دينار .

● وأَهدى[3] يعقوبُ بن اللَّيث الصَّفّار إلى المعتمد على الله هديَّةً في بعض السِّنين ، من جُملتها عشرةُ بُزاةٍ ، منها بازيٌّ أَبلقُ لم يُرَ مثلُه ، ومِئة مُهْرٍ ، وعِشرون صُندوقاً على عَشر بِغالٍ ، فيها طرائفُ الصِّين وغرائِبُه ، ومَسجدُ فِضَّةٍ برواقَيْن ، يُصَلِّي فيه خمسةَ عشرَ إنساناً ، ومِئة رطلٍ[4] من مِسْكٍ ، ومِئة رِطْلٍ[4] عودٍ هِنديٍّ ، وأَربعة آلاف أَلف درهم .

● (وأَهدى[5] زيادةُ الله بن عبد الله بن الأَغلب صاحبُ المغربِ إلى المكتفي بالله في سنة إحدى وتسعين ومئتين ، هدايا لها قَدْرٌ جليلٌ ، وكان من جُملتها

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦٧) والذخائر والتحف (٢٨) وآداب الملوك للثعالبي (١٠٢) .

(٢) الذخائر والتحف (٣٨) ونساء الخلفاء (١٣٥) .

(٣) الذخائر والتحف (٣٩) ومطالع البدور (٢/ ١٣٥) .

(٤) في ب والذخائر : ومئة مَناً .

(٥) الذخائر والتحف (٤٧) .

مئة خادم ومئة جارية ومئة وصيف ، ومئة فَرس ، وزرافة ، وبقر وحشيّة ، ومئة ألف دينار زِنَة كلِّ دينارٍ عشرة دنانير .)[1]

• وأهدَت[2] بِرتا بنت الأُوتاري مَلِكَة إفرنجة وما والاها إلى المكتفي بالله في سنة ثلاثٍ وتسعين ومئتين : خمسين سَيْفاً ، وخَمسين رُمحاً ، وخمسين تُرساً ، وعِشرين ثوباً مَنسوجةً بالذَّهبِ ، وعشرين خادِماً صَقْلَبيّاً ، وعِشرين جارية صَقلبيَّةً ، وعشرةَ كلابٍ كبارٍ لا تُطيقها السِّباع ، وستّةَ بُزاة ، وسبعةَ صُقورٍ ، ومضربَ حريرٍ [بجميع آلته ، وعشرينَ ثوباً مَعمولةً من صُوفٍ يكونُ في صَدَفٍ ، يخرجُ من قعر البحر هناك] يَتَلَوَّنُ بجميعِ الأَلوان كلَون قَوْسِ قُزَح ، يَتَلَوَّنُ في كُلِّ ساعةٍ من ساعاتِ النَّهار ؛ وثلاثةَ أَطيارٍ من الأَطيار الإفرنجيَّة ، إذا نَظَرَت إلى الطَّعام أو الشرَّاب المَسموم صاحَت صِياحاً مُنْكَراً ، وصَفَّقَت بأَجنحَتِها ، حتَّى يُعْلَمَ ذلك ؛ وخَرَزاً يَجْذِبُ النُّصُولَ بعدَ نَباتِ اللَّحم عليها بغَيْرِ وَجَعٍ ، وحِمارةً وحشيَّةً عظيمةَ الخِلْقَةِ في قَدْرِ البَغْل ، وآذانها شِبْهُ آذانِ البَغل ، وهيَ مخطَّطة تَخطيطاً عامّاً لجميعِ خِلْقَتِها .

• وأَهدى[3] قُسطنطين مِلِكُ الرُّوم إلى المُستنصر بالله ، في سنة سبعٍ وثلاثين وأَربعمئة ، هديَّةً عظيمةً اشتملَت قيمتُها على ثلاثين قنطاراً من الذَّهب الأَحمر ، كلَّ قِنطار منها عشرةُ آلاف دينار عربيَّة ، قيمةُ ذلك ثلاثمئة أَلف دينار عربيَّة .

• **وحُكي**[4] أَنَّ الخيزران جاريةَ المَهديِّ كانت أَديبةً شاعرةً ، فعزمَ المهديُّ

---

(١) من أ ، ب .

(٢) الذخائر والتحف (٤٨) ومطالع البدور (١/ ١٣٥) .
وفي الأصول : ثريا بنت الأوباري ! . وقال محقق الذخائر : هي باللاتينية : برتافيليا لوتاري ، حفيدة شارلمان .

(٣) مفصلاً في الذخائر والتحف (٧٤) .

(٤) محاضرات الراغب (١/ ٤٢٤) . والبيت الثالث زيادة من أ ، ب والمحاضرات ، وليس فيها الرابع .

على شُرب دَواءٍ ، فأَنفذت إِليه جامَ بِلَّورٍ فيه سَكَنْجَبين اختارَته له يَتَشَعْشَعُ نوراً وحُسناً ، مع وَصيفةٍ بِكْرٍ بارعةِ الجمال ، وكتبَت إِليه تَقول : [من الوافر]

إِذا خَرجَ الإِمامُ مِنَ الدَّواءِ ... وأَعْقَبَ بالسَّلامَةِ والشِّفاءِ
وأَصْلَحَ حالَه مِن بَعْدِ شُرْبٍ ... بِهذا الجامِ مِن هذا الطِّلاءِ
(وَفَضَّ الخاتَمَ المُهْدَى إِليه ... ونِعْمَ الرَّأْيُ ذاكَ بلا مِراءِ)
فَيُنْعِمُ لِلَّتي قد أَنْفَذَتْهُ ... إِليه بِزَوْرَةٍ بعدَ العِشاءِ

فَسُرَّ بذلك ، ووقَعت الجاريةُ منه أَعظم مَوْقِعٍ ، وزارَ الخيزران ، وأَقام عندها يومين .

- وأهدى[1] الصّابي إِلى عَضُد الدَّولة إِسْطرلاباً في يومِ المِهرجان ، وكتبَ إِليه يَقولُ : [من البسيط]

أَهْدى إِليكَ بَنو الأَملاكِ واحْتَفَلوا ... في مهرجانٍ جَديدٍ أَنْتَ تُبليهِ
لكنَّ عَبْدَكَ إِبراهيمُ حينَ رأَى ... سُمُوَّ قَدْرِكَ عن شَيْءٍ يُدانيهِ
لم يَرْضَ بالأَرْضِ يُهديها إِليك وَقَدْ ... أَهْدى لكَ الفَلَكَ الأَعْلى بِما فيه

- وأَهدى[2] رجلٌ إِلى المُتَوَكِّلِ قارورَةَ دُهْنٍ ، وكتبَ معها : إِنَّ الهَدِيَّةَ إِذا كانَت من الصَّغير إِلى الكَبيرِ ، فكُلَّما لَطُفَت ودَقَّت كانَت أَبْهى وأَحسن ؛ وإِذا كانَت من الكبيرِ إِلى الصَّغير ، فكُلَّما عَظُمَت وجَلَّت كانَت أَوْقَعَ وأَنْفَعَ .

- وأَهدى[3] مَرَّةً أَبو الهُذَيلِ إِلى مُوَيس بن عِمران دجاجةً ، ووصَفَها له

---

(١) آداب الملوك (٢٤٤) والتذكرة الحمدونية (٥/ ١٣) وبهجة المجالس (١/ ٢٨٧) وزهر الآدب (٣٩١) .

(٢) عيون الأخبار (٣/ ٣٨) . وفي ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٨) : كتب المؤيّد إلى المتوكل مع قارورة دهن . . .

(٣) بخلاء الجاحظ (١٣٥) وثمار القلوب (٢/ ٦٩١) وربيع الأبرار (٥/ ٣٥٩) ومحاضرات الراغب (١/ ٤٢٥) .

بصِفات جَليلة ، ثم لم يَزَلْ يذكُرُها ، وكلّما ذُكِرَ شَيْءٌ بِجمالٍ أَو سِمَنٍ قال : هو أَحسنُ أَو أَسمنُ من الدَّجاجة الَّتي أَهديتُها إِليكم ؛ وإِن ذُكِرَ حادثٌ قال : ذلك قبلَ أَن أُهديَ لكم الدَّجاجة بشَهرٍ ، وما كان بين ذلك وبينَ إِهداء الدَّجاجة إِلاّ أَيّامٌ قلائلُ ؛ فصارَت مَثَلاً لمن يَستعظمُ الهديَّة ، ويذكُرها .

• قال الشّاعر[1] : [من الطويل]

وإِنَّ امْـرَأً أَهْـدى إِلَـيَّ صَنيعـةً وذَكَّـرَنيهـا مَـرَّةً لَلَئيـمُ

• وقال[2] سُفيان الثَّوري : إِذا أَردتَ أَن تتزوَّجَ فأَهْدِ للأُمِّ .

• وكان[3] سُفيان يَروي عن ابن عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما : « مَن أُهْدِيَتْ إِليه هَديَّةٌ وعنده قومٌ ، فهم شُركاؤُه فيها » فأَهدى إِليه صَديقٌ له ثياباً من ثياب مِصرَ ، وعندَه قومٌ ، فذكَروا الخبرَ ، فقال : إِنَّما ذلك فيما يُؤكلُ ويُشرب ، أَمّا في ثيابِ مِصر فَلا .

• وكتب[4] الحمدونيُّ إِلى جارية اسمُها بُرهان ، وقد حجَّ مَواليها ، فقال : [من البسيط]

حَجُّوا مواليكِ يا بُرهان واعْتَمَروا وقـد أَتَتْـكِ الهـدَايا مـن مَـواليـكِ
فـأَطْـرِفيـني بمـا قـد أَطْـرَفُـوكِ بـهِ ولا تكُـنْ طُـرْفَتي غيرَ المساويـكِ
ولسـتُ أَقْبَـلُ إِلاَّ مـا جَلَـوْتِ بـهِ ثَنِيَّتَيْـكِ ومـا رَدَّدْتِ فـي فيـكِ

• وكتب بعضُهم إِلى صديقه، وقد أَهدى إِليه هديَّةً يَسيرةً، يقول[5]: [من الوافر]

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٥٩) والتذكرة الحمدونية (٥/ ٢٧) .
(٣) عيون الأخبار (٣/ ٣٦) وربيع الأبرار (٥/ ٣٦٠) . وانظر محاضرات الراغب (١/ ٤٢٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦٠) .
(٥) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٦١) .

تَفَضَّـــلْ بـــالقَبُـــولِ عَلَـــيَّ إنِّـــي بَعَثْـــتُ بِمـــا يَقِـــلُّ لِعَبْـــدِ عَبْـــدِكْ

• وأهدى[1] بعضُهم إلى صديقه هديةً في يوم نَيروز ، وكتبَ إليه يقول : هذا يومٌ جَرَت فيه العادةُ بإلطافِ العبيدِ السّادةَ ، وقَدْرُ الأَميرِ يَجِلُّ عمّا تُحيط به المقدرَةُ ، وفي سُؤدده ما يوجبُ التَّفضُّلَ بِبَسْطِ المعذرَة ، وقد وجَّهتُ ما حضرَ ، عِلماً بأَنَّه لا يَستكثِرُ ما جَلَّ ولا يَستقلُّ لعبدهِ ما قَلَّ ، فإن رأى أَن يتطوَّلَ بقَبولِ القليلِ كتَطوُّله بإهداءِ الجزيلِ فعَلَ .

• بيتٌ[2] : [من الوافر]

رَأَيْـــتُ كثيـــرَ مـــا يُهْـــدَى إليكُـــمْ قَليـــلاً فـــاقْتَصَـــرْتُ علـــى الـــدُّعـــاء

• وبلغَ[3] الحسنَ بن عُمارة أَنَّ الأَعمشَ يقعُ فيه ، ويقولُ : ظالِمٌ وُلِّيَ المظالمَ ؛ فأَهدى إليه هدَّيةً ، فمدَحه الأَعمشُ بعد ذلك وقال : الحمدُ لله الَّذي وُلِّيَ علينا مَن يَعرفُ حُقوقَنا ؛ فقيلَ له : كُنتَ تَذُمُّهُ ثم الآن تَمدحُه ، فقال : حدَّثني خَيْثَمَةُ عن عبد الله ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « جُبِلَتِ القُلوبُ على حُبِّ مَن أَحسنَ إليها ، وبُغض مَن أَساءَ إليها » .

• وقال[4] عبدُ الملك بن مروان : ثلاثةُ أَشياءَ تَدُلُّ على عُقولِ أَربابها ؛ الكتابُ يَدُلُّ على عَقْلِ كاتِبه ، والرَّسولُ يدلُّ على عَقل مُرسِله ، والهديَّةُ تدلُّ على عقل مُهديها .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

❊ ❊ ❊

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦١) .
(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٦١) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦٤) ومحاضرات الراغب (١/ ٤٢٢) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٦٤) . وانظر قول جعفر بن يحيى في التذكرة الحمدونية ٥/ ١٠ ومحاضرات الراغب (١/ ٤٢٤) .

البابُ الخامسُ والخمسونَ

في العَمَلِ والكَسْبِ والصِّناعاتِ والحِرَفِ وفي العَجْزِ والتّواني ، وما أَشبهَ ذلك

أَمّا العملُ :

● فقد[1] رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « أَفْضَلُ العَمَلِ أَدْوَمُهُ وإِن قَلَّ » .

● وقال[1] عليّ بن أَبي طالبٍ كَرَّم الله تعالى وَجهه : قليلٌ مَدومٌ عليهِ خيرٌ من كثيرٍ مَملول .

● وفي[2] التوّراة : حَرِّكْ يَدَكَ أَفتحْ لك بابَ الرِّزْقِ .

● وكان[2] إِبراهيم بن أَدهم يَسقي ويَرعى ويَعمل بالكِراء ، ويحفظُ البَساتين والمزارعَ ، ويَحصدُ بالنَّهار ، ويُصَلِّي باللَّيل .

● وعن[3] عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال : جاءَ رجلٌ إِلى النَّبيِّ ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، ما يَنفي عنِّي حُجَّة (الجَهل ؟ قال : العلم ؛ قال : فَما ينفي عنِّي حُجَّة) العلم ؟ قال : العَمل .

● وعنه[3] ﷺ أَنَّه قال : « الكَيِّسُ مَن دان نَفْسَهُ ، وعَمِلَ لِمَا بعدَ الموتِ ، والعاجزُ مَن أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواها ، وتَمَنَّى على الله الأَماني » .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٥) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٥٦) .

(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٥٧) .

• وقال[1] الأَوزاعيُّ : إِذا أَراد الله بقومٍ سوءاً أعطاهم الجدل ومنَعَهم العَمل .

• بيتٌ[2] : [من الطويل]

وما المَرْءُ إلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ... فَفي صالِحِ الأَعْمالِ نَفْسَكَ فاجْعَلِ

• وقال[3] بعضُ الحُكماء : لا شَيءَ أَحسنُ مِن عَقْلٍ زانَهُ حِلْمٌ ، ومِن عَمَلٍ زانَهُ عِلْمٌ ، ومِن حِلْمٍ زانَهُ صِدْقٌ .

• وعن[4] عبّاد الخوّاص ، أنّه دَخل على إبراهيم بن صالح وهو أَمير فِلسطين ، فقال له : عِظْني ؛ فقال له الوليُّ : بَلَغَني ـ رَحِمَكَ الله ـ أَنَّ أَعمالَ الأَحياءِ تُعرضُ على أَقاربهم المَوْتى ، فانْظر ماذا تَعرضُ على رَسولِ الله ﷺ من عَملك . فبكى إبراهيم حتَّى سالَت دُموعه .

• وقيل[5] : مَن جَدَّ وَجَد .

• وأَنشدوا في المعنى[6] : [من البسيط]

إِنِّي رَأَيْتُ وفي الأَيّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عاقِبَةً مَحْمودةَ الأَثَرِ

وقَلَّ مَن جَدَّ في أَمْرٍ يُحاوِلُهُ ... واسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إلاّ فازَ بالظَّفَرِ

• وتقولُ[5] العربُ : فلانٌ وثّابٌ على الفُرَص .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٥٧) .
(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٥٨) .
(٣) الفوائد والأخبار (٢٦) (ضمن نوادر الرسائل) وربيع الأبرار (٤/ ٥٨) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٥٩) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٦٧) .
(٦) الثاني بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٦٧) . وهما لأَبي حيّة النميري في التذكرة الحمدونية (٤/ ٣٢٢) وربيع الأبرار (٣/ ١٨٩) وحماسة القرشي (٣٩٢) وليسا في ديوانه . وبلا نسبة في عيون الأخبار (٣/ ١٢٠) . وسيأتيان في الباب (٦٦ ف٢) بنسبتهما مع ثالث قبلهما إلى الإمام علي بن أبي طالب .

• وقال بعضُهم[1] : [من الطويل]

وإنِّـي إذا بـاشَـرْتُ أَمْـراً أُريـدُهُ   تَـدانَـتْ أَقـاصِيـهِ وهـانَ أَشَـدُّهُ

• وعن[2] أنسٍ رضي الله تعالى عنه ، رَفَعَه : « يتبعُ المَيِّتَ ثلاثَةٌ ؛ يَرجعُ اثنانِ ويَبقى واحدٌ ، يَتبعه أَهلُه ومالُه وعَملُه ، فيرجعُ أَهله ومالُه ولا يرجعُ عَمَلُه » .

• وقال[2] بعضُهم : العَملِ سَعْيٌ بالأركان إِلى الله ، والنِّيّةُ سَعْيٌ بالقلوبِ إِلى الله ؛ والقَلبُ ملِكٌ ، والأَركانُ جنودٌ ، ولا يحاربُ الملِكُ إِلاّ بالجُنودِ ، ولاَ الجنودُ إِلاّ بالمَلِكِ .

• وقيل[3] : الدُّنيا كلُّها ظُلماتٌ إِلاَّ مَوضعُ العِلم ، والعِلمُ كلُّه هَباءٌ إِلاَّ مَوضعُ العَمَل ، والعَملُ كلُّه هباءٌ إِلاّ مَوضعُ الإِخلاصِ ؛ هذا هو العَمَلُ .

وأَمّا الكَسْبُ :

• فقد[4] جاء في تَفسير قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء : ٨٠] أَي : دُروعٍ من الحَديد ؛ وذلك أَنَّ داود عليه الصَّلاة والسَّلام كان يدورُ في الصَّحارى ، فإِذا رأَى مَن لا يَعرفُه تحدَّثَ معه في أَمر داود ، فإِذا سَمعه عابَهُ بشَيءٍ يُصلحُه من نَفْسه ، فسمعَ يوماً مَن يقولُ : إِنِّي لا أَجدُ في داود عَيْباً إِلاّ أَنَّه يأكلُ مِن غيرِ كَسْبِهِ ؛ فعند ذلك صلَّى داودُ عليه الصَّلاة والسَّلام في مِحْرابِهِ ، وتَضَرَّعَ بين يَدَي الله تعالى ، وسأَلَه أَن يعلِّمَه ما يَستعينُ بهِ على قُوتِهِ ، فعلَّمه الله تعالى صَنْعَةَ الحديدِ ، وجَعله في يَده كالشَّمعِ ، فاحتَرفَها واستعانَ بها على أَمره ، وصار يُحْكِمُ منها الدُّروع .

---

(١) البيت للمتنبي في ديوانه (٢/ ٢٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٦٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٧٠) .
(٤) مختصراً في ربيع الأبرار (٣/ ٢١٦) .

- وقال رسولُ الله ﷺ : « جُعِلَ رِزْقي تحتَ ظِلِّ رُمحي » فكانت حِرفَتُه الجِهاد .
- وقال[1] رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ الله يحبُّ العبدَ المحترفَ » .
- وقال ﷺ : « إِنَّ الله تعالى يُبغضُ العبدَ الصَّحيح الفارغَ » .
- وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « مَن اكتسَب قُوتَه ولم يسأَل النّاس ، لم يُعَذِّبْهُ الله تعالى يومَ القِيامة ، ولو تَعلمونَ ما أَعلمُ مِن المسأَلة لما سأَل رجلٌ رجلاً شيئاً وهو يَجدُ قُوتَ يَومه ، وليسَ عندَ الله أحبُّ من عَبْدٍ يأكلُ مِن كسبِ يَده ؛ إِنَّ الله تعالى يُبغضُ كلَّ فارغٍ من أَعمال الدُّنيا والآخرة » .
- وعن أَنسٍ رضي الله تعالى عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : « مَن باتَ كالاًّ في طلبِ الحلال أَصبحَ مَغفوراً له » .
- وعن الحسنِ رحمه الله : كَسْبُ الدِّرهم الحلالِ أَشَدُّ من لِقاء الزَّحْف .
- وقيل[2] لميمون بن مِهران : إِنَّ هَهنا أَقواماً يقولون : نَجلسُ في بُيوتنا وتَأْتينا أَرزاقُنا ؛ فقال : هؤلاء قومٌ حَمْقى ، إِنْ كان لهم مثلُ يَقينِ إِبراهيمَ خليلِ الرَّحمن فلْيفعلوا .
- وقال عُمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه : لا يَقْعُدَنَّ أَحدُكم عن طلَب الرِّزقِ ويقولُ : اللّهمَّ ارزقْني ، فقد عَلمتم أَنَّ السَّماءَ لا تُمطر ذَهباً ولا فِضَّة .
- وقال[3] أيضاً : إِنّي لأَرى الرَّجلَ فيُعجبني ، فأَقول : أَلَهُ حِرْفَةٌ ؟ فإن قالوا : لا ، سقطَ مِن عَيني .
- واشترى[2] سلمانُ وَسْقاً من طعامٍ ، وهو سِتُّون صاعاً ، فقيلَ له في ذلك فقال : إِنَّ النَّفسَ إِذا أَحْرَزَتْ رِزْقَها اطمأَنَّت .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ١٥٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٨) .

• قال بعضُهم في السَّعي[1] : [من الكامل]

خاطِرْ بِنَفْسِكَ كي تُصيبَ غَنيمةً ... إِنَّ الجُلوسَ مع العِيالِ قَبيحُ

• وقيل[2] : إِنَّ أَوّلَ مَن صنعَ لِسان الميزان عبدُ الله بن عامِر ، وكان النّاسُ إِنّما يَزِنُون بالشّاهين .

• وعن[3] أَنس رضي الله عنه ، قال : غَلا السِّعْرُ على عهد رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ الله : سَعِّرْ لَنا ؛ فقال : « إِنَّ اللهَ هو الخالقُ القابضُ المُسَعِّرُ الرّازقُ ؛ وإِنّي لأَرجو أَن أَلقى الله تعالى وليسَ أَحدٌ يطلُبني بِمَظْلَمَةٍ ظَلمتُه بها في أَهْلٍ ولا مالٍ .

وأَمّا ما جاءَ في العَجْزِ والتَّواني :

• فقد[4] رُوي عن عليّ بن أَبي طالبٍ كرَّم الله وَجهه ، أَنَّه قال : مَن أَطاع التَّواني ضَيَّع الحُقوق ؛ ومِن العَجْزِ : طَلَبُ ما فاتَ ممّا لا يُمكن استدراكُه ، وتَرْكُ ما أَمكن ممّا تُحْمَدُ عَواقِبُه .

• قال الشّاعر : [من الطويل]

على المَرْءِ أَن يَسْعَى وَيَبْذُلَ جَهْدَهُ ... ويَقضي إِلَهُ الخَلْقِ ما كان قاضِيا

• ومثلُه قولُه : [من الطويل]

على المَرْءِ أَنْ يَسْعَى ويَبْذُلَ نَفْعَهُ ... ولَيْسَ عليهِ أَنْ يُساعِدَهُ الدَّهْرُ

• وقيل : احذَر مُجالسةَ العاجِز ، فإِنَّه مَنْ سَكَنَ إِلى عاجزٍ أَعداهُ من عَجزه ،

---

(١) للنمر بن تولب في ديوانه (٣٤٠) (ضمن شعراء إسلاميون) وربيع الأبرار (٥/ ١٥٣) . وهو لعروة بن الورد في ديوانه (٤٣) .

(٢) ربيع الأبرار (٥/ ١٥٤) .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ١٥١) .

(٤) بعضه في ربيع الأبرار (٣/ ٦٠٩) وشرح النهج (١٩/ ٧٠) .

وأَمَدَّهُ مِن جَزَعِه ، وَعَوَّدَهُ قِلَّة الصَّبر ، ونَسّاهُ ما في العواقبِ ؛ وليسَ للعجزِ ضِدٌّ إلاّ الحَزْم .

● وقال بعضُ العُلماء : مِن الخِذلانِ مُسامرةُ الأَماني ، ومن التَّوفيق بُغْضُ التَّواني .

● ورُوِي عن رسولِ الله ﷺ أَنَّه قال : « باكِروا في طَلَبِ الرِّزْقِ والحوائِجِ ، فإِنَّ الغُدُوَّ بَرَكَةٌ ونَجاحٌ » .

● وقال الإِمامُ الشّافعيُّ رضي الله تعالى عنه : احرصْ على ما يَنفعكَ ، ودعْ كلامَ النّاس ، فإِنَّه لا سبيلَ إِلى السَّلامة من أَلْسِنَةِ النّاسِ .

● وقال عليٌّ رضي الله تعالى عنه : التَّواني مِفتاحُ البُؤْسِ ، وبالعَجزِ والكَسَلِ تَوَلَّدَتِ الفاقةُ ونُتِجَتِ الهلكة ، ومَن لم يَطلبْ لم يجدْ ، وأَفضى إِلى الفَساد .

● وقال[1] حكيمٌ : من دلائل العجزِ كثرةُ الإِحالة على المقادير .

● وقال[2] بعضُ الحُكماء : الحَرَكةُ بَرَكَةٌ ، والتَّواني هَلَكَةٌ ، والكَسَلُ شُؤْمٌ ، وكلبٌ طائِفٌ خَيْرٌ من أَسَدٍ رابِضٍ ، ومَن لم يَحترف لم يَعتلفْ .

● وقيل : من العجز والتواني تنتج الفاقة .

● قال هلال بن العلاء الرَّقِّيّ هذين البيتين من جُملة أَبيات[3] : [من الطويل]

كأَنَّ التَّواني أَنْكَحَ العَجْزَ بِنْتَهُ ... وساقَ إِليها حينَ زَوَّجَها مَهْرا
فِراشاً وَطيئاً ثم قالَ لها : اتَّكي ... فإِنَّكما لا بُدَّ أَن تَلِدا الفَقْرا

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٦٠٩) .
(٢) في ربيع الأبرار (٣/ ٦٠٩) : كُتب على عصا ساسان : . . .
(٣) هما لأبي المعافى في ربيع الأبرار (٣/ ٦١٠) وعيون الأخبار (١/ ٢٤٤) وديوان المعاني (٢/ ١٩١) ومحاضرات الراغب (١/ ٤٤٨) . وهما لمحمد بن حازم في المناقب والمثالب رقم (٩٧٥) وليسا في ديوانه .

● وقال آخر[١] : [من الطويل]

تَوَكَّلْ على الرَّحمَنِ في الأَمْرِ كُلِّهِ ... ولا تَرْغَبَنْ في العَجْزِ يوماً عن الطَّلَبْ

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ قـال لِمَـرْيَـمٍ : ... وَهُزِّي إِلَيْكِ الجِذْعَ يَسّاقَطُ الرُّطَبْ

وَلـو شـاءَ أَن تَجْنيهِ مِن غَيْرِ هَزِّهِ ... جَنَتْـهُ وَلَكـنْ كُـلُّ رِزْقٍ لَـهُ سَبَـبْ

● وسأَل[٢] مُعاوية رضي الله عنه سعيدَ بن العاص عن المُروءة، فقال: العِفَّةُ والحِرْفَةُ .

● وكان[٢] أَيُّوب السِّختيانيّ يقول : يا فِتيانُ ، احْتَرِفوا ، فإِنِّي لا آمَنُ عَليكم أَن تَحتاجوا إِلى القَوم ؛ يَعني الأُمراء .

● وقال[٣] رجلٌ للحَسن : إِنِّي أَنْشُرُ مُصْحَفي فأَقرؤُهُ بالنَّهار كُلِّه ؛ فقال : اقرأْهُ بالغَداةِ والعَشِيِّ ، ويكونُ يَومُك في صَنْعَتك وما لا بُدَّ مِنه .

● ومرَّ[٤] داودُ عليه السّلام بإِسْكافٍ ، فقال : يا هذا ، اعمَلْ وَكُلْ ، فإِنَّ الله يُحِبُّ مَن يَعملُ ويَأكلُ ، ولا يُحِبُّ مَن يأكلُ ولا يَعملُ .

● وقال أَبو تَمّام من قصيدة[٥] : [من الطويل]

أَعـاذِلَتـي مـا أَحْسَـنَ اللَّيْـلَ مَـرْكَبـاً ... وأَحْسَـنُ مِنْـهُ فـي المُلِمّـاتِ راكِبُـهُ

ذَرينـي وأَهْـوالَ الـزَّمـانِ أُقـاسِهَـا ... فـأَهْـوالُـهُ العُظْمـى تَليهـا رَغـائِبُـهْ

● (وقال آخر[٦] :)[٧] [من الطويل]

---

(١) الثاني والثالث بلا نسبة في ثمار القلوب (١/ ٤٧٤ و٢/ ٨٤٤) والتمثيل والمحاضرة (٢٦٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٠٧) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٦) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٥) .
(٥) ديوانه (١/ ٢٢٦) .
(٦) الأبيات لأبي بكر العرزمي في ربيع الأبرار (٣/ ٦١١) .
(٧) من أ ، ب .

أَرى عـاجِـزاً يُـدْعـى جَليـداً لِغَشْمِـهِ ... ولو كُلِّفَ التَّقْوى لَكَلَّتْ مَضارِبُهْ

وعَفًّـا يُسَمَّـى عـاجِـزاً لِعَفـافِـهِ ... وَلَـولا التُّقـى مـا أَعْجَـزَتْـهُ مَـذاهِبُـهْ

وَلَيْـسَ بِعَجْـزِ المَـرْءِ أَخْطَـأَهُ الغِنـى ... ولا بـاحْتِيـالٍ أَدْرَكَ المـالَ كـاسِبُـهْ

- (وقالَ آخر[1] : [من البسيط]

لا تَضْجَـرَنَّ ولا تـأخُـذْكَ مُعْجِـزَةٌ ... فالنُّجْحُ يَذْهَبُ بينَ العَجْزِ والضَّجَرِ)[2]

- وقال آخر : [من الوافر]

ولا تَـرْكَـنْ إِلـى كَسَـلٍ وعَجْـزٍ ... تُحيـلُ علـى المقَـادِرِ والقَضـاءِ

- وقال[3] أَعرابيٌّ : العاجزُ هو الشَّابُّ القَليلُ الحِيلَة ، الملازِمُ للحَليلَة .

- ويُقالُ[4] : فلانٌ يخدعُه الشَّيطانُ عن الحَزْم ، فَيُمَثِّلُ له التَّواني في صُورةِ التَّوَكُّل ، ويُورثُهُ الهُوَينى بإِحالَته على القَدَر .

- وقال[5] لقمان لابنه : يا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ والكَسَلَ والضَّجَرَ ، فإِنَّكَ إِذا كَسلتَ لم تُؤَدِّ حقّاً ، وإِذا ضَجِرْتَ لم تَصْبِرْ على حقٍّ .

- (ويُقال[6] : فلانٌ شِعارُهُ الكَسَلُ ، ودِثارُهُ التَّسويفُ .

- ويُقالُ في الكسلانِ[6] : [من الرّجز]

يَسْحَبُ رِجْلاً لا تكادُ تَنْسَحِبْ)[7]

---

(١) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٦١٠) .
(٢) من أ ، ب .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٦١١) . وفي ط : الملازم للأماني المستحيلة .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٦١١) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٦١٣) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٦١٢) .
(٧) من ب .

• وقال أَبو نَعامة [الدَّنقعيّ][1] : [من الطويل]

إذا وَضَعَ الرّاعي على الأَرْضِ صَدْرَهُ   فَحُـقَّ علـى المِعْـزَى بِـأَنْ تَتَبَـدَّدا

• فالتَّواني : هو الكَسَلُ ، وتَضْييعُ الحَزْم ، وعَدَمُ القِيام على مَصالح النَّفسِ ، وتَرْكُ التَّسَبُّبِ والاحْترافِ ، والإِحالة على المقادير ؛ وهذا من أَقبحِ الأَفعالِ .

وأَمّا التَّأَنِّي :

• فإِنه خلاف التَّواني ، وهو الرِّفق ، ورفضُ العَجلة ، والنَّظَرُ في العواقب .

• وقد قيل : مَن نظرَ في عَواقبِ الأُمور سَلِمَ من آفاتِ الدُّهور .

• وممّا جاء في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ [طه : ١١٤] .

• وقال[2] رسول الله ﷺ : « مَن أُعْطِيَ حَظَّهُ من الرِّفقِ أُعْطِيَ حَظَّهُ من الدُّنيا والآخِرة » .

• وقال[3] عليه الصَّلاة والسَّلام لعائشَة : « عليكِ بالرِّفْقِ ، فإِنَّ الرِّفْقَ لا يُخالطُ شيئاً إِلاّ زانَهُ ، ولا يُفارق شيئاً إِلاّ شانَهُ » .

• وفي التَّوراة : الرِّفْقُ رَأْسُ الحِكمةِ .

• وقالوا : العقلُ أَصلُه التَثَبُّتُ ، وثَمَرَتُهُ السَّلامة .

• وَوُجدَ على سيفٍ مكتوباً : التَّأَنِّي فيما لا يُخافُ الفوتُ ، أَفضلُ من العجلةِ في إِدراكِ الأَمل .

---

(١) له في ربيع الأبرار (٣/ ٦١٣) والمحمدون (٤٤١) ومعجم الشعراء (٣٩٥) . وفي الأصول : أبو العتاهية . تحريف . وانظر ترجمته في طبقات ابن المعتز (٣٩١) والمحمدون (٤٤١) والمرزباني (٣٩٥) .

(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٣١١) .

(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٣١٣) .

• وقال بعضُ الحُكماء : إذا شككتَ فاجزمْ ، وإذا استَوضحتَ فاعْزِمْ .

• وقالوا : يَدُ الرِّفقِ تَجني ثَمرةَ السَّلامة ، ويَدُ العَجلة تَغرسُ شَجرةَ النَّدامة .

• وأَنشدوا في ذلك[1] : [من البسيط]

قد يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حاجَتِهِ وقَد يكونُ مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

• وقالوا : التَّأنِّي حِصْنُ السَّلامةِ ، والعَجَلَةُ مِفتاحُ النَّدامة .

• وقالوا : إذا لم يُدْرَكِ الظَّفَرُ بالرِّفقِ والتَّأنِّي ، فَبماذا يُدْرَكُ ؟ .

• وقال المُهَلَّبُ : أَنَاةٌ في عَواقبها دَرَكٌ ، خيرٌ من عَجَلةٍ في عَواقبها فَوْتٌ .

• وقالوا : من تَأَنّى نال ما تَمنّى ؛ والرِّفقُ مِفتاحُ النَّجاح .

• وقال بعضُ الحُكماء : إيّاكَ والعَجَلَةَ ، فإنَّها تُكْنى أُمَّ النَّدامة ، لأَنَّ صاحبَها يقولُ قبلَ أَن يعلَم ، ويُجيبُ قبلَ أَن يَفهم ، ويَعزمُ قبل أَن يفكِّرَ ، ويَحمدُ قبل أَن يُجَرِّبَ ؛ ولن تَصحبَ هذه الصِّفَةُ أَحداً إلاّ صحبَ النَّدامةَ وجانَبَ السَّلامة .

وأَمّا الصِّناعات والحِرَف وما يتعلَّقُ بها :

• فقد[2] رُوي عن سَهل بن سَعد رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « عَمَلُ الأَبرارِ من الرِّجالِ الخياطَةُ ، وعَمَلُ الأبرارِ من النِّساءِ الغَزْلُ » .

• وكان[2] ﷺ يَخيطُ ثَوبه ، ويَخْصِفُ نَعْلَهُ ، ويَحلبُ شاتَهُ ، ويَعلفُ ناضِحَهُ .

• وقال[2] سعيدُ بن المُسَيِّب : كان لُقمان الحكيم خيّاطاً .

• وقيل[2] : كان إدريسُ عليه السَّلام خيّاطاً .

• ووقفَ[3] عليُّ بن أَبي طالب كرَّم الله وجهَه على خيّاط فقال له : يا خيّاط ،

---

(١) البيت للقطامي في ديوانه (٢٥) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٠٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

ثَكلتْكَ الثَّواكلُ ، صَلِّبِ الخَيْطَ ، ودَقِّقِ الدُّروزَ ، وقاربِ الغُروزَ ، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَحْشُرُ اللهُ الخيّاطَ الخائِنَ وعليه قَميصٌ ورداءٌ ممّا خاطَ وخانَ فيهِ » واحذَر السِّقاطاتِ ، فإنَّ صاحبَ الثَّوبِ أَحَقُّ بها ، ولا تَتَّخِذْ بها الأَيادي وتطلب المُكافأة .

- وقال[1] فيلسوفٌ : إنَّ من القَبيح أن يَتَوَلَّى امتحانَ الصُّنّاعِ مَن ليسَ بصانعٍ .

- وفي[2] الحديث : « أَكْذَبُ أُمَّتي الصَّوّاغون والصَّبّاغون » .

- وكَذِبُ[3] الدَّلاّل مَثَلٌ ؛ قالوا : لكلِّ أَحَدٍ رأْسُ مالٍ ، ورأسُ مالِ الدَّلاَل الكَذِبُ .

- وقال[4] عبدُ الرَّحمن بن شِبل : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « التُّجّارُ هم الفُجّار » فقيل : أَليس الله تعالى قد أَحَلَّ البيع ؟ قال : « نعم ، ولكن يُحَدِّثُونَ فَيكذبون ، ويَحلفون فَيَحْنَثون » .

- وقال[5] الفُضيل : بَخْسُ الموازين سوادُ الوجهِ يومَ القيامة ، وإِنَّما أُهلكَت القُرونُ الأُولى لأَنَّهم أَكلوا الرِّبا ، وعطَّلوا الحُدودَ ، ونَقَصوا الكَيْلَ والمِيزان .

- وقال[6] مُجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١١١] . قيل : هم الحاكَة والأَساكِفَة .

- وقيل[7] : إنَّ حائِكاً سأَل إبراهيم الحَرْبيّ : ما تقولُ فيمن صلَّى العيدَ ولم يَشْتَرِ ناطِفاً ، ما الَّذي يجبُ عليه ؟ فتبسَّم إبراهيم ، ثم قال : يتصدَّق

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٠٧) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٦) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٣) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ١٤٢) .
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٢١١) .
(٧) ربيع الأبرار (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢) .

بدِرهمين ؛ فلما مضى قال : ما علينا أَن نُفرحَ المساكينَ من مالِ هذا الأَحمق .

• وقيل[1] لرجلٍ : هل فيكم حائكٌ ؟ قال : لا . قيل : فَمَن ينسجُ لكم ثيابَكم ؟ قال : كلٌّ مِنّا ينسجُ لنفسه في بَيته .

• وكان[2] أَردشير بن بابَك لا يَرتضي لمُنادمته ذا صِناعة رَديئة كحائِكٍ وحجّام ، ولو كان يعلمُ الغَيْبَ مثلاً .

• وقال[3] كعبٌ : لا تَستشيروا الحاكَة ؛ فإِنَّ الله سَلَبَ عُقولَهم ، ونَزَعَ البركةَ من كَسْبِهم ؛ لأَنَّ مريم عليها السَّلام مرَّت بجماعةٍ من الحيّاكين ، فسأَلَتهم عن الطَّريق فدَلُّوها على غير الطَّريق ، فقالت : نَزَعَ الله البَرَكَةَ من كَسْبِكُم .

• وقال أبو العتاهية[4] : [من الطويل]

أَلا إِنَّما التَّقْوى هو العِزُّ والكَرَمْ ... وَحُبُّكَ للدُّنْيا هو الذُّلُّ والسَّقَمْ
وليسَ على عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقيصَةٌ ... إذا صَحَّحَ التَّقْوى وإِنْ حاكَ أَوْ حَجَمْ

• (وهذا الذَّمُّ إِنَّما هو على الغالب ، وإِلاّ ففيهم الصّالح والطّالح ؛ وهي صناعةُ النَّبيِّ شيثٍ عليه السَّلام ؛ وصَنْعَتُهُ لا بُدَّ للنّاسِ منها للأَحياءِ والأَمواتِ .

• قال بعضُ الشُّعراء : [من الكامل]

كُلُّ ابنِ زانيةٍ يقولُ بِجَهْلِهِ : ... إِنَّ الحياكَةَ في الصَّنائعِ عارُ
وهي الَّتي بين الصَّنائعِ شُرِّفَتْ ... للأَنبيا والمُرْسَلينَ تُشارُ
لولا الحياكةُ والَّذين هُمُ لهَا ... لاحَ الفُروجُ ولاحَتِ الأَدبارُ)[5]

* * *

---

(1) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٢) .
(2) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٤) .
(3) ربيع الأبرار (٣/ ٢١٧ ـ ٢١٨) .
(4) ديوانه (٣٤٨ ـ ٣٤٩) .
(5) من ب .

الباب السّادس والخمسون

في شَكوى الزَّمان وانقِلابه بأَهله ، والصَّبر على المكاره ، والتَّسلِّي عن نَوائب الدَّهر
وفيه ثلاثة فُصول

الفَصل الأَوّل

في شَكوى الزَّمان وانقِلابه بأَهله

• رُوي[1] عن أَنس بن مالك رضي الله عنه ، أَنَّه قال : « ما مِن يوم ولا ليلةٍ و[illegible] ولا سنةٍ إِلاّ والَّذي قبلَه خيرٌ منه » . سمعتُ ذلك من نَبيِّكم ﷺ .

• و[illegible][2] معاوية رضي الله تعالى عنه ، يقول : مَعروفُ زَمانِنا مُنكرُ زمانٍ [illegible] مَضى ، ومُنكرهُ مَعروفُ زَمانٍ لم يأْتِ .

• وكانت[1] ناقةُ رسولِ الله ﷺ العَضْباءُ لا تُسْبَقُ ، فجاءَ أَعرابيٌّ فسبقَها ، فَشَقَّ ذلك على الصَّحابةِ رضي الله عنهم ، فقال ﷺ « إِنَّ حقّاً على اللهِ أَن لا يَرفَعَ شيئاً من هذه الدُّنيا إِلاّ وَضَعَه » .

• وحُكي[3] عن شَيْخٍ من هَمْدان ، قال : بَعَثَني أَهلي في الجاهليَّة إِلى ذي الكَلاع الحِمْيَريّ بهدايا ، فمكثْتُ شَهراً لا أَصِلُ إِليه ، ثم بعد ذلك أَشرفَ

---

(١) [illegible] الأبرار (١/ ٥٥٧) .

(٢) [illegible] الأبرار (١/ ٥٥٦) .

(٣) ربيع الأبرار (١/ ٥٥٦ و٥/ ٢١٩) ومختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢٤٠) .

إشراقةً من كُوّة ، فَخَرَّ له مَن حولَ القَصْرِ سُجّداً ، ثم رأيتُه بعدَ ذلك وقد هاجرَ إلى حِمص ، واشتَرى بدرهمٍ لحماً ، وسَمَّطَهُ خَلْفَ دابَّتِهِ ؛ وهو القائلُ هذه الأبيات : [من الرمل]

أُفَّ للدُّنيا إذا كانت كذا ... أنا مِنها في بَلاءٍ وأَذى
إن صَفا عَيْشُ امرىءٍ في صُبْحِها ... جَرَّعَتْهُ مُمْسِياً كأسَ الرَّدى
ولَقَدْ كُنْتُ إذا ما قِيْلَ : مَن ... أَنْعَمُ العالَمِ عَيْشاً ؟ قِيلَ : ذا

• وقال[1] يونُس بن مَيْسَرَة : لا يأتي علينا زمانٌ إلاّ بكَينا منه ، ولا تَوَلّى عنّا زمانٌ إلاّ بكَيْنا عليه .

• ومن قوله في ذلك[2] : [من الخفيف]

رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمّا ... صِرْتُ في غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ

• ومثله[3] : [من الطويل]

وَما مَرَّ يَوْمٌ أَرْتجي فيهِ راحَةً ... فَأَخْبُرَهُ إلاَّ بَكَيْتُ على أَمْسي

• (ونحوه قولُ المُشرك المِصري[4] : [من الكامل]

أبكي إِلى لُقياهما حتّى إذا ... دَنَوا إِليَّ بكيتُ من لُقياهما)[5]

• ومن كلام ابن الأعرابيّ[6] : [من الوافر]

عَنِ الأَيّام عَدِّ فَعَنْ قليلٍ ... تَرى الأَيّامَ في صُوَرِ اللَّيالي

---

(١) ربيع الأبرار (١/ ٥٥٧) .
(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (١/ ٥٥٨) .
(٣) لأبي حفص الشطرنجي في التذكرة الحمدونية (٥/ ٧٥) والأغاني (٢٢/ ٥٠) .
(٤) له في ربيع الأبرار (١/ ٥٥٨) . وكذا ورد اسمه فيه ، ولعله هو مشرّف المصري المترجم في معجم الشعراء (٤٥٦) .
(٥) من أ ، ب .
(٦) له في ربيع الأبرار (١/ ٥٦١) .

• وقال[1] عليٌّ رضي الله عنه : ما قالَ النّاسُ لِشَيْءٍ : طُوبى ؛ إلاّ وقد خَبَّأَ لهُم الدَّهْرُ يومَ سُوءٍ .

• قال الشّاعر : [من الطويل]

فَما النّاسُ بالنّاسِ الَّذينَ عَهِدْتُهُمْ ولا الدّارُ بالدّارِ الَّتي كُنْتُ أَعْهَدُ

• ودخل[2] داودُ عليه الصَّلاة والسَّلام غاراً ، فوجدَ فيه رجُلاً مَيِّتاً ، وعندَ رأسِه لوحٌ مَكتوبٌ فيه : أَنا فُلان ابن فُلان الملِك ، عشْتُ أَلف عام ، وبَنَيْتُ أَلف مدينةٍ ، وافتضضتُ أَلف بِكْرٍ ، وهَزمتُ أَلف جيشٍ ، ثم صار أَمري إلى أَن بَعَثْتُ زِنْبيلاً من الدَّراهم في رَغيفٍ فلم يُوجَد ، ثم بعثْتُ زِنبيلاً من الجواهرِ فلم يُوجَد ، فدقَقْتُ الجواهرَ واسْتَفَفْتُها فَمِتُّ مَكاني ، فَمنْ أَصبحَ وله رغيفٌ وهو يَحسبُ أَنَّ على وَجهِ الأَرضِ أَغْنى منهُ أَماتَهُ الله كما أَماتَني .

• وذُكر[3] أَنَّ عبدَ الرَّحمن بن زياد لمّا وَلي خُراسان ، حازَ من الأَموالِ ما قَدَّرَ لنفسِه أَنَّه إن عاشَ مِئةَ سنة يُنفق في كُلِّ يومٍ أَلفَ درهمٍ على نَفسه أَنَّه يَكفيه ، فَرُئيَ بعدَ مُدَّةٍ وقد احتاجَ إِلى أَن باعَ حِلْيَةَ مُصْحَفِهِ وأَنْفَقها .

• وقال[3] هيثَم بن خالد الطَّويل : دخلتُ على صالح مولى مَنارة في يوم شاتٍ ، وهو جالسٌ في قُبَّةٍ مُغَشّاةٍ بالسَّمُّورِ ، وجَميع فُرُشِها سَمُّورٌ ، وبين يَديه كانونُ فِضَّةٍ يُسْجَرُ فيه بالعُودِ ، ثم رأَيتُه بعد ذلك في رأسِ الجسرِ وهو يَسأَلُ النّاسَ .

• ولمّا[4] قَتَلَ عامرُ بن إسماعيل مروانَ بن محمَّد ، ونزلَ في داره ، وقَعد على فَرْشِهِ ، دخلَت عليه عَبْدَة بنت مروان فقالت : يا عامرُ ، إِنَّ دهراً أَنزلَ

---

(١) ربيع الأبرار (١/ ٥٦١) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٠٥ ـ ١٠٦) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٠٦) .
(٤) ربيع الأبرار (١/ ٥٦٦) .

مروانَ عن فَرْشِه وأَقعدك عليه لقد أبلغَ في عِظَتِك .

• وقال[1] مالكُ بن دينار : مَررتُ بقَصرٍ تَضربُ فيه الجواري بالدُّفوف ، ويَقُلْنَ : [من الوافر]

أَلا يـا دارُ لا يَـدْخُلْـكِ حُـزْنٌ ... ولا يَغْـدِرْ بِصـاحِبـكِ الـزَّمـانُ
فَنِعْـمَ الـدّارُ تُـؤوي كُـلَّ ضَيْـفٍ ... إذا مـا ضـاقَ بـالضَّيْـفِ المكـانُ

ثم مَررتُ عليه بعد حينٍ وهو خرابٌ ، وبهِ عجوزٌ ، فسأَلتُها عمّا كنتُ رأَيتُ وسمعتُ ، فقالت : يا عبدَ الله ، إنَّ الله يُغيِّرُ ولا يَتغيَّرُ ، والموتُ غالبٌ كُلَّ مَخلوقٍ ؛ قد والله دخلَ بها الحُزنُ ، وذهبَ بأَهلها الزَّمان .

• وقال أَبو العتاهية[2] : [من الطويل]

لَئِنْ كُنْتَ في الدُّنْيا بَصيراً فإِنَّما ... بَـلاغُـكَ مِنْهـا مِثْـلُ زادِ المُسـافِـرِ
إذا أَبْقَـتِ الـدُّنْيـا على المَـرْءِ دِيْنَـهُ ... فمـا فـاتَـهُ مِنْهـا فليـسَ بِضـائِـرِ

• وقال[3] عبدُ الملك بن عُمَير : رأَيتُ رأسَ الحُسين رضي الله عنه بين يَدَي ابنِ زيادٍ في قَصر الكُوفة، ثم رأَيتُ رأسَ زيادٍ بين يَدي المُختار، ثم رأَيتُ رأسَ المُختار بين يَدي مُصعبٍ ، ثم رأَيت رأسَ مُصعبٍ بين يَدي عبدِ الملك ؛ قال سُفيان : فقلتُ له : كم كان بينَ أَوّلِ الرُّؤوسِ وآخرِها ؟ قال: اثنتا عشرةَ سنةً .

• قال الشّاعر[4] : [من الخفيف]

إنَّ لِلـدَّهْـرِ صَـرْعَـةً فـاحْـذَرَنْهـا ... لا تَبِيْتَـنَّ قـد أَمِنْـتَ الشُّـرورا

---

(١) ربيع الأبرار (١/ ٥٦٦) .
(٢) ديوانه (١٤٩) وربيع الأبرار (١/ ٥٦٧) .
(٣) ربيع الأبرار (١/ ٥٦٧) والتذكرة الحمدونية (٩/ ٢١٧) ونثر الدر (٧/ ٤٠٨) ومروج الذهب (٣/ ٣١٢) .
(٤) البيتان لعدي بن زيد العبادي في ديوانه (٦٤) وربيع الأبرار (١/ ٥٧٠) .

قَـد يَبِيـتُ الفَتـى مُعـافـىً فَيَـرْدى ... وَلَقَـــدْ كَـــانَ آمِنـــاً مَسْـــرورا

• وكان[1] محمَّد بن عبد الله بن طاهر في قَصره على الدِّجلة ينظرُ ، فإذا هو بحشيشٍ في وسَطِ الماءِ ، وفي وَسَطه قَصَبَةٌ على رأسِها رُقعةٌ ، فدعا بها فإذا فيها[2] : [من البسيط]

تـاهَ الأُعَيْـرِجُ واسْتَعْلَـى بـهِ البَطَـرُ ... فَقُلْ لَهُ : خَيْرُ ما اسْتَعْمَلْتَهُ الحَذَرُ

أَحْسَنْـتَ ظَنَّـكَ بـالأَيّـام إذ حَسُنَـتْ ... ولم تَخَفْ سُوءَ ما يَأْتي بهِ القَدَرُ

وسـالَمَتْـكَ اللَّيـالـي فـاغْتَـرَرتَ بِهـا ... وعِنْدَ صَفْوِ اللَّيالي يَحْدُثُ الكَدَرُ

قال : فما انتفَع بنَفسه مُدَّةً .

• وأَعجبُ[3] من كلِّ ما وُجِدَ في السِّيَرِ خَبَرُ القاهِر ، أَحدِ الخُلفاء ، وقَلْعِهِ من المُلْكِ ، وخُروجه إلى الجامع في بِطانَةِ جُبَّةٍ بغير طَهارةٍ ، ومَدِّ يَدِهِ يَسأَلُ النّاس بعدَ أَن كان مُلْكُهُ لأَقطارِ الأَرض ! فَتباركَ اللهُ ، يُعِزُّ مَن يَشاءُ ويُذِلُّ مَن يَشاء .

• وقيل[4] : كانَت حالُ المُهَلَّبيّ قبل اتِّصالِه بالسُّلطانِ حالَ ضَعْفٍ وقِلَّةٍ ، فَبينما هو في بَعض أَسفاره مع رفيقٍ له من أَصحاب الجراب والمحراب ، إلاّ أَنّه من أَهل الأَدب ، إذ أَنشدَه يقول : [من الوافر]

أَلا مَـــوْتٌ يُبَـــاعُ فَـــأَشْتَـــرِيـــهِ ... فَهــذا العَيْــشُ مــا لا خَيْــرَ فيــهِ

أَلا رَحِــمَ المُهَيْمِــنُ نَفْــسَ حُــرٍّ ... تَصَــدَّقَ بِــالــوَفــاةِ علــى أَخيــهِ

قال : فَرثى له رفيقُه ، وأَحضرَ له بدرهمٍ ما سَدَّ به رَمَقَهُ ، وحَفِظَ

---

(١) ربيع الأبرار (١/ ٥٧١) .

(٢) زاد في ط : وهو للشافعي رضي الله تعالى عنه . وانظرها في ديوان الشافعي (٣٩) . وهي تنسب للإمام علي بن أبي طالب .

(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٠٦ ـ ١٠٧) وتاريخ الخلفاء (٤٦٠) .

(٤) يتيمة الدهر (٢/ ٢٢٣) ومعجم الأدباء (٣/ ٩٧٧) ووفيات الأعيان (٢/ ١٢٤) وفوات الوفيات (١/ ٣٥٤) والتذكرة الحمدونية (٥/ ٧٠) .

الأَبياتَ ، وتَفَرَّقا ، ثم تَرقّى المهلبيُّ إلى الوزارة ، وأَخْنى الدَّهرُ على ذلك الرَّجل الَّذي كان رفيقَه ، فتوصَّل إلى إيصالِ رُقعةٍ إليه مكتوبٍ فيها : [من الوافر]

أَلا قُـلْ لِلـوَزيـرِ فَـدَتْـهُ نَفْسـي ... مَقـالَ مُـذَكِّـرٍ مـا قَـدِ نَسيـهِ :
أَتَـذْكُـرُ إذْ تَقـولُ لِضَنْـكِ عَيْـشٍ : ... أَلا مَـوْتٌ يُبـاعُ فـأَشْتَـريـهِ

فلمّا قرأها تَذكَّر ، فأَمر له بسبعمئة درهم ، ووقَّع تحتَ رُقعته : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة : ٢٦١] ثم قلَّده عَملاً يَرتزقُ منهُ .

● ودخلَ[١] مَسْلَمَة بن يزيد بن وَهب على عبد الملِك بن مروان ، فقال له : أَيُّ الزَّمانِ أَدركْتَهُ أَفضلُ ؟ وأَيُّ المُلوك أَكملُ ؟ فقال : أَمّا الملوكُ ، فلم أَرَ إلاّ حامِداً وذامّاً ، وأَمّا الزَّمان فيرفَعُ أَقواماً ويَضع آخرين ، وكلُّهم يَذكُرُ أَنَّه يُبْلي جديدَهُم ، ويُفَرِّقُ عَديدَهم ، ويُهرِمُ صَغيرَهُم ، ويُهلكُ كَبيرَهم .

● وقال حبيب بن أَوس[٢] : [من البسيط]

لَـمْ أَبْـكِ مِـن زَمَـنٍ لَـمْ أَرْضَ خُلَّتَهُ ... إلاَّ بَكَيْـتُ عَلَيْـهِ حِيْـنَ يَنْصَـرِمُ

● (وقال الدَّورقيّ[٣] : [من مخلع البسيط]

لا بُـدَّ يـا نَفْـسُ مِـن سُجُـودِ ... فـي زَمَـنِ السُّـوءِ لِلقُـرودِ
هَبَّـتْ لَـكَ الـرِّيـحُ يـا ابـنَ وَهْـبٍ ... فَخُـذْ لَهـا أُهْبَـةَ الـرُّكـودِ)[٤]

● وقال آخر[٥] : [من الكامل]

---

(١) التذكرة الحمدونية (٥/ ٧٦) والعقد الفريد (٢/ ٣٤٠) .
(٢) ليس في ديوانه ، وهو له في التذكرة الحمدونية (٥/ ٧٦) .
(٣) هما له في ربيع الأبرار (١/ ٥٧٩) .
(٤) من أ ، ب .
(٥) البيتان لكشاجم في ديوانه (٣٣٠) وربيع الأبرار (١/ ٥٨٦) .

يـا مُعْـرِضـاً عَنِّـي بِـوَجْـهٍ مُـدْبِـرٍ وَوُجُـوهُ دُنْيـاهُ عليـهِ مُقْبِلَـهْ
هـلْ بَعْـدَ حـالِـكَ هَـذِهِ مِـن حـالَـةٍ أَو غـايَـةٍ إِلاَّ انحِطـاطُ المَنْـزِلَـهْ

• وقال عبدُ الله بن عُروة بن الزُّبير[1] : [من الكامل]

ذَهَـبَ الَّـذيـنَ إذا رَأَوْنـي مُقْبـلاً بَشُّـوا إِلَـيَّ وَرَحَّبُـوا بِـالمُقْبِـلِ
وَبَقِيـتُ فـي خَلْـفٍ كَـأَنَّ حَـدِيثَهُـمْ وَلَغُ الكِلابِ تَهارَشَتْ في المَنْزِلِ

• وقال آخرُ في مَعناه[2] : [من الكامل]

يـا مَنْـزِلاً عَبِـثَ الـزَّمـانُ بِـأَهْلِـهِ فـأَبـادَهُـمْ بِتَفَـرُّقٍ لا يُجْمَـعُ
أَيْـنَ الَّـذيـنَ عَهِـدْتُهُـمْ بِـكَ مَـرَّةً كـانَ الـزَّمـانُ بِهِـمْ يَضُـرُّ ويَنْفَـعُ
أَيّـامَ لا يُغْشَـى لِـذِكْـرِكَ مَـرْبَـعٌ إلاَّ وَفِيـهِ لِلمَكـارِمِ مَـرْتَـعُ
ذَهَـبَ الَّـذيـنَ يُعـاشُ فـي أَكْنـافِهِـمْ وبَقـي الَّـذيـنَ حَيـاتُهُـمْ لا تَنْفَـعُ

• وقال إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلي[3] : [من الطويل]

وإِنّـي رَأَيْـتُ الـدَّهْـرَ مُنْـذُ صَحِبْتُـهُ مَحـاسِنُـهُ مَقْـرونَـةٌ وَمَعـايِبُـهْ
إذا سَـرَّنـي فـي أَوَّلِ الأَمْـرِ لـم أَزَلْ علـى حَـذَرٍ مـن أَن تُـذَمَّ عـواقِبُـهْ

• وقال بعضُهم[4] : [من الكامل]

ذَهَـبَ الـرِّجـالُ المُقْتَـدى بِفِعـالِهِـمْ والمُنْكِـرونَ لِكُـلِّ أَمْـرٍ مُنْكَـرِ

---

(١) هما له في ربيع الأبرار (١/ ٥٩١) ، وللحارث بن الوليد في بهجة المجالس (١/ ٧٩٨) .
(٢) الأبيات لابن أبي طاهر في المنازل والديار (٧ ـ ٨) . والأول والثاني بلا نسبة في وفيات الأعيان (١/ ٣٦١) .
(٣) له في التذكرة الحمدونية (٥/ ٧٣) .
(٤) الأبيات من الشعر المتنازع ؛ فهي لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه (١٠٨) والتذكرة الحمدونية (٥/ ٧٢) ، ولعبد الله بن المبارك في ديوانه (٨٠) وبهجة المجالس (١/ ٧٩٩) ، ولمرّة بن عمرو الخزاعي في معجم الشعراء (٢٩٥) ، وللحكم بن عبدل في المؤتلف والمختلف (٢٤٢) ، ولجرير في المناقب والمثالب رقم (١١٥١) وليست في ديوانه .

وَبَقيتُ في خَلْفٍ يُزَيِّنُ بَعْضُهُ بَعْضاً لِيَدْفَعَ مُعْوِرٌ عن مُعْوِرِ
حَلَفَ الزَّمانُ لَيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِمْ حَنَثَتْ يَمينُكَ يا زَمانُ فَكَفِّرِ

• (وقال آخر[1] : [من الطويل]

فلو كانَ هَمِّي واحداً لا طَّرَحْتُهُ خَواطِرُ قَلْبي كُلُّهُنَّ هُمومُ)[2]

• وكان يُقالُ : إذا أدبَر الأَمر أتى الشَّرُّ من حيثُ يأتي الخَيْرُ .

• وكان يُقال : بِتَقَلُّبِ الدَّهرِ تَعرفُ جَواهرَ الرِّجال .

• ويُقال : زِمامُ العافيةِ بِيَدِ البلاءِ ، ورأسُ السَّلامة تحتَ جَناحِ العَطَبِ .

• وقال[3] بعضُهم : نحنُ في زمنٍ لا يَزدادُ فيه الخَيْرُ إلا إدباراً ، والشَّرُّ إلاّ إقبالاً ، والشَّيطانُ في هَلاكِ النّاسِ إلاّ طَمَعاً ؛ اضربْ بِطَرْفِكَ حيثُ شِئْتَ ، هل تنظرُ إلاّ فقيراً يُكابِدُ فَقْراً ، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً ، أَو بَخيلاً اتَّخَذَ البُخلَ بحق اللهِ وَفْراً ، أو مُتَمَرِّداً كأَنَّ بِسَمْعِهِ عن سَماعِ المَواعظِ وَقْرا ؟

• وقال[4] آخر : نحنُ في زَمانٍ إذا ذَكرنا الموتَى حَيِيَتِ القُلوب ، وإذا ذَكرنا الأحياءَ ماتَت القُلوب .

• ويُؤَيِّدُ ذلك قولُهُ ﷺ : « لا تَقومُ السّاعةُ حتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبرِ أَخيه ، فيقولُ : يا ليتَني مَكانه » .

• ويُقالُ[5] : لا يُقامُ عِزُّ الوِلاية بِذُلِّ العَزْلِ .

• بيت[6] : [من البسيط]

---

(١) البيت لابن الرومي في التذكرة الحمدونية (٥/ ٧٢) وليس في ديوانه .
(٢) من أ ، ب .
(٣) للإمام علي في ربيع الأبرار (١/ ٥٨٣) .
(٤) ربيع الأبرار (١/ ٥٧٥) .
(٥) ربيع الأبرار (١/ ٥٨٧ و٥٩٣) .
(٦) بلا نسبة في ربيع الأبرار (١/ ٥٨٨) .

ما مِن مُسِيءٍ وإن طَالتْ إساءتُهُ إلاّ ويَكفيكَ يَوْمٌ مِن مَساعِيهِ

• وقال الأَمين[1] : [من مجزوء الكامل]

يا نَفْسُ قَد حُقَّ الحَذَرْ أَيْنَ المَفَرُّ مِن القَدَرْ
كُلُّ امْرِىءٍ مِمّا يَخا فُ وَيَرْتَجيهِ على خَطَرْ
مَن يَرْتَشِفْ صَفْوَ الزَّما نِ يَغَصُّ يَوْماً بالكَدَرْ

• وقال بعضُهم : [من الطويل]

وقائِلَةٍ ما بالُ وَجْهِكَ قَد نَضَتْ مَحاسِنُهُ والجِسْمُ بانَ شُحُوبُهُ
فقلتُ لَها : هاتي مِن النّاس واحِداً صَفا قَلْبُهُ والنّائِباتُ تَنُوبُهُ

• وللأَمير أَبي عليّ [تميم] بن المُعِزِّ[2] : [من الطويل]

أَما والَّذي لا يَمْلِكُ الأَمْرَ غَيْرُهُ وَمَنْ هُوَ بالسِّرِّ المُكَتَّمِ أَعْلَمُ
لَئِنْ كانَ كِتْمانُ المَصائِبِ مُؤْلِماً لَإِعْلانُها عِنْدي أَشَدُّ وأَعْظَمُ
وَبي كُلُّ ما يُبكي العُيونَ أَقَلُّهُ وإنْ كُنْتُ مِنْهُ دائِماً أَتَبَسَّمُ

• وقال[3] عليُّ بن أَبي طالبٍ كرَّم الله تعالى وَجهه : وايمُ اللهِ ، ما كانَ قومٌ قطُّ في خَفْضِ عَيْشٍ فَزالَ عنهم إلاّ بذُنوبٍ اجتَرحوها ، لأَنّ الله تعالى ليسَ بِظلاّم للعَبيدِ ؛ ولو أَنَّ النّاسَ حينَ يَنزلُ بهم الفَقرُ ، ويَزول عنهم الغِنى ، فَزِعوا إلى رَبِّهم بِصِدْقِ نِيّاتِهم ، لَرَدَّ عليهم كُلَّ شارِدٍ ، وأَصلحَ كُلَّ فاسِدٍ .

• قال الشّاعر[4] : [من الوافر]

---

(١) له في ربيع الأبرار (١/ ٦٠٠) وتاريخ الخلفاء (٣٥٩) . (ويصحح فيه بحره) .
(٢) ديوانه (٣٩٨) ووفيات الأعيان (١/ ٣٠٢) ، واسمه في الأصول مضطرب .
(٣) ربيع الأبرار (١/ ٥٨٠) .
(٤) البيت في التذكرة الحمدونية (٥/ ٧٦) والعقد الفريد (٢/ ٣٤١) لأبي مياس .

يَقــولُــونَ : الــزَّمــانُ بِــهِ فَســادٌ   وَهُــمْ فَسَــدوا ومــا فَسَــدَ الــزَّمــانُ

• وكَفى بالقُرآن واعِظاً . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد : ١١] ، والله سُبحانه وتعالى أَعلم .

الفصل الثّاني

في الصَّبر على المَكارهِ ، ومَدْحِ التَّثبُّتِ ، وذَمِّ الجَزَعِ

• قد مَدَحَ اللهُ تعالى الصَّبْرَ في كتابهِ العَزيزِ في مواضِعَ كثيرةٍ ، وأَمر بِهِ ، وجعلَ أَكثرَ الخيراتِ مُضافاً إِلى الصَّبر ، وأَثنى على فاعِله ، وأَخبرَ أَنَّه سُبحانه وتَعالى معه ، وحَثَّ على التَّثَبُّت في الأَشياءِ ، ومُجانبةِ الاستِعجالِ فيها .

فمِن ذلك قولُه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] فبدأَ بالصَّبر قبل الصَّلاة ، ثمَّ جعلَ نَفْسَهُ مع الصّابرين دُون المُصَلِّين .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

وقولُه تعالى : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

وبالجُملة ، فقد ذَكر اللهُ سُبحانه وتَعالى الصَّبْرَ في كتابه العزيز في نَيِّفٍ وسَبعين مَوْضعاً ؛ وأَمرَ نَبِيَّهُ ﷺ بهِ ، فقال تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

• وقد رُوي عن النَّبيِّ ﷺ في ذلكَ أَخبارٌ كثيرةٌ ؛ فمِن ذَلك قولُه ﷺ : « النَّصْرُ في الصَّبْر » .

• وقولُه عليه الصَّلاة والسَّلام : « بالصَّبْرِ يُتَوَقَّعُ الفَرَجُ » .

• وقولُه : « الأناةُ مِن الله تَعالى ، والعَجَلَةُ من الشَّيْطانِ » .

فمَن هداهُ الله تعالى بِنُورِ توفيقهِ أَلْهَمَهُ الصَّبْرَ في مَواطن طَلَباتِه ، والتَّثَبُّتَ في حَركاتِه وسَكَناتِهِ ، وكثيراً ما أَدْرَكَ الصَّابرُ مَرامَهُ أو كادَ ، وفاتَ المُستعجلَ غَرَضُهُ أو كاد .

• وقال الأَشعثُ بن قيس : دخلتُ على أَمير المؤمنين عليِّ بن أَبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه فَوَجَدْتُه قد أَثَّر فيه صَبْرُهُ على العِبادة الشَّديدةِ ليلاً ونَهاراً ، فقلتُ : يا أَمير المؤمنين ، إلى كَمْ تَصبرُ على مُكابدةِ هذه الشِّدَّةِ ؟ فما زَادَني إلا أن قالَ[1] : [من البسيط]

اصْبِرْ على مَضَضِ الإِدْلاجِ في السَّحَرِ ... وفي الرَّواحِ إلى الطّاعاتِ في البُكَرِ

إنِّي رَأَيْتُ وفي الأَيّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عاقِبَةً مَحمُودَةَ الأَثَرِ

وَقَلَّ مَن جَدَّ في أَمْرٍ يُؤَمِّلُهُ ... واسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إلاّ فازَ بالظَّفَرِ

فَحفظتُها منه ، وأَلزمتُ نَفْسي الصَّبْرَ في الأُمورِ ، فوجدتُ بَرَكَةَ ذلك .

• وعن[2] أَبي سَعيد الخُدريّ وأَبي هُريرة رضي الله عنهما ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « ما يُصيبُ المُسْلِمَ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أَذىً ولا غَمٍّ حتَّى الشَّوكة يُشاكُها ، إلاّ حَطَّ اللهُ بِها من خَطاياه » .

• وعن[3] أَنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إذا أَرادَ اللهُ بعبدِهِ الخيرَ عَجَّلَ له العُقوبةَ في الدُّنيا ، وإذا أَرادَ اللهُ بعبدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عنهُ بِذَنْبِهِ حتَّى يُوافي بهِ يومَ القِيامَةِ » .

---

(١) الثاني والثالث مضى تخريجهما في الباب ٥٥ ونسبتهما إلى أَبي حيَّة النُّميري .

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣ رقم ٢٥٧٣) . والنصب : التعب . والوصب : الوجع .

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٥١٩) رقم (٢٣٩٦) .

• وقال[1] ﷺ : « إِنَّ أَعْظَمَ الجَزاءِ مع عِظَمِ البَلاءِ ، وإِنَّ الله إِذا أَحَبَّ قَوماً ابْتَلاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضا ، ومَن سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ » . رواه التِّرمذيُّ ، وقال : حديثٌ حَسَنٌ .

• وعن إِسحاق بن عبد الله بن أَبي فَروة ، عن أَنس بن مالكٍ ، قال : قال النَّبيُّ ﷺ : « الضَّرْبُ على الفَخِذِ عندَ المُصيبةِ يُحْبِطُ الأَجْرَ ، والصَّبْرُ عندَ الصَّدْمَةِ الأُولى ، وعِظَمُ الأَجْرِ على قَدرِ المُصيبةِ ، ومَن استَرجَعَ بعدَمُصيبتِهِ جَدَّدَ الله لَهُ أَجْرَها كَيومِ أُصيبَ بِها » .

• ورُوي[2] عن عليٍّ بن أَبي طالبٍ رضي الله عنه ، أَنَّه قال : احفَظوا عنِّي خَمساً ، اثنتين واثنتين وواحدة ؛ لا يَخافَنَّ أَحدُكُم إِلاّ ذَنْبَهُ ، ولا يَرْجو إِلاّ رَبَّه ، ولا يَستحيي أَحَدٌ مِنكمْ إِذا سُئِل عن شَيْءٍ وهو لا يَعلمُ أَن يَقُول لا أَعلمُ ؛ واعلَموا أَنَّ الصَّبْرَ من الأُمورِ بِمنزِلَةِ الرَّأْسِ من الجَسَدِ ، إِذا فارق الرَّأْسُ الجسدَ فَسَدَ الجَسَدُ ، وإِذا فارَقَ الصَّبْرُ الأُمورَ فَسَدَتِ الأُمورُ ؛ وأَيّما رَجُلٍ حَبَسَهُ السُّلطانُ ظُلْماً ، فماتَ في حَبْسِهِ ، ماتَ شَهيداً ؛ فإِن ضَرَبَهُ فماتَ ، فهو شهيدٌ .

• ورُوي[3] في الخَبَر : لمّا نَزَلَ قولُه تعَالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء : ١٢٣] . قال أَبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه : يا رَسولَ الله : كيفَ الفَرَحُ بعدَ هذه الآية ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « غفَرَ اللهُ لكَ يا أَبا بَكر ، أَلَيْسَ تَمْرَضُ ؟ أَلَيْسَ يُصيبُكَ الأَذى ؟ أَليسَ تَحْزَنُ ؟ قال : بلى يا رسولَ الله . قال : فهذا ما تُجْزَوْنَ بهِ » يعني : جَميعُ ما يُصيبكَ من سُوءٍ يَكونُ كَفّارةً لكَ .

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٥١٩ رقم ٢٣٩٦) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٩٦) .
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٥٧) .

وبهذا اتَّضَحَ لك ، أَنَّ العبدَ لا يُدرك مَنزلةَ الأَخيارِ إلاّ بالصَّبْرِ على الشِّدَّةِ والبَلاءِ .

• ورُوي[1] عن ابنِ مَسعودٍ رضِي الله عنه ، أَنَّه قال : بَينما رسولُ الله ﷺ يُصَلّي عند الكَعبة ، وأَبو جَهْلٍ وأَصحابُه جُلوسٌ ، وقد نُحِرَتْ جَزُورٌ بالأَمسِ ، فقالَ أَبو جَهْل لَعَنَهُ الله : أَيُّكُم يقومُ إلى سلا الجَزورِ فَيُلقيه على كَتِفَيْ مَحمَّدٍ إذا سَجَدَ ؟ فانبعثَ أَشْقَى القَوم ، فأَخذَه وأَتى به ، فلمّا سَجَدَ ﷺ وضعَ بين كَتفَيْه السَّلا والفَرْثَ والدَّمَ ، فضَحكوا ساعةً وأَنا قائمٌ أَنظرُ ، فقلتُ : لو كان لي مَنَعَةٌ لَطَرَحْتُهُ عن ظَهْرِ رسولِ الله ﷺ ؛ والنَّبيُّ ﷺ ساجِدٌ ما يَرفَعُ رأسَه ، حتَّى انطلقَ إنسانٌ ، فأَخبرَ فاطمةَ رضيَ الله عنها ، فجاءَت فطَرحَتْهُ عن ظَهره ، ثم أَقبلَت عليهم فَسَبَّتْهُمْ ؛ فلمّا قضَى ﷺ الصَّلاة رفعَ يَديه فدَعا عليهم ، فقال : « اللَّهمَّ عليكَ بقُريش » ثلاثَ مرّات ؛ فلمّا سمعَ القومُ صَوْتَهُ ودُعاءَه ، ذَهب عنهم الضَّحِك ، وخافُوا دَعوتَه ، فقال : « اللَّهمَّ عليك بأَبي جَهْلٍ ، وعُتْبَةَ ، وشَيْبَةَ ، ورَبيعة ، والوليدَ ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَف » .

فقال عليٌّ رضي الله عنه : والَّذي بَعَثَ محمَّداً بالحقِّ رأَيتُ الَّذين سَمّاهُم صَرْعَى يومَ بَدْرٍ .

• وكان الصّالحون يفرحون بالشِّدَّة لأَجل غُفران الذُّنوب لأَنَّ فيها كَفّارة السَّيِّئات ورفعَ الدَّرجات .

• ورُوي عن رَسول الله ﷺ أَنَّه قال : « ثلاثٌ مَن رُزِقَهُنَّ فقد رُزِقَ خَيْرَي الدُّنْيا والآخرة ؛ الرِّضا بالقَضاء ، والصَّبْر على البلاءِ ، والدُّعاء في الرَّخاء » .

• وحُكي أَنَّ امرأَةً من بَني إسرائيل لم يَكُن لها إلاّ دَجاجة ، فَسَرَقَها سارقٌ ،

---

(١) صحيح مسلم (٣/١٤١٨ رقم ١٧٩٤) .

فصَبَرت وردَّت أَمْرَها إِلى الله ، ولم تَدْعُ عليهِ ، فلمّا ذَبَحها السَّارق وَنَتَف رِيْشَها ، نَبَتَ جَميعُه في وَجْهِهِ ، فَسعى في إِزالَتِهِ فلم يَقدر على ذلك ، إِلى أَن أَتى حَبْراً من أَحبارِ بني إِسرائيلِ ، فشكا له ، فقال : لا أَجدُ لك دواءً إِلا أَن تدعوَ عليكَ هذه المرأَةُ ؛ فأرسلَ إِليها مَن قال لها : أَين دجاجتُك ؟ فقالت : سُرِقَتْ ؛ فقال : لقد آذاكِ مَن سَرَقَها ؛ قالت : قد فَعل ؛ ولم تَدْعُ عليه ؛ قال : وقد فَجَعَكِ في بَيْضِها ؛ قالت : هو كَذلك ؛ فما زال بها حتّى أَثار الغضبَ منها ، فَدَعَتْ عليه ، فتساقَطَ الرِّيشُ من وَجهه ؛ فقيل لذلك الحَبْرِ : مِن أَينَ عَلِمْتَ ذلك ؟ قال : لأَنَّها لمّا صَبَرَتْ ولم تَدْعُ عليه انتصرَ اللهُ لها ، فلمّا انتصرَت لِنَفْسِها ودَعَتْ عليه سَقَطَ الرِّيشُ من وَجهه .

فالواجبُ على العبدِ أَن يصبِرَ على ما يُصيبُه من الشِّدَّةِ ، ويحمدَ الله ، ويعلمَ أَنَّ النَّصْرَ مع الصَّبْرِ ، وأَنَّ مع العُسر يُسراً ، وأَنَّ المصائبَ والرَّزايا إِذا توالَت أَعْقَبَها الفَرَجُ والفَرَحُ عاجِلاً .

• ومن أَحسن ما قيل في ذلك من المنظوم ، قولُ بعضهم[1] : [من الخفيف]

وإِذا مَسَّكَ الزَّمانُ بِضُرٍّ عَظُمَتْ دُونَهُ الخُطوبُ وَجَلَّتْ

وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوائِبُ أُخْرى سَئِمَتْ نَفْسُكَ الحياةَ وَمَلَّتْ

فاصْطَبِرْ وانْتَظِرْ بُلوغَ الأَماني فالرَّزايا إِذا تَوالَتْ تَوَلَّتْ

وإِذا أَوْهَنَتْ قُواكَ وَجَلَّتْ كُشِفَتْ عَنْكَ جُمْلَةً وَتَخَلَّتْ

• ولمحمَّد بن بَشير الخارجيّ[2] : [من البسيط]

إِنَّ الأُمورَ إِذا اشْتَدَّتْ مَسالِكُها فالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْها كُلَّ ما ارْتَتَجا

(١) الأَبيات للإمام علي في أُنس المسجون (١٢٢) باختلاف رواية . وبلا نسبة في سراج الملوك (٢/ ٦٣٤) .

(٢) ديوانه (١٣٣) من قصيدة ليست له ، وهما في الغالب لمحمّد بن يسير الرياشي . وانظر تخريج القصيدة والخلاف في نسبتهما في ديوان الخارجي . وأَغربَ ابن المعتز في نسبتهما إلى محمد بن حازم الباهلي في طبقاته (٣٠٩) وليسا في ديوانه .

لا تَيـأَسَـنَّ وإن طـالَـتْ مُطـالَبَـةٌ إذا اسْتَعَنْـتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَـرى فَـرَجـا

• ولزُهير بن أَبي سُلمى[1] : [من الطويل]

ثـلاثٌ يَعِـزُّ الصَّبْـرُ عِنْـدَ حُلُـولِها وَيَـذْهَـلُ عَنْهـا عَقْـلُ كُـلِّ لَبيـبِ
خُـروجُ اضْطِـرارٍ مـن بِـلادٍ تُحِبُّها وَفُـرْقَـةُ إخْـوانٍ وَفَقْـدُ حَبيـبِ

• وقال بعضُهم : [من الطويل]

عَلَيْـكَ بـإِظْهـارِ التَّجَلُّـدِ لِلْعِـدا ولا تُظْهِـرَنْ مِنْـكَ الـذُّبُـولَ فَتُحْقَـرا
أَمـا تَنْظُـرُ الـرَّيْحـانَ يُشْتَـمُّ نـاضِـراً وَيُطْـرَحُ فـي المَيْضـاتِ إمّـا تَغَيَّـرا

• ولابن نُباتة[2] : [من مجزوء الكامل]

صَبْـراً علـى نُـوَبِ الـزَّمـا نِ وإنْ أَبـى القَلْـبُ الجَـريـحُ
فَلِكُـلِّ شَـيْءٍ آخِـرٌ إمّـا جَميـلٌ أَو قَبيـحُ

• وقال أَبو الأَسود وأَجاد[3] : [من الطويل]

وإنَّ امْرأً قد جَرَّبَ الدَّهْرَ لم يَخَفْ تَقَلُّـبَ عَصْـرَيْـهِ لَغَيْـرُ لَبيـبِ
ومـا الـدَّهْـرُ والأَيّـامُ إلاّ كَمـا تَـرى رَزِيَّـةُ مـالٍ أَو فِـراقُ حَبيـبِ

• ومن كلامِ الحُكماء : ما جُوهِدَ الهَوى بمثلِ الرَّأْيِ ، ولا استُنبطَ الرَّأيُ بمثلِ المَشورةِ ، ولا حُفِظَتِ النِّعَمُ بمثلِ المواساة ، ولا اكتُسبت البَغضاءُ بمثلِ الكِبْرِ ، وما استُنْجِحَتِ الأُمور بمثلِ الصَّبر .

• وقال نَهشل [بن حَرِّي][4] : [من الطويل]

---

(١) ليسا في ديوانه ، وليسا له .
(٢) ليسا في ديوانه .
(٣) ليسا في ديوانه .
(٤) له في ربيع الأبرار (٣/ ٢٠٠) وديوانه (١٠١) (ضمن شعراء مقلّون) .

وَيَــوم كَــأَنَّ المُصْطَليــنَ بِحَــرِّهِ   وإِنْ لم يَكُنْ نارٌ قِيامٌ على الجَمْرِ
صَبَـرْنَـا لَـهُ صَبْراً جَميـلاً وإِنَّمـا   تُفَـرَّجُ أَبـوابُ الكَـريهـةِ بـالصَّبْـرِ

- قال ابنُ طاهر : [من مجزوء الخفيف]

قَــدْ تَحَــذَّرْتُ والحَــذَرْ   لَيْــسَ يُغْنــي مِــن القَــدَرْ[1]
ليــسَ مَــنْ يَكْتُــمُ الهَــوى   مِثْــلَ مَــن بــاحَ واشْتَهَــرْ
إِنَّمــا يَعْــرِفُ الهَــوى   مَــن علــى مُــرِّهِ صَبَــرْ
نَفْــسُ يــا نَفْــسُ فــاصْبِـري   إِنَّمــا فــازَ مَــنْ صَبَــرْ[2]

- وكان[3] يُقال : مَن تَبَصَّر تَصَبَّر .

- وكان يُقال : إنَّ نَوائبَ الدَّهرِ لا تُدفعُ إلاّ بعزائمِ الصَّبر .

- وكان يُقال : لا دَواءَ لداءِ الدَّهر إلاّ بالصَّبر .

- ولله دَرُّ القائلِ : [من البسيط]

الـدَّهْـرَ أَدَّبَنـي والصَّبْـرُ رَبّـانـي   والفَـوْتُ أَقْنَعني واليَـأْسُ أَغْنـانـي
وأَحْكَمَتْنـي مـن الأَيّـامِ تَجْـرِبَـةٌ   حتَّى نَهَيْتُ الَّذي قد كانَ يَنْهاني

- وما أَحسن ما قالَ محمود الورّاق[4] : [من الكامل]

إِنّـي رَأَيْـتُ الصَّبْـرَ خَيْـرَ مُعَـوَّلٍ   فـي النّـائِبـاتِ لِمَـنْ أَرادَ مُعَـوَّلا
وَرَأَيْـتُ أَسْبـابَ القَنـاعَـةِ أُكِّـدَتْ   بِعُـرى الغِنَـى فَجَعَلْتُهـا لـي مَعْقِـلا
فـإِذا نَبـا بـي مَنْـزِلٌ جـاوَزْتُـهُ   وَجَعَلْـتُ مِنْـهُ غَيْـرَهُ لـي مَنْـزِلا
وإِذا غـلا شَـيْءٌ عَلَـيَّ تَـرَكْتُـهُ   فَيَكُـونُ أَرْخَصَ مـا يَكـونُ إِذا غَـلا

---

(١) في ط : حذّرتني وذا الحذر × .
(٢) في ب : × فاز بالوصل من صبر .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ١٩٥) .
(٤) ديوانه (١٦٥) .

● وقال بعضُهم : [من الطويل]

إذا مـا أتـاكَ الـدَّهْـرُ يـومـاً بِنَكْبَـةٍ فَهَيِّءْ لها صَبْراً وَوَسِّعْ لها صَدْرا[1]
فـإِنَّ تَصـاريـفَ الـزَّمـانِ عَجيبـةٌ فَيَوماً ترى يُسْراً ويَوماً ترى عُسْرا

● وقال بعضُهم : [من الطويل]

ومـا مَسَّنـي عُسْـرٌ فَفَـوَّضْـتُ أَمْـرَهُ إِلـى المَلِـكِ الجَبّـارِ إِلاَّ تَيَسَّـرا

● وما أَحسنَ ما قيل : [من السريع]

الـدَّهْـرُ لا يَبْقَـى علـى حـالَـةٍ لا بُـدَّ أَنْ يُقْبِـلَ أَو يُـدْبِـرْ
فـإِن تَلَقّـاكَ بِمَكْـروهِـهِ فـاصْبِـرْ فـإِنَّ الـدَّهْـرَ لا يَصْبِـرْ

● ونُقل عن محمّد بن الحسن رحمهُ الله ، قال : كُنْتُ مُعتقَلاً بالكوفةِ ، فخَرجتُ يوماً من السِّجنِ مع بعضِ الرِّجال ، وقد زادَ هَمِّي وكادَت نَفْسي أَن تزهقَ ، وضاقَت عليَّ الأَرضُ بما رَحُبَتْ ، وإِذا برجلٍ عليه آثارُ العبادةِ قد أَقبل عليَّ ، ورأَى ما أَنا فيه من الكآبةِ فقال : ما حالُك ؟ فأَخبرتُه القِصَّة ، فقال : الصَّبْرَ الصَّبْرَ ؛ فقد رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « الصَّبْرُ سِتْرُ الكروبِ ، وعَوْنُ المكروبِ على الخطوبِ » ورُوي عن ابن عمِّه علّي رضي الله تعالى عنه أَنَّه قال : الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لا تَدْبَرُ ، وسَيْفٌ لا يَكِلُّ ؛ وأَنا أَقولُ : [من البسيط]

ما أَحْسَنَ الصَّبْرَ في الدُّنْيا وأَجْمَلَهُ عِنْـدَ الإِلَـهِ وأَنْجـاهُ مِـن الجَـزَعِ
مَـن شـدَّ بـالصَّبْرِ كَفّـاً عِنْـدَ مُـؤْلِمَـةٍ أَلْـوَتْ يَـداهُ بِحَبْـلٍ غَيْـرِ مُنْقَطِـعِ

فقلتُ : باللهِ عليك زِدْني ، فقد وَجدتُ بكَ راحةً . فقال : ما يَحضُرني شيءٌ عن النَّبيِّ ﷺ ، ولكنِّي أَقول : [من الطويل]

أَمـا والَّـذي لا يَعْلَـمُ الغَيْـبَ غَيْـرُهُ ومَنْ لَيسَ في كُلِّ الأُمورِ له كُفْوُ

---

(١) في ط : × فأفرغ لها . . . .

لَئِنْ كانَ بَدْءُ الصَّبْرِ مُرّاً مَذاقُهُ   لَقَدْ يُجْتَنَى مِن بَعْدِهِ الثَّمَرُ الحُلْوُ

ثم ذهبَ ، فسألتُ عنه ، فما وجدتُ أحداً يعرفُه ولا رآهُ أحدٌ قبلَ ذلك في الكُوفة ؛ ثم أُخرجتُ في ذلك اليوم من السِّجنِ ، وقد حصلَ لي سُرورٌ عظيمٌ بما سمعتُ منه وانتفعتُ به ، ووقعَ في نَفسي أنَّه من الأَبدالِ الصّالحين ، قَيَّضَهُ الله تعالى لي يُوقظني ويُؤَدِّبُني ويُسَلِّيني .

• وقيل : إنَّ رجُلاً كان يُضْرَبُ بالسِّياطِ ويُجْلَدُ جَلْداً بَليغاً ولم يتكلَّم ، ويَصبر ولم يتأَوَّهْ ، فوقف عليه بعضُ مَشايخ الطَّريقة فقال له : أَما يُؤلِمُكَ هذا الضَّرْبُ الشَّديدُ ؟ فقال : بلى ؛ قال : لِمَ لا تَصيحُ ؟ فقال : إنَّ في هذا القوم الَّذين وَقَفوا عليَّ صَديقاً لي يَعتقد فيَّ الشَّجاعة والجلادَة ، وهو يَرْقُبُني بِعَيْنِهِ ، فأَخشى إن صِحْتُ يَذهبُ ماءُ وَجهي عِنده ، ويَسوءُ ظَنُّهُ بي ، فأَنا أَصبرُ على شِدَّةِ الضَّربِ وأَحتملُه لأَجلِ ذلك .

• قال الشّاعر : [من الطويل]

على قَدْرِ فَضْلِ المَرْءِ تَأْتي خُطُوبُهُ   وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمّا يُصِيبُهُ
فَمَنْ قَلَّ فِيما يَتَّقِيهِ اصْطِبارُهُ   لَقَدْ قَلَّ فِيما يَرْتَجيهِ نَصيبُهُ

• وقال رسولُ الله ﷺ لعائشة رضي الله تعالى عنها : « يا عائشةُ ، إنَّ اللهَ تعالى لم يَرْضَ من أُولي العَزْمِ من الرُّسُلِ إلاّ بالصَّبر ، ولم يَكَلِّفْني إلاّ ما كُلِّفوا به ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] . وإنِيَّ واللهِ لأَصْبِرَنَّ كما صَبَروا » .

فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا صَبَرَ كما أُمر ، أَسْفَرَ وَجْهُ صَبْرِه عن ظَفَرِه وَنَصْرِه ، وكذلك الرُّسُل صلواتُ الله وسَلامه عليهم أجمعين ، الَّذين هم أُولوا العَزْم لمّا صَبَروا ظَفروا وانْتَصَروا ؛ وقد اختلفَ أَهلُ العِلم فيهم على أَقوالٍ كثيرة ؛ فقال مُقاتل رضي الله تعالى عنه : هم نُوحُ وإبراهيمُ وإِسحاقُ ويَعقوبُ ويُونسُ

وأَيُّوبُ صلواتُ الله عليهم ؛ وقال قتادة : هم نُوحٌ وإبراهيمُ وموسىٰ وعيسىٰ عليهم الصَّلاة والسَّلام ؛ ويُقال : ما الَّذي صَبَروا عليه حتَّى سمّاهم الله تعالى « أُولو العَزْمِ ؟ » فأَقول :

أمّا نُوحٌ عليه الصَّلاة والسَّلام :

● فقد[1] قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما : كان نُوح عليه الصَّلاة والسَّلام يُضْرَبُ ثم يُلَفُّ في لِبْدٍ ويُلْقَى في بَيته ، يَرَوْنَ أَنَّه قد ماتَ ، ثم يعودُ ويَخرجُ إلى قَومه ويَدعوهم إلى الله تعالى ، ولمّا أَيِسَ منهم ومِن إِيمانهم جاءَه رجلٌ كبيرٌ يَتَوَكَّأُ على عَصاه ومعه ابنُه ، فقال لابنِه : يا بُنَيَّ ، انظرْ إلى هذا الشّيخ واعْرِفْهُ ولا يَغُرَّكَ ؛ فقال له ابنُه : يا أَبتِ ، مَكِّنِّي من العصا ؛ فأَخذها من أَبيه ، وضَرب بها نُوحاً عليه الصَّلاة والسَّلام ، شَجَّ بها رأسَه ، وسالَ الدَّمُ على وَجهه ؛ فقال : رَبِّ ، قد تَرى ما يَفعلُ بي عِبادُك ، فإن يكنْ لك فيهم حاجَةٌ فاهْدِهِمْ ، وإلاّ فَصَبِّرْني إلى أَن تَحكمَ ؛ فأَوحى الله تعالى إليه : ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ [هود : ٣٦-٣٧] . قال : يا ربّ ، وما الفُلْكُ ؟ قال : بَيْتٌ من خَشَبٍ يَجْري على وَجْهِ الماءِ ، أُنْجي فيه أَهْلَ طاعَتي ، وأُغرِقُ أَهْلَ مَعصيتي ؛ قال : يا ربّ ، وأَين الماء ؟ قال : أَنا على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ ؛ قال : يا ربّ ، وأَين الخشبُ ؟ قال : اغْرس الخشبَ ؛ فغرسَ السّاجَ عشرين سنةً ، وكفَّ عن دُعائهم ، وكَفُّوا عن ضَرْبِهِ ، إلاّ أَنَّهم كانوا يَستهزئونَ به ؛ فلمّا أَدركَ الشَّجَرُ ، أَمره رَبُّهُ ، فقَطعها وجَفَّفَها ، وقال : يا ربّ ، كيفَ أَتَّخِذُ هذا البيتَ ؟ قل : اجعلْه على ثلاثِ صُوَرٍ ؛ وبعثَ الله جبريل فعلَّمه ؛ وأَوحى الله تعالى إليه : أَنْ عَجِّلْ بِعَمَلِ السَّفينة ، فقد اشتدّ غضبي على مَن عَصاني ؛ فلمّا فَرَغَت السفينةُ جاءَ أَمْرُ الله سُبحانه وتَعالى

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/ ١٩٦) ، والفرج بعد الشدة (١/ ٦٦) .

بانتصارِ نُوح ونَجاته ، وإِهلاكِ قَومه وعَذابهم ، إِلاّ مَن آمنَ معه ؛ وفارَ التَّنُّورُ ، وظهرَ الماءُ على وَجهِ الأَرض ، وقَذَفت السَّماءُ بأَمطارٍ كأَفواهِ القِرَبِ ، حتَّى عَظُمَ الماءُ وصارَت أَمواجُه كالجِبال ، وعلا فوقَ أَعلى جَبَلٍ في الأَرض أَربعين ذِراعاً ، وانتقمَ الله سبحانه وتعالىٰ من الكافرين ، ونصرَ نَبِيَّهُ نوحاً عليه الصَّلاة والسَّلام .

وفي تَمام قِصَّتِهِ وحَديث السَّفينة كلامٌ مَبسوطٌ لأهل التَّفسير ، ليس هذا مَوضعُ شَرحه وبَسْطِهِ ، فهذا زُبدةُ صَبْرِ نُوح عليه الصَّلاة والسَّلام ، وانتصاره على قَومه .

وأَمّا إِبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام[1] :

● فإِنَّه لمّا كَسَرَ أَصنامَ قَومه الَّتي كانُوا يَعبدونَها ، لم يَروا في قَتْلِهِ ونُصْرَةِ آلهتهم أَبلغَ من إِحراقِهِ ، فأَخذوهُ وحَبسوه ببيتٍ ، ثم بَنَوا حائراً كالحَوْشِ ، طولُ جِداره سِتُّون ذِراعاً ، في سفح جَبَلٍ عالٍ ، ونادى مُنادي مَلِكِهم : أَن احْتَطِبوا لإِحراقِ إِبراهيم ، ومَن تَخَلَّف عن الاحتِطاب أَحرقه ؛ فلم يَتَخَلَّفْ منهم أَحدٌ ، وفعلوا ذلك أَربعينَ يوماً ليلاً ونهاراً ، حتَّى كاد الحطبُ يُساوي رُؤوسَ الجبالِ ، وَسدُّوا أَبوابَ ذلك الحائرِ ، وقَذفوا فيه النّار ، فارتفعَ لَهَبُها حتَّى كان الطَّائر يمرُّ بها فيحترَقُ من شِدَّة لَهبها ، ثم بَنَوا بُنياناً شامِخاً ، وَبَنوا فوقَه مِنْجَنيقاً ، ثم رَفعوا إِبراهيم على رأسِ البُنيان ، فرفعَ إِبراهيمُ عليه الصَّلاة والسَّلام طَرْفَهُ إِلى السَّماء ، ودعا الله تعالى وقال : حَسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيل .

وقيل : كان عمرُه يومئذٍ ستّاً وعشرين سنَّة ، فنزلَ إِليه جبريلُ عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقال : يا إِبراهيم ، أَلَكَ حاجةٌ ؟ قال : أَمّا إِليكَ فلا ؛ فقال جبريل : سَلْ رَبَّك ؛ فقال : حَسبي مِن سُؤالي عِلْمُهُ بِحالي ؛ فقال الله تعالى : ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

---

(١) انظر ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٣٤٤) وما بعد ، والفرج بعد الشدة (١/ ٦٧) .

فلمّا قَذفوه فيها نزلَ معه جِبريلُ عليه الصَّلاة والسَّلام ، فجلسَ بهِ على الأَرض ، وأَخرج الله له ماءً عَذْباً .

قال كعبٌ : ما أَحرقَتِ النّارُ غير أَكتافِه ، وأَقامه في ذلك الموضِع سبعةَ أَيّام ، وقيل : أَكثر من ذلك ؛ ونَجّاه الله تعالى ، ثم أَهلك نمرودَ وقومه بأَخَسِّ الأَشياء ، وانتقمَ منهم ، وظفرَ إبراهيمُ عليه الصَّلاة والسَّلام بهم ؛ فهذه ثَمَرَةُ صَبْرِهِ على مثلِ هذه الحالةِ العُظمى ؛ ولم يجزَعْ منها ، وصَبَرَ ، وفَوَّضَ أَمرَه إلى الله تعالى في ذلك ، وتوكَّل عليه ، وَوَثِقَ به .

ثمّ جاءته قِصَّةُ ذَبْحِ وَلَده ، وأَمرِ اللهِ تعالى بذَلك ، فقابَلَ أَمرَه بالتَّسليمِ والامتثالِ ، وسارَع إلى ذَبحه من غيرِ إهمالٍ ولا إِمْهال ؛ وقِصَّتُه مَشهورةٌ ، وتفاصيلُ القِصَّة في كُتُبِ التَّفْسيرِ مَسطورةٌ ؛ فلمّا ظهر صِدقه ورِضاه ومُبادرته إلى طاعةِ مَولاه ، وصَبره على ما قدَّرَه وقَضاه ، عَوَّضَه الله تعالى عن ذَبْحِ وَلده أَن فداه ، واتَّخذه خليلاً من بين خَلقه واجْتَباه .

وأَمّا الذَّبيحُ صلواتُ الله وسلامه عليه[1] ، فإِنّه صَبَرَ على بَلِيَّة الذَّبْحِ .

• وتَلخيصُها أَنَّ الله تعالى ابتَلى إبراهيمَ عليه الصَّلاة والسَّلام بذَبحِ وَلده قال : إنِّي أُريدُ أَن أُقَرِّبَ قُرْباناً ، فأَخذَ وَلده والسِّكِّينَ والحَبْلَ ، وانطلقَ ، فلمّا دخلَ بين الجبال قال ابنُه : أَين قُربانُك يا أَبتِ ؟ قال : إنَّ الله تعالى قد أَمرني بذَبْحِكَ ، فانظرْ ماذا ترى . ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات : ١٠٢] يا أَبتِ ، اشدُدْ وَثاقي كي لا أَضطربَ ، واجمعْ ثِيابَك حتّى لا يَصلَ إِليها رَشاشُ الدَّم فتَراه أُمِّي فيشتدَّ حُزنها ، وأَسرعْ إمرارَ السِّكِّين

---

(١) واضح أَنَّ المؤلف يتجنّب الخوض في تحديد اسم الذّبيح ، كي لا يقع في محظور الخلاف بين المفسّرين ، أهو إسحاق أم إسماعيل عليها الصّلاة والسّلام ؛ ولو نصَّ على ذكر إسماعيل لكان أكثر توفيقاً .

على حَلْقي لِيكونَ أهونَ للموتِ عليَّ ؛ وإذا لقيتَ أُمِّي فاقرأ السَّلام عليها ؛ فأَقبلَ إبراهيمُ عليه الصَّلاةُ والسّلام على وَلده يُقبِّله ويَبكي ، ويقول : نِعْمَ العَوْنُ أنتَ يا بُنَيّ على ما أَمَرَ الله تعالى .

قال مُجاهد : لمّا أَمرَّ السِّكّين على حَلْقِهِ انقلَبت السِّكّين ، فقال : يا أَبَتِ : اطعنْ بها طَعْناً .

وقال السُّدِّيّ : جعلَ الله حَلْقَه كَصحيفة من نُحاسٍ لا تَعملُ فيها السِّكّين شيئاً ؛ فلمّا ظهرَ فيهما صِدْقُ التَّسليم نُوديَ : أَن يا إبراهيمُ هذا فِداءُ ابنِك ؛ فأَتاه جبريلُ عليه السَّلام بكبشٍ أَمْلَحَ ، فأَخذَه وأَطلقَ وَلده ، وذَبحَ الكَبشَ ؛ فلا جَرَمَ أَن جُعِلَ الذَّبيحُ نَبيّاً ، بِصَبْرِهِ وإمتثالِهِ لأَمْرِهِ .

وأَمّا يعقوبُ عليه الصَّلاة والسَّلام[1] :

- فإنَّه لمّا ابتُلي بفِراقِ وَلده ، وذَهاب بَصره ، واشتدادِ حُزنه ، قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف : ١٨] .

وكذلك يُوسفُ صلواتُ الله وسَلامُه عليهم أَجمعين ، لمّا ابتَلاهُ الله تعالى بإلقائه في ظُلْمَةِ الجُبِّ وَبَيْعِهِ كما تُباعُ العَبيدُ ، وفِراقِهِ لأَبيه ، وإدخالِهِ السِّجْنَ ، وحَبْسِهِ فيه بِضْعَ سِنين ، وأَنَّه تَلَقَّى ذلك كلَّه بِصَبْرِهِ وقَبوله ، فلا جَرَمَ أَوْرَثَهما صَبْرُهُما جَمْعَ شَمْلِهِما ، واتِّساعَ القُدرة بالمُلك في الدُّنيا مع مُلْكِ النُّبوَّة في الآخِرَة .

وأَمّا أَيُّوبُ عليه الصَّلاة والسَّلام[2] :

- فإنَّه ابتلاه الله تعالى بهلاك أَهله وماله ، وتَتابُعِ المرضِ المُزْمِنِ والسُّقْمِ المُهلك ، حتَّى أَفْضى أَمْرُهُ إلى ما تَضْعُفُ القُوى البَشَرِيَّة من حَمْله .

---

(١) الفرج بعد الشدة (١/ ٧٠) .
(٢) انظر ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (٥/ ١٠٥) وما بعد والفرج بعد الشدة (١/ ٧١)

ولْنذكرْ شيئاً مُختصراً من ذلك : وهو أَنَّ مَلِكاً من مُلوك بني إسرائيل كان يَظلمُ النّاسَ ، فَنَهاهُ جماعةٌ من الأَنبياء عن الظُّلم ، وسكتَ عنه أَيُّوب عليه الصَّلاة والسَّلام ، فلم يُكَلِّمْه ولم يَنْهَهُ لأَجل خيلٍ كانت له في مَملكته ، فأَوحى الله تعالى إلى أَيُّوب عليه الصَّلاة والسَّلام : تَرَكْتَ نَهْيَهُ عن الظُّلم لأَجل خَيْلك ! لأُطيلنَّ بلاءَكِ ؛ فقال إبليس لعنه الله : يا ربّ ، سلِّطني على أَولاده وماله ؛ فَسَلَّطَه ؛ فبثَّ إبليسُ مَرَدَتَهُ من الشَّياطين ، فبعثَ بعضَهم إلى دوابّه ورُعاتها ، فاحتملوها جميعاً وقذفوها في البَحر ، وبعثَ بعضَهم إلى زَرْعِهِ وجَنّاته فأَحرقوها ، وبعثَ بعضَهم إلى مَنازله وفيها أَولادهُ ـ وكانوا ثلاثةَ عشر ولداً ـ وخَدَمُهُ وأَهلُه ، فزلزلوها فهلكوا ؛ ثم جاء إبليسُ إلى أَيُّوب عليه الصَّلاة والسَّلام وهو يُصَلِّي ، فتمثَّل له في صُورةِ رجلٍ من غِلمانه فقال : يا أَيُّوبُ ، أَنْتَ تُصَلِّي ودَوابُّك ورُعاتُك قد هبّت عليها ريحٌ عظيمةٌ ، وقذفَت الجميعَ في البَحر ، وأَحرقت زَرْعَكَ ، وهَدَمت مَنازلَك على أَولادك وأَهلك ، فهلكَ الجميعُ ، ما هذه الصَّلاة ؟ فالتفتَ إليه وقال : الحمدُ لله الَّذي أَعطاني ذلك كلَّه ، ثم قَبِلَهُ منِّي ؛ ثمَّ قام إلى صلاته ، فرجعَ إبليسُ ثانياً ، فقال : يا ربّ ، سلِّطني على جَسده ؛ فسلَّطَهُ ، فنفخَ في إبهام رِجله فانتفخَ ، ولا زالَ يسقطُ لحمُه من شِدَّة البلاءِ إلى أَن بقيَ أَمعاؤه تَبينُ ، وهو مع ذلك كلِّه صابرٌ مُحتسبٌ مُفَوِّضٌ أَمْرَهُ إلى الله تعالى ؛ وكان النّاسُ قد هَجروهُ واستَقذروه ، وأَلقوه خارجاً عن البيوت من نَتْنِ رِيْحِهِ ، وكانت زَوجته رَحْمَة بنت يوسف الصِّدِّيق قد سَلِمَتْ فتَرَدَّدت إليه مُتَفَقِّدَةً ، فجاءَها إبليسُ يوماً في صُورة شيخ ومعه سَخْلَةٌ ، وقال لها : لِيذبحْ أَيُّوبُ هذه السَّخْلَةَ على اسمي فَيبرأْ ؛ فجاءَتْهُ ، فأَخبرتْهُ ، فقال لها : إنْ شَفاني اللهُ تعالى لأَجلِدَنَّك مئة جلدةٍ ؛ تأمريني أَن أَذبحَ لغير الله تعالى ؟ فطردَها عنه ، فذهبَتْ ؛ وبَقي ليسَ له مَن يَقوم به ؛ فلمّا رأَى أَنَّه لا طعامَ له ولا شرابَ ولا أَحدٌ مِن النّاسِ يتفقَّدُه خرَّ ساجِداً لله تعالى وقال :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، فلمّا علمَ الله تعالى منه ثَباته على هذه البَلوى طَوّلَ هذه المُدَّة ، وهي على ما قيل ثمان عشرةَ سنةً ، وقيل غير ذلك ، وإنَّه تَلَقَّى جميعَ ذلك بالقبول ، وما شكا إلى مَخلوقٍ ما نَزَلَ به ؛ عادَ الله تعالى بأَلْطافِهِ عليه ، فقال تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ [الأنبياء : ٨٤] . وأَفاض عليه من نِعَمِهِ ما أَنساهُ بَلْوى نِقَمِهِ ، وَمَنَحه من أَقسام كَرَمِهِ أَن أَفتاهُ في يَمينه تَحِلَّةَ قَسَمِهِ ، ومَدَحه في نَصِّ الكتاب ، فقال تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] . فلو لم يكن الصَّبْرُ من أَعلى المراتبِ وأَسْنى المواهبِ لمَا أَمرَ الله تعالى به رُسُلَهُ ذَوي الحَزْم ، وسَمّاهم بِسَبَبِ صَبْرِهِم أُولي العَزْم ، وفتحَ لهم بصَبرهم أَبوابَ مُرادهم وسُؤالهم ، ومَنَحَهم مِن لَدُنْهُ غايَةَ أَمْرِهم ومأْمُولهم ومَرامِهم ، فما أَسعدَ مَن اهتدى بهُداهم واقتدى بهم ، وإن قَصَّرَ عن مَداهُم .

- وقيل : العُسْرُ يُعقبُه اليُسْرُ ، والشِّدَّةُ يُعقبها الرَّخاءُ ، والتَّعبُ يُعقبه الرّاحةُ ، والضِّيقُ يُعقبه السَّعَة ، والصَّبْرُ يُعقبه الفَرَج ، وعِند تَناهي الشِّدَّة تَنزل الرَّحمة ، والمُوَفَّقُ مَنْ رَزَقَهُ صَبْراً وأَجْراً ، والشَّقِيُّ مَن ساق القَدَرُ إليه جَزَعاً وَوِزْرا .

- وممّا شَنَّفَ السَّمْعَ من نُجْحِ هذه الإشارة ، وأَتْحَفَ النَّفْعَ في نَهْجِ هذه العِبارة ، ما رُوي عن الحسن البَصريّ رضي الله تعالى عنه ، قال :

كنتُ بواسِط ، فرأَيتُ رجُلاً كأَنَّه قد نُبِشَ من قَبْرٍ ، فقلتُ : ما دَهاك يا هذا ؟ فقال : اكتُمْ عليَّ أَمْري ؛ حَبَسَني الحجّاجُ منذُ ثلاثِ سِنين ، فكنتُ في أَضْيَقِ حالٍ وأَسوءِ عَيْشٍ وأَقبح مَكان ، وأَنا مع ذلك كلِّه صابرٌ لا أَتكلَّم ؛ فلمّا كان بالأَمس أُخرجَت جماعةٌ كانوا معي ، فَضُرِبَتْ رقابُهم ، وتحدَّثَ بعضُ أَعوانِ السِّجنِ أَنَّ غداً تُضْرَبُ عُنقي ، فأَخذني حزنٌ شديدٌ وبُكاء مُفرطٌ ، وأَجرى الله على لِساني فقلت : إلٰهي ، اشتَّد الضُّرُّ ، وَفُقِدَ الصَّبْرُ ، وأَنتَ

المُستعان ؛ ثم ذَهبَ من اللَّيل أَكثَرُه ، فأَخذتني غَشْيَةٌ ، وأَنا بين اليقظان والنائم إذ أتاني آتٍ ، فقال لي : قُم فَصَلِّ رَكعتين ، وقل : يا مَن لا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عن شَيْءٍ ، يا مَن أَحاطَ عِلْمُهُ بما ذَرَأَ وبَرَأَ ، وأَنتَ عالِمٌ بِخَفِّياتِ الأُمور ، ومُحْصي وَساوِسِ الصُّدورِ ، وأنت بالمَنزل الأعلى ، وَعِلْمُكَ مُحيطٌ بالمَنزل الأدنى ، تعالَيْتَ عُلُوّاً كَبيراً ؛ يا مُغيثُ أَغِثني ، وفُكَّ أَسْري ، واكشفْ ضُرِّي ، فقد نَفَدَ صَبْري ؛ فقمتُ وتوضَّأتُ في الحالِ ، وصلَّيت ركعتين ، وتلوتُ ما سَمعته منه ، ولم تَختلفْ عليَّ منهُ كلمةٌ واحدةٌ ؛ فما تَمَّ القولُ حتَّى سقطَ القيدُ من رِجليَّ ، ونظرتُ إلى أَبواب السِّجنِ فرأَيتُها قد فُتحت ، فقمتُ فخرجتُ ، ولم يعارضْني أَحدٌ ، فأَنا والله طليقُ الرَّحمن ، وأَعقَبني اللهُ بصَبري فَرَجاً ، وجعل لي من ذلك الضِّيقِ مَخْرَجاً ؛ ثم ودَّعني وانصرفَ يقصدُ الحِجاز .

● وفيما يُروى عن الله تعالى ، أَنَّه أَوْحى إلى داودَ عليه الصَّلاة والسَّلام : يا داود ، مَن صَبَرَ علينا وَصَلَ إلينا .

● وقالَ[1] بعضُ الرُّواةِ : دخلتُ مدينةً يُقال لها : دفار[2] ، فبينَما أَنا أَطوفُ في خَرابها إذا رأَيتُ مَكتوباً ببابِ قَصرٍ خَرِبٍ ، بماءِ الذَّهبِ واللاَّزَوَرْدِ ، هذه الأَبيات[3] : [من البسيط]

يـا مَـنْ أَلَـحَّ عليـهِ الهَـمُّ والفِكَـرُ ... وَغَيَّـرَتْ حـالَـهُ الأَيّـامُ والغِيَـرُ
أَمـا سَمِعْـتَ بمـا قَـدْ قِيْـلَ في مَثَـلٍ ... عِنْـدَ الإِيـاسِ فَـأَيْـنَ اللهُ والقَـدَرُ
نَـمْ لِلخُطُـوبِ إذا أَحْـداثُهـا طَـرَقَـتْ ... فاصْبِرْ فَقَدْ فازَ أَقْوامٌ بِما صَبَرُوا
وَكُـلُّ ضِيْـقٍ سَيَـأْتـي بَعْـدَهُ سَعَـةٌ ... وَكُـلُّ فَـوْتٍ وَشيـكٌ بَعْـدَهُ الظَّفَـرُ

---

(١) أدب الغرباء (٦٠) .
(٢) هي مدينة ظفار باليمن .
(٣) الأبيات لعلي بن محمد بن عبد الله بن داود الطبرسي .

• ولمّا[1] حُبِسَ أبو أَيُّوب [الكاتب] في السِّجن خمسَ عشرةَ سنةً ، ضاقت حِيلَته ، وقَلَّ صَبْرُه ، فكتبَ إلى بعضِ إخوانه يَشكو إليه طولَ حَبْسِهِ وقِلَّة صَبْرِهِ ، فردَّ عليه جوابَ رُقعتِه يقول : [من الكامل]

صَبْـراً أَبـا أَيُّـوبَ صَبْـرَ مُبَـرِّحٍ وإذا عَجزْتَ عن الخُطوبِ فَمَنْ لَها
إنَّ الَّـذي عَقَـدَ الَّـذي انْعَقَـدَتْ بِـهِ عُقَـدَ المَكـارِهِ فيـكَ يَمْلِـكُ حَلَّهـا
صَبْـراً فـإنَّ الصَّبْـرَ يُعْقِـبُ راحَـةً ولَعلَّهـا أَن تَنْجَلـي وَلَعَلَّهـا

فأَجابه أَبو أَيُّوب يقولُ : [من الكامل]

صَبَّـرْتَنـي وَوَعَظْتَنـي وأَنـا لَهـا وَسَتَنْجَلـي بَـلْ لا أَقُـولُ لَعَلَّهـا
وَيَحُلُّها مَن كانَ صاحِبَ عَقْدِها كَـرَمـاً بِـهِ إذْ كـان يَمْلِـكُ حَلَّهـا

فما لبثَ بعد ذلك أيّاماً حتَّى أُطلق مُكْرَماً .

• وأَنشدوا[2] : [من البسيط]

إذا ابتُليـتَ فَثِـقْ بـاللهِ وارْضَ بِـهِ إنَّ الَّـذي يَكْشِـفُ البَلْـوى هُـوَ اللهُ
اليَـأْسُ يَقْطَـعُ أَحْيـانـاً بِصـاحِبِـهِ لا تَيْـأَسَـنَّ فـإِنَّ الصَّـانِـعَ اللهُ
إذا قَضـى اللهُ فـاسْتَسْلِـمْ لِقُـدْرَتِـهِ فَمـا تَـرى حِيْلَـةً فِيمـا قَضَـى اللهُ

الفصل الثّالث

في التَّأَسِّي في الشِّدَّة ، والتَّسلِّي عن نَوائب الدَّهر

• قال[3] الثَّوريُّ رحمه الله تعالى : لم يَفْقَهْ عِندنا مَن لم يَعُدَّ البلاءَ نِعْمَةً ، والرَّخاءَ مُصيبةً .

---

(١) أدب الدنيا والدين (٤٧١ ـ ٤٧٢) .
(٢) بلا نسبة في أدب الدنيا والدّين (٤٦٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢٩١) .

- وقيل[1] : الغُمومُ الَّتي تَعْرِضُ لِلقُلوبِ كَفّاراتٌ لِلذُّنوبِ .
- وسمعَ[2] حَكيمٌ رجلاً يقولُ لآخَر : لا أَرك اللهُ مَكروهاً ؛ فقال : كأَنَّكَ دَعوتَ عليه بالموتِ ، فإِنَّ صاحبَ الدُّنيا لا بُدَّ أَن يَرى مَكروهاً .
- وتقولُ[3] العربُ : وَيْلٌ أَهْوَنُ من وَيْلَيْن .
- وقال[3] ابن عُيينة : الدُّنيا كلُّها غُمومٌ ، فما كان فيها مِن سُرورٍ فهو رِبْحٌ .
- وقال[3] العُتْبيُّ : إِذا تَناهى الغَمُّ انقطعَ الدَّمْعُ ؛ بدليلِ أَنَّك لا ترى مَضْروباً بالسِّياطِ ولا مُقَدَّماً لِضَرْبِ العُنُقِ يَبْكي .
- **وقيل**[4] : تَزَوَّجَ مُغَنٍّ بنائحةٍ ، فسمعَها تقولُ : اللَّهمَّ أَوسعْ لنا في الرِّزق ؛ فقال لها : يا هذه ، إِنَّما الدُّنيا فَرَحٌ وحُزْنٌ ، وقد أَخَذْنا بطَرَفَيْ ذلك ، فإِن كان فرحٌ دَعوني ، وإِن كان حُزنٌ دَعَوْك .
- وقال[4] وهبُ بن مُنَبِّه : إِذا سُلِكَ بكَ طريقُ البلاءِ، سُلِكَ بكَ طريقُ الأَنبياء .
- وقال[5] مُطرِّف : ما نزلَ بي مَكروهٌ قَطُّ فاستعظمتُه ، إِلاّ ذكرتُ ذُنوبي فاستَصغرتُه .
- وعن[6] جابرِ بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ، يرفعُه : « يَوَدُّ أَهلُ العافيةِ يومَ القيامةِ أَنَّ لحومَهم كانت تُقْرَضُ بالمقاريض ، لما يَرَوْنَ من ثَوابِ الله تعالى لأَهلِ البلاءِ » .

---

(١) للحكم في ربيع الأبرار (٤/ ٢٩٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٢٩٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٢٩٣) .
(٤) ربيع الأبرار (٤/ ٢٩٤) .
(٥) ربيع الأبرار (٤/ ٢٩٥) .
(٦) ربيع الأبرار (٤/ ٢٩٦) .

• ورَوى[1] أَبو عُقبة ، عن النَّبيِّ ﷺ ، قال : « إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً ابتَلاه ، فإذا أَحَبَّه الحُبَّ البالغَ اقْتناه ؛ قالوا : وما اقْتَناه ؟ قال : لا يَتْرُكُ له مالاً ولا ولداً » .

• ومرَّ[1] موسى عليه الصَّلاة والسَّلام برجلٍ كان يعرفهُ ، مُطيعاً لله عزَّ وجلَّ ، قد مَزَّقَتِ السِّباعُ لحمه وأَضلاعه ، وكَبِدُه مُلقاةٌ على الأَرض ، فوقفَ مُتعجِّباً ، فقال : أَي ربِّ ، عبدُك ابتليتَه بما أَرى ؛ فأَوحى الله تعالى إِليه : إِنَّه سأَلني درجةً لم يبلغْها بعَمله ، فأَحببتُ أَن أَبتليَهُ لأُبلغَه تلكَ الدَّرجَة .

• وكان[2] عُروة بن الزُّبير صَبوراً حين ابتُلي ؛ حُكي أَنَّه خرجَ إِلى الوليد بن عبد الملِك فَوَطِىءَ عَظْماً ، فما بلغَ إِلى دمشق حتَّى بلغَ به كلَّ مَذْهَبٍ ؛ فجمعَ له الوليدُ الأَطِبّاء ، فأَجمع رأْيُهم على قطعِ رِجله ، فقالوا له : اشربْ مُرَقِّداً ؛ فقال : ما أُحبُّ أَن أَغفلَ عن ذِكر الله تعالى ؛ فأُحميَ له المنشارُ ، وقُطعت رِجلُه ، فقال : ضَعُوها بينَ يَديَّ ؛ ولم يَتَوَجَّع ، ثم قال : لَئِنْ كنتُ ابتُليتُ في عُضْوٍ فقد عُوفيتُ في أَعضاء ؛ فبينَما هو كذلك إِذ أَتاه خبرُ وَلده أَنَّه اطَّلعَ من سَطْحٍ على دوابِّ الوليد ، فسقطَ بينها فماتَ . فقال : الحمدُ لله على كلِّ حالٍ ، لَئِنْ أَخَذْتَ واحداً لقد أَبْقَيْتَ جَماعةً .

وقَدِمَ على الوليدِ وَفْدٌ من عَبْسٍ ، فيهم شيخٌ ضَريرٌ ، فسأَله عن حالِه وسَبَبِ ذَهابِ بَصره ، فقال : خرجتُ مع رُفْقَةٍ مُسافرين ، ومعي مالي وعِيالي ، ولا أَعلمُ عَبْسِيّاً يزَيدُ مالُه على مالي ، فعرَّسْنا في بَطْنِ وادٍ ، فَطَرَقَنا سَيْلٌ ، فذهبَ ما كان لي من أَهلٍ ومالٍ وولدٍ غيرَ صَبيٍّ صغيرٍ وبعيرٍ ، فسمعتُ

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٢٨٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ١٩٩) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٣١٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٤١٩) وتعازي المبرد (٥٤) وعيون الأخبار (٣/ ٦٤) ونثر الدر (٣/ ١٨٥) وتعازي المدائني (٤٥) وبهجة المجالس (٢/ ٣٥٦) والأغاني (١٧/ ٢٤١ ـ ٢٤٣) ومحاضرات الراغب (٢/ ٥١٢) .

صَيْحَةَ الصَّغيرِ ، فرجعتُ إلى البعيرِ ، فحطمَ وَجْهي بِرِجلَيه ، فذهبَتْ عَيْناي ، فأَصبحتُ بلا عَينين ولا وَلدٍ ولا مالٍ ولا أَهلٍ ؛ فقال الوليدُ : اذهبوا إلى عُروة ليعلمَ أَنَّ في الدُّنيا مَن هو أَعظمُ مُصيبةً منه .

• وقيل[1] : الحوادثُ المُمِضَّةُ مَكْسَبَةٌ لِحُظوظٍ جَليلةٍ ؛ إمّا ثَوابٌ مُدَّخَرٌ ، أَو تَطهيرٌ من ذَنْبٍ ، أَو تَنبيهٌ من غَفْلَةٍ ، أَو تعريفٌ لِقَدْرِ النِّعْمَةِ .

• قال البُحتريُّ يُسَلِّي محمّد بن يوسف عن حَبْسِه[2] : [من الطويل]

وما هذهِ الأَيّامُ إلاَّ مَنازِلٌ ... فَمِنْ مَنْزِلٍ رَحْبٍ إلى مَنْزِلٍ ضَنْكِ
وقَد هَذَّبَتْكَ الحادثاتُ وإنَّما ... صَفا الذَّهَبُ الإبريزُ قَبْلَكَ بالسَّبْكِ
أَما في نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ ... لِمِثْلِكَ مَحبوسٌ على الظُّلْمِ والإفْكِ
أَقامَ جميلَ الصَّبْرِ في السِّجْنِ بُرْهَةً ... فآلَ بهِ الصَّبْرُ الجَميلُ إلى المُلْكِ

• وقال عليُّ بن الجَهْم لمّا حَبَسَهُ المُتَوَكّل[3] : [من الكامل]

قالوا : حُبِسْتَ ! فقلتُ : ليسَ بِضائري ... حَبْسي ، وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ
والشَّمْسُ لولا أَنَّها مَحْجُوبَةٌ ... عن ناظِرَيْكَ لمَا أَضاءَ الفَرْقَدُ
والنّارُ في أَحْجارِها مَخْبُوءَةٌ ... لا تُصْطَلى إن لم تُثِرْها الأَزْنُدُ
والحَبْسُ ما لم تَغْشَهُ لِدَنِيَّةٍ ... شَنْعاءَ نِعْمَ المَنْزِلُ المُتَوَرَّدُ
بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلكَريمِ كَرامَةً ... ويُزارُ فيهِ ولا يَزُورُ وَيُحْمَدُ
لو لم يَكُنْ في الحَبْسِ إلاَّ أَنَّهُ ... لا تَسْتَذِلُّكَ بالحِجابِ الأَعْبُدُ
غِيَرُ اللَّيالي بادياتٌ عُوَّدٌ ... والمالُ عارِيَةٌ يُعارُ ويَنْفَدُ
وَلِكُلِّ حَيٍّ مُعْقِبٌ وَلَرُبَّما ... أَجْلَى لَكَ المَكْروهُ عَمّا يُحْمَدُ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٤/ ٣١١) .
(٢) ديوانه (٣/ ١٥٦٤) والتذكرة الحمدونية (٤/ ٣١٤ ـ ٣١٥) .
(٣) ديوانه (٤١) وما بعد .

لا يُـؤيِسَنَّـكَ مِـن تَفَـرُّجِ نَكْبَـةٍ خَطْـبٌ رَمـاكَ بِـهِ الـزَّمـانُ الأَنْكَـدُ
كَـمْ مِـن عَليـلٍ قَـد تَخَطّـاهُ الـرَّدى فَنجـا ومـاتَ طَبيبُـهُ والعُـوَّدُ
صَبْـراً فـإنَّ اليَـوْمَ يُعْقِبُـهُ غَـدٌ وَيَـدُ الخِـلافَـةِ لا تُطـاوِلُهـا يَـدُ

• قال : وأَنشدَ إِسحاق المَوْصِلي في إِبراهيم بن المَهْديّ حينَ حُبِسَ[1] :

[من البسيط]

هـيَ المقـاديـرُ تَجْـري فـي أَعِنَّتِهـا فاصْبِرْ فَلَيْسَ لها صَبْرٌ على حالِ
يَوماً تُريكَ خَسيسَ الأَصْلِ تَرْفَعُهُ إِلى العلاءِ وَيَوْماً تَخْفِضُ العالي

فما أَمسى حتَّى وردَت عليه الخِلَعُ السَّنِيَّةُ من المأمونِ ، ورضيَ عنه .

• وقال إِبراهيمُ بن عيسى الكاتب في إِبراهيم بن المُدَبِّر حين عُزِل[2] : [من الطويل]

لِيَهْـنِ أَبـا إِسحـاق أَسْبـابُ نِعْمَـةٍ مُجَـدَّدةٍ بـالعَـزْلِ والعَـزْلُ أَنْبَـلُ
شَهِـدْتُ لَقَـدْ مَنُّـوا عَلَيْـكَ وأَحْسَنـوا لأَنَّـكَ يَـوْمَ العَـزْلِ أَعْلـى وأَفْضَـلُ

• وقال آخر[3] : [من البسيط]

قَـد زالَ مُلْـكُ سَليمـانٍ فَعـاوَدَهُ والشَّمْسُ تَنْحَطُّ في المَجْرى وتَرْتَفِعُ

• وقال[4] أَبو بكر الخُوارزمي لمعزولٍ : الحمدُ لله الَّذي ابْتَلى في الصَّغيرِ وهو المال ، وعافَى في الكبيرِ وهو الحال : [من الطويل]

ولا عـارَ إِن زالَـتْ عـن الحُـرِّ نِعْمَـةٌ ولكِـنَّ عـاراً أَنْ يَـزُولَ التَّجَمُّـلُ

• وقيل[4] : المالُ حَظٌّ ينقصُ ثم يَزيد ، وظِلٌّ ينحسرُ ثم يَعود .

---

(١) الحماسة البصرية (٢/ ٦) وأنس المسجون (٢٤٥) وشرح نهج البلاغة (١٩/ ١٧٩) وربيع الأبرار (١/ ٥٧٣) .
(٢) له في التذكرة الحمدونية (٤/ ١٨٦) وربيع الأبرار (١/ ٥٧٨) .
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (١/ ٥٧٣) .
(٤) ربيع الأبرار (١/ ٥٨٧) .

• وسُئِلَ[1] بُزُرْجِمَهْرٍ عن حالِه في نَكبته ، فقال ؛ عَوَّلْتُ على أَربعةِ أَشياءَ : أَوَّلها أَنِّي قلتُ : القَضاءُ والقَدَرُ لا بُدَّ من جَرَيانِهما ؛ الثّاني : أَنِّي قُلتُ : إِن لم أَصبرْ فما أَصنعُ ؛ الثّالثِ : أَنّي قُلتُ : قد كان يَجوزُ أَن يكونَ أَعظمَ من هذا ؛ الرّابعُ : أَنّي قلتُ : لعلَّ الفرجَ قريبٌ ؛ والله أَعلم .

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد ، وعلى آله وصَحبه وسلَّم .

* * *



---

(١) التذكرة الحمدونية (٤/ ٣١٥) .

البابُ السَّابعُ والخَمسون

ما جاء في اليُسر بعد العُسر ، والفَرج بعد الشِّدَّة ، والفَرح والسُّرور ونحو ذلك ممّا يتعلَّق بهذا الباب

● ممّا[1] يليقُ بهذا الباب من كتابِ الله عز وجلَّ قولُه تَعالى : ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] .

وقولُه تَعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨] .

وقولُه تَعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ ﴾ [يوسف : ١١٠] .

● ويُروى[2] عن ابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : « لو كان العُسْرُ في جُحْرٍ لدخلَ عليه اليُسْرُ حتَّى يُخرِجَه » .

● وقال[3] عليٌّ عليهِ السَّلام : عِند تَناهي الشِّدَةِ يكونُ الفَرَجُ ، وعندَ تَضايُق البَلاءِ يَكونُ الرَّخاءُ .

● وقال عليٌّ رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ : « أَفضلُ عِبادة أُمَّتي انتظارُها فرجَ الله تعالى » .

---

(١) عن التذكرة الحمدونية (٨/ ٤٢) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٠١) وسراج الملوك (٢/ ٦٣٣) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٤٣) .

• وقال[1] الحسنُ : لمّا نزلَ قولُه تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الانشراح : ٥ ـ ٦] ، قال النَّبيُّ ﷺ : « أَبْشِروا ، فَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَين » .

• ومن[2] كلام الحُكماء : إن تَيَقَّنْتَ لم يَبْقَ هَمٌّ .

• وأنشدَ[3] أبو حاتم : [من الوافر]

إذا اشْتَمَلَتْ على اليَأْسِ القُلوبُ ... وضاقَ بِما بِهِ الصَّدْرُ الرَّحيبُ
وأُوطِنَتِ المَكارهُ واطمأنَّتْ ... وأَرْسَتْ في مَكامِنِها الخُطوبُ
وَلَمْ نَرَ لانْكِشافِ الضُّرِّ وَجْهاً ... ولا أَغْنى بِحيلَتِهِ الأَريبُ
أَتاكَ على قُنوطٍ منكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطيفُ المُستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِها الفَرَجُ القَريبُ

• وقال آخر[4] : [من الوافر]

عَسى الهَمُّ الَّذي أَمْسَيْتُ فيهِ ... يَكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قَريبُ
فَيَأْمَنَ خائِفٌ ويُغاثَ عانٍ ... وَيأتي أَهْلَهُ النَّائي الغَريبُ

• وقال آخر : [من الوافر]

تَصَبَّرْ أَيُّها العَبْدُ اللَّبيبُ ... لَعَلَّكَ بَعْدَ صَبْرِكَ ما تَخيبُ

• وقال إبراهيم بن العبّاس[5] : [من الكامل]

وَلَرُبَّ نازِلَةٍ يَضيقُ بها الفَتى ... ذَرْعاً وعِنْدَ اللهِ مِنْها المَخْرَجُ

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٣٣) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ٤٣) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٤٣) وربيع الأبرار (٤/ ٤٠٥) وفي الأصول : وقال أبو حاتم ! . والمثبت من التذكرة . وفي ربيع الأبرار : وأنشد ابن أبي عمرة .
(٤) هما لهدبة بن الخشرم في ديوانه (٥٤) وربيع الأبرار (٤/ ٤٠٢) .
(٥) ديونه (١٧١) (ضمن الطرائف الأدبية) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٤٤) .

ضاقَتْ فَلَمّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقاتُها فُـرِجَـتْ وكـانَ يَظُنُّهـا لا تُفْـرَجُ

• وقال آخر[1] : [من الطويل]

لَئِنْ صَـدَعَ البَيْـنُ المُشَتِّـتُ شَمْلَنـا فَلِلْبَيْـنِ حُكْـمٌ في الجُمـوعِ صَـدوعُ
ولِلنَّجْمِ مِن بَعْدِ الرُّجوعِ اسْتِقامَةٌ ولِلشَّمْسِ مِن بَعْدِ الغُروبِ طُلوعُ
وإنْ نِعْمَةٌ زالَتْ عن الحُرِّ وانْقَضَتْ فـإِنَّ لهـا بَعْـدَ الـزَّوالِ رُجـوعُ
فَكُـنْ واثِقـاً بـاللهِ واصْبِـرْ لِحُكْمِـهِ فـإِنَّ زَوالَ الشَـرِّ عَنْـكَ سَـريـعُ

ولْنذكرْ نُبْذَةً ممَّن حصَل له الفَرَجُ بعد الشِّدَّة :

• رُوي[2] أَنَّ الوليدَ بن عبد الملك كتبَ إلى صالح بن عبد الله عامِلِه على المدينة المنوَّرة : أن أَخْرِجْ الحسنَ بن الحسنَ بن عليّ من السِّجن ـ وكانَ مَحبوساً ـ واضربْهُ في مَسجدِ رسول الله ﷺ خَمسمئة سوطٍ ؛ فأَخرجَهُ إلى المسجدِ ، واجتمعَ النَّاسُ ، وصعدَ صالحٌ يقرأُ عليهم الكتابَ ، ثم ينزلُ ويأمرُ بِضَربه ، فبينَما هو يقرأ الكتاب إذ جاء عليُّ بن الحُسين عليه السَّلام ، فأَفرجَ له النَّاسُ حتَّى أَتى إلى جَنْبِ الحسنِ ، فقال : يا ابنَ العَمِّ ، مالكَ ؟ أَدْعُ الله تعالى تعالى بِدُعاءِ الكَرْبِ يُفَرِّج اللهُ عنكَ ؛ قال : ما هو يا ابنَ العَمِّ ؟ فقال : لا إِلَه إلا الله الحليمُ الكَريمُ ، لا إِلَه إلاّ الله العليُّ العَظيم ، سُبحانَ الله ربِّ السَّمواتِ وربّ العرشِ العظيمِ ، والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين ؛ ثم انصرفَ عليٌّ ، وأَقبلَ الحسنُ يكرِّرها ، فلمّا فرغَ صالحٌ من قراءة الكتابِ ونزلِ ، قال : أَراهُ في سِجْنِه مَظلوماً ، أَخرجُوهُ ، وأَنا أُراجعُ أَميرَ المؤمنين في أَمرِه ؛ فأُطلقَ بعد أَيّامٍ ، وأَتاه الفَرَجُ من عِند الله تعالى .

---

(١) الأبيات للبستي في ديوانه (١١٧) . وهي في شعر أبي الفتح البيني (٥٣٥ ـ ٥٣٦) (ضمن مجلة المجمع الدمشقي مج٧٠ ج٤) .

(٢) الفرج بعد الشدة (١/ ١٩٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٤٤) .

● وقال[1] الرَّبيع : لمّا حَبَسَ المهديُّ موسى بن جعفر ، رأى في المنام عليّاً رضي الله تعالى عنه وهو يقول : يا محمّد ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] ؟ قال الرَّبيع : فأرسلَ المهديُّ إليَّ ليلاً فَراعَني ذلك ، فَجئْتُهُ ، فإذا هو يقرأُ هذه الآية ، وكان حسنَ الصَّوتِ ، فقصَّ عليَّ الرُّؤيا ، ثم قال : ائْتِني بموسى بن جَعفر ؛ فجئتُه به ، فعانَقَهُ وأَجلسه إلى جانبه ، وقال : يا أَبا الحسن ، رأَيتُ أَميرَ المؤمنين يقرأُ عليَّ كذا ؛ فعاهِدْني أَن لا تَخرجَ عليَّ ولا على أَحَدٍ من وَلدي ؛ فقال : واللهِ ما ذاك من شأْني ؛ فقال . صدقتَ ؛ ثم قال : يا ربيعُ ، أَعطِهِ ثلاثةَ آلاف دينارٍ ، وَرُدَّهُ إلى أَهله بالمدينة ؛ قال الرَّبيع : فأَحكمتُ أَمرَه ليلاً ، فما أَصبحَ إلاّ على الطَّريق .

● وقال إسماعيل بن يَسار[2] : [من البسيط]

وَكُلُّ حُرٍّ وإن طالَتْ بَلِيَّتُهُ ... يَوْماً تُفَرَّجُ غُمّاهُ وَتَنْكَشِفُ

● وقال[3] مُسلم بن الوليد : كنتُ يوماً جالِساً عندَ خيّاطٍ بإزاء مَنْزلي ، فمرَّ بي إنسانٌ أَعرفه ؛ فقُمتُ إليه ، وسلَّمت عليه ، وجئتُ به إلى مَنزلي لأَضَيِّفَه ، وليس معي درهمٌ ، بل كان عندي زَوْجُ أَخفافٍ ، فأَرسلتهما مع جاريتي لبعض مَعارفي ، فباعَهما بتسعةِ دراهم ، واشترَت بها ما قُلته لها من الخُبز واللَّحم ؛ فجلَسنا نأكلُ ، وإذا بالبابِ يُطْرَقُ ، فَنَظَرْتُ مِن شِقِّ البابِ ، وإذا بإنسانٍ يَسأَلُ : هذا مَنزلُ فلانٍ ؟ ففتحتُ البابَ وخرجتُ ، فقال : أَنت مُسلمُ بن الوليد ؟ قلت : نعم ؛ واستشهدتُ له بالخيّاطِ على ذلك ، فأَخرجَ لي كتِاباً ، وقال : هذا من الأَمير يَزيد بن مَزْيَد ؛ فإذا فيه : قد بَعَثْنا لك بعَشرة آلاف درهمٍ لِتكونَ في مَنزلك ، وثلاثةِ آلافِ درهمٍ تتجمَّلُ بها لقُدومك علينا ؛ فأَدخلته إلى

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٤٥) .
(٢) ديوانه (٤٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٤٦) .
(٣) الأغاني (١٩/ ٣٧) وديوان مسلم بن الوليد (٣٦٨) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٤٩) .

داري ، وزِدتُ في الطَّعامِ ، واشتريتُ فاكِهَةً ، وجلَسنا فأكَلْنا ، ثم وَهَبْتُ لضَيْفي شيئاً يَشتري به هديَّةً لأَهله ، وتوجَّهنا إلى باب يَزيد بالرَّقَّة ، فوجدناهُ في الحمّام ؛ فلمّا خرجَ استُؤذن لي عليه ، فدخلتُ ، فإذا هو جالسٌ على كرسيٍّ وبيده مشطٌ يُسَرِّحُ به لِحْيَتَهُ ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ أَحسن رَدٍّ ، وقال : ما الَّذي أَقْعَدَك عنّا ؟ قلتُ : قِلَّةُ ذاتِ اليد ؛ وأَنشدتُه قصيدةً مَدَحْتُهُ بها ؛ قال : أَتدري لِمَ أحضرتُك ؟ قلتُ : لا أَدري ؛ قال : كنتُ عند الرَّشيد منذُ ليالٍ أُحادثُه ، فقال لي : يا يزيدُ ، مَن القائلُ فيك هذه الأَبياتُ[١] : [من البسيط]

سَلَّ الخليفَةُ سَيْفاً مِن بَني مُضَرٍ   يَمْضِي فَيَخْتَرِقُ الأَجْسامَ والهاما
كالدَّهْرِ لا يَنْثَني عَمّا يَهُمُّ بِهِ   قد أَوْسَعَ النَّاسَ إِنْعاماً وإِرْغاما

فقلتُ : واللهِ لا أَدري يا أَمير المؤمنين ؛ فقالَ : سُبحان الله ، أَيُقالُ فيك مثلُ هذا ولا تدري مَن قاله ؟ فسأَلتُ ، فقيل لي : هو مُسلم بن الوليد ؛ فأَرسلتُ إِليكَ ، فانهضْ بِنا إِلى الرَّشيدِ ؛ فَسِرْنا إِليه ، واستُؤذِنَ لنا ، فدخَلنا عليه ، فَقَبَّلتُ الأَرضَ ، وسلَّمتُ ، فردَّ عليَّ السَّلام ، فأَنشدتُه ما لي فيه من شِعْرٍ ، فأَمر لي بمئتي أَلف درهمٍ ، وأَمر لي يزيد بمئة وتسعين أَلف درهم ، وقال : ما ينبغي لي أَن أُساويَ أَميرَ المؤمنين في العطاءِ ؛ فانظرْ إِلى هذا التَّيسيرِ الجَسيم بعد العُسرِ العظيم .

● وما أَحسنَ ما قيل[٢] : [من البسيط]

الأَمْنُ والخَوْفُ أَيّامٌ مُداوَلَةٌ   بَيْنَ الأَنامِ وبَعْدَ الضِّيْقِ مُتَّسَعُ

● ولمّا[٣] وَجَّهَ سُليمانُ بن عبد الملك محمَّدَ بن يزيد إِلى العراق ، لِيطلقَ أَهلَ

---

(١) ديوانه (٦٣) .
(٢) البيت لعبيد الله بن الحرّ الجعفي ، في التذكرة الحمدونية (٨/ ٤٦) .
(٣) سراج الملوك (٢/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦) . وبرواية مختلفة في التذكرة الحمدونية (٨/ ٥٢) .

السُّجون ويَقسمَ الأموال ، ضَيَّق على يَزيد بن أَبي مُسلم ؛ فلمّا وَلِيَ يزيدُ بن عبد الملك الخلافةَ وَلَّى يزيدَ بن أَبي مُسلم أَفريقيَّةَ ، وكان محمَّد بن يزيد والياً عليها ، فاستَخْفى محمَّدُ بن يزيد ؛ فطَلَبَه يزيدُ بن أَبي مُسلم ، وشَدَّدَ في طَلَبِهِ ، فأُتي بهِ إليه في شهرِ رمضان عند المَغربِ ، وكان في يَد يَزيد بن أَبي مُسلم عُنقودُ عِنَبٍ ، فقال لمحمَّد بن يَزيد حين رآهُ : يا محمّدَ بن يزيد ؛ قال : نعم ؛ قال : طالَما سألتُ اللهَ أَن يُمَكِّنني منكَ ؛ فقال : وأَنا واللهِ طالَما سأَلتُ الله أَن يُجيرَني منكَ ؛ فقال : واللهِ ما أَجاركَ ولا أَعادَك ، وإن سَبَقَني مَلَكُ الموتِ إلى قَبْضِ رُوحِكَ سَبَقْتُهُ ، واللهِ لا آكُلُ هذه الحَبَّةَ العِنَبَ حتَّى أَقتلَك ؛ ثم أَمرَ به فكُتِّفَ وَوُضِعَ في النِّطْعِ ، وقام السَّيّافُ فأُقِيمت الصَّلاة ، فوضعَ العنقودَ من يَده وتقدَّم لِيُصَلِّي ، وكانَ أَهلُ أَفريقْيَّةَ قد أَجمعوا على قَتله ؛ فلمّا رفَع رأسَه ضَرَبَهُ رجلٌ بعَمودٍ على رأسِه فقَتله ، وقيل لمحمَّد بن يزيد : اذهبْ حيثُ شئتَ ، فَسُبحانَ مَن قتَلَ الأَميرَ وفَكَّ الأَسير .

- (وفي المعنىٰ : [من الخفيف]

قد يَصِحُّ المريضُ من بَعْدِ سُقْمٍ	كــان فيــهِ ويَهْلِــكُ العُــوّادُ
ويُصــادُ القَطــا فَينجــو سَليمــاً	بعَــد قَبْــضٍ ويهلــكُ الصَّيّــادُ)[1]

- قال[2] إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ : رأَيتُ رسولُ الله ﷺ في النَّوم وهو يقولُ : « أَطلق القاتِلَ » . فارْتَعْتُ لذلكَ ، ودعَوتُ بالشُّموعِ ، ونَظَرتُ في أَوراقِ السِّجنِ ، وإذا ورقةُ إنسانٍ ادُّعِيَ عليهِ بالقَتْلِ وأَقَرَّ بهِ ، فأَمرتُ بإِحضارهِ ، فلمّا رأَيتُه قد ارتاعَ قلتُ له : إنْ صَدَقْتَني أَطلقتُكَ ؛ فحدَّثني أَنَّه كان هو وجَماعةٌ من أصحابه يَرتكبونَ كلَّ عَظيمةٍ ، وأَنَّ عجوزاً جاءت لهم

---

(١) من ب .
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ٥٢) .

بامرأةٍ ، فلما صارَت عندَهم صاحَت : اللهَ اللهَ فيَّ ؛ وغُشِيَ عليها ، فلمّا أفاقت قالت : أنشدُكَ اللهَ في أمري ، فإنَّ هذه العَجوزَ غرَّتْني ، وقالت : إنَّ في هذه الدّار نِساءٌ صالِحاتٌ ، وأنا شَريفةٌ ، جَدّي رسولُ الله ﷺ وأُمّي فاطمة ، وأبي الحُسين بن عليّ ، فاحفَظُوهم فيَّ ؛ فقُمتُ دُونَها ، وناضَلْتُ عنها ، فاشتدَّ عليَّ واحدٌ من الجَماعة ، وقال : لا بُدَّ منها ؛ وقاتَلَني فَقَتَلْتُهُ ، وخلَّصْتُ الجاريةَ من يَده ؛ فقالت : سَتَرَكَ اللهُ كما سَتَرْتَني ؛ وسمعَ الجيرانُ الصَّيْحَةَ فدخلوا علينا ، فَوجدوا الرَّجُلَ مَقتولاً ، والسِّكِّينُ بيَدي ، فأمسكوني وأتوا بي إليك ؛ وهذا أمري ؛ فقال إسحاق : قد وهَبْتُكَ للهِ ولرسوله ؛ فقال : وَحَقِّ الَّذَيْن وَهَبْتَني لهما لا أعودُ إلى مَعصيةٍ أبداً .

● وأَمَر(١) الحجّاجُ بإحضار رجلٍ من السّجن ، فلمّا حضَر أمر بضَرْبِ عُنقه ، فقال : أيُّها الأمير ، أَخِّرْني إلى غدٍ ؛ قال : وأيُّ فَرَجٍ لكَ في تأخيرِ يومٍ واحدٍ ؟ ثم أمر بِرَدِّهِ إلى السِّجْنِ ، فسمعَه الحجّاجُ في السِّجن يقولُ : [من الطويل]

عَسى فَرَجٌ يَأتي بهِ اللهُ إنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ في خَليقَتِهِ أَمْرُ

فقال الحجّاجُ : واللهِ ما أَخَذَهُ إلاّ من كتابِ الله ، وهو قولُه تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] وأَمرَ بإطلاقِه .

● وقال(٢) بعضُ جُلساءِ المعتمد ، كُنّا بينَ يدَيه ليلةً ، فخفقَ رأسُه بالنُّعاسِ ، فقال : لا تَبْرَحوا حتّى أُغفي سُوَيْعَةً ؛ فَغفا ساعةً ، ثم أَفاقَ جَزِعاً مَرْعوباً ، وقال : امضُوا إلى السِّجْنِ وائْتوني بمَنْصور الجمّال ؛ فجاؤوا به ، فقال له : كم لكَ في السِّجن ؟ قال : سنةٌ ونصفٌ ، قال : على ماذا ؟ قال : أنا جَمّالٌ من أَهلِ المَوْصِل ، وضاقَ عليَّ الكَسْبُ بِبَلدي ، فَأَخذتُ جَمَلي وتَوَجَّهْتُ إلى

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٥٣) .

(٢) الفرج بعد الشدة (٢/ ٢٤١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٥٤) .

بلدٍ غيرِ بلدي لأَعملَ عليه ، فوجدتُ جماعةً من الجُند قد ظفِروا بِقَومٍ غيرِ مُستقيمي الحال ، وهم مِقدارُ عشرةِ أَنفسٍ وَجدُوهم يَقْطعون الطَّريقَ ، فدفعَ واحدٌ منهم شيئاً للأَعوانِ فأَطلقُوه ، وأَمسكوني عِوَضَه ، وأَخذوا جَمَلي ، فناشَدْتُهُم اللهَ فأَبوا ، وسُجْنْتُ أنا والقَوم ، فأُطلقَ بعضُهم وماتَ بعضُهم ، وبقيتُ أَنا ؛ فدَفع له المعتمدُ خَمسمئة دينارٍ ، وأَجرى له ثلاثينَ ديناراً في كُلِّ شهرٍ ، وقال : اجعلوه على جِمالنا ؛ ثم قال : أتدرونَ ما سببُ فِعْلي هذا ؟ قلنا : لا . قال : رأَيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يقول : « أطلق مَنْصوراً الجَمّالَ من السِّجْنِ ، وأَحسنْ إِليه » .

• وأَخذَ[1] الطاعونُ أَهْلَ بيتٍ ، فَسُدَّ بابُه ، ففضَلَ فيه طفلٌ يَرضعُ لم يشعرْ بهِ أَحَدٌ ، فَفُتِحَ البابُ بعدَ شهرٍ ، فَوجدوا الطِّفْلَ قد عَطَفَ الله عليه كلبةً تُرضِعُهُ مع جَرْوٍ لها ؛ فسبحان القادر على كُلِّ شيءٍ ، ولا إِلَه غيرُه ، ولا مَعبودَ سِواه .

• قال الشّاعر[2] : [من البسيط]

إذا تَضـايَـقَ أَمْـرٌ فـانْتَظِـر فَـرَجـاً ... فـأَضْيَـقُ الأَمْـرِ أَدْنـاهُ إِلـى الفَـرَجِ

• وقال آخر[3] : [من الطويل]

فـلا تَجْـزَعَـنْ إِنْ أَظْلَـمَ الـدَّهْـرُ مَـرَّةً ... فـإِنَّ اعْتِكـارَ اللَّيْـلِ يُـؤْذِنُ بـالفَجْـرِ

• وقال آخر[4] : [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ مـا كُـلُّ التَّعَطُّـلِ ضـائِـراً ... وَلا كُـلُّ شُغْـلٍ فيـهِ لِلْمَـرْءِ مَنْفَعَـهْ

إِذا كانَتِ الأَرْزاقُ في القُرْبِ والنَّوى ... عَلَيْـكَ سَـواءً فـاغْتَنِـمْ لَـذَّةَ الـدَّعَـهْ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٦٧) .

(٢) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٤٠٦) .

(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٤٠٥) .

(٤) الأبيات لأبي حُكيمة راشد بن إسحاق في ديوانه (١٢٦) وربيع الأبرار (٤/ ٤٠٢) .

فإنْ ضِقْتَ فاصْبرْ يَفْرِجُ اللهُ ما تَرى   أَلا رُبَّ ضِيْـقٍ فـي عَـواقِبِـهِ سَعَـهْ

• وقال[1] الرِّياشي : ما اعْتَراني هَمٌّ فأَنشدتُ قولَ أَبي العتاهية ، حيثُ قال[2] : [من مجزوء الوافر]

هـــيَ الأَيّــامُ والغِيَـــرُ   وأَمْـــــرُ اللهِ يُنْتَظَـــــرُ
أَتَيْــأَسُ أَن تَــرى فَــرَجــاً   فَـــأَيْـــنَ اللهُ والقَـــدَرُ

إلاَّ سُرِّيَ عنِّي ، وَتَنَسَّمْتُ رِيْحَ الفَرَجِ .

• ويُروى[3] أَنَّ سُلطانَ صِقِلِّية أَرِقَ ذاتَ لَيلةٍ ومُنِعَ النَّومَ ، فأَرسل إِلى قائدِ البَحر ، وقال له : أَنْفِذ الآنَ مَرْكباً إِلى أَفريقيَّة يأتوني بأَخبارِها ؛ فعمَد القائدُ إِلى مُقَدَّمِ مَرْكَبٍ ، وأَرسلَه ، فلمّا أَصبحوا إِذا بالمَرْكَبِ في مَوضِعه كأَنَّه لم يبرحْ ، فقال الملِكُ لقائِد البَحر : أَليسَ قد فَعلتَ ما أَمرتُكَ بهِ ؟ قال : نَعم ، قد امتثلتُ أَمْرَكَ ، وأَنفذتُ مَرْكباً فرجعَ بعد ساعةٍ ، وسيحدِّثُك مُقَدَّمُ المَرْكَبِ ؛ فأَمر بإِحضارِهِ ، فجاءَ ومعهُ رجلٌ ، فقال له الملِكُ : ما مَنَعَكَ أَن تذهبَ حيثُ أُمِرْتَ ؟ قال : ذهبتُ بالمركبِ ، فبينَما أَنا في جوفِ اللَّيلِ والرِّجالُ يُجَدِّفون ، إِذا بِصوتٍ يقولُ : يا أَلله يا أَلله ، يا غِياثَ المُستغيثين ؛ يُكرِّرُها مِراراً ؛ فلمّا استقرَّ صوتُه في أَسماعِنا نادَيْناه مِراراً : لَبَّيْكَ لَبَّيْك ، وهو يُنادي : يا أَلله يا أَلله ، يا غِياثَ المُستغيثين ؛ فَجَدَّفْنا بالمركبِ نحوَ الصَّوتِ ، فلَقينا هذا الرَّجلَ غَريقاً في آخرِ رَمَقٍ من الحياةِ ، فطَلعنا به المركبَ ، وسأَلناهُ عن حالِهِ ، فقال : كُنّا مُقلعينَ من أَفريقيَّة ، فغَرقَت سَفينتُنا منذُ أَيّامٍ ، وأَشرفتُ على الموتِ ، وما زلتُ أَصيحُ حتَّى أَتاني الغوثُ من ناحيتِكُم ؛ فسُبحان مَن

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٠٣) وثمار القلوب (١/ ٩٣) .
(٢) ديوانه (٥٣٨) .
(٣) سراج الملوك (٢/ ٦٤٦) .

أَسهرَ سُلطاناً ، وأَرَّقه في قَصره ، لغريقٍ في البحرِ حتَّى استخرجَه من تِلك الظُّلماتِ الثَّلاث ؛ ظُلمةِ اللَّيل ، وظُلمةِ البَحر ، وظُلمةِ الوَحدة ؛ فَسُبحانَه لا إِلَه غيرُه ولا مَعبودَ سواه .

● وحَكى سيِّدي أَبو بكر الطُّرطوشيّ في كتابه « سِراج الملوك » قال[1] : أَخبرني أَبو الوليد الباجي ، عن أَبي ذَرٍّ ، قال : كنتُ أَقرأُ على الشَّيخ أَبي حَفْصٍ عُمر بن أَحمد بن شاهين ببغداد جُزءاً من الحديثِ ، في حانوتِ رَجُلٍ عطّار ، فبينَما أَنا جالسٌ معه في الحانوتِ إِذ جاءَ رجلٌ من الطَّوّافين ، ممَّن يَبيعُ العِطْر في طَبَقٍ يَحملهُ على يَده ، فدفَع إِليه عشرةَ دراهم ، وقال له : أَعطني بها أَشياء سمّاها له من العِطر ؛ فأَعطاه إِيّاها ، فأَخذَها في طَبَقِهِ ، وأَراد أَن يمضي ، فسقطَ الطَّبَقُ من يَده ، فانكبَّ جميعُ ما فيه ، فَبكى الطَّوّافُ وجَزع حتَّى رَحمناه ، فقال أَبو حفص لصاحبِ الحانوتِ : لعلَّك تُعينُه على بعضِ هذه الأَسْباب ؛ فقال : سَمْعاً وطاعةً ؛ فنزلَ وجمعَ له ما قَدِرَ على جَمْعِهِ منها ، ودفعَ له ما عُدِمَ منها ، وأَقبل الشَّيْخُ على الطَّوّافِ يُصَبِّرُهُ ويَقولُ له : لا تَجزعْ ، فأَمرُ الدُّنيا أَيْسَرُ من ذلك ؛ فقال الطَّوّافُ : أَيُّها الشَّيْخُ ، ليسَ جَزَعي لِضَياع ما ضاعَ ، لقد عَلِمَ اللهُ تعالى أَنِّي كنتُ في القافِلة الفُلانيَّة ، فَضاع لي هِمْيانٌ[2] فيه أَربعة آلافِ دينارٍ ، ومَعها فُصوصٌ قِيمتُها كذلك ، فما جَزِعْتُ لِضَياعِها ، حيثُ كان لي غيرُها من المالِ ، ولكنْ وُلِدَ لي وَلَدٌ في هذه اللَّيلةِ ، فاحتَجْنا لأُمِّه ما تَحتاجُ إِليه النُّفَساءُ ، ولم يكنْ عندي غيرُ هذهِ العَشرةِ دراهم ، فَخَشيتُ أَن أَشتريَ بها حاجةَ النُّفَساءِ فأَبقى بلا رأسِ مالٍ ، وأَنا قد صِرْتُ شَيْخاً كبيراً ، لا أَقدرُ على التَّكسُّبِ ؛ فقلتُ في نَفْسي : أَشتري بها شيئاً من العِطْرِ فأَطوفُ بِهِ صَدْرَ النَّهارِ ، فعَسى أَستفضلُ شيئاً أَسُدُّ بِهِ رَمَقَ أَهلي ، ويَبقى رأسُ المالِ

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٥٦) .
(٢) الهميان : وعاءٌ للدراهم . (قاموس) .

أَتكسَّبُ بهِ ، فلمّا قدَّر الله ضَياعَه ، جزعتُ وقلتُ : ليس عندي ما أَرجع به إِليهم ، ولا ما أَكتسبُ به ، وعلمتُ أَنَّه لم يبقَ لي إِلا الفِرار منهم ؛ فهذا الَّذي أَوجبَ جَزَعي .

قال الشَّيخ أَبو ذرٍّ : وكان رجلٌ من الجُنْدِ جالساً إِلى جانِبي يَستوعبُ الحديثَ ، فقال للشَّيخ أبي حَفْصٍ : يا سَيِّدي ، أُريدُ أَن تأتيَ بهذا الرَّجُلِ إِلى مَنْزلي ؛ فَظَنَنّا أَن يُعطيه شيئاً ، قال : فدخَلنا إِلى مَنزله ، فأَقبل على الطَّوّافِ وقال له : عَجبتُ من جَزَعِك ؛ فأعادَ عليه القِصَّة ، فقال له الجُنديُّ : وكنتَ في تِلك القافلةِ ؟ قال : نعم ، وكان فيها فُلانٌ وفُلانٌ ؛ فَعَلِمَ الجُنديُّ صِحَّة قَوله ، فقال : وما عَلامَةُ الهِميانِ ؟ وفي أَيِّ مَوْضِعٍ سَقَطَ منكَ ؟ فَوَصَفَ له المكانَ والعلامةَ ؛ قال الجنديُّ : إِذا رأَيْتَهُ تَعرفُهُ ؟ قال : نعم ؛ فأَخرج الجنديُّ له هِمْياناً ، ووضَعه بين يديه ، فَحينَ رآهُ صاحَ ، وقال : هذا هِمْياني والله ، وعَلامةُ صِحَّةِ قَوْلي أَنَّ فيه من الفُصوص ما هو كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فَفُتِحَ الهِمْيانُ فَوجدَه كما ذَكر ؛ فقال الجُنديُّ : خُذْ مالَكَ ، باركَ الله لك فيه ؛ فقال الطَّوّافُ : إِنَّ هذ الفُصوص قيمتُها مثلُ الدَّنانير وأَكثر ، فَخُذْها وأَنت في حِلٍّ منها ، ونَفْسي طَيِّبَةٌ بذلك ؛ فقال الجنديُّ : ما كنتُ لآخُذَ على أَمانَتي مالاً ؛ وأَبى أَن يأخذَ شيئاً ، ثم دَفعها للطَّوّافِ جميعَها ؛ فأَخذها ومَضى ، ودخل الطَّوّافُ وهو من الفُقراء ، وخرجَ وهو من الأَغنياء .

اللَّهمَّ أَغْنِ فَقْرنا ، وَيَسِّرْ أَمْرَنا ، برَحمتك يا أَرحم الرّاحمين .

• **وحُكي**[1] : أَنَّ الملكَ ناصِرَ الدَّولة من آل حَمْدان ، كان يَشكو وَجَعَ القُولَنْجِ ، حتَّى أَعيا الأَطِبّاء دَواؤُهُ ، لم يَجدوا له شِفاءً ، فدسُّوا على قَتله وأَرصدوا له رجُلاً ومعه خِنْجَرٌ ، فلمّا كان في بعض دهاليزِ القَصر وثبَ عليه

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٥١) .

ذلك الرّجلُ ، وضَربه بالخِنجر ، فجاءت الضَّرْبَةُ أَسْفَلَ خاصِرَتِهِ ، فلم تُخْطِ المِعَى الَّذي فيه القُولَنْج ، فخرجَ ما فيه من الخَلْطِ ، فعافاهُ الله تَعالى ، وبَرِىءَ أَحسنَ ما كان .

• وبِضِدّ هذا ما حَكاهُ أَبو بكر الطُّرطوشيّ ، قال[1] :

حدَّثنا القاضي أَبو مروان الدّاني بطُرطُوشة ، قال : نَزَلَت قافِلَةٌ بقَريةٍ خَربَةٍ من أَعمال دانَية ، فأَووا إِلى دارٍ خَرِبَةٍ هناك ، فاسْتَكَنُّوا فيها من الرِّياحِ والأَمطار ، واستَوقَدوا نارَهُم ، وسَوَّوا مَعيشَتهم ، وكان في تِلك الخِرْبَةِ حائِطٌ مائِلٌ قد أَشرف على الوُقوع ، فقال رجلٌ منهم : يا هَؤلاء ، لا تَقعدوا تحتَ هذا الحائِطِ ، ولا يدخلَنَّ أَحدٌ في هذه البُقعة ؛ فأَبوا إِلاّ دُخولَها ، فاعتزَلَهم ذلك الرَّجلُ ، وباتَ خارجاً عنهم ، ولم يَقْرَبْ ذلكَ المَكان ، فأَصبحوا في عافيةٍ ، وحَملوا على دوابِّهم ، فبينَما هم كذلك إِذ دخَلَ ذلك الرَّجلُ إِلى الدّارِ ليقضيَ حاجَتَهُ ، فَخرَّ عليه الحائطُ ، فماتَ لوقتهِ .

• قال[2] : وأَخبرني أَبو القاسم بن حُبَيْشٍ بالمَوْصِل ، قال : لقد جَرَت في هذه الدّار ـ وأَشار إِلى دارٍ هناك ـ قضيَّةٌ عجيبةٌ ، قلتُ : وما هي ؟ قال : كان يَسكنُ هذه الدَّارَ رجلٌ من التُّجّار ، ممَّن يُسافرُ إِلى الكوفة في تِجارة الخَزِّ ، فاتَّفق أَنَّه جعلَ جميعَ ما معه من الخَزِّ في خُرْجٍ ، وحَمله على حِماره وسارَ مع القافِلة ، فلمّا نَزَلَت القافلةُ أَراد إِنزالَ الخُرْجِ عن الحِمار ، فَثَقُلَ عليه ، فأَمر إِنساناً هناك فأَعانَه على إِنزالِه ، ثم جلسَ يأكلُ ، فاستَدعى ذلك الرَّجلَ ليأكلَ معه ، فسأَله عن أَمره ، فأَخبره أَنَّه من أَهل الكُوفة ، وأَنَّه خرج لحاجةٍ عَرَضَت لهُ بغيرِ نَفَقَةٍ ولا زادٍ ؛ فقال له الرَّجل : كُنْ رَفيقي ، آنَسُ بكَ وتُعينُني على

---

(١) سراج الملوك (٢/ ٦٥٥) .
(٢) سراج الملوك (٢/ ٦٥٩) .

سَفَري ، وَنَفَقَتُك وَمؤونَتُك عليَّ ؛ فقال له الرَّجل : وأَنا أَيضاً أَختارُ صُحبتَك ، وأَرغبُ في مُرافقتك ؛ فسارَ معه في سَفَرِه ، وخَدَمَهُ أَحسنَ خِدْمَةٍ ، إِلى أَن وصلا إِلى تِكْريت ، فنزلَ الرُّفْقَةُ خارجَ المدينةِ ، ودخلَ النّاسُ إِلى قَضاء حَوائجهم ، فقال التّاجرُ لذلكَ الرَّجلِ : احفظْ حَوائجَنا ، حتَّى أَدخلَ المدينةَ وأَشتري ما نَحتاجُ إِليه ؛ ثم دخلَ المدينة وقَضى جميعَ حَوائجه ، ورجعَ فلم يَجِدِ القافلةَ ولا صاحِبَه ، ورحَلَت الرُّفقةُ ولم يرَ أَحداً ، فَظَنَّ أَنَّه لمّا رحلَتِ الرُّفْقَةُ رحلَ ذلكَ الخادمُ معهم ، فلم يزلْ يَسيرُ ويَجِدُّ في المشي إِلى أَن أَدركَ القافلةَ بعد جَهْدٍ عظيمٍ وتَعَبٍ شَديدٍ ، فسأَلهم عن صاحبه ، فقالوا : ما رأَيناهُ ، ولا جاءَ معنَا ، ولكنَّه ارتحلَ على إِثركَ ، فظننّا أَنَّك أَمَرْتَهُ ، فَكَرَّ الرَّجلُ راجِعاً إِلى تِكريت ، وسأَل عن الرَّجلِ فلم يجدْ له أَثَراً ، ولا سمعَ له خَبَراً ؛ فيئسَ منه ورجعَ إِلى المَوْصِلِ مَسلوبَ المال ، فَوصلها نَهاراً ، فقيراً جائعاً ، عُرياناً مَجهوداً ، فاستَحيا أَن يدخلَها نهاراً فتشمتَ بهِ الأَعداءُ ـ نَعوذُ بالله من شَماتَتهم ـ وخَشيَ أَن يحزنَ الصَّديقُ إِذا رآهُ على تلك الحالَة ، فاستَخفى إِلى اللَّيل ، ثم عاد إِلى داره ، فطرقَ البابَ ، فقيل له : مَن هذا ؟ قال : فلانٌ ، يعني نَفْسَه ؛ فأَظهروا له سُروراً عظيماً ، وحاجةً إِليه ، وقالوا : الحمدُ لله الَّذي جاءَ بك في هذا الوقتِ على ما نحنُ فيه من الضَّرورة والحاجةِ ؛ فإِنَّك أَخذتَ مالكَ معكَ ، وما تركتَ لنا نفقةً كافيةً ، وأَطَلْتَ سَفَرَك ، واحتَجْنا ، وقد وَضَعَتْ زَوجتُك اليومَ ، والله ما وَجَدْنا ما نَشتري بهِ شيئاً للنُّفَساءِ ، فأْتِنا بدقيقٍ ودُهْنٍ نُسرجْ بهِ علينَا ، فلا سراجَ عندنا .

فلمّا سمعَ ذلك ازدادَ غَمّاً على غَمِّه ، وكرهَ أَن يُخبرهم بحالِهِ فيُحزنَهم بذلك ، فأَخذَ وِعاءً للدُّهْنِ ووعاءً للدَّقيق ، وخرج إِلى حانوتٍ أَمام داره ، وكان فيه رجلٌ يبيعُ الدَّقيق والزَّيتَ والعَسَل ونحو ذلك ، وكان البيّاعُ أَطفأَ سِراجَه ، وأَغلق حانوتَه ، ونام ؛ فناداه فَعَرَفَهُ ، فأَجابه ، وشكرَ الله على

سلامته ، فقال له : افتح حانوتَك ، وأَعطنا ما نَحتاجُ إِليه من دقيقٍ وعسلٍ وَدُهن ؛ فنزل البيّاعُ إِلى حانوته ، وأَوقدَ المِصباحَ ، ووقف يزنُ له ما طلبَ ، فبينما هو كذلك إِذ حانَت من التّاجر الْتِفاتَةٌ إِلى قَعْرِ الحانوتِ ، فرأَى خُرْجَهُ الَّذي هربَ به صاحبهُ ، فلم يملكْ نفسَه أَن وَثَبَ إِليه والتزمَهُ ، وقال : يا عدوَّ الله ، ائْتني بمالي ؛ فقال له البيّاعُ : ما هذا يا فُلان ؟ والله ما عَلِمْتُك مُتَعَدِّياً ، وأَنا أَبداً ما جَنيتُ عليك ولا على غَيرك ، فما هذا الكلام ؟ قال : هذا خُرْجي ، هربَ به خادمٌ كان يخدمُني ، وأَخذَ حِماري وجَميع مالي ؛ فقال البيّاع : واللهِ ما لي علمٌ ، غيرَ أَنَّ رجلاً وردَ عليَّ بعد العِشاءِ ، واشترى منِّي عَشاءه ، وأَعطاني هذا الخرجَ فجعلتُه في حانوتي وديعةً إِلى حين يُصبحُ ، والحمارُ في دارِ جارنا ، والرَّجلُ في المسجد نائمٌ ؛ قال له : احملْ مَعي الخُرْجَ ، وامضِ بنا إِلى الرَّجلِ ؛ فَرَفَعَ الخُرْجَ على عاتِقِه ، ومضى معه إِلى المسجدِ ، فإِذا الرَّجل نائمٌ في المسجدِ ، فوكزَه بِرِجله ، فقامَ الرَّجلُ مَرعوباً ، فقال : مالك؟ قال : أَينَ مالي يا خائن ؟ قال : ها هو في خُرْجِكَ ، فوالله ما أَخذتُ منه ذَرَّةً ؛ قال : فأَين الحمارُ وآلَتَهُ ؟ قال : هو عند هذا الرَّجل الَّذي معك ؛ فعفا عنه وخَلَّى سبيلَه ، ومضَى بخُرجه إِلى داره ، فوجدَ مَتَاعَه سالِماً ، فوسَّعَ على أَهله ، وأَخبرهم بقصَّتِه ، فازدادَ سُرورُهم وفَرحُهم ، وتبَرّكوا بذلك المولودِ .

فسُبحان مَن لا يَخيبُ مَن قَصَدَهُ ، ولا يَنْسَى مَن ذَكَرَهُ .

ولْنُلْحِقْ بهذا البابِ ذِكْرَ شَيءٍ ممّا جاءَ في التَّهنئةِ والبَشائر

• كتبَ[١] بعضُهم إِلى أَخيه وقد أَتاه خبرٌ استبشرَ به : سمعتُ عنك خَبَراً سارّاً ، كُتِبَ في الأَلواحِ ، وامتزجَ بالأَرواح ، وعُدَّ في جُملة البَشائرِ العِظام ، وجَرى في العُروق ، وتَمَشّى في العِظام .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٠٤) .

• وكان[1] خالدُ بن عبد الله القَسْري أَخا هشام بن عبد الملك من الرَّضاع ، وكان يقولُ له : إِنِّي لأرى فيك آثارَ الخلافةِ ولا تموتُ حتَّى تَلِيَها ؛ فقال له : إِنْ أَنا وَليتُها ، فلَكَ العِراقَ ؛ فلمّا وَليَ أَتاه ، فقامَ بين الصَّفَّين ، وقال : يا أَمير المؤمنين ، أَعَزَّكَ الله بِعِزَّتِهِ ، وَأَيَّدك بملائكته ، وباركَ لك فيما وَلاّك ، ورَعاك فيما اسْتَرْعاك ، وجعل وِلايَتَكَ على أَهلِ الإسلامِ نِعْمَةً وعلى أَهْلِ الشِّرْكِ نِقْمَةً ، لقد كانَت الوِلايةُ إِليك أَشْوَقَ منكَ إِليها ، وأَنت لها أَزْيَنُ منها لكَ ، وما مَثَلُها ومَثَلُكَ إِلا كما قال الأَحوصُ[2] : [من الخفيف]

وإِذا الدُّرُّ زانَ حُسْنَ وُجوهٍ ... كانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنا
وتَزيدينَ أَطْيَبَ الطِّيْبِ طِيْباً ... أَن تَمَسِّيْهِ ، أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنا

• ودخل[3] على المَهديِّ أَعرابيٌّ ، فقال له : فيم جِئْتَ ؟ قال : أَتيتُك برسالةٍ ؛ قال : هاتِها ؛ قال : أَتاني آتٍ في مَنامي فقال : ائْتِ أَميرَ المؤمنين فأَبْلِغْهُ هذه الأَبيات : [من الوافر]

لَكُمْ إِرْثُ الخِلافَةِ من قُرَيْشٍ ... تُزَفُّ إِلَيْكُمْ أَبَداً عَروسا
[فَتَمْلِكُ أَرْبَعيكَ مُبارَكاتٍ ... وتُورِثُها وَلِيَّ العَهْدِ مُوسى]
إِلى هارونَ تُهْدَى بَعْدَ مُوسى ... تَميسُ وَما لَها أَن لا تَميسا

فقال المهديُّ : يا غُلام ، عليَّ بالجَواهر ؛ فَحشا فاهُ حتَّى كادَ يَنْشَقُّ ؛ ثم قال : اكتُبوا هذه الأَبياتِ ، واجعلوها في بَخانِقِ صِبْيانِنا .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٠٧) .
(٢) ديوانه (٢٢٥) . وهما لمالك بن أسماء بن خارجة في أمالي المرتضى (١/ ٤٣٥) والحماسة البصرية (٢/ ٨٦) . ولكثير عزة في مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٧) وليسا في ديوانه . ولأعرابي في المحب والمحبوب (١/ ٢١٦ و٣/ ١٤٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤٠٨) والزيادة منه .

• قال[1] إبراهيم المَوْصِليّ في تَهنئةِ الرَّشيد بالخِلافة : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كانَتْ مَريضَةً فلمّا أَتى هارونُ أَشْرَقَ نُورُها
تَلَبَّسَتِ الدُّنْيا جَمالاً بِمُلْكِهِ فَهارونُ واليها وَيَحيى وَزيرُها

وغَنّاهُ بهما من وراء الحِجاب ، فوصله بمئةِ أَلفِ دينارٍ ، ويَحيى بخَمسين أَلفاً .

• ودخلَ[2] عَطاء بن أَبي صَيْفيّ على يَزيد بن مُعاوية ، وهو أَوَّلُ مَن جَمَعَ بينَ التَّهنئةِ والتَّعزية ، فقال : رُزِئْتَ خليفة اللهِ ، وأُعطيتَ خِلافَةَ اللهِ ، قَضى مُعاويةُ نَحْبَهُ ، فغفر الله ذَنْبه ؛ وَوُلِّيتَ الرِّئاسَة ، وكُنْتَ أَحَقَّ بالسِّياسة ؛ فاحتسبْ عندَ الله أَعظمَ الرَّزِيَّة ، واشكرِ الله على أَعْظَمِ العَطِيَّة .

• ومرَّ[3] عُمر بن هُبَيْرَة بعد إطلاقِه من السِّجن بالرَّقَّةِ ، فإذا امرأَةٌ من بني سُلَيْم على سطحٍ لها تُحادثُ جارةً لها ليلاً ، وهي تقولُ : لا والَّذي أَسأَلُه أَن يُخَلِّصَ عُمر بن هُبيرة ممّا هو فيه ، ما كان كذا ؛ فَرَمى إِليها بِصُرَّةٍ فيها مئةُ دينارٍ ، وقال : قد خَلَّصَ اللهُ عُمر بن هُبَيْرَة ، فَطِيبي نَفْساً وقَرّي عَيْناً .

والله سُبحانه وتعالى أَعلم ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

❋ ❋ ❋

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٤٠٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٤٠٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٤١٠) .

الباب الثامن والخمسون

في ذِكر العَبيد والإِماءِ والخَدَم

وفيه فصلان

الفصل الأَوَّل

في مَدح العبيد والإِماء ، والاستِيصاءِ بهم خَيْراً

• عن[1] عليٍّ رضي الله تعالى عنه ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « أَوَّلُ مَن يدخلُ الجَنَّةَ : شَهيدٌ وعَبْدٌ أَحْسَنَ عِبادة رَبِّه ، ونَصَحَ لِسَيِّدِهِ » .

• وعن[1] ابنِ عُمر رضي الله تعالى عنهما ، رَفَعَه : « إِنَّ العَبْدَ إِذا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ ، وأَحسنَ عِبادة رَبِّه فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتين » .

• وكان[2] زيدُ بن حارثة خادماً لخديجة رضي الله عنها ، اشتُرِيَ لها بِسُوقِ عُكاظ ، فَوَهَبَتْه لرسولِ الله ﷺ ، فجاءَه أَبوه يُريد شِراءَه منه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إِنْ رَضِيَ بِذلكَ فَعَلْتُ » فَسُئل زيدٌ ، فقال : ذُلُّ الرِّقِّ مع صَحابةِ رَسولِ الله ﷺ أَحَبُّ إِليَّ مِن عِزِّ الحُرِّيَّةِ مع مُفارَقَتِهِ . فقال رسولُ الله ﷺ : « إِذا اختارَنا اختَرناه » فأَعتقَه وزوَّجه أُمَّ أَيمن ، وبعدَها زَينب بنت جَحْش .

• وعن[3] عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال : كان آخرُ كلامِ رسولِ الله ﷺ : « أوصيكم بالصَّلاة ، واتَّقوا الله فيما مَلَكَتْ أَيْمانُكم » .

• وعن[4] أَبي هُريرة رضي الله عنه [رفعه] : « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكم : عَبْدي

---

(1) ربيع الأبرار (٣/ ٥٣٥) .
(2) ربيع الأبرار (٣/ ٥٣٦) .
(3) ربيع الأبرار (٣/ ٥٣٧) .
(4) ربيع الأبرار (٣/ ٥٣٨) .

وأَمَتي ؛ كُلُّكم عَبيدُ الله ، وكُلُّ نِسائكم إِماءُ الله ؛ ولكن لِيَقُلْ : غُلامي وجاريتي ، وفَتاي وفَتاتي » .

• وعن[١] أَبي مسعود الأَنصاريّ ، قال : ضَرَبْتُ غُلاماً لي ، فسَمعتُ مِن خَلْفي صَوتاً : « اعلَمْ يا أَبا مَسعود ، أَنَّ الله أَقْدَرُ عليكَ مِنْكَ عليهِ » . فالتفتُّ فإِذا هو النَّبيُّ ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ، هو حُرٌّ لوجهِ الله تعالى ؛ فقال : « أَما إِنَّك لو لم تفعلْ لَلَفَحَتْكَ النّارُ » .

• ورُوي[١] عن ابن عُمر رضي الله عنهما ، قال : جاءَ رجلٌ إِلى رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، كم نعفو عن الخادم ؟ [فَصَمَتَ] ثم أَعاد عليه فَصَمَت ، فلمّا كانت الثّالثة قال له : « اعفوا عنه كُلَّ يوم سَبعين مرَّةً » .

• وعن[٢] أَبي هُريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : حدَّثني أَبو القاسم نَبيُّ التَّوبة ﷺ : « مَن قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وهو بَريءٌ ممّا قالَ ، جُلِدَ لهُ يومَ القيامَةِ حَدّاً » .

• وقيل[٣] : أَراد رجلٌ بَيْعَ جاريته ، فَبَكَت ، فقال لها : مالَكِ ؟ فقالت : لو مَلَكْتُ منكَ ما مَلَكْتَ مِنّي ما أَخْرَجْتُكَ من يَدي ؛ فأَعتقَها وتزوَّجَها .

• وقال[٤] أَبو اليقظان : إِنَّ قُريشاً لم تكنْ ترغبُ في أُمهَّات الأَولاد ، حتّى وَلَدْنَ ثلاثةً همْ خَيْرُ أَهلِ زَمانهم ، عليّ بن الحسين ، والقاسم بن محمّد ، وسالم بن عبد الله ؛ وذلك أَنَّ عمرَ رضي الله تعالى عنه أُتي ببنات يَزْدَجرد بن شِهريار بن كِسرى مَسْبيّاتٍ ، فأَراد بَيْعَهُنَّ فأَعطاهنَّ للدَّلّال يُنادي عليهن بالسُّوق ، فكشفَ عن وَجْهِ إِحداهنَّ فَلَطَمَتْهُ لَطْمَةً شديدةً على وَجهه ، فصاح : واعُمَراه ؛ وشَكا إِليه ، فدعاهنَّ عُمر وأَراد أَن يضربهنَّ بالدِّرّة ، فقال عليٌّ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٣٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٥٤٢) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٥٤٤ ـ ٥٥٥) .

رضي الله تعالى عنه : يا أَميرَ المؤمنين ، إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أَكرِموا عَزيزَ قَوْمٍ ذَلَّ ، وغَنِيَّ قَوْمٍ افتقرَ » . إنَّ بنات الملوكِ لا يُبْعْنَ ، ولكن قَوِّموهنَّ ؛ فَقَوَّمَهُنَّ وأَعطاهُ أَثمانهنَّ ، وقَسَّمهنَّ بين الحسين بن عليّ ومحمّد بن أبي بكر وعبد الله بن عُمر ؛ فولدنَ هؤلاء الثلاثة .

● وقيل[1] : اسْتَبَقَ بَنو عبد الملك فَسَبقوا مَسلمة ، وكان ابنَ أَمَةٍ ، فتمثَّل عبدُ الملك بقولِ عَمرو [بن مُبْرَد] العَبْديّ : [من الطويل]

نَهَيْتُكُمُ أَن تَحمِلوا هُجَناءَكُم | على خَيْلِكُم يَوْمَ الرِّهانِ فَتُدْرَكوا[2]
فَتَعْثُرُ كَفّاهُ وَيَسْقُطُ سَوْطُهُ | وَيَخْدَرُ ساقاهُ فَما يَتَحَرَّكُ
وَهَلْ يَسْتَوي المَرْآنِ هذا ابنُ حُرَّةٍ | وهذا ابنُ أُخْرى ظَهْرُها مُتَشَرِّكُ
[وأَدْرَكْنَهُ خالاتُهُ فاختَذَلْنَهُ | ألا إنَّ عِرْقَ السَّوْءِ لا بُدَّ مُدْرِكُ]

فقال له مَسلمة : يغفرُ اللهُ لك يا أَمير المؤمنين ، ليس هذا مِثْلي ، ولكن كما قال [عليّ] بن المعمَّر : [من الطويل]

فَما أَنْكَحُونا طائِعينَ بَناتِهِمْ | ولَكِنْ خَطَبْناها بأَرْماحِنا قَسْرا
فَما زادَنا فيها السِّباءُ مَذَلَّةً | ولا كُلِّفَتْ خُبْزاً ولا طَبَخَتْ قِدْرا
[وَلكن خَلَطْناها بِخَيْرِ نِسائنا | فجَاءَت بِهِم بِيْضاً غَطارِفَةً زُهْرا]
وكائِن تَرى فِينا مِن ابنِ سَبِيَّةٍ | إذا لَقِيَ الأَبْطالَ يَطْعَنُهُمْ شَزْرا
وَيَأْخُذُ راياتِ الطِّعانِ بِكَفِّهِ | فَيُورِدُها بِيْضاً ويُصْدِرُها حُمْرا

فَقَبَّلَ رأسَه وعَينيه ، وقال : أَحسنتَ يا بُنَيَّ ، ذاك واللهِ أَنت ؛ وأَمر له بمئة أَلف درهم مثلَ ما أَخذ السَّابق . والله أعلم .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٤٠) ومعجم الشعراء (٦٦) ومن اسمه عمرو (١٨٢) .
(٢) روايته في ط :
نهيتكمُ أن تحملوا فوق خيلكم | هجيناً لكم يوم الرِّهان فَيُدْرَكَ

الفصل الثّاني

في ذَمِّ العبيد والخَدَم

- رُوي[1] عن رسولِ الله ﷺ أنّه قال: «بِئْسَ المالُ في آخرِ الزَّمان المماليكُ».
- وقال[1] مُجاهد: إذا كَثُرَت الخَدَمُ كَثُرَت الشَّياطين.
- وقال[2] لُقمان لابنه: لا تَأْمَنَنَّ امرأَةً على سِرٍّ، ولا تَطَأْ خادِماً تُريدها للخِدمة.
- ووصفَ[2] بعضُهم عَبْداً، فقال: يأكُلُ فارِهاً، ويعملُ كارِهاً، ويُبغض قوماً، ويحبُّ نَوماً.
- وقيل لبعضِهم: أَلَكَ غُلامٌ؟ فقال[3]: [من المتقارب]

ومَــالــي غُــلامٌ فــأَدعــو بِــهِ ... سِــوى مَــن أَبُــوهُ أَخــو عَمَّتــي

- وقال[4] أَكْثَم: الحُرُّ حُرٌّ وإن مَسَّهُ الضُّرُّ، والعَبْدُ عَبْدٌ وإِن أَلْبَسْتَهُ الدُّرَّ.
- ودعا[5] بعضُ أَهل الكوفة إِخوانَه وله جاريةٌ، فقَصَّرت فيما يَنبغي لهم من الخِدمة، فقال: [من الطويل]

إذا لـم يكُـنْ فـي مَنْزِلِ المَرْءِ حُرَّةٌ ... رَأَى خَلَـلاً فيمـا تَـوَلّـى الـوَلائِـدُ
فـلا يَتَّخِـذْ مِنْهُـنَّ حُـرٌّ قَعيـدَةً ... فَهُـنَّ لَعَمْـرُ اللهِ بِئْـسَ القَعـائِـدُ

- وكان[6] لرجلٍ غُلامٌ من أَكسلِ النّاس، فأَرسله يوماً يَشتري له عِنَباً وتيناً،

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٥٤٥).
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٥٤٦).
(٣) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٣/ ٥٤٧).
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٥٤٧).
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٥٤٨).
(٦) ربيع الأبرار (٣/ ٥٥٠).

فأَبطأَ عليه حتَّى عِيلَ صَبْرُهُ ، ثم جاءَ بأَحدِهما ، فضَربَه ، وقال : يَنبغي لكَ إذا استقضيتُك حاجةً أَن تَقضي حاجتين ؛ فمرضَ الرَّجل ، فأَمر الغُلامَ أَن يأتِيَهُ بطبيبٍ ، فغاب ثم جاءَ بالطَّبيبِ ومعه رجلٌ آخرُ ، فسأَله عنه فقال : أَما ضَرَبْتَني وأَمرتني أَن أَقضي حاجتين في حاجةٍ ؟ فجئتُك بالطَّبيب ، فإن شفاكَ الله تعالى ، وإلاَّ حَفَرَ لك هذا قَبْرَكَ ؛ فهذا طبيبٌ وهذا حَفّارٌ .

● وقيل[1] : كان عَمرو الأعجميّ يلي حُكم السِّنْد ، فكتبَ إلى موسى الهادي : إنَّ رجلاً من أَشرافِ أهل الهندِ ، من آل المُهَلَّب بن أَبي صُفرة ، اشترى غُلاماً أَسود ، فَرَبّاهُ وتَبَنّاهُ ، فلمّا كبرَ وشَبَّ اشتدَّ به هوى مَولاته ، فراودها عن نَفسها ، فأَجابته ، فدخل مولاهُ يوماً على غَفْلَةٍ منه من حيثُ لا يعلم ، فإذا هو على صَدْرِ مولاته ، فعَمد إليه فَجَبَّ ذَكَرَهُ ، وتَركه يَتَشَحَّطُ في دَمِه ، ثم أَدركَتْهُ عليه رِقَّةٌ ، ونَدِمَ على ذلك ، فعالجَه إلى أَنْ بَرِىءَ من عِلَّته ، فأَقام الغُلام بعدَها مُدَّةً يطلبُ أَن يأخذَ ثأرَهُ من مَولاه ، ويُدَبِّرَ عليه أَمراً يكونُ فيه شِفاءُ غَليله ؛ وكان لمولاه ابنان ، أحدُهما طِفلٌ والآخرُ يافِعٌ ، كأَنَّهما الشَّمس والقَمر ، فغاب الرَّجلُ يوماً عن منزله لبعضِ الأُمور ، فأَخذ الأَسودُ الصَّبيَّين فصعدَ بهما على ذُروةِ سطحٍ عالٍ ، فنصَبهما هناك ، وجعلَ يُعلِّلُهما بالمَطعم مرَّةً وباللَّعبِ أُخرى إلى أَنْ دخل مَولاه ، فرفع رأسه فرأَى ابنيه في شاهِقٍ مع الغُلام فقال : وَيلك ، عَرَّضْتَ ابنيَّ للموت ؛ قال : أَجل ، واللهِ الَّذي لا يَحلفُ العبدُ بأَعظمَ منه ، لَئِنْ لم تَجُبَّ ذَكَرَكَ مثلَ ما جَبَبْتَني لأَرمينَّ بهما ؛ فقال : اللهَ اللهَ يا ولدي في تَربيتي لك ؛ قال : دعْ هذا عنك ، فوالله ما هي إلاّ نَفْسي ، وإنّي لأَسمحُ بها في شربةِ ماءٍ ؛ فجعلَ يُكَرِّرُ عليه وَيَتَضَرَّعُ له ، وهو لا يقبلُ ذلك ؛ ويذهبُ الوالدُ يريدُ الصُّعودَ إليه ، فَيُدَلِّيهما من ذلك

(١) المحاسن والمساوئ (٢/ ٣٩٧) .

الشّاهقِ ، فقال أَبوهما : وَيلك ، فاصبرْ حتَّى أُخرجَ مُدْيَةً وأَفعلَ ما أَمرت ؛ ثم أَسرعَ وأَخذ مُدْيَةً فَجَبَّ نفسَه وهو يَراه ؛ فلمّا رأَى الأَسودُ ذلك رمى الصَّبيَّين من ذلك الشّاهقِ فتقطَّعا ، وقال : إِنَّ جَبَّكَ لنفسك ثأْري ، وقتلُ أَولادك زيادةٌ فيه ؛ فأُخذ الأَسودُ ، وكُتبَ بخبره لموسى الهادي ، فكَتبَ موسى لصاحبِ السِّند عمرو الأَعجمي بقَتل الغُلام ، وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قطُّ ، وأَمر أَن يُخْرَجَ من مَملكته كلُّ أَسود .

فما ترى أَردأَ من العبيد ، ولا أَقَلَّ خيراً منهم ؛ وأَكثرُهم رداءةً المُوَلَّدون ، لو أَحسنتَ إِلى أَحَدهم الدَّهْرَ كلَّه بكلّ ما تَصل يدُك إِليه أنكرَه ، كأَن لم يَرَ منكَ شيئاً ؛ وكلَّما أَحسنتَ إِليه تَمَرَّدَ ، وإِن أَسأَت إِليه خَضَعَ وذَلَّ ؛ وقد جرَّبْتُ أَنا ذلك كثيراً .

- وما أَحسنَ ما قيل[1] : [من الطويل]

إِذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ ... وإِن أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئيمَ تَمَرّدا

- وقيل : إِنَّ العبدَ إِذا شَبِعَ فَسَقَ ، وإِن جاعَ سَرَق .

- وكان جَدِّي لأُمِّي يقول : شَرُّ المالِ تَربيةُ العبيدِ ، والمولَّدون منهم أَلأَمُ من الزُّنوج وأَرْدَأُ ؛ لأَنَّ المُوَلَّد لا يَعرفُ له أَباً ، ورُبَّما يَعرفُ الزِّنْجِيُّ أَبويه ؛ ويقال في المُوَلَّد : بَغْلٌ ، لأَنَّه مُجَنَّسٌ ، والبَغْلُ تكونُ أُمُّه فَرَساً وأَبوهُ حِماراً ، وبالعكس ؛ فلا تثقْ بِمُوَلَّدٍ ، لأَنَّه قَلَّ أن يكونَ فيه خيرٌ ، وإِن كان فذاك نادرٌ ، والنّادرُ لا حُكْمَ له .

- وأَنا أَستغفرُ الله العظيم ، وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

---

(١) البيت للمتنبي في ديوانه (١/ ٢٨٨) .

البابُ التّاسع والخمسون

في أَخبار العرب الجاهليَّة وأَوابدهم ، وذكر غرائبَ من عَوائدهم ، وعجائبَ من أَكاذيبهم

• للعربِ[1] أَوابدُ وعَوائدُ كانوا يرَوْنَها [دِيْناً ، وضَلالاً يَعتقدونَه هُدىً] ؛ وقد دلَّ على بعضِها القرآنُ العظيمُ ، وأَكذبَ الله دَعاويهم فيها ؛ فمِن ذلك قولُه تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

قال أَهلُ اللُّغة : **البَحيرة** : ناقةٌ كانَت إذا نَتَجَتْ خَمسةَ أَبْطُنٍ ، وكان الأَخيرُ ذَكَراً ، بَحَروا أُذنَها ، أَي شَقُّوا أُذُنَها ، وامتَنعوا من ذَكاتِها ، ولا تُمْنَعُ من ماءٍ ولا مرعىً . وكان الرَّجلُ إذا أَعتقَ عَبْداً ، وقال : هو سائِبَةٌ ، فلا عَقْلَ بينَهما ولا مِيراث .

وأَمّا **الوَصيلَةُ** : ففي الغَنَمِ ، كانت الشّاةُ إذا وَلَدت أُنثى فهي لهم ، وإِن وَلَدَت ذَكَراً جَعلوه لآلهتِهم ، فإِن وَلَدت ذكراً وأُنثى قالوا : قد وَصَلَتْ أَخاها فلا يُذْبَحُ الذَّكَرُ لآلهتهم .

وَأَمّا **الحامي** : فالذَّكرُ من الإِبل ؛ كانت العربُ إذا نُتجَ من صُلب الفَحْل عشرةُ أَبطنٍ قالوا : حَمى ظهرَه ، فلا يُحملُ عليه ولا يُمنعُ من ماءٍ ولا مرعىً .

---

(١) عن التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٢٦) . وفي الأصول : كانوا يرونها فضلاً . وأثبت نص التذكرة . وانظر عن البحيرة والسائبة والحامي : سيرة ابن هشام (١/ ٨٩) ونثر الدر (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) ونشوة الطرب (٢/ ٧٩٥) وكتب التفسير والمحبر (٣٣٠) .

• وقال[1] تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠] .

فالخَمْرُ : ما خامَرَ العَقْلَ ، ومنه سُمِّيَتِ الخمرُ خَمْراً .

والْمَيسِرُ : القِمارُ .

والأَنصابُ : حِجارةٌ كانت لهم يَعبدُونها ، وهي الأَوثانُ ، واحِدُها [نِصابٌ ، وجمعُه] نُصُبٌ .

• **والأَزْلامُ** : سِهامٌ كانَت لهم ، مَكتوبٌ على بَعضها : أَمَرَني رَبِّي ، وعلى بعضِها : نَهاني رَبِّي ، فإِذا أَراد الرَّجُلُ سَفَراً أَو أَمْراً يهتمُّ به ، ضَرَبَ بتلك القِداح ، فإِذا خرجَ الأَمرُ مضىٰ لحاجَته ، وإِذا خرجَ النَّهْيُ لم يَمْضِ .

• ومن أَوابدهم : **وأْدُ البَنات**[2] : أَي دَفْنُهُنَّ أَحياء ؛ كانوا في الجاهليَّة إِذا رُزِقَ أَحدُهم أُنثى وَأَدَها ، وإِذا بُشِّر بها ضاقَ صَدْرُهُ ، وكَظُمَ وَجْهُه ؛ وهو قولُه تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل : ٥٨] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء : ٣١] . وقد قيل : إِنَّهم كانوا يَقتلونهنَّ خوفَ العارِ .

• وبمكَّة[2] جبلٌ يقالُ له : أَبو دلامة ، كانت قريشٌ تَئِدُ فيه البَنات .

• وقيل[2] : إِنَّ صَعصعةَ جَدَّ الفرزدق كان يَشتري البنات ويَفْديهنَّ من القَتْل ، كلُّ بنْتٍ بناقتين عَشْراوَين وجَمَلٍ .

• وفاخَر[2] الفرزدقُ رجلاً عند بعضِ خُلفاء بني أُميَّة ، فقال : أَنا ابنُ مُحيي الموتى ؛ فأَنكرَ الرَّجلُ ذلك ، فقال : إِنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٢٧) ونثر الدر (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٦) ونشوة الطرب (٢/ ٧٩٧) .

(٢) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣) .

وأَمّا الرّفادة في الحجِّ :

• فكانت[1] خَرْجاً تُخرجُه قريشٌ في كُلِّ مَوْسمٍ من أَموالها إِلى قُصَيٍّ ، فيصنعُ به طعاماً للحاجِّ ، فيأكلُه مَن لم يكن له سَعَةٌ ولا زادٌ .

• وذلك أَنَّ قُصَيّاً فَرَضَهُ على قُريش ، فقال لهم حينَ أَمرهم به : يا معشرَ قُريش ، إِنَّكم جيرانُ الله ، وأَهلُ بيتِهِ ، وأَهلُ الحرم ؛ وإِنَّ الحُجّاج ضُيوفُ الله ، وزوّارُ بيته ، وهم أَحَقُّ الضَّيفِ بالكرامَةِ ، فاجْعلوا لهم طَعاماً وشَراباً أَيّام الحجِّ حتَّى يَصدُروا عنكم ؛ ففَعلوا ، وكانوا يُخرجون ذلك كلَّ عامٍ من أَموالهم ، فيدفَعونَه إِليهِ .

• وقيل : أَوَّلُ مَن أَقامَ الرِّفادةَ عبدُ المطَّلب ، وهو الَّذي حفرَ بئرَ زمزم ، وكانت مَطمومةً ، واستخرجَ منها الغَزالين[2] الذَّهب اللَّذين عليهما الدُّرُّ والجوهر ، وغير ذلك من الحليّ ، وسبعةُ أسيافٍ وخمسةُ دُروعٍ سَوابغ ، فضَرب من الأسياف بابَ الكعبة ، وجعلَ أَحد الغزالين الذَّهب صفائحَ الذَّهب ، وجعلَ الآخر في الكَعبة .

• واعلمْ[3] ـ وَفَّقني اللهُ وإِيَّاك ـ أَنَّه لم يُسْمَعْ بعُجْبٍ أَعظمَ من عُجْبِ مَعْبَد[4] بن زُرارة وعبد الله بن زياد التَّيْمِيّ وابن سِماك[5] الأَسدي ، الَّذين ضُربَ بهم المثلُ .

فأَمّا مَعْبَدُ بن زُرارة ، فقيل : إِنَّه مرَّت به امرأَةٌ ، فقالت له : يا عَبد الله ،

---

(١) عن السيرة لابن هشام (١/ ١٣٠) .

(٢) انظر حديث الغزالين في المنمق (٥٩) وما بعد .

(٣) عيون الأخبار (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) وأدب الدنيا والدين (٣٧٥ ـ ٣٧٦) ، ونثر الدر (٧/ ١٦٧) .

(٤) هو عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، في نثر الدر (٧/ ١٦٧) .

(٥) كذا في الأصول ، ولعله : أبو السَّمّال الأَسدي ، سمعان بن هبيرة ، عاش سبعاً وستين ومئة سنة . (المعمرون ٦٥) .

كيفَ الطّريقُ إلى مكان كذا ؟ فقال لها : يا هَنْتاه ، مِثْلي يَكونُ من عَبيد اللهِ ؟

وأَمّا عبدُ الله بن زياد التَّيْميّ ، فقيل : إِنَّه خطب النّاس بالبَصرة ، فأَحسنَ وأَوجزَ ، فنُوديَ من نَواحي المسجد : كَثَّرَ اللهُ فينا مِثْلَك ؛ فقال : لقد كَلَّفْتُمُ الله شَطَطاً !

وأَمّا ابنُ سِماك ، فإِنَّه أَضَلَّ راحِلَته ، فالْتَمَسَها فلم تُوجَد ، فقال : والله لَئِنْ لم يَرُدَّ راحِلَتي عليَّ لا صَلَّيْتُ له أَبداً ؛ فوُجدت وقد تعلَّقَ زِمامُها ببعضِ أَغصان الشَّجر ، فقيل له : قد رَدَّ الله عليكَ راحِلَتك ، فَصَلّ ؛ فقال : إِنَّما كانت يَميني يَميناً قَصْداً .

فانظرْ ـ رحِمَك الله ـ إلى هذا العُجْبِ كيف ذهبَ بهم حتَّى أَفْضى بهم إِلى الكُفر ، وصاروا حديثاً مُسْتَبْشَعاً ، ومَثَلاً بين العالَمين مُسْتَشْنَعاً ؛ نعوذُ بالله من الخِذلان المُؤَدّي إلى النّيران ؛ ولا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله العليِّ العَظيم .

- حُكي[1] عن الحجّاج بن يوسف الثَّقفي ، أَنَّه قيل له : كيفَ وَجَدْتَ مَنزلكَ بالعراق ؟ قال : خيرَ مَنْزلٍ لو أَن اللهَ أَظفَرني بأُناسٍ بلَّغني الأَملَ فيهم ، وأَعانني على الانتقامِ منهم ، فكنتُ أَتقرَّبُ إِليه بِدمائهم ؛ فقيل له : مَن هم ؟ فذكرَ هؤلاء الثَّلاثة ، وذَكر حديثَهم ، ولا مَحالةَ أَنَّها من مَحاسنِ الحجّاج ، وإِن قلَّت في جَنْبِ سَيّئاته ، والله تعالى أَعلم .

ذِكر أَديان العرب في الجاهليّة :

- كانت[2] النَّصرانيَّةُ في رَبيعة وغسّان وبعضِ قُضاعة .

وكانت اليَهوديَّة في حِمْيَر وبني كِنانة وبني الحارث بن كَعب وكِنْدَة .

---

(1) عيون الأخبار (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) وأدب الدنيا والدين (٣٧٥ ـ ٣٧٦) ، ونثر الدر (٧/ ١٦٧) .
(2) البدء والتاريخ (٣/ ٣١) .

وكانت **المَجُوسيَّة** في بني تَميم ، منهم زُرارة بن عدس وابنُه عليّ ، وكان تزوَّج ابنتَه ثم نَدِمَ ؛ ومنهم الأقرع بن حابِس ، كان مَجوسيّاً .

وكانت **الزَّندقةُ** في قُريش ، أَخذوها من الجزيرة .

وكانت بنو حَنيفة اتَّخذوا في الجاهليَّة صَنَماً من حَيْسٍ ، فعبدوه دهراً طويلاً ، ثم أَدركتهم مَجاعة فأكلوهُ .

● وقد قيل[1] : إنَّ أَوَّل مَن غَيَّرَ الحَنيفيَّة عمرو بن لُحَيّ ، أَبو خُزاعة ؛ وهو أَنَّه رَحَلَ إلى الشّام فرأى العماليقَ يَعبدونَ الأصنام ، فأَعجبه ذلك ، فقال : ما هذه الأَصنامُ الَّتي أَراكُم تَعبدُونها ؟ قالوا : هذه أَصنامٌ نَستمطرُها فتُمطِرنا ، ونَستنصرُها فتنصُرنا ؛ فقال : أَعطوني منها صَنَماً ، أَسير به إلى أَرض العرب فَيعبدونه ، فأَعطوه صَنَماً يقال له هُبَل ؛ فقدم به مَكَّة فنَصَبَهُ ، وأَمرَ النّاس بعِبادته وتَعظيمه .

● وقيل[2] : إنَّ أَوَّلَ ما كانت عِبادُة الأَحجار في بني إسماعيل؛ وسبَبُ ذلك : أَنَّه كان لا يظعنُ من مكَّة ظاعِنٌ منهم، حتَّى ضاقَت عليهم، وتفرَّقوا في البلاد ، وما من أَحدٍ إلاّ حملَ معه حَجَراً من حِجارة الحَرَمِ تَعظيماً للحَرم ، فحيثُما نَزلوا وضَعُوه وطافُو به كطَوافهم بالكَعبة، وأَفضَى ذلك بهم إلى أَن عَبدوا ما استَحسنُوه من الحِجارة ، ثم خَلفت الخُلُوف ، ونَسوا ما كانوا عليه من دينِ إسماعيل، فعبَدوا الأَوثانَ، وصاروا إلى ما كانَت عليه الأُمم قبلَهم من الضَّلال .

وكانت[3] قُريش قد اتَّخذَت صَنَماً على بئرٍ في جوفِ الكعبة، يُقال له **هُبَل** .

وأَيضاً[4] اتَّخذوا **إِسافاً ونائِلة** على مَوضعِ زَمزم، فينحرونَ عِندها ويَطعمون .

---

(١) عن سيرة ابن هشام (١/ ٧٦ ـ ٧٧) والأصنام (٨) .

(٢) عن سيرة ابن هشام (١/ ٧٧) والأصنام (٦ و٣٣) .

(٣) السيرة (١/ ٨٢) والأصنام (٩ و٢٧ و٢٩) .

(٤) السيرة (١/ ٨٢) والأصنام (٩ و٢٧ و٢٩) .

وكان[1] إسافُ ونائِلة رَجُلاً وامرأةً ، فوقعَ إِسافٌ على نائِلة في الكعبة ، فَمَسَخَهما الله حَجَرين .

واتَّخذ[2] أَهلُ كلِّ دارٍ في دارهم صَنَماً يَعبدونَه ، فإذا أَرادَ الرَّجلُ سَفَراً تمسَّح به حينَ يَركبُ ؛ وكان ذلك آخرُ ما يَصنع إذا توجَّه إِلى سَفره ؛ وإِذا قَدِمَ من سَفره بدأَ به قبل أَن يدخلَ إِلى أَهله .

- واتَّخذَت العربُ الأَصنامَ وانهَمكوا على عِبادتها :

وكانت[2] لِقُرِيش وبني كِنانة : **العُزَّى** ، وكان حُجّابها بني شَيْبان .

وكانت[3] **اللاّت** لِثقَيف بالطّائف ، وكان حُجّابها بني مُعَتِّب من ثَقيف .

وكانت[4] **مَناة** للأَوس والخَزرج ومن دانَ بدِينهم .

وأَمّا **يَغوث ويَعوق ونَسْر** ، فقيل[4] : إِنَّهم كانوا أَسماء أَولاد آدم عليه الصَّلاة والسّلام ، وكانوا أَتقياءَ عُبّاداً ، فمات أَحدُهم فحَزِنوا عليه حُزْناً شَديداً ، فجاءهم الشَّيطانُ وحَسَّن لهم أَن يُصَوِّروا صُورَته في قِبْلَة مَسجِدهم لِيَذْكُروه إذا نَظروه ، فكرهوا ذلك ، فقال : اجْعَلوه في مُؤَخَّر المسجدِ ؛ ففَعلوا وصَوَّرَهُ من صُفْرٍ ورَصاص ؛ ثم ماتَ آخر ، ففَعلوا ذلك إِلى أَن ماتوا كلُّهم ، فَصَوَّرَهم هناك ، وأَقام مَن بَعدهم على ذلك إِلى أَن تركوا الدِّينَ ، وحَسَّنَ لهم الشَّيطان عِبادة شيءٍ غير الله ، فقالوا له : مَن نَعبدُ ؟ قال : آلهتكُم المصوَّرة في مُصَلاّكُم ؛ فَعبدوها إِلى أَن بَعَثَ الله نُوحاً عليه الصَّلاة والسَّلام ،

---

(١) السيرة (١/ ٨٢) والأصنام (٩ و٢٧ و٢٩) .
السيرة (١/ ٨٣) والأصنام (١٧ ـ ١٨ و٢٢) .
(٢) السيرة (١/ ٨٣) والأصنام (١٧ ـ ١٨ و٢٢) .
(٣) السيرة (١/ ٨٥) والأصنام (١٣) .
(٤) الأصنام (٥١) .

فَنَهاهم عن عِبادتها ، فقالوا كما أَخبرَ الله عنهم : ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح : ٢٣] الآية .

ولمّا عَمَّ الطُّوفان الأَرضَ طَمَّها ، وعلا عليها التُّرابُ زَماناً طويلاً ، فأَخرجها الشَّيطانُ لِمُشْركي العَرب فَعَبدوها .

• وذكر[١] الواحديُّ في « الوسيط » أَنَّ هذه أَسماء قومٍ صالحين كانوا بين آدم ونُوح عليهما الصَّلاة والسَّلام ، فَسَوَّلَ الشَّيطانُ لقَومهم بعد مَوتهم أَن يُصَوِّروا صُوَرَهُم ، ليكونَ أَنشطَ وأَشْوَقَ لِلعبادةِ كُلَّما رأَوْهم ، فَفَعلوا . ثم نشأَ بعدَهم قومٌ جُهّال بالأَحوال ، فَحَسَّنَ لهم عِبادَتها ؛ وأَنَّ مَن سَبقهم من قَومهم عَبدوها فسَّمَوْها بأَسمائِهم .

وقال الواقِديُّ : كان **وَدٌّ** على صُورة رجلٍ ، **وسُواع** على صُورة امرأَة ، **ويَغوث** على صورة أَسَدٍ ، **ويَعوق** على صُورة فَرَس ، **ونَسْر** على صورة نَسْر ؛ والله تعالى أَعلم أَيّ ذلك كان .

ذكر أَوابدهم :

• **الرَّتَم**[٢] : شَجَرٌ معروفٌ ، كانت العَربُ إِذا خرجَ أَحدُكم إِلى سَفَرٍ ، عَمَدَ إِلى شَجرةٍ منه فَعقد غُصناً منها ، فإِذا عادَ من سَفره ووجدَه قد انحلَّ قال : قد خانَتني امرأَتي ، وإِن وجدَه على حالَته قال : لم تَخُنِّي .

البَلِيَّة[٣] : ناقةٌ كانَت العربُ إِذا مات واحدٌ منهم عَقَلوا ناقَته عند قَبره ، وسَدُّوا عَينيها حتَّى تَموت ؛ يَزعمون أَنَّه إِذا بُعِثَ من قَبره رَكِبَها .

---

(١) لم أقف على الخبر في الوسيط للواحدي .

(٢) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٤) ونثر الدر (٦/ ٣٥٦) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٤) .

(٣) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٤) ونثر الدر (٦/ ٣٥٥) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٨) .

التَّعْمِيَةُ والتَّفْقِئَة[1] : كان الرَّجلُ إذا بلَغَت إِبِلُهُ أَلفاً قلعَ عَيْنَ الفَحل ؛ يقولون : إنَّ ذلكَ يدفعُ عَنها العَين ، فإذا ازدادَتْ على الألفِ فَقَأَ عينَه الأُخرى .

العُرّ[2] : داءٌ يُصيبُ الإبل ، شِبْهُ الجَرَبِ ، كانوا يَكْوون السَّليمةَ ، ويَزعمونَ أَنَّ ذلكَ يُبرِىءُ ذا العُرِّ .

ضَرْبُ الثَّور عن البَقَرِ[2] : كانَت البَقَرُ إذا امتنَعت عن الشُّرْبِ ضَربوا الثَّور ؛ يَزعمونَ أَنَّ الجنَّ يَركبونَ الثِّيرانَ ، فيصدُّون البَقَرَ عن الشُّرب .

الهامة[3] : كانوا يَزعمون أَنَّ الإنسان إذا قُتِلَ ولم يُؤْخَذْ بثأْرِه ، يَخرجُ من رأسِه طائرٌ يُسَمَّى الهامَة ، وهو كالبُومَة ، فلا يزالُ يَصيحُ على قَبره : اسقوني ، إلى أَن يُؤْخَذَ بثأْرِهِ .

• وكان للعرب مَذاهبُ في الجاهليَّة في النَّفْس ، وتَنازُعٌ في كَيْفيّاتها ، فمنهم مَن زَعَمَ أَنَّ النَّفْسَ هي الدَّم ، وأَنَّ الرُّوحَ الهَواءُ الَّذي في باطِنِ جسمِ الإنسان الَّذي منه نَفَسُهُ .

وقالوا : إنَّ المَيِّتَ لا يُوجد فيه الدَّمُ ، وإنَّما يُوجد في الحياة مع الحرارةِ والرُّطوبة ، لأَنَّ كُلَّ حيٍّ فيه حرارةٌ ورُطوبةٌ ، فإذا مَات ذهبت حرارتُه وحَلَّ به اليَبَسُ والبُرودة .

وطائفةٌ منهم يَزعمونَ أَنَّ النَّفْسَ طائرٌ ، يَنْشَط من جِسْمِ الإِنسانِ إذا مات أَو قُتل ، ولا يَزال مُتَصَوَّراً في صُورة الطّائر يَصرخُ على قَبره مُستوحِشاً له ، وفي ذلك يقول بعضُهم[4] : [من الخفيف]

---

(١) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٤) ونثر الدر (٦/ ٣٥٦) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٣) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٥) ونثر الدر (٦/ ٣٥٧) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٥) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٦) ونثر الدر (٦/ ٣٦٣) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٨) .
(٤) البيت لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه (٣٣٩) (ضمن دراسات في الأدب العربي لغرونباوم) .

سُلِّطَ المَوْتُ وَالمَنُونُ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ في صَدَى المَقابِرِ هامُ

ثم جاء الإِسلامُ ، والعربُ تَرى صِحَّة أَمر الهام ، حتَّى قال النَّبيُّ ﷺ « لا عَدوى ولا طِيَرَةَ ولا صَفَرَ ولا هام » .

وزَعموا[1] أَنَّ هذا الطَّائر يكونُ صَغيراً ، ويَكبر حتَّى يصيرَ كَضَرْبٍ من البُوم ، ويَتوحَّشُ ويَصرخُ ، ويُوجد في الدِّيار المُعَطَّلةِ والنَّواويس ومَصارع القتلى .

ويَزعمون[1] أَنَّ الهامَةَ لا تَزالُ عندَ وَلَدِ المَيِّتِ لِتَعلمَ ما يكونَ من خَبَرِهِ فَتُخبرَ المَيِّتَ .

والصَّفَر[1] : زَعموا أَنَّ الإِنسان إِذا جاعَ عضَّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ ، وهي حَيَّةٌ تكونُ في البَطن .

تثنية الضَّرْبَة[1] : زَعموا أَنَّ الجِنِّيَّة تموتُ في أَوَّلِ ضَربة ، فإِذا ثُنِّيت عاشَت .

الغِيلان والتَّغَوُّل للعَرب :

- في[2] الغِيلانِ والتَّغَوُّل أَخبارٌ وأَقاويلُ : يَزعمون أَنَّ الغُولَ يَتَغَوَّلُ لهم في الخَلواتِ في أَنواع الصُّوَرِ ، فَيُخاطبونَها وتُخاطبهم ؛ وزَعمت طائفةٌ من النّاس أَنَّ الغُولَ حَيوانٌ مَشؤُومٌ ، وأَنَّه خرجَ مُنْفَرداً لم يُستأْنَس وتَوَحَّش ، وطلبَ القِفار ، وهو يُشبهُ الإِنسانَ والبَهيمة ، وَيتراءى لبعضِ السُّفّار في أَوقات الخَلَوات وفي اللَّيلِ .
- **وحُكي** أَنَّ سيِّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه رآهُ في سَفَرِهِ إِلى الشام ، فضربَه بالسَّيف .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٦) ونثر الدر (٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٩) .
(٢) قارن الحيوان (٦/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢) .

• وقال الجاحظُ[1] : الغُول : كلُّ شيءٍ يَتَعَرَّض للسَّيّارة ، ويتلوَّنُ في ضُروبٍ من الصُّوَرِ والثّياب ، وفيه خلافٌ .

وقالوا : إنَّهُ ذَكَرٌ وأُنثى ، إلاّ أنَّ أكثرَ كلامِهم أنَّه أُنثى .

وأمّا **القُطربُ** في قولهم[2] : فهو نوعٌ من الأشخاص المُتَشَيْطِنَة ، يُعرفُ بهذا الاسم ، فيظهرُ في أَكناف اليَمن وصَعيد مصر في أعاليه ، وربَّما أنَّه يلحقُ الإنسانَ فينكحُه ، فيُدَوِّدُ دُبُرُهُ فيموتُ ؛ وربَّما نَزا على الإنسان وأَمسكَه ، فيقولُ أهلُ تلك النّواحي الَّتي ذكرناها : أَمنكوحٌ هو أَو مذعورٌ ؟ فإن كان قد نَكحه أَيِسُوا منه ، وإن كان قد ذُعِرَ سُكِّنَ رَوْعُهُ وشُجِّعَ قَلْبُهُ ؛ وإذا رآهُ الإنسانُ وقعَ مَغْشِيّاً عليه ؛ ومنهم مَن يظهرُ له فلا يكترثُ به لِشهامَتِهِ وثَبات قَلْبِهِ .

ذِكرُ الهواتِف :

• أمّا الهواتفُ : فقد كانَت كَثُرَت في العَرب ، وكان أَكثرُها أيّام وُلِدَ سيِّدُنا رسولُ الله ﷺ وإنَّ مِن حُكْمِ الهواتفِ أَن تَهتفَ بصوتٍ مَسموعٍ وجِسم غيرِ مَرْئِيٍّ .

• **ومن عَجيب ما حُكي من أَمر الهواتِفِ** : ما حكاهُ أَبو عمرو بن العلاء ، قال[3] : خَرَجْنا حُجّاجاً ، فصاحَبَنا رجلٌ ، وجعلَ يقولُ في طَريقه : [من الرجز]

يـالَيْـتَ شِعْـري هَـلْ بَغَـتْ عُلَيَّـهْ

فلمّا انْصَرَفْنا من مكّة قالَها في بعضِ الطّريق ، فأجابه صوتٌ في الظَّلام :

نَعَـــمْ نَعَـــمْ ونـــاكَهـــا حُجَيَّـــهْ   أَحْمَـــرُ ضَخْـــمٌ فـــي قَفـــاهُ كَيَّـــهْ

---

(١) الحيوان (٦/ ١٥٨) .

(٢) عجائب المخلوقات للقزويني (٢٣٧) وسماه الغدّار .

(٣) البصائر والذخائر (٤/ ٢٠٥) ومحاضرات الراغب (٢/ ٢٤١) ونثر الدر (٧/ ٢٤٥) .

فسكتَ الرَّجُل ، فلما صِرْنا إِلى البَصرة أَخْبَرنَا ذلك الرَّجلُ ، قال : دخلَ جِيراني يُسَلِّمونَ عَليَّ ، فإِذا فيهم رجلٌ أَحمرُ ضَخْمٌ في قَفاهُ كَيَّةٌ ، فقلتُ لأَهلي : من هذا ؟ قالت : رجلٌ كانَ أَلْطَفَ جِيرانِنا بنا ، فجزاهُ الله خَيْراً ؛ فسأَلتُها عن اسمِه ، فقالت : حُجَيَّة ؛ فقلتُ : الْحَقي بأَهْلِكِ .

وأَمّا بُكاءُ المقتول[1] : فكانَت النِّساءُ لا يَبكين المقتولَ حتَّى يُؤْخَذَ بثأره ، فإِذا أُخِذَ بِثأْرِهِ بَكَيْنَهُ .

وأَمّا رَمْيُ السِّنِّ[2] : فكانوا يَزعمونَ أَنَّ الغُلامَ إِذا ثَغَرَ ، فَرَمى سِنَّهُ في عَيْنِ الشَّمْس بِسَبّابتهِ وإِبْهامِهِ ، وقال : أَبْدليني بأَحْسَنَ مِنها ؛ فإِنَّه يَأْمَنُ على أَسنانهِ العوجَ والفَلَجَ .

وأَمّا خِضابُ النَّحْرِ[3] : فكانُوا إِذا أَرْسَلوا الخيلَ على الصَّيدِ ، فَسَبَقَ واحدٌ منها خَضَبوا صَدْرَهُ بِدَمِ الصَّيدِ علامةً .

وأَمّا نَصْبُ الرّاية[4] : فكانَتِ العَواهِرُ تَنصبُ الرّاياتِ على أَبوابِ بيوتِها لِتُعْرَفَ بِها .

وأَمّا جَزُّ النَّواصي[5] : فكانوا إِذا أَسَروا رَجُلاً ، ومَنُّوا عليه وأَطْلَقُوه ، جَزُّوا ناصِيَتَهُ .

وأَمّا الالتِفاتُ[6] : فكانوا يَزعمونَ أَنَّ من خرجَ في سَفَرٍ ، والتفتَ وراءَه لم يتمَّ سَفَرُه ؛ فإِن التفتَ تَطَيَّروا له .

---

(١) نثر الدر (٦/ ٣٦٠) .
(٢) نثر الدر (٦/ ٣٦١) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٧) .
(٣) نثر الدر (٦/ ٣٦٧) ونشوة الطرب (٢/ ٧٩٠) .
(٤) نثر الدر (٦/ ٣٦٧) ونشوة الطرب (٢/ ٧٩١) .
(٥) نثر الدر (٦/ ٣٧٠) ونشوة الطرب (٢/ ٧٩٢) .
(٦) نثر الدر (٦/ ٣٧١) ونشوة الطرب (٢/ ٧٩٥) .

وكانوا يَقولون[1] : مَن عُلِّقَ عليه **كَعْبُ الأَرنبِ** لم تُصِبْهُ عَيْنٌ ولا سِحْرٌ ، وذلكَ أَنَّ الجِنَّ تَهربُ من الأَرانبِ ، لأَنَّها تَحيضُ ، وليسَت من مَطايا الجِنِّ .

• ويَزعمون[2] أَنَّ المرأَةَ إِذا أَحَبَّت رجُلاً وأَحبَّها ، ثم لم يَشُقَّ عليها رِداءَهُ وتَشُقَّ عليه بُرْقُعَها فَسَدَ حُبُّهُما .

• ويَزعمونَ[3] أَنَّ الرَّجلَ إِذا قَدِمَ قريةً ، فخافَ وَباءَها ، فوقفَ على بابها قبل أَن يدخلَها ، ونَهَقَ كما تَنْهَقُ الحميرُ ، لم يُصِبْهُ وَباؤُها .

• ويَزعمونَ[4] أَنَّ الحُرقوصَ ، وهو دُوَيْبَّةٌ أَكبرُ من البُرغوثِ ، تدخلُ في فُروجِ الأَبكارِ فَتَفْتَضُّهُنَّ .

• ويَزعمون[5] أَنَّ الرَّجُلَ إِذا ضَلَّ ، فقلَبَ ثِيابَه اهْتَدى .

• وكانوا[6] يزعمونَ أَنَّ النّاقةَ إِذا نفَرَت ، وذُكِر اسمُ أُمِّها فإِنَّها تَسْكُنُ .

• وكانت[7] لهم خَرَزَةٌ ، يَزعمونَ أَنَّ العاشقَ إِذا حَكَّها وشَربَ ما يَخرجُ منها صَبَرَ ، وتُسَمَّى **السُّلوان** .

• **ونِكاحُ المَقْتِ**[8] : من سُنَّتِهم ، وهوَ أَنَّ الرَّجلَ إِذا مات قامَ وَلَدُهُ الأَكبرُ ،

---

(1) نثر الدر (٦/ ٣٥٨) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٧) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٦) وربيع الأبرار (٤/ ٣٥١) .

(2) نثر الدر (٦/ ٣٦١) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٧) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٧) .

(3) نثر الدر (٦/ ٣٦٣) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٨) .

(4) نثر الدر (٦/ ٣٦٩) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٨ و٤٢) ونشوة الطرب (٢/ ٧٨٩) .

(5) نثر الدر (٦/ ٣٧٠) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٨) .

(6) نثر الدر (٦/ ٣٧٧) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٨) .

(7) نثر الدر (٦/ ٣٧٧) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٩) .

(8) نثر الدر (٦/ ٣٧٦) والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٣٩) ونشوة الطرب (٢/ ٧٩٩) .

فأَلقى ثَوْبَه على امرأَةِ أَبيه ، فورِثَ نِكاحها ، فإِنْ لم يكنْ له بها حاجَةٌ زَوَّجَها لبعضِ إخوته بمهرٍ جَديدٍ ، فكانوا يَرِثُون النِّكاحَ كما يَرِثون المالَ .

ولهم حكاياتٌ عَجيبةُ وأَحوالٌ غريبةٌ ، والله تعالى أَعلمُ بالصَّوابِ ، وإليه المرجعُ والمآبُ ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد النَّبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آله وصحبه وسلَّم .

❊ ❊ ❊

البابُ السِّتُّون

في الكَهانة ، والقِيافة ، والزَّجْرِ ، والعَرافة ، والفَأْل ، والطِّيَرَة ، والفِراسة ، والنَّوم ، والرُّؤْية وما أَشبه ذلك

أَمّا الكَهانة :

● فكانَت[1] فاشِيَةً في الجاهليَّة حتَّى جاء الإسلام ، فلم يُسمعْ فيه بكاهِنٍ ، وكان ذلك من مُعجزاتِ النُّبُوَّةِ وآياتِها ؛ وللكَهَنَةِ أَخبارٌ .

● فمنهم[2] : **سَطيح** : وردَ عليه عبدُ المسيح وهو يُعالجُ الموتَ ، وأَخبره على ما يَزعمون بما جاءَ لأَجله ؛ وذلك أَنَّ الموبِذان رأَى إبلاً صِعاباً ، تَقودُ خيلاً عِراباً ، قد قطعَت دِجلَة وانتشرت في بلادها ؛ فلمّا أَصبحَ أَعلمَ كِسرى بذلك ، فتصبَّرَ كِسرى تَشَجُّعاً ، ثم رأَى أَن لا يَكتمَ ذلك عن وُزرائه ورؤساءِ مَملكته ، فلبسَ تاجَهُ وقعدَ على سَريره ، وجمعَ وُزراءَه ورُؤساء مَملكته ، فأَخبرهم بالخبرِ ، فبينَما هم كذلك إذ وردَ عليهم كتابٌ بخُمودِ النِّيران وارتِجاسِ الإيوان ، فازدادوا غَمّاً على غَمِّهم ؛ فكتبَ كِسرى كتاباً إلى النُّعمان بن المنذر : أَمَّا بعد : فَوَجِّهْ إِليَّ رجلاً عالماً بما أُريدُ أَن أَسأَله عنه ؛ قال : لِيُخْبِرْني الملِك ، فإِنْ كان عندي علمٌ منه وإلاّ أَخبرتُه بمَن يُعلمه به ؛

---

(١) عن التذكرة الحمدونية (٨/ ١٠) .

(٢) هواتف الجنان (١٧٩) (ضمن نوادر الرسائل) وفيه تخريج وافٍ ، وزد : التذكرة الحمدونية (٨/ ١٠) ومختصر تاريخ دمشق (١٥/ ٢٩٠) والمنتظم (٢/ ٢٥٠) وحياة الحيوان (١/ ٦٠٣) .

فأَخبره بما رآهُ الموبِذان ، فقال : عِلْمُ ذلك عند كاهِنٍ يسكنُ مَشارفَ الشّام ، يُقال له سَطيح ؛ قال : فأْتِهِ فاسأَلْه عمّا سأَلْتُك ، وائْتني بالجوابِ ؛ فركبَ عبدُ المسيح ، وتوجَّه إِلى سَطيح ، فوجده قد أَشرفَ على الضَّريح ، فسلَّم عليه ، وحيّاه ، ولم يُخبرْ عبدُ المسيح بما جاءَ بِسببه ، غير أَنَّه أَنشدَه شِعراً يذكرُ فيه أَنَّه جاء برسالةٍ من قِبَلِ ملكِ العَجم ، ولم يذكرْ له السَّبب ، فرفعَ رأسَه وقال : عبدُ المسيح ، على جَمَلٍ مُشيحٍ ، إِلى سَطيح ، بَعَثَكَ ملِك بني ساسان ، لارتجاسِ الإيوانِ ، وخُمود النِّيرانِ ، ورؤيا الموبذان ؛ رأَى إِبلاً صِعاباً ، تَقُودُ خيلاً عِراباً ، قطعَت الدِّجلة وانتشرت في بلادها ؛ يا عبدَ المسيح ، إِذا كَثُرَتِ التِّلاوَة ، وفاضَ وادي سَماوة ، وغاضَت بحُيرة ساوَة ، وخَمدَت نارُ فارس ، فليسَ الشّامُ لسَطيح شاماً ، ولا العَجَمُ لعبدِ المسيح مَقاماً ؛ يرتفعُ أَمْرُ العرب ، وأَظنُّ أَن وقتَ وِلادة محمَّد قد اقتربَ ، يملكُ منهم ملوكٌ ومِلِكات بعدد الشُّرفات ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ ؛ ثم قَضى سَطيحٌ مَكانه ، فثار عبدُ المسيح إِلى راحلته ، وعاد فأَخبر كسرى بذلك .

• وحُكي[1] ، أَنَّ ربيعة بن نَصْر اللَّخْميّ رأَىٰ مناماً هالَهُ ، فأَراد تفسيرَهُ ، فقال له أَهلُ مَملكته : ما يُفَسِّرُهُ لكَ إِلاّ شِقٌّ وسَطيحٌ ؛ فأَحضَرَهُما ، وقال لِسَطيح : إِنِّي رأَيتُ مناماً هالني ، فإِن عرفتَه فقد أَصَبْتَ تَفْسيره ؛ فقال : رأَيْتَ حُمَمَةً ، خَرَجَت من ظُلَمَة ، فَوَقَعَت بأَرض تُهَمَة ، فأَكلت منها كُلَّ ذات جُمجمة ؛ فقال له الملِك : ما أَخطأَت شيئاً ، ما تَفسيره ؟ قال : لَيَهْبِطَنَّ بأَرضِك الحَبَشُ ، وتَملكُ ما بينَ أَبْيَنَ إِلىٰ جُرَش ؛ فقال الملِكُ : إِنَّ هذا لَغائظٌ مُوجعٌ ، فَمتىٰ هو كائن ؟ أَفي زماني أَم بعدَه ؟ قال : بل بَعده بحينٍ ، أَكثرَ من سِتِّين أَو سَبعين ، تَمضِي من السِّنين ، ثم يُقْتلون بها أَجمعين ، ويَخرجون منها

---

(١) السيرة النبوية (١/ ١٦ ـ ١٨) وحياة الحيوان (١/ ٦٠٢) وعجائب المخلوقات (٢٠٤) .

هارِبين ؛ قال : ومَن ذا الَّذي يملكُ بعدَهم : قال : أَراه ذا يَزَن ، يخرجُ عليهم من عَدَن ، فما يتركُ منهم أَحداً باليَمن ؛ قال الملِك : فيدومُ ذلك أَم ينقطعُ ؟ قال : بل ينقطعُ ؛ قال : ومَن يَقطعُه ؟ قال نَبيٌّ زَكِيٌّ ، يأتيهِ الوَحْيُ من العَلِيِّ ؛ قال : ومِمَّن يكونُ هذا النَّبيُّ ؟ قال : مِن وَلَدِ غالب بن فِهْرِ بن مالِك بن النَّضْر ، يكونُ في قَومه المُلْكُ إِلىٰ آخرِ الدَّهر ؛ قال : وهل لِلدَّهر من آخِرٍ ؟ قال : نعم ، يومَ يُجْمَعُ فيه الأَوَّلونَ والآخِرون ، ويَسعدُ فيه المُحسنون ، ويشقىٰ المُسيئون ؛ قال : أَوَ حَقٌّ ما تُخبر ؟ قال : والشَّفَقِ ، والقَمَرِ إِذا اتَّسَقَ ، إِنَّ ما أَنبأتُك به لَحَقٌّ .

ثم دعا بِشِقٍّ ، فقال مثلَ ما قال سَطِيحٌ .

• ومن ذلك ما حُكيَ أَنَّ أُميَّةَ بن عبد شمسٍ دعا هاشمَ بن عبدِ مناف إِلىٰ المُفاخرة ، فقال له هاشِمٌ : أفاخِرُك علىٰ خمسين ناقةٍ سُودِ الحَدَق تُنْحَرُ بمكَّة ؛ فرضيَ أُمَيَّةُ بذكل وجعلا بينَهما الخُزاعيَّ الكاهِنَ حَكَماً ، فَخَبأا لهُ شيئاً وخرجا إِليه ، ومَعهما جماعةٌ من قَومهما ، فقالوا : قد خَبَأْنا لكَ خَبيئاً فإِن عَلِمْتَهُ تَحاكَمْنا إِليك ، وإِن لم تَعْلَمْهُ تحاكَمنا إِلىٰ غيرك ؛ فقال : لقد خَبَأْتُم لي كَيْتَ وكَيْتَ ؛ قالوا : صدقتَ ، احكمْ بينَ هاشِم بن عبدِ مناف وبينَ أُمَيَّة بن عبدِ شَمس ، أيُّهما أَشْرَفُ بَيْتاً ونَسَباً ؛ فقالَ : والقَمَرِ الباهِرِ ، والكوكَبِ الزَّاهِرِ ، والغَمامِ الماطِرِ ، وما بالجَوِّ من طائرٍ ، وما اهتَدىٰ بِعِلْمٍ مُسافِر ، لقد سَبَقَ هاشِمٌ أُمَيَّةَ إِلىٰ المآثِر ، ولأُمَيَّةٍ أَواخِرِ ؛ فأَخذ هاشمٌ الإِبل ، ونَحرها وأَطعَمها مَن حضَر ؛ وخرجَ أُمَيَّةُ إِلىٰ الشَّام ، وأقام بها عشرَ سنين .

ويُقال : إِنَّها أَوَّل عَداوةٍ وَقَعَت بين بني هاشِم وَبني أُمَيَّة .

• **وحُكي**[1] : أَنَّ هنداً بنت عُتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكِهِ بن المغيرة ،

---

(١) هواتف الجنان (١٩٧) وتاريخ دمشق (قسم النساء) (٤٤٠) والعقد الفريد (٨٦/٦) =

وكان الفاكِهُ من فِتيان قُريش ، وكان له بيتُ ضِيافةٍ خارجاً عن البُيوت ، تَغْشاهُ النّاسُ من غيرِ إِذْنٍ ؛ فَخلا البيتُ ذاتَ يوم ، واضطجعَ فيه هو وهندٌ ، ثم نهضَ لحاجةٍ ، فأَقبلَ رجلٌ مِمَّن كان يَغْشىٰ البيتَ فولَجَهُ ، فلمّا رأَىٰ هِنْداً رجعَ هارباً ، فلمّا نَظَرَهُ الفاكِهُ دخلَ عليها فضَربَها برجله ، وقال لها : مَن هذا الَّذي خرجَ من عِندك ؟ قالت : ما رأَيتُ أَحَداً قطُّ ، وما انْتَبَهْتُ حتَّىٰ أَنبهتَني ؛ قال : فارجعي إِلىٰ بيتِ أَبيك ؛ وتَكَلَّمَ النّاسُ فيها ، فقال أَبوها : يا بُنَيَّة ، إِنَّ النّاسَ قد أَكثروا فيكِ الكلامَ ، فإِن يَكُنِ الرَّجلُ صادقاً دسَسْتُ عليه من يَقتُله ، لِينقطعَ كلامُ النّاس ، وإِن يكُ كاذِباً حاكَمتُه إِلىٰ بعض كُهّان اليَمن . فقالت له : لا والله ، ما هو عليَّ بِصادقٍ . فقال له : يا فاكِهُ ، إِنَّك قد رَمَيْتَ ابنتي بأمرٍ عظيمٍ ، فحاكِمْني إِلىٰ بعضِ كُهّان اليمن ؛ فخرجَ الفاكِهُ في جماعةٍ من بني مَخزومٍ ، وخرجَ أَبوها في جَماعة من بني عبد مَناف ، ومعهم هِنْدٌ ونِسْوَةٌ ؛ فلمّا شارفوا البلادَ قالوا : غداً نَرِدُ علىٰ هذا الرَّجل ؛ فَتَغَيَّرَت حالةُ هِنْدٍ ، فقال لها أَبوها : إِنِّي أَرىٰ حالَكِ قد تغيَّرَ ، وما هذا إِلاَّ لِمَكروهٍ عندك ؛ فقالت : لا واللهِ ، ولكن أَعرفُ أَنَّكم تأتونَ بَشَراً يُخطِىءُ ويُصيبُ ، ولا آمَنُهُ أَن يَسِمَني مِيسماً يَكونُ عليَّ سُبَّةً . فقال لها : لا تَخْشَيْ فسوف أَختبِرُه ؛ فَصَفَرَ لِفَرسه حتَّىٰ أَدْلىٰ ، ثم أَدخلَ في إِحليلِه حَبَّةَ حِنْطَةٍ ، وربَطه ؛ فلمّا أَصبحوا قَدِموا علىٰ الرَّجلِ ، فأَكرمهم ، ونَحَرَ لهم ؛ فلمّا تَغَدَّوا قال له عُتبة : قد جِئْناك في أَمْرٍ ، وقد خَبَأْنا لك خَبيئَةً نَختبِرُك بها ؛ قال : خَبَأْتُم لي تَمَرَةً في كَمَرَةٍ ؛ قال : إِنِّي أُريدُ أَبْيَنَ من هذا ؛ قال : حَبّةُ بُرٍّ في إِحليلِ مُهْرٍ ؛ قال : فانظرْ في أَمر هؤلاء النِّسوة ؛ فجعلَ يأتي إِلىٰ كُلِّ واحدةٍ منهن ، ويضربُ بيدِه علىٰ كَتفها ، ويقولُ

= والأغاني (٩/ ٥٣) ونثر الدر (٦/ ٣٤٩) وسمط اللآلي (١/ ٥٤٠) وشرح نهج البلاغة (١/ ٣٣٦) والمنمق (١١٨) والتذكرة الحمدونية (٨/ ١٣) وتاريخ الخلفاء (٢٣٣) وصبح الأعشىٰ (١/ ٣٩٨) ومحاضرات الراغب (١/ ١٤٨) .

لها : انهَضي ؛ حتَّىٰ بلغَ هِنْداً فقال : انهضي غيرَ وسخاء ولا زانية ، وسَتلدين مَلِكاً اسمُه مُعاوية ؛ فنهضَ إِليها الفاكِهُ فأَخذَ بيدها ، فجذَبت يدَها من يَده ، وقالَت : إِليكَ عنِّي ، فوالله إِنِّي لأَحرصُ أَن يكونَ ذلك من غيرِكِ ؛ فتزوَّجَها أَبو سُفيان ، فولَدت منه أَمير المؤمنين مُعاوية رضي الله تعالىٰ عنه .

وأَمّا القيافة :

• فهي[1] علىٰ ضَربين : قِيافة البَشَر ، وقِيافة الأَثَر .

فأَمّا قِيافةُ البَشَرِ : فالاستدلالُ بصِفات أَعضاءِ الإِنسان ؛ وتختصُّ بقومٍ من العَرب ، ويقالُ لهم : بَنو مُدْلِج ، يُعْرَضُ علىٰ أَحدِهم مَولودٌ في عشرين نَفَراً ، فيُلْحِقُهُ بأَحَدِهِم .

• وحُكي[1] عن بعض أَبناءِ التُّجّار ، أَنَّه كان في بعضِ أَسفاره ، راكباً علىٰ بَعيره ، يَقودُه غلامٌ أَسودُ ، فَمرَّ بهذِهِ القبيلة ، فنظرَ إِليه واحدٌ منهم ، وقال : ما أَشْبَهَ الرَّاكبَ بالقائِد ؛ قال ولدُ التّاجر : فوقعَ في نَفسي من ذلك شيءٌ ؛ فلمّا رجعتُ إِلىٰ أُمِّي ذكرتُ لها القِصَّة ، فقالت : يا وَلدي ، إِنَّ أَباك كان شيخاً كبيراً ذا مالٍ ، وليس له وَلَدٌ ، فخَشِيتُ أَن يَفوتَنا ما لُه ، فَمَكَّنْتُ هذا الغلامَ من نَفْسي ، فحَمَلْتُ بكَ ، ولولا أَنَّ هذا شيءٌ ستَعلمُه غداً في الدّار الآخِرة لما أَعلمتُك به في الدُّنيا .

• وأَمّا[1] قِيافَةُ الأَثرِ : فالاستدلالُ بالأَقدامِ والحوافرِ والخِفاف ، وقد اختصَّ به قومٌ من العرب ، أَرضُهم ذاتُ رملٍ ، إِذا هربَ منهم هاربٌ أَو دخل عليهم سارقٌ تتبَّعوا آثارَ قَدمَيه حتَّىٰ يَظفروا به .

ومن العَجَب أَنَّهم يَعرفون قَدَمَ الشّابِّ من الشَّيخ ، والمرأَة من الرَّجل ،

---

(١) عجائب المخلوقات (٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

والبِكْرِ من الثَّيِّب ، والغَريب من المُستوطن .

• ويُذكر أَنَّ في قَطْيَة[1] وثغر البَرَلُّس[2] أَقواماً بهذه الصِّفَة .

• وقد وقعَت مِن قُريش حينَ خرجَ النَّبيُّ ﷺ وأَبو بكر إِلىٰ الغارِ ، علىٰ صَخْرٍ صَلْدٍ وأَحجارٍ صُمٍّ ، ولا طينَ ولا تُرابَ تَبينُ فيه الأَقدام ، فحجَبهم الله تعالىٰ عن نَبيِّه ﷺ بما كان من نَسيج العنكبوتِ ، وما لحقَ القائفَ من الحَيْرَة ، وقوله : إِلىٰ ههنا انتهت الأَقدام ؛ هذا ومعهم الجماعةُ من قُريش ، أَبصارُهم سَليمةٌ ، ولولا أَنَّ هناك لطيفةً لا يَتساوىٰ الإنسان فيها ، يعني في عِلمها ، لما استأْثرَ بِعلمِ ذلك طائفةً دون أخرىٰ .

وقيل : القيافةُ لبني مُدلج في أَحياء مُضَر .

• واختلفَ[3] رجلان من القافَةِ في أَمْرِ بَعيرٍ ، وهُما بين مكّة ومِنىٰ ، فقال أَحدُهما : هو جَمَلٌ ، وقال الآخر : هي ناقةٌ ؛ وقصَدا يَتبعانِ الأَثَرِ حتَّىٰ دَخلا شِعْبَ بني عامرٍ ، فإِذا بعيرٌ واقفٌ ، فقال أَحدُهما لصاحبه : أَهو ذا ؟ قال : نعم ؛ فَوجداه خُنْثىٰ ، فأَصابا جميعاً .

• ومنهم مَن كان يَخُطُّ في الأَرضِ ، ويقولُ فَيُوافقُ قولُه ما يأتي بعد .

• وقال[4] رجلٌ : شَرَدَتْ لي إِبلٌ ، فجئتُ إِلىٰ حَلْبسٍ [الأسدي] فسأَلتُه عنها ، فأَمرَ بِنْتَه أَن تَخُطَّ لي في الأَرضِ ، فَخَطَّت ، ثم قامت ، فضَحك حَلْبَسُ ثم قال : أَتدري قِيامها لأَيِّ شيءٍ ؟ قلتُ : لا ؛ قال : قد عَلِمَتْ أَنَّك تجدُ

---

(١) قطية : قرية في طريق مصر ، في وسط الرمل ، قرب الفرما . (معجم البلدان ٤/ ٣٧٨) .
(٢) البرلس : بليدة علىٰ شاطىء نيل مصر ، قرب البحر من جهة الإسكندرية . (معجم البلدان ١/ ٤٠٢) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٢١) ونثر الدر (٧/ ٢٣٥) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٨/ ٣٠) ونثر الدر (٧/ ٢٥٤) . واسم القائف في الأصول : خراش ! .

إبلَك وتتزوَّجُها ، فاسْتَحيَت ثم خرجَتْ ؛ فوجدتُ إبلي ثم تزوَّجتُها .

• وخرج[١] عمر بن عبد الله بن مَعْمَر ، ومعه مالك بن خِداش الخُزاعي غازِيَيْن ، فمرّا بامرأةٍ وهي تَخُطُّ للنّاسِ في الأَرض ، فضَحك منها مالكٌ هُزؤاً ، وقال : ما هذا ؟ فقالت : أَما والله لا تخرجُ من سِجِسْتان حتَّىٰ تَموت ، ويتزوَّج عُمر هذا زَوْجَتَك ؛ فكانَ كما ذكَرَت .

وأَمّا الزَّجْرُ والعَرافة :

• فأَحسنُه[٢] ما رُويَ أَنَّ كِسرىٰ أَبرويز بعثَ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ حين بُعِثَ زاجِراً ومُصَوِّراً ، فقال للزّاجِر : انظر ما تَرىٰ في طَريقك وعِنده ؛ وقال للمُصَوِّر : ائتني بِصُورته ؛ فلمّا عادا إِليه ، أَعطاه المُصَوِّرُ صُورته ﷺ فوضَعها كِسرىٰ علىٰ وِسادته ، ثم قال للزّاجر : ماذا رأَيتَ ؟ قال : ما رَأَيتُ ما أَزجرُ بهِ ، إِلاّ أَنَّه سيعلو أَمرُه عليكَ ، لأَنَّك وضعتَ صُورتَه علىٰ وِسادتك .

• وبعثَ[٣] صاحبُ الرُّوم إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ رسولاً ، وقال له : انظرْ إِليه ومِلْ إِلىٰ جانبه ، وانظرْ إِلىٰ ما بينَ كَتِفَيْهِ حَتَّىٰ تَرىٰ الخاتمَ والشّامة ؛ فقدمَ الرَّسول ، فرأَىٰ النَّبيَّ ﷺ علىٰ نَشَزٍ عالٍ ، واضِعاً قَدَميهِ في الماءِ ، وعن يَمينه عليٌّ رضي الله عنه ، فلمّا رآهُ رسولُ الله ﷺ قال له : « تَحَوَّل فانظرْ ما أُمِرْتَ به » فنظرَ الرَّسولُ ، فلمّا رجَع إِلىٰ صاحبِه أَخبرَه الخبرَ ، فقال : لَيَعْلُوَنَّ أَمْرُهُ ، ولَيملكَنَّ ما تحتَ قدميَّ : فتفاءل بالنَّشَزِ العُلُوَّ ، وبالماء الحياةَ .

• وقال[٤] المدائنيّ : وقعَ الطّاعونُ بمصرَ في وِلاية عبد العزيز بن مروان ،

---

(١) نثر الدر (٧/ ٢٥٥) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٤ ـ ١٥) ونثر الدر (٧/ ٢٣٤) ومحاضرات الراغب (١/ ١٤٦) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٢٠) ونثر الدر (٧/ ٢٣٣) .
(٤) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٨) .

حين أتاها ؛ فخرج هارباً ونزلَ بقريةٍ من قُرى الصَّعيد ، فقَدم عليه حينَ نَزلَها رسولٌ لعبد الملك بن مروان ، فقال لِلرَّسولِ : ما اسمُك ؟ قال : طالبُ بن مُدرك ؛ فقال : أَوّاه ، ما أَظنُّ أَنّي أَرجعُ إِلىٰ الفُسطاط ؛ فماتَ ولم يَرجعْ .

• وكانَت[1] نائلةُ بنتُ عمّار الكَلْبيّ تحتَ مُعاوية ، فقال لِفاخِتَة بنتِ قَرَظَة : اذهَبي فانْظُري إِليها ؛ فذهَبَت ونظَرَت ، فقالت : ما رأَيتُ مِثْلَها ، ولكنّي رأَيتُ تحتَ سُرَّتِها خالاً ، لَيُوضَعَنَّ معهُ رَأْسُ زَوْجِها في حِجْرِها ؛ فَطَلَّقها مُعاوية ، وتزوَّجها بعدَه رَجُلان حبيبُ بن مَسلمة والنُّعمان بن بَشير ؛ فقُتل أَحدُهما ، ووُضِع رأسُه في حِجْرها .

• وبينَما[2] مَروان بن محمّد جالس في إِيوانه ، يتفقَّدُ الأُمورَ ، إِذ تَصَدَّعَت زجاجةٌ من الإِيوان ، فوقَعت منها الشَّمس علىٰ مَنْكِبِ مَروان ، وكان هُناك عرّافٌ [يَسمعُ منه مروان كثيراً ، فقال : صَدْعُ الزُّجاجِ أَمرٌ منكرٌ ، علىٰ أَمير المؤمنين يكبرُ ،] فقامَ ، فَتَبِعَه ثَوبانُ مَولىٰ مَروان ، فسأَله ، فقال : صَدْعُ الزُّجاجِ صَدْعُ السُّلطان ، ستَذهب الشَّمسُ بِمُلْكِ مَروان ، بقومٍ من التُّرْكِ أَو خُراسان ، ذلك عِندي واضِحُ البُرهان ؛ فما مَضىٰ غير شَهرين حتَّىٰ مَضىٰ مُلْكُ مَروان .

• ورَوىٰ[3] المدائنيُّ أَنّ عليّاً رضي الله عنه ، بعثَ مَعْقِلاً[4] في ثلاثةِ آلافٍ ، لِيقيمَ بالرَّقَّة ، وذلك في وَقْعَةِ صِفِّين ، فسار حتَّىٰ نزلَ الحَديثة ، فبينَما هو ذاتَ يومٍ جالسٌ إِذ نظرَ إِلىٰ كَبْشَين يَنْتَطحان ، فجاءَ رَجُلان فأَخذَ كُلُّ واحدٍ منهما كَبْشاً فذَهبَ به ، فقال شَدّاد بن أَبي ربيعة الخَثْعَميّ الزّاجر : إِنَّكم لَتَنْصرِفونَ من وَجْهِكم هذا ، لا تَغلبون ولا تُغلبون ؛ أَما ترىٰ الكَبشين كيفَ انتطَحا حتَّىٰ

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٨) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ١٨) ومحاضرات الراغب (١/ ١٤٦) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٢١) ونثر الدر (٧/ ٣٣٥) ووقعة صفين (١٤٩) .
(٤) هو معقل بن قيس الرياحي .

حُجِزَ بينهما ، فتفرّقا ولا فَضْلَ لأَحدِهما علىٰ الآخَر .

• وحُكي[١] ، أَنَّ الإِسكندَر مَلَكَ بعضَ البلادِ ، فدخلَ فيها ، فوجدَ امرأَةً تنسجُ ثوباً ، فلمّا رأَته قالت له : أَيُّها الملِك ، قد أُعطيتَ مُلْكاً ذا طُولٍ وعَرْضٍ ؛ ثم دخلَ عليها بعد ذلك فقالت : سَتُعْزَلُ من المُلك ؛ قال : فغَضِبَ عند ذلك ، فقالت له : لا تَغضبْ ، فإِنَّك في المرَّةِ الأُولىٰ دخلتَ عليَّ والشّقَّةُ بيدي ، أُدير طُولَها وعَرضها ؛ ودخلتَ عليَّ الآن والشّقَّةُ في يَدي أُريد قَطْعَها ، لأَنِّي قد فَرَغْتُ من نَسْجِها ، فلا تَغْضَبْ ، فإِنَّ النُّفوسَ تعلمُ أَشياءَ بعلاماتٍ .

قال الرّاوي : فكانَ كذلك .

• وحُكي[٢] ، أَنَّ سَيْفَ بن ذي يَزَن لمّا استنجَد كسرىٰ علىٰ قتالِ الحَبَشَة ، بعثَ إِليه بجيشٍ عظيمٍ ، فخرج إِليهم مَلِكُ الحبشةِ وهو مَسروق بن أَبرهة في مئة أَلفٍ من الحبشة ، وكان بين عَينيه ياقوتةُ حمراءُ بعلاقةٍ من الذَّهب علىٰ تاجهِ ، تُضيءُ كالنُّور ، وهو علىٰ فيلٍ عظيمٍ ، قال : وكان في عسكر ذي يزن رجلٌ يُقال له وَهرز ، فتأَمَّل ذلك منه ثم قال لأَميره : اصبرْ لِننظرَ ما يكونُ من أَمره ؛ فقال : فتحوَّلَ مَسروقٌ من الفيل إِلىٰ جَمَلٍ ، فقال : اصبرْ ؛ فتحوَّل بعد ذلك إِلىٰ فَرَسٍ ثم إِلىٰ بَغْلٍ ثم إِلىٰ حِمارٍ ، وكأَنَّه أَنِفَ من مُقاتَلتهم علىٰ شيءٍ من ذلك إِلاّ علىٰ حِمار ، لما أَنَّه استَصغرهُم واستَحقرهم ، وتفرَّسَ ذلك الرَّجلُ فيه من الانتقال من أَعلىٰ إِلىٰ أَدنىٰ ، وقال : احملوا عليهم ، فإِنَّ مُلْكَهُم قد ذَهب ، فإِنَّه انتقلَ من كبيرٍ إِلىٰ صغيرٍ ؛ فحَملوا عليهم فكسَروهم وقُتل الملكُ .

• وحُكي[٣] ، أَنَّه كان عَرّافٌ من الطُّرُقِيِّن ببغدَاد يُخبرُ بما يُسأَلُ عنه ، فلم

---

(١) عجائب المخلوقات (٢٠٥) .

(٢) السيرة النبوية (١/ ٦٤) وعجائب المخلوقات (٢٠٥) .

(٣) عجائب المخلوقات (٢٠٦) .

يُخطىء ؛ فسأَله رجلٌ عن شخصٍ محبوسٍ هل يُطلق ؟ قال : نعمَ ، ويُخلعُ عليه ؛ قال : فقلتُ له : بأَيِّ شيءٍ عرفتَ ذلك ؟ فقال : إِنَّك لمّا سأَلتني التفتُّ يميناً وشمالاً ، فوجدتُ رَجلاً علىٰ ظَهره قِرْبَةُ ماءٍ ، ففرَّغها ثم حَملها علىٰ كتفِه ؛ فأَوَّلْتُ الماءَ بالمحبوسِ وتفريغَه بالانطلاقِ ، وَوَضْعَها علىٰ كَتفه بالخِلْعَة ؛ قال : وكان الأَمرُ كذلك .

وأَمّا الفَأْل :

- فقد[1] رُوي أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُحِبُّ الفَأْلَ الصّالحَ والاسمَ الحَسَنَ .
- ورُوي أَنَّه ﷺ لمّا نزلَ المدينَة علىٰ كُلثومٍ دعا غُلامين له : يا بشّار ويا سالم ؛ فقال ﷺ لأَبي بكر رضي الله تعالىٰ عنه : « أَبْشِرْ يا أَبا بكر ، فقد سَلِمَتْ لنا الدّار » .
- وقال[2] الأَصمعيُّ : سأَلتُ ابنَ عونٍ عن الفأل ، فقال : هو أَن يكونَ مَريضٌ فيسمَع : يا سالمُ ، أَو طالبُ حاجةٍ فيسمعَ : يا واجدُ ، وما أَشبهَ ذلك .

وأَمّا الطِّيَرَة :

- فقد كان ﷺ يُحِبُّ الفَأْلَ ويَكرهُ الطِّيَرَة .
- وقيل[3] : ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عندَ رسول الله ﷺ فقال : « مَن عَرَضَ له من هذه الطِّيَرَةِ شيءٌ ، فَلْيقلْ : اللّهمَّ لا طَيْرَ إلا طَيْرُكَ ، ولا خَيْرَ إِلاّ خَيْرُك ، ولا إِلَه غيرُك ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاّ باللهِ العليِّ العظيم » .
- وعنه[3] ﷺ أَنَّه قال : « ليس مِنّا مَن تَطَيَّرَ أَو تُطُيِّرَ له ، أَو تَكَهَّنَ أَو تُكُهِّنَ له » .

---

(١) ربيع الأبرار (٤/ ٣٣٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٤/ ٣٥٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٤/ ٣٣٢) .

• وعن[1] ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما ، رفعهُ : « مَن اقتبسَ عِلْماً من النُّجوم ، اقتبسَ شُعْبَةً من السِّحْرِ » .

• وعن[1] أَبي هُريرة رضي الله عنه ، رفعه : « مَن أَتىٰ كاهِناً فصَدَّقَه فيما يَقولُ ، أَو أَتىٰ امرأَتَه حائِضاً في دُبُرِها ، فقد بَرِيءَ مِمّا نَزَل علىٰ محمَّد » .

• وأَنشد المُبَرِّدُ[2] : [من البسيط]

لا يَعْلَمُ المَرْءُ لَيْلاً ما يُصَبِّحُهُ ... إلاّ كَواذِبَ ما يَجْري بِهِ الفَالُ

والفَألُ والزَّجْرُ والكُهّانُ كُلُّهُم ... مُضَلَّلونَ ودونَ الغَيْبِ أَقْفالُ

• وقال لَبيدٌ[3] : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما تَدْري الضَّوارِبُ بالحَصىٰ ... ولا زاجِراتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانِعُ

• وقال آخر[4] : [من الوافر]

تَعَلَّمْ أَنَّهُ لا طَيْرَ إلاّ ... علىٰ مُتَطَيِّرٍ وَهْو الثُّبُورُ

بَلىٰ شَيءٌ يُوافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ ... أَحايِيناً وَباطِلُهُ كَثيرُ

• وكانَت العربُ تَتطيَّرُ بأَشياءَ كثيرةٍ منها العُطاس ؛ وسببُ تَطَيُّرهم منه أَنَّ دابَّةً يُقال لها العاطوس كانوا يَكرهُونها .

وكانوا إِذا أَرادوا سَفَراً ، خَرجوا من الغَلَسِ ، والطَّيرُ في أَوكارها علىٰ الشَّجر ، فَيُطَيِّرونَها ، فإِن أَخَذَت يَميناً أَخذوا يَميناً ، وإِن أَخذت شِمالاً أَخذوا شِمالاً ؛ ومنه قولُ امرىءِ القَيس[5] : [من الطويل]

---

(1) ربيع الأبرار (٤/ ٣٣٥) .

(2) بلا نسبة في ربيع الأبرار (٤/ ٣٣٤) وكامل المبرد (١/ ٤١٩) .

(3) ديوانه (١٧٢) وربيع الأبرار (٤/ ٣٣٦) .

(4) هما لزِبّان بن سيّار الفزاري في ربيع الأبرار (٤/ ٣٤٠) .

(5) ديوانه (١٩) .

وَقَدْ أَغْتَدي والطَّيْرُ في وُكُناتِها بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِن عَلِ

• والعربُ أَعظمُ ما يَتطيَّرونَ منه الغُرابُ ؛ فالقَولُ فيه أَكثرُ من أَن يُطْلَبَ عليه شاهدٌ ؛ ويُسَمُّونَه حاتِماً ، لأَنه يحتُم عندهم بالفِراق ، ويُسَمُّونه الأعور ، علىٰ جِهة التَّطَيُّر إذ كانَ أصحَّ الطَّيْرِ بَصَراً ، وفيه يقولُ بعضُهم[1] : [من الطويل]

إذا ما غُرابُ البَيْنِ صاحَ فَقُلْ لهُ : تَرَفَّقْ رَماكَ اللهُ يا طَيْرُ بالبُعْدِ
لأَنْتَ علىٰ العُشّاقِ أَقْبَحُ مَنْظراً وَأَبْشَعُ في الأَبْصارِ مِن رُؤْيَةِ اللَّحْدِ
تَصِيحُ بِبَيْنٍ ثمّ تَعْثُرُ ماشِياً وَتَبْرُزُ في ثَوْبٍ من الحُزْنِ مُسْوَدِّ
مَتىٰ صِحْتَ صَحَّ البَيْنُ وانْقَطَعَ الرَّجا كَأَنَّكَ مِن يَوْمِ الفِراقِ علىٰ وَعْدِ

• وأَعرضَ بعضُهم عن الغُرابِ وتطيَّرَ بالإبل ، وسببُ ذلك أَنها تحملُ أَثقالَ مَن ارتحلَ . وفي ذلك قال بعضُهم مُفرداً وأجاد : [من الكامل]

زَعَموا بأَنَّ مَطِيَّهُمْ سَبَبُ النَّوىٰ والمُؤْذِناتُ بِفُرْقَةِ الأَحْبابِ

• وقالوا : مَن تَطَيَّرَ مِن شَيْءٍ وَقَعَ فيه .

• وحُكي[2] عن إبراهيم بن المهديّ قال : أَرسلَ إليَّ محمَّد بن زُبيدة في ليلةٍ من ليالي الصَّيف مُقْمِرَةٍ يقولُ : يا عَمُّ ، إنِّي مُشتاقٌ إليكَ فاحضرِ الآن عندَنا ، فجئتُه وقد بُسِطَ له علىٰ سَطح زُبيدة وعنده سُليمان بن أَبي جعفر وجاريتُه ضَعْفٌ ، فقال لها : غَنِّينا شيئاً ، فقد سُررتُ بِعُمومتي ، فَغَنَّت[3] : [من الطويل]

هُمُ قَتَلُوهُ كَيْ يَكونُوا مَكانَهُ كما فَعَلَتْ يَوْماً بِكِسْرىٰ مَرازِبُهْ

---

(١) الأبيات لابن سعيد الأندلسي في نفح الطيب (٢/ ٢٦٧) .
(٢) تاريخ الطبري (٨/ ٤٧٧) ومروج الذهب (٤/ ٢٦٦) والهفوات النادرة (١٠) ومختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٣١٠) وعجائب المخلوقات (٢٠٥) ونثر الدر (٧/ ٢٤٧) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٣) وتاريخ الخلفاء (٣٥٣) ومحاضرات الراغب (١/ ١٤٦) .
(٣) البيتان للوليد بن عقبة في الأغاني (٥/ ١٤٩) وكامل المبرد (٢/ ٩١٦) .

بَني هاشِمٍ كَيْفَ التَّواصُلُ بَيْنَنا وَعِنْدَ أخيهِ سَيْفُهُ وَنَجائِبُهْ

قال : فغضبَ وتَطَيَّرَ ، وقال لها : ما قِصَّتُكِ وَيْحَكِ ، انتبهي وغَنِّي ما يَسُرُّني ؛ فغنَّت تقول[1] : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْري كانَ أَكْثَرَ ناصِراً وأَكْثَرَ حَزماً مِنْكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

فقال لها : وَيْحك ، ما هذا الغِناءُ في هذه اللَّيلةِ ؟ غَنِّي غيرَهُ ؛ فغنَّت تقولُ : [من البسيط]

ما زالَ يَعْدو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمُ حتَّىٰ تَفانَوا وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَدّاءُ
أبكىٰ فِراقُهُمُ عَيْني فأَرَّقَها إنَّ التَّفَرُّقَ لِلمُشتاقِ بَكّاءُ

قال : فانتهرَها ، وقال لها : قُومي إلىٰ لَعنة اللهِ ؛ فقالت : واللهِ يا مَولايَ ، لم يَجْرِ علىٰ لِساني غيرُ هذا ، وما ظننتُ إلاّ أنَّك تُحِبُّه .

ثمَّ إنَّها قامَت من بين يَديه ، وكان بين يَديه قدحُ بِلَّورٍ ، وكان أَبوه يُحِبُّه ، فأَصابَه طَرَفُ رِدائِها فانكسرَ .

قال إبراهيم بن المهديِّ : فالتفتَ إليّ ، وقال : يا عَمِّي ، أَرىٰ أَنَّ هذا آخرُ أَمْرنا ؛ فقلتُ : كلاّ ، بل يُبقيكَ الله يا أَميرَ المؤمنين ويَسرُّك ؛ فسمعتُ هاتِفاً يقولُ : ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١] فقال لي : أَسمعَت ما سمعتُ يا عمّ ؟ فقلتُ : ما سمعتُ شيئاً ، وما هذا إلاّ تَوَهُّمٌ ؛ فإذا الصَّوت قد علا ، فقال : يا عمّ ، اذهبْ إلىٰ بَيتك ، فَمُحالٌ أَن يكونَ بعدَ هذا اجتماعٌ .

قال : فانصرفتُ من عِنده ، وكان هذا آخرَ عَهْدي بهِ .

● وخرج[2] أبو الشَّمقمق مع خالد بن يزيد بن مَزْيد وقد تَقَلَّد المَوْصِل ، فلمّا

---

(١) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه (١٤٣) .

(٢) طبقات ابن المعتز (١٢٩) ونثر الدر (٧/ ٢٤٢) والعمدة (١/ ١٥٩) ووفيات الأعيان (٦/ ٣٤١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٦) ومحاضرات الراغب (١/ ١٤٧) .

أَراد الدُّخول إِليها اندقَّ لِواؤُه في أَوَّلِ دَرْبٍ منها ، فتطيَّر لذلك ، فأَنشدَه أَبو الشَّمقمق يقولُ[1] : [من الكامل]

مـا كـانَ مُنْـدَقُّ اللِّـواءِ لِـرِيبَـةٍ تُخْشـىٰ وَلا أَمْـرٍ يَكـونُ مُبـدَّلا
لَكِـنَّ هـذا الـرُّمْـحَ ضَعَّـفَ مَتْنَـهُ صِغَـرُ الـوِلايَـةِ فـاسْتَقَـلَّ المَـوْصِـلا

فَسُرِّيَ عن خالدٍ ، وأَمر لأَبي الشَّمقمق بعشرةِ آلاف درهم .

● ودخلَ[2] الحجّاجُ الكوفةَ مُتوَجِّهاً إِلىٰ عبد الملك ، فصعَد المنبرَ ، فانكسرَ تحتَ قَدَمه ، فعلمَ أَنَّهم قد تطيَّروا له بذلك ، فالتفتَ إِلىٰ النّاس قبل أَن يَحمدَ الله تعالىٰ ، فقال : شاهَتِ الوُجوهُ ، وتَبَّتِ الأَيدي ، وبُؤْتُم بغضَبٍ من الله ؛ إِذا انكسرَ عُودُ جِذْعٍ ضَعيفٍ تحتَ قَدَمِ أَسَدٍ شَديدٍ تفاءلتُم بالشُّؤْمِ ، وإِنِّي علىٰ أَعداءِ الله تعالىٰ لأَنْكَدُ من الغُرابِ الأَبقعِ ، وأَشْأَمُ من يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ، وإِنِّي لأَعْجَبُ من لُوطٍ وقولِه : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود : ٨٠] فأَيُّ رُكْنٍ أَشَدُّ من الله تعالىٰ ؟ أَوَ ما علمتم ما أَنا عليه من التَّوَجُّه إِلىٰ أَمير المؤمنين ؟ وقد ولَّيْتُ عليكم أَخي محمّد بن يُوسف ، وأَمرتُه بِخِلافِ ما أَمَرَ به رَسولُ الله ﷺ مُعاذاً في أَهل اليَمن ، فإِنَّه أَمَرَهُ أَن يُحسَن إِلىٰ مُحسنِهم ويَتجاوزَ عن مُسيئهم ، وقد أَمرتُه أَن يُسيءَ إِلىٰ مُحسنِكم وأَن لا يَتجاوز عن مُسيئكم ، وأَنا أَعلمُ أَنَّكم تَقولون بَعدي : لا أَحسنَ اللهُ له الصَّحابة ، وأَنا مُعَجِّلٌ لكم الجوابَ : لا أَحسنَ الله عليكم الخِلافة ؛ أَقولُ قولي هذا واستغفرُ الله العظيم لي ولكم .

● وخـرجَ[3] بعـضُ مُلـوك الفُـرس إِلـىٰ الصَّيـد ، فـأَوَّلُ مَـن استقبَلـه أَعـورُ ، فضرَبه ، وأَمر بِحَبْسِهِ ، ثم ذهبَ للصَّيدِ فاصطادَ صَيْداً كثيراً ؛ فلمّا عاد

---

(١) ديوانه (١٤٧) .
(٢) التذكرة الحمدونية (٨/ ٢٨) وقارن بالعقد الفريد (٤/ ١١٩) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٨/ ٣٨) ومحاضرات الراغب (١/ ١٤٨) وقارن بنثر الدر (٧/ ٢٥٧) .

استَدعىٰ بالأَعور فأَمر له بمالٍ ، فقال : لا حاجةَ لي بهِ ، ولكن ائذَنْ لي في الكلام ؛ فقال : تكلَّم ؛ فقال : أَيُّها الملِك ، إِنَّك تَلَقَّيْتَني فضربتَني وحَبستَني ، وتلقَّيْتُك فَصِدْتَ وسَلِمْتَ ؛ فأَيُّنا أَشْأَمُ صَباحاً علىٰ صاحِبه ؟ فضحكَ منه ، وأَمر له بِصِلَةٍ .

وحُكي[1] أَيضاً أَنَّ صاحبَ قُرطبة أَصابه وَجَعٌ ، فأَمر بعضَ جَواريه أَن تُغَنِّيه ليلهوَ عن وَجعه فقالت : [من البسيط]

هـذي اللَّيـالـي عَلِمْنـا أَنْ سَتَطْـوينـا ... فَشَعْشِعيهـا بمـاءِ المُـزْنِ واسْقينـا

قال : فتطيَّر من ذلك ، وأَمَرها بالانصراف ، ولم يقمْ بعد ذلك غيرَ خَمسة أَيّام وماتَ .

• وحُكي[2] ، أَنَّ نُور الدّين محموداً وهُمام الدّين [مودوداً] رَكبا في يوم عيدٍ وخَرجا للتَّفرُّج ، فتَجاولا في الكَلام ثم قال محمودٌ : يا مَن دَرىٰ ، هل نَعيشُ إلىٰ مثل هذا اليوم ؟ فقال له هُمام الدّين : قُل : هل نَعيش إلىٰ آخر هذا الشَّهر ؟ فإِنَّ العام كثير ؛ قال : فأَجرىٰ الله علىٰ مَنطقهما ما كان مُقَدَّراً في الأَزَل ، فماتَ أَحدُهما قبلَ تمام الشَّهر ، وماتَ الآخر قبلَ تَمام العامِ .

وأمّا الفِراسة :

• قد قال الله تَعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] .

• وقال رسولُ الله ﷺ « اتَّقوا فِراسة المؤمن ؛ فإِنَّه ينظرُ بِنُور الله » .

• وقال[3] عليٌّ رضي الله تعالىٰ عنه : ما أَضمرَ أَحدٌ شيئاً إلاّ ظهرَ في فَلَتاتِ لِسانه وصَفحات وَجهه .

---

(١) وفيات الأعيان (٥/ ٢٤) . وصاحب قرطبة هو المعتضد . والبيت فيه بلا نسبة .
(٢) عيون الروضتين (١/ ٣٩٤) . والخبر فيه بعكسه .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٧٧) .

• وقيل[1] : أَشارَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما علىٰ عليٍّ رضي الله تعالىٰ عنه بشيءٍ ، فلم يَعملْ بهِ ، ثم نَدم ، فقال : يَرحمُ الله ابنَ عبّاسٍ ، كأَنَّما ينظرُ إلىٰ الغَيْبِ من سِتْرٍ رقيقٍ .

• وحَكىٰ[2] أبو سعيد الخرّاز ، أَنَّه كانَ في الحَرَمِ فقيرٌ ليس عليه إلاَّ ما يسترُ عَوْرَتَهُ ، فَأَنِفَتْ نَفْسي منه ، فتفرَّسَ ذلك منّي ، فقرأ ﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] فَنَدِمْتُ واستغفرتُ الله في قَلبي ، فتفرَّس ذلك أيضاً فقرأَ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورىٰ : ٢٥] .

• وحُكي[3] عن الشّافعيِّ ومحمَّد بن الحسن ، أَنَّهما رَأَيا رجلاً ، فقال أَحدُهما : إِنَّه نجارٌ ؛ وقال الآخر : إِنَّه حدّادٌ ؛ فسأَلاه عن صَنعته ، فقال : كُنتُ حدّاداً ، وأَنا الآن نَجّارٌ .

• وحُكي[4] أَنَّ شخصاً من أهل القُرآن سأَل بعض العُلماءِ مسأَلَةً ، فقال له : اجلسْ ، فإِنِّي أَشمُّ من كَلامك رائحةَ الكُفر ؛ فاتَّفقَ بعد ذلك أَنَّه سافرَ السَّائلُ ، فوصلَ إلىٰ القُسطنطينيَّة ، فدخلَ في دين النَّصرانيَّة .

قال مَن رَآهُ : ولقد رأَيته مُتَّكِئاً علىٰ دِكَّةٍ ، وبيده مِروحةٌ يُرَوِّحُ بها عليه ؛ فقلتُ : السَّلام عليكمُ يا فُلان ؛ فسلَّم عليَّ ، وتَعارفنا ، ثم قلتُ له بعد ذلك : هل القُرآن باقٍ علىٰ حاله أَم لا ؟ فقال له : لا أَذكرُ منه إِلاّ آيَةً واحدةً ،

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٤٧٧) .
(٢) عجائب المخلوقات (٢٠٣) وقارن بما ورد عن أبي الخير التيناتي الأَقطع في مختصر تاريخ دمشق (٢٨/ ٢٦٨) .
(٣) عجائب المخلوقات (٢٠٣) .
(٤) أورد ابن خلكان (٧/ ٧٨) وعنه الدَّميري (١/ ٥٠٣) في ترجمة يوسف بن أيوب بن وهرة الهمذاني أنه كان في مجلس علم بالنّظامية إذ قام إليه فقيه يُعرف بابن السّقّاء وسأله عن مسألة . وقارن بما ورد في مختصر تاريخ دمشق (٤/ ٣٤٦) و(١٥/ ٢٩٦) والأغاني (٦/ ١١٣) ومجالس ثعلب (١/ ٢٥) من تنصُّر الصَّلت بن العاصي بن وابصة المخزومي .

وهي قولُه تعالىٰ : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر : ٢] . قال : فبكيتُ عليه وتركتُه وانصرفتُ .

● وكان[١] الحسنُ بن السَّقَّاء من مَوالي بني سُلَيمْ ، ولم يكنْ في الأَرض أَحْزَرَ منه ؛ كان يَنظرُ إِلىٰ السَّفينةِ فيحزرُ ما فيها ، فلا يُخطىءُ ، وكان حَزْرُهُ للمَكْيولِ والمَوْزون والمَعدود سواءً ؛ كان يَقولُ : في هذه الرُّمّانة كذا وكذا حَبَّةً ، وَزِنَتُها كذا وكذا ، ويأخذُ العُودَ الآسَ فيقولُ : فيه كذا وكذا ورقةً فلا يُخطىءُ .

● وقالوا[٢] : إِذا رأَيتَ الرَّجل يَخرجُ بالغَداة ، ويقولُ لشيءٍ : ما عندَ الله خيرٌ وأَبقىٰ ؛ فاعلمْ أَنَّ في جِواره وَليمةً ، ولم يُدْعَ إِليها .

وإِذا رأَيتَ قَوماً يخرجونَ من عندِ قاضٍ وهم يقولون : ﴿ مَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ [يوسف : ٨١] فاعلمْ أَنَّ شهادَتهم لم تُقبل .

وإِذا قيلَ للمتزوِّج صَبيحة البِناء علىٰ أهله : كيفَ ما قَدِمْتَ عليه ؟ فقال : الصَّلاحُ خيرٌ مِن كلِّ شيءٍ ؛ فاعلمْ أَنَّ امرأَته قَبيحة .

وإِذا رأَيتَ إنساناً يمشي ويلتفتُ ، فاعلمْ أَنَّه يريدُ أَن يُحْدِثَ .

وإِذا رأَيتَ فَقيراً يعدو ويُهَرْوِلُ ؛ فاعلمْ أَنّه في حاجَةِ غَنِيٍّ .

وإِذا رأَيتَ رجلاً خارجاً من عند الوالي وهو يَقولُ : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] فاعلمْ أَنَّه صُفِع .

● ويُقال[٣] : عَيْنُ المرءِ عُنوانُ قَلْبِه .

● وكانوا[٤] يَقولون : عِظَمُ الجَبين يَدُلُّ علىٰ البَلَه ، وعَرْضُهُ يَدُلُّ علىٰ قِلَّةِ

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٤٧٦) .

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٤٧٨) .

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٤٨١) .

(٤) التذكرة الحمدونية (٨/ ٣٢) وربيع الأبرار (٢/ ٢٧٤) . وقد مضى هذا القول في الباب (٤٦) .

العَقل ، وصِغَرُه يَدُلُّ علىٰ لُطْفِ الحَرَكة ؛ وإذا وَقَعَ الحاجبُ علىٰ العين دَلَّ علىٰ الحَسَدِ ؛ والعينُ المُتَوَسِّطَةُ في حَجْمِها دليلُ الفِطْنة ، وحُسْن الخُلُق والمُروءة ؛ والَّتي يطولُ تَحديقُها تدلَّ علىٰ [القِحَة والحُمق ، والتي يَكْثُرُ طَرْفُها تدلُّ علىٰ خِفّة وطَيْشٍ ؛ والشَّعر على الأُذُن يدلُّ علىٰ جَودةِ] السَّمْعِ ؛ والأُذن الكبيرةُ المُنتصبة تدلُّ علىٰ حُمْقٍ وهَذَيان .

• وكانت[1] الفُرْسُ تَقولُ : إذا فَشا الموتُ في [الخنازيرِ دَلَّ على عُمومِ العافيةِ في النّاس ، وإذا فَشا في] الوُحوشِ دَلَّ علىٰ ضِيْقَةٍ ، وإذا فَشا في الفأرِ دَلَّ علىٰ الخِصْبِ ، وإذا نَعَقَ غُرابٌ فَجاوبتهُ دَجاجةٌ عُمِّر الخرابُ ، وإذا قَوَّقَت دَجاجةٌ فَجاوَبها غُرابُ خَرِبَ العَمارُ .

• واللهُ أَعلم بكلِّ شيءٍ ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٦] ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وأَمّا النَّوم والسَّهَر وما جاء فيهما :

• فقد[2] رُوي عن ابن عبّاس رضي الله تعالىٰ عنهما ، عن الرَّسول ﷺ أَنَّه قال : « أَشْرافُ أُمَّتي حَمَلَةُ القُرآن وأَصْحابُ اللَّيل » .

• ورُوي[3] أَنَّ أُمَّ سُليمان بن داود عليهما الصَّلاة والسّلام قالت : يا بُنَيَّ ، لا تُكْثِرِ النَّوْمَ باللَّيلِ ، فإنَّ صاحبَ النَّوْمِ يَجيءُ يومَ القيامةِ مُفْلِساً .

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٣٢) وربيع الأبرار (٤/ ٣٦٠) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣١) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣١) .

• وكان[1] زَمعة بن صالح يُصَلِّي ليلاً طويلاً ، فإذا أَسْحَرَ نادى أَهلَه : [من الرجز]

يـا أَيُّهـا الـرَّكْـبُ المُعَـرِّسُـونـا   أَكُـلَّ هـذا اللَّيْـلِ تَـرْقُـدونـا

فَيتواثَبون بين باكٍ وداعٍ ومُتَضَرِّعٍ ، فإذا أَصبح نادى : عِنْدَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرى .

• وأَنشدوا[2] : [من السريع]

يـا أَيُّهـا الـرّاقِـدُ كَـمْ تَـرْقُـدُ   قُـمْ يـا حَبيبـي قـد دَنـا المَـوْعِـدُ
وَخُـذْ مِـنَ اللَّيْـلِ وَسـاعـاتِـهِ   حَظّـاً إذا مـا هَجَـعَ الـرُّقَّـدُ
مَـنْ نـامَ حتَّـى يَنْقَضِـي لَيْلُـهُ   لـم يَبْلُـغِ المَنْـزِلَ لَـوْ يَجْهَـدُ
قُـلْ لِـذَوي الأَلْبـابِ أَهْـلِ التُّقـى   قَنْطَـرَةُ الحَشْـرِ لَكُـمْ مَـوْعِـدُ

• وقيل[3]: إِنَّ نَوْمَةَ الضُّحى تُورثُ الفَمَ الخَلوفَ، ونَوْمَةُ العَصرِ تُورِثُ الجُنون.

• وأَنشدَ بعضُهم[4] : [من الطويل]

أَلا إِنَّ نَوْماتِ الضُّحى تُورِثُ الفَتى   خَبـالاً وَنَـوْمـاتُ العَصيـرِ جُنـونـا

• وعن[5] العبّاس بن عبد المُطَّلب ، أَنَّه مَرَّ يوماً بابنِه وهو نائمٌ نَوْمَةَ الضُّحى ، فَوَكَزَهُ بِرِجْله ، وقال له : قُمْ ، لا أَنامَ اللهُ عَيْنَك ، أَتنامُ في ساعةٍ يَقْسِمُ الله تعالى فيها الرِّزْقَ بين العِباد ؟ أَوَ ما سمعتَ ما قالَت العربُ : إِنَّها مَكْسَلَةٌ ، مَهْزَلَةٌ ، مَنْساةٌ للحاجَة ؟

• والنَّومَ[5] على ثلاثةِ أَنواعٍ : نَوْمَةُ الخُرْق ، ونَوْمَةُ الخُلُقِ ، ونَوْمَةُ الحُمْقِ ؛

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣١) .
(٢) مضت الأبيات في الباب الأول من الكتاب .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٢) .
(٤) البيت بلا نسبة في ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٢) .
(٥) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٣) وانظر التذكرة الحمدونية (١/ ٤١٢ ـ ٤١٣)

فنومة الخُرْقِ : نَوْمَةُ الضُّحى ؛ ونَومةُ الخُلُق : هي الَّتي أمر النَّبيُّ ﷺ بها أُمَّتَه ، فقال : « قِيلوا ، فإنَّ الشَّياطينَ لا تَقيلُ » ؛ ونَومةُ الحُمْقِ : النَّومةُ بعدَ العَصر ، لا يَنامُها إلاّ سَكران أَو مَجنون .

● وكان[1] هشامُ بن عبد الملك يقولُ لِوَلده : لا تَصْطَبحوا ، فإنَّه شُؤْمٌ وَنَكَدٌ .

● وقال[2] الثَّوريُّ لِطبيبٍ : دُلَّني على شيءٍ إذا أَردتُ النَّوم جاءني ؛ فقال : ادهَنْ رأسَك ، وأَكثِرْ من ذلك ، واتَّقِ الله .

● وكان[2] طاووسُ يقولُ : لأَن تَختلفَ السِّياطُ على ظَهري ، أَحَبُّ إِليّ من أَن أَنام يومَ الجُمعة والإِمامُ يَخطبُ .

● وكان[3] شدّاد بن أَوس يَتَلَوّىٰ على فِراشه كالحَبَّة على المِقْلى ، ويقولُ : اللَّهمَّ ، إنَّ النّار مَنعتني النَّوم .

● وأَنشدوا في المعنى[4] : [من مجزوء الكامل]

غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدي ... يَوْماً فَفارَقَني السُّكُونْ
قُلْ لي فَأَوَّلُ لَيْلَتي ... في حُفْرَتي أَنَّى أَكُونْ

● ولأَبي دُلَف[5] : [من الطويل]

أَمالِكَتي رُدِّي عَلَيَّ رُقادِيا ... ونَوْمي فَقَدْ شَرَّدْتِهِ عَن وِسادِيا
أَما تَتَّقِينَ اللهَ في قَتْلِ عاشِقٍ ... أَمَتِّ الكَرَى عَنْهُ فأَحيا اللَّيالِيا

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٣) وانظر التذكرة الحمدونية (١/ ٤١٢ ـ ٤١٣) .
(٤) البيتان بلا نسبة في الفوائد والأخبار (٣٨) ومختصر تاريخ دمشق (٧/ ١١٤) وبغية الطلب (٦/ ٢٥٤٣) وربيع الأبرار (٥/ ٣٣٣) .
(٥) له في ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٤) .

• وأَنشد أَبو غانم الثَّقفي[1] : [من الطويل]

رَقَـدْتُ رُقَـاد الهِيْـمِ حتَّـى لَـوْ أَنَّنـي يَكُــونُ رُقــادي مَغْنَمــاً لَغَنِيْــتُ

فقيل : لمن هذا ؟ فقال : لِرَقّادٍ من رُقّادِ العَرب .

• وقيل[2] : إِنَّ نَوْمَ عَبُّودٍ يُضْرَبُ به المَثَلُ ، وكان عَبُّودُ هذا عَبْداً أَسودَ ؛ قيل : إِنَّه نامَ أُسبوعاً ، وقيل : إِنَّه تَماوتَ على أَهله ، وقال : اندبوني لأَعلمَ كيفَ تَندبوني إِذا أَنا مِتُّ ؛ فَسُجِّيَ ونامَ ونُدِبَ ، فإِذا هو قد مات .

وأَمّا الرُّؤْيا :

• فقد قيلَ فيها أَقاويل ، وهو أَنَّهم قالوا : إِنَّ النَّومَ هو اجتماعُ الدَّم وانحدارُه إِلى الكبدِ ؛ ومنهم مَن رأَى أَنَّ ذلك هو سُكونُ النَّفْس وهُدوءُ الرُّوح ؛ ومنهم مَن زعَم : أَنَّ ما يَجده الإِنسانُ في نَومِهِ من الخواطرِ ، إِنَّما هو من الأَطعمةِ والأَغذية والطَّبائع .

وذهبَ جُمهورُ الأَطبّاء إِلى أَنَّ الأَحلام من الأَخلاط ، وأَنَّ ذلك بقدرِ مِزاج كلِّ واحدٍ منها وقُوَّته ؛ فالَّذي يغلبُ عليه الصَّفراءُ يرى بُحوراً وعُيوناً ومياهاً كثيرةً ، ويَرى أَنَّه يَسبحُ ويَصيدُ سَمَكاً ؛ ومَن غَلبت على مِزاجه السَّوداءُ رأَى في مَنامه أَجْداثاً وأَمواتاً مُكَفَّنين بِسَوادٍ ، وبُكاءً وأَشياءَ مُفْزِعَة ؛ ومَن غَلَبَ على مِزاجه الدَّمُ رأَى الحُمرة والرَّياحين وأَنواعَ الملاهي والثِّيابَ المُصَبَّغَة .

والذي يقعُ عليه التَّحقيقُ أَنَّ الرُّؤيا الصّالحة ـ كما قد جاءَ ـ جُزءٌ من ستِّين جزءاً منَ النُّبُوَّة ؛ وكان النَّبيُّ ﷺ أَوَّلَ ما بُدىء بِهِ الوَحْيِ الرُّؤيا الصّالحة ، فكان لا يَرى رُؤيا إِلاّ جاءت مثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٧) .

(٢) ثمار القلوب (١/ ٢٥٣) وربيع الأبرار (٥/ ٣٣٨) والفاخر (١٣٥) وكتب الأمثال .

والرُّؤْيا على ضَرْبين : فمنهم مَن يَرى رُؤيا ، فَتَجيءُ على حالها لا تَزيدُ ولا تنقصُ ؛ ومنهم مَن يرى الرُّؤيا في صُورةِ مَثَلٍ ضُرِبَ لَهُ .

• **فمن ذلك ما حُكي**[1] : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى في الجَنَّةِ عِذْقاً فقال : « لمن هذا ؟ » فقيل : لأَبي جَهْلِ بن هشام ؛ فقال : « ما لأَبي جَهْلٍ والجَنَّة ؟ والله لا يَدْخُلُها أَبداً » . قال : فأتاه عِكْرِمَةُ وَلده مُسْلِماً ، فتَأَوَّلَها به .

• وكذلك[2] تأَوَّلَ في قَتْل الحُسين ، لمّا رأَى أَنَّ كَلْباً أَبْقَعَ يَلغُ في دَمِهِ ، وكان ذلك بعدَ رُؤياه عليه الصَّلاة والسَّلام بخَمسين عاماً .

• وكذلكَ[3] حينَ قال لأَبي بكرٍ رضي الله تعالى عنه : « إِنِّي رأَيتُ كأَنِّي رَقيتُ أَنا وأَنت دَرَجاً في الجنَّة ، فسبقتُك بدرجتين ونِصف » . فقال أَبو بكر رضي الله تعالى عنه : يا رَسول الله ، أُقبضُ بعدَك بسَنتين ونصفٍ .

• ورأَت[4] عائشةُ رضي الله تعالى عنها سُقوطَ ثلاثةِ أَقمارٍ في حُجْرَتِها ، فأَوَّلها أَبُوها بِمَوْتِهِ ومَوت النَّبيِّ ﷺ وموت عُمر رضي الله تعالى عنهما ، ودَفْنِهِم في حُجْرَتها ، فكانَ الأَمرُ كذلك .

• **وحُكي** ، أَنَّ أُمَّ الشَّافعيِّ رضي الله تعالى عنه ، لمّا حَمَلَت به رأَت كأَنَّ المُشتري خرجَ من فَرْجِها ، وانقضَّ بمصر ، ثمَّ تَفرَّقَ في كلِّ بلدٍ قطعةً ؛ فأُوِّلَ بعالِمٍ يكونُ بمصرَ ، وينتشرُ عِلْمُهُ بأَكثرِ البلادِ ؛ فكانَ كذلك .

• **وحُكي أَيضاً**[5] : أَنَّ عاملاً أَتى عُمر رضي الله تعالى عنه ، فقال : رأَيتُ

---

(١) بهجة المجالس (٢/ ١٤٢) وأُسد الغابة (٤/ ٧٣) وحياة الحيوان (٢/ ٢٥٦) .
(٢) بهجة المجالس (٢/ ١٤٩) ونثر الدر (٧/ ٢٥٣) والحيوان (١/ ٣٧١) .
(٣) بهجة المجالس (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٤) .
(٤) بهجة المجالس (٢/ ١٤٣) ومحاضرات الراغب (١/ ١٥٠) وحياة الحيوان (٢/ ٢٥٦) .
(٥) بهجة المجالس (٢/ ١٤٥) ونثر الدر (٧/ ٢٤١) وحياة الحيوان (٢/ ٢٥٦) . والعامل هو حابس بن سعد الطائي .

الشَّمس والقَمر اقتتلا ؛ فقال له عُمر : معَ مَن كنتَ ؟ قال : مع القَمر ؛ فقال : معَ الآية المَمْحُوَّة ؟ والله لا وَليتَ لي عَمَلاً ؛ فعزَله ؛ ثم اتَّفق أَن عليّاً رضي الله تعالى عنه وَقع بينَه وبين مُعاوية ما وَقع ، فكان ذلك الرَّجُل مع مُعاوية .

وأَمّا مَن مَهَرَ في تَعبيرِ الرُّؤيا فهو ابنُ سيرين .

• جاءَه[1] رجلٌ فقال له : رَأَيتُ كأَنِّي أَسقي شجرةَ زيتونٍ زَيْتاً ؛ فاستوى جالساً ، فقال : ما الَّتي تَحْتَكَ ؟ قال : عِلْجَةٌ اشتَريتُها ـ وفي روايةٍ جارية ـ وأَنا أَطَؤُها ؛ فقال : أَخافُ أَن تكونَ أُمَّك ؛ فكشفَ عنها فوجدَها أُمَّه .

• وجاءَهُ رجلٌ فقال : رأَيتُ كَأَنَّ في يدي خاتماً ، أَختمُ به فُروجَ النِّساءِ وأَفواه الرِّجال ؛ فقال له : أَنت مُؤَذِّنٌ ، تُؤَذِّنُ باللَّيل ، فتمنعُ الرِّجال والنِّساءَ من الأَكلِ والوَطْءِ .

• وجاءه رجلٌ فقال : رأَيتُ جارةً لي قد ذُبِحَتْ في بيتٍ من دارها ؛ فقال : هي امرأَةٌ نُكِحَتْ في ذلك البيت ؛ وكانت امرأَةً لصديقِ ذلك الرَّجلِ ، فاغتمَّ لذلك ، ثم بلغَه أَنَّ الرَّجلَ قَدِمَ في تلك اللَّيلة وجامعَ زَوجتَه في ذلك البيت .

• وجاءه[2] رجلٌ معه جِرابٌ ، فقال له : رأَيتُ في النَّوم كأَنِّي أَسُدُّ الزِّقاق سدّاً وَثيقاً شديداً ؛ فقال له : أَنت رأَيتَ هذا ؟ قال : نعم ؛ فقال لمن حضره : يَنبغي أَن يكونَ هذا الرَّجلُ يخنقُ الصِّبيان ، وربَّما تكونُ في جِرابِه آلةُ الخَنْقِ ، فوثَّبوا عليه وفَتَّشوا الجِرابَ ، فوجدوا فيه أَوْتاراً وحلَقاً ؛ فَسَلَّموه إِلى السُّلطان .

• وجاءَتْهُ[3] امرأَةٌ وهو يتغدَّى ، فقالت له : رأَيتُ في النَّوم كأَنَّ القمرَ دخل في الثُّريّا ، ونادى مُنادٍ من خلفي : أَن ائتي ابنَ سيرين فقصّي عليه ؛ فتقلَّصت

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٥) ومحاضرات الراغب (١/ ١٥٠) .
(٢) نثر الدر (٧/ ٢٥٦) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٣٦٩) .

يَدُه ، وقال : وَيْلَكِ ، كيفَ رأَيتِ هذا ؟ فأَعادت عليه ، فقال لأُختِه : هذه تَزعمُ أَنّي أَموتُ لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ ؛ وأَمسكَ يدَه على فُؤاده ، وقامَ يَتَوَجَّعُ ، ومات بعد سبعة أَيَّام .

• وجاءه[1] رجلٌ فقال : رأَيتُ كأَنّي آخذُ البَيْضَ وأُقشرُه ، فآكُلُ بَياضَهُ ، وأُلقي صَفارَه ؛ فقال : إِن صَدَقَ مَنامُكَ ، فأَنت نَبّاشُ المَوْتَى ؛ فكان ذلك .

• وحُكي ، أَنَّ ابن سِيرين رأَى الجوزاءَ قد تقدَّمَت على الثُّريّا ، فجعل يُوصي ، وقال : يَموتُ الحسنُ ، وأَموتُ بعدَه ؛ وهو أَشرفُ منِّي ؛ فمات الحسنُ ومات بعده بمئة يومٍ .

• وحُكي ، أَنَّ رجلاً رأَى عيسى عليه السّلام ، فقال له : يا نَبِيَّ الله ، صَلْبُكَ حَقٌّ ؟ قال : نعم ؛ فَعَبَرَهُ على بَعضهم ، فقال : تُكذِّبُ رُؤياك بقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] ولكن هو عائدٌ على الرّائي ؛ فكان كذلك .

• وأَتى[2] دومة بنت مُعَتِّب آتٍ في المنام ، فقال لها : [من الرجز]

لَكِ البُشَيْرى بِوَلَدْ ... أَشْبَهَ شَيْءٍ بالأَسَدْ
إِذا الرِّجالُ في كَبَدْ ... تَغالبوا على بَلَدْ
كان له حَظُّ الأَسَدْ

فَوَلَدت المُختار بن أَبي عُبيد ، وذلك في عام الهجرة .

• وقال[3] رجلٌ لسعيد بن المُسَيِّب : رأَيتُ كَأَنِّي بُلْتُ خَلْفَ المقامِ أَربعَ مرّات ؛ قال : كَذبتَ ، لستَ صاحبَ هذه الرُّؤيا ؛ قال : هو عبدُ الملِك ؛ فقال : يَلي أَربعةٌ من صُلْبِهِ الخِلافَة .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤٧٥) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٦) ونثر الدر (٧/ ٢٤١) ومحاضرات الراغب (١/ ١٥١) .

• وقال[1] الشّافعيّ رضي الله تعالى عنه : رأَيتُ عليّاً رضي الله تعالى عنه في المنام ، فقال لي : ناوِلْني كُتُبَكَ ؛ فناوَلْتُهُ إيّاها ، فأَخذَها وبَدَّدَها ، فأَصبحتُ أَخا كآبَةٍ ، فأَتيتُ الجَعْدَ فأَخبرتُه ، فقال : سَيَرْفَعُ اللهُ شَأْنَكَ ، ويَنشرُ عِلْمَكَ .

• وعن[2] ابن مَسعود رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « مَن رآني في مَنامه فقد رآني حقّاً ، فإِنَّ الشَّيطانَ لا يَتَمَثَّلُ بي » .

• وجاء[1] رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال : رأَيْتُ كأَنَّ رأسي قد قُطع ، وأَنا أَنظرُ إليه ؛ فضَحك رسولُ الله ﷺ وقال : « بأَيِّ عَيْنٍ كُنْتَ تنظرُ إلى رأْسِكَ ؟ » فلم يلبثْ رسولُ الله ﷺ أَن تُوُفِّي ، وأَوَّلوا رأسَه بِنَبِيِّه ، ونَظره إليه باتِّباع سُنَّتِه .

• وقال[3] رجلٌ لعليِّ بن الحُسين : رأَيتُ كأَنِّي أَبولُ في يَدي ؛ فقال : تحتَكَ مَحْرَمٌ ؛ فنَظروا فإذا بينَه وبينَ امرأَته رَضاعٌ .

• وقال[3] أَبو حَنيفة رضي الله عنه : رأَيتُ كأَنِّي نبشتُ قَبْرَ رسولِ الله ﷺ فضَممتُ عِظامه إلى صَدْري ، فهالَني ذلك ، فسأَلتُ ابن سيرين ، فقال : ما يَنبغي لأَحدٍ من أَهل هذا الزَّمان أَن يرى هذه الرُّؤيا ؛ قلتُ : أَنا رأَيتُها . قال : إِن صَدَقَتْ رُؤياكَ لَتُحْيِيَنَّ سُنَّةَ نَبِيِّكَ ﷺ .

• وقال[4] النَّبيُّ ﷺ : « الرُّؤيا الصّالحة بِشارَةٌ للمؤمنِ ، بما له عندَ الله من الكرامة في الدُّنيا والآخِرة » .

• وعن ابن عُمر رضي الله عنهما قال : تَضَرَّعْتُ إلى ربِّي سَنَةً أَن يُريَني أَبي في النَّوم ، حتَّى رأَيتُه وهو يَمسحُ العَرَقَ عن جَبينه ، فسأَلته فقال : لولا رحمةُ الله

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٦) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٦) وبهجة المجالس (٢/ ١٤١) ومحاضرات الراغب (١/ ١٤٩) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٧) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٣٣٨) .

لَهَلَكَ أَبوكَ ؛ إِنَّه سأَلَني عن عِقالِ بعيرٍ للصَّدقة ؛ فسمع بذلك عُمر بن عبد العزيز ، فصاحَ وضَرب بيده على رأسِهِ ، وقال : فُعِلَ هذا بالتَّقيِّ الطّاهر ، فكيفَ بالمُتْرَفِ عُمر بن عبد العزيز ؟

رضي الله عنهم أَجمعين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

الباب الحادي والستون

في الحِيَلِ والخَدائعِ المُتَوَصَّل بها إلى بُلوغِ المَقاصد ، والتَّيَقُّظِ والتَّبَصُّرِ

• الحيلة[1] من فَوائد الآراءِ المُحكمة ، وهي حَسَنَةٌ ما لم يُسْتَبَحْ بها مَحظورٌ .

• وقد[1] سُئل بعضُ الفُقهاء عن الحِيَلِ في الفِقه ، فقال : عَلَّمَكم الله ذلك ، فإنَّه قال : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص : ٤٤] .

• وكان[2] ﷺ إذا أَراد غزوةً ، ورَّى بغَيرها ، وكان يقول : « الحَرْبُ خُدْعَةٌ » .

• ولمّا[3] أَراد عُمر رضي الله عنه قَتل الهُرمزان ، استسقى ماءً ، فأَتوه بقَدح فيه ماءٌ ، فأَمسكه في يَده واضطربَ ، فقال له عمر : لا بأس عليك حتَّى تشرَبه ؛ فأَلقى القدحَ مِن يَده ، فأمر عُمر بقَتله ؛ فقال : أَوَلَمْ تؤَمِّنِّي ؟ قال : كيف أَمَّنتك ؟ قال : قلتَ : لا بأس عليكَ حتَّى تشربه ، وقَولُك : لا بأس عليكَ ، أَمانٌ ؛ ولم أَشربه ؛ فقال عمر : قاتَلك الله ، أَخذتَ مِنِّي أَماناً ولم أَشعُر .

• وقيل[4] : كان دُهاةُ العربِ أَربعةً ، كلُّهم وُلدوا بالطّائف : مُعاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة بن شُعبة ، والسّائب بن الأَقرع .

---

(١) عن التذكرة الحمدونية (٨/ ٢١٢) ونثر الدر (٤/ ١٠٨) .

(٢) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠٠) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢١٢) .

(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠٠) وأخبار الأذكياء (١٠١) .

(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠١) وانظر المنتقى من طبقات أبي عروبة الحراني (٢٥) .

• وكان[١] يُقال : الحاجةُ تَفتحُ أبواب الحِيَل .

• وكان[٢] يُقال : ليسَ العاقلُ الَّذي يَحتالُ للأُمور إِذا وقعَ فيها ، بل العاقلُ الَّذي يحتالُ للأُمور أن لا يقعَ فيها .

• وقال[٣] الضَّحّاك بن مُزاحم لِنَصرانيٍّ : لو أَسلمتَ ؟ فقال : ما زِلتُ مُحِبّاً للإِسلام ، إلاّ أَنَّه يَمنعني منه حُبِّي للخَمر ؛ فقال : أَسلم واشربْها ؛ فلمّا أَسلم قال له : قد أَسلمتَ ، فإِن شَربْتَها حَدَدْناك ، وإِن ارتَددت قَتلناك ، فاخْتَرْ لنفسكَ ؛ فاختار الإِسلامَ ، وحَسُنَ إِسلامُه ؛ فأَخذه بالحيلة .

• وقيل[٤] : دُلِّيَت من السَّماء سِلسلةٌ في أَيّام داود عليه الصَّلاة والسَّلام ، عند الصَّخرة الَّتي في وسَط بيت المَقدس ، وكان النّاسُ يَتحاكمونَ عندَها ، فمَن مَدَّ يَده إِليها وهو صادقٌ نَالها ، ومَن كان كاذباً لم ينلْها ، إلىٰ أَن ظهرت فيهم الخَديعة ، فارتفعت ؛ وذلك أَنَّ رجلاً أَوْدَعَ رجلاً جَوهرةً ، فخَبّأَها في عُكّازةٍ له ، ثم إِنَّ صاحبَها طلَبها من الَّذي أَوْدَعها عنده فأَنكرها ، فتحاكما عند السِّلسلة ، فقال المُدَّعي : اللَّهمَّ ، إِن كنتُ صادقاً فَلْتَدْنُ مِنِّي السِّلسلةُ ؛ فدَنت منه فَمَسَّها ، فدفع المُدَّعَىٰ عليه العُكّازةَ للمُدَّعي وقال : اللَّهمَّ ، إِن كنتَ تَعلمُ أَنِّي رَددتُ الجوهرةَ إليه ، فَلْتَدْنُ مِنِّي السِّلسلة ، فَدنت منه فَمَسّها ، فقال النّاس : قد سَوَّت السِّلسلةُ بين الظّالم والمظلوم ؛ فارتفعَت بِشُؤْم الخديعة ؛ وأَوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه الصّلاة والسّلام : أَن احكمْ بينَ النّاس بالبَيِّنَة واليَمين . فبقيَ ذلك إلىٰ قيام السّاعة .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠١) .
(٢) لزياد بن أبيه في ربيع الأبرار (٢/ ٢٠٢) .
(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠٢) وأخبار الأذكياء (١١٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠٤) وزبدة كشف الممالك (٢١) .

• وكان[1] المُختارُ بن أبي عُبيد الثّقفيّ من دُهاة ثَقيف ، وثَقيفٌ دُهاة العربِ ، قيل : إنَّه وَجَّهَ إبراهيم بن الأَشتر إلىٰ حرب عُبيد الله بن زياد ، ثم دعا برجلٍ من خَواصِّه ، فدفعَ إليه حَماماً بيضاً وقال له : إن رأَيتَ الأَمر عليكم فأَرسلْها ؛ ثم قال للنّاس : إنِّي لأَجدُ في مُحكم الكتاب ، وفي اليَقين والصَّواب أَنَّ الله مُمِدُّكم بملائكةٍ غِضابٍ صِعابٍ ، تأتي في صُوَرِ الحَمام تحتَ السَّحابِ ؛ فلمّا كادَت الدّائرةُ تكونُ علىٰ أَصحابه ، عمدَ ذلك الرَّجل إلىٰ الحمامِ ، فأَرسلَها ، فتصايحَ النّاس : الملائكة الملائكة ، وحملوا ، فانتَصروا ، وقَتلوا ابنَ زياد .

• وعن[2] أبي هُريرة رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أَنَّه قال : « خرجَت امرأَتان ومَعهما صَبِيّان ، فعدا الذِّئبُ علىٰ صَبِيٍّ إحداهُما فأَكله ، فاختَصما في الصَّبيِّ الباقي إلىٰ داود عليه الصَّلاة والسَّلام ، فقال : كيفَ أَمْرُكُما ؟ فقصَّتا عليه القِصَّة ، فحكمَ بهِ للكُبرىٰ مِنهما ؛ فاختصما إلىٰ سُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام ، فقال : ائتوني بِسِكِّينٍ أَشُقُّ الغُلاَم نِصفَين ، لِكُلٍّ منهما نِصْفٌ : فقالَت الصُّغرىٰ : أَتَشُقُّهُ يا نَبيَّ الله ؟ قال : نَعم ؛ قالت : لا تَفعل ، ونَصيبي فيه للكُبرىٰ ؛ فقال : خُذيهِ ، فهو ابنُك ؛ وقَضىٰ بهِ لها » .

• وجاءَ[3] رجلٌ إلىٰ سُليمان بن داود عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقال : يا نَبيَّ الله ، إنَّ لي جِيراناً يَسرقون إوَزِّي ، فلا أَعرفُ السّارقَ ، فنادىٰ : الصَّلاةَ جامعةً ؛ ثم خطَبَهم ، وقال في خُطبته : وإنَّ أَحدكم لَيسرقُ إوَزَّ جارِه ، ثم يدخلُ المسجدَ والرِّيشُ علىٰ رأسِه ؛ فمسحَ الرَّجلُ رأسَه ، فقال سُليمان : خُذوه ، فهو صاحِبُكم .

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠٥) وكامل المبرد (٣/ ١١٩٤) .
(٢) أخبار الأذكياء (١٥) وصحيح البخاري (٤/ ١٣٦) وصحيح مسلم (٣/ ١٣٤٤ رقم ١٧٢٠) .
(٣) أخبار الأذكياء (١٦) وعيون الأخبار (١/ ٢٠١) وأخبار الظراف (١٣) .

• وخطبَ[1] المُغيرة بن شُعبة وفتىً من العرب امرأةً ، وكان شابّاً جميلاً ، فأَرسلت إليهما أن يحضرا عندها ؛ فحضَرا ، وجَلَسَت بحيثُ تَراهما وتَسمعُ كلامَهما ، فلمّا رأَىٰ المُغيرة ذلك الشّابَّ ، وعاينَ جَماله ، علمَ أَنَّها تُؤْثِرُهُ عليه ، فأَقبل علىٰ الفتىٰ وقال : لقد أُوتيتَ جمالاً ، فهل عندَك غيرُ هذا ؟ قال : نَعم ؛ فعدَّد محاسنَه ثم سكت ؛ فقال له المُغيرة : كيفَ حِسابُك مع أَهلك ؟ قال : ما يَخْفَىٰ عليَّ منهُ شيءٌ ، وإِنِّي لأَستدركُ منه أَدقَّ من الخَردل . فقال المُغيرة : لكنِّي أَضعُ البَدْرَةَ في بَيتي ، فَيُنفقها أَهلي علىٰ ما يُريدون ، فلا أَعلم بِنَفادها حتَّىٰ يَسألوني غيرَها . فقالت المرأَةُ : والله لَهذا الشَّيْخُ الَّذي لا يُحاسبني أَحبُّ إِليَّ من هذا الَّذي يُحصي عليَّ مِثقالَ الذَّرَّة ؛ فتزوَّجَت المغيرةَ .

• وبلغَ[2] عَضُدَ الدَّولة أَنَّ قوماً من الأَكراد يَقطعون الطَّريق ، ويُقيمون في جبالٍ شامخةٍ ، ولا يقدرُ عليهم ؛ فاستدعىٰ بعضَ التُّجّارِ ، ودَفع إليه بَغْلاً عليه صُندوقان ، فيهما حَلوىٰ مَسمومةٌ كثيرةُ الطّيب ، في ظُروفٍ فاخِرَةٍ ، ودنانيرُ وافرةٌ ، وأَمَرَه أَن يسيرَ مع القافلةِ ويُظهرَ أَنَّ هذه هديَّةٌ لأَحدِ نساءِ الأُمراء ؛ ففعلَ التّاجر ذلك ، وسار أَمامَ القافلةِ ، فنزلَ القومُ ، فأَخذوا الأَمتعةَ والأَموال ، وانفردَ أَحدُهم بالبَغل ، وصعدَ به الجبلَ ، فوجدَ به الحَلوىٰ ، فقبَّحَ علىٰ نَفسه أَن ينفردَ بها دون أَصحابه ، فاستدعاهم ، فأَكلوا علىٰ مَجاعة ، فماتوا عن آخِرهم ، وأَخذَ أَربابُ الأَموال أَموالهم .

• وأُتي[3] لبعضِ الوُلاةِ برَجلين ، قد اتُّهما بِسَرِقَةٍ ، فأَقامهما بين يديه ، ثم دَعا بشُربة ماءٍ ، فَجِيءَ له بِكُوزٍ ، فرماهُ بين يَديه ، فارتاعَ أَحدُهما وثَبَتَ

---

(١) أخبار الأذكياء (٣٢) .
(٢) أخبار الأذكياء (٥٥) .
(٣) أخبار الأذكياء (٦٤) وفيه : جيء إلىٰ ابن النَّسويّ برجلين .

الآخرُ ، فقال لِلَّذي ارتاعَ : اذهبْ إِلىٰ حالِ سَبيلك ؛ وقال للآخر : أَنتَ أَخَذْتَ المال ، وتلذَّذتَ به ؛ وتهدَّدهُ فأَقَرَّ ، فَسُئل عن ذلك ، فقال : إِنَّ اللِّصَّ قويُّ القلبِ ، والبَريءُ يَجزعُ ، ولو تَحَرَّكَ عُصفورٌ لفزعَ منه .

● وقصدَ[1] رجلٌ الحجَّ ، فاستودعَ إِنساناً مالاً ، فلمّا عادَ طلبهُ منه ، فجحَده المستودَعُ ، فأَخبر بذلك القاضي إِياساً ، فقال : أَعلِمَ بأَنَّكَ جِئْتَني ؟ قال : لا ؛ قال : فَعُدْ إِليَّ بعدَ يومين ؛ ثم إِنَّ القاضي إِياساً بعثَ إِلىٰ ذلك الرَّجل فأَحضره ، ثم قال له : اعلَمْ أَنَّه قد تحصَّلَت عندي أَموالٌ كثيرةٌ لأَيتام وغيرهم ، وودائعُ للنّاس ؛ وإِنِّي مسافرٌ سَفَراً بَعيداً ، وأُريدُ أَن أُودعَها عندَك ، لما بَلَغَني من دِيْنِك وتَحصين مَنْزِلك ؛ فقال : حُبّاً وكَرامةً ؛ قال : فاذهبْ وهَيِّءْ مَوضعاً للمالِ وقوماً يَحملونَه ؛ فذهبَ الرَّجلُ ، وجاء صاحبُ الوديعة ، فقال له القاضي إِياسٌ : امضِ إِلىٰ صاحِبك ، وقلْ له : ادفع إِليَّ مالي ، وإِلاّ شَكَوْتُك للقاضي إِياس ؛ فلمّا جاء وقال له ذلك ، دفعَ إِليه مالَه واعتذرَ إِليه ، فأَخذَه وأَتىٰ إِلىٰ القاضي إِياس وأَخبره ؛ ثم بعد ذلك أَتىٰ الرَّجلُ ومعه الحمّالون لِطَلَبِ الأَموال الَّتي ذكَرها له القاضي ، فقال له القاضي بعد أَن أَخَذ الرَّجلُ مَاله منه : بَدا لي تَرْكُ السَّفَر ، امضِ لِشَأنك ، لا أَكثرَ الله في النّاسِ مِثْلَكَ .

● ولمّا[2] أَرادَ شِيْرَوَيْه قتلَ أَبيه أَبَرْويز قال أَبَرْويز للدّاخل عليه ليقتلَه : إِنِّي لأَدُلُّك علىٰ شيءٍ فيه غِناك ، لوجوبِ حقّك عليَّ ؛ قال : وما هو ؟ قال : الصُّندوقُ الفُلانيُّ ؛ فلمّا قتلَه ذهبَ إِلىٰ شِيرويه وأَخبره الخبرَ ، فأَخرجَ الصُّندوقَ فإِذا فيه حُقٌّ فيه حَبٌّ ، ورُقعةٌ مكتوبٌ فيها : مَن تَناولَ منه حَبَّةً واحدةً افتضَّ عشرةَ أَبكارٍ ، وكان لِشيرويه غَرامٌ في الباهِ ، فتناولَ منه حَبَّةً ، فهلكَ من ساعَته ؛ فكان أَبرويزُ أَوَّلَ مقتولٍ أَخَذَ بثأرِه مِن قاتِله .

---

(١) أخبار الأذكياء (٦٨) والمحاسن والمساوىء (١/ ٢٢١) ومحاضرات الراغب (١/ ١٩٥) .

(٢) نثر الدر (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٦) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢١٣) والمحاسن والمساوىء (١/ ٢١٣) وحياة الحيوان (١/ ٦٠٤) .

• ولمّا[1] بايع الرَّشيدُ لأَولاده الثَّلاثة بولاية العهدِ ، تخلَّفَ رجلٌ مذكورٌ من الفُقهاء ، فقال له الرَّشيد : لِمَ تخلَّفْتَ ؟ فقال : عاقَني عائقٌ ؛ فقال : اقرؤوا عليه كتابَ البَيعة ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، هذه البيعةُ في عُنقي إلىٰ قيامِ السَّاعة ؛ فلم يَفهم الرَّشيدُ ما أَراد ، وظنَّ أَنَّه إلىٰ قيام السَّاعة يوم الحشرِ ؛ وما أَراد الرَّجلُ إلاّ قيامَهُ من المَجلس .

• وقال[2] المغيرةُ بن شُعبة : لم يخدعْني غيرُ غُلامٍ من بني الحارث بن كَعْب : فإنِّي ذَكرتُ امرأَةً منهم لأتزوَّجَها ، فقال : أَيُّها الأَميرُ ، لا خيرَ لك فيها ؛ فقلتُ : ولِمَ ؟ قال : رأَيتُ رجلاً يُقَبِّلُها ؛ فأَعرضْتُ عنها ، فتزوَّجَها الفتىٰ ، فَلُمْتُهُ ، وقلتُ : أَلم تُخبِرْني أَنَّك رأَيتَ رجلاً يُقَبِّلُها ؟ قال : نَعم ، رأَيت أَباها يُقَبِّلُها .

• وأَتىٰ[3] رجلٌ إلىٰ الأَحنف ، فَلَطَمَهُ ، فقال : ما حَمَلَك علىٰ هذا ؟ فقال : جُعِلَ لي جُعْلٌ علىٰ أَن أَلطمَ سَيِّدَ بني تَميم ؛ فقال : لستُ بِسَيِّدهم ، عليكَ بجاريةَ بن قُدامة ، فإنَّه سَيِّدُهم ، فمضىٰ إليه ، فَلَطَمه ، فَقُطِعَت يَدُه .

• وقال[4] الشَّعبيُّ : وَجَّهني عبدُ الملك إلىٰ مَلِكِ الرُّوم ، فقال لي : أَمِن أَهل بيتِ الخلافَةِ أَنتَ ؟ قلتُ : لا ، ولكنِّي رجلٌ من العرب ؛ فكتبَ إلىٰ عبدِ الملِك رُقعةً ودَفعها إليَّ ؛ فلمّا قرأَها عبدُ الملك قال لي : أَتدري

---

(١) نثر الدر (٤/ ١٠٨) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

(٢) نثر الدر (٤/ ١٠٩) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٢٣) وعيون الأخبار (٢/ ٢٠٠) وأخبار الأذكياء (١٠٢) .

(٣) نثر الدر (٤/ ١٢١) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٢٩) والمحاسن والمساوىء (٢/ ٣١٤) وأخبار الأذكياء (١١١) .

(٤) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠٨) ونثر الدر (٥/ ١٤٤) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٣٧) وأخبار الأذكياء (٣٨ ـ ٣٩) .

ما فيها ؟ قلتُ : لا ؛ قال فيها : « العَجَبُ لِقَوْمٍ فيهم مِثْلُ هذا ، كيفَ يُوَلُّونَ أَمْرَهُم غَيْرَهُ » . قال : أَتدري ما أَراد بهذا ؟ قلتُ : لا ؛ قال : حَسَدَني عليكَ ، فأَراد أَن أَقتلَك ؛ فقلتُ : إِنّما كَبُرْتُ عندَه يا أَمير المؤمنين لأَنه لم يَرَك ؛ فبلغَ مَلِكَ الرُّوم ما قالَه عبدُ الملِك للشَّعبيِّ ، فقال : للهِ أَبوهُ ، ما عدا ما في نَفْسي .

● ولمّا[1] وَلَّىٰ عبدُ المِلك بنُ مروان أَخاه بِشْراً الكوفَة ، وكان شابّاً ظَريفاً غَزِلاً ، بعثَ معه رَوْحَ بن زِنْباع وكان شيخاً مُتَوَرِّعاً ، فَثَقُلَ علىٰ بِشْرٍ مُرافقته ، فذَكر ذلك لِنُدمائه ، فَتَوَصَّلَ بعضُ نُدمائه إِلىٰ أَن دخلَ بيتَ رَوْحِ بن زِنْباع ليلاً في خفْيَةٍ ، فكتبَ علىٰ حائطٍ قَريبٍ في مَجلسهِ هذه الأَبيات : [من البسيط]

يـــا رَوْحُ مَـــن لِبُنَيّـــاتٍ وأَرْمَلَـــةٍ ... إِذا نَعـاكَ لأَهْـلِ المَغْـرِبِ النّـاعـي

إِنَّ ابـنَ مَـروانَ قَـد حـانَـت مَنِيَّتُـهُ ... فـاحْتَـلْ لِنَفْسِـكَ يـا رَوْحَ بـنَ زِنْبـاعِ

فتخوَّفَ من ذلك ، وخرجَ من الكُوفة ، فلمّا وصلَ إِلىٰ عبدِ الملِك أَخبرَه بِذلك ، فاستَلْقىٰ علىٰ قَفاهُ من شِدَّةِ الضَّحِك ، وقال : ثَقُلْتَ علىٰ بِشْرٍ وأَصحابِه ، فاحتالوا لكَ .

ومن الحِيَلِ الطَّريفَة :

● ما حُكيَ[2] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا فَتَحَ خَيبر وأَعرس بِصَفِيَّةٍ ، وفرَح المُسلمون ، جاءه الحجّاج بن عِلاط السُّلَميّ ، وكان أَوَّلَ مَن أَسلمَ في تلكَ الأَيّام وشَهد

---

(١) ربيع الأبرار (٢/ ٢٠٦) والتذكرة الحمدونية (٨/ ٢٤٩) والبصائر والذخائر (٣/ ١٣٠ ـ ١٣٢) عن أدب النديم لكشاجم وليس في المطبوع منه ، وتاريخ دمشق (١٠/ ١٢٦) ومختصره (٥/ ٢١٥) وعيون الأخبار (١/ ١٧١) .

(٢) السيرة النبوية (٢/ ٣٤٥) وطبقات ابن سعد (٤/ ٢٦٩) وأخبار الأذكياء (٣٤) وتاريخ الطبري (٣/ ١٧) .

خَيبر ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّ لي بمكَّة مالاً عند صاحِبتي أُمّ شيبة[1] ، ولي مالٌ مُتَفَرِّقٌ عند تُجّار مكّة ، فأْذَنْ لي يا رسولَ الله في العَوْدِ إلىٰ مكّة عَسىٰ أَسبقُ خَبَرَ إسلامي إليهم ، فإنِّي أَخافُ إن علموا بإسلامي أَن يذهبَ جميعُ مالي بمكّة ، فأْذَنْ لي لَعَلّي أُخَلِّصُه ؛ فأَذِنَ له رسولُ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، إنِّي أَحتاجُ إلىٰ أَن أَقول ؛ فقال له رسول الله ﷺ : قُلْ ، وأَنت في حِلٍّ .

قال الحجّاج : فخرجتُ ، فلمّا انتهيتُ إلى الثَّنيَّةِ ثَنِيَّة البيضاءِ[2] وجدتُ بها رِجالاً من قُريش يَتَسَمَّعون الأَخبار ، وقد بلغَهم أَنَّ رسولَ الله ﷺ سارَ إلى خَيبر ، فلمّا أَبصروني قالوا : هذا ـ لَعَمْرُ الله ـ عنده الخبرُ ، أَخبرْنا يا حجّاج ، فقد بلَغَنا أَنّ القاطعَ ـ يَعنون محمَّداً ﷺ ـ قد سار إلى خَيبر ؛ قال : قلتُ : إنَّه سارَ إلى خَيبر ، وعندي من الخبرِ ما يَسُرُّكُم ؛ قال : فأَحدقوا حولَ ناقتي يَقولون : إيه يا حجّاج ؟ قال : فقلت : هُزِمَ هَزيمةً لم تَسمعوا بمثلها قطُّ ، وأُسرَ محمَّد ، وقالوا : لا نقتلُه حتَّى نبعثَ بهِ إلى مكَّة ، فيقتلونَه بين أَظهُرهم بِمَن كان أَصابَ من رِجالهم ؛ قال : فَصاحوا بمكَّة : قد جاءَكم الخبرُ ، وهذا محمَّد إنَّما تَنتظرون أَن يُقْدَمَ به عليكم ، فَيُقْتَلَ بين أَظهركم ؛ قال : فقلتُ : أَعينوني على جَمْعِ مالي من غُرمائي ، فإنِّي أُريدُ أَن أَقدم خَيبر ، فأَغنمَ مِن ثَقَلِ محمَّدٍ وأَصحابه ، قبل أَن يَسبقني التُّجّار إلى هناك ؛ فقاموا معي ، فجَمعوا لي مالي كأَحسنِ ما أُحِبُّ ؛ فلمّا سمعَ العبّاسُ بن عبد المُطَّلب الخبرَ أَقبلَ عليَّ حتَّى وقفَ إلى جانبي ، وأَنا في خيمةٍ من خيام التُّجّارِ ، فقال : يا حجّاجُ ، ما هذا الخبرُ الَّذي جئتَ به ؟ قال : فقُلتُ : وهل عندكَ حِفْظٌ لِما أُودعُهُ عندكَ من السِّرِّ فقال : نعم واللهِ ؛ قال : قلتُ : استأْخِرْ عنِّي حتَّى أَلقاك على خَلاءٍ ، فإنِّي في جَمْعِ مالي كما ترى ؛ فانصرفَ عنِّي حتَّى إذا فرغتُ من جَمْعِ كُلِّ شيءٍ

---

(١) هي بنت أبي طلحة ، زوجته .

(٢) هي ثنية التنعيم بمكة .

كان لي بمكَّة ، وأَجمعتُ على الخُروج ، لقيتُ العبّاس ، فقلتُ له : احفظْ عَلَيَّ حَديثي يا أَبا الفَضْل ، فإِنّ أَخشى أَن يَتبعوني ، فاكتمْ عليَّ ثلاثَة أَيّام ، ثم قلْ ما شئتَ ؛ قال : لك عليَّ ذلك ؛ قال : قلتُ : والله ما تَركتُ ابنَ أَخيك إلاّ عَروساً على ابنةِ مَلِكهم ـ يعني صَفِيَّة ـ وقد افتتحَ خَيبر ، وغنمَ ما فيها ، وصارَت له ولأَصحابه ؛ قال : أَحَقٌّ ما تَقولُ يا حجّاج ؟ قال : قلتُ : إي والله ، ولقد أَسلمتُ ، وما جئتُ إلاّ مُسلماً لآخُذَ مالي خوفاً من أَن أُغلبَ عليه ، فإذا مضَت ثلاثةٌ ، فأَظهرْ أَمرَك فهو واللهِ على ما تُحبُّ .

قال : فلمّا كان في اليوم الرّابع لَبِسَ العبّاسُ حُلَّةً له ، وتَخَلَّق بالطِّيبِ ، وأَخذ عصاهُ ، ثم خرجَ حتَّى أَتى الكعبةَ ، فطاف بها ، فلمّا رأَوه قالوا : يا أَبا الفضل ، هذا والله هو التَّجَلُّدُ لِحَرِّ المُصيبة ؛ قال : كلاّ ، والَّذي حَلَفْتُم بهِ ، لقد افتتحَ محمَّدٌ خَيبر ، وتُرك عروساً على ابنةِ مَلِكِهم ، وأَحرزَ أَموالَهم وما فيها ، فأَصبحَتْ له ولأَصحابه ؛ قالوا : مَن جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الَّذي جاءَكم بما جاءَكم به ، ولقد دخلَ عليكم مُسْلِماً ، وأَخذ مالَه وانطلقَ لِيَلْحَقَ محمّداً وأَصحابه لِيكونَ معهم ؛ قالوا : تَفَلَّتَ عَدُوُّ الله ؟ أَما والله لو عَلِمنا به لكانَ لنا وله شأنٌ ؛ قال : ولم يَلبثوا أَن جاءهم الخبرُ بذلك ، فتوصَّل الحجّاجُ بِفِطْنَتِهِ واحتيالِه إلى تَخْليصه وتَحصيل مالِه .

• ولمّا[١] اجتمَعَت الأَحزابُ على حَرْبِ رسولِ الله ﷺ عامَ الخندق ، وقَصدوا المدينة ، وتَظاهروا وَهُم في جَمْعٍ كثيرٍ وجَمٍّ غَفيرٍ من قريش وغَطَفان ، وقبائل العرب وبَني النَّضير ، وبني قُريظةَ من اليَهود ، ونَازلوا رسولَ الله ﷺ ومن مَعه من المسلمين ، واشتدَّ الأَمرُ ، واضطربَ المسلمون ، وعَظُمَ الخوفُ على ما وَصَفه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) وتاريخ الطبري (٢/ ٥٧٨) وأخبار الأذكياء (٣٥ ـ ٣٧) .

زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب : ١٠ ـ ١١] فجاءَ نُعَيْمُ بن مَسعود بن عامرٍ الغَطَفانيّ إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال : يا رَسُول الله : إنّي قد أَسلمتُ ، وإنّ قَومي لم يَعلموا بإسلامي ، فَمُرْني بما شِئْتَ ؛ فقال له رسول الله : « خَذِّلْ عنّا إن استعطتَ ، فإنَّ الحَرْبَ خُدْعَةٌ » فخرجَ نُعيم بن مَسعود حتى أتى بني قُريظة ، وكان نَديماً لهم في الجاهليّة ، فقال : يا بني قُريظة ، قد عَلِمْتُم وُدِّي إيّاكم ، وخاصّة ما بيني وبينكم ؛ قالوا : صدقتَ ، لستَ عندنا بمُتَّهَمٍ ؛ فقال لهم : إنَّ قُريشاً وغَطَفان ليسوا كَأَنْتُمْ ، فإنَّ البلَد بَلَدُكُم ، وبهِ أَموالُكم وأَبناؤكم ونِساؤُكم ، لا تَقدرون على أَن تتحوَّلوا منه إلى غيره ، وإنَّ قُريشاً وغَطفان قد جاؤوا لحربِ محمَّد وأَصحابه ، وقد ظاهَرتُموهم عليه ؛ وأَموالُهم وأَولادُهم ونِساؤُهم بغيرِ بَلَدِكم ، وليسوا مِثْلَكم ، لأنَّهم إن رَأَوا فُرصَةً اغتنموها ، وإن كان غيرَ ذلك لَحِقُوا بِبلادهم وخَلَّوا بينكم وبينَ الرَّجلِ ببلدكم ، ولا طاقةَ لكم بهِ إن خَلا بكُم ، فلا تُقاتلوا مع القَوم حتَّى تأخذوا منهم رَهْناً من أَشرافهم يَكونون بأيديكم ، ثقَةً لكم على أَن تُقاتلوا معهم محمّداً ؛ قالوا : أَشَرْتَ بالرَّأْي ؛ ثم أَتى قُريشاً ، فقال لأَبي سُفيان بن حرب ـ وكانَ إذ ذاك قائدَ المُشركين من قُريش ومَن مَعه من كُبراءِ قُريش ـ : قد عَلمتم وُدِّي لكم ، وفِراقي محمّداً ؛ وإنَّه قد بَلَغني أَمْرٌ ، وأَحببتُ أَن أُبلغَكموه نُصْحاً لكم ، فاكتُموه عليَّ ؛ قالوا : نعم ؛ قال : اعلموا أَنَّ معشرَ يَهود بني قُريظة قد نَدموا على ما فَعلوا فيما بينَهم وبين محمَّدٍ ، وقد أَرسلوا إليه يقولون : إنّا قد نَدِمْنا على نَقْضِ العَهْدِ الّذي بيننا وبينَك ؛ فهل يُرضيك أَن نأخذَ لكَ من القَبيلتين من قُريشٍ وغَطفان رجالاً من أَشرافهم ، فَنُسَلِّمَهُم إليك ، فتضربَ رِقابَهم ، ثم نَكونُ مَعك على مَن بقيَ منهم ، فَنستأصلَهم ؟ فأَرسل يقول : نعم ؛ فإن بَعَثَ إليكم يَهودُ بني قُريظة يَلتمسونَ منكم رهائنَ من رِجالكم ، فلا

تَدفعوا إِليهم مِنكم رجلاً واحِداً ؛ ثم خرجَ حتَّى أَتى غَطفان ، فقال لهم مثل ما قال لقُريش وحَذَّرهم .

فلما كانت ليلة السَّبت أَرسل أبو جهلٍ ورؤوس بني غَطفان إِلى بني قُريظة يقولون لهم : إِنّا لسنا بدارِ مُقامٍ ، وقد هَلك الخُفُّ والحافِر ، فاعتدُّوا للقتالِ حتَّى نُناجزَ محمَّداً ونَفرغَ فيما بيننا وبينه ، فأَرسلوا يقولون لهم : إِنَّ اليومَ يومُ السَّبتِ ، وهو يومٌ لا نَعملُ فيه شيئاً ، ولسنا مع ذلك بالَّذين نُقاتلُ محمَّداً حتَّى تُعطونا رَهْناً من رِجالكم يَكونون بأَيدينا ثِقَةً لنا حتَّى نُناجزَ محمَّداً ؛ فإنّا نَخشى إِن دَهَمَتْكُمُ الحربُ واشتدَّ عليكم القتالُ أَن تُشَمِّروا إِلى بِلادكم ، وتَتركونا والرَّجلَ في بَلدنا ولا طاقةَ لنا به ؛ فلمّا رَجعت إِليهم الرُّسُل بما قالَت بنو قُريظة ، قالت قريشٌ وغَطفان : والله إِنَّ الَّذي حدَّثكم به نُعيم بن مَسعود لَحَقٌّ ؛ فأَرسلوا إِلى بَني قُريظة يقولون : إِنّا لا نَدفعُ إِليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتُم تُريدون القتالَ ، فاخرجوا وقاتلوا ؛ فقالت بنو قريظة حين انتهَت إِليهمُ الرُّسل : إِنَّ الكلامَ الَّذي ذَكره نُعيم بن مسعود لَحَقٌّ ، وما يُريد القومُ إِلاّ أَن تُقاتلوا ، فإِن رأَوا فُرصةً انتهزوها ، وإِن كانَ غير ذلك شَمَّروا إِلى بِلادهم وخَلَّوا بينكم وبينَ الرَّجل في بلدكم ؛ فأَرسَلوا إِلى قُريش وغَطفان : إِنّا لا نُقاتلُ معَكم حتَّى تُعطونا رَهْناً ؛ فأَبوا عليهم ، فخذَّل الله تعالى بينَهم ، وأَرسل عليهم الرّيح ، فتفرَّقوا وارتَحلوا .

وكان هذا من لُطف الله تعالى أَن أَلْهَمَ نُعيمَ بن مَسعود هذه الفِتنة ، وهَداهُ إِلى اليَقظة الَّتي عَمَّ نَفْعُها وحَسُنَ وَقْعُها .

وأَمّا ما جاء في التَّيقُّظِ والتَّبصُّرِ في الأُمور :

- فقد قالَت الحُكَماء : مَن أَيْقَظَ نَفْسَهُ ، وأَلبَسها لِباسَ التَّحفُّظِ أَيسَ عَدُوُّهُ مِن كَيْدِهِ ، وقَطع عنه أَطماع الماكرين بهِ .

• وقالوا : اليَقَظَةُ حارسٌ لا يَنام وحافِظٌ لا يُرامُ ، وحاكِمٌ لا يَرتشي ؛ فَمن تَدَرَّعَ بها أَمِنَ من الاختلالِ والغَدْرِ والجَوْرِ والكَيْدِ والمَكْرِ .

• وقيل[1] : إنَّ كِسرى أنوشروان كان أَشَدَّ النَّاس تَطَلُّعاً في خَفايا الأُمور ، وأَعظمَ خَلْقِ الله تعالى في زَمانه تَفَحُّصاً وَبَحْثاً عن أَسرار الصُّدور ، وكان يَبُثُّ العُيونَ على الرَّعايا والجواسيسِ في البلاد لِيَقِفَ على حَقائقِ الأَحوالِ ، ويَطَّلِعَ على غَوامضِ القَضايا ، فَيعلَمَ المُفْسِدَ فيقابلَه بالتَّأديبِ ، والمُصلحَ فَيُجازيَه بالإِحسانِ ؛ ويقول : مَتى غَفلَ الملِكُ عن تَعَرُّفِ ذلك ، فليسَ له من المُلك إلاّ اسمُه ، وسَقَطَت من القُلوبِ هَيْبَتُهُ .

• ورُوي[2] عن أَنس بن مالك رضي الله عنه ، أَنَّه قال : خرجَ أَميرُ المؤمنين عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه في ليلةٍ من اللَّيالي يطوفُ يَتَفَقَّدُ أَحوالَ المُسلمين ، فرأَى بيتاً من الشَّعر مَضروباً ، لم يَكنْ قد رآهُ بالأَمسِ ، فدنا منه ، فسمَع فيه أَنين امرأةٍ ، ورأى رجلاً قاعداً ، فَدنا منه ، وقال له : مَن الرَّجُل ؟ فقال له : رجلٌ من البادية ، قدمتُ إلى أَمير المؤمنين لأُصيبَ من فَضله ؛ قال : فما هذا الأَنينُ ؟ قال : امرأَةٌ تَتَمَخَّضُ ، قد أَخَذَها الطَّلْقُ ؛ قال : فهل عندَها أَحدٌ ؟ قال : لا ؛ فانطلقَ عُمر والرَّجلُ لا يَعرفه ، فجاءَ إِلى مَنزله ، فقال لامرأَته أُمِّ كُلثوم بنت عليٍّ بن أَبي طالب بنتِ فاطمة الزَّهراء رضي الله عنهما : هَلْ لكِ في أَجْرٍ قد ساقَهُ الله تعالى لكِ ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأَةٌ تَتَمَخَّضُ ، ليس عندَها أَحدٌ ؛ قالت : إن شئتَ ، قال : فَخُذي معك ما يَصْلُحُ للمرأَةِ من الخِرَقِ والدُّهنِ ، وائْتني بِقِدْرٍ وشَحْمٍ وحُبوبٍ ؛ فجاءت بهِ ، فحَمل القِدْرَ ، ومَشَت خَلْفَهُ حتَّى أَتى البيت ، فقال : ادخُلي إِلى المرأَة ؛ ثم قال

(١) المحاسن والمساوئ (١/ ٢٣٤) وفيه أنه أردشير .
(٢) تاريخ دمشق (جزء عمر) (٣٠١) ومختصره (١٩/ ١٤) .

للرَّجل : أَوْقِدْ لي ناراً ؛ ففعل ، فجعلَ عُمر ينفخُ النّار ويُضْرِمُها ، والدُّخانُ يخرجُ من خِلال لِحيته حتَّى أَنضجَها ، وولَدت المرأَةُ ، فقالت أُمُّ كُلثوم رضي الله عنها : بَشِّرْ صاحِبَكَ يا أَميرَ المؤمنين بِغُلام ؛ فلمّا سمعَها الرَّجل تَقول : يا أَمير المؤمنين ، ارتاعَ وخَجل ؛ وقال : واخَجْلَتاهُ منكَ يا أَمير المؤمنين ، أهَكذا تفعلُ بنَفسك ؟ قال : ياأَخا العَرب ، مَن وَلِيَ شيئاً من أُمور المسلمين يَنبغي له أَن يَطَّلعَ على صَغير أُمورهم وكَبيره ، فإِنَّه عنها مَسؤولٌ ، ومَتى غفلَ عنها خَسِرَ الدُّنيا والآخرة ؛ ثم قام عُمر رضي الله عنه ، وأَخذ القِدْرَ من على النّار ، وحَملها إِلى باب البيت ، وأَخذتْها أُمُّ كُلثوم ، وأَطعمت المرأَةَ ، فلمّا استقرَّت وسكنَت ، طلعَت أُمُّ كُلثوم ، فقال عمر رضي الله عنه للرَّجل : قُمْ إِلى بيتك ، وكُلْ ما في البُرْمَة ، وفي غَدٍ ائْتِ إِلينا ؛ فلما أَصبَح جاءَه ، فجهَّزَه بما أَغناه بِهِ ، وانصرفَ .

● وكان[1] رضي الله عنه من شِدَّةِ حِرْصِهِ على تَعَرُّفِ الأَحوال ، وإِقامة قسطاس العَدل ، وإِزاحة أَسبابِ الفَساد ، وإِصلاح الأُمَّة ، يَعسُّ بنفسه ، ويُباشرُ أُمور الرَّعِيَّة سِرّاً في كثير من اللَّيالي ، حتّى إِنَّه في ليلةٍ مُظلمةٍ خرجَ بنفسه فرأَى في بعضِ البُيوت ضوءَ سِراجٍ ، وسمعَ حديثاً ، فوقفَ على الباب يتجَسَّسُ ، فرأَى عبداً أَسود قُدّامه إِناءٌ فيه مِزْرٌ[2] ، وهو يَشربُ ومعه جَماعةٌ ، فَهَمَّ بالدُّخول من الباب ، فلم يقدرَ من تَحصين البيت ، فَتَسَوَّرَ على السَّطح ونزلَ إِليهم من الدَّرجة ، ومعه الدِّرَّةُ ، فلمّا رأَوه قاموا ، وفَتحوا البابَ وانهزموا ، فمَسَكَ الأَسوَد ، فقال له : يا أَمير المؤمنين : قد أَخطأتُ ، وإِنِّي تائبٌ ، فاقبلْ تَوبتي ؛ فقال : أُريد أَن أَضربَك على خَطيئتك ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين ، إِن كنتُ قد أَخطأتُ في واحدةٍ ، فأَنت قد أَخطأتَ في ثلاثٍ : فإِن الله تعالى قال :

---

(١) نثر الدر (٢/ ٣٧) .

(٢) المِزر : نبيذ الذرة والشعير . (قاموس) .

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [الحجرات : ١٢] وأنتَ تَجَسَّسْتَ ؛ وقال تعالى : ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ [البقرة : ١٨٩] وأنتَ أتيتَ من السَّطح ؛ وقال تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ﴾ [النور : ٢٧] . وأنت دخلتَ وما سَلَّمْتَ ، فهبْ هذه لهذِه ، وأنا تائبٌ إلى الله تعالى على يَدِكَ أن لا أعودَ ؛ فاستتابَهُ ؛ فاستحسنَ كلامَه .

وله رضي الله تعالى عنه وقائعُ كثيرةٌ مثلُ هذه .

● وكان[١] مُعاوية بن أَبي سفيان رضي الله تعالى عنه ، قد سَلَكَ طريقَ أَمير المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ذلك ، وكان زياد بن أَبيه يسلكُ مَسلك مُعاوية في ذلك ، حتَّى نُقِلَ عنه أَنَّ رجلاً كَلَّمَهُ في حاجةٍ له ؛ وجعل يَتَعَرَّفُ إِليه ، ويظنُّ أَنَّ زياداً لا يعرفُه ، فقال : أَنا فلان ابن فلان ؛ فتبسَّم زيادٌ وقال له : أَتتعرَّفُ إليَّ ، وأَنا أَعْرَفُ بكَ منكَ بنفسِكِ ؟ . واللهِ إِنِّي لأَعرفُك ، وأَعرفُ أَباك ، وأعرف أُمَّك و وأَعرفُ جَدَّك وجَدَّتك ، وأَعرفُ هذه البُرْدَةَ الَّتي عليكَ ، وهي لفلانٍ ، وقد أَعارك إِيّاها ؛ فَبُهِتَ الرَّجلُ وارتَعد ، حتَّى كاد يُغشى عليه .

● ثم جاءَ مَن اقتدى بهم ، وهو : عبدُ الملك بن مروان ، والحجّاج ، ولم يَسْلُكْ بعدَهما ذلك الطَّريق ، واقتفى آثارَ ذلك الفريق ، إِلاّ المنصورُ ثاني خُلفاء بني العبّاس ؛ وَليَ الخلافةَ بعد أَخيه السَّفّاح ، وهي في غايةِ الاضطراب ، فنصبَ العُيون ، وأَقام المتطلّعين ، وبَثَّ في البلاد والنَّواحي مَن يكشفُ له حَقائق الأُمور والرَّعايا ، فاستقامت له الأُمور ، ودانت له الجِهات ؛ ولقد ابتُلي في خِلافته بأَقوامٍ نازَعوه ، وأَرادوا خَلْعَهُ ، وتَمَرَّدوا عليه ، وتكاثروا ، فلولا أَنَّ الله تعالى أَعانه بِتَيَقُّظِه وتَبَصُّره ما ثَبت له في الخلافة قَدَمٌ ، ولا رُفِعَ له مع قَصْدِ أُولئك القاصدين عَلَمٌ ؛ لكنَّه بَثَّ العُيونَ ، فَعَرَفَ مَن

---

(١) المحاسن والمساوئ (١/ ٢٣٥) .

انطوى على خِلافِهِ فَعالجه بإتلافِهِ ، واطَّلع على عَزائمِ المُعاندين ، فَقَطَّ رُؤوسَ عِنادهم بأَسيافه ، وكان بكمال يَقظته يتلقَّى المَحذورَ بِدَفْعِهِ دونَ رَفعه ، ويُعاجِلُ المَخُوفَ بتَفريقِ شَمْلِهِ قبل جَمْعِهِ ، فذلَّت له الرِّقابُ ، ولانَتْ لِخلافته الصِّعاب ، وقرَّر قَواعدَها وأَحكمَها بأَوثق الأَسباب . فَمِن آثارِ يقظته وفِطنته ما نَقَله عنه عُقبة [بن سَلْم] الأَزدي قال[١] :

دخلتُ مع الجُنْدِ على المنصور فارتابني ، فلمّا خرجَ الجندُ أَدناني وقال لي : مَن أَنت ؟ فقلتُ : رجلٌ من الأَزد ، وأَنا من جُند أَمير المؤمنين ، قدمتُ الآن مع عُمر بنِ حَفص ؛ فقال : إنِّي لأَرى لك هيئةً ، وفيك نَجابَةٌ ؛ وإنِّي أُريدك لأَمْرٍ ، وأَنا به مُعْنىً ، فإن كَفيتنيهِ رَفَعْتُكَ ؛ فقلتُ : إنِّي لأَرجو أَن أُصدِّقَ ظَنَّ أَمير المؤمنين ؛ فقال : أَخْفِ نفسَك ، واحضُرْ في يوم كذا ؛ قال : فَغِبْتُ عنه إلى ذلك اليوم ، وحضرتُ ، فلم يتركْ عنده أَحداً ، ثم قال لي : اعلمْ أَنَّ بني عَمِّنا هؤلاء قد أَبوا إلاّ كَيْدَ مُلْكِنا واغتيالَه ، ولهم شِيعةٌ بِخُراسان بقريةِ كذا يُكاتبونهم ، ويُرسلون إليهم بصَدقاتِ أَموالهم وأَلطاف بِلادهم ؛ فَخُذْ معك عَيْناً[٢] من عِندي ، وأَلطافاً ، وكُتُباً ، واذهبْ حتَّى تأتيَ عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أَبي طالب ، فاقدمْ عليه متخشِّعاً ، والكتبُ على أَلسنةِ أَهل تلك القرية ، والأَلطافُ مِن عندِهم إليه ، فإذا رآكَ ، فإنَّه سَيَرُدُّكَ ويقولُ : لا أَعرفُ هؤلاء القوم ؛ فاصبرْ عليه ، وعَاوِدْهُ وقُلْ له : قد سَيَّروني سِرّاً ، وسَيَّروا معي أَلطافاً وعَيْناً ؛ وكُلَّما جَبَهَكَ وأَنْكَرَ ، اصبرْ عليه ، وعاوِدْهُ ، واكشفْ باطنَ أَمرِه .

قال عُقبة : فأَخذتُ كُتبه والعَيْنَ والأَلْطافَ ، وتوجَّهتُ إلىٰ جِهَةِ الحجازِ ، حتَّىٰ قَدِمْتُ علىٰ عبد الله بن الحسن ، فلَقيتُه بالكُتب ، فأَنكرَها ونَهَرَني ، وقال : ما أَعرفُ هؤلاء القوم ؛ قال عُقبة : فلم أَنصرفْ ، وعاوَدتُه القولَ ،

---

(١) التذكرة الحمدونية (٨/ ٢٥٢) .

(٢) العَين : الذهب . والألطاف : الهدايا (قاموس) .

وذَكرتُ له اسمَ القرية وأَسماء أُولئك القَوم ، وأَنَّ معي أَلْطافاً ، وعَيْناً ؛ فأَنسَ بي ، وأَخذَ الكُتب وما كان معي .

قال عُقبة : فتركتُه ذلك اليوم ، ثم سأَلتُه الجوابَ ، فقال : أَمّا كتابٌ ، فلا أَكتبُ إِلىٰ أَحدٍ ، ولكن أَنتَ كِتابي إِليهم ، فأَقْرِئْهُم السَّلام وأَخبرهُم أَنَّ ابني محمّداً وإِبراهيم خارجان لهذا الأَمر وقتَ كذا وكذا .

قال عُقبة : فخرجتُ من عِنده ، وسِرْتُ حتّىٰ قَدِمْتُ علىٰ المنصور ، فأَخبرتُه بذلك ، فقال لي المنصورُ : إِنّي أُريدُ الحجَّ ، فإِذا صرتُ بمكان كذا وكذا وتلقّاني بَنو الحسن وفيهم عبد الله ، فإِنِّي أُعَظِّمُهُ وأُكرمُه وأَرفعُه ، وأُحضرُ الطَّعام ، فإِذا فرغَ من أَكله ، ونظرتُ إِليه ، فتمثَّلْ بين يديَّ ، وقِفْ قُدّامَه ، فإِنَّه سيصرفُ وَجههُ عنك ، فَدُرْ حتَّىٰ تقفَ من وَرائه ، واغمزْ ظَهْرَهُ بإِبهام رِجْلِكَ حتَّى يَملأَ عَينيه منكَ ، ثم انصرفْ عنه ، وإِيّاكَ أَن يراكَ وهو يَأكلُ .

ثم خرجَ المنصورُ يريدُ الحجَّ ، حتَّىٰ إِذا قارَب البلادَ تلقّاه بنو الحسن ، فأَجلس عبدَ الله إِلىٰ جانبه وحادَثَهُ ، فطلبَ الطَّعام للغَداء ، فأَكلوا معه ، فلمّا فَرغوا أَمر بِرَفْعِهِ ، فَرُفِع ، ثم أَقبل علىٰ عبد الله بن الحسن وقال : يا أَبا محمّد ، قد علمتَ أَنَّ ممّا أَعطَيتني من العُهود والمواثيق أَنَّك لا تُريدني بِسُوءٍ ولا تَكيدُ لي سُلطاناً ؛ قال : فأَنا علىٰ ذلك يا أَمير المؤمنين .

قال عُقبة : فَلَحظني المنصورُ بِعَيْنِه ، فَقُمت حتَّىٰ وقفتُ بين يدي عبد الله بن الحسن ، فأَعرضَ عنّي ، فَدُرتُ من خَلفه وغمزتُ ظَهره بإِبهام رِجْلي ، فرفعَ رأسَه ومَلأَ عَينيهِ منّي ، ثم وثبَ حتَّىٰ جَثا بين يَدي المنصور ، وقال : أَقِلْني يا أَمير المؤمنين أقالك الله . فقال له المنصورُ : لا أَقالني الله إِن أَقَلْتُكَ ؛ وأَمر بِحَبْسِهِ ، وجعلَ يتطلَّب وَلَديه محمّداً وإِبراهيمَ ويَستعلمُ أَخبارَهما .

• قال[1] عليّ [بن بُرَيهة] الهاشميّ صاحبُ غَدائه : دعاني المنصورُ يوماً فإِذا

---

(١) المحاسن والمساوىء (١/ ٢٤١) .

بين يَديه جاريةٌ صَفراء ، وقد دعا لها بأَنواعِ العذابِ ، وهو يقولُ لها : وَيْلَكِ اصدُقيني ، فوالله ما أُريد إلاّ الأُلْفَةَ ، ولَئِنْ صَدقتِني لأَصِلَنَّ رَحِمَهُ ولأُتْبِعَنَّ البرَّ إِليه ؛ وإذا هو يَسأَلها عن محمّد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أَبي طالب ، وهي تقولُ : لا أَعرف له مكاناً ؛ فأَمر بتَعذيبها ، فلمّا بلغَ العذابُ منها أُغمي عليها ، فقال : كُفُّوا عنها ، فلمّا رأَىٰ أَنَّ نَفْسَها كادَت تتلفُ ، قال : ما دواءُ مِثْلِها ؟ قالوا : شَمُّ الطِّيب ، وصَبُّ الماءِ الباردِ علىٰ وَجهها ، وأَن تُسقىٰ السَّويق ؛ ففَعلوا بها ذلك ، وعالجَ المنصورُ بعضَه بيده ، فلما أفاقت سألها عنه ، فقالت : لا أَعلمُ ، فلمّا رأىٰ إصْرارها علىٰ الجُحود قال لها : أَتعرفين فُلانة الحجّامة ، فلمّا سَمِعَت منه ذلك تَغَيَّرَ وجهُها وقالت : نعم يا أَمير المؤمنين ، تلك من بني سُليم ؛ قال : صدقتِ ، هي والله أَمَتي ، ابْتَعْتُها بمالي ، ورِزْقي يَجري عليها في كُلِّ شهرٍ ، وكُسوةُ شِتائها وصَيفها من عِندي سيَّرتها ، وأَمَرْتُها أَن تدخلَ مَنازِلكم وتَحجمَكم وتتعرَّفَ أَحوالكم وأَخباركم ، ثم قال لها : أَتعرفين فُلاناً البَقّال ؟ قالت : نعم يا أَمير المؤمنين ، هو في بني فُلان : قال : صدقتِ ، هو والله غُلامي ؛ دفعتُ إِليه مالاً ، وأَمرتُه أَن يبتاعَ به ما يَحتاجُ إِليه من الأَمتعة ، وأَخبرَني أَنَّ أَمَةً لكم يوم كذا وكذا جاءت إِليه بعد صَلاة المغربِ تسأَله حِنّاءً وحوائجَ ، فقال لها : ما تَصنعين بهذا ؟ قالت : كان محمّد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضِّياع بناحية البَقيع ، وهو يَدخلُ اللَّيلةَ ، وأَردنا هذا لِيَتَّخِذَ النِّساءُ ما يَحْتَجْنَ إِليه عندَ دُخولِ أَزواجهنَّ من المَغيب ؛ فلمّا سَمِعَت الجاريةُ هذا الكلام من المنصور ارتعدَت من شِدَّة الخوفِ ، وأَذعنَت له بالحديث ، وحدَّثته بكلّ ما أَراد .

والله سُبحانه وتعالىٰ أَعلمُ بالصَّواب ، وإِليه المرجعُ والمآب ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

❊ ❊ ❊

البابُ الثّاني والسّتّون

في ذِكر الدَّوابِّ والوحوشِ والطَّيْرِ والهوامِّ والحشراتِ وما أَشبه ذلك ، مُرَتَّباً علىٰ حروف المعجم

حرف الهمزة

● **الأَسَد**[1] : من السِّباع ، والأُنثىٰ أَسَدَة .

وله أَسماءٌ كثيرةٌ ، فَمِن أَشهرها : أُسامة ، والحارث ، وقَسْوَرَة ، والغَضَنْفَر ، وحَيْدَرَة ، واللَّيْث ، والضِّرغام .

ومِن كُناه : أَبو الأَبطال ، وأَبو شِبْل ، وأَبو العبّاس .

وهو أَنواع ، منها : ما وَجْهُهُ وَجْهُ إِنسان ، وشَكْلُ جَسده كالبَقَر[2] ، وله قُرونٌ سُودٌ نحو شِبْرٍ ؛ ومنها ما هو أَحمرُ كالعُنّابِ وغير ذلك .

وتَلِدُهُ أُمُّه قِطْعَةَ لَحْمٍ ، وتستمرُّ تَحرسُه ثلاثَة أَيّام ، ثم يأتي أَبوه فينفخُ فيه ، فتنفرجُ أَعضاؤه وتَتَشَكَّلَ صُورتُه ، ثم تُرضِعُه ، وتستمرُّ عيناه مُغْلَقَةً سبعة أَيّام ، ثم تتفتّحُ ، ويُقيم علىٰ تلك الحالة بين أَبيه وأُمِّه إِلىٰ سِتَّة أَشهر ، ثم يتكلَّفُ الكَسْبَ بعد ذلك .

وله صَبْرٌ علىٰ الجُوع والعَطَشِ ، وعنده شَرَفُ نَفْسٍ ؛ يُقال : إِنَّه لا يُعاوِدُ

---

(١) عن حياة الحيوان (١/ ٦) وعجائب المخلوقات (٢٥٤) .

(٢) كذا في الأصول ! وفي حياة الحيوان : قال أرسطو : رأيتُ نوعاً منها يشبه [وجهه] وجه الإنسان ، وجسده شديد الحُمرة ، وذنَبه شبيه بذنب العقرب ، ولعل هذا هو الذي يُقال له : الورد ؛ ومنه نوعٌ علىٰ شكل البقر . . . . .

فَريسته ، ولا يأكلُ من فَريسةِ غيرِه ، ولا يشربُ من ماءٍ ولغَ فيه كلبٌ ؛ وفي ذلك يقولُ بعضُهم[١] : [من الوافر]

سَأَتْرُكُ حُبَّكُمْ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ ... وَذاكَ لِكَثْرَةِ الشُّرَكَاءِ فيهِ
إذا وَقَعَ الذُّبابُ علىٰ طعَامٍ ... رَفَعْتُ يَدي وَنَفْسِي تَشْتَهيهِ
وَتَجْتَنِبُ الأُسُودُ وُرودَ ماءٍ ... إذا كانَ الكِلابُ يَلَغْنَ فيهِ

وإذا أكل نَهَسَ نَهْساً ، وريْقُهُ قليلٌ جِدّاً ، ولذلك يُوصف بالبَخْرِ ؛ وعنده شجاعةٌ وجُبْنٌ وكَرَمٌ ؛ فمن شَجاعته : الإقدامُ علىٰ الأُمورِ ، وعدمُ الاكتراثِ بالغَير ؛ ومن جُبنه : أَنَّه يَفِرُّ من صوتِ الدِّيك والسِّنَّوْرِ ، والطِّسْت ؛ ويتحيَّرُ عند رُؤية النّار .

ومن كرمه : أَنَّه لا يقربُ المرأَةَ خُصوصاً إذا كانت حائِضاً .

وقيل : أَربعُ عُيونٍ تُضيء باللَّيل ؛ عينُ الأَسد ، وعين النَّمر ، وعينُ السِّنّور ، وعين الأَفعىٰ .

• ورُوي[٢] أَنَّه لمّا تلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم : ١] قال عُتْبَةُ بن أَبي لَهب : كفرتُ بربِّ النَّجم ؛ يعني نفسه ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : « اللَّهمَّ سَلِّطْ عليه كَلْباً من كِلابك ينهشه » فخرج مع أَصحابه في عَيْرٍ إلىٰ الشّام ، حتّىٰ إذا كانوا بمكانٍ يقال له الزَّرقاء ، زأَر الأَسدَ ، فجعلَت فرائِصُه ترتعدُ ، فقالوا له : مِن أَيِّ شيءٍ تَرتعدُ فرائصُك ؟ فوالله ما نحنُ وأَنت إلاّ سَواءٌ ؟ فقال : إنَّ محمّداً دعا عَلَيَّ ؛ ووالله ما أَظَلَّت السَّماء من ذي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ من محمَّد ؛ ثم وَضعوا العَشاء ، فلم يُدخل يَدَه فيه ، ثم جاء النَّوم ،

---

(١) الأبيات بلا نسبة في حياة الحيوان . وقد مضىٰ إنشادها .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٨) وحيوان الجاحظ (٢/ ١٨١) وثمار القلوب (١/ ٧٩) والأغاني (١٦/ ١٧٥) والمعارف (١٢٥) .

فَحاطوا أَنفُسَهم بِمَتاعِهم ، وجَعلوه بينَهم ، وناموا ، فجاءَ الأَسدُ يتهمَّسُ ، وشَمَّهُم رجلاً رجلاً حتىٰ انتهىٰ إليه ، فَضَغَطَه ضغطةً كانَت إيّاها ؛ فَسُمع وهو بآخر رَمَقٍ يقول : أَلم أَقلْ لكم : إنَّ محمّداً أَصدقُ النّاس .

ولبعضهم في الأَسد[1] : [من الطويل]

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصْلَخِدٌّ مُكابِدٌ ... جَرِيءٌ علىٰ الأَقْرانِ لِلْقِرْنِ قاهِرُ
بَراثِنُهُ شُثْنٌ وَعَيْناهُ في الدُّجىٰ ... كَجَمْرِ الغَضىٰ في وَجْهِهِ الشَّرُّ ظاهِرُ
يُديلُ بِأَنْيابٍ حِدادٍ كَأَنَّها ... إذا قَلَّصَ الأَشْداقَ عَنْها خَناجِرُ

● **فائدة**[2] : إذا أَقبلتَ علىٰ وادٍ مُسْبِعٍ ، فَقُل : أَعوذُ بدانيالَ والجُبِّ من شَرِّ الأَسد ؛ وسببُ ذلك علىٰ ما قيل : إنَّ بُخْتَنَصَّرَ رأىٰ في نَومه أَنَّ هلاكَه يكونُ علىٰ يدِ مَولودٍ ، فجعلَ يأمرُ بقَتْلِ الأَطفال ، فخافَت أُمُّ دانيالَ عليه ، فجاءَت إلىٰ بِئْرٍ ، فأَلقتهُ فيه ، فأَرسل الله له أَسَداً يحرسُه .

وقيل : إنَّ بَخْتَنَصَّرَ تَوَهَّم ذلك في دانيال ، فَضَرَّىٰ له أَسدَين ، وجَعلهما في الجُبِّ ، وأَلقاهُ عليهما ، فلم يُؤْذياه ، وصارا يُبَصْبِصان حولَه ، ويَلْحَسانِه ؛ فأَقام ما شاء الله تعالىٰ أَن يقيمَ ، ثم اشتهىٰ الطَّعام والشَّراب ، فأَوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ إرمياء بالشّام : أَن اذهبْ إلىٰ أَخيك دانيال بِجُبِّ كذا بمكان كذا .

قال إرمياء : فَسِرْتُ إلى ذلك الموضع ، فلمّا وقفتُ على رأس الجُبِّ نادَيْتُهُ ، فَعَرَفَني ، فقال : مَن أَرسلك إليَّ ؟ قلت : أَرسلني الله إليك بطعامٍ وشَراب ؛ فقال : الحمدُ لله الَّذي لا يَنْسَى مَن ذَكَرَه ، والحمدُ لله الَّذي لا يَخيبُ مَن قَصَدَه ، والحمدُ لله الَّذي مَن وَثِقَ بهِ لا يَكِلُهُ إلى غَيره ، والحمدُ لله الَّذي يَجزي بالإحسانِ إحساناً وبالصَّبْرِ نَجاةً وغُفراناً ، والحمدُ لله الَّذي

---

(١) الأبيات لأبي زبيد الطائي في ديوانه (٦١٢ ـ ٦١٣) (ضمن شعراء إسلاميون) .
(٢) هواتف الجنّان (١٦٧) والمنتقىٰ من مكارم الأخلاق (٢٣٩) وحياة الحيوان (١/ ٩) .

يكشفُ ضُرَّنا بعد كَرْبنا ، والحمدُ لله الَّذي هو ثِقَتُنا حينَ تَسوءُ ظُنونُنا بأَعمالنا ، والحمدُ لله الَّذي هو رَجاؤنا حين تَنقطعُ الحِيَلُ عنّا .

قال : ثم صعدَ به إِرمياء من الجُبِّ ، وأَقام عنده مدَّةً ، ثم فارقَه ورجعَ .

• وحُكي[1] أَنَّ يحيى بن زكريّا عليهما الصَّلاة والسَّلام مَرَّ بقبرِ دانيال عليه الصَّلاة والسّلام ، فسمعَ منه صَوتاً يقول : سُبحان مَن تَعَزَّز بالقُدرة ، وقَهر العبادَ بالموت .

قال بعضُ الصّالحين : مَن قال هذه الكلماتِ استغفرَ له كُلُّ شيءٍ .

• وحُكي[1] أَنَّ إِبراهيم بن أَدهم كان في سَفَرٍ ، ومعه رُفْقَةٌ ، فخرجَ عليهم الأَسد ، فقال لهم : قُولوا : أَللَّهمَّ احرسْنا بِعَيْنِك الَّتي لا تَنام ، واحفَظْنا بِرُكْنِك الَّذي لا يُرام ، وارحَمْنا بقُدرتك علينا ، فلا نَهلك وأَنت رَجاؤنا ، يا أَللهُ يا أَللهُ يا أَللهُ . قال : فولَّى الأَسدُ هارباً .

• وقيل[2] : لمّا حَمَلَ نوحٌ عليه الصَّلاة والسَّلام في سَفينته من كُلٍّ زوجين اثنين ، قال أَصحابُه : كيفَ نَطمئنُّ ومعنا الأَسد ؟ فَسَلَّط الله عليه الحُمَّى ؛ وهي أَوَّلُ حُمَّى نزلَت في الأَرض ، ثم شَكَوا إِليه العَذِرَة ، فأَمر الله تعالى الخِنزيرَ ، فعطَس فخرج منه الفأر ، فلمّا كَثُرَ زادَ ضَرَرُهُ ، فَشَكوا ذلك لنوحٍ عليه الصَّلاة والسَّلام ، فأَمر الله سبحانه وتعالى الأَسد ، فعطس ، فخرج منه الهِرُّ ، فحجبَ الفأرَ عنهم .

ويَحْرُمُ[3] أَكْلُ السَّبُعِ لِنَهْيِهِ عليه الصَّلاة والسَّلام عن أَكل كلِّ ذي نابٍ من السِّباع ، وكلِّ ذي مِخْلَبٍ من الطَّيْرِ .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ١٠) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ١٦) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ١٤) .

• **خواصُّه**[1] : فَمِن خَواصِّه أَنَّ صَوْتَهُ يقتلُ التَّماسيح ؛ وشَحْمُهُ مَن طَلى به يَدَهُ لم يَقْرَبْهُ سَبُعٌ ؛ ومَرارةُ الذَّكَرِ منه تحلُّ المَعقود [عن النساء] ؛ ولحمه ينفعُ من الفالِج ؛ وإذا وُضِعَتْ قِطعةٌ من جِلده في صُندوقٍ لم يَقْرَبْهُ سُوسٌ ولا أَرَضَةٌ ؛ وإذا وُضِعَ على جِلدِ غيرِه من السِّباع تَساقَطَ شَعْرُهُ ؛ وهو من الحيوان الَّذي يعيشُ أَلف سنة على ما ذُكر ، وعلامةُ ذلك كثرةُ سُقوط أَسنانه .

• **الإبل**[2] : قيل : ما خَلَقَ الله شيئاً من الدَّوابِّ خيراً من الإبل ؛ إن حُمِّلَت أُثقِلَتْ ، وإن سارت أَبْعَدَتْ ، وإن حُلِبَتْ أَرْوَتْ ، وإن نُحِرَتْ أَشْبَعَتْ .

وفي حديثٍ : « الإبلُ عِزٌّ لأَهلها ، والغَنَمُ بَرَكَةٌ ، والخَيْلُ مَعقودٌ بِنَواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة » .

وهي من الحيوانِ العجيبِ ، وإن كان عجبهُ قد سقطَ لكثرةِ مُخالطته النّاس ، وقد أَطاعها الله للآدمي وغيرِهِ ، حتّى قيل : إنَّ قِطاراً كان ببعضِ حَبْلِهِ دُهْنٌ ، فَمَرَّت فأرةٌ ، فَجَذَبَتْهُ ، فسار معها القِطارُ بواسِطة جَذْبِها له .

وهي مراكبُ البَرِّ ، ولذلك قَرَنَها الله تعالى بالسُّفُن ، فقال تعالى : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٢] .

ولمّا كانت مَراكبَ البَرِّ ، والبَرُّ فيه ما ماؤه قليلٌ ، وما ماؤُهُ كثيرٌ ، جعلَ الله تعالى لها صَبْراً على العطشِ ، حتَّى قيل : إنَّه يرتَفعُ ظَمؤُها إلى عشرٍ .

وفي الحديثِ : « لا تَسُبُّوا الإبِلَ ، فَإِنَّها من نَفَسِ الله تعالى » أَي ممّا يُوَسِّع به على النّاس . حكاهُ ابن سِيْدَه ؛ والَّذي يُعْرَف : « لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فإنَّها من نَفَسِ الرَّحمن » . قال أَصحابُ الكلامِ في طَبائع الحيوان : ليسَ لشيءٍ من الفحول مثل ما للجَمل عندَ هَيَجانه ، فإنَّه يَسُوءُ خُلُقُهُ ، فَيَظهرُ زَبَدُه ، وَيقِلُّ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ١٦ ـ ١٧) وعجائب المخلوقات (٢٥٥) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٢٢) وعجائب المخلوقات (٢٤٥) .

رُغاؤه ؛ فلو حُمِّلَ عليه ثلاثةُ أَضعافِ عادَته حَمَلَ ، ويَقِلُّ أَكْلُهُ ، ويَخرجُ له عندَ رُغائه شِقْشقَةٌ لا تُعْرَفُ من أيِّ شيءٍ هي من أجزائه .

وهو من الأَحرار ، حتَّى قيل : إنَّه لا يَنْزو لا على أُمِّه ولا على أُخته ؛ حتَّى قيل : إنَّ بعضَ العربِ سَتَرَ ناقَته بثَوبٍ ، ثم أَرسل عليها وَلَدها ، فلمّا عَرف ذلك عَمَدَ إِلى إِحليله ، فأَكله ، ثم حقدَ على صاحبه حتَّى قَتله .

وليس له مَرارةٌ ، ولذَلك كَثُرَ صَبْرُهُ .

وقيل : يُوجَدُ على كَبِدِهِ شيءٌ رقيقٌ يُشبه المرارةَ ، ينفعُ من العَشا في العَينين كُحْلاً .

وفي مَعِدَتِه قُوَّةٌ ، حتَّى إِنَّها تَهضمُ الشَّوكَ وتَستطيبه .

ويَحلُّ أَكلُه بالنَّصِّ والإجماع ؛ وأَمّا تحريمُ يَعقوبَ عليه الصَّلاة والسَّلام أَكْلَها فَباجتهادٍ منه ؛ وذلك أَنَّه كان يسكنُ البَوادي ، فاشتكى عِرْقَ النَّسا ، فلم يجد ما يُلائِمه إلاّ تَرْكَ أَكْلِ لُحومها ، فلذلك حَرَّمَها .

وأَمّا انتقاضُ الوضوءِ بأَكْلِ لَحمها ، فاختلفَ العُلماء في ذلك ، فذهبَ الأَكثرون إِلى أَنَّه لا ينقضُ ، وعليه الخُلفاء الأَربعة ، وابن مَسعود ، وأُبَيٍّ ، وابن عبّاس ، وأبو الدّرداء ، وأَبو طلحة ، وعامر بن ربيعة ، وأَبو أُمامة ، وجماهير التّابعين ، وبه أَخَذَ مالكٌ ، والشّافعيُّ ، وأَبو حنيفة ، وأَصحابهم ؛ وخالفَ في ذلك أَحمد وإِسحاق [بن راهوية] ، ويحيى بن يَحيى ، وابن المنذر ، وابن خُزَيمة ، واختاره البَيهقي ، وهو مذهبُ الشّافعيِّ القديم .

خواصُّه : قال ابنُ زُهر وغيره : أَكْلُ لَحمه يزيدُ في الباهِ وفي الإنعاظ بعد الجِماع ؛ وبَوْلُهُ يُفيقُ السَّكران ؛ وَوَبَرُهُ إِذا أُحرق وذُرَّ على دمٍ سائلٍ قَطَعَهُ ؛ وقُرادُهُ إِذا رُبط على كُمِّ عاشقٍ يزولُ عِشْقُهُ .

• **الأَرَضَةُ**[1] : بفَتح الهَمزة والرّاء : دُوَيْبّةٌ صغيرةٌ كَنِصْفِ العَدَسَة تأكُلُ الخَشَبَ والوَرَقَ ؛ ولمّا كانَ فِعْلُها في الأَرْضِ أُضيفَ اسمُها إليها .

قال القَزويني : إذا أَتى على الأَرَضَة سَنَةٌ نَبَتَ لها جناحان طويلان تطيرُ بهما ؛ ويُقال : إنّها الدّابّةُ الّتي دَلَّت الجِنَّ على مَوْتِ سُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام .

• ومن شَأْنِها أَنَّها تَبْني لِنَفْسها بَيْتاً من عِيْدانٍ تَجمعُها مثلَ بيتِ العنكبوتِ ، مُنْخَرطاً من أَسفله إلى أَعلاه ، وله في إحدى جِهاته بابٌ مُرَبَّعٌ ؛ ومنه تَعَلَّمَ الأَوائلُ وَضْعَ النَّواويس لِمَوْتاهم .

والنَّملُ عَدُوُّها ، وهو أَصغرُ منها ، فيأتي من خَلْفِها ويَحتملها ويَمشي بها إلى جُحرهِ ، لأَنَّه إذا أَتاها مُستقبلاً لا يَغلبُها .

• **الأَرْنَبُ**[2] : حيوانٌ شِبْهُ العَناق ، قصيرُ اليَدين ، طويلُ الرِّجلين ، يَطَأُ الأَرضَ على مُؤَخَّر قَدَميه ، وهو اسمٌ يُطْلَقُ على الذَّكَر والأُنثى ؛ وله شِدَّةُ شَبَقٍ ، وربَّما تَسْفِدُ وهي حُبلى ، ويكونُ عاماً ذَكراً وعاماً أُنثى .

ومن عجائبها أَنَّها تنامُ وعَيناها مَفتوحتان ، فيأتي الصَّيّادُ فَيَظُنُّها مُستيقظةً .

• قيل : مَن رأَى أَرْنباً عند خُروجه من بَيته أَوّلَ ما يَخرجُ ، أَو رآهُ عندَ قِيامه من نَومه ، واصطبحَ به ، لم تُقْضَ له حاجةٌ في ذلك اليوم .

• ومن عَجيب أَمره أَن تحملَ الأُنثى منه باثنين وثلاثةٍ وأَربعة ، ولا تلدُ إلاّ تحتَ الأَرض ، خوفاً على أَولادها من الإنسان ، وتحفرُ تحتَ الأَرض الحفائرَ القويَّة ، حتَّى إنَّها تُخَرِّبُ الجُدران ؛ وعندَ ولادتها ينتحلُ شَعرها ؛ وهي

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٣٠) وعجائب المخلوقات (٢٨٨) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٣١) وعجائب المخلوقات (٢٥٣) .

تحضنُ الأولاد إلى عشرين يوماً ؛ ومن طبعه أَنَّه أَبْلَهُ ، وفيه قُوَّةٌ وشِدَّة ، وفي سِفاده حالةَ نَزْوِهِ يصرخُ الذَّكرُ والأُنثى كالسَّنانير ، فإذا وقعَ منهُ الإنزالُ وقعَ على الأَرض قليلَ الحركة ؛ وعند سِفاده تُديرُ له وَجْهَها فإذا مَلَكَها بعد ذلك فإنَّها تَجْري بهِ وهو راكبٌ عليها ويَجري مَعها .

فائدة : ذَكر ابنُ الأَثير في « الكامل »[1] أَنّ صديقاً له اصطادَ أَرنباً وله أُنْثَيان وذَكَرٌ وَفَرْجُ [أُنثى] .

• وقيل[2] : التقطَتِ الأَرنبُ تَمْرَةً فاختلَسَها الثَّعلبُ ، فأَكلها ، فانطلقا يتخاصَمان إلى الضَّبِّ ، فقالت الأَرنبُ : يا أَبا حِسْلٍ ؛ فقال : سَميعاً دَعوت . قالت : أَتيناك لِنَخْتَصِمَ ؛ قالا : عادِلاً وحَكيماً . قالت : فاخرجْ إلينا ؛ قال : في بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ . قالت : إِنِّي وجدتُ تَمْرَةً حُلوةً ؛ قال : فَكُليها . قالت : اختلسَها الثَّعلبُ . قال : لِنَفْسِهِ بَغى الخيرَ . قالت : فَلَطَمْتُهُ . قال : بِحَقِّكِ أَخذتِ ، قالت : فلَطَمني . قال : اقتصَّ . قالت : فاقضِ بيننا . قال : قد قَضَيْتُ ، فذهَبت أَقوالُه أَمثالاً .

• ومن[3] ذلك ما حُكي أَنَّ عديَّ بن أَرطاه أَتى شُرَيْحاً القاضي في مجلسِ حُكمه ، فقال له : أَين أَنت ؟ قال : بينَك وبينَ الحائط . قال : فاسمع منِّي . قال : للاستماع جلستُ . قال : إِنِّي تزوَّجْتُ امرأَةً . قال : بالرِّفاء والبنين ؛ قال : فَشَرَطَ أَهلُها أَن لا أُخرجَها من بَينهم ؛ قال : أَوْفَ لهم بالشَّرْطِ . قال : فأَنا أُريدُ الخروجَ . قال : الشَّرْطُ أَمْلَكُ . قال : أُريد أَن أَذهب . قال : في حِفْظِ الله . قال : فاقض بينَنا . قال : قد فعلتُ . قال : فعلى مَن قَضيتَ ؟

---

(١) الكامل (١٢/ ٤٦٧) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٣٣) وأخبار الأذكياء (٢٥٥) وكتب الأمثال « في بيته يؤتى الحكم » .

(٣) حياة الحيوان (١/ ٣٣) وأخبار الأذكياء (٦٨) والعقد (١/ ٩٠ و٣/ ١٠) وعيون الأخبار (١/ ٣١٧) .

قال : على ابنِ أُمِّكَ . قال : بشَهادة مَن ؟ قال : بشهادة ابن أُختِ خالَتِك .

الخواصُّ : قال الجاحظُ[1] : مَن عَلَّق عليه كَعْبَ أَرنب لم تَضُرَّهُ عَيْنٌ ولا سِحْرٌ ، وأَكْلُ دِماغِه يُبْرِىءُ من الارتعاشِ العارضِ من البَرْدِ ، وإن شَرِبَتِ المرأَةُ الحامِلُ أَنْفِحَةَ الذَّكَرِ وَلَدَت ذَكَراً ، وإن شَرِبَتْ أَنفِحَةَ الأُنْثى وَلَدَت أُنْثى ، وإن عَلَّقَتْ عليها زِبْلَها لم تَحْمِلْ .

- **والأَرْنَبُ البَحْريّ**[2] : من السُّمومِ ، فلا يَحِلُّ أَكْلُهُ .

- **أَسْقَنْقُور**[3] : دابَّةٌ شَكْلُها كالوَزَغَةِ ، إذا أُخِذَت وَسُلِخَت ومُلِّحَت وشُربت منها مِثقالٌ زادَ في الباهِ ؛ وهوَ من الأَشياءِ النَّفيسةِ عند أهل الهِند ؛ يُقال : إِنَّه يُهدى إِليهم ، فيذبَحونَهُ بِسكِّينٍ من الذَّهب ، ويَحشونَه من مِلْحِ مصر ، فإذا وَضَعوا منه مِثقالاً على لَحْمٍ أَو بَيْضٍ نَفَع نَفْعاً عَظيماً .

- **الأَفعى**[4] : الأُنثى من الحيّات ، والذَّكَر أُفعوان ؛ وهو يعيشُ أَلف سنةٍ على ما يُقال ؛ ويُعرف بالشُّجاعِ الأَسودِ ؛ وهو أَشَرُّ الحيّات ؛ وأَشَرُّها حيّاتُ وأَفاعي سِجِسْتان ؛ ومن عَجيب ما يُحكى عنها أَنَّها لَدَغَتْ إِنساناً في رِجْلِهِ فانْصَدَعَتْ جَبْهَتُهُ .

- **وحُكي**[5] أَنَّها نَهَشَت ناقةً ، وفَصيلُها يَرضعُ ، فمات قبل أُمِّه .

- وقيل[4] : لمّا دَخل شبيبُ بنُ شَيْبَة على المنصور قال له : يا شَبيب ، أَدَخَلْتَ سِجستان ؟ فقال له : نعم . قال : صِفْ لي أَفاعيها ؛ قال : يا أَمير المؤمنين ، هي دِقاقُ الأَعناق ، صِغارُ الأَذنابِ ، مُقَلَّصَةُ الرُّؤوس ، رُقْشٌ

---

(١) الحيوان (٦/ ٣٥٧ و٣٥٨) وحياة الحيوان (١/ ٣٤) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٣٥) .

(٣) حياة الحيوان (١/ ٣٧) .

(٤) حياة الحيوان (١/ ٤١ و٣٩٣) وعجائب المخلوقات (٢٨٩) .

(٥) حياة الحيوان (١/ ٤١ و٣٩٣) وعجائب المخلوقات (٢٨٩) وربيع الأبرار (٥/ ٤٧٦) .

بُرْشٌ ، كأَنَّما كُسينَ أَعلام الحِبَرات ، كِبارُهُنَّ حُتوفٌ ، وصِغارهنَّ سُيوفٌ .

• وقيل[1] : إنها تَنْدَفِنُ في التُّراب أَربعة أَشهر في البَرْد ، ثم تخرجُ ، وقد أَظلمَت عَيْناها ، فتمرُّ بشَجر الرّازيانِج وهو الشّمر الأَخضر ، فتحكُّ عَينيها به . فيرجعُ إِليها بَصَرُها ، فسُبحان مَن أَلهمها ذلك .

وقال الزَّمخشريُّ[1] : إذا عَمِيَت الأَفعى بعد أَلف سنة أَلْهَمها الله تعالى أَن تأتي البساتينَ وتُلقي نفسَها على هذه الشَّجرة ، وتحكَّ عَينيها بها فَتُبْصِرُ .

وقيل[1] : إذا قُطِعَ ذَنَبُها عادَ كما كان وإذا قُلع نابُها عادَ بعد ثلاثةِ أَيّام . وهي أَعدى عدوٍّ للإِنسان .

وقال[2] بعضُهم : رأَيتُ حيَّةً قد ابتلعت كَبْشاً عظيمَ القَرنين ، فجعلَتْ تَضْرِبُ به الحجارةَ يميناً ويساراً حتَّى كَسَرَتِ القَرنين ، وابتلَعَتْهُ وقَرْنَيْهِ ، والله تعالى أَعلم .

وقيل[2] : إذا قُطِع ذَنَبُ الحيَّة تعيشُ إن سَلِمَت من الذَّرِّ .

وقيل[2] : إنَّ بالحبشة حيّاتٍ لها أَجنحةٌ تطيرُ بها .

وقيل[2] : إنَّ جِلْدَها ينسلخُ عنها في كلِّ سنةٍ مَرَّةً .

وقيل[3] : إنَّ الجلدَ لا ينسلخُ ، وإِنَّما الَّذي ينسلخُ قِشْرٌ فوق الجلدِ ، وغِلافٌ يُخْلَقُ لها كُلَّ عامٍ .

وهي[4] تبيضُ على عدد أَضلاعها ؛ أَي ثلاثين بيضةً ، فيجتمعُ عليها النَّمل ، فَيُفْسِدُها بقدرةِ الله تعالى إِلاّ نادراً .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤١ و٣٩٣) وعجائب المخلوقات (٢٨٩) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٤١) وربيع الأبرار (٥/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٤٧٥) وحياة الحيوان (١/ ٣٩٣) .
(٤) عجائب المخلوقات (٢٩٢) .

ومن[1] عَجيب أَمرها أَنَّها لا تَردُ الماءَ ولا تُريدُه ، ولكنَّها إِذا شَمَّت رائحةَ الخمرِ ، فلا تكادُ تَصبرُ عنه ، مع أَنَّه سببُ هلاكِها ، لأَنَّها إِذا شَرِبَت سَكِرَت ، فتَعَرَّضَت للقَتل .

والذَّكر[2] لا يقيمُ في الموضعِ ، وإِنَّما تُقيمُ الأُنثى لأَجل فِراخها حتَّى تكتسبَ قُوَّةً ، فإِذا قَوِيَت أَخَذتهم وانسابَتْ ، فأَيّ جُحْرٍ وَجَدَتْهُ دخلت فيه ، وأَخرجَتْ صاحِبَهُ منه .

وعينُها لا تدورُ وإِذا قُلعت عادَت .

ومن[2] عجيبِ أَمرها أَنَّها تهربُ من الرَّجل العُريان ، وتفرحُ بالنّار ، وتقربُ منها ؛ وتحبُّ اللَّبن حُبّاً شديداً .

وإِذا[2] دخلت بصَدرها في جُحْرٍ لا يَستطيع أَقوى النّاس إِخراجَها منه ، ولو قُطِّعَت قِطَعاً ؛ وليس لها قوائمُ ولا أَظفار ، وإِنّما تَقْوى بِظَهْرها لكثرةِ أَضْلاعها .

• **وحَكى**[3] عمرو بن يحيى العَلَويّ ، قال : كُنّا في طريق مكَّة ، فأَصابَ رجلاً مِنّا استسقاءٌ ، فاتَّفق أَنَّ العربَ سَرقوا مِنّا قِطارَ جِمالٍ على أَحدها ذلك الرّجل ؛ قال : ثم بعد أَيّامٍ جَمعتنا المقاديرُ ، فوجدتُه قد بَرِىءَ ، فسأَلناهُ عن حاله ، فقال : إِنَّ العربَ لمّا أَخذوني جَعلوني في أَواخر بُيوتهم ، فكنتُ في حالةٍ أَتمنَّى فيها الموتَ ، وبينَما أَنا كذلك إِذ أَتوا يوماً بأَفاعي اصطادوها ، وقطعوا رؤوسها وأَذنابها ، وشَوَوْها بعد ذلك ، فقلتُ في نفسي : هؤلاء اعتادوها ، فلا تَضُرُّهم ، فلعلّي إِن أَكلتُ منها مِتُّ فاسترحت ؛

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٧٥) وحياة الحيوان (١/ ٣٩٣) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٣٩٣) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٤٨) وعجائب المخلوقات (٢٨٩) .

فاستطعمتُهم ، فأَطعموني واحدةً ، فلمّا استقرَّت في بَطني أَخذني النَّوم ، فنمتُ نَوماً ثقيلاً ، ثم استيقظتُ ، وقد عَرقتُ عَرَقاً شديداً ، واندفَعَت طبيعتي نحو مِئة مرّة ، فلمّا أَصبحتُ وجدتُ بَطني قد ضَمُر ، وقد انقطعَ الأَلَمُ ، فطلبتُ منهم مأْكولاً ، فأَكلتُ ، وأَقمتُ عندهم أَياماً ، فلمّا نَشَطْتُ ، وَوَثِقْتُ من نَفسي بالحركةِ أَخذت في الطَّريق مع بعضِم وأَتيتُ الكوفَة .

فائدة : قيل[1] : إنَّ الرَّيحانَ الفارسيَّ لم يكنْ قبلَ كِسرى ، وإنَّما وُجِدَ في زَمانه ، وسَبَبُهُ أَنَّ كِسرى كان ذاتَ يوم جالساً في بعضِ مُتَفَرَّجاتِهِ إذ جاءَتْهُ حَيَّةٌ ، فانسابَتْ بين يَديه ، وتَمَرَّغَت وصارَت تَتَقَلَّقُ مثلَ الَّذي يَشتكي ، فأَراد بعضُ الجُنْدِ قَتْلَها ، فَمنعهم الملكُ ، ثم قال لهم : انظُروا أَمْرَها ؛ فلمّا سمعَت ذلك انسابَتْ بينَ يدَيه ، فأَمرهم أَن يَتبعوها إلى المكان الَّذي تُريده ، قال : فجاءت إلى بِئرٍ وَصارت تَنظرُ فيه .

قال : فَنَظَرُوا فإذا فيه حَيَّةٌ عَظيمةٌ وعلىٰ ظَهرها عقربٌ أَسود فَنَخَسَ بعضُهم ذلك العقربَ بِرُمْح ، فقَتلها ، وتَركوها ورَجعوا ، فأَخبروا الملِكَ بذلك ، فلمّا كان الغدُ جاءَت الحيَّةُ للملِك وفي فَمِها بزْرٌ ، فَنَثَرَتْهُ بين يَدي الملِك ، وذهَبت ، فقال الملك : إنَّها أَرادت مُكافأَتنا ، اجعلُوه في الأَرض لِننظرَ ما يَكونُ من أَمره ؛ قال : ففعلوا ذلك ، فطَلع منه الرَّيحان ، قال : فلمّا انتهىٰ أَمْرُهُ أَتَوا به إلىٰ الملِك ؛ قال : وكان به زُكامٌ ، فَشَمَّهُ فَبَرِىءَ .

لطيفةٌ[2] : من غريبِ ما اتَّفق لِعماد الدَّولة ، أَنَّه لمّا مَلَكَ شِيراز اجتمعَ عليه أَصحابهُ وطلبوا منه مالاً ، ولم يكن عِنْدَهُ ما يُرضيهم به ، فاغتمَّ لذلك ونامَ مُستلقياً علىٰ قَفاه مُفَكّراً في ذلك ، وإذا بحيَّةٍ عظيمةٍ خرجَت من سَقْفِ ذلك

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٣٩٥) وعجائب المخلوقات (١٨٨) .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) وحياة الحيوان (١/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) .

المَجلسِ ودَخلت في سَقْفٍ آخرَ ؛ قال : فَطَلَبَ سُلَّماً وصَعد لِينظرَ المكانَ الَّذي خرجَت منه ، فلمّا رآه وجدَ كُوَّةً ، فنظرَ في داخلها ، فإذا هي مَطمورةٌ ، فدخَلها ، فوجدَ فيها صُندوقاً فيه خَمسمئة أَلف دينار ، فأَمر بإِخراجه وإِنفاقه علىٰ عَسكره .

ومن أَلطفِ ما اتَّفق له أيضاً[١] : أَنَّه كان بتلك البلد خيّاطٌ أُطروشٌ ، وكان المَلِك الَّذي قَبْلَهُ قد أَودع عنده وَديعةَ مالٍ ؛ قال ، فطَلبه عِمادُ الدَّولة لِيخيطَ له علىٰ عادَته ، لأَنَّه هو الَّذي يَخيطُ لِلملوكِ ؛ قال : فتَوَهَّمَ الأُطروشُ أَنَّه غُمِزَ عليه بِسببِ الوَديعة ؛ فلمّا حضرَ بين يدي عِماد الدَّولة قال له : إِنَّ فُلاناً المَلِك لم يُودِعْ عندي سوىٰ اثني عَشَرَ صُندوقاً ، ولم أَدْرِ ما فيها ؛ فأَمر بإِحضارِها ، فأَحضرَها ، فأَخذهما عِماد الدَّولة ، ووسَّع بها علىٰ جُنده ، وتعجَّب من هاتين القَضِيَّتين ؛ فكانَت هذه الأَسبابُ من دلائلِ السَّعادة له .

● وأَمرَ[٢] النَّبيَّ ﷺ بقَتْلِ الحيّات بعدَ أَن تُنْذَرَ ثلاثَ مرّات ، وقيل : ثلاثةَ أَيّام ؛ وأمّا سُكّان البُيوت ، فالإنذارُ لها مُتعَيِّنٌ .

● وفي الحديث : « مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَكَأَنَّما قتَلَ مُشْرِكاً ، ومَن لَبِسَ خُفّاً فَلْيَنْفُضْهُ ، ومَن آوىٰ إِلىٰ فِراشه فَلْيُنَظِّفْهُ » .

● **الخواصّ**[٣] : يُقال : إِنَّ دمَها يَجلو البَصَرَ ، وقَلْبُها إذا عُلِّقَ علىٰ إِنسانٍ لا يُؤَثِّرُ فيه السِّحْرُ ، وضِرْسُها إذا عُلِّق علىٰ مَن به وَجَعُ الضِّرس سَكَّنَ ، الأَيمنُ للأَيمنِ والأَيْسَرُ للأَيْسَر ؛ ولحمُها ، قال بُقراط الحكيم : مَن أَكله أَمِنَ من الأَمراضِ الصَّعْبَة .

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٤٠٠) وحياة الحيوان (١/ ٤٠١) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٤٠٢) .

(٣) حياة الحيوان (١/ ٤٨ و٤٠٤) وعجائب المخلوقات (٢٨٩ و٢٩٣) .

• **الأنيس**[1] : وتُسَمِّيه الرُّماة « الأنيسة » لأنَّه من طُيور الواجب عندهم ؛ وهو طيرٌ له لونٌ حَسَنٌ ، غذاؤه الفاكهةُ ، ومأواهُ الأنهار والبساتينُ والغِياضُ ، وله صوتٌ حَسَنٌ كالقُمريّ .

• **الإوَزّ**[2] : طَيْرُ السِّباحةِ ، وفِراخُه تَخرجُ من البيضة فتسبحُ .

الخواصّ : في جَوفه حَصاةٌ تنفعُ المبطونَ ، ودُهنُه ينفعُ من ذاتِ الجَنْبِ وداءِ الثَّعلب إذا طُلِيَ به ، ولِسانه ينفعُ لِقطارِ البَولِ ، وغذاؤه جَيِّدٌ إلا أَنَّه بَطيءُ الهَضْمِ .

• **الأيِّل**[3] : بتَشديد الياءِ المكسورة ، ذَكَرُ الوَعْل ، وله أَسماءٌ باختلاف اللُّغات ، وهو يُشبهُ بَقَرَ الوَحْش ، وإذا خافَ من الصَّيّاد رَمىٰ بنفسه من رأسِ الجَبَلِ ولا يَتَضَرَّرُ بذلك ، وإذا لَسَعَتْهُ حَيَّةٌ ذهَبَ إلىٰ البحر فأكلَ السَّرطان فَيَشْفَىٰ .

خواصُّه : إنَّ السَّمكَ يُحِبَّ رُؤيتَه وهو يُحِبُّ ذلك ، ولذلك أَكثرُ ما يكونُ بِقُربِ البَحر ، والصَّيّادون يعرَفون ذلك ، فيلبَسون جِلْدَهُ لِيرَاهُم السَّمك ، فيأتي لهم .

وهو مُولَعٌ بأَكْلِ الحيّات ، وربَّما لَسَعَتُه ، فَتَسيلُ دُموعُهُ تحتَ محاجِرِ عَينيه حتَّىٰ تصيرَ نَفْرَتَيْنِ من كثرةِ ذلك ، ثم تجمدُ تلكَ الدُّموع فتصيرُ كالشَّمع ، فَتُؤْخَذُ وَتُجْعَلُ دواءً للسُّمِّ ، وهو الَّذي يُسَمَّىٰ بالبَنْزَهير الحيوانيّ ، وأَجودُه الأصفر .

وأَكثرُ ما يكونُ ببلاد الهندِ والسِّند وفارس ، وإذا وُضِع علىٰ لَسْعَة الحيّات أَبْرَأَها ، وإن وَضَعَهُ الملسوعُ في فيهِ نَفعه .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٦٤) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٦٦) وعجائب المخلوقات (٢٦٩) .

(٣) حياة الحيوان (١/ ١٥٠) وعجائب المخلوقات (٢٥١) .

وهذا الحيوانُ لا تنبتُ قَرْناهُ إلاّ بعد سَنتين ، ويَنبتان في أَوّل الأَمر مُستقيمين، ثم بعد ذلك يحصلُ فيهما التَّشَعُّبُ، ولا يزالُ يزيدُ إلىٰ ستِّ سِنين ، فحينئذٍ يَصيران كنخلتين ، ثم بعد ذلك يُلقيهما في كُلِّ سنةٍ مرَّةً ، ثم يَنبتان .

قال أَرسطو : وهذا النَّوعُ يُصاد بالصَّفير والأَصوات المُطربةِ ، فإِنَّه يحبُّ الطَّرَبَ ، والصَّيّادون يَشغلونه بذلك ويأتونَه من وَرائه ، فإِذا رأَوه قد اسْتَرْخَتْ أُذناهُ وَثَبُوا عليه .

وقَرْنُهُ مُصْمَتٌ ، وإِحليلهُ من عَصَبٍ لا عظمَ فيه ولا لَحْم ، وهو من الحيوانِ الَّذي يزيدُ في السِّمَن ، فإِذا حصلَ له ذلك فَرَّ من مَكانه خوفاً من الصَّيّادين ؛ وحُكْمُهُ حِلُّ أَكْلِه .

الخواصّ : إذا بُخِّرَ بِقَرْنِه البيتُ طَرَدَ الهوامَّ الَّتي فيه ، وإِذا أُحرقَ واستاك بِهِ الَّذي به صُفْرَةُ الأَسنان زالَ ذلك عنه ، ومَن عُلِّقَ عليه شيءٌ منه ذهبَ نَومه .

ومن خواصِّه : أَنَّ دَمَهُ يُفَتِّتُ الحَصاةَ الَّتي بالمثانةِ شُرْباً .

والله سُبحانه وتعالىٰ أَعلم ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

حرف الباء المُوَحَّدة :

● **باز**[١] : كُنيتهُ أَبو الأَشعث ، وهو من أَشَدِّ الحيوان تَكَبُّراً ، وأَضْيَقِها خُلُقاً .

قال القزويني : إِنَّها لا تكونُ إلاّ أُنثىٰ ، وذَكَرُها من غَيرِها ، إمّا من جِنْسِ الحَدِأَة أَو الشَّواهين ؛ ولأَجل ذلك تختلفُ أَلوانُها ، وهو أَصنافٌ : منها البازيُّ ، والباشِقُ ، والشّاهينُ ، والبَيْدَق ، والصَّقر ؛ والبازيُّ أَحَرُّها مِزاجاً ، لأَنَّه لا يَصبرُ علىٰ العَطش ، فلذلكَ لا يُفارقُ الماءَ والأَشجار المُلتفَّة والظِّلَّ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ١٥٢) وعجائب المخلوقات (٢٧٠) .

الظَّليل ، وهو خفيفُ الجناحِ ، سريعُ الطَّيرانِ ، تكثرُ أمراضُه من كثرةِ طَيرانه ، لأَنَّه كلَّما طارَ انحطَّ لحمُه وهَزل .

وأَحسنُ أَنواعِه ما قلَّ رِيشُه ، واحْمَرَّت عَيْناه مع حِدَّةٍ فيهما ؛ قال الشّاعر[1] : [من الرجز]

لـو استَضـاءَ المَـرْءُ فـي إدْلاجِـهِ بِعَيْنِـهِ كَفَتْـهُ عـن سِـراجِـهِ

ودُونَهُ الأَرزقُ الأَحمرُ العينين ، والأَصفرُ دُونَهما .

ومن صِفاته المحمودة : أَن يكونَ طويلَ العُنُقِ ، عريضَ الصَّدْرِ ، بعيدَ ما بين المنكبين ، شديدَ الانخراط إلىٰ ذَنَبِهِ ، غليظَ الذِّراعين مع قِصَرٍ فيهما .

لطيفةٌ[2] : من عَجيبِ امره ، أَنَّ الرَّشيدَ خرجَ ذاتَ يومٍ للصَّيد ، فأَرسل بازاً ، فغابَ قليلاً ثم أتىٰ وفي فمِهِ سَمَكَةٌ ، فأَحضرَ الرَّشيدُ العلماءَ ، وسأَلهم عن ذلك ، فقالَ مُقاتل : يا أَمير المؤمنين ، رَوَيْنا عن جَدِّك ابنِ عبّاس رضي الله تعالىٰ عنهما ، أَنَّه قال : إنَّ الجَوَّ مَعمورٌ بأُمَمٍ مختلفةِ الخَلْقِ ، وفيه دوابُّ تَبيضُ وتُفَرِّخُ علىٰ هَيْئَةِ السَّمَكِ ، لها أَجنحةٌ ليست بذواتِ ريشٍ ؛ فأَجازَ مُقاتلاً علىٰ ذلك وأَكرمه .

• **بالَه**[3] : سمكةٌ عظيمةٌ ؛ قال القَزويني : يُقال : إنَّ طُولَها يبلُغ خَمسمئة ذراعٍ ، وقال غيره : خَمسون ؛ ويُقال لها : العَنْبَرُ .

وهي تظهرُ في بعضِ الأَحايين لأَصحاب المراكبِ ، فإذا رأَوها طَبّلوا بالطُّبول حتّىٰ تنفرَ ، لأَنَّ لها جناحين كالقَناطر إذا نَشَرَتْهُما أَغْرَقَتْهُمْ ؛ فإذا بَغت

---

(١) الشطران للناشىء الأكبر في حياة الحيوان (١/ ١٥٤) وديوانه (٤٩) (ضمن مجلة المورد العراقية مج١١ ع٣) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ١٥٣) وعجائب المخلوقات (٢٧٠) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ١٥٩) وعجائب المخلوقات (٩٢ و٩٨) .

علىٰ حَيوان البحرِ وزادَ شَرُّها ، أَرسل الله عليها سَمَكَةً نحو الذِّراع تلتصقُ بأُذُنها ولا خلاصَ لها منها ، فتنزلُ إلىٰ قعرِ البحرِ وتَضربُ رأَسَها به حتَّىٰ تَموتَ ، ثم تَطفو بعد ذلك ، فَيقذفُها الرِّيحِ إلىٰ السّاحل ، فيأخذُها أَهلُه ويَشُقُّون جَوْفَها ويَستخرجون منها العَنْبَرَ .

● **بَبَّغاء**[1] : هي أَصنافٌ كثيرةٌ ، منها الأَخضرُ والرَّماديُّ والأَصفرُ والأَبيض ؛ يَتَّخذُها الملوكُ والرُّؤساءُ لِحُسْنِ لَونها وصَوتها وفَصاحتها .

حُكي ، أَنَّه أُهديَ لِمُعِزِّ الدَّولة دُرَّةٌ بيضاءُ سوداءُ الرِّجلين والمِنقار ؛ ويقال : إن نوعاً منها يقرأ القرآن .

الخواصّ : مَن أَكلَ لِسانَها تَفَصَّحَ ، وإذا جُفِّفَ دَمُها وجُعِلَ بين الصَّديقين حَصَلَت بينهما الخُصومةُ ، وزِبْلُها يُخْلَطُ بماءِ الحِصْرمِ ويُكتحلُ به ينفعُ من الرَّمد وظُلْمَةِ البَصَرِ .

● **بَجَعٌ**[2] : طائرٌ أَبيضُ اللَّون ، يَميلُ إلىٰ الصُّفْرَةِ ، طويلُ المِنقارِ ، كبيرُ البَطْنِ ، أَكثرُ أَكلِهِ السَّمَكُ .

● **بَجّ**[2] : طائر لطيف يأوي أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالباً إلا اثنين فقط .

● **بُراقِ**[3] : هو الدَّابَّةُ الَّتي رَكِبَها النَّبيُّ ﷺ وهو دُونَ البَغْلِ وفَوْقَ الحِمار ، أَبيضُ اللَّون .

● **بِرْذَوْن**[4] : نوعٌ من الخَيْلِ ، دونَ الفَرَسِ العربيِّ ؛ وفي الحديث : أَنَّ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ١٥٩) وعجائب المخلوقات (٢٧٠) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ١٦١) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ١٦٥) .
(٤) حياة الحيوان (١/ ١٦٨) .

النَّبيَّ ﷺ ركبَه ، وكذا عُمر رضي الله تعالىٰ عنه ، فلمّا[1] ركبَه عُمر جعلَ يتجلجل[2] به ، فنزلَ عنه وضَربَ وَجْهَهُ وقال : لا أَعلمُ واللهِ مَن علَّمَكَ هذه الخُيلاء ، ولم يركبْ بِرْذَوناً قبلَه ولا بعدَه .

وكُنيته : أَبو الأَخطل ، لِخَطَل أُذُنَيْه[3] .

وأَنشدَ السِّراجُ الورّاقُ في ذَمِّ البراذين يقول[4] : [من السريع]

لِصاحِبِ الأَحْباسِ بِرْذَوْنَةٌ بَعيدةُ العَهْدِ عَنِ القُرْطِ
إذا رَأَتْ خَيْلاً على مَرْبَط تَقُولُ : سُبْحانَكَ يا مُعْطي
تَمْشي إِلى خَلْفٍ إذا ما مَشَتْ كَأَنَّما تَكْتُبُ بالقِبْطي

الخواصّ : إذا شَربَت امرأَةٌ دَمَه لم تحبلْ أَبداً ؛ وزِبْلُهُ يُخْرِجُ المَشيمةَ والجَنين المَيِّت ، وإِذا جُفِّفَ وذُرَّ منه على مَن بهِ الرُّعافُ انقطعَ رُعافه ، وكذا الجُرح .

• **بُرْغُوثٌ**[5] : تُفتح منه الباءُ وتُضَمُّ ؛ وكُنيته : أَبو طامر ، وأَبو عَديّ ، وأَبو وثّاب ؛ وهو يَثِبُ إِلى ورائه .

حُكي أَنّه يَعرضُ له الطَّيرانُ كالنَّمل ، وهو يُطيل السّفادَ ، ويَبيضُ ويُفَرِّخُ ، وأَصلُه أَوّلاً من التُّراب ، لا سيَّما في الأَماكن المُظلمة ؛ وسُلطانه في أَواخر الشِّتاء وأَوّل فَصل الرَّبيع .

ويُقال : إِنَّه على صُورة الفيل ، وله أَنيابٌ وخُرطوم .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ١٦٩) والكامل لابن الأثير (٢/ ٥٠١) .
(٢) أي يزهو في مشيته .
(٣) في الأصول : لطول ذنبه ! وخطل الأذنين : استرخاؤهما .
(٤) البيتان له في حياة الحيوان (١/ ١٦٩) . والقرط . نوع من النبات .
(٥) حياة الحيوان (١/ ١٧٢) وحيوان الجاحظ (٥/ ٣٨٤) .

وقال بعضُهم : دَبيبُها مِن تَحتي أَشَدُّ من عَضِّها ؛ وليس ذلك بِدَبيبٍ ، ولكنَّ البُرغوثَ خَبيثٌ يَستلقي على ظَهره ويرفعُ قَوائمه فَيُزَغْزِغُ بها ، فيظُنُّ مَن لا عِلْمَ له أَنَّه يَمشي تحت جَنبيه .

● وكان أَبو هريرة رضي الله تعالى عنه يَفْلي ثَوبه فيلتقطُ البَراغيثَ ويَدَعُ القَمل ؛ فقال له أنس في ذلك ، فقال : أَبْدَأُ بالفُرسان ، وأَكُرُّ على الرَّجّالة .

● وأنشد أَعرابيٌّ[1] : [من البسيط]

لَيْلُ البَراغيثِ أَعْياني وأَنْصَبَني ... لا بارَكَ اللهُ في لَيْلِ البَراغيثِ
كأَنَّهُنَّ وَجِلْدي إِذْ خَلَوْنَ بِهِ ... أَيْتامُ سُوْءٍ أَغاروا في المواريثِ

● وقال أَبو الرَّمّاح الأَسَدَيّ[2] : [من الطويل]

تَطاوَلَ بالفُسْطاطِ لَيْلي وَلَمْ يَكُنْ ... بِوادي الغَضَا لَيْلي عَلَيَّ يَطُولُ
تُؤَرِّقُني حُدْبٌ قِصارٌ أَذِلَّةٌ ... وإِنَّ الَّذي يُؤْذينَهُ لَذَليلُ
إِذا جُلْتُ بَعْضَ اللَّيْلِ مِنْهُنَّ جَوْلَةً ... تَعَلَّقْنَ بي أَو جُلْنَ حَيْثُ أَجُولُ
إِذا ما قَتَلْناهُنَّ أَضْعَفْنَ كَثْرَةً ... عَلَيْنا ولا يُنْعَى لَهُنَّ قَتيلُ
أَلا ليتَ شِعْري هَلْ أَبيتَنَّ ليلةً ... وَلَيْسَ لِبُرغوثٍ عَلَيَّ سَبيلُ

● وقال ابنُ أَيبك الصَّفدي : [من السريع]

أَشْكو إِلى الرَّحمٰن ما نالَني ... مِن البَراغيثِ الخِفافِ الثِّقالْ
تَعَصَّبوا باللَّيْلِ لمّا دَرَوا ... أَنّي تَقَنَّعْتُ بِطَيْفِ الخيالْ

● ويُقال للبُرغوث : الأحدب .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٧٩) وحيوان الجاحظ (٥/ ٣٨٥) .
(٢) له في ربيع الأبرار (٥/ ٤٨٠) وحيوان الجاحظ (٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) والأول والأخير بلا نسبة في حياة الحيوان (١/ ١٧٤) .

• ولا يُسَبُّ البُرغوثُ لِما رُوي عن الإمام أحمد والبَزّار والبخاري في الأدب ، عن أَنس رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سمعَ رجلاً يَسُبُّ بُرغوثاً ، فقال : « لا تَسُبَّهُ ، فإِنَّه أَيْقَظَ نَبِيّاً إِلى صَلاةِ الفَجْرِ » .

فائدة[1] : سُئل مالكٌ عن البُرغوث : مَن يَقبِضُ رُوحه ؟ فقال : أَلَهُ نَفْسٌ ؟ قيل : نعم ؛ قال : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] .

• ولقد شكا عاملُ إفريقيَّة إلى عمر بن عبد العزيز شرَّ الهوامِّ ، فكتبَ إليه : إِذا أَوى أَحدُكم إلى فراشِهِ فليقرأْ : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم : ١٤/ ١٢] الآية .

• وقال حُنين بن إِسحاق : الحِيلةُ في دَفعِ البُرغوثِ : أَن تأخذَ شيئاً من الكِبريت ، فَتُدَخِّنَ به في البيتِ ، فإِنَّها تَفِرُّ من ذلك .

وقيل : يُرَشُّ البيتُ بماءِ السُّذاب .

وقيل : مَشاقّ المراكب[2] يُحرقُ في البيتِ مع قُشور النّارنج .

• **بَعوض**[3] : قيل إِنَّه على خِلْقَةِ الفيلِ ، إِلاّ أَنَّهُ أَكْثَرُ أَعضاءً منه ؛ فإِنَّ للفيل أَرْبعة أَرْجُلٍ ولِلبعوضِ سِتَّةٌ ، ويزيدُ عليه بأَربعة أَجنحةٍ ، وله خُرطومٌ مُجَوَّفٌ نافِذٌ ، فإِذا طَعَنَ به جَسَدَ إِنسانٍ اسْتَقى الدَّمَ وقَذَف بِهِ إِلى جَوْفِهِ ، فَهُو له كالبُلعوم والحُلقوم .

وممّا أَلهمَهُ الله تعالى أَنَّه إِذا جلسَ على عُضْوِ إِنسانٍ يَتَّبِعُ مَسامَّ العُروق ، فإِنَّها أَرَقُّ وأَسرعُ له في إِخراجِ الدَّمِ ؛ وعندَه شَرَهٌ في مَصِّهِ ، حتّى قيل : إِنَّه لا يَمصُّ شيئاً فيتركَهُ باختيارِهِ إِلى أَن ينشقَّ أَو يُطار .

ومن عَجيبِ أَمرِه أَنَّه رُبَّما قتلَ البَعير وغيرَه من ذواتِ الأَربع ، فيتركُه طَريحاً .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ١٧٣ ـ ١٧٥) .

(٢) كذا في الأصول ، وفي حياة الحيوان : مشاق الكتان القديم .

(٣) حياة الحيوان (١/ ١٧٩) وعجائب المخلوقات (٢٩٠) .

• وقال الجاحظ[1] : من عَلَّمَ البَعوضَ أَنَّ وراءَ جِلْدِ الجاموس دَماً ، وأَنَّ ذلك الدَّمَ غِذاءٌ لها ، وأنها إذا طَعَنَت في ذلكَ الجِلْدِ الغليظِ نَفَذَ فيه خُرطومُها مع ضَعْفِهِ ، ولو أَنَّكَ طَعَنْتَ فيه بمسلاةٍ شديدةِ المتن ، رَهيفة الحدِّ ، لانكسَرَت ؛ فسُبحان مَن رَزَقَها على ضَعْفِهابقُوَّتِهِ وقُدْرَتِهِ .

• قال بعضُهم[2] : [من الوافر]

أَقُولُ لِنازِلِ البُستانِ : طُوبَى ... لِعَيشِكَ ثُمَّ يُسْكِتني البَعوضُ
يُمَلْمِلُهُ فَلَيْسَ لَهُ قَرارٌ ... وَيُثْخِنُهُ فَلَيْسَ لَهُ نُهوضُ
عَماهُ قَرْصُهُ وَطَنِينُهُ أَنْ ... يَبيتَ وَعَيْنُهُ فيها غُموضُ
كَأَنَّكَ حِيْنَ يَهْذي بالأغاني ... تُكَرَّرُ في مَسامِعِكَ العَروضُ

• ومِن الحِكَمِ الَّتي أَوْدَعَهَا الله تعالى إِيّاها ، أَن جعلَ الله فيها قُوَّةَ الحافِظة والفِكر ، وحاسَّة اللَّمس والبَصَر والشَّمِّ ، ومَنفذَ الغذاء ، وجَوفاً وعُروقاً ومُخّاً وعِظاماً ؛ فسُبحان مَن قَدَّرَ فهدى ، ولم يتركْ شيئاً سُدى .

• وقال الزَّمخشريّ في تفسير سُورة البقرة في ذلك[3] : [من الكامل]

يا مَن يَرى مَدَّ البَعُوضِ جَناحَها ... في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهيمِ الأَلْيَلِ
ويَرى مَناطَ عُروقِها في نَحْرِها ... والمُخَّ مِن تلْكَ العِظامِ النُّحَّلِ[4]

---

(١) الحيوان (٤/ ٣١٤ و٥/ ٣٩٩ و٦/ ٤٠٠ و٧/ ١٨٥) وربيع الأبرار (٥/ ٤٦١) .

(٢) من ديوان المنظوم في ربيع الأبرار (٥/ ٤٦٣) .

(٣) الأبيات ليست للزمخشري ؛ قال في الكشاف (١/ ٢٦٥) : وأنشدت لبعضهم ؛ وكذا في نقل ابن خلكان (٥/ ١٧٣) والدَّميري (١/ ١٨٢) .

(٤) زادت نسخة أ بعد هذا البيت :

ويَرى اختلاجَ جَنينها في بَطنها ... في أَيِّ زاويةٍ تكون بِمَعْزلِ
ويرى دَبيبَ النَّملِ في أَوكارها ... سُبحانَهُ مِن مالِكٍ مُتَفَضِّلِ
ويرى ويسمعُ صوتَ ما هوَ دونَها ... في قَعْرِ بَحْرٍ طامي مُتَجَنْدِلِ (!)=

امْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِها ... ما كان مِنِّي في الزَّمانِ الأَوَّلِ

● **بغل**[١] : معروفٌ ، وكُنيته : أَبو قَموص ، وأَبو حَرون ، وله كُنى غيرُ ذلك كثيرةٌ ، وهو مَرَكَّبٌ من الفَرَسِ والحِمار ، ولذلكَ صارَ له صَلابَةُ الحمارِ وعِظَمُ الخَيل ، وهو عَقيمٌ لا نَسْلَ له .

● رَوى[٢] ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » عن عليٍّ كرَّم الله وَجهه ، أَنَّها كانت تَتناسلُ ، فدعا عليها إِبراهيمُ الخليلُ ، لأَنَّها كانت تُسرعُ في نقلِ الحَطَبِ لنارِ المِنجنيقِ ، فقطعَ الله نَسْلَها .

وهو أَشَرُّ الطِّباع ، لأَنَّه تُجاذبه الأَعراقُ المتضادَّة والأَخلاق المتباينة والعناصرُ المتباعدةُ؛ ومن العجيبِ أَنَّ كُلَّ عُضْوٍ فُرْضَتُهُ منه كان بين الفرسِ والحِمار .

الخواصّ : يُقال : إِنَّ حافرَ البغلةِ السَوداء ينفعُ لِطَرْدِ الفأر إذا بُخِّرَ به البيت ، وإذا سُحق حافِرُهُ بعد حَرْقِهِ وخُلط بدُهنِ الآسِ وجُعل على رأسِ الأَقرعِ نَبَتَ شَعره ؛ وزِبْلَهُ إِذا شَمَّهُ المزكومُ زال زُكامه على ما ذُكر .

● **بقر**[٣] : هو حيوانٌ شديدُ القُوَّةِ ، خلَقه الله تعالى لِمنفعةِ الإِنسان ، وهو أَنواعٌ منها الجواميس ، وهي أَكثرُ أَلباناً ؛ وكلُّ حيوانٍ إِناثُه أَرَقُّ أَصواتاً من

= إِنِّي سأَلتكَ بالنَّبيِّ محمّدٍ ... وَبما تَلاهُ من الكتابِ المُنَزَلِ
وزادت ط بعد الثاني :
ويرى خريرَ الدَّم في أَوداجها ... مُتَنَقِّلاً من مَفْصَلٍ في مَفْصَلِ
ويرى وُصولَ غِذا الجنين بِبَطنها ... في ظُلْمَةِ الأَحشا بِغَيْرِ تَمَقُّلِ
ويرى مَكانَ الوَطْءِ من أَقدامِها ... في سَيْرِها وحَثيثِها المستعجلِ
ويرى ويَسمعُ حِسَّ ماهو دونَها ... في قاعِ بحرٍ مُظلمٍ مُتَهوِّلِ
قلت : وأَراها زيادات من الأبشيهي نفسه .

(١) حياة الحيوان (١/ ١٩٥) وعجائب المخلوقات (٢٤٣) .
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٣٥٤) وحياة الحيوان (١/ ٢٠١) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٢٠٨) وعجائب المخلوقات (٢٤٦) .

ذُكوره إلاّ البَقَر ، وأُنثاهُ يَضْرِبُها الفَحْلُ في السَّنة مرَّةً ، وإذا اشتدَّ شَبَقُها تركَت المرعى وذَهبت إليه ، وإذا طلعَ عليها الفَحْلُ الْتَوَتْ تَحْتَه إذا أَخطأ المَجرى ، لِشِدَّة صَلابة ذَكَرِه .

قال المسعوديُّ : رأَيتُ بالرَّيِّ البَقَرَ تَحملُ كالبَعير ، فَتَبْرُكُ على رُكبتيها ثم تَثُور بالحِمْل .

عجيبةٌ[1] : حَكى في « الإحياء » أَن شَخْصاً كانت له بَقَرَةٌ ، وكان يَشُوبُ لَبَنَها بالماءِ ويَبيعه ، فجاء السَّيْلُ في بعضِ الأَودية وهي واقفةٌ تَرعى ، فمرَّ عليها فَغرَّقها ، فجلسَ صاحبُها يَنْدُبُها ، فقال له بعضُ بَنيه : يا أَبَتِ لا تَنْدُبْها ، فإنَّ المياهَ الَّتي كُنّا نَخْلِطُها بِلَبَنِها اجتمَتْ فَغَرَّقَتْها .

● **فائدة** : ذكر ابنُ الفَضْل في كتابه عن وَهْب مُنَبِّه ، أَنّه قال : لمّا خَلَقَ الله تعالى الأَرض ماجَت واضْطَرَبت كالسَّفينة ، فخلَق الله تعالى مَلَكاً في نِهاية العِظَمِ والقُوَّة ، وأَمره أَن يدخلَ تَحتها ويَجعلها على مَنكبيه ، فدخَل وأَخرج يداً من المشرق ويداً من المغرب ، وقبضَ على أَطرافِ الأَرضِ وأَمسكها ، ثم لم يكنْ لِقَدَميْهِ قرارٌ فَخَلَق الله تعالى صخرةً من ياقوتةٍ حمراءَ ، في وسَطها سبعةُ آلاف ثُقْبٍ ، فخرجَ من كُلِّ ثُقْبٍ بحرٌ لا يَعلم عظمَه إلاّ الله تعالى ، ثم أَمر الصَّخرةَ أَن تدخلَ تحتَ قَدَمي المَلَكِ ، ثم لم يكن للصَّخرةِ قرارٌ فخلقَ الله تعالى ثَوْراً عظيماً يقال له كَيوثاء ، له أَربعةُ آلاف عَيْنٍ ومثلُها أُنوفٌ وآذانٌ وأَفواهٌ وأَلسنةٌ وقوائمُ ، ما بين كل قائمتين منها مَسيرة خَمسمئة عام ، وأَمر الله تعالى هذا الثَّور فدخلَ تحتَ الصَّخرةِ وحَملها على ظَهره وقُرونه ، ثم لم يكن للثَّور قرارٌ فخلقَ الله تعالى حُوتاً يقال له يَهموت ، ثم أَمره الله تعالى أَن يدخلَ تحتَه ، ثم جَعل الحوتَ على ماءٍ ثم جعل الماءَ على الهواءِ ثم جعلَ الهواءَ على ماءٍ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٢١٢) .

أَيضاً ، ثم جعل الماءَ على الثرّى على الظُّلمة ، ثم انقطعَ عِلْمُ الخلائقِ[1] .

الخواصّ : شَحْمُ البقر إِذا خُلط بزرنيخٍ أَحمر وبُخِّرَ به طردَ العقارب ، وإِذا طُلي به إِناءٌ اجتمعَت البراغيثُ إِليه ، وإِذاً شُرب لبنُها زادَ في الإِنعاظِ .

وقَرْنُها إِذا سُحق وجُعل في طعامِ صاحبِ الحُمَّى فأَكله زالت الحُمَّى ؛ ومَرارتُها إِذا خُلطت بماءِ الكُرّاث نفعَت من البَواسير طلاءً ، وإِذا طُلي بهِ على الأَثرِ الأَسود في البَدَنِ أَزالَه .

وخِصْيَةُ الفَحل إِذا جُفِّفَت وسُحِقَت وجُعلت في عَسَل وأُكِلَت فإِنّها تَزيد في الباهِ .

وشَعرُها إِذا أُحرِقَ واستيكَ به نفعَ من وَجَعِ الأَسنانِ ، وإِذا خُلط مع السَّكَنْجَبين وشُرب نفعَ من الطِّحال على ما ذُكر .

● **بُوْمَة**[2] : وكُنيتها أُمُّ الخَراب ، وأُمُّ الصِّبيان .

ومن طَبْعها أَن تدخلَ على كلِّ طَيْرٍ في وَكْرِهِ وتأكلَ أَفراخَه ؛ ولِمُعاداةِ الطُّيورِ لها يَجعلُها الصَّيّادون في أَشراكِهم حتَّى يقعَ عليها الطَّيرُ .

ونقل المَسعوديُّ عن الجاحِظ أَنَّ البُومَة لا تخرجُ بالنَّهار خوفاً من العَيْنِ ، لأَنَّها تَظُنُّ أَنَّها حَسناء ، وهي أَصنافٌ وكلُّها تُحِبُّ الخَلوةَ بنَفْسِها .

الخواصّ : من خَواصِّها أَنّها تنامُ بإِحدى عَيْنَيْها والأُخرى مَفتوحة ، فإِذا أُخِذَت المفتوحةُ وجُعِلَت تحتَ فَصِّ خاتمٍ ، فمَن لَبِسَه لم يَنَمْ ما دام في يَده ، وعكسُها المَغموضَ ؛ وإِذا أَرَدْتَ مَعرفةَ ذلك فأَلْقِها في الماءِ ، فالرّاسِبَةُ للنَّومِ والطّافيةُ لليَقَظَة .

---

(١) حديثُ خرافةٍ يا أُمَّ عمرو .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٢٢٦) وعجائب المخلوقات (٢٧١) .

وقال هرمس : إذا أُخِذَ قَلْبُ البُومةِ وجُعل على اليد اليُسرى من المرأَةِ وهي نائمةٌ تحدَّثَت بجميعِ ما فَعَلَتْهُ في نَومها .

• **بُوقير**[1] : طيرٌ أَبيضُ يأتي منهُ في كُلِّ سنةٍ طائِفةٌ إلى جبلٍ بالصَّعيد يُقال له جَبَلُ الطَّيرِ ، فيه كُوَّةٌ ، فَتُدْخِلُ [كلُّ واحدةٍ رأسَها] في تِلك الكُوَّةِ ، فَتُمْسِكُ منها شيئاً ؛ فإِن أَمْسَكَتْ واحدةً كان ذلك العام مُتوسِّط الخِصْب ، وإِن أَمْسَكَتْ اثنين كان كثيرَ الخِصب ، وإِن لم تُمسك شيئاً كانت السَّنَّةُ مُجْدِبَةً ؛ وأَهلُ تلك النّاحية تَعرفُ ذلك ؛ وهذا الجبلُ بالقرب من [أَنْصِنا] بلدةِ مارِيّة أُمِّ إبراهيم وَلدِ النَّبيِّ ﷺ .

حرف التّاء

• **تِمساح**[2] : حيوانٌ عجيبٌ على صُورة الضَّبِّ ؛ له فَمٌ واسعٌ ؛ وفيه سِتُّون ناباً ، وقيل : ثمانون ؛ وبين كلِّ نابَيْن سِنٌّ صَغيرٌ ، وهي[3] أنثى في ذَكَرٍ ، إذا أَطبقَ فَمَهُ على شيءٍ لا يُفلتُه حتَّى يَخلعَه مِن مَوضعه ؛ وله لِسانٌ طويلٌ ، وظَهْرٌ كالسُّلَحْفاةِ لا يَعملُ الحديدُ فيه ؛ وله أَربعةُ أَرجلٍ وذَنَبٌ طويلٌ ؛ وهو لا يُوجَدُ إلاّ بِنيل مِصر .

وقال المسافرون : إنَّه يُوجَدُ ببحرِ السِّند ؛ وطُوله في الغالب سِتَّةُ أَذرع إلى عَشرة ، في عَرض ذراعٍ أَو ذراعين ؛ ويُقيمُ في البَحر تحتَ الماءِ أَربعة أَشهرٍ لا يَظهرُ ، وذلك في زَمنِ الشِّتاء ، وَيَتَغوَّطُ من فِيه في الغالب ، ويحصلُ في فيهِ الدُّود فَيُؤْذيه ، فَيُلهمه الله تعالى فَيَخْرُجُ إلى بعضِ الجزائرِ ويَفتحُ فاهُ ، فيُرْسِلُ الله تعالى له طَيْراً يُقال له القَطقاط ، فَيَدخل في فيهِ فيأكلُ ما فيهِ من

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٢٢٩) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٢٣١) وعجائب المخلوقات (٩٨) .
(٣) أي الأسنان .

الدُّود ، فيحصلُ له راحةٌ ، فعندَ ذلك يُطبقُ فَمَهُ على الطَّير ليأكلَه ، فيضربُهُ بريشتين[1] خَلَقَهُما الله تعالى في جَناحيه كريشةِ الفَصّاد ، فَيُؤلِمه فيفتحُ فاهُ ، فيخرجُ ؛ ولذلك يُضْرَبُ به المثَلُ ، فَيُقال : جازاه مُجازاةَ التِّمساح .

وزعمَ بعضُ الباحثين عن أَحوال التِّمساح ، أَنَّ له سِتِّين ناباً وستِّين عِرقاً ، ويسفدُ سِتِّين مرَّةً ، ويبيضُ سِتِّين بيضةً ، ويحضنُ ذلك سِتِّين يَوماً ، ويَعيشُ سِتِّين سنةً ، فإذا أَفرخَ فما صعدَ الجبلَ صار وَرَلاً ، وما نزلَ البحرَ صار تِمساحاً ؛ وفكُّهُ الأَسفلُ لا يَستطيع تَحريكَه لأنَّ فيه عَظْماً مُتَّصِلاً بِصَدره .

وإذا أَراد السِّفَاد أَخذَ أُنثاهُ وطَلع بها إلى البرِّ ، وقَلَبَها وجَامَعها ، فإذا قَضى حاجَته قَلَبها ثانياً ، لأَنَّه لو تَرَكَها على تِلك الحالة بَقِيَت حتَّى تَموتَ ، وما ذلك إلاّ أَنَّها لا تَستطيعُ الانقلابَ لِيُبوسَة ظَهْرِها وصَلابته .

وقد سَلَّطَ الله تعالى عليه أَضعفَ الحيوانِ ، وهو كَلْبُ الماءِ ، يُقال : إنَّه يَتَلَبَّطُ بالطِّين ويُغافلُ التِّمساح ويقذفُ بنفسه في فيه فيبتلعهُ لِنُعومته ، فإذا حصلَ في جَوفه ذابَ ما عليه من سُخونةِ بطنِه ، فيعمدُ إلى أمعائه فيقطعُها ويقطعُ مَراقَ بَطنه فيقتلُه .

الخواصّ : عَيْنُهُ تُشَدُّ على مَن بِهِ رَمَدٌ ، اليُمنى لليُمنى واليُسرى لليُسرى ؛ وشَحْمُهُ إذا قُطِّرَ في أُذن مَن بِهِ صَمَمٌ نَفَعَهُ .

• **تِنِّين**[2] : ضربٌ من الحَيّات ، وهو طويلٌ كالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ ، وجَسَدُهُ كاللَّيل ، أَحمرُ العَينين ، لَهما بريقٌ ، واسِعُ الفَمِ والجَوْفِ ، يَبتلعُ الحيوانَ .

وأَوَّلُ أَمْرِهِ يَكونُ حَيَّةً مُتَمَرِّدَةً ، ثم تَطغى وتَتسلَّطُ على حَيوان البَرِّ ، فَيستغيثُ منها فيأمرُ الله تعالى مَلكاً فَيحملُها ويُلقيها في البَحر ، فَتُقيم فيه مُدَّةً ثم

---

(١) كذا ، وفي مصادره : فيضربه بشوكةٍ في رأسه .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٢٣٣) وعجائب المخلوقات (٩٩) .

تتسلَّطُ على حَيوانه أَيضاً ، فيستغيثُ منها إِلى رَبِّهِ ، فيأمرُ الله تعالى بإِلقائها في النَّار فيُعَذِّبُ بها الكافرين ؛ وقيل : يأمرُ الله تعالى بإِلقائها على يأْجُوجَ ومَأْجوج .

• وروى ابنُ أَبي شَيْبَة ، عن أَبي سَعيد الخُدريّ رضي الله تعالى عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « يُسَلِّطُ الله على الكافر في قَبْرِهِ تِسْعَةً وتِسعين تِنِّيناً ، تَنْهَشُهُ وتَلْدَغُهُ حتَّى تقومَ السَّاعة ؛ ولو أَنَّ تِنِّيناً نفخَ على الأَرض ما نَبتت فيها خَضْراء » .

حرف الثاء

• **ثَعْلَبٌ**[١] : وهو حيوانٌ معروفٌ ، ذو مَكْرٍ وخَديعة ، وله حِيَلٌ في طَلَبِ الرِّزق ؛ فمن ذلك : أَنَّه يَتماوتُ ويَنفخُ بَطْنَهُ ، ويَرفع قوائِمَهُ ، حتَّى يُظَنَّ أَنَّه مات ، فإِذا قَرُبَ منه حيوانٌ وَثَبَ عليه وصادَهُ ؛ وحِيْلَتُهُ هذه لا تَتِمُّ على كَلْبِ الصَّيْدِ .

ومن حِيلته : أَنَّه إِذا تعرَّضَ للقُنفذ نَفشَ القُنفذُ شَوْكَهُ ، فَيَسْلَحُ هو عليه فيلمُّ شَوْكَهُ فيقبضُ على مَراق بَطْنِهِ ويأكُلُه ؛ وسَلْحُهُ أَنْتَنُ من سَلْحِ الحُبارى .

ومِن ظريف أَمْرِهِ : أَنَّه إِذا تسلَّطَت عليه البَراغيثُ ، حَمَلَها وجاءَ إِلى الماء ، وقطعَ قطعةً من صُوفهِ وجَعلها في فيهِ و ونَزل في الماء ، والبراغيثُ تطيرُ قليلاً قليلا حتَّى تجتمعَ في تِلك الصُّوفة ، فيُلقيها في الماءِ ويخرجُ .

وفَرْوُهُ أَدفأُ الفِراءِ ؛ وفيه الأَبيضُ والرَّمادي وغير ذلك .

وذَكر في « عَجائب المخلوقات » أَنَّه أُهْدِيَ إِلى [نوح] بن مَنصور السّاماني ثعلبٌ له جَناحان من ريشٍ ، إِذا قربَ الإِنسانُ منه نَشَرَهُما ، وإِذا بعد أَلصَقَهما [بجانبه][٢] .

---

(١) حياة الحيوان (١/٢٤٧) وعجائب المخلوقات (٢٥٥) .

(٢) لم يرد هذا القول في مادة « ثعلب » من عجائب المخلوقات .

لَطيفة : ذَكر ابنُ الجَوزيّ في آخرِ كتاب «الأَذكياء»[١] والحافظ أَبو نُعَيْم في «حِلية الأَولياء» عن الشَّعبي، أَنَّه قال: مَرض الأَسَدُ فَعادَتْهُ السِّباع والوُحوشُ ما خلا الثَّعلب، فَنَمَّ عليه الذِّئْبُ، فقال الأَسد: إِذا حضَرَ فأَعلمني؛ فلمّا حضرَ الثَّعلبُ أَعلَمَه الذِّئْبُ بذلك، وكان قد أُخْبرَ بما قالَه الذِّئب، فقال الأَسد: أَيْنَ كنتَ يا أَبا الفَوارس؟ قال: كنتُ أَتَطَلَّبُ لك الدَّواء؛ قال: وأَيَّ شيءٍ أَصَبْتَهُ؟ قال: قيل لي: خَرَزَةٌ في عُرقوبِ أَبي جَعدة؛ قال: فضَرب الأَسدُ بيدِه في ساقِ الذِّئب فأَدماه، ولم يجدْ شيئاً، فخرجَ ودَمُهُ يسيلُ على رِجله؛ وانسلَّ الثَّعلبُ، فمرَّ به الذِّئبُ فناداه: يا صاحِبَ الخُفِّ الأَحمر، إِذا قَعَدْتَ عند المُلوك فانظرْ ما يَخرجُ منكَ، فإِنَّ المَجالس بالأَمانات.

● وقيل[٢] : خرجَ الأَسَدُ والثَّعلبُ والذِّئبُ يتصيَّدون، فاصطادوا حِمارَ وَحْشٍ وضَبّاً وغَزالاً، ثم جلسوا يَقْتَسِمُون، فقال الأَسَدُ للذِّئبِ: اقسمْ علينا؛ فقال: حمارُ الوحشِ لي، والغَزال لأَبي الحارث، والضَّبُّ للثَّعلب؛ فضَربه الأَسَدُ في رأسِه فرضَخَها، فقال الثَّعلب: أَنا أَقسمُ: حِمارُ الوحشِ لأَبي الحارث يَتَغَدّى بهِ، والغزالُ لأَبي الحارث يَتَعَشّى به، والضَّبُّ لأَبي الحارث يَتَنَقَّل به فيما بينَ ذلك؛ فقال له الأَسَدُ: للهِ دَرُّك من فَرَضِيٍّ، ما أَعلمَك بالفَرائضِ! مَن عَلَّمَكَ هذا؟ قال: عَلَّمني رأسُ هذا الذِّئبِ الرّاقِدِ.

● وحُكي، أَنَّ الثَّعلبَ مَرَّ في السَّحَرَ بشَجرةٍ، فرأَى فوقَها ديكاً، فقال له: أَما تَنْزِلُ نُصَلِّي جماعةً؟ فقال: إِنَّ الإِمام نائمٌ خلفَ الشَّجرةِ، فأَيقظْهُ؛ فنظرَ الثَّعلبُ فرأَى الكَلبَ، فضَرطَ ووَلّى هارباً، فناداهُ: أَما تأتي لِنُصَلِّي؟ فقال:

---

(١) أخبار الأذكياء (٢٥٣) وحلية الأولياء (٤/ ٣١٧) وحياة الحيوان (١/ ٢٥٣).
(٢) أخبار الأذكياء (٢٥٤) وحياة الحيوان (١/ ٢٤٩).

قد انتقضَ وُضوئي ، فاصبرْ حتَّى أُجَدِّدَ لي وُضوءاً وأَرجع .

• ومن[1] العَجيب في قسمه الأَرزاق ؛ أَنَّ الذِّئْبَ يَصيدُ الثَّعلبَ فيأكلُه ، والثَّعلبُ يَصيدُ القُنفذ فيأكلُه ، والقُنفذُ يَصيدُ الأَفعى فيأكلُها ، والأَفعى تَصيدُ العُصفور ، والعُصفور يَصيدُ الجرَاد ، والجَرادُ يَصيدُ الزَّنابير ، والزَّنابيرُ تَصيدُ النَّحل ، والنَّحلُ تَصيدُ الذُّبابَ ، والذُّبابُ يَصيدُ البَعوضَ ، والبَعوضُ يَصيدُ النَّملَ ، والنَّملُ يأكلُ كُلَّ ما تَيَسَّرَ من صَغيرٍ وكبيرٍ ؛ فَتَبارَكَ اللهُ الَّذي أَتْقَنَ ما صَنَعَ .

الخواصّ : رأسُهُ إذا تُرِكَ في بُرج حَمامٍ هَرَبَ الحَمامُ منه ، ونابُهُ يُشَدُّ على الصَّبيِّ يَحْسُنُ خُلُقُه ؛ ومَرارتُه يُجْعَلُ مِنها في أَنْف المَصروعِ يَبْرَأُ ؛ ولَحمه ينفعُ من اللَّقْوَةِ والجُذام ؛ وخُصْيَتُهُ تُشَدُّ على الصَّبيِّ تَنبتُ أَسنانه ؛ وفَرْوُهُ أَنفعُ شيءٍ للمَرطوبِ ؛ ودَمُهُ إذا جُعِلَ على رأسِ أَقرعَ نَبَتَ شَعْرُهُ إذا كان دون البُلوغ ؛ وطُحالُه يُشَدُّ على مَن به وَجَعُ الطّحال يَبرأُ .

• **ثُعبان**[2] : هو الكبيرُ من الحَيّاتِ ، ذَكَراً كان أَو أُنثى ؛ وهو عَجيبُ الشَّأْن في هلاكِ بني آدم ، يلتوي على ساقِ الإنسان فيكسِرُها ؛ وليس له عَدُوٌّ إلا النِّمس ، ولولا النُّموسُ لأَكَلَتِ الثَّعابينُ أَهْلَ مِصر .

لطيفة[3] : قيل إنَّ عبدَ الله بن جُدعان كان في ابتداءِ أَمرِه صُعلوكاً ، وكان شِرِّيراً يَفتكُ ويَقتلُ ، وكان أَبوه يعقلُ عنه ، فضَجرَ من ذلك وأَراد قتلَه ، فخرجَ هارباً على وَجهه ؛ فتوصَّل لجَبَلٍ فوجدَ فيه شِقّاً ، فدخلَ فيه ، فوجدَ في صَدْرِهِ شيئاً كهيئةِ الثُّعبان ، فدنا منه وقال : لعلَّه يَثِبُ عَلَيَّ فيقتلني وأَستريحُ ؛ قال :

---

(١) الحيوان (٦/ ٣١٣) وثمار القلوب (١/ ٦٠٠) والتوفيق (٦٤) وحياة الحيوان (١/ ٢٤٩) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٢٤٣) وعجائب المخلوقات (٢٩٠) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٢٤٣) .

فدنا منه فوجدَه مَصنوعاً من ذَهَبٍ ، وعَيناه ياقوتتان ، ثم وجدَ مِن داخله بيتاً فيه جُثَثٌ طِوالٌ باليةٌ ، على أَسِرَّةِ الذَّهبِ والفِضَّةِ ، وعند رُؤوسهم لوحٌ مَكتوبٌ فيه تاريخُهم ؛ وإِذا بهم رجالٌ من جُرْهُم ، وفي وَسَط البيت كُوَمٌ من الياقوتِ الأَحمر والزُّمُرُّدِ والذَّهب والفِضَّة واللُّؤلؤ ، فأَخذ منه قدرَ ما يحملُ ، وعَلَّم الشِّقَّ ، وذهبَ إِلى قومه ، فأَغناهم ورجعَ ، فلم يَدرِ مكانَ الشِّقِّ ، قال رسولُ الله ﷺ : « لقد كنتُ أَستظِلُّ بِجَفْنَةٍ عندَ عبد الله بن جُدعان من الهَجير » . قالت عائشةُ : يا رسول الله ، هل ينفعُه ذلك شيئاً ؟ قال : « لا ، لأَنَّه لم يَقُلْ : رَبِّ اغفرْ لي خَطيئتي يومَ الدِّين » .

حرف الجيم

• **جَرادٌ**[1] : حَيوانٌ معروفٌ ، وليسَ له جِهَةٌ مَخصوصةٌ ؛ وإِنَّما يكونُ هائماً هارباً ؛ وإِذا أَراد أَن يبيضَ ذهبَ إِلى بعضِ الصُّخور فضَرَبَها بذَنَبِهِ فتَنفرجُ له فَيُلقي بَيْضَه فيها ؛ وله سِتَّةُ أَرجلٍ ، وطَرَفا أَرجُلِهِ كالمِنشار ؛ وهو أَلوانٌ عديدةٌ ، وفيه خِلْقَةُ عشرةٍ من الجبابرةِ ؛ وَجْهُ فَرَسٍ ، وعَيْنا فيلٍ ، وعُنُق ثَوْرٍ ، وقَرْنا أَيِّلٍ ، وصَدْرُ أَسَدٍ ، وبَطْنُ عَقْرَبٍ ، وجَناحا نَسْرٍ ، وفَخِذُ جَمَلٍ ، ورِجلا نَعامةٍ ، وذَنَبُ حَيَّةٍ ؛ وهو من الحيوان الَّذي يَنقادُ إِلى رَئيسه كالعَسكريِّ ، إِذا ظَعَنَ أَميرُه تتابعَ خَلْفَه .

وفي الحديث : أَنَّ جرادةً وقَعَت بين يَدي رسولِ الله ﷺ فإِذا مَكتوبٌ على جَناحها بالعِبرانيَّة : نحنُ جُنْدُ الله الأَكبر ، ولنا تِسعةٌ وتِسعون بيضةً ، ولو تَمَّتْ لنا المئةُ لأَكَلْنا الدُّنيا بما فيها ؛ فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « اللَّهُمَّ اقتلْ كِبارها ، وأَمِتْ صِغارها ، وأَفْسِدْ بَيْضَها ، وسُدَّ أَفواهَها عن مَزارعِ المسلمين وعن مَعايشهم ، إِنَّك سَميعُ الدُّعاء » .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٢٦٤) وعجائب المخلوقات (٢٩١) .

قال : فجاء جِبريلُ فقال : إنَّه قد استُجيبَ لكَ في بَعضها .

وفي الحديثِ : أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : إنَّ الله تعالى خلقَ أَلفَ أُمَّةٍ ، ستَّمئةٍ منها في البَحر وأَربعُمئةٍ في البَرّ ، وإنَّ أَوَّلَ هلاكِ هذه الأُمم الجرادُ ، فإذا هَلَكَ الجرادُ تَتابَعَتِ الأُممُ مثلَ الدُّرِّ إذا قُطِعَ سِلْكُهُ .

قيل : كان طعامُ يحيى بن زكريّا عليهما الصَّلاة والسَّلام الجرادُ وقُلوبُ الشَّجَرِ ، وكان يَقولُ : مَن أَنْعَمُ منكَ يا يَحيى .

وقد أَجمعَ المسلمونَ على إباحةِ أَكله .

ومن **خواصِّه** أنَّ الإنسان إذا تَبَخَّرَ به نَفَعَهُ من عُسْرِ البَوْلِ .

- **جُرْوٌ**[1] : بِكَسْرِ الجيم وفَتحها وضَمّها : وهو الصَّغيرُ من أَولادِ الكِلاب والسِّباع .

وقد كان ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الكِلابِ ؛ وسَبَبُهُ أَنَّ جِبريلَ عليه السَّلام وَعَدَهُ لِيَأْتِيَهُ فَتَأَخَّرَ ، قال : فلَقيهُ النَّبيُّ ﷺ بعد ذلك فقال : « ما أَخَّرَكَ عن وَعْدِكَ ؟ » فقال : ما تَأَخَّرْتُ ، ولكنْ لا نَدخلُ بيتاً فيه صُورة ولا كَلْبٌ ؛ فأَمر بقَتلها .

ورَوى مُسلم والطَّبرانيّ ، عن خَولة بزيادةٍ ، ولفظُها أَنَّ جَرْواً دخلَ تحتَ سريرٍ في بَيته ﷺ فماتَ ، فمكثَ النَّبيُّ ﷺ أَيّاماً لا يأتيهِ الوَحْيُ قال : لعلَّه حَدَثَ في البيتِ شيءٌ ؛ فخرَج للمسجدِ فنزلَ عليه الوَحْيُ ؛ قالت خَولة : فقُمت للبيتِ فوجَدتُ الكلبَ تحتَ السَّريرِ .

عجيبةٌ : حُكيَ أَنَّ رجلاً لم يُولَد لهُ وَلَدٌ ، فكان يأخذُ أَولاد النّاس فيقتُلُهم ، فنَهَتْهُ زَوجتُه عن ذلك ، وقالت : يُؤاخِذُكَ الله بذلك ؛ قال : لو آخَذَ لَفَعَلَ في يوم كذا ؛ وصار يُعَدِّدُ أَفعاله لها ، فقالت له : إنَّ صاعَكَ لم يمتلىءْ ، ولو امتلأَ آخَذَكَ ؛ قال : فخرجَ ذاتَ يومٍ وإذا بغُلامين يلعبان ومَعهما جُرْوٌ ،

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٢٧٣) .

فأَخذَهما الرَّجل ودخلَ البيت فقتَلهما ، وطردَ الجروَ ؛ قال : فطلَبهما أَبوهُما فلم يَجدهُما ، فانطلقَ إِلى نَبيٍّ لهم فأَخبره بذلك ، فقال : أَلَهُما لُعْبَةٌ كانا يَلعبان بها ؟ قال : جُرْوُ كَلْبٍ ، قال : ائتِني به ؛ فأَتاه به ، فجعلَ خاتمه بين عَينيه ، ثم قال له : اذهبْ خَلْفَهُ ، فأَيّ بيتٍ دخلَه ادخلْ معه ، فإِنَّ أَولادَك فيه ؛ قال : فجعلَ الجروُ يَجوبُ الدُّروبَ والحاراتِ حتَّى دخلَ بيتَ القاتِلِ ، فدخلَ النَّاسُ خَلْفَهُ ، وإِذا بالغُلامين مُتَعَفِّران بِدَمِهما ، وهو قائمٌ يَحفرُ لهما مَكاناً يَدفنُهما فيه ؛ فأَمسكوه وأَتوا به لِنَبيِّهم ، فأَمر بِصَلْبِهِ ؛ فلمّا رأَته زوجتُه على الخَشبة قالت : أَلَمْ أُحَذِّرْكَ من هذا اليوم ؟ تقولُ ما تَقولُ ، الآن امتلأَ صاعُك .

وسيأتي الكلامُ على الكلبِ في حرف الكاف إن شاء الله تعالى .

● **جُعَل**[1] : دُوَيْبَّةٌ مَعروفةٌ تُسَمَّى أَبا جِعران والزُّعْقوق ، يَعَضُّ البهائمَ في وَجهها فتهربُ منه ؛ وهو أَكبرُ من الخُنفساء ، شديدُ السَّواد ، في بَطنِه لونُ حُمرةٍ ؛ للذَّكرِ قَرْنان ، يُوجدُ كثيراً في مَراحِ البَقرِ والجاموسِ ؛ قيل : إِنَّه يَتَوَلَّدُ من أَخْثائها ؛ ومن شأنِه جَمْعُ الرَّوْثِ وادّخارُهُ .

ومن عَجيب أَمْرِهِ أَنَّهُ إِذا شَمَّ الوردَ ماتَ ، ويَعيشُ بِعَوْدِهِ لِلرَّوْثِ .

وله جَناحان لا يَكادان يُريان إِلاّ إِذا طار ، وله سِتَّةُ أَرجلٍ ، وسَنامٌ مُرتفع جِدّاً ؛ وهو يَمشي القَهْقَرى .

ومن طَبْعِهِ أَنَّه يَحرسُ النِّيام ، فإِذا قام أَحدُهم يَتَغَوَّطُ تَبِعَهُ لِيأكلَ من رَجيعه ، وذلك من شِدَّةِ شَهوته للغائِطِ .

حرف الحاء المهملة

● **حَجَل**[2] : طيرٌ فوقَ الحمامةِ ، أَغْبَرُ اللَّونِ ، أَحمرُ المِنقار والرِّجْلَين ،

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٢٧٧) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٣٢٣) .

يُسَمَّى دَجاج البَرِّ ؛ وهو صِنفان : نَجْديٌّ وتِهاميٌّ ، فالنَّجديُّ أَغْبَرُ ، والتِّهاميُّ أَبيض ؛ وله شِدَّةُ الطَّيران .

وإذا تقاتَلَ ذَكَرانِ تَبِعَتِ الأُنثى الغالبَ ؛ له شِدَّةُ شَبَقٍ ؛ وأَفراخُه تَخرجُ من البَيض كاسِيَةً ؛ ويُعَمَّرُ في الغالبِ عشرين سنةً ، وإذا قَوِيَ على غَيره أَخذَ بَيْضَهُ فَحَضَنَهُ ، ومن سِرِّ الله تعالى أَنَّه إذا أَفرخَ ذلك البيضُ تَبِعَ الفَرْخُ أُمَّهُ الَّتي باضَتْهُ ؛ ومن طَبعه أَنَّه يخدعُ غَيره في قَرْقَرَتِهِ ، ولذلك يَتَّخذُهُ الصَّيادون في أَشْراكِهم .

غريبة[1] : قيل : إنَّ أَبا نَصْر بن مروان أَكَلَ مع بعضِ مُقَدَّمي الأَكراد ، فأُتيَ على سِماطه بِحَجَلتين مَشْوِيَّتين ، فلمّا رآهما ضَحك ، فقالَ : مِمَّ تَضحكُ ؟ قال : كنتُ أَقطعُ الطَّريق في عُنفوان شَبابي ، فمرَّ بي تاجرٌ ، فأَخذتُه ، فلمّا أَردتُ قَتْلَهُ تَضَرَّعَ إِليَّ فلم أَقْبَلْهُ ، فلمّا علمَ أَنَّه لا بدَّ لي من قَتْلِهِ ، التفتَ يميناً وشِمالاً فرأَى حَجَلتين كانتا بِقُرْبنا ، فقال : اشْهدا لي أَنَّه قاتِلي ظُلْماً ؛ فقتلتُه ؛ فلمّا رأَيتُ هاتين الحَجَلتين تذكَّرتُ حُمْقَهُ في استشهادِه بهما ؛ فقال أَبو نَصر : والله لقد شَهِدَتا عليك عِنْدَ مَن أَقادَكَ بالرَّجل ؛ ثم أَمر بِهِ فضُربت عُنقه .

الخواصّ : لَحمُهـا جيِّدٌ ، مُعتدلُ الهَضْم ؛ ومَرارتُها تنفعُ الغَشاوة في العَين ، وإذا سُعِّطَ بها إنسانٌ في كُلِّ شَهْرٍ مرَّةً جادَ ذهْنُهُ وقَلَّ نِسيانُه وقَوِي بَصَرُه .

● **حِدَأَة**[2] : بِكَسر الحاءِ وفَتْح الدّال مع هَمزةٍ ؛ أَخَسُّ الطَّير ؛ وتَبيض بَيضتين ، ورُبَّما باضَت ثلاثاً ، وتحضنُ عِشرين يوماً ، ومن أَلوانها : الأَسودُ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٣٢٣) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٣٢٥) وعجائب المخلوقات (٢٧٢) .

والرَّماديُّ ؛ وهي لا تَصيدُ إلاّ خَطْفاً ؛ وفي طَبْعها أَنَّها تقفُ في الطَّيران .

وهي أَحسنُ الطَّيْرِ مُجاورةً ، لأَنَّها إذا جاعَت لا تأكلُ أَفراخَ جارِها ؛ ويُقال : إِنَّها طَرْشاء ؛ وفي طَبْعها أَنَّها لا تَخطفُ من الجِهة اليُمنى لأَنَّها عَسراء ، وهي سَنَةً ذَكَرٌ وسَنَةً أُنثى كالأَرنب ! .

عجيبةٌ[1] : رَوى الحافظُ النَّسَفيّ في « فَضائل الأَعمال » أَنَّ عاصم بن أَبي النّجود شيخَ القُرّاء في زَمانه ، قال : أَصابتني خَصاصةٌ ، فجئتُ إلى بعض إخواني فأَخبرتُه بأَمري ، فرأَيتُ في وَجهه الكراهةَ ، فخرجتُ من مَنزله إلى الجَبّانَةِ ، فصلَّيتُ ما شاءَ الله ، ثم وَضَعْتُ رأسي على الأَرض ، وقلتُ : يا مُسَبِّبَ الأَسباب ، يا مُفَتِّح الأَبواب ، يا سامعَ الأَصوات ، يا مجيبَ الدَّعوات ، يا قاضيَ الحاجات ، اكْفِني بحَلالِكَ عن حَرامك ، وأَغْنِني بِفَضْلك عَمَّن سِواك .

قال : فوالله ما رَفعتُ رأسي حتَّى سمعتُ وَقْعَةً بقُربي ، فإِذا بِحِدأَةٍ قد طَرَحَت كيساً أَحمرَ ، فقمتُ فأَخذتُه ، فإِذا فيه ثمانون ديناراً وجَوهرةً ملفوفةً في قُطْنٍ .

قال : فاتَّجَرْتُ بذلكَ ، واشتَريتُ لي عَقاراً ، وتَزَوَّجتُ .

الخواصّ : مَرارتها تُجَفَّفُ في الظِّلِّ وتُنْقَعُ في إِناءِ زُجاج ، فَمن لُسِعَ قَطَرَ منها في ذلك الموضعِ ، واكتحلَ مُخالفاً لِجهةِ اللَّسْعِ ثلاثةَ أَميالٍ ، أَبرأَتْهُ .

ودَمُها إذا خُلط بقليلٍ من المِسْكِ وماءِ الوردِ وشُرب على الرِّيقِ ، نَفَعَ من ضِيق النَّفَسِ ؛ وإذا عُلِّقَت [وهي حيَّةٌ] في بيتٍ لم تَدخله حَيَّةٌ ولا عَقربُ .

● **حِرْباء**[2] : دُوَيْبَّةٌ صغيرةٌ على هيئةِ السَّمَكِ ، ورأسُها تُشبهُ رأسَ العِجْلِ ؛

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٣٢٦) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٣٢٨) وعجائب المخلوقات (٢٩١) .

إذا رأَتِ الإنسانَ انْتَفَشَت وكَبُرَت ، ولها أَربعةُ أَرجلٍ وسَنامٌ كهيئةِ الجَمَلِ ؛ ولها كُنى كثيرةٌ ، منها : أَبو قُرَّة[1] ؛ ويُقال لها : جَمَلُ اليَهود .

وهي أَبداً تطلبُ الشَّمسَ ، فمِن أَجل ذلك يُقال : إِنَّها مَجوسيَّةٌ ؛ وتَستقبلُها بِوَجْهها وتَدورُ معها كيفَما دارت ، فإِذا غابَت الشَّمسُ أَخَذَت في كَسْبِها ومَعاشِها .

ويُقال : إِنَّ لِسانَها طويلٌ نحو ذراعٍ ، وهو مَطويٌّ في حَلْقِها ، فلذلك تخطفُ بِهِ ما بَعُدَ عنها من الذُّباب وتَبتلعُه .

والأُنثى[2] من هذا النَّوع تُسَمَّى أُمّ حُبَيْن ، ويُقال : إِنَّ الصِّبيانَ يُنادونَها :

[من الرجز]

أُمَّ حُبَيْـــن انشُـــري بُـــرْدَيْـــكِ إِنَّ الأَميـــرَ نـــاظِـــرٌ إِليـــكِ
وضـــارِبٌ بِسَـــوْطِـــهِ جَنْبَيْـــكِ

فإِذا زادوا عليها نَشَرَت جَناحَيْها ، وانْتَصَبَتْ على رِجْلَيْها ، فَإِذا ازدادوا عليها أَيضاً نَشَرت أَجنحةً أَحْسَنَ من تِلك مُلَوَّنةً ، وإِذا مَشَت تُطأطِىءُ بِرأسِها وَتَتَلَوَّنُ أَلواناً ، ولذا يُقال : يَتَلَوَّنُ كالحِرْباء .

● **حِمارٌ أَهليّ**[3] : معروفٌ ، ليس في الحيوانِ مَن يَنْزو علىٰ غَيْرِ جِنسه إِلاّ هو والفَرس ؛ ونَزْوُهُ بعدَ تَمام ثلاثين شهراً .

وكُنيته : أَبو محمود ، وأَبو جَحْش ، وغير ذلك .

وهو أَنواع : فمنهُ ما هو لَيِّنُ الأعطافِ ، سَريعُ الحَركة ، ومنه ما هو بِضِدِّ ذلك ؛ ويُوصفُ بالهِدايةِ إِلىٰ سُلوك الطَّريق .

---

(١) في الأصول : أم قرّة : وهذه الكنية نقلها الدَّميري عن ابن هشام في شرح بانت سعاد (٢٤٣) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٤٠٩) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٣٣٨) وعجائب المخلوقات (٢٤٤) .

لَطيفة[1] : في الحديثِ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه لمّا فَتَح خَيْبَر أَصاب حِماراً أَسود ، فكلَّمَه فقال : « ما اسْمُك ؟» فقال : يَزيد بن شِهاب ؛ أَخرجَ الله تعالىٰ من نَسْلِ جَدِّي سِتِّين حِماراً ، كُلُّها لا يَركبُها إلاّ نَبيٌّ ، ولم يبقَ من الأَنبياء غيرُك ، وكنتُ أَتوَقَّعُك لِتَرْكَبَنِي ، وأَنا عندَ يَهوديٍّ ، يُجيعُ بَطْني ويَضربُ ظَهْري ، وكنتُ أَعْثُرُ بهِ عَمْداً ؛ فسمّاه النَّبيُّ ﷺ يَعْفُوراً ، وقال له : « أَتشتهي الإِناث ؟» قال : لا ؛ وكان ﷺ يركبُه في حَوائِجه ، وإِذا أَراد حاجةً عند إنسانٍ أَرسله إِليه ، فيدفعُ البابَ برأسِه ، فيخرجُ صاحبُ البيتِ ، فيعرفُه ويَقضي حاجَته ؛ فلمّا ماتَ النَّبيُّ ﷺ ذهبَ إِلىٰ بئرٍ كانت لأَبي الهيثم [بن التَّيِّهان] ، فَتَرَدَّىٰ فيها جَزَعاً علىٰ النَّبيِّ ﷺ فكانَتْ قَبْرَهُ .

وقيل : هذا الحديثُ مُنْكَرٌ ، وقد ذَكَرَهُ السُّهيلي في « التَّعريف والإِعلام » .

- (وقيل[2] لعيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام : لو اتَّخَذْت حماراً لِتَركبَه ؟ فقال : أَنا أَكرمُ علىٰ الله من أَن يَشغلَني عنه بحمارٍ .)[3] .
- وللنّاس في ذَمِّه ومَدْحِهِ أَقوالٌ مُتباينةٌ بحسبِ الأَغراض .

فَمن مَدْحِهِ : أَن[4] أَبا صَفوان [خالد بن صفوان] وُجِدَ راكباً علىٰ حمارٍ ، فقيلَ له في ذلك فقال : عَيْرٌ هي مِن نَسْلِ الكُداد ، يحملُ الرَّحْلَ ، ويَبلغُ العَقَبَة ، ويَمنعني أَن أَكونَ جَبّاراً في الأَرض .

---

(١) تاريخ دمشق (السيرة النبوية ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤) ومختصره (٢/٣٥٦) وحياة الحيوان (١/٣٥٧) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٣٥٨) وربيع الأبرار (٥/ ٤٠٠) .

(٣) من أ .

(٤) ثمار القلوب (١/ ٥٥٤) وبيان الجاحظ (١/ ٣٠٧) وحياة الحيوان (١/ ٣٣٩) وربيع الأبرار (٥/٤٠١) .

وقال آخر[1] : هو أَقَلُّ الدَّوابِّ مؤونةً ، وأكثرُها معونةً ، وأخفضُها مَهوىً ، وأَقربُها مَرْتَقىً .

وكان[2] حمارُ أَبي سَيّارة مَثَلاً في الصِّحَّةِ والقُوَّةِ ؛ وهو حِمارٌ أَسودُ ، أَجازَ النّاسَ عليه مِن مِنىً إلىٰ المُزْدَلِفة أربعين سنةً .

وكان[3] خالدُ بن صَفوان والفَضْل بن عيسىٰ الرّقاشيّ يَختاران رُكوبَ الحِمار ، ويَجعلان أَبا سيّارة قُدوةً لهما وحُجَّةً .

• **ومِن ذمِّه** : ما نُقِلَ[4] عن عبد الحميد الكاتب أَنَّه قال : لا تَركبِ الحمارَ ، فإِنَّه إن كان فارِهاً أَتعبَ يَدَك ، وإن كان بَليداً أَتعبَ رِجْلك .

وقيل[4] : ما يَنبغي لمركبِ الدَّجّال أَن يكونَ مَرْكَباً للرِّجال .

وقال[5] أَعرابيٌّ : الحِمارُ بِئْسَ المَطِيَّة ، إن أَوْقَفْتَهُ أَدْلىٰ ، وإِن تَرَكْتَهُ وَلَّىٰ ، كثيرُ الرَّوْثِ ، قليلُ الغَوْثِ ، سَريعٌ إِلىٰ الفَرارة ، بَطيءٌ في الغارة ، لا تُرْقأُ بِهِ الدِّماءُ ، ولا تُمْهَرُ بِهِ النِّساءُ ، ولا يُحْلَبُ في الإِناء .

• قال الزَّمخشري[4] : [من المتقارب]

فَإِنَّ الحِمارَ وَمَنْ فَوْقَهُ   حِماران شَرُّهُما الرّاكِبُ

ومن[6] العربِ مَن لا يَركبُه أَبداً ، ولو بَلَغَت به الحاجَةُ والجَهْدُ .

---

(١) هو الفضل بن عيسىٰ الرقاشي في مصادر الخبر السابق .
(٢) ثمار القلوب (١/ ٥٥٣) وعيون الأخبار (١/ ١٦٠) ومروج الذهب (٢/ ١٧٤) والأوائل (١/ ٢٥) .
(٣) ثمار القلوب (١/ ٥٥٤) وبيان الجاحظ (١/ ٣٠٧) وحياة الحيوان (١/ ٣٣٩) وربيع الأبرار (٥/ ٤٠١) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٤٠٠) .
(٥) ثمار القلوب (١/ ٥٥٤) وربيع الأبرار (٥/ ٤٠٢) وحياة الحيوان (١/ ٣٣٩) .
(٦) حياة الحيوان (١/ ٣٣٩) .

• قيل[1] : كان لرجل بالباديةِ حمارٌ وكَلْبٌ ودِيكٌ ؛ فالدِّيكُ يُوقظُه للصَّلاة ، والكلبُ يَحرسُه إذا نامَ ، والحِمار يَحملُ أَثاثَهُ إِذا رَحَل .

قال : فجاءَ الثَّعلبُ فأَكلَ الدِّيكَ ، فقالَ : عَسىٰ أَن يكونَ خَيراً ؛ ثم أُصيبَ الكلبُ بعد ذلك ، فقال : لا حولَ ولا قُوَّةَ إِلاّ باللهِ العليِّ العظيم ، عسَىٰ أَن يكونَ خيراً ؛ ثم جاء الذِّئبُ فَبَقَرَ بطنَ الحِمار ، فقال : عَسىٰ أَن يكونَ خيراً .

قال : ثمَّ إِنَّ جِيرانَه من الحيِّ أُغيرَ عليهم ، فأُخذوا ، فأَصبحَ يَنظرُ إِلىٰ مَنازلهم وقد خَلَت ، فقيلَ لهُ : إِنَّما أُخذوا بأَصواتِ دَوابِّهم ؛ فقال : إِنَّما كانَت الخِيرة في هَلاك ما عِندي ، فَمَن عَرَفَ لُطْفَ الله رَضِيَ بِفِعْلِهِ .

• حَمام[2] : هو أَنواعٌ كثيرةٌ ، والكلامُ في الَّذي أَلِفَ البُيوت ، وهو قِسمان : أَحدُهما بَرِّيٌّ ، وهو الَّذي يُوجَد في القُرىٰ ؛ والآخَر أَهْلِيٌّ ، وهو أَنواعٌ وأَشكالٌ ؛ فمِنه الرَّواعِبُ والمَراعيشُ والسَّدّادُ والغَلاّبُ والمَنسوب .

ومِن طَبْعِهِ أَنَّه يطلبُ وَكْرَهُ ولو كان في مَسافةٍ بَعيدةٍ ، ولأَجْلِ ذلك يَحملُ الأَخبارَ ؛ ومنه ما يَقطعُ عشرةَ فراسخَ في يوم واحدٍ ، ورُبَّما صِيْدَ وغابَ عن وَطنِه عشرَ سِنين ، وهو علىٰ ثَباتِ عَقْلِهِ وقُوَّةِ حِفْظِهِ حتَّىٰ يَجِدَ فُرْصَةً فيطيرَ ويَعودَ إِلىٰ وَطنه .

وسِباعُ الطَّيْرِ تَطلبُه أَشَدَّ الطَّلبِ ؛ وخَوْفُهُ من الشّاهينِ أَشَدُّ من غَيره ، وهو أَطْيَرُ منه ، لكن إِذا أَبْصَرَهُ يَعتريهِ ما يَعتري الحِمارَ إِذا رأَىٰ الأَسَد ، والشّاةَ إِذا رأَت الذِّئبَ ، والفأْرَ إِذا رأَىٰ الهِرَّ .

ومن طَبعه أَنَّه لا يُريدُ إِلاّ ذَكَرَهُ إِلىٰ أَن يَهلك أَو يُفْقَدَ أَحدُهما ؛ ويُحِبُّ

(١) حياة الحيوان (١/ ٣٤١) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٣٦٥) وعجائب المخلوقات (٢٧٢) .

المُلاعبَةَ والتَّقبيلَ ، ويَسفدُ لِتَمام أَربعةِ أَشهر ، ويَحملُ أَربعة عشرَ يوماً ، ويَبيضُ بَيضتين ، ويَحضنُ عِشرين يوماً ، ويَخرجُ من إِحدىٰ البيضتين ذَكَرٌ والأُخرىٰ أُنثىٰ .

واتخاذُها في البُيوت لا بأسَ بهِ ، غيرَ أَنَّه لا يَجوزُ تَطييرُها والاشتِغالُ بها ، والارتقاءُ بها علىٰ الأَسْطِحَةِ ؛ وعليه حَمَلَ أَهلُ العِلم قولَه عليه الصَّلاة والسَّلام : « شيطانٌ يتبعُ شَيْطَانةً » حين رأَىٰ شخصاً يتبعُ حمامةً .

فإِن لم يَحصلْ شيءٌ مِمّا ذُكِرَ جازَ اتِّخاذُها ؛ قال رسولُ الله ﷺ : « اتَّخِذوا الحَمامَ في بُيوتِكم ، فإِنَّها تُلْهي الجِنَّ عن صِبيانِكم » .

واللَّعبُ بها من عَمَلِ قومِ لُوط ؛ وقال النَّخَعيُّ : مَن لَعِبَ بالحمامِ لم يَمُتْ حتَّىٰ يذوقَ أَلَمَ الفَقر .

ولم يُوجَدْ شيءٌ أَبْلَهَ من الحَمام ، فإِنَّهُ تُؤخذُ أَفراخُه ، فَتُذْبَحُ في مَكانٍ ، ثم يَعودُ في ذلك المَكان ويَبيضُ فيه ويُفَرِّخُ .

• وقال الجاحظ[١] : وللحمامِ من الفَضيلة والفَخْرِ أَنَّ الحمامةَ قد تُبتاعُ بخمسمئة دينار ، ولم يبلغ ذلك القَدْرَ شيءٌ من الطَّيْرِ وغَيره ، وهو الهادي الَّذي جاءَ من الغايَة .

قالوا : ولو دَخلتَ بَغدادَ والبَصرةَ وَجدتَ ذلك بلا مُعاناةٍ ، ولو حُدِّثْتَ أَنَّ بِرْذَوْناً أَو فَرَساً بِيعَ بخَمسمئة دينارٍ لكان ذلك سَمَراً .

وقد تُباعُ البَيضةُ الواحدةُ من بَيضِ ذلكَ الحَمامِ بخمسة دنانير ، والفَرخ بعشرين ؛ فمَن كان له زَوْجٌ منه قام في الغَلَّةِ مَقام ضَيْعَةٍ ؛ وأَصحابُه يَبنونَ من أَثمانِه الدُّورَ والحَوانيتَ ، وهوَ مع ذلك مَلْهىً عجيبٌ ومَنظرٌ أَنيقٌ .

---

(١) الحيوان (٣/ ٢١٢) وربيع الأبرار (٥/ ٤٤٧) .

الخواصّ : دَمُهُ ينفعُ الجراحات العارِضَة لِلعَيْنِ والغَشاوة ، ويَقطعُ الرُّعاف ، ويُبرىءُ حَرْقَ النّار إذا خُلِطَ بالزَّيت منه ؛ وزِبْلُ الأَحمرِ يَنفعُ لِلَسْعِ العَقرب إذا وُضِعَ عليه ؛ وإذا شُرِبَ منه مَقدارُ دِرهمين مع ثلاثةِ دراهمَ دارصِيني نَفَعَ من الحَصاةِ .

حرف الخاء المُعجمة :

● **الخُطّاف**[1] : أَنواعٌ كثيرةٌ ، فمنه نوعٌ دون العُصفور رَماديُّ اللَّون ؛ يسكنُ ساحِلَ البحر ؛ ومنه ما لونُه أَخضرُ ، وتُسَمِّيه أَهلُ مِصر : الخُضَيْري ، ونَوعٌ طويلُ الأَجنحةِ ، رقيقٌ ، يأْلَفُ الجِبال ؛ ونَوعٌ أَصغرُ ، يأْلَفُ المساجِدَ ، يُسَمِّيه النّاسُ : السُّنونو ؛ وزَعم بعضُهم أَنَّه الطَّيْر الأَبابيل .

ويُقالُ : إنَّ آدمَ عليه الصَّلاة والسَّلام لمّا أُهبِطَ إِلىٰ الأَرضِ حَصلَ له وحْشَةٌ ، فَخَلَقَ اللهُ له هذا الطَّيْرَ يُؤْنِسُهُ ، فلأَجلِ ذلك لا تَجِدُها تُفارِقُ البُيوتَ ، وهي تَبني بيتَها في أَعلىٰ مكانٍ بالبيتِ ، وتُحْكِمُ بُنيانَهُ وتُطَيِّنُهُ ، فإن لم تَجد الطِّينَ ذهبَت إِلىٰ البحر فتمرَّغَت في التُّراب والماءِ وأَتت فَطيَّنَتْهُ .

وهي لا تُزَبِّلُ داخِلَهُ ، بل علىٰ حافَّته أَو خارجاً عنه ؛ وعنده وَرَعٌ كثيرٌ ، لأَنَّه ـ وإن أَلِفَ البيوتَ ـ لا يُشارِكُ أَهلها في أَقواتِهم ، ولا يلتمسُ منهم شيئاً ، ولقد أَحسن واصِفُهُ حيثُ يَقُول[2] : [من الكامل]

كُـنْ زاهِـداً فيما حَـوَتْـهُ يَـدُ الـوَرىٰ ... تَبْقَـىٰ إِلـىٰ كُـلِّ الأَنـامِ حَبيبـا

وانْظُـرْ إِلـىٰ الخُطّـافِ حَـرَّمَ زَادَهُـم ... أَضْحـىٰ مُقيمـاً فـي البُيـوت رَبيبـا

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤١٧) وعجائب المخلوقات (٢٧٤) .

(٢) بلا نسبة في حياة الحيوان (١/ ٤١٧) . ورواية الأول عند الدميري : × تضحي . . . . والثاني : أَوَ ما ترىٰ الخطاف . . . × وفي أ : ما تنظر الخطاف . . . × . وسقطا من ب .

ومِن شأنِه أَنَّهُ لا يُفرِّخُ في عُشٍّ عَتيقٍ ، بل يُجَدِّدُ له عُشّاً .

وأَصحابُ اليَرَقان يُلَطِّخون أَفراخَه بالزَّعفرانِ ، فيذهَبُ فيأتي بِحَجَرِ اليَرَقان ، ويُلقيه في عُشّه ، لِتَوَهُّمِهِ أَنَّ اليَرقان حَصَلَ لأولاده ؛ وهو حَجَرٌ صَغيرٌ ، فيه خطوطٌ يَعرفُه غالبُ النّاس ، فعندَ ذلك يأخذُه مَن بِهِ اليَرقانُ ، ويَحُكُّهُ ويَستعملُه .

ومن عَجيب أَمرِهِ أَنَّه يَكادُ يَموتُ من صَوتِ الرَّعدِ ، وإذا عَمِيَ ذهبَ إلىٰ شَجرةٍ يُقال لها : عَيْنُ شَمس ، فَيَتَمَرَّغُ فيها ، فَيفيقُ من غَشوتهِ ويَفتحُ عَينيه .

لطيفة : قيل[1] : إنّ خُطّافاً وقفَ علىٰ قُبَّةِ سُليمان ، وتكَلَّم مع خُطّافَةٍ ، وراوَدها عن نَفسها ، فامتنَعت ، فقال لها : تتمنَّعين مِنِّي ، ولو شئتُ قَلَبْتُ هذه القُبَّة ؟ قال : فسمعَ سُليمان ، فدَعاه وقال : ما حَمَلَكَ علىٰ ما قُلتَ ؟ فقال : يا نَبِيَّ الله ، إنَّ العُشّاقَ لا يُؤاخَذون بأَقوالهم .

الخواصّ : مَرارتُه تُسَوِّدُ الشَّعر ، ولَحمه يُورثُ السَّهَر ، وقَلبه يهيِّجُ الباهَ إذا أُكِلَ جافّاً ، ودَمه يُسَكِّنُ الصُّداع .

● **خُفّاش**[2] : طيرٌ يوجَدُ في الأَماكن المُظلمة ، وذلك بعد الغُروب وقَبل العِشاء ، لأَنَّه لا يُبصرُ نَهاراً ولا في ضَوْءِ القَمر ، وقُوتُهُ البَعوض ، وهذا الوقتُ هو الَّذي يَخرجُ فيه البَعوض أَيضاً لِطلبِ رِزقه ، فيأكلُه الخُفّاش ، فيتسلَّط طالبُ رِزْقٍ علىٰ طالبِ رِزْقٍ .

وهو من الحيوانِ الشَّديد الطَّيران ؛ قيل : إنَّه يطير الفَرسخين في ساعةٍ ، وهو يُعَمَّرُ مثلَ النِّسر ، وتُعاديه الطُّيور فتقتلُه ، لأَنَّه قيل : إنَّ عيسىٰ عليه

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤١٨) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٤٢٠) وعجائب المخلوقات (٢٧٤) .

الصَّلاة والسَّلام لمّا سأَله النَّصارىٰ في طيرٍ لا عَظْمَ فيه ، صَنَعَ لهم ذلك بإِذن الله تعالىٰ ، فهي تكرَهُه لأَنَّه مُبايِنَ لِخِلْقَتِها .

ومن طَبعه الحُنُوُّ علىٰ وَلده ، حتَّىٰ قيل : إِنَّه يُرضِعه وهو طائرٌ .

• **خِنزير**[1] : حيوان مَعروفٌ ، وله كُنىٰ كثيرةٌ ، منها : أَبو جَهْم ، وأَبو زُرْعَة ، وأَبو دُلَف .

وهو مُشتركٌ بين البَهيمة والسَّبُع ، لأَنَّه ذو نابٍ ، ويأكلُ الجِيَفَ والعُشبَ والعَلَف .

وهو كثيرُ الشَّبَقِ ، حتَّىٰ قيل : إِنَّه يُجامعُ الأُنثىٰ وهي سائرةٌ ، فَيُرىٰ في مَشيها سِتَّةُ أَرجُل ، فَيتوهَّمُ الرّائي أنه حيوانٌ بِسِتَّةِ أَرجلٍ ، وليس كذلك .

والذَّكَرُ مثله يطرد الذَّكر ، فمَن غَلب استقلَّ بِالنَّزْوِ علىٰ الأُنثىٰ ؛ وتُحَرِّكُ أَذنابَها في زَمَنِ هَيَجانِها ، وتُطأطىءُ رأسَها ، وتُغَيِّرُ أَصواتها ؛ وتَحمِلُ من نَزْوَةٍ واحدةٍ ، وتحملُ سِتَّةَ أَشهر ، وتَضَع عِشرين خِنَّوصاً ، ويَنْزو الذَّكر إِذا بلغَ سِتَّةَ أَشهر ، وقيل : أَربعة ، باختلافِ البلاد ، وقيل : ثمانية .

وإِذا بَلَغَت الأُنثىٰ خمسَ عشرة سنةً ، لا تحملُ ؛ وهذا الجنس أَنسل الحيوانِ ، والذَّكَرُ أَقوىٰ الفُحول .

وليس لِذَواتِ الأَربع ما لِلخنزيرِ في نابِهِ من القُوَّةِ ، حتَّىٰ قيل : إِنَّه يَضرِبُ به السَّيفَ والرُّمحَ فينقطعُ ما لاقاهُ ، وإِذا التقىٰ ناباهُ من الطُّول ماتَ ، لأَنَّهما حينئذ يَمنعانهِ من الأَكل .

ومن عَجيب أَمرِه أَنَّه يأكلُ الحَيّاتِ ولا يُؤَثِّرُ فيه سُمُّها ، وإِذا عضَّ كَلْباً سَقَطَ شَعْره ، وإِذا مَرض وأُطعمَ السَّرطان يفيقُ .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤٣٠) وعجائب المخلوقات (٢٥٧) .

ومن عَجيب أَمره أَنَّه إِذا رُبِطَ علىٰ ظَهره حِمارٍ ، وبالَ الحمارُ وهو علىٰ ظَهره ماتَ .

ولا يُسْلَخُ جِلدُه إلاَّ بالقَلْع مع شيءٍ من لَحمه علىٰ ما ذَكروا .

● **خُنفساء**[1] : دُوَيْبَّةٌ تَتولَّدُ من عُفوناتِ الأَرض ؛ وبينَها وبين العقرب مَوَدَّةٌ ؛ وكُنيتها أُمّ فَسْوٍ ، لأَنَّ كُلَّ مَن وَضَعَ يَدَه عليها يشمُّ رائحةً كريهةً .

فائدة[1] : قيل : إِنَّ رجلاً رأَىٰ خُنفساء ، فقال : ما يَصنعُ الله بهذه ! فابتَلاه الله تعالىٰ بقُرْحَةٍ عَجزَ الأَطِبّاءُ فيها ، فبينما هو ذات يوم إذا بِطُرُقِيٍّ يقولُ : مَن بهِ وَجَعُ كذا ، إِلىٰ أَن قال : مَن بهِ قُرْحَةٌ ؛ فخَرج إِليه ذلك الرَّجلُ ، فلمّا رأَىٰ ما به . قال : ائْتوني بِخُنفساء ؛ فضَحك منه الحاضرون ، فقال : ائْتُوه بالَّذي يَطلبُ ؛ فأَتوه بها ، فأَخذها ، فأَحرقَها ، وأخذ رمادَها ، وجعلَ منه علىٰ تِلك القُرحة فبَرِئَت ؛ فعلمَ ذلك المَقروحُ أَنَّ الله تعالىٰ ما خلقَ شيئاً سدىً ، وأَنَّ في أَخسِّ المخلوقاتِ أَهَمَّ الأَدوية ؛ فَسُبحان القادرُ علىٰ كلِّ شيءٍ .

الخواصّ : إذا قُطعت رُؤوس الخنافس وجُعلت في بُرج الحَمام كَثُرَ الحمامُ في ذلك البُرج ؛ والاكتحالُ بما في جَوفها من الرَّطوبة يحدُّ البَصَرَ ويَجلو الغشاوةَ والبياضَ ؛ وإذا بُخِّرَ المكانُ بِوَرَقِ الدُّلْبِ هَرَبَتِ منه الخَنافسُ علىٰ ما ذُكر .

● **خَيْل**[2] : جماعةُ الأَفراس ، وسُمِّيت بذلك لأَنَّها تَختالُ في مَشْيَتها ؛ وهي من الحيوانِ المُشَرَّفِ ، ولقد مدَحها الله تعالىٰ ، ووصَّىٰ بها النَّبيُّ عليه الصّلاة والسَّلام ، فقال : « الخَيْرُ مَعقودٌ بِنواصي الخيل إِلىٰ يوم القيامة » . وقال :

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤٣٦) وعجائب المخلوقات (٢٩٣) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٤٣٨) وعجائب المخلوقات (٢٤٢) .

« عَلَيْكُم بإناث الخَيْل ، فإِنَّ ظُهورَها عِزٌّ وبُطونَها كنزٌ » .

ورُوي[1] عن ابن عبّاس أو عليّ رضي الله عنهما ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لمّا أَرادَ الله تعالىٰ خَلْقَ الخيل أَوحىٰ إلىٰ الرِّيح الجنوبِ ، وقال : إنِّي خالقٌ منكِ خَلْقاً ، فاجتَمعي ؛ فاجتَمعت ، فأَتى جبريلُ ، فأَخذَ منها قَبْضَةً ، فخلَقَ الله منها فَرَساً كُمَيْتاً ، وقال : خَلَقْتُكَ عَرَبِيّاً ، وفَضَّلْتُكَ علىٰ سائرِ البَهائم ، فالرِّزْقُ بناصِيَتِكَ ، والغَنائمُ تُقادُ علىٰ ظَهْرِك ، وبِصَهيلك أُرهبُ المشركين وأُعِزُّ المؤمنين ؛ ثم وَسَمَهُ بِغُرَّةٍ وتَحجيلٍ ؛ فلّما خلقَ الله تعالىٰ آدم قال : يا آدمُ ، اخترْ أَيَّ الدَّابَّتين : الفَرس أَو البُراق ؛ فقال : الفَرس يا ربّ ؛ فقال الله تعالىٰ : اخترتَ عِزَّكَ وعِزَّ أَولادك » .

وفي الحديث : « ما مِن فَرَسٍ إلاّ ويقولُ في كُلِّ يومٍ : اللَّهمَّ مَن جَعَلْتَني له فاجْعلني أَحَبَّ أَهله إليه » .

وقيل : الخيلُ ثلاثةٌ : فَرَسٌ للرَّحمن ، وهي المَغْزُوُّ عليها ؛ وفَرَسٌ لكَ ، وهي الَّتي تُسابقُ عليها ؛ وفَرَسٌ للشَّيطان ، وهي الَّتي جُعِلَت للخُيَلاءِ .

وفي الحديث : « إنَّ الملائِكَةَ لا تَحْضُرُ شيئاً من اللَّهْوِ ، إلاّ في مُسابقةِ الخيلِ ومُلاعَبةِ الرَّجُلِ أَهْلَهُ » .

ولقد سابَقَ النَّبيُّ ﷺ علىٰ الخيلِ .

وقيل : إنَّ الذَّكَر من الخيلِ أَقْوىٰ من الأُنثىٰ ، ولا يُرَدُّ علينا ركوبُ جبريل ـ في قِصَّة موسىٰ وفِرعون ـ الأُنثىٰ ، لأَنَّ ذلك من حِكْمَةِ الله تعالىٰ ، حتَّىٰ تَبعتها أَحْصِنَتُهم فأُغرقوا ، لأَنَّ الحِصانَ إذا رأَىٰ الحَجْرةَ تَبِعَها .

وقيل : إنَّ الله تَعالىٰ أَمرَ نَبِيَّهُ مُوسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام أَن يعبرَ البَحر

(١) حياة الحيوان (١/ ٤٤١) .

فَعبَرَهُ ، وهم خَلْفَهُ ، فأَعمىٰ أَعْيُنَهُم عن الماء ، فكانوا يَرون بَلْقعاً ، والخيلُ تراهُ ماءً ، فلولا دُخول جِبريل البحرَ بفَرسه لما دخَلَت خَيلُهم .

وهي أَصناف : منها : الصّافِنات ؛ وهي الَّتي إذا رُبِطَت في مَكانٍ ، وَقَفَت علىٰ إِحدىٰ رِجْلَيْهَا ، وَقَلَبَت بعضَ الأُخرىٰ في الوقوفِ ، وقيل غير ذلك .

وكانت الصّافِناتُ أَلفَ فَرَسٍ لسُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام ، فَعَرضَها يوماً ، ففاتَتْهُ الصَّلاة ـ قيل : صلاةُ العَصر ـ فأمر بِعقْرِها ، فَعوَّضَهُ الله عنها الرِّيح ، فكانت فَرَسَهُ ؛ وقيل : إِنَّما عَقَرَها علىٰ وَجْهِ القُربىٰ كالهَدْي .

وقيل : إنَّ الفَرَسَ لا يُحِبُّ المَاء الصّافي ، ولا يَضْرِبُ فيه بيَدِهِ كما يَضربُ بها في الماءِ الكَدِرِ ، فَرَحاً به ، فإِنَّه يرىٰ شَخْصَهُ في الماءِ الصّافي فيُفْزِعُهُ ، ولا يَراهُ في الماءِ الكَدِرِ .

وقد قيل في الحَثِّ علىٰ حُبِّ الخَيل[1] : [من الوافر]

أَحِبُّوا الخَيْلَ واصْطَبِروا عليها ... فإِنَّ العِزَّ فِيها والجَمالا
إذا ما الخَيْلُ ضَيَّعَها أُناسٌ ... رَبَطْناها فَأَشْرَكتِ العِيالا
نُقاسِمُها المَعيشَةَ كُلَّ يَومٍ ... ونَكْسُوها البَراقِعَ والجِلالا[2]

حرف الدّال المهملة :

- **دابّة**[3] : اسمٌ لِكُلِّ ما دبَّ علىٰ الأَرضِ .

وأَمّا الَّتي ذَكَرها الله تعالىٰ في سُورة سَبأ ، فقيل : الأَرَضَةِ ، وقيل السُّوسة .

---

(١) الأبيات لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما في حياة الحيوان (١/ ٤٤١) .
(٢) روايته في ط : × وتكسبنا الأَباعر والجِمالا . وسقطت الأبيات من ب .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٤٤٩) .

وسببُ ذلك[1] : أَنَّ سُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام كان قد أَمَرَ الجِنَّ ببناءِ صَرْحٍ ، فَبَنَوْه ، ودخلَ فيه وأَراد أَن يصفوَ له يومٌ واحدٌ من دَهره ، فدخل عليه شابٌّ ، فقال له : كيفَ دخلتَ من غيرِ استئذانٍ ؟ فقال : أَذِنَ لي ربُّ البيتِ ؛ فعلمَ سُليمان أَنَّ رَبَّ البيتِ هو الله تعالىٰ ، وأَنَّ الشّابَّ مَلَكُ الموت ، أُرسل ليقبضَ رُوحَه ، فقال : سُبحان الله ، هذا اليوم طلبتُ فيه الصَّفاء ؛ فقال : طلبتَ ما لم يُخْلَق ـ قال : وكان قد بقيَ من بِناء المسجدِ الأَقصىٰ بقيَّةٌ ـ فقال له : يا أَخي يا عِزرائيل ، أَمهلْني حتَّىٰ يَفرغ ؛ قال : ليس في أَمر رَبِّي مُهْلَةٌ .

قال : فقَبض روحه ، وكان من عادَته الانقطاعُ في التَّعَبُّدِ شَهرين وثلاثة ، ثم يأتي ، فينظرُ ما صَنَعَتِ الجِنُّ ؛ فلمّا قُبض كان مُتَوَكِّئاً علىٰ عَصاه ، واستمرَّ ذلك مدَّةً ، والجِنُّ تتوهَّمُ أَنَّهُ مُشرِفٌ عليها ، فتعملُ كلَّ يوم بقدر عشرةِ أَيّام ، حتَّىٰ أَراد الله ما أَراد ، فسلَّط علىٰ العصا الأَرَضَةُ فأَكَلَتها ، فَخَرَّ مَيِّتاً ، فتفرَّقَتِ الجِنُّ عنهُ .

وقيل : إِنَّ واحِداً مِنهم مَرَّ عليهِ ، فَسَلَّمَ ، فلم يُجِبْهُ فَدنا منه ، فلم يجدْ له نَفَساً ، فحرَّكه ، فسقطَت العصا ، فإِذا هو مَيِّتٌ . قال : وكان عُمره ثلاثاً وخمسين سنةً ، والعصا الَّتي اتّكأ عليها من خَرنوب ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ : ١٤] . قال : فَشَكَرَتِ الجِنُّ الأَرَضَةَ ، حتَّىٰ قيلَ : إِنَّهم كانوا يأْتونَها بالماءِ حيثُ كانَت .

● وأَمّا الدَّابَّةُ[2] الَّتي هي من أَشراطِ السّاعة : فاختُلف في أَمرها ، فقيل : تخرجُ من الصَّفا ، وهو الصَّحيح ؛ وقيل : من الطّائف ؛ وقيل : من الحِجْر ؛ وطولُها سِتُّون ذِراعاً ، ذات قوائم ، وهي مختلفةُ الأَلوان ، وذلك في ليلةٍ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤٥٦) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٤٥٨) .

يكون النّاس مُجتمعين بِمِنىٰ أَو سائرين إلىٰ مِنىٰ ، ومعها عَصا موسىٰ وخاتم سُليمان لا يُدركها طالبٌ ولا يَفوتها هاربٌ ، تَلحقُ المؤمنَ ، فتضربُه بالعَصا ، فتكتبُ في وَجهه « مؤمن » ؛ وتُدرك الكافرَ ، فَتَسِمُهُ بالخاتمِ ، وتكتبُ في وَجهه « كافر » .

ورُوي أَنَّها تخرجُ إِذا انقطعَ الأَمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المُنكر ، وقلَّ الخير .

● **داجِن**[١] : وهو ما يُرَبِّيه النّاس في البُيوت من صِغار الغَنَم والحَمام والدَّجاج وغير ذلك ، وفي حديث الإِفْكِ : ما نَعْلَمُ لها قَضِيَّةً غيرَ أَنَّها جاريةٌ حديثةُ السِّنّ ، تَعجنُ وتَنامُ ، فتأتي الدّاجِنُ ، فتأكلُ العَجين .

● **دُبّ**[٢] : من السِّباعِ ؛ وكُنيته : أَبو جَهل ، وأَبو جُهَيْنَة ، وغير ذلك .

ولا يخرجُ زَمن الشِّتاءِ حتَّىٰ يطيبَ الهواءُ ؛ وإِذا جاعَ يمصُّ يديه ورِجليه ، فيندفعُ جُوعُه .

وهو كثيرُ الشَّبَقِ ، ويَنعزلُ بأُنثاه ، وتَضعُ جُرواً واحداً ، وتَصعدُ به إلىٰ أَعلىٰ شَجرةٍ خوفاً عليه من النَّمل ، لأَنَّها تَضعُهُ قِطعةَ لَحْم ، ثم لا تَزالُ تَلحسُه وتَرفعُه في الهواءِ حتَّىٰ تَنفرَج أَعضاؤه وتَخشنَ ويَصيرَ له جِلْدٌ .

وفي وِلادتها صُعوبةٌ ، ورُبَّما ماتَت منها ، وقد تَلِدُهُ ناقِصَ الخَلْقِ شَوقاً مِنها للسِّفاد .

وهي من الحيوانِ الَّذي يَدعو الإِنسان لِلفعلِ به .

وقيل : إِنَّ الدُّبَّ يُقيمُ أَولادَه تحتَ شَجرةِ الجَوز ، ثم يَصعدُ فيرمي بالجوزِ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤٦٢) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٤٦٣) وعجائب المخلوقات (٢٥٨) .

إليها إلىٰ أن تَشبعَ ؛ ورُبَّما قَطَعَ من الشَّجر الغُصنَ العُتُلَّ الضَّخْمَ الَّذي لا يُقطعُ إلاّ بالفَأس والجهد ، ثم يشدُّ به علىٰ الفارسِ فلا يضربُ أحداً إلاّ قتله .

● **دَجاجة**[1] : وكُنيتها : أُمّ ناصِر الدِّيْن ، وأُمّ الوليد ، وغير ذلك .

وإذا هَرمت لم يبقَ لِبَيْضِها مُخٌّ ، وتُوصف بِقِلَّةِ النَّوم ؛ قيل : إنَّ نَومَها بقدرِ ما تَتنفَّسُ ؛ وعندها خوفٌ في اللَّيل ، ولأَجل ذلك تطلبُ وقتَ الغُروب مَكاناً عالياً ، وتَخشىٰ الثَّعلب ؛ قيل : إنَّها إذا رَأَتْهُ أَلْقَت نَفْسَها إليه من شِدَّة الخوف ؛ ولا تَخشىٰ من بقيَّة السِّباع .

وقيل : يُعْرَفُ الذَّكر من الأنثىٰ بإِمساكِ مِنقاره ، فإن تحرَّكَ فَذَكَرٌ ، وإلاّ فأُنثىٰ .

ومن الدَّجاج ما يَبيضُ في اليومِ مرَّتين ، وهو من أَسباب مَوتها ، ويَستكملُ خَلْقُ البَيضة في بَطن الدَّجاجة في عَشرة أَيّام .

وفي الحديثِ : إنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَ باتِّخاذِ الغَنَمِ للأَغنياء ، وباتِّخاذِ الدَّجاج للفُقَراء .

ومن العَجيب في صَنعة الله تعالىٰ أَن خَلَقَ الفَرُّوج من البَياض ، وجعلَ الصَّفار غذاءً له ؛ كما خلقَ الطِّفلَ من المَنِيِّ ، وجعلَ دمَ الحيضِ غذاءً له ، فتباركَ الله أَحسنُ الخالقين .

الخواصّ : لحمُ الدَّجاج الفَتِيِّ يزيدُ في العَقل ، ويُصَفِّي اللَّون ، ويزيدُ في المَنِيِّ ، ويُقيم الباهَ ؛ والمُداومةُ عليه تُورثُ النِّقرسَ والبَواسير علىٰ ما ذُكِر .

● **دج**[2] : طيرٌ كبيرٌ أَغْبَرُ ، يكونُ بساحِل البحر كثيراً ، وبالقربُ من

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤٦٧) وعجائب المخلوقات (٢٧٦) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٤٧٦) .

الإسكندريَّة ، والنّاسُ يَصطادونَه ويأكلونَه .

● **دُود**[1] : اسمُ جنسٍ ، ومنه دُودُ القَزِّ ، ويُقال لها : الهِندِيَّة .

ومن عَجيب أَمرها : أَنَّها تكونُ أَوّلاً مثلَ بِزْرِ التِّينِ ، ثم تَصير دُوداً ، وذلك في أَوائلِ فصلِ الرَّبيع ، ويكونُ عند خروجه مثلَ الذَّرِّ في قَدْرِهِ وَلَوْنِهِ ، ويخرجُ في الأَماكن الدّافئة إذا كان مَصروراً في حُقٍّ ، ورُبَّما تأَخَّرَ خُروجه فتجعلُه النِّساء تحتَ ثُديِّهِنَّ بِصُرَّتِهِ ، فَيخرجُ ؛ وغذاؤه ورقُ التُّوت الأَبيض .

قال : ولا يزالُ يكبرُ حتَّى يصيرَ بقدرِ إِصبعٍ ، وينتقلُ السَّوادُ إِلى البياض ؛ وكلُّ ذلك في مُدَّةِ سِتِّين يوماً .

قال : ثم يأخذُ في النَّسج على نَفْسِهِ بِما يُخرجُه من فِيه إِلى أَن ينفذَ ما في جَوفه ، [ويكمل عليه ما يبنيه إلى أَن يصيرَ كهيئة الجوزة ، ويبقى فيه مَحبوساً قريباً من عشرة أَيّام ، ثم ينقبُ عن نفسه تلك الجوزة ،] فيَخرجُ منه شيءٌ كهيئةِ الفَراش له جَناحان لا يَسكنانِ من الاضطراب ، وعند خُروجه يهيجُ إِلى السِّفاد ، ويُلصقُ الذَّكرُ مُؤَخِّره إِلى مُؤَخِّر الأُنثى ويَلتحمان مُدَّةً ، ثم يَفترقان .

قال : ويكونُ قد فُرِشَ لهما خِرْقَةٌ بيضاءُ ، فَينشران البِزْرَ عليها ، ثم يَموتان ؛ هذا إِذا أُريدَ منهما البِزْرُ ؛ وإِن أُريدَ الحريرُ تُركا في الشَّمس بعد فَراغهما من النَّسج ، فيموتُ وهو سَريع العَطَبِ ، حتَّى إِنَّه لَيُخْشى عليه من صَوت الرَّعْدِ والعُطاسِ ومَسِّ المرأَةِ الحائضِ والرَّجلِ الجُنُبِ ورائحةِ الدُّخان والحَرِّ الشَّديد والبردِ الشَّديد ، ونحو ذلك .

قال أَبو الفتح البُسْتيّ[2] : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ المَـرْءَ طُـوْلَ حَياتِـهِ ... مُعَنّـىً بِـأَمْـرٍ لا يَـزالُ يُعـالِجُـهْ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٤٨٤) وعجائبُ المخلوقات (٢٩٤) .

(٢) ديوانه (٢٣٣) وحياة الحيوان (١/ ٤٨٧) .

كَـذَلِـكَ دُوْدُ القَـزِّ يَنْسُـجُ دائِمـاً ... وَيَهْلكُ غَمّاً وَسْطَ ما هُوَ ناسِجُهْ

● وقال آخر[1] : [من البسيط]

يُفْني الحريصُ بِجَمْعِ المالِ مُدَّتَهُ ... ولِلحـوادِثِ مـا يُبْقـي وَمـا يَـدَعُ
كَـدُودةِ القَـزِّ مـا تَبْنيـهِ يُهْلِكُهـا ... وَغَيْـرُهـا بـالَّـذي تَبْنيـهِ يَنْتَفِـعُ

● **دِيك**[2] : وكُنيته : أَبو حسّان ، وأَبو حمّاد ، وغير ذلك ؛ ويُسَمَّى : الأَنيس ، والمؤانِس .

ومن طَبْعِهِ لا يأْلَفُ زَوْجَةً واحِدةً ؛ وهو أَبْلَهُ الطَّبيعةِ ، لأَنَّه إِذا سقطَ من بيتِ أَصحابه ، لا يَهتدي إِلى الرُّجوع إِليه .

وفيه من الخِصال الحميدة ما لا يُحْصَرُ ؛ منها : أَنَّه يُساوي بين أَزواجِه في الطُّعْمَة ، ويَذْكُرُ الله تعالى في اللَّيل ، حتّى قيل : إِنَّه لَيُوَقِّتُهُ وَيَقْسِمُهْ ، ورُبَّما لا يَخْرِمُ في تَوقيته .

وفي الصَّحيحين : « إِذا سَمعتُم صِياح الدِّيك ، فاذكُروا الله تعالى ، فإِنَّه يصيحُ بِصياح ديكِ العرشِ » .

وروى الغَزالي عن مَيمون بن مهران ، إِنَّ للهِ مَلَكاً تحتَ العَرْشِ على صُورة الـدّيـك ، فـإِذا مَضـى ثُلُـثُ اللَّيـلِ الأَوَّلِ ضَـرَبَ بجنـاحَيـه ، وقـال : لِيَقُمِ المُسلمون ؛ فإِذا مَضى الثُّلثُ الثّاني ضَرَبَ بجَناحيه وقال : لِيَقُم الذّاكِرون ؛ فإِذا كان السَّحَر وطَلَعَ الفَجْرُ ضَرَبَ بجَناحيه وقال : لِيَقُمِ الغافِلون ، وعلَيهم أَوزارُهم .

وفي الحديث : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « إِنَّ للهِ دِيكاً أَبيضَ ، له جناحانِ

---

(١) بلا نسبة في حياة الحيوان (١/ ٤٨٧) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٤٨٩) وعجائب المخلوقات (٢٧٥) .

مُوَشَّحانِ بالزَّبَرْجَدِ والياقوتِ واللُّؤلؤ ، جَناحٌ بالمشرقِ وجَناحٌ بالمغرب ، ورأسُه تحتَ العرشِ ، وقَوائمُه في الهواءِ ، فإذا كان ثُلُثُ اللَّيلِ الأَوَّلِ خَفقَ بجناحَيه ، وقال : سُبحان المَلِكِ القُدُّوسِ ؛ فإذا كان الثُّلثُ الثّاني ، خفق بجناحيه ، وقال : قُدُّوسٌ ؛ فإذا كان الثُّلثُ الثّالثُ ، خفقَ بجناحيهِ وقال : ربُّنا الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ ، لا إِلَٰه إِلاّ هو » .

وروى الثَّعلَبيُّ بإسناده عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال : « ثلاثةُ أَصواتٍ يُحبُّها الله تعالى : صوتُ الدِّيك ، وصوتُ قارىءِ القُرآن ، وصوتُ المستغفرِ بالأَسحار » .

وفي الحديث : « لا تَسُبُّوا الدِّيكَ ، فإِنَّه يُوَقِّتُ للصَّلاة » .

وزعمَ أَهلُ التَّجربةِ أَنَّ الرَّجلَ إذا ذَبَحَ الدِّيكَ الأَبيضَ الأَفْرَقَ لم يَزَلْ يُنْكَبُ في أَهله ومالِه .

نادرة : قيل[١] : كان لِمُزَبِّد ديكٌ ، وكان كريماً عليه ، فجاء العيدُ وليس عنده شيءٌ يُضَحِّي بهِ ؛ فأَمر امرأَته بِذَبْحِهِ واتِّخاذِ طعامٍ منه ، وخَرج إِلى المُصَلَّى ، فأَرادت المرأَةُ تُمسكُه ، فَفَرَّ ، فَتَبِعَتْهُ ، فصارَ يَخترقُ من سَطْحٍ إِلى سَطْحٍ ، وهي تَتبعُه ، فسأَلها جيرانُها وهم هاشِمِيُّون عن مُوجب ذَبْحه ، فذكَرَت لهم حالَ زَوجها ، فقالوا : ما نرضَى أَن يبلغَ الاضطرارُ بأَبي إِسحاق إِلى هذا القَدْر ، فأَرسل إِليه هذا شاةً وهذا شاتين وهذا بقرةً وهذا كَبْشاً ، حتَّى امتلأَتِ الدّارُ ؛ فلمّا جاء ورأَى ذلك قال : ما هذا ؟ فَقَصَّت عليه زَوجتُه القِصَّة ، فقال : إِنَّ هذا الدِّيكَ لكريمٌ على الله ؛ فإِنَّ إِسماعيل نَبِيُّ الله فُدِيَ بكَبْشٍ واحدٍ ، وهذا فُدِيَ بما أَرى ! .

---

(١) ثمار القلوب (٢/ ٦٨٧) وربيع الأبرار (٥/ ٤٤٤) وهو في بهجة المجالس (١/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥) منسوباً إلى قاضٍ أهوازي .

حرف الذّال المعجمة

● **ذُباب**(١) : وكُنيته أَبو جعفر ؛ وهو أَصنافٌ كثيرةٌ ؛ يَتَوَلَّدُ من العُفونة .

ومن عَجيب أَمره : أَنَّه يُلقي رَجيعَه على الأَبيض يَسْوَدُّ ، وعلى الأَسودِ يَبْيَضُّ ، ولا يقعدُ على شَجرة الدُّبّاء .

وفي الحديث : « إذا وقَع الذُّباب في إناء أَحدِكم ، فَلْيَغْمِسْهُ ، فإِنَّ في إحدى جَناحيه دواءً وفي الأُخرى داءً ، وإِنَّ مِن طَبْعِهِ أَن يَتَّقِيَ نَفْسَهُ بالجَناحِ الَّذي فيه الدّاء » .

● وحُكي(٢) أَنَّ المنصورَ كان جالِساً ، فأَلَحَّ عليه الذُّبابُ حتَّى أَضْجَرَهُ ، فقال : انظُروا مَن بالباب من العُلماء ؛ فقالوا : مُقاتل بن سُليمان ؛ فدعا به ، ثم قال له : هل تَعلمُ لأَيِّ حِكْمَةٍ خَلَقَ الله الذُّباب ؟ قال : لِيُذِلَّ بِهِ الجبابرةَ . قال : صَدقت ؛ ثم أَجازه .

● ومن(٣) خصائص النَّبيِّ ﷺ أَنَّه كان لا يقعُ عليه ذُبابٌ قَطُّ .

● وقال(٤) المأمونُ : قالوا : إِنَّ الذُّبابَ إذا دُلِكَ به مَوضِعُ لَسْعَةِ الزُّنبورِ سَكَّنَ أَلَمَهُ ، فَلَسعني زُنبورٌ ، فحككتُ على موضِعه أَكثرَ من عِشرين ذُبابةً ، فما سكنَ له أَلَمٌ ؛ فقالوا : هذا كان حَتْفاً قاضِياً ، ولولا هذا العِلاجُ لَقَتَلَك .

● وقال الجاحظ(٥) : من منافعِ الذُّبابِ أَنَّها تُحرقُ وتُخلطُ بالكُحل ، فإِذا

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٥٠١) وعجائب المخلوقات (٢٩٤) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٥٠٣) وفي (٥٠٤) أنه بين الشافعي والمأمون ؛ وفي ربيع الأبرار (٥/ ٤٦٠) بين أبي الهذيل والمأمون .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٥٠٤) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٤٦٠) وحيوان الجاحظ (٥/ ٣٦٤) .
(٥) الحيوان (٣/ ٣٢٢) وربيع الأبرار (٥/ ٤٦١) .

اكتَحَلت به المرأةُ كانت عينُها أَحسنَ ما يَكون .

وقيل : إِنَّ المواشِطَ تَستعملُه ويأمُرْنَ به العرائسَ .

وقيل[1] : إِنَّ الذُّباب إِذا مات وأُلقي عليه بُرادةُ الحديدِ عاشَ ، وإِذا بُخِّرَ البيتُ بِوَرَقِ القَرْعِ هربَ منه الذُّباب .

● **ذِئب**[2] : حيوانٌ معروفٌ ؛ وكُنيته : أَبو جَعدة ، وأَبو جاعِد ، وأَبو ثُمامة ؛ لونُه رَماديٌّ .

وهو من الحيوانِ الَّذي ينامُ بإِحدى عَينيه ، ويحرسُ بالأُخرى حتّى تملّ ، فيُغمضُها ، ويفتحُ الأُخرى ؛ كما قال بعضُ واصِفيه[3] : [من الطويل]

يَنــامُ بِــإِحْــدى مُقْلَتَيْــهِ وَيَتَّقــي بِأُخْرى المنايا فَهْوَ يَقْظانُ هاجِعُ

وإِذا أَراد السِّفادَ اختفى ، ويطولُ في سِفادِه كالكَلب ، وإِذا جاعَ عَوى ، فَتجتمع الذِّئابُ حولَه ، فمَن هربَ منها أَكلوه ؛ وإِذا خَاف منه الإِنسانُ طمعَ فيه ؛ وليسَ في الأَرض أَسَدٌ يَعَضُّ على عَظْمٍ إِلاّ ويُسْمَعُ لِتكسيره صوتٌ بينَ لَحْيَيْهِ إِلاّ الذِّئب ، فإِنَّ أَسنانَه تَبري العظم بَرْيَ السَّيفِ ، ولا يُسمعُ له صوتٌ .

وقيل : إِذا أَدماهُ الإِنسان ، فشمَّ الذِّئبُ رائحةَ الدَّمِ لا يكادُ يَنجو منه ، وإِن كان أَشَدَّ النّاس قَلْباً وأَتَمَّهُمْ سِلاحاً .

كما أَنَّ الحيَّةَ إِذا خُدِشَت طلبها الذَّرُّ فلا تكادُ تَنجو منه .

وكالكلب إِذا عَضَّ الإِنسان يطلبُه الفأرُ فَيَبولُ عليه ، فيكونُ في ذلك هلاكُه ، فيحتالُ له بكُلِّ حِيلة .

---

(١) الحيوان (٣/ ٣٤٩) وحياة الحيوان (١/ ٥٠٦) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٥١١) وعجائب المخلوقات (٢٥٩) .

(٣) البيت لحميد بن ثور في ديوانه (١٠٥) وثمار القلوب (١/ ٥٨٠) والحيوان (٦/ ٤٦٧) والأذكياء (٢٤٨) وحياة الحيوان (١/ ٥١٣) .

وقيل : لا يُعْرَفُ الالتحامُ عندَ السِّفادِ إلاّ في الكلبِ والذِّئب .

وإذا هجَم الصَّيّادُ على الذِّئبِ والذِّئبةِ وهما يَتَسافدان قَتَلَهما كيفَ شاء ؛ والله أعلم .

• (وحدَّث[1] الجاحظ ، عن أحمد بن المثنَّى ، قال : كنتُ في الصَّحارى إذ عرضَ لي ذئبٌ ، فلم يزلْ يراوغُني حتَّى أيقنتُ بالهلاك ، وإذا ذئبةٌ مُستسفدةٌ ؛ [فلمّا عاينَها تركني وقَصدَ نَحوها] وكان ذلك من لُطفِ الله تعالىٰ وتأخير الأَجلِ .)[2]

حرف الرّاء المهملة

• رُخّ[3] : طيرٌ عظيمُ الخِلْقَة ، يوجدُ بجزائر الصِّين .

قال أبو حامد الأندلسي[3] : ذَكر لي بعضُ المسافرين في البَحر ، أنَّهم أَرْسَوا بجزيرةٍ ، فلمّا أَصبحوا وَجدوا في طَرَفِها لَمعاناً وبَريقاً ، فتقدَّموا إليه ، وإذا هُم بشيءٍ مثلَ القُبَّةِ ؛ قال : فجَعلوا يَضربون فيه بالفُؤوس إلى أَن كَسروه ، فوجَدوه كهيئةِ البَيضة ، وفيه فَرْخٌ عظيمٌ ؛ قال : فتعلَّقوا بريشهِ وجَرُّوه ، ونشَبوا القُدور ، وخرجوا يَحتطبون من تلك الجزيرة حَطباً ، يقال له : حَطَبُ الشّباب[4] ؛ فلمّا أَكلوا ذلك الطَّعام اسْوَدَّت لِحيةُ ولِمَّةُ كُلِّ ذي شَيْبٍ . قال : فلمّا أَصبحوا جاءَهم الرُّخُّ ، فوجدَهم قد صَنعوا بفَرخه ما صَنعوا ، فذهبَ ، وأَتى في رِجليه بحجَرٍ عظيمٍ ، وتَبعهم بعدَما ساروا في البحرِ ، وأَلقاه على سَفينتهم ، فسَبَقَت السَّفينة ، وكانت مُشرعةً بِتِسْعِ قُلوعٍ ، ووقعَ الحَجَرُ في البحرِ ، فنَجّاهم الله تعالى منه ، وكان ذلك من لُطف الله تعالى بهم .

---

(١) مختصراً عن الحيوان (٢/ ٢١٧) .

(٢) من أ .

(٣) حياة الحيوان (١/ ٥٢٤) .

(٤) في حياة الحيوان : حطب النشاب .

قال : وقد كان بقيَ معهم أَصلُ ريشةٍ ؛ قيل : إِنَّهم كانوا يَجعلون فيها الماء فَتَسَعُ مِقدارَ قِرْبَةٍ ؛ فسُبحان الخالق الأَكرم .

● رَخَم[1] : طيرٌ أَغبرُ ، أَصفرُ المِنقارِ ، معروفٌ ، وهو من أَشَرِّ الطُّيور .

ويُقال : إِنَّها صَمّاء ؛ وسببُ ذلك ما قيل في بعض الحكايات : إِنَّ موسى عليه الصَّلاة والسَّلام لمّا مات تكلَّمت بِمَوته ، وكانت تَعرفُ مَكانه ، فأَصَمَّها الله تعالى حتَّى لا ترشدَ أَحداً إِلى مَوضعه .

حرف الزّاي

● (زامور[2] : حوتٌ ظريفٌ ، يعرفه الصَّيّادون ويُكرمونَه ، وإِذا وقعَ في شَبكتهم أَفلتوهُ ، وأَهلُ السُّفُن يُحسنون إِليه ويتفقَّدونهُ بالأَكلِ ؛ وسببُ ذلك : إِذا أَراد شيءٌ من حيوانِ البحرِ خَرْقَ سفينةٍ دخلَ أُذنَه ولصقَ فيها ، وطنَّ فيها ، فيهربُ ذلك الحيوان ، فلا يزال يَضربُ برأسِه حتّى يموتَ .)[3]

● زرافة[4] : حيوانٌ غريبُ الخِلْقَةِ ، ولمّا كان مأكولُها ورقَ الشَّجَرِ ، خلقَ الله تعالىٰ يَدَيْها أَطولَ من رِجْلَيْها ، وهي أَلوانٌ عَجيبةٌ .

يُقالُ : إِنَّها مُتَوَلِّدَةٌ من ثلاثِ حيواناتٍ : النّاقةِ الوحشِيَّةِ ، والبقرةِ الوحشِيَّةِ ، والضَّبعِ ؛ فَيَنْزو الضَّبُعُ على النّاقةِ فتأتي بِذَكَرٍ ، فَيَنْزو الذَّكرُ على البقرةِ فتتولَّدُ منه الزّرافة ! .

والصَّحيحُ أَنَّها خِلْقَةٌ بذاتِها ذَكَرٌ وأُنثى كبقيَّةِ الحيوانات ، لأَنَّ الله تعالىٰ لم يخلق شيئاً إِلاّ بِحِكمةٍ .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٥٢٤) وعجائب المخلوقات (٢٧٦) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٥٣١) .

(٣) من أ .

(٤) حياة الحيوان (١/ ٥٣٤) وعجائب المخلوقات (٢٤٨) .

• **زُنْبُور**[1] : حيوانٌ فوقَ النَّحل ، له أَلوانٌ ؛ وقد أَودَعه الله حِكمةً في بُنيانه بيتَه ، وذلك أَنَّه يَبنيه مُرَبَّعاً ، له أَربعةُ أَبوابٍ ، كُلُّ بابٍ مُستقبلٌ جهَةً من الرِّياح الأَربع ؛ فإِذا جاءَ الشِّتاء دخلَ تحتَ الأَرض ، ويَبقى إِلى أَيّامِ الرَّبيعِ ، فينفخُ الله تعالى فيه الرُّوحَ ، فيخرجُ ويَطيرُ .

وفي طبعِه التَّهافتُ على الدَّم واللَّحم ؛ ومن خاصِّيَّته أَنَّه إِذا وُضعَ في الزَّيت مات ، وفي الخَلِّ عاشَ ؛ ولَسْعَتُهُ تُزالُ بِعُصارةِ المُلُوخِيَّة .

حرف السِّين المهملة

• **سِعْلاة**[2] : نوعٌ من المُتَشَيْطِنَة .

قال السُّهيليّ : هو حيوانٌ يَتراءى للنّاسِ بالنَّهار ، والغُول باللَّيل ؛ وأَكثرُ ما يوجدُ بالغِياض ، وإِذا انفردَت السِّعلاةُ بإِنسانٍ وأَمسكَتْهُ صارَت تُرقِصُهُ وَتلعبُ به كما يَلعبُ القِطُّ بالفأر .

قال : ورُبَّما صادَها الذِّئبُ وأَكلها ، وهي حِينئذٍ ترفعُ صَوتها وتقول : أَدركوني ، فقد أَخذَني الذِّئبُ ؛ ورُبمَّا قالت : مَن يُنقذُني منه ولهُ أَلفُ دينار ؛ وأَهلُ تلكَ النّاحية يَعرفون ذلك ، فلا يَلتفتونَ إِلى كلامِها .

• **سَمَنْدَل**[3] : حيوانٌ يُوجَدُ بأَرض الصِّين .

ومن عَجيب أَمره : أَنَّه يَبيضُ في النّار ، ويُفَرِّخُ فيها ، ويُؤخَذُ وَبَرُهُ ، فَيُنْسَجُ ويُجْعَلُ منه المناشِف ، وهذه المناشفُ إِذا اتَّسَخَت جُعِلت في النّار ، فتأكلُ النّارُ وَسَخَها ولا تَحرقُها .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٥٣٨) وعجائب المخلوقات (٢٩٦) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٥٥٥) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٥٧٣) وثمار القلوب (٢/ ٦٦٢) .

• **حُكي**[1] أَنَّ شَخْصاً بَلَّ واحِدةً من هذه المناشفِ بالزَّيتِ ، وجُعلت في النّار ، وأُوقدَت ساعةً ولم تَحترقْ .

• **سِنْجاب**[2] : حيوانٌ كهيئةِ الفأر ، يُوجد في بلاد التُّركِ على قدرِ اليَربوع ، إذا أَبصرَ الإنسان هربَ منه ؛ وشَعرُه كشَعر الفأر ، وهو ناعمٌ ، فيؤخَذُ ويُسلَخُ جِلدُه ويُجعل فَرْواً يُلْبَسُ .

وطبعُه موافقٌ لكلِّ طبعٍ ؛ وأَحسنُه الأَزرقُ .

• **سِنَّوْر**[2] : حيوانٌ مُتواضعٌ أَلُوفٌ ، خَلَقَهُ الله تعالى لِدَفْعِ الفأرِ والحشراتِ ؛ كُناه وأَسماؤهُ كثيرةٌ .

• **حُكي**[3] أَنَّ أَعرابياً صادَ سِنَّوراً ، فرآهُ شخصٌ ، فقال : ما تصنعُ بهذا القِطّ ؟ ولقيه آخرُ ، فقال : ما تصنعُ بهذا الخَيْدَع ؟ ولقيهُ آخرُ ، فقال : ما تصنعُ بهذا الخَيْطَل ؟ ولقيهُ آخرُ ، فقال : ما تصنعُ بهذا الهِرِّ ؟ قال : أَبيعه ؛ قال : بكم ؟ قال : بمئة درهم ؛ فقال : إِنَّه يُساوي نِصف درهمٍ ؛ قال : فَرمى به ، وقال : لَعَنَهُ الله ، ما أَكثرَ أَسماءَه ، وأَقَلَّ قيمَته .

وهذا[4] الحيوانُ يهيجُ في زمانِ الشّتاء في شَهرين منه ، وتراهنَّ يتردَّدن صارخاتٍ في طَلب السِّفاد ، فكم من حُرّةٍ خَجلت ، وذي غَيْرَة هاجَت حَميَّتُه ، وعَزَبٍ تحرَّكت شَهوتُه .

وطِيبُ[3] فَمِ السِّنَّور كَطيبِ فَمِ الكلبِ في النَّكهةِ .

وقيل : إِنَّ الهرَّة تحملُ خمسين يوماً .

---

(١) وفيات الأعيان (٧/ ٤٣) وحياة الحيوان (١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٥٧٥) وعجائب المخلوقات (٢٦٠) .

(٣) حياة الحيوان (١/ ٥٧٦) وعجائب المخلوقات (٢٦٠) .

(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٤٢٧) .

وهو[1] يجمعُ بين العَضِّ والنّاب والخَمْش بالمِخْلاب ، وليس كلُّ سَبُعٍ كذلك ، وهو يناسبُ الإنسان في بعض الأحوال ، فيعطسُ ويَتَمَطَّى ، ويغسلُ وَجهه بلُعابه ، ويلطخُ وَبرَ وَلده بلُعابه حتَّى يصيرَ كأنَّ الدُّهنَ يَسري في جِلده .

وقيل : إذا بالَ الهِرُّ شمَّ بولَه ودفَنه ؛ قيل : لأَجل الفأر ، فإذا شَمَّه علمَ أَنَّ هناك هِرّاً ، فلم يخرجْ .

وأَمّا **سِنَّور الزّباد** ، فهو بأرضِ الهند ، ويوجدُ الزّباد تحتَ إبطيه وفَخذيه .

• (قيل[2] : اختصمَ اثنان إلى القاضي شُريح في سِنَّورٍ ؛ فقال لأَحدهما : أَلكَ بَيِّنَةٌ ؟ قال : ما أَجدُ بَيِّنَةً في قِطٍّ وُلد في بَيتي ، وتربَّى بين أَولادي ؛ فقال شُريح : اذهبا به إلى أُمِّه ، فإن استقرَّت واستمرَّت ودرَّت فهو سِنَّورك ؛ وإن هي اقشعرَّت وهرَّت وازْبَأَرَّت فليس بِسِنَّورك .)[3]

• **سُوس**[4] : هو دودُ الحبوبِ والفاكهة .

ومن الفوائدِ الَّتي تُكتبُ في الحبوب فلا تُسَوِّسُ أَسماءُ الفُقهاء السَّبعة الَّذين كانوا بالمدينة ؛ وقد نَظَمها بعضُهم ، فقال[5] : [من الطويل]

أَلا كُلُّ مَن لا يَقْتَدي بِأَئِمَّةٍ ... فَقِسْمَتُهُ ضِيْزى عن الحَقِّ خارِجَهْ
فَخُذْهُم عُبيدُ الله عُرْوَةُ قاسِمٌ ... سَعيدٌ أَبو بَكْرٍ سُليمانُ خارِجَهْ

حرف الشِّين المعجمة

• **شاد هوار**[6] : حيوانٌ يوجدُ بأَرض التُّرك .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٢٧) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٥٧٧) .
(٣) من أ .
(٤) حياة الحيوان (١/ ٥٨٠) .
(٥) هما بلا نسبة في حياة الحيوان (١/ ٥٨١) .
(٦) حياة الحيوان (١/ ٥٨٣) وعجائب المخلوقات (٢٦١) .

يُقال : إنَّ له قَرْناً عليه اثنتان وسبعون شُعبةً مُجوَّفَةً ، فإذا هبَّتِ الرِّيحُ سُمِعَ لها تَصويتٌ عجيبٌ يكادُ يُدهش ؛ وربَّما قيل : إنَّ فيه شُعبةً يُورث سَماعُها البُكاء والحُزن ، وأُخرى تُورث الفرحَ والضَّحك ؛ وإنَّه أُهديَ إلى بعضِ الملوكِ شيءٌ من شُعَبِها ، فرأَى فيه ذلك .

ويُقال : إنَّ من الحيوان[1] شيئاً يُوجدُ بالغِياض ، في قَصبة أنَفه إثنا عشرَ ثُقْباً ، إذا تَنَفَّسَ يُسمعُ له صوتٌ كصوتِ المزمار ، فتأتيهِ الحيواناتُ لِتَسْمَعَهُ ، فتَدهشُ ، فيغفَلُ بعضُها من الطَّرب ، فَيَثِبُ عليه ، فيأخُذُهُ ويأكلُه ، وهي تعلمُ ذلك منه وتَحترزُ ، فإذا لم يمسكْ منها شيئاً ، ضاقَ خُلُقُهُ ، وصاح بها صيحةً ، فتهربُ وتتركُه .

● **شاهين**[2] : طيرٌ يكونُ كهيئةِ الصَّقر ، إلاّ أَنَّه عظيمُ الهامَة ، واسعُ العَينين ؛ ومِزاجُه أَيْبَسُ من مِزاجِ الصَّقر ، وحَركتُه من العُلُوِّ إلى أَسفَل أَقوى ، ولذلك يَنْقَضُّ على الطَّير بشِدَّةٍ ، فرُبَّما يُخطئُه فيضربُ نفسَه بالأَرض بشدَّةٍ ، فيموتُ .

وقيل : أَوَّلُ مَن صادَ بهِ قُسطنطين ، وذلك أَنَّه قد جعلَ له الحُكماء الشَّواهين تُظِلُّه من الشَّمسِ إذا سارَ ، فاتَّفق في بعضِ الأَيّام أَنَّه ركبَ ، فدارَت الشَّواهين عليه ، وسارَ . قال : فطارَ واحدٌ منها وانقضَّ على صَيْدٍ ، فأَخذَه ، فأَعجبَ الملكَ ذلك ، وصارَ يتصيَّدُ بهِ .

● **شُحرور**[3] : طيرٌ أَسودُ فوقَ العُصفورِ ، يُصَوِّتُ بأَصواتٍ مُطربةٍ .

حرف الصّاد المهملة

● **صُرَد**[4] : [طائرٌ فوقَ العصفور ، يصيدُ العصافيرَ] ؛ ويُقالُ له : الصَّوَّام ،

---

(١) اسمه عند الدميري (١/ ٥٨٣) : أبو سيراس . وعند القزويني (٢٦١) : سرباس .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٤)٥٩ وعجائب المخلوقات ٢٧٨ .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٥٩٧) .
(٤) حياة الحيوان (١/ ٦١٢) .

لأنَّه أَوَّلُ طيرٍ صامَ يوم عاشوراء[1] .

• [صَرْصَر[2] :] حيوانٌ يُسَمَّى الصِّرصار ، على قدرِ الخُنْفُساء ، [ليس] له جناحان ؛ [قفّاز ، يصيحُ صياحاً رقيقاً باللّيل ، ولذلك سُمِّي صرّار اللّيل] .

• صَعْوٌ[3] : طيرٌ من صِغار العصافير ، أَحمر الرّأس .

حرف الضّاد المعجمة

• ضَأْن[4] : نوعٌ من الحيوانات ذواتِ الأَربع ، وهو من الحيوانات المباركة ، تحملُ الأُنثى منه بواحدٍ واثنين ، وفيها البَرَكَةُ ، وغيرها تحملُ بالسَّبعة والتِّسعة ، وليس فيها بَركَةٌ ؛ وإِذا رَعَت زَرْعاً نَبَتَ عِوَضُه ، وذلك لِبَرَكَتها بخلافِ ذواتِ الشَّعر .

ومن عجيب أَمرها : أَنَّها إِذا رأَتِ الذِّئبَ تَخورُ وتخافُ منه ، ولا تخاف من سائرِ السِّباع .

قال بعضُ القُصّاص : مِمّا أَكرمَ الله تعالى به الكبشَ أَن خلقَه مَستورَ العَوْرَة من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ ؛ وممّا أَهانَ بهِ التَّيسَ أَن خَلَقَهُ مَهْتُوكَ السِّتْرِ ، مَكشوفَ العَورة من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ .

ويُقال : الضَّأْنُ من دوابِّ الجَنَّة ؛ وهي صَفْوَةُ الله من البَهائم .

ويقال في المدح : هو كَبْشٌ من الكِباش ؛ وفي الذَّمِّ : هو تَيْسٌ من التُّيوس .

---

(١) رواه الدَّميري مرفوعاً ، وزاد : وهو حديث باطل .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٦١٥) وعجائب المخلوقات (٢٩٧) .
(٣) حياة الحيوان (١/ ٦١٦) .
(٤) حياة الحيوان (١/ ٦٣٣) وعجائب المخلوقات (٢٤٨) .

• وأَهدى بعضُهم إِلى صديقهِ شاةً هزيلةً ، فقال[1] : [من الطويل]

يَقُولُ لِيَ الإِخْوانُ حِيْنَ طَبَخْتُها : أَتَطْبُخُ شِطْرَنْجاً عِظاماً بِلا لَحْمِ !

ومن العَجَبِ : أَنَّه يأتي غَنَمٌ من الهندِ ، للكبشِ منها أَلْيَةٌ في صَدره ، وأَلْيَتانِ في كَتِفَيه ، وأَليةٌ على ذَنَبِهِ ؛ ورُبَّما تكبُر أَليةُ الضَّأن حتَّى تمنعَهُ من المشيِ .

ومن عجيب أَمرها : أَنَّها إِذا تسافَدت وقتَ المطر لا تَحملُ ، وعندَ هُبوبِ الرِّيح إِن كانت شماليَّةً حملَت ذَكَراً ، وجَنوبيَّة حملت أُنثى ؛ والله أَعلم .

ومن خواصّها : أَنَّ لَحمها ينفعُ للسَّوداء ، ويزيدُ في المَنِيِّ والباهِ ؛ وإِذا تَحَمَّلَتِ المرأَةُ بِصُوفها قَطَعَ حَبَلَها ؛ وإِذا غُطِّي إِناءُ العسلِ بصُوفِ الضّأن الأَبيضِ منعَ وُصولَ النَّملِ إِليه ؛ وإِذا دفِنَ قَرْنُ كبشٍ تحتَ شجرةٍ كثرَ حَمْلُها على ما ذُكر ؛ والله أَعلم .

• ضَبٌّ[2] : حيوانٌ يَجعلُ جُحْرَهُ في الأَرضِ الصَّلدة ، وعنده بَلَمٌ ، فربَّما لا يَهتدي لِجُحره إِذا خرج منه ، فلذلك لا يَحفرُه إِلاّ بقُربِ كُدْيَةٍ أَو إِشارةٍ .

وهو من الحيوان الَّذي يُعَمَّر ، قيل : إِنَّه يعيشُ سبعمئة سنة .

ومن طَبعه أَنَّه يَصبرُ على الماء ؛ يُقال : إِنَّه لا يَشربُ ، فإِنَّه يَبولُ في كُلِّ أَربعين يوماً قطرةً .

والأُنثى تبيضُ سبعين بيضةً وأَكثر ، وتَجعلُها في الأَرض ، وتَتعاهدُها في كلِّ يومٍ إِلى أَربعين يوماً ، فيخرجُ ، وبَيَضُها قدرَ بيضِ الحَمام .

---

(١) من قطعة للحمدوني في شاةٍ هزيلة كان أهداها له سعيد بن أحمد ، رواها الثعالبي في ثمار القلوب (١/ ٥٦٣) . والبيت مفرداً في ربيع الأبرار (٥/ ٤١٠) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٦٣٦) وعجائب المخلوقات (٢٩٧) .

وهذا الحيوانُ شديدُ الخوفِ من الآدميِّ ، ولذلك يجعلُ العقاربَ في جُحره حتَّى يمتنعَ بها .

- ويخرجُ من جُحره كليلَ البَصر ، فيستقبلُ الشَّمسَ ، فيحصلُ له بذلك حِدَّةٌ في بَصره .
- وإذا عطشَ نَشَقَ النَّسيم فيَروى ؛ وبينَه وبين الأَفاعي مُناسبةٌ ، وذلك أَنَّه لا يخرجُ زمنَ الشِّتاء .

فائدة : قيل[1] : إنَّ أَعرابيّاً أَتى النَّبيَّ ﷺ وفي كُمِّهِ ضَبٌّ قد صادَه ، وقال : لولا أَن تُسَمِّيني العربُ عَجولاً لقتلتُك ، وسَررت النَّاسَ بقَتلك ؛ فقال عُمر : دَعني يا رسولَ الله أَقتلهُ ؛ فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « مهلاً يا عُمر ، أَما علمتَ أَنَّ الحليمَ كاد أَن يكون نبيّاً ؟ » .

قال : ثم أَقبل الأَعرابيُّ على النَّبيِّ ﷺ وقال : والله لا آمنتُ بكَ إلاّ أَن يؤمنَ بكَ هذا الضَّبُّ ؛ وأَخرجه من كُمِّه .

قال : فعند ذلك قالَ النَّبيُّ ﷺ : « يا ضَبُّ » فأَجابه بلسانٍ فَصيح : لبَّيك وسَعديك يا رسولَ ربِّ العالمين ؛ فقال : « مَن تَعبدُ ؟ » قال : الَّذي في السَّماء عَرْشُهُ ، وفي الأَرض سُلطانه ، وفي البَحرِ سَبيله ، وفي الجَنَّة رحمتُه ، وفي النّار عَذابه ؛ فقال : « مَن أَنا يا ضَبُّ ؟ » قال : رسولُ ربِّ العالمين ، قد أَفلحَ مَن صَدَّقَك ، وقد خابَ مَن كَذَّبَك .

قال : فقال الأَعرابيُّ عند ذلك : يا وَيلاهُ ، ضَبٌّ اصطدتُه بيدي من البَرِّيَّة يشهدُ لكَ بالرِّسالة ! أَنا أَولى منه بذلك ، هاتِ يَدك ، أَشهدُ أَن لا إِلَه إِلاّ الله ،

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٦٣٧) .

وأَنَّكَ رسولُ الله حقّاً ، ولقد أَتيتُك وما على وَجْهِ الأَرضِ أَحدٌ أَبغضَ إِليَّ منكَ ، ولقد صِرْتُ الآن وما على وجهِ الأَرض أَحَدٌ أَكثر مَحَبَّةً منِّي لك ، ولأَنتَ السَّاعةَ أَحَبُّ إِليَّ من أَهلي ووَلدي وما تَملكُ يدي ، فقد آمنَ بك شَعري وبَشَري وداخِلي وخارجي وسِرِّي وعَلانيتي ؛ فقال النَّبيُّ ﷺ : « الحمدُ للهِ الَّذي هداكَ لهذا الدِّين الَّذي يَعلو ولا يُعلى عليه ؛ ولكن لا يَقبلُه الله إلاّ بِصَلاةٍ ، ولا يَقبلُ الصَّلاة إلاّ بقراءةٍ » قال : فعلِّمني يا حَبيبي ؛ قال : فعلَّمه سورةَ الفاتحة ، وسورة الإِخلاص ، وقال : « مَن قرأَها ثلاثَ مرّاتٍ ، فكأَنَّما قرأَ القُرآن » .

قال : لهذا يقبلُ اليَسيرَ ويَعفو عن الكثير ؛ ثم سأَله : أَلكَ مالٌ ؟ فقال : يا حَبيبي ، ليس في بَني سُليم أَفقَرَ مِنِّي ؛ فقال لأَصحابه : « أَعطوه » فأَعطوه حتَّى أَثقلُوه .

فقال عبدُ الرَّحمن بن عَوف : يا رسولَ الله ، عندي ناقةٌ عُشاريَّة ، أُعطيها له ؛ فقال : « إِنَّ الله يُعطيكَ ناقةً في الجَنَّةِ من دُرَّةٍ ، قوائِمُها من الزَّبَرجَد الأَخضرِ ، وعَيناها من الياقوت الأَحمر ، وعليها هَودجٌ من السُّندس ، تَخطفُك من الصِّراط كالبرق » .

قال : فخرجَ الأَعرابيُّ من عنده ، فتلقّاه أَلفُ فارس من المُشركين ، كلُّهم يُريدون قَتْلَ النَّبيِّ ﷺ ، فأَخبرهم بقصَّته ، فأَسلموا عن آخِرهم ، وأَمَّر النَّبيُّ ﷺ خالدَ بن الوليد عليهم ؛ وهذه القِصَّة ذَكرها الدَّارقُطني بتَمامها ، والبيهقي والحاكم ، وابن عديّ .

الخواصّ : قلبُه يُذهب الحُزنَ والخَفقان ؛ وشَحمه يُطلى به الذَّكَر يزيدُ في الباهِ ، وكَعْبُهُ يُشَدُّ على وَجَعِ الضِّرس يَبرأُ ، وإِذا جُعل على وَجه فرسٍ

لا يَسبقه شيءٌ ، وبَعرُه يُذهبُ البَرَصَ والكَلف طلاءً ، ومَن أَكلَ لَحمه لا يعطشُ زماناً طويلاً .

- ضَبُع[1] : حيوانٌ مَعروفٌ ، ومن كُناه : أُمُّ عامِر .

ومن طَبعه حُبُّ لَحم الآدميِّ ؛ حتَّى قيل : إِنَّه ينبشُ القُبورَ ؛ وإِذا مَرَّ بإِنسانٍ نائمٍ حَفَرَ تحتَ رأسِه ، ووثَبَ عليه ، وبَقَرَ بطنَه وشَربَ دَمه .

الخواصّ : مَن شَرب دَمَهُ ذَهب وَسواسُه ، ومَن عَلَّق عليه عينَه [اليُمنى] أَحَبَّهُ النّاس ، وإِذا جعلَها في خَلٍّ سبعَة أَيّامٍ ثم جَعلها تحتَ فَصِّ خاتمٍ ، فكلُّ مَن كان بهِ سِحْرٌ إِذا جَعل الخاتمَ في قليلِ ماءٍ وشَربه زالَ سِحْرُهُ .

- ضِفْدَع[2] : حيوانٌ يتولَّد من المياهِ الضَّعيفةِ الجَرْيِ ، ومن العفُونات وعُقيب الأَمطار ؛ وأَوَّل ما يَظهرُ مثل الحبِّ الأَسودِ ، ثم يَنمو ، ثم تتشكَّلُ له الأَعضاءُ ؛ وإِذا نَقَّ جَعَلَ فَكَّهَ الأَسفلَ في الماء والأَعلى من خارجٍ ؛ وفي صَوته حِدَّةٌ .

قال سُفيان : ليسَ من الحيوانِ أَكثر ذِكْراً لله تعالى من الضِّفدع .

وفي الآثار أَنَّ داود عليه الصَّلاة والسَّلام قال : لأُسَبِّحَنَّ الله تعالى بتَسبيحٍ ما سَبَّحَهُ أَحدٌ قبلي ، فنادتهُ ضِفْدَعَةٌ : يا داود ، تَمُنُّ على الله تعالى بتَسبيحِك ، وأَنا لي تِسعون سنةً ما جَفَّ لِساني عن ذِكر الله تعالى ؟ قال : فما تقولين في تَسبيحكِ ؟ قالت : أَقولُ : سُبحان مَن هو مُسَبَّحٌ بكُلِّ لِسانٍ ، سُبحان مَن هو مَذكورٌ بكلِّ مَكان ؛ فقال داود : ما عَسى أَن أَقول [أَبلغَ من هذا] ؟

وقال بعضُهم : إِنَّها كانت تأخذُ الماءَ بِفيها ، وتَجعلُه على نارِ إِبراهيم الخليل ؛ والله سُبحانه وتعالى أَعلم .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٦٤٠) وعجائب المخلوقات (٢٦١) .
(٢) حياة الحيوان (١/ ٦٤٦) .

حرف الطّاء المهملة

● **طاووس**[1] : طيرٌ مليحٌ ذو أَلوانٍ عَجيبةٍ ، وعنده الزَّهْوُ في نَفسِه والعُجْبُ .

ومن طَبْعِه العِفَّة ، وهو من الطَّير كالفَرَسِ من الحيوان .

والأُنثى تَبيضُ حين يَمضي لها من العُمر ثلاث سِنين ، وفي ذلك الأَوان يكملُ ريشُ الذَّكرِ ويتمُّ لونُه ؛ وتَبيض الأُنثى مرَّةً واحدةً في كلِّ شهرٍ ؛ ففي السَّنة اثنتا عشرةَ بيضةً أَو أَقلَّ أَو أَكثر .

ويَسفدُ الذَّكرُ في أَيّام الرَّبيع ، ويَرمي ريشَهُ في أَيّام الخَريف كالشَّجر ، فإِذا بدأَ طُلوعُ الوَرَقِ طلعَ ريشُه ؛ ومدَّةُ حَضْنِهِ ثلاثونَ يوماً .

فائدة[2] : قيل : إِنَّ آدم لمّا غرسَ الكرمةَ جاء إِبليسُ لَعَنَهُ الله ، فذبحَ عليها طاووساً ، فشربَتْ دَمَه ؛ فلمّا طلَعَت أَوراقُها ذبحَ عليها قِرْداً ، فشربَتْ دَمَه ؛ فلمّا طلعَت ثمرتُها ذبحَ عليها أَسداً ، فشربَت دمه ؛ فلمّا انتهَت ثمرتُها ذبحَ عليها خِنْزيراً ، فشربَت دَمه ؛ فمِن أَجلِ ذلك تجدُ شاربَ الخمرِ أَوَّلَ ما يَشربُها وتَدِبُّ فيه يَزهو بنَفْسِهِ ويَميسُ عُجْباً كالطّاووس ؛ فإِذا جاء مَبادىءُ السُّكر لَعِبَ وصَفَّق بيديه كالقِرْد ، فإِذا قويَ سُكْرُهُ قام وعَرْبَدَ كهيئة الأَسد ، فإِذا انتهى سُكره انقبضَ كما ينقبضُ الخِنزير ، ثم يطلبُ النَّوم .

والنّاسُ تَتشاءَم بإِقامته بالدُّور ؛ قيل : لأَنَّه كان سَبَباً لِدُخولِ إِبليسَ الجَنَّة وخُروج آدم منها ؛ واللهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ .

حرف الظّاء المعجمة

● **ظَبْي**[3] : واحدُ الغِزلان ؛ وهو ثلاثةُ أَصناف ؛ الأَوَّل الآرام ، وهو ظباءُ

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٦٥٠) وعجائب المخلوقات (٢٧٩) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٦٥١) .

(٣) حياة الحيوان (٢/ ٣) وعجائب المخلوقات (٢٥٠) .

الرَّمل ، ولونُها رَماديٌّ ، وهي سَمينةُ العُنُق ؛ والثّاني العُفْرُ ، ولونُها أَحمر ، وهي قَصيرةُ العُنُق ؛ والثّالث الآدم ، وهي طويلةُ العُنق ، وتوصَفُ بِحِدَّةِ البَصَر .

وقيل : إنَّ الظَّبْيَ يَقْضمُ الحَنْظَلَ ويَمضَغُهُ مَضْغاً وماؤُه يَسيلُ من شِدْقَيْه ؛ ويَرِدُ الماءَ المِلْحَ ، فيشربُ الماءَ الأُجاجَ ، ويَغمسُ خُرطومه فيه ، كما تَغمسُ الشّاةُ لَحْيَيْها في العَذْبِ ! فأَيُّ شيءٍ أَعجبُ من حيوانٍ يَستعذبُ مُلوحةَ البحرِ ، ويَستحلي مَرارة الحَنْظَل .

الخواصّ : لِسانُه يُجَفَّفُ ويُطْعَمُ للمرأَةِ السَّليطة تَزولُ سَلاطَتُها ، وبَعْرُهُ وجِلْدُهُ يُحْرَقان ويُسْحَقان ويُجْعَلان في طَعام الصَّبيِّ يزيدُ ذَكاؤُه ويَصيرُ فَصيحاً ذَلِقاً حافِظاً .

● **ظَرِبان**[1] : دُوَيْبَّةٌ فوقَ جُرْوُ الكلب ، مُنْتِنَةُ الرِّيح .

تزعم العربُ أَنَّ مَن صادها وفَسَت في ثَوبه لا تَزول الرَّائحة منه حتَّى يَبلى الثَّوبُ .

ويُحكى من شُؤمها أَنَّها تأتي بيتَ الضَّبِّ ، فَتَفْسُو فيه ثلاثَ مرّات فتقتلُ ما فيه ، وتأكلُه بعد ذلك .

حرف العين المهملة

● **عِجْل**[2] : حَيوانٌ معروفٌ ، وهو ذَكَرُ البَقر ؛ وسُمِّي بذلك لاستعجالِ بني إِسرائيل بِعبادته .

والسَّببُ في ذلك : أَنَّ موسى عليه الصَّلاة والسَّلام وَقَّتَ الله له ثلاثين

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ١٠) وعجائب المخلوقات (٢٩٧) وثمار القلوب (١/ ٦١٧) .
(٢) حياة الحيوان (٢/ ١٦) .

ليلةً ، ثم أَتَمَّها بِعَشْرٍ ، وكان فيهم شَخْصٌ يُسَمَّى موسى بن ظفر السَّامريّ ، في قلبِهِ من حُبِّ عِبادة البَقَرِ شيءٌ ، فابتَلى اللهُ به بني إسرائيل ، فقال : ائتوني بِحُلِيٍّ ؛ قال : فأتوهُ بجميع حُلِيِّهم ، فصَنَع منه عِجْلاً جَسَداً ، وأَلقى عليه قبضةً من التُّراب ، أَخَذَه من أَثَرِ فَرَسِ جبريلَ عليه السَّلام ، فصارَ له خُوارٌ كما أَخبرَ الله تعالى ، فعكَفوا على عِبادته من دونِ الله تعالى ، وكانوا يأتونَ إليه ، ويَرقُصون حولَه ويَتواجَدون ، فيخرجُ منه تَصويتٌ كهيئةِ الكلام ، فيَتَعَجَّبُون من ذلك ويَظُنُّون أَنَّه يتكلَّمُ ، وإِنَّما فُعِلَ ذلك بإِغواءِ إبليس لَعَنَهُ الله حتَّى يُطغيَهُم .

فائدة : نقلَ القُرطبيُّ عن سيِّدي أَبي بكر الطُّرطوشيّ رَحمهما الله ، أَنَّه سُئِلَ عن قَومٍ يَجتمعونَ في مَكانٍ ، فيقرؤون من القُرآن ، ثُمَّ يُنْشِدُ لهم [مُنْشِدٌ شيئاً من] الشِّعر ، فيَرقُصُون ويَطربُون ، ثم يُضْرَبُ لهم بعدَ ذلك بالدُّفِّ والشَّبَّابَة ؛ هل الحُضورُ معهم حَلالٌ أَم حرامٌ ؟ فقال : مذهبُ الصُّوفيَّة : أَنَّ هذه بَطالةٌ وجَهالةٌ وضلالَةٌ[1] ، وما الإسلامُ إلاّ كتابُ الله وسُنَّةُ رسوله ﷺ ؛ وأَمّا الرَّقْصُ والتَّواجُدُ ، فأَوَّلُ مَن أَحدَثَهُ أَصحابُ السّامريِّ لمّا اتَّخذوا العِجْلَ ، فهذه الحالةُ هي حالةُ عُبّادِ العِجْلِ ؛ وإِنَّما كان النَّبيُّ ﷺ مع أَصحابه في جُلوسهم كأَنَّما على رُؤوسهم الطَّير ، مع الوَقارِ والسَّكينة ؛ فينبغي لِوُلاةِ الأَمْرِ وَفُقَهاء الإسلام أَن يَمْنَعُوهم من الحُضور في المساجِد وغيرِها ، ولا يَحِلُّ لأَحَدٍ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أَن يحضرَ معهم ولا يُعينَهم على باطِلِهم .

هذا مذهبُ الشّافعيِّ وأَبي حَنيفة ومالك وأَحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى .

---

(١) عقّب الدَّميري على هذا الكلام بقوله : قلت : وقد رأَيتُ أَنَّه أَجابَ بلفظٍ غير هذا ، وهو أَنّه قال : مذهبُ الصُّوفيَّة بطالة وجهالة وضلالة . إلى آخر كلامه .

• **عَقْرَبٌ**[1] : هو من الحشراتِ .

قال الجاحظ : إِنَّها تَلِدُ مِن فيها مرَّتين ، وتَحملُ أَولادها على ظَهْرها ، وهم كهيئةِ القَمْل ، كثير العَدَد .

وقال غيره : إِذا حَمَلَت تَسَلَّطَ عليها أَولادُها فأَكَلوا بَطْنَهَا ، وخَرجوا كهيئة الذَّرِّ ، ثم يَكثرون ويَطوفون بالأَرض ؛ ولها ثمانيةُ أَرجلٍ .

ومن عَجيب أَمرها أَنَّها لا تَضربُ النّائمَ إِلاّ إِذا تَحَرَّكَ شيءٌ منه .

والخنافسُ تأوي إِليها ، وربَّما لَسَعَت التِّنِّينَ العظيمَ فَقتلته .

غريبة[2] : قال ذو النُّون المِصري : بَينما أَنا في بعض سِياحتي ، إِذ مررتُ بشاطىءِ البحرِ ، فرأَيتُ عَقْرَباً أَسودَ قد أَقبلَ إِلى أَن جاءَ إِلى شاطىءِ البحرِ ، فظننتُ أَنَّه يشربُ ، فقُمت لأَنظرَ ، فإِذا بِضِفْدَعٍ قد خرجَ من الماءِ ، وأَتَاهُ فحملَه على ظَهره وذَهب به إِلى ذلك الجانبِ ؛ قال ذو النُّون : فاتَّزرتُ بِمِئْزَري ، وعُمْتُ خَلْفَهُ حتَّى إِذا صعدَ من ذلك الجانبِ صَعدتُ وسِرْتُ وراءَه ، فما زالَ حتَّى جاء إِلى شجرةٍ ، فوجدتُ تحتَها غُلاماً نائماً من شِدَّةِ السُّكر ، قد أَقبلَ عليه تِنِّينٌ عظيمٌ ؛ قال : فلَصَقَتِ العقربُ برأسِ التِّنِّينِ ولَسَعَتْهُ ، فقَتلته ، ثم رجعَت إِلى ظهرِ الضِّفدعِ ، فعبرَ بِها إِلى الماءِ ، وسار بها إِلى المكانِ الَّذي جاءَت منه .

قال ذو النُّون : فتعجَّبتُ من ذلك ، وأَنشدت : [من المنسرح]

يـا راقِـداً والجَليـلُ يَحْفَظُـهُ ... مِـن كُـلِّ سُـوءٍ يَكـونُ فـي الظُّلَـمِ
كيـفَ تنـامُ العُيـونُ عَـن مَلِـكٍ ... تـأتيـكَ مِنْـهُ فَـوائِـدُ النِّعَـمِ

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٤٩) وعجائب المخلوقات (٢٩٨) .
(٢) حياة الحيوان (٢/ ٥٣) .

ثم أَيقظتُ الغُلام ، وأَخبرتُه بذلك ؛ قال : فلمّا سَمعَ ذلك ، قال أُشْهِدُكَ على أَنِّي قد تُبْتُ عن هذه الخَصْلَةِ ؛ ثم جَرَّيْنا ذلك التِّنِّين ورَميناه في البَحرِ ، ولبسَ ذلك الغُلامُ مِسْحاً ، وساحَ إِلى أَن مات ، رحمة الله تعالى عليه .

● وما أَحسنَ ما قالَ بعضُهم[1] : [من الطويل]

إِذا لم يُسالِمْكَ الزَّمانُ فَحارِبِ ... وباعِدْ إِذا لم تَنْتَفِعْ بالأَقارِبِ
ولا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعيفِ فَرُبَّما ... تَموتُ الأَفاعي من سُمُوم العَقارِبِ
فَقَدْ هَدَّ قِدْماً عَرْشَ بَلْقيسَ هُدْهُدٌ ... وخَرَّبَ فَأْرٌ قَبْلَ ذا سَدَّ مَأْرِبِ
إِذا كانَ رَأْسَ المالِ عُمْرُكَ فاحْتَرِزْ ... عليهِ مِن التَّضْييعِ في غَيْرِ واجِبِ
فَبَيْنَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ والصُّبْحِ مَعْرَكٌ ... يَكُرُّ عَلَيْنا جَيْشُهُ بالعَجائِبِ

فائدة[2] : إِذا لُدِغَ أَحَدٌ فاقرأْ عليه هذه الكَلماتِ ، وهي : سَلامٌ على نُوحٍ في العالَمين ، وصَلَّى الله على سَيِّدنا محمَّدٍ في المُرسلين ؛ أُعِيذُكَ من حامِلاتِ السُّمِّ أَجمعين ، لا دابَّةَ بينَ السَّماءِ والأَرضِ إِلاّ رَبِّي آخِذٌ بِناصِيَتِها ، كذلكَ يَجزي عِبادَهُ المُحْسِنين ، إِنَّ رَبِّي على صِراطٍ مُستقيمٍ ؛ نُوحٌ قال لكم : مَن ذَكَرني لا تَلْدَغُوه ، إِنَّ رَبِّي بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ؛ وصَلَّى الله على سيِّدنا محمَّد الكريمِ .

وقال[2] بعضُ العُلماء : مَن قال : عَقَدْتُ زِبّانَ العَقْرَبِ ولِسانَ الحَيَّةِ ويَدَ السَّارق بقولِ : أَشهدُ أَن لا إِلَه إِلاّ الله وأَنَّ محمَّداً رسولُ الله ، أَمِنَ من العقربِ والحَيَّة والسَّارق .

● وفي « البُخاري »[3] أَنَّ رجلاً جاءَ إِلى النَّبيِّ ﷺ وقال : يا رسولَ الله ، ماذا

---

(١) الأبيات لعمارة اليمني في حياة الحيوان (٢/ ٥٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٣٤) .
(٢) حياة الحيوان (٢/ ٥٦ ـ ٥٧) .
(٣) كذا في الأصول ، وقال الدَّميري مصدر المؤلف (٢/ ٥٧) : وروى مالك والجماعة إلاّ =

لقيتُ من عَقربٍ لدَغَتني البارحةَ ؛ فقال له النَّبيُّ ﷺ : « أَما إِنَّك لو قُلْتَ إِذا أَمْسَيْتَ : أَعوذُ بِكَلماتِ الله التّامّاتِ من شَرِّ ما خلقَ لم تضرَّك » .

●وروى « التِّرمذيُّ » أَنَّ من قال حينَ يُمسي : أَعوذُ بكلمات الله التّامّات من شَرِّ ما خلقَ ؛ ثلاث مرّات ، ثم قال : سلامٌ على نُوحٍ في العالمين ؛ لم تَضُرَّهُ الحَيَّةُ والعَقرب .

والسِّرُّ في ذِكْرِ نوحٍ دونَ غيره : هو أَنَّه لمّا ركبَ في السَّفينة سأَلَتْهُ الحَيَّةُ والعقربُ أَن يحملَهما معه ، فَشَرَطَ عليهما أَنَّهما لا يَضُرَّان مَن ذُكِرَ اسمُه بعد ذلكَ ، فشَرطا له ذلك .

الخواصّ : مَن بَخَّرَ البيتَ بِزِرْنيخٍ أَحمرَ وشَحْم بَقَرٍ هَرَبَتْ منه العقاربُ ؛ ومَن شَرِبَ مِثقالين من حَبِّ الأُتْرُجِّ أَبْرَأَهُ مِن سُمِّها ؛ وَمن عُلِّقَ عليه شَيءٌ من وَرَقِ الزَّيتونِ بَرِىءَ أَيضاً لِوَقْتِهِ .

● **عَقْعَق**[1] : طيرٌ ذو لَونين ، طويلُ الذَّنَب ، قدر الحمامة ، على شكل الغُراب ، وجناحاهُ أَكبرُ من جَناحي الحَمامة ، وهو لا يأوي إِلاّ الأَماكنَ العالِية ، وإِذا باضَ جعلَ حولَ بَيْضِهِ وَرَقَ الدُّلْبِ خوفاً عليه من الخفّاش لا يُفْسِدُهُ .

الخواصّ : دَمُهُ إِذا جعِلَ على قُطْنٍ وأُلْصِقَ على مَوضِعِ النَّصْلِ والشَّوكة الغائبةِ في البَدَنِ أَخرَجَهُ .

● **عَلَق**[2] : دودٌ أَحمرُ وأَسودُ يكون بالماءِ ، يَعْلَقُ بالخَيْلِ والآدميِّ ؛ فإِذا

= البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه . . . (ثم أورد الحديث) . وانظره في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨١) رقم (٢٧٠٩) .

(١) حياة الحيوان (٢/ ٦٧) وعجائب المخلوقات (٢٨٠) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ٧٠) .

عَلِقَت بكَ فَرُشَّ عليها ماءً ومِلْحاً ؛ وإذا عَلِقَتْ بِفَرَسٍ فَبَخِّرْهُ بِوَبَرِ الثَّعلب ، فإِنَّها تَنفصلُ من رائحةِ دُخانه .

ومن خواصه : أَنَّ البيتَ إذا بُخِّرَ به هَرَبَ ما فيه من البَقِّ والبَعوض ؛ وإِذا جُفِّفَ وسُحِقَ وقُلِعَ الشَّعرُ وطُليَ به مَكانُهُ مَنَعَ نَباتَهُ .

● **عَنْقاء**[1] : اختُلف فيها ؛ فقالَ بعضُهم : هو طائرٌ عظيمُ الخِلْقَة ، له وَجْهُ إنسانٍ ، وفيه من كُلِّ حيوانٍ لونٌ .

وقال بعضُهم : هو طيرٌ غريبُ الشَّكلِ ، يبيضُ بَيْضاً كالجِبال ، ويُبعدُ في طَيرانِه .

وسُمِّيت بذلك لأَنَّه كان في عُنُقها طَوْقٌ أَبيض .

قال القَزويني : إِنَّها تَخطفُ الفِيَلَةَ لِعِظَمِها وكِبَرِ جُثَّتِها ، كما تخطفُ الحِدَأَةُ الفَأْرَ .

قال : وكانَت في قديم الزَّمان بينَ النّاس ، إِلى أَن خطفَت عَروساً بِحُلِّيها ، فذهبَ أَهلُها إِلى نَبِيِّ ذلك الزَّمان ، فَشكَوها إِليه ، فدَعا عليها ، فذهبَ بها إِلى بعضِ الجزائرِ الَّتي خلفَ خطِّ الاستواءِ ، وهي جَزيرةٌ لا يَصلُ إِليها أَحدٌ ، وجعلَ لها فيها ما تَقتاتُ بِهِ مِن السِّباعِ كالفيلِ والكَركندِ وغير ذلك .

وقال أَصحابُ التَّواريخ : إِنَّ هذا الطَّيْرَ يُعَمَّرُ ، حتَّى قيلَ : إِنَّه يعيشُ أَلفي سنةً ، ويتزوَّج إِذا مَضى عليه خَمسمئة .

● **وحَكى**[2] الزَّمخشري في « ربيع الأَبرار » أَنَّ الله تعالى خَلَقَ في زَمن موسى عليه الصَّلاة والسَّلام طيراً يُقال له : العَنقاء ، له وَجْهٌ كوجْهِ الإنسانِ ، وأَربعةُ

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٨٦) وعجائب المخلوقات (٢٨١) .

(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٤٥٧) وحياة الحيوان (٢/ ٨٩) .

أَجنحةٍ من كُلِّ جانبٍ ؛ وخَلَقَ له أُنثى مثلَه ، ثم أَوحى الله تعالى إِلى موسى : إِنِّي خَلَقْتُ خَلْقاً كهيئةِ الطَّيْرِ ، وجعلتُ رِزْقَهُ الوحُوشَ والطَّيْرَ الَّتي حولَ بيتِ المقدس .

قال : فتناسلا وكَثُرَ نَسْلُهُما ، فلمّا توفِّي موسى عليه الصَّلاة والسَّلام انتقلَت إِلى نَجْدٍ والعِراق ، فلم تزلْ تأكلُ الوحوشَ وتخطفُ الصِّبيانَ إِلى أَن تَنَبَّأَ خالد بن سِنان العَبْسيّ ، فشكَوها له ، فدعا عليها ، فانقطَعَت وانقطعَ نَسْلُها ، وانقَرضت .

● **عَنْكَبوت**[1] : دُوَيْبَّةٌ لها ثمانيةُ أَرجلٍ وسِتَّةُ عُيونٍ ، وهي من الحيوانِ الَّذي صَيْدُهُ الذُّبابُ ؛ ووَلده يخرجُ قويّاً على النَّسج من غير تَعليمٍ ولا تَلقينٍ ؛ ويَخرجُ أَولاده دوداً صِغاراً ، ثم تتغيَّرُ وتَصير عَنكبوتاً وتكملُ صُورتُه .

فائدة : قيل[2] : إِنَّ امرأَةً وَلَدَت جارِيةً ، ثم قالت لأَجيرٍ لها : إقتبس لنا ناراً ؛ فخرجَ ، فوجَد بالباب سائِلاً ، فقال له : ما وَلَدَت سَيِّدتُك ؟ فقال : بِنْتاً ؛ فقال : لا تَموتُ حتَّى تَبغي بمئةِ رجلٍ ويتزوَّجُها أَجيرُها ، ويكون موتُها بالعَنكبوت ؛ فقال الخادمُ : وأَنا أَصبرُ لهذه حتَّى يحصلَ منها ما يحصلُ ، فصبرَ حتَّى قامَت أُمُّها لتقضيَ بعضَ شُؤونها ، وعمدَ إِلى البنتِ فشقَّ بطنَها بِسِكّينٍ ، وهربَ .

قال : فجاءَت أُمُّها ، فوجَدَتها على تلكَ الحالة ، فدعَت بِمن يُعالجُها حتَّى شُفِيَت ، فلمّا كبرَت بَغَت .

قال : ثم إِنَّها سافَرت وأَتت مدينةً على ساحلٍ من سواحلِ البحر ، فأَقامت هناك تَبغي .

قال : وأَمّا الرَّجلُ فإِنَّه صار من التُّجّار ، وقَدِم لتلك المدينة ومعه مالٌ

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٩٠) وعجائب المخلوقات (٢٩٨) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ٩١) عن حلية الأولياء (٣/ ٢٨٩) .

كثيرٌ ، فقال لامرأةٍ عجوزٍ هناك : اخطبي لي امرأةً حَسَنَةً ، أَتزوَّجُ بها ؛ قال : فوصَفَتْها له ، وقالت : ليس هُنا أحسنَ منها ، ولكنَّها تَبغي ؛ فقال للعجوزِ : ائتني بها ؛ قال : فذهَبَت وأَخبرَتْها بالقِصَّة ، فقال لها : حُبّاً وكرامةً ، فإِنّي قد تُبْتُ عن البَغْيِ ؛ فتزوَّج الرَّجلُ بها ، وأَحَبَّها حُبّاً شديداً[1] ، وأَقام معها أَيّاماً ، وكان يودُّ أَن يراها مُتَجَرِّدَةً ، فلم يُمْكِنْهُ ذلك ، حتَّى إِذا كان في بعضِ الأَيّامِ خرجَ على عادته لقَضاء أَشغاله ، ودخَلَت هي الحمّام ، وعرضَت له حاجةٌ ، فرجعَ إِلى الدّار ، وصعدَ إِلى قَصرها ، فلم يرَها ، فسأَل عنها ، فقيل له : هي في الحمّام ؛ فدخلَ عليها ، فرآها مُتجرِّدةً ، ورأَى في بَطنها أَثراً كالخِياطة ، فقال : ما هذا ؟ قالت : لا أَعلمُ إِلاّ أَنَّ أُمِّي أَخبرَتْني أَنَّه كان لنا خادمٌ ، وأَنَّه يومَ وِلادتي غافَلَ أُمِّي وشقَّ بَطني بسِكِّينٍ وهرَب ، وأَنَّها حينَ رأَتني كذلك دَعَت بعضَ الأَطِبّاء ، فخاطَ بَطْني وعالجَني حتَّى اندَملَ جُرحي ، وشُفيت ، وبقيَ هذا الأَثَرُ ؛ فقال لها : أَنا ذلك الخادم ؛ وحكى لها السَّبب ، وأَنَّ ذلك السّائل أَخبرَه أَنَّها تموتُ بالعَنكبوت ؛ ثم إِنَّه اهتمَّ بأَمرها ، وجمعَ مُهندسي البلدة الَّتي هم فيها ، وسأَلهم أَن يَبنوا بناءً لا يَنسجُ عليه العنكبوت ، فقالوا : كُلُّ بناءٍ ينسجُ عليه إِلاّ أن يكون البلَّور ، لِنُعومته لا ينسجُ عليه ؛ فأَمرهم أَن يصنعوا لها قصراً من البِلَّور ، وبذَل لهم ما أَرادوا ، فعملوه وفَرَشَه ، وأَمرها أَن تقيمَ فيه لا تَخرج منه ، خوفاً عليها من العنكبوت[1] ، قال : فبينَما هو ذات يوم إِذ رأَى عنكبوتاً قد نَسج في ذلك القَصر ، فقام إِليه ، فَرماه وقال لها : هذا الَّذي يكونُ مَوْتُكِ

---

(١) ما بينهما صياغة قصصية من الأبشيهي في ط ، وأَمّا ما ورد في أ ، ب فهو كالتّالي : فبينما هو ذات ليلة أخذ كلٌّ منهما يسأل عن حال صاحبه . قال : فأخبرها هو أولاً عن حاله وحكى لها أنه كان أجيراً في أول الأمر وأنه حصل له كيت وكيت إلى أن تزوجها ؛ فقالت له : والله أنا تلك الجارية ؛ وكشفت له بطنها فوجده مشقوقاً . قال : فعند ذلك أعلمها أن ذلك الرجل قال : إن موتها بالعنكبوت ؛ فعمل لها صَرْحاً وشيّده ، وعمل لها فيه برجاً ليس فيه ثقب كالمرآة ؛ فبينما هما ذات يوم . . .

منه ؛ قال : فداسَتْهُ بإبهامها ، وقالت كالمُستهزئة : أهذا الَّذي يقتلُني ، فَشَدَخَتْهُ ، فتعلَّقَ بطَرَفِ إبهامِها من مائِهِ شيءٌ ، فعملَ بها حتَّى وَرِمَت ساقُها ، ثم وَصل الورَمُ إلى قلبها ، فقتَلَها ؛ فما أَفاده قَصْرُه ولا صَرْحُه شيئاً . قال الله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] الآية .

فائدة[١] : نَسَجَ العنكبوتُ على ثلاثةِ مَواضع : على غار النَّبيِّ ﷺ ، وعلى غارِ عبد الله بن أُنيس لمّا بَعَثه النَّبيُّ ﷺ لخالد [بن بُنَيْح] الهُذَليّ ، فقتَله ، وحملَ رأسه ، ودخل به في غارٍ خوفاً من أَهله ؛ وَنسجَ على عَورة زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنهم لمّا صُلِبَ عُرْياناً .

وقيل : إنَّها نَسَجَت مرَّتين : على داود حينَ كان جالوتُ يطلُبه ، [وعلى النَّبيِّ ﷺ في الغار] .

الخواصّ : نَسْجُها إن وُضع على الجِراح الطَّرِيَّة يقطعُ دَمَها ، ويجلو الفِضَّة إذا دُلِكَت بهِ ؛ والَّذي يُوجدُ من نَسْجِها في بيتِ الخلاء ينفعُ المَحموم إذا تبخَّر به .

• **ابنُ عِرْسٍ**[٢] : حيوانٌ معروفٌ ، وهو بأَرض مِصر كثيرٌ ، ويُسَمَّى العِرسة ، وهو عدوٌّ للفأر ، وعنده الحِيَل .

• قيل[٢] : إنَّه عدا خلفَ فأرٍ ، فصعدَ منه على شجرةٍ ، فصعَد خلفَه ، وأَمر أُنثاه أَن تقفَ تحتَ الشَّجرة ، ثم قطعَ الغُصنَ الَّذي كان عليه الفأر ، فسقطَ ، فأخذَته أُنثاه .

وممّا يُحكى عنه أَنَّه يحبُّ الذَّهب ، فَيسرقُه ويَلِدُ عليه .

عجيبة : قيل[٢] : إنَّ رجلاً صاد فَرْخاً من أَولاده وحَبَسه تحتَ طاسَةٍ ،

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٩٢) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ٩٨) وعجائب المخلوقات (٢٥٢) .

فجاء أَبوه ، فوجده ، فذهبَ وأَتى بدينار ، فوضَعه ، فلم يُفلته ، ثم ذهبَ وأَتى بآخر وما زال كذلك حتَّى أَتى بخمسة دنانير ، فلم يُفلته ، ثم أتى بِخِرْقَةٍ ، فلم يُفلته ، فأَراد ابنُ عِرسٍ أَن يأخذَ ما بَرْطَلَهُ به ، فلمّا علمَ الرَّجل ذلك فهمَ أَنَّه لم يبقَ عنده شيءٌ ، فأَفلتَه له .

حرف الغين المعجمة

• **غُراب**[1] : وكُنيته أبو حاتم ، وله كُنى غير ذلك .

وهو أَنواعٌ كثيرةٌ ، منها : الأَكْحَل ، وغُرابُ الزَّرْعِ ، والأَزرق ؛ وهذا النَّوعُ يَحكي جميعَ ما سَمعه .

والعربُ تَتفاءلُ بصياح الغُراب ، فتقولُ : إِذا صاحَ مرَّتين فشَرٌّ ، وإِذا صاح ثَلاثةً فخيرٌ .

وهو كالإِنسان عند الجِماع ؛ وفي طَبْعه الاستتارُ عن النّاس عند مُجامعتِه ؛ والأُنثى تبيضُ ثلاثاً أَو أَربعاً أَو خمساً ، وتحضُنُ ذلك ، والأَبُ يَسعى في طُعْمَتِها إِلى أَن تُفَرِّخَ ، فإِذا فَرَّخَت خَرَجَت أَفراخُها قَبيحةَ المنظرِ ، فَتَفْرَقُ منها وتتركُها وتَغيب ، فيرسلُ الله لها البعوضَ فتتغذّى به ، ثم لا تزالُ تَتعاهدُها حتَّى ينبتَ لها الرِّيشُ ، فتأتيها .

ومنه قولُ الحريري[2] : [من السريع]

يـــا رازِقَ النَّعّـــابِ فـــي عُشِّـــهِ   وجـابِـرَ العَظْـمِ الكَسيـرِ المَهيـضْ

ومن طَبعه أَنَّه لا يَتعاطى الصَّيْدَ ، بل إِن وَجَدَ رِمَّةً أَكلَ منها ، ويقُمُّ من الأَرض ما وجَد .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ١٠١) وعجائب المخلوقات (٢٨١) .

(٢) مقامات الحريري (٩٦) وحياة الحيوان (٢/ ٣٥٩) .

ويُسَمَّى بالفاسِق ، لأَنَّه لمّا أَرسلَه نوحُ عليه السَّلام ليكشفَ عن الماء ، فوجدَ في طريقه رمّةً فسقطَ عليها وتركَ ما أُرسل إليه .

ويُسَمَّى بالبَيْن ، لأَنَّه إِذا رحلَ العَرَبُ من مَكانٍ نزلَ فيه وزعقَ في أَثَرهم .

ومن الغرائب أَنَّ بين الغرابِ وبين الذِّئب أُلْفَةٌ ، وذلك أَنَّه إِذا رأَى الذِّئبَ بَقَرَ بطنَ شاةٍ سقطَ وأَكل منها ، ومعه الذِّئبُ لا يَضُرُّهُ .

الخواصّ : إِذا غُمس الغرابُ في الخَلِّ ، ثم جُفِّفَ وسُحق ريشُه ، وطُلي به الشَّعر سَوَّدَه .

وإِذا عُلِّقَ مِنقارُه على إِنسانٍ زالَت عنه العَيْن .

وزِبْلُ الغُراب الأَبقع ينفعُ من الخوانيق والخنازيرِ طلاءً ؛ وإِن صُرَّ في خِرْقَةٍ على مَن بِهِ السُّعالُ زال .

● **غرغر**[١] : دجاجُ بني إِسرائيل .

يُقال : إِنَّ فِرقَةً من بني إِسرائيل كانت بِتِهامة ، فطَغَت وبَغَت وتَجَبَّرَت وكَفرت ، فعاقَبهم الله تعالى بأَن جعلَ رِجالهم القِرَدَة ، وكلابهم الأُسودَ ، وعِنَبَهم الأَراك ، وجَوْزَهم المُقْل ، ودَجاجَهم الغَرْغَر ؛ وهو دَجاجُ الحَبَشة ، فلا ينفعُ لحمُه لرائحتِهِ الكريهةِ ؛ وهذا مُشاهَدٌ في زَمانِنا هذا الآن على ما نُقل . والله سُبحانه وتعالى أَعلم .

حرف الفاء

● **فاختة**[٢] : طيرٌ أَغْبَرُ ، من ذَوات الأَطواق ، بقَدر الحَمام ؛ لها حسْنُ الصَّوت ؛ يُحكى أَنَّ الحيّاتِ تَهرُبُ من صَوتها .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ١١٧) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ١٣٥) وعجائب المخلوقات (٢٨٣) .

وفي طَبْعِها الأُنسُ ، فمِن أَجل ذلك تَتَّخذُ بيتَها في البيوت .

وهي من الحيوان الَّذي يُعَمَّرُ ، وقد ظهرَ منها ما عاشَ خمساً وعشرين سنة .

الخواصّ : دَمُها ينفعُ من الآثارِ في العينِ من ضَرْبَةٍ أَو قرحَةٍ إِذا قُطِّرَ فيها .

● **فَأْرَة**[1] : وكُنيتها : أُمُّ خَراب ، وغير ذلك ؛ وتُسَمَّىٰ بالفُوَيْسَقَة ؛ وذلك أَنَّ النَّبيَّ ﷺ انتبهَ ليلةً ، فوجدَها قد جَذَبَت الفَتيلةَ ، وأَحرقَت طَرَفَ سَجّادَته ، فقَتَلها ، وأَمر بَقَتْلها .

وهي الَّتي قطَعت حَبْلَ سَفينةِ نوحٍ .

وأَذاها لا يَكادُ يَنحصرُ ؛ ومنه : أَنَّها تأتي إِلىٰ إِناءِ الزَّيتِ ، فتَشربُ منه ، فإِذا نقصَ صارت تَشربُ بذَنَبِها ، فإِذا لم تصلْ إِليه ذهبَت وأَتَتْ في فيها بماءٍ وأَفرغَتْهُ فيه حتَّىٰ يعلوَ لها الزَّيت ، فتَشربه ؛ ورُبَّما وضَعَت فيه حَجَراً ، فكَسرته .

ويُقال : إِنَّها من بقايا المَمْسوخين الَّذين كانوا يَهوداً ؛ ومَن أَرادَ أَن يعلمَ ذلك فلْيَضَع لها لبنَ ناقةٍ في إِناء ، فإِن لم تَشربْهُ فهي مِنهم .

الخواصّ : عَيْنُهُ تُشَدُّ علىٰ الماشي يَسْهُلُ تَعَبُهُ ؛ وإِذا بُخِّرَ البيتُ بِزِبْلِ الذِّئْبِ أَو الكلبِ ذهبَ منه الفَأْرُ .

● **فَرَسُ البَحر**[2] : حيوانٌ يوجد بالنِّيل ، أَفطسُ الوَجْهِ ، ناصِيَتُهُ كالفَرَس ، ورِجلاه كالبَقَر ، وذَنَبُه قَصيرٌ يُشبهُ ذَنَب الخِنْزير ، وجِلْدُهُ غليظٌ ، ووَجْهُهُ أَوسَعُ من وَجْهِ الفَرَسِ ، يَصعدُ البَرَّ ويَرعىٰ الزَّرعَ ، ورُبَّما قَتَلَ الإِنسان وغَيره .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ١٣٧) وعجائب المخلوقات (٢٩٩) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ١٦٩) .

• **فهد**[1] : حيوان شَرِسُ الأَخلاقِ .

قال أَرسطو : هو مُتَوَلِّدٌ من الأَسد والنَّمِر ، في طَبْعِهِ مُشابهةٌ بِطَبْعِ الكلب ، ونَوْمُهُ ثَقيلٌ ، وفي طَبْعة الحُنُوُّ علىٰ أُنْثاه .

وقيل : أَوَّلُ مَن صادَ به كُليبُ بن وائل ؛ وأَوَّلُ مَن حَمَله علىٰ الخيل يزيدُ بن مُعاوية ؛ وأَكثرُ مَن اشْتُهر باللَّعبِ بِهِ أَبو مُسلم الخُراساني .

• **فيل**[2] : حيوانٌ يوجدُ بِأَرض الهِند ؛ وكُنيته : أَبو الحجّاج ؛ والأُنثىٰ : أُمُّ شِبْل .

وهو يَنْزو علىٰ أُنثاه إِذا بلغَ من العُمر خَمس سنين ، وتَحمل أُنثاه سَنتين ، ثم تَضَعُ ولا يَقْرَبُها الذَّكر في مُدَّة حَمْلِها ، ولا بَعْدَهُ بثلاثِ سنين ؛ ولا يَلقحُ إِلاّ بِبِلاده ، وإِذا أَرادت الوَضْعَ دخلَت النَّهرَ ، لأَنَّ رِجليها لا يَنْثَنِيان ، فتخافُ عليه ؛ والذَّكَرُ يَحرسُها خوفاً علىٰ وَلده من الحيّاتِ ، فإِنَّها تأكُلُه ؛ وهو عند شِدَّةِ غِلْمَتِهِ كالجَمَلِ ، ويَهيج في زَمن الرَّبيع .

وزَعم أَهلُ الهِند أَنَّ لِسانَه مَقلوبٌ ، ولولا ذلك لكان يتكلَّمُ لِشِدَّةِ ذَكائه .

وقيل : إِنَّ ثَدييهِ في صَدره كالإِنسان .

وهو أَضخمُ الحيوان ، وأَعْظَمُهُ جِرْماً ؛ وما ظَنُّكَ بِخَلْقٍ ربَّما كان نابُهُ أَكثرُ من ثلاثمائة مَنٍّ ، وهو مع ذلك أَملحُ وأَظْرَفُ من كُلِّ نَحيفِ الجسمِ ، رشيقٍ ؛ وربَّما مَرَّ الفيلُ مع عِظَمِ بَدَنِهِ خَلْفَ القاعِدِ فلا يشعرُ بِرِجْلِهِ ولا يحسُّ بِمروره لِخِفَّةِ هِمَّتِهِ ، واحتمالِ بعضِ جَسده لبعض .

وأَهلُ الهِند يَزعمونَ أَنَّ أَنيابَ الفيلِ وقَرناه يَخرجان مُستبطِنَيْن حتَّىٰ يَخرقان

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ١٧٥) وعجائب المخلوقات (٢٦٣) .
(٢) حياة الحيوان (٢/ ١٧٨) وعجائب المخلوقات (٢٦٣) .

الحنكَ ، وخرطوم[1] الفيل أَنْفُهُ ويَدُهُ ، وبهِ يَتناولُ الطَّعامَ إلىٰ جوفه ، وبهِ يُقاتل ، ومنه يَصيحُ ، وصِياحُه ليسَ في مِقدار جِرْمِهِ .

وقيل[1] : إنَّ الفيلَ جَيِّدُ السِّباحة ، وإذا سَبَحَ رَفَعَ خُرطومَه كما يُغَيِّبُ الجاموسُ جميعَ بَدنه ، إلاّ مِنْخَرَيه .

ويقومُ خُرطومُه مَقامَ عُنقه ، والخَرْقُ الَّذي في خُرطومه لا يَنفذُ ، وإنَّما هو وِعاءٌ إذا ملأَهُ من طعامٍ أَو ماءٍ أَوْلَجَهُ في فيهِ ، لأَنَّه قصيرُ العُنُقِ لا يَنالُ ماءً ولا مرعىً .

وأَهلُ الهندِ تَجعلُه في القِتال ، وهو أيضاً يقاتلُ مع جَنسه ، فمَن غَلَبَ دَخلوا تحتَ أَمرِه .

وقيل[1] : جعلَ الله في طبعِ الفيل الهربَ من السِّنَّور .

• حُكي[2] عن هارون مَولىٰ الأَزْد ، أَنَّه خَبّأَ معه هِرّاً ومضىٰ بِسيفٍ إلىٰ الفيل ، فلمّا دنا منه رَمىٰ بالهِرِّ في وَجهه ، فأَدبرَ هارباً وكَبَّرَ المُسلمون ، وظنُّوا أَنَّه هربَ منه .

• قال أَبو الشَّمقمق[3] : [من البسيط]

يـا قَـوْمُ إنِّـي رَأَيْتُ الفِيْـلَ بَعْـدَكُـمُ ... تَبـارَكَ اللهُ لـي فـي رُؤْيَـةِ الفِيْـلِ
رَأَيْـتُ بَيْتـاً لَـهُ شَـيْءٌ يُحَـرِّكُـهُ ... فَكِـدْتُ أَفْعَـلُ شَيْئـاً فـي السَّـراويـلِ

• وقيل[4] : إذا اغْتَلَمَ الفيلُ لم يكن لِسُوّاسِه هَمٌّ إلاّ الهربَ بأَنفسهم ويَتركونَه .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٣١) .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٤٢٩) .
(٣) ديوانه (١٤٧) وربيع الأبرار (٥/ ٤٣١) .
(٤) ربيع الأبرار (٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) .

• ومن[(١)] عجيبِ أمره أَنَّ سَوطه الَّذي بهِ يُحَثُّ ويُضْرَبُ مِحْجَنُ حديدٍ ، أَحَدُ طَرَفَيْهِ في جَبهته والآخرُ في يَدِ راكِبه ؛ فإذا أَراد شيئاً غَمَزَهُ بهِ في لَحمه .

وأَوَّل[(١)] شيءٍ يُؤَدِّبون به الفيلَ يُعَلِّمونَه السُّجودَ للملِك .

قيل[(١)] : خرَج كِسرىٰ أَبرويز لبعضِ الأَعياد ، وقد صَفُّوا له أَلفَ فيلٍ ، وأَحدقَ به ثلاثون أَلف فارسٍ ، فلمّا رأَته الفِيَلَةُ سَجَدَت له ، فما رَفعت رُؤوسَها حتَّىٰ جُذِبَت بالمحاجِنِ وراطَنَها الفيّالون .

• وتزعم[(١)] أَهلُ الهِند أَنَّ جَبهةَ الفيلِ تَعْرَقُ كلَّ عامٍ عَرَقاً غليظاً سائِلاً أَطيبَ من رائحةِ المِسْكِ ، ولا يعرضُ ذلك العَرَقُ إلاّ في بِلادها خاصَّةً ؛ وأَنَّ عِظَام الفيلِ كلَّها عاجٌ ، إلاّ أَنَّ جوهرَ نابِهِ أَكرمُ وأَثمنُ ؛ ولولا شَرَفُ العاجِ وقَدْرُهُ لَما فَخَرَ الأَحنفُ بن قيسٍ علىٰ أَهل الكوفة في قوله : نحنُ أَكثرُ منكم عاجاً وساجاً ودِيباجاً وخَراجاً .

وقيل[(٢)] : إنَّ الفِيَلَةَ لا تَتسافَدُ في غير بِلادها .

فائدة[(٣)] : مَن قرأَ سُورَة « الفيل » أَلف مَرَّةٍ في كُلِّ يومٍ عشرةَ أَيّامٍ مُتواليةً ، ثم جلس علىٰ ماءٍ جارٍ ، وقال : اللَّهمَّ أَنت الحاضرُ المحيطُ بِمَكْنوناتِ الضَّمائر ، اللَّهمَّ عَزَّ الظَّالمُ وقَلَّ النّاصِرُ ، وأَنت المُطَّلعُ العالِمُ ؛ اللَّهمَّ إنَّ فُلاناً ظَلمني وأَساءني ، ولا يَشهدُ بذلك غيرُك ، أَنت مالِكه ، فأَهْلِكْهُ ؛ اللَّهمَّ سَرْبِلْهُ سِربالَ الهوانِ ، وقَمِّصْه قَميصَ الرَّدىٰ ، اللَّهمَّ اقْصِفْهُ ، سِتَّ مرّات ، اللَّهمَّ اخْفِضْهُ ، مرَّتين ، ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [غافر : ٤٠/ ٢١] فإنَّ الله يَستجيبُ له ما لم يَكنْ ظالِماً .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٣٢ _ ٤٣٣) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ٢٠٠) وعجائب المخلوقات (٢٦٤) .

(٣) حياة الحيوان (٢/ ١٨٧) .

الخواصّ : جِلده إذا بُخِّرَ به بيتٌ هربَ بَقُّهُ ، وإِذا سُقيَ إِنسانٌ مِن وَسَخِ أُذنه نامَ نومةً طويلةً ، وإِذا عُلِّق مِن نابهِ شيءٌ علىٰ شَجرة لم تُثمر ، وإِذا عُمِلَ من جِلده تُرْسٌ يكونُ أَصلبَ من كُلِّ تُرْسٍ .

حرف القاف :

● **قاقُم**[١] : دُوَيْبَّةٌ تُشبهُ السِّنجابَ ، إِلاّ أَنَّه أَبْرَدُ منهُ مِزاجاً ، وهو أَبيضُ يَقَقٌ ، وجِلْدُهُ أَعَزُّ قيمةً من السِّنجاب .

● **قاوند**[١] : طيرٌ يكونُ بساحلِ البحرِ ، يَبيضُ في الرَّملِ ، ويَحضنُ بَيْضَهُ سبعةَ أَيّام ، ثم تَخرجُ أَفراخُه بعد ذلك ، فَيَزُقُّها بعد سَبعة أَيّام .

ويُقال : ما يُمسكُ الله البَحْرَ في هَيَجانِهِ عن أَن يَفيضَ علىٰ السّاحلِ إِلاّ إِكراماً له ، لأَنَّه يُقال : إِنَّه يبَرُّ والِدَيه .

ومن خواصِّه : أَنَّ شَحْمَهُ يُقيمُ المُقْعَدَ ، ويُحَلِّلُ البَلاغِمَ المُزْمِنَةَ ، وينفعُ الأَمراضَ الباردةَ وأَوجاعَ الأَعصاب .

● **قِرْد**[٢] : حيوانٌ معروفٌ ، وكُنيته : أَبو خالد ؛ وغير ذلك .

وهو قَبيحُ المَنظر ، مَليحُ الذَّكاء ، سَريعُ الفَهم ، يتعلَّمُ الصَّنائع .

قيل : إِنَّه أُهديَ للمتوكِّل قِرْدٌ خيّاطٌ ، وآخرُ صائغٌ .

وأَهلُ اليَمن يُعَلِّمون القردَ البيعَ والجُلوسَ في الدَّكاكين ، حتَّىٰ قيل : إِنَّه يَخْرزُ النَّعلَ ويَصرُّ القِرطاس .

وهو ذو غَيْرَةٍ ، وعنده لِواطٌ ، حتَّىٰ قيل : إِنَّه يعدو خَلْفَ المليحِ من شِدَّةِ المَحَبَّةِ .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ١٩٥) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ٢٠٠) وعجائب المخلوقات (٢٦٤) .

• والتفت[1] ابنُ الرُّومي يوماً إِلىٰ أَبي الحسن الأَخفش وهو يُحاكي مِشْيَتَهُ ، فقال[2] : [من الوافر]

هَنيئـاً يـا أَبـا حَسَـنٍ هَنيئـاً بَلَغْـتَ مـن الفَضـائِـلِ كُـلَّ غـايـهْ[3]
شَـرَكْـتَ القِـرْدَ فـي قُبْـحٍ وَسُخْـفٍ وَمـا قَصَّـرْتَ عَنْـهُ فـي الحِكَـايـهْ

• قُنْفُذ[4] : بالذّال المُعجمة ، وكُنيته : أَبو سُفيان .

ومن عَجيب أَمره : أَنَّه يَصعد الكَرْمَ ، فَيرمي العُنقود ، ثم ينزلُ ، فيأكلُ منه ما أَطاق ، فإِن كان له أَفراخٌ تَمَرَّغَ في الباقي فيتعلَّقُ بشَوكِه ، فيذهبُ به إِلىٰ أَولاده .

وهو مُولَعٌ بِأَكْلِ الأَفاعي ، فإِذا لَدَغَتْهُ لم يتأَثَّر لذلك لِدَفْعِ ذلك بِشَوكه ، وإِذا تأَذّىٰ منها ذَهب فأَكل السَّعْتَرَ البَرِّيّ ، فيزولُ أَذاها .

وهو الحيوانُ الّذي يَسفدُ مُباطَنَةً كالرَّجل ، وله خَمسةُ أَرجلٍ .

حرف الكاف :

• كَرْكَنْد[5] : حيوانٌ يوجدُ ببلاد الهند والنُّوبة ، وهو دون الجاموس .

وله قَرْنٌ واحدٌ عظيمٌ ، لا يَستطيع رَفْعَ رأسِه منه لِثِقَلِه ، وهو مُصْمَتٌ قويٌّ يُقاتل به الفيلَ ، فيغلبُهُ ، ولا تَعمل ناباهُ شيئاً معه ، وعَرْضُ قِرْنِهِ شِبْران ، وليس بطويلٍ جدّاً ، وهو مُحَدَّدُ الرّأس ، شديدُ الملامسة ؛ وإِذا نُشِرَ قَرْنُهُ ظَهرت في مَعاطِفِه صُوَرٌ عجيبةٌ كالطَّواويس والغِزلان وأَنواع الطَّير والشَّجَر

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٢٥) وثمار القلوب (١/ ٦٠٣) .
(٢) ديوانه (٦/ ٢٦٣٢) وربيع الأبرار (٥/ ٤٢٥) .
(٣) روايته في ط : هنيئاً يا أبا الحسن المفدّىٰ × .
(٤) حياة الحيوان (٢/ ٢٣١) .
(٥) حياة الحيوان (٢/ ٢٤٢) وعجائب المخلوقات (٢٦٥) .

وبني آدم ، ولذلك يُتَّخَذُ منه صَفائحُ الأَسِرَّة والمناطِق للمُلوك ، ويَتَغالون في ثَمنها بحيثُ تبلغُ المنطقةُ أَربعة آلافٍ أَو أكثر .

والأُنثىٰ تحملُ ثلاثَ سِنين ، ويخرج ولدُها نابتَ الأَسنان والقُرون ، قويَّ الحافِر ؛ ويُقال : إِنَّها إِذا قَارَبَتِ الوَضْعَ أَخرجَ الولدُ رأسَه من بَطنها وصار يَرعىٰ أَطراف الشَّجر ، فإذا شبعَ أَدخل رأسه في بطنِ أُمِّه[1] .

ويزعمُ أَهلُ الهندِ أَنَّه إذا كان ببلادٍ لم يَدَعْ فيها من الحيوان شيئاً حتَّىٰ يكونَ بينها وبينه مئة فرسخٍ من جميع الجهات هيبةً له وهَرَباً منه .

ويُسَمَّىٰ الحمارَ الهِنديّ ، وهو شديدُ العداوة للإنسان ، يَتبعُه إذا سمعَ صوتَه ، فيقتُله ، ولا يأكلُ منه شيئاً .

● **كُرْكيّ**[2] : طيرٌ محبوبٌ للمُلوك ، وله مَشْتى ومَصيف ؛ فَمَشْتاهُ بأَرض مِصر ، ومَصيفُه بأَرض العراق .

وهو من الحيوان الذي له رئيس ؛ قيل : إذا نزلَ بمكانٍ اجتمعَ حَلقةً ونامَ ، وقام عليه واحدٌ يحرسُه ، وهو يُصَوِّتُ تَصويتاً لَطيفاً حتَّى يُفهمَ أَنَّه يقظان ، فإذا تَمَّت نَوْبَتُهُ أَيقظَ غيرَه لِنَوبته .

قال القزويني : وإذا مَشى وَطِىءَ الأَرضَ بإحدى رِجليه ، وبالأُخرى قليلاً ، خوفاً من أَن يُحَسَّ بهِ ، وإذا طار سار سَطْراً ، يَقْدُمُهُ واحدٌ كهيئةِ الدَّليل ، ثم تَتبعه البقيَّة .

● **كَرَوان**[3] : طيرٌ معروفٌ ، لا ينامُ غالبَ اللَّيلِ خُصوصاً في القَمر ، وعنده ذكاءٌ .

---

(١) أنكر الجاحظ ذلك ؛ وانظر الحيوان (٧/ ١٢٥) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ٢٤٤) وعجائب المخلوقات (٢٨٤) .

(٣) حياة الحيوان (٢/ ٢٤٨) وعجائب المخلوقات (٢٨٤) .

قيل : إِنَّه يتكلَّمُ بِجميعِ ما يُبصره ، ولا يحتملُ المعابَثَة .

● **كَلْب**[١] : معروفٌ ، وهو نَوعان : أَهْليٌّ وسَلُوقيّ ؛ وهذان النَّوعان سواءٌ إِلاّ أَنّ أُنثى السَّلوقيّ أَسرعُ في التَّعلُّم من ذَكره .

وهذا الحيوانُ حليمٌ ، وعنده رياضَةٌ ، وفي طَبْعِهِ إِكرامُ الأَجِلّاء من النّاس .

● **وحُكيَ**[٢] أَنَّ رجلاً عزمَ على جماعةٍ ، فتخلَّف شخصٌ منهم في مَنزله ، ودخلَ على زوجةِ صاحبِ المنزل ، فضَاجَعها ، فوثَب الكلبُ عليهما فقتلَهما ، فرجعَ صاحبُ المنزل ، فوجدَهما قتيلين ، فأَنشأَ يقول : [من الطويل]

ومَا زالَ يَرْعَى ذِمَّتي وَيَحُوطُني ... وَيَحفظُ عَهْدي والخَليلُ يَخُونُ
فَواعَجَباً لِلخِلِّ يَهْتِكُ حُرْمَتي ... وَواعَجَباً للكلبِ كيفَ يَصُونُ

● **وحَكى**[٣] أَبو عُبيدة ، قال : خرجَ رجلٌ إِلى الجَبّانَة ومعه أَخوه وجارُه لِيَنظروا إِلى النّاس ، فَتَبِعَهُ كلبٌ له ، فضَرَبه ورَماهُ بحجَرٍ ، فلم يَنْتَهِ ، ولم يرجعْ ، فلمّا قعدَ ربضَ الكلبُ بين يديه ، فجاءَ عدوٌّ له في طَلَبِهِ ، فلمّا رآهُ خافَ على نَفْسِهِ ، فإِذا بئرٌ هناك قريبةُ القَعْرِ ، فنزلَ فيها ، وأَمر أَخاه وجارَه أَن يُهيلا عليه التُّرابَ[٤] ، ثم ذَهب أَخوه وجارُه في سَبيلهما ، وصارَ الكلبُ يَنْبَحُ حولَه ؛ فلمّا انصرفَ العدوُّ أَتاه الكلبُ ، فما زالَ يبحثُ في التُّراب إِلى أَن كشفَ عن رأسِه ، فتنفَّسَ الرَّجل ، ومرَّ به أُناسٌ ، فتناولوهُ وردُّوه إِلى أَهله ،

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٢٥٠) وعجائب المخلوقات (٢٦٦) .

(٢) في تفضيل الكلاب لابن المرزبان (١٠٥) وحياة الحيوان (٢/ ٢٥٣) : كان للحارث بن صعصعة ندماء . . . فخرج في بعض متنزهاته فتخلّف منهم واحد . . .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٤٢١) وتفضيل الكلاب (٧٧ ـ ٧٨) .

(٤) تصرّفٌ غريب ؛ وفي مصادره : وجاء عدوّ له يطلب بطائلة ، فجرح جراحات ، وطُرح في بئر .

فلمّا مات ذلك الكلبُ عَمل له قبراً ودَفنه فيه ، وجعلَ عليه قُبَّةً ، وسَمَّى ذلك قَبْرَ الكَلب[1] ؛ وفي ذلك قيل : [من الطويل]

تَفَــرَّقَ عَنْــهُ جــارُهُ وشَقيقُــهُ ... وما حادَ عَنْهُ كَلْبُهُ وهو ضارِبُهْ

• ومن[2] ذلك ما حُكي أَنَّ رجلاً قُتل ودُفن ، وكان معه كلبٌ ، فصارَ يأتي كلَّ يوم إلى الموضع الّذي دُفن فيه ، ويَنْبَحُ وَينبشُ ، ويتعلَّقُ برجلٍ هناك ، فقال النَّاس : إِنَّ لهذا الكلبِ شأناً ؛ فكشَفوا عن ذلك ، وحَفروا ذلك الموضع ، فوجدوا قَتيلاً ، فقَبَضوا على ذلك الرَّجل الّذي يَنبحُ عليه الكلبُ ، وضَربوه ، فأَقَرَّ بقَتله ، فقُتل .

وهو من الحيوان الذي يعرفُ الحَسَنَة .

وقيل : إِنَّ الأُنثى تَحيضُ في كلِّ شهرٍ سبعةَ أَيّام ، وأَكثرُ ما تَضَعُ اثنا عشر جُرواً ، وذلك في النّادر ، والغالبُ خَمسةٌ أَو سِتّةٌ ، وربَّما وَلدت واحداً .

ويعيشُ الكلبُ في الغالب عشرَ سنين ، وربَّما بلغَ عِشرين سنة .

• وَوُصِفَ[3] للمتوكِّل كلبٌ بأَرمينيّة يفترسُ الأَسد ، فأَرسل مَن جاء به إِليه ، فجوَّعَ أَسداً وأَطلَقَهُ عليه ، فتهارشا وتَواثبا حتَّى وقعا مَيّتين .

وقيل[3] : كلبُ القَصّاب يشبَّهُ بهِ الفقيرُ المجاوِرُ للغنيِّ ، لأَنَّه يَرى من نِعمته وبُؤسِ نَفْسِهِ ما يُفَتِّتُ كَبِدَه .

وقيلَ لرجلٍ : ما بالُ الكلبِ يرفعُ رِجله إِذا بال ؟ قال : يخافُ أَن يُلَوِّثَ دُرّاعَتَهُ . قيل : أَوَ للكلبِ دُرّاعةٌ ؟ قال : هو يَتَوَهَّمُ ذلك ! .

---

(١) وهذا تصرّف غريب آخر ، إذ ليس في المصادر موت الكلب ولا دفنه ؛ وفيهما : وسمّي الموضع ببئر الكلب .

(٢) عجائب المخلوقات (٢٦٧) ومطوّلاً في حياة الحيوان (٢٥٣ ـ ٢٥٤) .

(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٤٢٣) .

فائدة : حُكي[1] أَنَّ الإِمام أَحمد بن حَنبل رضي الله عنه سمعَ شَخْصاً من وراء النَّهر يَروي أَحاديث مُثَلَّثَةً ، فسارَ إِليه ، ودخلَ عليه فوجدَه يُطعمُ كلباً ، وهو مشتغلٌ به ؛ قال الإِمام أَحمد : فأَخذتُ في نَفْسي ، وأَضمرتُ أَن أَرجعَ إِذ لم يلتفتْ الرَّجلُ إِليَّ ؛ ثم قال : حدَّثني أَبو الزِّناد ، عن الأَعرج ، عن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَن قَطَعَ رَجاءَ مَن ارتَجاهُ قَطَعَ اللهُ رَجاءَه يوم القِيامة ، فلمْ يَلِج الجَنَّة » وإِنَّ أَرضَنا هذه ليسَت بأَرض كِلابٍ ، وقد قَصَدني هذا الكلبُ ، فخَشيتُ أَن أَقطع رجاءَه .

قال : فقال الإِمام أَحمد رحمه الله : هذا الحديثُ يَكفيني ؛ ثم رجع قافلاً إِلى أَهله .

فائدة أُخرى : قال التِّرمذيُّ : لمّا أَهبطَ الله تعالى آدمَ إِلى الأَرض ، سَلَّطَ عليه إِبليسُ السِّباعَ ، وكان أَشَدَّها الكلبُ ؛ قال : فنزلَ عليه جبريلُ عليه السَّلام ، وأَمره أَن يضعَ يَدَهُ عليه ، ففَعل ، واطمأَنَّ إِليه ، وأَلِفَهُ وصارَ يحرُسُه ، وبقيَت الأُلفةُ فيه لأَولاده إِلى يوم القيامة .

وقيل : إِنَّ أَوَّلَ مَن اتَّخذَ الكلبَ بعدَ آدم نوحٌ عليهما الصَّلاة والسَّلام ، وذلك لأَنَّ قَومه كانوا يَعمدون باللَّيل ، فيفْسدون ما صَنعه في السَّفينة بالنَّهار ، فأَمره الله أَن يتَّخذَ كلباً حارِساً ، ففَعل ، قال : فكان الكلبُ إِذا أَتاه مُفْسِدٌ قام عليه ، فيتيقَّظ نوحٌ عليه الصَّلاة والسَّلام فيدفَعه .

فائدة أُخرى : قيل : كان كلبُ أَهل الكهف أَسمر ، واسمهُ قِطْمير ، وقيل : أَصفر ، وقيل : خَلَنْجيّ اللَّون ؛ وليسَ في الحيوان ما يَدخلُ الجَنَّة ، إِلاّ هو وكبشُ إِسماعيل وناقةُ صالحٍ وحِمار العزيز وبُراق النَّبيِّ ﷺ .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٢٥٧) .

فائدة أُخرى : إذا نبحَ عليك كلبٌ ، وخِفْتَ منه فاقرأْ ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن : ٣٣] . وقُل بعدَ ذلك : لا إِلَه إِلاّ الله ؛ فإِنَّك تُكْفاهُ .

حرف اللاّم

• **لَغْلَغ**[(١)] : طيرٌ معروفٌ .

قيل : إِنَّه من طيور الواجب ، ويأتي إِلى أَرض مِصر في أَيام الشِّتاء ، فيأكُلُ ما قَسَم الله له من الرِّزق ، ويأكلُ منه مَن له فيه رِزْقٌ ، ثم يرحلُ إِلى بلاده .

حرف الميم

• **مالِكٌ الحَزينُ**[(٢)] : طيرٌ يوجَدُ بالضَّحضاح ، غذاؤه السَّمكُ .

وسُمِّي بذلك لأَنَّه قيل : إِنَّه لا يَشربُ حتَّى يَذْوي خوفاً من أَن ينقصَ الماءُ ، وإِذا نَشَفَ الضَّحضاح حزنَ ، لأَنَّه لا يَستطيع العَوْمَ .

ونَظيرُه دُوَيْبَّةٌ بأَرض فارسَ مَعروفةً عندَهم يُقال : إِنَّ غذاءَها التُّراب ، فإِذا أَكلت لا تَشبعُ خوفاً من أَن يَفرغ .

حرف النون

• **نَمْل**[(٣)] : قال عليه الصَّلاة والسَّلام : « أَلا تَنظرونَ إِلى صغيرٍ من خَلْقِ الله كيفَ أَحكم خَلْقَهُ وأَتْقنَ تَركيبَه ، وفَلَقَ له السَّمْعَ والبَصَر ، وسَوَّى له العَظْمَ والبشرَ ؛ انظُروا إِلى النَّملةِ في صِغَرِ جُثَّتِها ولَطافَةِ هَيْئَتِها ، لا تكادُ تُنالُ بِلحظِ

---

(١) هو اللقلق . حياة الحيوان (٢/ ٣٠٨) وعجائب المخلوقات (٢٨٤) .
(٢) حياة الحيوان (٢/ ٣١٣) وعجائب المخلوقات (٢٨٥) .
(٣) حياة الحيوان (٢/ ٣٧٤) وعجائب المخلوقات (٣٠٥) .

البَصَر ، ولا بِمُستدرك الفِكَر ، كيفَ دَبَّت على الأَرض ، وسَعَت في مَناكِبها ، وطَلبت رِزْقَها ؛ تَنقلُ الحَبَّةَ إلى جُحرها ، تَجمعُ في حَرِّها لِبَرْدها ، وفي وِرْدِها لصَدَرِها ؛ لا يغفلُ عنها المَنّان ، ولا يَحرمُها الدَّيّان ، ولو فكَّرتَ في مَجاري أَكلها ، في عُلُوِّها وسفلها ، وما في الجوفِ من شَراسيف بَطنها ، وما في الرّأس من عَيْنها وأُذنها ، لَقَضيتَ من خَلْقها عَجَباً ، ولَلَقيتَ من وَصْفِها تَعباً ، فَتَعالى الَّذي أَقامها على قَوائِمها ، وَبناها على دَعائِمها ، لم يَشركْه في فِطْرَتها فاطِرٌ ، ولم يُعِنْهُ على خَلْقِها قادرٌ ، لا إِلَه إلاّ هو ، ولا معبودَ سِواه » .

وقيل : إذا خافت على حَبِّها أَن يُعَفِّن أَخرجَتْهُ إلى ظهرِ الأَرض لِيَجِفَّ .

وقيل : إِنَّها تفلقُ الحبَّةَ نِصفين ، خوفاً من أَن تنبتَ ، فتفسدَ إلاّ الكُزبرة ، فإِنَّها تفلُقها أَربعاً ، لأَنَّها من دون الحَبِّ ينبتُ نِصفُها ؛ وليس كلُّ أَرباب الفِلاحة يعرفُ هذا ؛ فَسُبحانَ من أَلهمَها ذلك .

وقيل : إِنَّها تشمُّ رائحَة الشَّيءِ من بعيدٍ ، ولو وَضَعْتَهُ على أَنْفِكَ لم تجدْ له رائحةً .

وإِذا عجزَت عن حَمْلِ شيءٍ استعانَت بِرُفْقَتِها ، فيَحملونَه جميعاً إلى باب جُحْرِها .

وقيل : إذا انفتحَ بابُ قريةِ النَّمل ، فَجَعَلْتَ فيه زِرْنيخاً أَو كبريتاً هَجَرَتْها ، والله أَعلم .

• **نَحل**[١] : حيوانٌ ليسَ له نَظَرٌ في العواقبِ ، وله مَعرفةٌ بفُصول السَّنة . وأَوقاتها ، وأَوقات المطر ؛ وفي طبعهِ الطّاعة لأَميره والانقيادُ له .

ومن شأنهِ في تَدبير مَعاشه أَنَّه يَبني له بيتاً من الشَّمع شَكلاً مُسَدَّساً ، لا يوجدُ فيه اختلافٌ كالقِطعة الواحدةِ .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٣٣٩) وعجائب المخلوقات (٣٠٣) .

إذا طار ارتفعَ في الهواء وحطَّ على الأَماكن النَّظيفة ، وأَكل نُوّار الزَّهر ، والأَشياء الحُلوة ؛ وشربَ من الماء الصّافي ، وأَتى فأَخرج ذلك ؛ فأَوَّلُ ما يَخرج الشَّمع ليكونَ كالوعاء ، ثم العَسلِ .

وقيل : إِنَّه يقسمُ الأَعمال ، فبعضُه يعملُ البيوتَ ، وبعضُه يعملُ الشَّمع ، وبعضُه يعملُ العَسَل .

وفي طبعهِ النَّظافة ، فيجعلُ رَجيعه خارج الخَلِيَّة ، وما ماتَ منه أَخرجَه ورَماه .

وعندهُ الطَّربُ ، فيحبُّ الأَصوات اللَّذيذة .

وله آفاتٌ تَقطعُه كالظُّلمة والغَيم والرِّيح والمَطر والدُّخان والنّار ؛ وكذلك المؤمن له آفاتٌ تقطعُه ، منها ظُلمة الغَفْلة ، وغيمُ الشَّكِّ ، وريحُ الفِتنة ، ودُخان الحرام ، ونارُ الهوى .

فائدة : قيل : مرضَ شخصٌ[1] ، فقال : ائتوني بماءٍ وعَسَل ؛ فأَتَوهُ بذلك ، فخلط الجميعَ وشَربه فشُفي .

ورُوي[2] أَنَّ شخصاً شكا إِلى النَّبي ﷺ بطنَ أَخيه ، فأَمره بشُرب العسل ، فشَربه ، ثم جاء ثانياً ، فأَمره بشُربه ، ثم جاء في الثّالثة ، فقال : يا رسول الله : إِنَّ بطنَه لم يزلْ ؛ فقال رسول الله ﷺ : « صَدَقَ اللهُ وكَذَبَ بَطْنُ أَخيك ؛ اسْقِهِ عَسلاً » فسَقاه الثّالثة فشُفي .

نادرة : قيل : إِنَّ بعضَهم حضرَ مجلسَ المنصور ، فقال بعضُ الحاضرين : المرادُ من قوله تعالى : ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ ﴾ [النحل : ٦٩] : أَهْلَ البيتِ ؛ فإِنَّهم النَّحلُ ، والشَّرابُ القُرآنُ ؛ فقال له بعضُ مَن

---

(١) هو عوف بن مالك رضي الله عنه . حياة الحيوان (٢/ ٣٤٥) .

(٢) حياة الحيوان (٢/ ٣٤٥) .

حضَره من اللُّطفاء : جعلَ الله طعامَك وشَرابك ما يَخرجُ من بُطون بني هاشِم ؛ فضَحك الحاضرون عليه ، وأَبْهَتَهُ .

الخواصّ : إِذا خُلط العسلُ الخالصُ بمِسْكٍ خالصٍ ، واكتُحلَ به نفعَ من نُزول الماءِ في العينِ ، والتَّلطُّخ به يقتلُ القَمل ، ولَعْقُهُ علاجُ لِعَضَّةِ الكَلْبِ ، والمطبوخُ منه نافعٌ للمَسموم .

- **نَسْر**[1] : هو سَيِّدُ الطُّيور ، ويُعَمَّرُ طويلاً . قيل : إِنَّه يعيشُ أَلف سنة .

وله قُوَّةٌ على الطَّيران ، حتَّى قيل : إِنَّه يقطعُ من المشرقِ إِلى المغربِ في يومٍ .

وجثّتُهُ عظيمةٌ حتّى قيل : إِنَّه يحملُ أَولاد الفِيَلَة .

وله قوة حاسة الشَّمِّ ، حتّى قيل : إِنَّه يشمُّ رائحَة الجِيفة من مسيرة أَربعمئة فرسخٍ ؛ وإِذا سقطَ على جيفةٍ تباعَدت عنها الطُّيور هيبةً له حتَّى يفرغَ من الأَكل .

وعنده شَرَهٌ ، قيل : إِنَّه يأكلُ حتَّى يضعفَ عن الحركَة ، بحيثُ أَنَّ أَضعفَ النّاس لو أَراد إِمساكه في تلك الحالة أَمسكه .

وإِذا باضَ ذهبَ وأَتى بورق الدُّلْبِ ، فجعلَه في عُشّه خوفاً من الخفّاش أَن يُفسدَ بَيْضَه .

وهو لا يحضنُ البيضَ ، وإِنَّما يبيضُ في الأَماكن العالية ويُبقيه في الشَّمس ، فتكونُ حرارتُها بمنزلةِ الحَضْن .

وفي طَبعه أَنَّه لو شَمَّ الطِّيبَ ماتَ .

وعنده الحُزْنُ على فِراق إِلفه ، حتَّى قيل : إِنَّه ليموتُ كَمَداً .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٣٥٠) وعجائب المخلوقات (٢٨٥) .

ويُقال للأُنثى منه : أُمّ قَشْعَم .

وفي الحديث : « أَتاني جبريل عليه السَّلام فقال : يا محمَّد ، لكلِّ شيءٍ سَيِّدٌ ، فَسَيِّدُ البَشَرِ آدم ، وسَيِّدُ ولدِ آدم أَنت ، وسيِّدُ الرُّوم صُهيب ، وسيِّد فارس سَلمان ، وسيِّدُ الحَبَشِ بلال ، وسيِّدُ الطُّيور النَّسر ، وسيِّد الشُّهور رمضان ، وسيِّد الأَيّام الجمعة ، وسيِّدُ الكلام العربيُّ ، وسيِّد العربيِّ القُرآن ، وسيِّد القُرآن سورةُ البقرة .

الخواصّ : إذا أُخِذَ قلبُ النَّسر وجُعل في جِلد الذِّئب وعُلِّق على شخصٍ كان مُهاباً عند النّاس مَقْضِيَّ الحاجة ؛ وإِذا عسرَ على المرأةِ الوَضْعُ جُعل تَحتها من رِيشه يسهلُ وَضْعها .

● **نعام**[1] : يُذَكَّر ويُؤَنَّث ، وتُسَمَّى الأُنثى بأُمِّ البَيْض ، والذَّكر بالظَّليم .

ومن عجيب أَمْرِها أَنَّها تبيضُ بَيْضاً طُوالاً مُتساوية القَدْرِ ، وتَجعلُها أَثلاثاً ؛ ثلثاً للحَضْن ، وثُلثاً تأكلُه في حَضْنها ، وثُلثاً تكسِرُه وتَفتحه فيتعفَّن ويُدَوِّدُ فيكونُ منه غِذاءُ أَولادها .

وعندها الحُمقُ ، فيُقال : إنَّها تخرجُ من حَضنها فتجدُ بيضَ غيرها ، فتحضُنه وتتركُ بيضَ نَفْسِها .

فائدة : روى كعبُ الأَحبار رضي الله تعالى عنه ، أَنَّ الله تعالى لمّا خلقَ القَمح وأَنزله على آدم ، كان على قدر بيضِ النّعام ، وقال له : هذا رِزْقُكَ ورزقُ أَولادك ، قُمْ فاحْرُثْ وازْرع ؛ قال : ولم يزل الحَبُّ على ذلك مُدَّةً ، ثم نزلَ إلى بيضِ الدَّجاجة ، ثم إلى بيضة الحمامة ، ثم إلى البندقة ؛ وكان في زَمن العزيز على قدر الحِمَّصِ .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٣٦٠) وعجائب المخلوقات (٢٨٦) .

وقيل : كلُّ حيوانٍ إِذا كُسرت رِجله مَشى بالأُخرى إِلا النَّعام ، فإِنَّه يبركُ إِلى أَن يموتَ .

وخلقَ الله تعالى له قُوَّة الشَّمِّ البليغ ، حتَّى قيل : إِنَّه يشمُّ رائحة القَنّاص من مَسيرة نصفِ ميلٍ ؛ وهي لا تَشربُ الماء كالضَّبِّ .

ويُقال : إِنَّ القَنّاص إِذا أَدركها أَدخلت رأسَها في كثيبِ رَملٍ[1] ، تظنُّ أَنَّها قد استَترت منه .

ولها مَعِدَةٌ قويَّةٌ تقطعُ الحديدَ والصّوّان والجَمْر .

وفي طَبْعها الأَذى ؛ يُقال : إِنَّها تخطَفُ الحَلَقَ من أُذن الصَّغير .

وقيل : إِنَّ الذِّئبَ لا يتعرَّضُ لبيضِ النَّعام وأَفراخه ما دام الأَبوان حاضرَيْن ، لأَنَّهما إِذا رأَياه رَكَضَهُ الذَّكَرُ إِلى أَن يسلمَه إِلى الأُنثى ، فتركضُه إِلى أَن تسلّمه إِلى الذَّكر ، ولا يزالان به حتَّى يقتلاه أَو يُعجزهما هَرَباً .

وقيل : أَشَد ما يكونُ عَدْوُها إِذا استقبَلَت الرِّيحَ .

وتَقولُ العربُ : صِنفان من الحيوانِ أَصَمّان لا يَسمعان : النَّعام والأَفاعي .

وسأَل أَبو عمرو الشَّيباني بعضَ العربِ عن الظَّليم هل يَسمع ؟ فقال : يَعرفُ بِعَينيه وأَنفه ، ولا يحتاجُ معهما إِلى سَمْعٍ .

● **نَمِر**[2] : حيوانٌ أَغبرُ ، وكُنيته : أَبو الصَّعب ؛ وهو صِنفان : صِنْفٌ عظيمُ الجُثَّة ، صغيرُ الذَّنَب ؛ والآخر بالعكس .

قال الجاحظُ : وهو يُحبُّ الشَّرابَ ، وعنده شَراسَةٌ في خُلُقِهِ .

---

(١) في الأصول : في شيء له شعب أو حجر !.

(٢) حياة الحيوان (٢/ ٣٧١) وعجائب المخلوقات (٢٦٧) .

ويُقال : إنَّ أُنثاهُ لا تَدَعُ وَلَدَها إلاَّ مُطَوَّقاً بحَيَّةٍ ، ولا يَضُرُّها نَهْشُها ؛ وذلك لأَجل الصَّيّاد ، حتى لا يظفرَ به ؛ وإذا مرضَ أَكل الفأرَ فيبرأُ ؛ وفي طبعهِ عَداوةُ الأَسد .

وعنده شَرَفٌ في نَفسه ؛ يُقال : إنَّه لا يأكلُ جِيْفَةً ، ولا يأكلُ مِن صَيْدِ غَيره ، ولا يملكُ نفسَه عندَ الغَضب ؛ وأدنى وَثْبَتِهِ عشرون ذِراعاً ، وأَكثرُها أَربعون .

الخواصّ : مَن حَمَل من جِلده شيئاً صارَ مُهاباً عند النّاس ؛ ومَن كان به بَواسير فجلس على جِلده زالت بَواسيرُه .

حرف الهاء

• **هُدْهُد**[1] : طيرٌ معروفٌ ، وهو من رُسُل سُليمان عليه الصَّلاة والسّلام ، وعندَه حِدَّة البَصر ، حتّى قيل : إنَّه يَرى الماءَ تَحتَ الأَرض .

وسببُ غِيابه عن خِدمة سُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام حينَ سأَل عنهُ ولم يَجدهُ : هو أَنَّ هُدهداً من سَبأ أَخبرَه أَنَّ عرشَ بَلقيس صِفَتُهُ كذا وكذا ، فذهبَ لِينظرَهُ ، فدخلَت الشَّمسُ من مَكانه ، فرآها سُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام ، فتفقَّده وطلَبه ، فلمّا حضَر قال : يا نبيَّ الله ، إنِّي رأَيتُ كيتَ وكيتَ ، وقصَّ عليه القِصَّة .

ويُقال : إنَّه قال لسُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام لمّا أَراد تَعذيبه : يا نَبيَّ الله ، اذكر وُقوفَكَ بين يَدي الله تعالى ؛ فارتعدَ سُليمان من هذا الكلام وأَطلقَه .

الخواصّ: إذا بُخِّرَ البيتُ بِريشهِ طردَ الهوامَّ عنه ؛ وعينُه إذا عُلِّقَت على صاحبِ النِّسيان ذَكَرَ ما نَسِيَهُ ؛ وريشُه إذا حَمَلَهُ إنسانٌ وخاصَم غلبَ خصمَه ،

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٣٩١) وعجائب المخلوقات (٢٨٦) .

وقُضيت حاجَتُه ، وظَفِر بما يُريد ؛ ولَحمُه إذا أُكلَ مَطبوخاً نفعَ من القُولنج ؛ وإن بُخِّرَ بِمُخِّهِ بُرج حَمام لم يقربْه شيءٌ يُؤذيه ؛ ومن عُلِّقَ عليه لَحْيُهُ الأَسفل أَحَبَّهُ النّاس ؛ والله سُبحانه وتعالى أَعلم .

حرف الواو

• **وَرِشان**[1] : طيرٌ يتولَّدُ بين الحَمام والفاخِتة ، وهو حَسَنٌ ، شديدُ الحُنُوِّ ؛ يُقال : إنَّه يكادُ يقتلُ نفسَه إذا أَمسكَ القَنّاصُ أَولادَه من شِدَّةِ حُنُوِّه .

وقال بعضُهم : إنَّه يقولُ في صِياحه : لِدُوا للمِوتِ وابْنوا للخَراب .

والهُدهد يقول : إذا نَزَلَ القَضاءُ عَمِيَ البَصر .

والفاخِتَةُ تَقولُ : ليتَ هذا الخَلْقَ ما خُلِقوا ، ولَيتهم إِذْ خُلقوا عَلِموا لماذا خُلِقوا ، وَلَيتهم عَمِلوا لمّا عَلِموا .

والخطّاف يقول : قدِّموا خيراً تَجدوه عندَ رَبِّكم .

والحمامةُ تَقول : سُبحان رَبِّيَ الأَعلى .

والبازي يقولُ : سُبحان رَبِّي وَبِحَمْدِهِ .

والسَّرطان يقولُ : سُبحانَ المَذكور بِكُلِّ لسانٍ .

والدُّرّاج يقولُ : الرَّحمٰن على العَرْشِ استوى .

والعُقاب يقولُ : البُعْدُ عن النّاس رَحمةٌ .

ومن الطُّيور مَن يَقرأُ الفاتِحة كالدُّرَّةِ ، ويمدُّ صوتَه في « الضّالين » كالقارىء .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٤١٤) .

• **يَأْجُوج ومَأْجوج**[1] : سُمُّوا بذلك لِكَثْرَتهم ؛ وقيل : بل هو اسمٌ أَعجميٌّ غيرُ مُشْتَقٍّ .

قال مُقاتل : وَهُم وَلَد يافث بن نُوح عليه الصَّلاة والسَّلام .

وقولُ مَن قال : إِنَّ آدم نامَ ، فاحتلَم ، فالتصقَ مَنِيُّهُ بالتُّراب ، فتولَّد منه هذا الحيوانُ : مردودٌ بعدَم احتلامِ الأَنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام .

وفي الحديث : « يَأجوجُ ومَأْجوج أُمَّةٌ عظيمةٌ ، لا يموتُ أَحَدُهم حتَّى يَرى من صُلبه أَلف نسمة » انتهى .

وهم أَصناف ؛ منهم : ما طُولُه عِشرون ذراعاً ، وما طولُه ذراعٌ وأَقَلُّ وأَكثرُ .

وعن عليّ بن أَبي طالبٍ كرَّم الله وَجهه : أَنَّ لهم مَخالب الطَّير ، وأَنيابَ السِّباع ، وتَداعي الحَمام ، وتَسافُد البَهائم ؛ ولهم شُعورٌ تَقيهم الحرَّ والبردَ ؛ وإِذا مَشَوا في الأَرض كان أَوَّلُهم بالشّام وآخِرُهم بخُراسان ؛ يَشربونَ مياهَ المشرقِ إِلى بُحيرة طبريَّة ، ويَمنعهم الله تعالى من دُخول مكَّة والمدينة وبيت المَقدس ، ويأكلونَ كُلَّ شيءٍ يَمُرُّون به ، ومَن مات منهم أَكلوه .

ويُقال : إِنَّ صِنفاً منهم له أُذنان ، إِحداهما صَلْدَةٌ ، والأُخرى وَبرةٌ ، فهو يلتحفُ بإِحداهما ويفترشُ الأُخرى .

وفي الحديث : أَنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام سُئِل : هل بَلَغَتْهُمُ الدَّعوةُ ؟ فقال عليه الصَّلاة والسّلام : « دَعَوْتُهُم ليلةَ أُسريَ بي فلم يُجيبوا ، فهم خَلْقُ النّار » .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٤٣٠) وعجائب المخلوقات (٣٠٦) .

وفي الحديث أيضاً : « إنَّ الله عَزَّ وجلَّ إذا كان يوم القيامة قال : يا آدم ، أرسلْ بَعْثَ النّار ؛ فيقول : يا ربّ ، وما بَعْثُ النّار ؟ فيقولُ الله تعالى : من كُلِّ ألفٍ تسعمئة وتسعةٌ وتِسعون للنّار وواحدٌ للجنَّة » . قال : فاشتدَّ الأَمْرُ على المسلمين ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أَبْشِروا فإنَّ مِن يأجوجَ ومأجوجَ ألفاً ومنكم واحدٌ » .

وفي الحديث : أَنَّ رجلاً جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فأخبره بالرَّدم ، فقال : « صِفْهُ » . فقال : يا رسولَ الله : انطلقتُ إلى أرضٍ ليس لأهلها إلاّ الحديدُ يَعملونَه ، فدخلتُ في بيتٍ ، فلمّا كان وقتُ الغُروب سمعتُ ضَجَّة عظيمةً أفزعَتْني ، فارتَعدتُ منها .

قال : فقال صاحبُ البيتِ : لا بأسَ عليك ، إنَّ هذه الضَّجَّة أصواتُ قومٍ يَذهبون هذه السّاعة من خَلْف هذا الرَّدْم ؛ أتريدُ أن تنظرَ إليه ؟ فإذا لَبِنُهُ مثلُ الصَّخْرَة ، ومَساميرُهُ مثلُ جُذوعِ النَّخلِ ، كُلُّهُ من حديدٍ ، كأنَّهُ البُرُدُ المُحَبَّرةُ ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : « مَن سَرَّهُ أن ينظرَ إلى مَن رأى الرَّدْمَ ، فلْينظرْ هذا الرَّجل » .

قال المُفَسِّرون : وهذا هو السَّدُّ الَّذي بَناهُ ذو القَرنين ، وهذه الأُمَّةُ خَلْفَهُ ، تَطلبُ المجيءَ إلى هذه الجهة تَنقبُهُ كلَّ يوم فَيُعيده الله كما كان إلى أن يقضيَ الله أمره ، ثم يُسَلِّطُ الله عليهم بعد ذلك دُوداً يَطلعُ في حَلاقيمهم ، فَيُهلكهم الله بهِ ؛ والأخبارُ في ذلك كثيرةٌ .

يَحْمُور[1] : دابّةٌ وَحْشِيَّةٌ ، لها قَرنان طويلان كأنّهما مِنْشاران تَنْشُرُ بهما الشَّجر .

وقيل : هو كالأَيِّل يُلقي قَرْنَيْهِ في كُلِّ سَنَةٍ ، وهما صامِتان[2] .

وقال الجوهريّ : هو الحِمار الوَحْشيُّ .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٤٣٤) .

(٢) أي لا تجويف في قرني اليحمور .

نادرة : قيل[1] : ترافَقَ رَجُلان في طريقٍ ، فلمّا قَرُبا من مَدينةٍ من المُدن قال أَحدُهما للآخَر : قد صار لي عليك حقٌّ ، وإنِّي رجلٌ من الجانِّ ، ولي إليك حاجةٌ ؛ قال : وما هي ؟ قال : إذا وصلتَ إلى المكان الفُلانيِّ من هذه المدينة ، فهناكَ عَجُوزٌ عندها ديكٌ ، فاشْتَرِهِ منها واذْبَحْهُ ؛ فقال له الآخرَ : وأنا أَيضاً لي إليك حاجَةٌ . قال : وما هي ؟ قال : إذا ركبَ الجِنِّيُّ إنساناً ، ما يَعملُ له ؟ قال : تَشُدُّ إبهاميه بِسَيْرٍ من جِلْدِ اليَحمورِ ، وتَقطرُ في أَنْفِهِ من ماءِ السُّذاب ؛ في اليُمنى أَربعاً وفي اليُسرى ثلاثاً ؛ فإِنَّ الرّاكبَ له يموتُ .

قال : ثمَّ تَفَرّقا ، ودخلَ الإنْسيُّ فَفَعل ما أَمرهُ به الجِنِّيُّ من شِراء الدِّيك وذَبْحِهِ ؛ فلم يَشعرْ بَعد أَيّامٍ إلاّ وقد أَحاطَ به أَهلُ صَبِيَّةٍ من تلكَ البَلدة ، وقالوا له : أَنت ساحِرٌ ، ومِن حين ذَبَحْتَ الدِّيكَ سُلِبَت من صَبِيَّةٍ عندَنا عَقْلُها ، فلا نُفْلِتُكَ إلاّ إلى صاحبِ المدينة ؛ قال : ائْتوني بِسَيْرٍ من جِلْدِ اليَحمور ، وقليلٍ من ماءِ السُّذاب ؛ ودخلتُ على الصَّبيَّةِ ، فشَددتُ وقَطرتُ ماءَ السُّذاب في أَنْفِها ؛ فسمعتُ صوتاً يقول : آهٍ ، عَلَّمْتُكَ على نَفْسي ؛ ثم ماتَ من ساعته ، وشَفى الله تلكَ الشَّابَّة .

فصل

في خواصّ الطَّير والحيوان على الإِجمال

- الضَّبُّ والخِنزير لا يُلقيان شيئاً من أَسنانهما أَبداً .

وكُلُّ حيوانٍ يَعومُ بالطَّبع .

الإِنسانُ والقِرْدُ وكُلُّ ذي عَيْنٍ ، فإِن أَهدابَ عَيْنِه في الجِهةِ العُليا فقط إلاّ الإِنسان من الجهتين .

---

(١) حياة الحيوان (٢/ ٤٣٤) .

والفَرَسُ لا طِحالَ له ، والبَعيرُ لا مَرارةَ له ، والظَّليمُ لا مُخَّ لعَظْمِهِ ، والحَيّاتُ لا أَلْسِنَةَ لها ، والسَّمَكةُ لا رِئَةَ لها ، لأَنَّها تتنفَّسُ من كَبِدها .

وكُلُّ حَيوانٍ لا حافِرَ له فَلَهُ قَرْنٌ ، وما لا قَرْنَ له فلهُ حافِرٌ .

والحيوانُ المُتَّهَمُ بِاللِّواط : القِرْدُ والخِنزير ، والحِمارُ والسِّنَّور .

والعيونُ الَّتي تُضيءُ باللَّيل : عينُ الأَسد والنَّمر والأَفعى والسِّنَّور .

والَّذي يَدَّخِرُ القُوتَ من الحيوان : الإِنسانُ والفأرُ والغُرابُ والنَّحْلُ والنَّمْلُ .

والَّذي يحيضُ من الحيوانِ : الإِنسانُ والفَرَسُ والكلبُ والأَرنب والضَّبُعُ والخفّاش ؛ ويقال أَيضاً : الرَّعّاد من السَّمك .

فتباركَ الله أَحسنُ الخالقين ؛ وهذا آخرُ ما قَصَدْتُ إِيرادَهَ في هذا الباب ، والله سُبحانه وتعالى أعلم بالصَّواب

البابُ الثّالث والسّتّون

في ذِكر نُبْذَة من عَجائب المَخلوقات وصِفاتهم

• ذكر[١] المسعوديُّ في كِتابه ، عن بعضِ العُلماء : أَنَّ الله سُبحانه وتَعالى خَلَقَ في الأَرض قبلَ آدم ثمانياً وعشرين أُمَّةً ، على خِلَقٍ مُختلفةٍ ، وهي أَنواعٌ ، منها : ذواتُ أَجنحةٍ ، وكلامُهم قَرْقَعَةٌ ؛ ومنها ما له أَبْدانٌ كالأُسودِ ورؤوسٌ كالطَّير ، ولهم شُعورٌ وأَذنابٌ ، وكلامُهم دَويٌّ ؛ ومنها ما له وَجهان ، واحدٌ من قُبُلِهِ والآخَر من خَلْفِهِ ، وأَرجلٌ كثيرةٌ ؛ ومنها يُشبهُ نِصفَ الإِنسانِ بيدٍ ورِجْلٍ ، وكلامُهم مثلُ صِياح الغَرانيق ؛ ومنها ما وَجْهُهُ كالآدميِّ وظَهره كالسُّلَحْفاة ، وفي رأسه قَرْنٌ ، وكلامُهم مثالُ عويِّ الكِلاب ؛ ومنها ما له شَعْرٌ أَبيضُ وذَنَبٌ كالبَقَر ؛ ومنها ما له أَنيابٌ بارزةٌ كالخناجِرِ وآذانٌ طِوال .

ويُقال : إِنّ هذه الأُمَم تناكَحَت وتَناسَلت حتّى صارَت مئةً وعشرين أُمَّةً ، ولم يَخلق الله تعالى أَفضلَ ولا أَحسنَ ولا أَجملَ من الإِنسان .

وقال[٢] عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه : خلَق الله تَعالى أَلف أُمَّة وعِشرين أُمَّةً ، منها سِتُّمئةٍ في البَحر ، وأَربعُمئةٍ وعشرون في البَرّ .

وفي الإِنسانِ من كُلِّ خَلْقٍ ، فلذلكَ سَخَّر الله له جميعَ الخَلْق ، واستُجمعت له جميعُ اللّذّات ، وعَمل بيدِه جميعَ الآلات ؛ وله النُّطْقُ ، والضَّحِك ، والبُكاء ، والفِكْرَةُ ، والفِطْنة ، واختراعاتُ الأَشياء ، واستنباطُ

---

(١) قارن عجائب المخلوقات (٣٠٦) .

(٢) عجائب المخلوقات (١٩٩) .

جميعِ العُلوم ، واستخْراجُ المعادِن ، وعليه وَقَعَ الأَمرُ والنَّهيُ ، والوَعْدُ والوَعيدُ ، والنَّعيمُ والعَذاب ؛ وإِيّاهُ خاطَبَ ، ولَه قَرَّبَ .

وخلَق الله تعالى إِسرافيل عليه السَّلام على صُورة الإِنسان ، وهو أَقربُ الملائكةِ إِليه ؛ وفي الحديث : « لا تَضرِبوا الوُجوهَ ، فإِنَّها على صُورة إِسرافيل » .

وآياتُ الله تعالى في البَشَرِ أَكثرُ من أَن تُحصَر : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

• وقال الشَّيخ عبد الله صاحبُ كتاب « تُحفة الأَلباب » : دخلتُ إِلى باشْقَرْد[١] فرأَيتُ قُبورَ عادٍ ، فوجدتُ سِنَّ أَحدهم طولُه أَربعةُ أَشبارٍ وعَرْضُهُ شِبران ، وكان عندي في باشْقَرْد نصفُ الثنِيَّة شِبرين ووزنُها أَلفٌ ومئة مِثقال ، وكان دَوْرُ فَكِّ ذلك العاديِّ سبعةً عشر ذراعاً ، وطولُ عَظْمِ عَضُدِ أَحدِهم ثمانية أَذرعٍ ، وعرضُ كُلِّ ضِلعٍ من أَضلاعهم ثلاثةُ أَشبارٍ كَلَوْحِ الرُّخام .

قال : ولقد رأَيتُ في بُلغار سنة ثلاثين وخمسمئة من نَسْل عادٍ رجلاً طويلاً ، طولُه أَكثرُ من سبعةٍ وعشرين ذِراعاً ، كان يُسَمَّى : دنفي ، وكان يأخذُ الفَرَسَ تحتَ إِبْطِهِ كما يأخذُ الولدَ الصَّغيرَ ، وكان من قُوَّتِهِ يكسرُ بيدِه ساقَ الفرسِ ، ويَقطعُ جِلده وأَعضاءَه كما يقطع باقَةَ البَقْل ؛ وكان صاحبُ بُلغار قد اتَّخذ له دِرْعاً تُحملُ على عَجَلَةٍ ، وبَيْضَةً عادِيَّةً لرأسِه كأَنَّها قِطعةٌ من جَبَلٍ ، وكان يأخذُ في يَده شَجرةً من البَلُّوط كالعَصا ، لو ضُرب بها الفيلُ لقَتله ، وكان خَيِّراً مُتواضِعاً ؛ كان إِذا لَقِيَني يُسَلِّمُ عليَّ وَيُرحِّبُ بي ويُكرِمُني ، وكان رأسي لا يَصلُ إِلى رُكبتيه ، رحمة الله تعالى عليه .

ولم يكن في بُلغار حَمّام يُمكنهُ دخُولُها إِلا حمّامٌ واحدٌ .

وكانت له أُختٌ على طُوله ، ورأَيتُها مَرّاتٍ في بُلغار .

---

(١) باشقرد : بلاد بين القسطنطينية وبلغار . (معجم البلدان ١/ ٣٢٢) .

وقال لي قاضي بُلغار يَعقوب بن النُّعمان : إنَّ هذه المرأة العاديَّة قَتَلَت زَوْجها ، وكان اسمُه آدم ، وكان أقوى أهل بُلغار ؛ قيل : إنَّها ضَمَّتْهُ إليها ، فكسَرت أَضلاعه ، فماتَ من ساعَته .

● **وروي**[1] عن وَهْب بن مُنَبِّه في عُوج بن عُنُق أَنَّه كان من أَحسن النّاسِ وأَجملهم ، إلاّ أَنَّه كان لا يُوصَفُ طولُه ، قيل : إنَّه كان يَخوضُ في الطُّوفان ، فلم يبلغْ رُكبتَيه ؛ ويُقال : إنَّ الطُّوفان علا على رُؤوس الجِبال أَربعين ذراعاً ، وكان يجتازُ بالمدينة فيتخطّاها كما يتخطَّى أَحدُكم الجدولَ الصَّغير ، وعَمَّره الله دَهراً طويلاً حتَّى أَدرك موسى عليه السَّلام ، وكان جَبّاراً في أَفعاله ، يَسيرُ في الأَرض بَرّاً وبَحراً ويُفسد ما شاءَ .

ويُقال : إنَّه لمّا حُصِرَ بَنو إسرائيل في التِّيهِ ذهبَ فأَتى بقطعةٍ من جَبَلٍ على قَدرهم ، واحتملَها على رأسه ليُلْقيَها عليهم ، فبعثَ الله طيراً في مِنقاره حَجَرٌ مُدَوَّرٌ ، فوضَعه على الحَجَرِ الَّذي على رأسِه ، فانثقبَ من وَسَطه وانخرقَ في عُنقه ؛ وأَخبرَ الله عزَّ وجلَّ نبيَّه مُوسى عليه الصَّلاة والسَّلام بذلك ، فخرجَ إليه وضربَّه بِعصا فقَتله .

ويُقال[2] : إنَّ موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام كان طولُه عشرةَ أَذرع وعَصاه عشرة أَذرع ، وقَفزَ في الهواءِ عَشرة أَذرعٍ ، وضربَه فلم يَصل إلىٰ عُرقوبه ؛ فتبارَك الله أَحسنُ الخالِقين .

● ومن ذلك ما قيلَ عن أُمِّه عُنق بنت آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ، وكانت مُفْرَدَةً بغيرِ أَخٍ ، وكانت مُشَوَّهَة الخِلْقَة ، لها رأسان ، وفي كُلِّ يدٍ عَشرة أَصابع ، ولكلِّ إِصبعٍ ظُفرانِ كالمِنجلين .

---

(١) عجائب المخلوقات (٣٠٧) .

(٢) تاريخ الطبري (١/ ٤٣١) ومختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ٣٨٥) .

وقال عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهَه : هي أَوَّلُ مَن بَغىٰ في الأرض ، وعَمل الفُجور ، وجاهَر بالمعاصي ، واستَخدم الشَّياطين وصَرَفهم في وُجوهِ السِّحر ، وكان قد أَنزلَ الله علىٰ آدمَ عليه الصَّلاة والسَّلام أسماءً عظيمةً تُطيعُه الشَّياطين بها ، وأمره أَن يدفَعها إِلىٰ حَوّاء لِتحترَزَ بها ؛ فغافَلَتها عُنُقٌ وسَرَقَتْها ، واستَخدمَت بها الشَّياطين ، وتكلَّمت بشيءٍ من الكَهانة ، فدعا عليها آدمُ ، وأَمَّنَت علىٰ ذلك حَوّاء ، فأَرسلَ الله عليها أَسَداً أعظمَ من الفِيل ، فهجَم عليها وقتلها ، وذلك بعد وِلادتها عُوجاً بسَنتين .

● ومن[1] ذلك ما حُكي عن بعضِ فُقهاء المَوْصِل : أَنَّه شاهَدَ ببلادِ الأكراد المُحَمَّديَّة ، في جَبَلٍ من جِبال المَوْصِلِ إنساناً طولُه تِسعةُ أَذرعٍ ، وهو صَبيٌّ لم يبلغِ الحُلمَ ، وكان يأخذُ بيدِه الرَّجلَ القَويَّ ويَرميهِ خَلْفَ ظَهره ؛ فَأَرادَ صاحبُ المَوْصِل استِخْدامه ، فقيل له : في عَقْلِهِ خَبَلٌ ، فترَكَه .

● ورُوي[2] عن الإمام الشَّافعيِّ رضي الله تعالىٰ عنه ، أَنَّه قال : دخلتُ بلدةً من بلادِ اليمن ، فرأَيتُ بها إنساناً من وَسَطه إلىٰ أَسفله بَدَنٌ واحِدٌ ، ومن وَسَطه إلىٰ أَعلاه بَدَنان مُفترقان ، بِرأْسينِ وَوَجْهين وأَربع أَيْدٍ ، وهُما يأكُلان ويَشربان ويَتقاتلان ويَتلاطَمان ويَصطلحان .

قال : ثم غِبْتُ عنهما قليلاً ورجعتُ ، فقيل لي : أَحسنَ الله عَزاءَك في أَحَدِ الشِّقَّين ؛ فقلتُ : وكيفَ صُنعَ به ؟ فقيل : رُبِطَ في أَسفله حَبْلٌ وَثيقٌ ، وتُرِكَ حتَّى ذبلَ ، ثم قُطع ؛ ورأَيتُ الجسدَ الآخَر بالسُّوق ذاهِباً وراجِعاً .

● ومنه : ما أَرسلَه بَطارقَةُ الأَرمن إلىٰ ناصِر الدَّولةِ ، وهو رَجلان في جَسَدٍ واحِدٍ ، فأَحضر الأَطِبّاء وسأَلهم عن انفصالِ أَحدِهما عن الآخرِ ، فسأَلوهُما :

---

(١) عجائب المخلوقات (٣٠٨) .

(٢) ربيع الأبرار (٤/ ١٣) وعجائب المخلوقات (١١) .

هل تَجوعان معاً ، وتَعطشان معاً ؟ قالا : نعم ؛ فقالوا له : لا يمكنُ فَصلُهما .

ويُقال : إنَّه أَحضرَ أَباهما ، فسأَله عن حالِهما ، فأَخبرَ أَنَّهما يَختصمان في بعضِ الأَحيان ، وأَنَّه يُصلحُ بَينهما .

● **ومن ذلك** : ما ذُكر أَنَّه أُهديَ إلىٰ ابن مَنصور السّاماني فَرَسٌ له قَرنان ؛ وثَعلب[1] له جَناحان ، إذا قَرُبَ منه إنسانٌ نَشَرَهما ، وإِذا بعُد أَلصقَهما .

● وذَكر القاضي عِياض رحمةُ الله تعالىٰ عليه ، أَنَّه وُلد مَولودٌ ، علىٰ أَحدِ جَنبيه مَكتوبٌ « لا إِلَه إِلاّ الله محمد رسول الله » وهذا لا يَبعدُ ، فإِنَّه يوجدُ كثيراً في السِّنَّور الدَّيْرَكي .

● وذُكر أَنَّه وُلد بالقاهرة غلامٌ له أَربعةُ أَرجلٍ ، ومِثلُها أَيْدٍ .

● وذُكر أَنَّه كان لبعضِ وُلاةِ مِصر مَملوكٌ يُدعىٰ طقطو ، فَولاّه قُوص من أَعمال الصَّعيد ، فتزوَّج بها وَوُلد له ولدٌ ، ثم انقلبَ امرأَةً ، فتزوَّجَ بها وولدَت وَلدين .

● وأَمّا كبشٌ بأَربعة قُرون ، ودَجاجة بأَربعة أَرجلٍ ، وحيوانٌ برأسين ، والمخرجُ واحدٌ ، فكثيرٌ .

وعجائبُ الله تعالىٰ في مَصنوعاته غير مُتناهية ، فلِلّهِ الحمدُ علىٰ ما أَنعم به علينا ، لا نُحصي ثناءً عليه .

● **ومن ذلك** : إنسانُ الماءِ[2] ، وهو حيوانٌ يشبهُ الآدمي ؛ وفي بعض الأَوقات يطلعُ ببحرِ الشّام شيخٌ بلحيةٍ بيضاءَ ، ويَستبشرُ النّاسُ برؤيتهِ في تلك السَّنة بالخِصْب .

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٢٤٩) .

(٢) حياة الحيوان (١/ ٦٣) .

• **ومن ذلك** : بَناتُ الماءِ[1] ، وهم أُمَّةٌ ببحرِ الرُّوم ، يُشبهنَ النِّساء ، ذوات شُعورٍ وثَدِيٍّ وفُروجٍ ، وهنَّ حِسانٌ ، ولهنَّ كلامٌ لا يُفهم ، وضَحكٌ ولَعِبٌ ، ولهنَّ رجالٌ من جِنسهن .

ويُقال : إنَّ الصَّيّادين يَصطادونَهن ويُجامعونَهن ، فيَجدون لَذَّةً عظيمةً لا تُوجد في غيرهنَّ من النِّساء ، ثم يُعيدوهنَّ في البُحور ثانياً .

ويُقال : إنَّ هذا الصِّنفَ يوجدُ بالبَرَلّس ورَشيد على ما ذُكر ! .

• **وحُكي**[2] عن الشَّيخ أَبي العبّاس الحِجازي ، قال : حدَّثني بعضُ التُّجّار أَنَّه في سنةٍ من السِّنين خرجَت إليه سمكةٌ عظيمةٌ ، فنَقَبوا أُذُنها وجَعلوا فيها الحِبال وأَخرجوها ، ففُتحت أُذُنها ، فخَرجت جاريةٌ حسناءُ ، بيضاءُ ، سَوادُ الشَّعر ، حَمراءُ الخَدَّين ، كحلاءُ العَينين ، من أَحسن ما يكونُ من النِّساء ؛ ومِن صُرَّتِها إلىٰ نصفِ ساقَيها شيءٌ كالثَّوبِ يسترُ قُبُلَها ودُبُرَها ، ودائرٌ عليها كالإِزار ؛ فأَخذها الرِّجال إلىٰ البَرِّ ، فصارَت تلطمُ وَجهها وتَنتفُ شَعرها ، وتعضُّ يَدها ، وتصيحُ كما تصيحُ النِّساء حتّىٰ ماتَت في أَيديهم فأَلقوها في البَحر ؛ فتبارك الله أَحسنُ الخالِقين .

• وَحكىٰ القَزويني عن بعضِ البَحريِّين : أَنَّ الرِّيح أَلْقَتْهُمْ علىٰ جزيرةٍ ذاتِ أَشجارٍ وأَنهارٍ ، فأَقاموا بها مُدَّةً ، وكانوا إذا جاءَ اللَّيلُ يَسمعونَ بها هَمهمةً وأَصواتاً ، وضَحِكاً ولَعباً ، فخرجَ من المركبِ جماعةٌ وكَمنوا في جانب البحرِ ، فلمّا جاءَ اللَّيلُ خرجَ بنات الماءِ علىٰ عادَتِهنَّ ، فوثَبوا عليهنَّ ، فأَخذوا منهنَّ اثنتين ، فتزوَّج بهما شَخصان ؛ فأَمّا أَحدُهما ، فوَثِقَ بصاحِبته ، فأَطلقها ، فوثَبت في البحر ؛ وأَمّا الآخرُ فبَقيَ مع صاحِبته زماناً وهو يحرسُها ،

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٢٢٢) وعجائب المخلوقات (٩٨) .
(٢) عجائب المخلوقات (٩٦) .

حتَّى وَلَدت له وَلداً كأنَّه القَمر ، فلمّا طابَ الهواء ، ورَكبوا البحرَ ووثِق بها ، فأَطلقها ، فأَغْفَلَتْهُ وأَلقت نفسَها في البحر ، فتأَسَّف عليها تأَسُّفاً عظيماً ، فلمّا كان بعد أَيّام ظَهَرَت من البحرِ ودَنَت من المراكبِ ، وأَلقت لصاحِبها صَدَفاً فيه دُرٌّ وجَوهرٌ ، فباعَه وصارَ من التُّجّار .

● ونظيرُ هذه الحِكاية : ما ذَكره ابنُ زُولاق في « تاريخه » أَنَّ رجلاً من الأندلس من الجزيرة الخضراء صادَ جارِيةً منهنَّ ، حسناءَ الوجه ، سوداءَ الشَّعر ، حمراءَ الخَدَّين ، نجلاءَ العَينين ؛ كأَنَّها البدرُ ليلةَ التَّمام ، كاملةَ الأَوصاف ؛ فأَقامت عنده سِنين ، وأَحبَّها حُبّاً شَديداً ، وأَولدها وَلَداً ذكراً ، وبلغَ من العُمر أَربع سنين ، ثم إِنَّه أَراد السَّفَر فاستَصْحَبَها معه ، ووَثِقَ بها ، فلمّا توسَّطَت البحرَ أَخذت وَلَدها وأَلقت نفسَها في البَحر ، فكاد أَن يُلقي نفسَه خَلْفَها حَسرةً عليها ، فلم يمكنهُ أَهلُ المركب من ذلك ؛ فلمّا كان بعد ثلاثة أَيّام ظهرَت له وأَلقت له صَدَفاً كثيراً فيه دُرٌّ ، ثم سَلَّمت عليه وتَركته ، فكان ذلك آخرُ العهد بها .

فتبارك الله ما أَكثر عجائب خَلْقِهِ ، وما لم نُشاهده ونَسمع به أَكثر ؛ فسبحانَ القادر علىٰ كُلِّ شيءٍ ، لا إِلَهَ إِلاّ هو ، ولا معبودَ سِواهُ .

فالعاقلُ يعرفُ الجائزَ والمستحيل ، ويعلمُ أَن كلَّ مَقدورٍ بالإِضافة إِلىٰ قُدرة الله تعالىٰ قليلٌ ، وإِذا سَمع عَجَباً جائزاً استحسَنه ولم يُكَذِّب قائلَه ؛ والجاهلُ إِذا سمعَ ما لم يُشاهده قطعَ بتكذيب قائِله ، وتَزييف ناقِله ، وذلك لِقلَّةِ عَقله .

وقد وصفَ الله تعالىٰ الجاهلَ بعدم العقل بقوله تعالىٰ : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

وقد أَودع الله تعالىٰ من عَجائب المَصنوعات في الآفاق والسَّماوات ما يدلُّ

عليه قولُه تعالىٰ : ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف : ١٠٥] . فلا تكنْ مُنكرَ العجائبِ ، فكلُّ الأَشياء من آياته .

● [من المتقارب] (١)

فيا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَىٰ الإلَـ ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجاحِدُ
وَفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ علىٰ أَنَّه الواحِدُ

● ومَن شاهَدَ حجرَ المِغناطيس وَجذْبَهُ للحَديد ، وكذلكَ حَجرَ الماسِ الَّذي يَعجزُ عن كَسْرِهِ الحدِيدُ ويكسرهُ الرَّصاص ، ويَثقبُ الياقوتَ والفُولاذَ ولا يَقدرُ علىٰ ثَقْبِ الرَّصاصِ يَعلمُ أَنَّ الَّذي أَوْدَعَهُ هذا السِّرَّ قادرٌ علىٰ كُلِّ شيءٍ ؛ فلا تكنْ مُكَذِّباً بما لا تَعلمُ وَجْهَ حِكْمَتِهِ ، فإِنَّ الله تعالىٰ قال : ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس : ٣٩] .

● قال صاحبُ « تُحفةِ الأَلباب » : إِنَّ في بلادِ السُّودان أُمَّةً لا رُؤوسَ لهم .

وقد ذَكرهم الشَّعبيُّ في كتابِ « سِيَرِ المُلوك » .

وذَكر في بلاد المَغرب أُمَّةً من ولدِ آدم كلُّهم نِساءٌ ، ولا يَعيشُ في أَرضهم ذَكَرٌ ، وأَنّ هؤلاء النِّساء يدخلْنَ في ماءٍ عندَهم ، فَيَحْبَلْنَ من ذلك ، وتلدُ كُلُّ امرأَةٍ منهنَّ بِنْتاً ، ولا يَلِدْنَ ذُكراناً أَبداً .

● وقيل : إِنَّ ولدَ تُبَّعٍ اليَمانيّ وَصلَ إِليهم لمّا أَراد أَن يصلَ إِلىٰ الظُّلمات الَّتي دَخَلها ذو القَرنين ، وإِنَّ وَلَدَ تُبَّعٍ هذا كان اسمه أَفريقش ، وهو الَّذي بَنىٰ أَفريقيَّة ، وسمّاها باسمِه ، وأَنَّه وَصَل إِلىٰ وادي السَّبت ، وهو وادٍ يَجري فيه الرَّمل كما يَجري فيه السَّيل ، لا يمكنُ أَن يدخلَ فيه حيوانٌ إِلاَّ هَلَك ؛ فلمّا رآهُ استعجلَ الرُّجوعَ ؛ وذو القَرنين لمّا وصلَ إِليه أَقام إِلىٰ يوم السَّبت ،

(١) هما لأبي العتاهية في ديوانه (١٠٤) .

فسكنَ جَريانُه فعبرَه إلىٰ أَن وصلَ إلىٰ الظُّلمات ، فيما يُقال ؛ واللهُ سُبحانه وتَعالىٰ أَعلم .

وتلك الأُمَّةُ الَّتي لا رُؤوسَ لهم أَعْيُنُهم في مَناكبهم ، وأَفواهُهم في صُدورهم ، وهم كثيرونَ كالبَهائم يَتناسلون ، ولا مَضَرَّةَ علىٰ أَحَدٍ منهم .

● وأَمّا المُلْكُ العظيمُ ، والعَدْلُ الكثير ، والنِّعَمُ الجَزيلةُ ، والسِّياسة الحَسَنةُ ، والرَّخاءُ والأَمنُ الَّذي لا خَوفَ معه ، ففي بلادِ الهندِ وبلادِ الصِّين .

وأَهلُ الهِند أَعلمُ النّاس بعلِم الطِّبِّ وعِلم النُّجوم والهَندسة ، والصِّناعات العَجيبة الَّتي لا يَقدرُ أَحَدٌ سِواهم علىٰ أَمثالها .

وفي بلادهم وجَزائرهم ينبتُ العودُ وشجرُ الكافور ، وجَميع أَنواع الطِّيب كالقَرنفُلِ والسُّنبل والدّارصِيني ، والكبّابة ، والبَسْباسة ، وأَنواع العقاقير والأَدوية .

وعندهُم حيوانُ المِسْك ، وهو حيوانٌ كالغَزال يجتمعُ المِسْكُ في سُرَّتِهِ .

وعندهم حيوانُ الزَّباد ؛ وهو حيوانٌ كالسِّنَّور يخرجُ منه عَرَقٌ كالقَطِران ، أَسودُ ثَخينٌ ، يَسيلُ من جَسده ؛ وتَزيدُ رائحتُه بالتَّغرُّبِ بحيثُ تكونُ أَذكىٰ من المِسك الأَذْفَرِ .

ويخرجُ من بلادهم أَنواعُ اليواقيت ، وأَكثرُها في جَزيرة سَرَنْديب ، وعلىٰ جَبَلها نَزَلَ آدم عليه الصَّلاة والسَّلام من الجَنَّة ، فيما يقال .

● **وحُكي**[1] أَنَّه كان بِبابل سبعُ مَدائن ، كلُّ مَدينةٍ فيها أُعجوبة .

كان في إحداها تِمثالُ الأَرض ، فإذا التَوىٰ علىٰ المَلِكِ بعضُ أَهلِ مَملكته ، وامتَنعوا عن القيامِ بالخَراج ، خَرَّقَ أَنهارها عليهم في التِّمثال ، فلا

---

(١) معجم البلدان (١/ ٣١٠) وربيع الأبرار (٤/ ١٠) .

يُطيقُ أَهلُ تِلك النّاحية سَدَّ الماء حتَّىٰ يَعتدلوا ، وما لم يُسَدَّ التّمثالُ لا يُسَدُّ في ذلك البَلد .

وفي الثّانية : حوضٌ إذا أَراد المَلِكُ أَن يجمعَهم لِطعامه أَتىٰ كلُّ واحدٍ بما أَحبَّ من الشَّراب ، فَصَبَّهُ في ذلك الحوضِ ، فاختلَطت الأَشربةُ ، فكلُّ مَن سُقي من ذلك الحوضِ كان شَرابَه الَّذي جاءَ بِهِ .

وفي الثّالثة : طَبْلٌ إِذا أَرادوا أَن يَعلموا حالَ الغائبِ عن أَهله قَرَعُوه ، فإِن كان حيّاً سُمِع له صَوتٌ ، وإِن كان مَيّتاً لم يُسمعْ له صوتٌ .

وفي الرّابعة : مرآةٌ إِذا أَرادوا أَن يَعلموا حال الغائبِ نَظروا فيها ، فأَبصروه علىٰ أَيِّ حالةٍ هو عليها ، كأَنَّهم يُشاهدونه .

وفي الخامسة : إِوَزَّةٌ من نُحاسٍ ، فإذا دخلَ الغَريبُ صَوَّتَت الإِوَزَّةُ صَوتاً يسمعه أَهلُ المدينة .

وفي السّادسة : قاضِيان جالسانِ علىٰ الماءِ ، فيأتي الخَصْمان ، فَيَمشي المُحِقُّ علىٰ الماء حتّىٰ يجلسَ مع القاضِيَيْن ، ويقعُ المُبطل فِي الماء .

وفي السّابعة : شجرةٌ ضخمةٌ لا تُظِلُّ إلاّ ساقَها ، فإِن جلسَ تحتَها أَحدٌ أَظَلَّتهُ إِلىٰ أَلفِ شخصٍ ، فإِذا زادوا علىٰ الأَلف واحِداً جلَسوا في الشَّمس كلُّهم .

ولو بَسطتُ المقالَ في ذلك لاتَّسع المجالُ . وقد اقتصرتُ في ذلك علىٰ ما ذكرتُ ؛ والله سُبحانه وتعالىٰ أَعلمُ بالصَّواب ، وإِليه المرجعُ والمآبُ ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد النَّبيِّ الأُمِّيِّ ، وعلىٰ آله وصَحبه وسلَّم .

* * *

البابُ الرَّابع والسِّتُّون
في خَلْق الجانِّ وصِفاتهم

• رُوي عن الشَّيخ عبد الله صاحب « تُحفة الأَلباب » أَنَّه قال : قرأتُ في بعضِ الكتبِ المتقدِّمةِ المأثورةِ عن العُلماء رَحمهم الله تعالىٰ ، أَنَّ الله تعالىٰ لمّا أَرادَ أَن يخلقَ الجانَّ خلَق نار السَّموم ، وخلَق من مارِجِها خَلْقاً سَمّاهُ جانّاً ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٧] وقال الله تعالىٰ في موضعٍ آخر : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمٰن : ١٥] .

وقيل : إِنَّ الله تعالىٰ خلَق الملائكةَ من نُور النَّار ، والجانَّ من لَهَبِها ، والشَّياطِينَ من دُخانها .

وقد[1] جاء في بعض الأَخبار أَنَّ نوعاً من الجِنِّ في قديم الزَّمان ، قبلَ خَلْق آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ، كانوا سُكّاناً في الأَرض ، قد طَبَّقوها بَرّاً وبَحْراً ، سَهلاً وجَبَلاً ، وكان فيهم المُلْكُ والنُّبُوَّةُ والدِّين والشَّريعة ، وكانوا يَطيرون إِلىٰ السَّماء ، ويُسَلِّمون علىٰ الملائكةِ ، ويَستعلمون منهم خَبَر ما في السَّماء ؛ وكثُرت نِعَمُ الله عليهم إِلىٰ أَن بَغَوا وطَغَوا ، وتَركوا وَصايا أَنبيائهم ، فأَرسل الله تعالىٰ عليهم جُنْداً من الملائكةِ ، فحصلَ بينهم مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ ، وغَلَبُوا الجِنَّ وطَردوهم إِلىٰ أَطرافِ البِحار ، وأَسروا منهم أُمماً كثيرةً .

• وذكر المسعوديُّ أَنَّ الفُرس واليونان قالوا : كان الجِنُّ بالأَرض قبائلَ ، منهم مَن يَسترقُ السَّمع ، ومنهم من يَنِطُّ مع لَهَبِ النّار ، ومنهم مَن يَطيرُ ،

---

(١) عجائب المخلوقات (٢٣٣) .

ولكلِّ قبيلةٍ مَلِكٌ ، وكان من جُملتهم إبليس ـ لَعَنَهُ الله ـ ثم بعد خَمسة آلاف سنة افتَرقوا وملَّكوا عليهم مُلوكاً ، وأَقاموا علىٰ ذلك مدَّةً طويلةً ، ثم تَحاسدوا علىٰ المُلك ، وأَغار بعضُهم علىٰ بعضٍ وجَرت بينهم وقائعُ وحروبٌ .

• وكان إبليسُ ـ لَعَنَهُ الله ـ يصعدُ إِلىٰ السّماء ، ويختلطُ بالملائكة ، فبعثَه الله تعالىٰ بجيوشٍ من الملائكة ، فهزمَ الجِنَّ ، وقتَلَهم ، وتملَّك الأرض مدَّة طويلةً إِلىٰ أَن خُلِقَ آدمُ عليه الصَّلاة والسَّلام ، واتّفق له معه ما اتَّفق ، وأُهبط آدمُ إِلىٰ الأَرض ، وعظُم شأنُه ، فعند ذلك انتقلَ إِبليس إِلىٰ البحرِ المحيطِ ، وسكن هُناك ، ثم أُلقيَ عليه قوَّةُ شَهوةِ السِّفاد ، فهو لا يلدُ لكنه يلقَحُ كالطَّير ، ويبيضُ ويفرِّخُ ؛ قيل : إِنَّه يخرجُ من كلِّ بيضةٍ سِتُّون أَلف شيطانٍ ، فيسَلِّطُهم علىٰ الخَلْق ، وأَقربُهم إِليه وأَدناهم منه ، ومِن مَجلسه ، أكثرُهم إِيذاءً للخَلق .

• وفي[1] الحديث : « إِنَّ إِبليس ـ لعنهُ الله ـ قال : يا ربِّ ، أَنزلتني إِلىٰ الأَرض وطَردتني وجَعلتني رَجيماً ، فاجعلْ لي مُسْكناً ؛ قال : مَسْكَنُكَ الأَسواق ؛ قال : فاجعلْ لي طعاماً ؛ قال : ما لم يُذكر اسمي عليه ، قال : فاجعلْ لي شَراباً ؛ قال : كلُّ مُسكرٍ ؛ قال : فاجعلْ لي مُؤَذِّناً ؛ قال : المزامير ؛ قال : فاجعل لي صَيْداً ـ أَو قال : مصائد ـ قال : النِّساء .

فصلٌ

في مَكايدِه لَعَنَهُ الله

• **منها**[1] : أَنَّه كان في بني إِسرائيل عابدٌ يُدعىٰ بَرصيصا ، وله جارٌ له بنتٌ فحصلَ لها مَرَضٌ ، فقال له جِيرانه : لو حملتَها إِلىٰ جارك بَرصيصا ، ليدعوَ

---

(١) عجائب المخلوقات (٢٣٤) .

لها ؛ قال : فجاءَ إبليس إلىٰ العابدِ ، وقال : إنَّ لجارِك عليك حقَّ الجِوار ، وإنَّ له بِنْتاً مريضةً ، فما ضَرَّك لو جعلتَها عندَك في جانبِ البيت ، ودعوتَ الله لها عَقِبَ عِبادتك ، فعسىٰ أَن تُشفىٰ من مَرضها ؛ قال : فلمّا أَتاه جارُه بالبنت ، قال له العابد : دَعْها وانصرف . قال : فتركَها عنده مدَّة حتَّىٰ شُفيت ، فجاءَ له إبليس ووسوسَ له حتَّىٰ وَطِئَها ، فحملَت منه ، فلمّا حَمَلَت جاءَ له إبليسُ ـ لعنه الله ـ فقال له : اقتُلها لئلاّ تُفتضَح ؛ قال : فقَتلها ، ودَفنها ؛ قال : فعند ذلك ذهبَ الشَّيطانُ إلىٰ أَهلها وأَعلمهُم بذلك ، فجاؤوا إلىٰ العابدِ وكَشفوا عن قَضِيَّته . ثم أَخذوه ومَضوا ليقتلوه ، فعارضَه إبليس اللَّعين في الطَّريق ، فقال له : إنْ سَجَدْتَ لي خَلَّصْتُكَ منهم ؛ فسجدَ له ، فعند ذلك تبرّأَ منه ، ومات الرَّجلُ كافراً .

اللَّهمَّ اعصمْنا من مكايدِ الشَّيطان ، برحمتك يا أَرحم الرّاحمين .

• **ومن ذلك**[1] : ما اتَّفق أَنَّ بني إسرائيل اتَّخذوا شجرةً ، وصاروا يَعبُدونها ، فجاءَ بعضُ عُبّادهم بفأسٍ ليقطَعها ، فارضَه إبليسُ ـ لَعَنَهُ الله ـ وقال له : تركتَ عِبادتك ، وجئتَ لشيءٍ لا يَعودُ عليكَ نفعُه ؟ ولم يزلْ به حتَّى تَقاتلَ معه ، فصرعَه العابدُ ، وجلسَ على صَدره ، ثم رجعَ ، ولم يزلْ يعملُ معه ذلك في كلِّ يوم إلى ثلاثةِ أَيّام ، فلمّا رآه لا يرجعُ قال له : اتركْ قَطْعَها ، وأَنا أَجعلُ لك في كلِّ يومٍ دينارَين ، تستعينُ بهما على نَفقتك وعِبادتك ؛ وعاهَده على ذلك ، فرجع .

قال : فجعلَ له تحتَ وِسادته دينارين ، ثم دينارين ، ثم دينارين ، ثم قطعَ ذلك عنه ، فأَخذ العابدُ الفأسَ ، وذهبَ إلى قَطْعِ الشَّجرةِ ، فعارضَه إبليسُ في الطَّريق ، وتحاوَرَ معه ، وتجاذَبا ، فصرعَه إبليسُ ، وجلسَ على

---

(١) عجائب المخلوقات (٢٣٥) .

صَدرِه ، وقال له : إِن لم ترجع عن قَطْعِها ، وإلاّ ذَبَحتُك ؛ فقال له العابدُ : خَلِّ عنّي ، وأَخبرْني كيفَ غَلَبْتَني ؟ فقال له : لمّا غَضِبْتَ لله غلبتَنيْ ، ولمّا غضبتَ لنفسِكَ غلبتُك .

ومنها أَشياءُ كثيرةٌ ليس هذا مَحَلُّ استيفائها . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] .

فصلٌ

في المُتَشَيْطِنَةِ ؛ وهم أَنواعٌ كثيرةٌ

- منها : **الوَلْهان**[١] : يوجدُ في جَزائر البِحار على صُورة الإنسان .

حَكى بعضُ المسافرين أَنَّه عَرَضَ لِمركبٍ وهو راكبٌ على نَعامةٍ ، يريدُ أَخْذَ المركبِ ، وصاحَ بهم صيحةً عظيمةً خرّوا منها على وُجوهِهم ، وأَخذ بعضَ مَن في المركبِ .

- ومنها **السِّعلاةُ**[٢] : يُحكى أَنَّ صِنْفاً منها يَتَزَيّا بِزِيِّ النِّساء ، ويتراءى للرِّجال .

وحُكي أَنَّ بعضَهم تزوَّجَ امرأَةً منهنَّ وهو لا يعلمُ ، فأَقامت معه مدَّةً ، وولَدت منه أَولاداً ذُكوراً وإِناثاً ، فلمّا كانت ذاتَ ليلةٍ صعدَت معه السَّطح ، فنظَرت ، فرأَت ناراً من بُعدٍ عند الجبّانة ، فاضطَربت ، وقالت : أَلَم تَرَ نيرانَ السَّعالي ؟ وتغيَّرَ لونُها ، وقالت : بَنُوك وبَناتك ، أُوصيك بهم خيراً ؛ ثم طارَت ولم تعدْ إِليه .

---

(١) عجائب المخلوقات (٢٣٧) .

(٢) عجائب المخلوقات (٢٣٦) .

• ومنها نوعٌ يُقال له : **المُذهب**[1] ، يخدمُ العُبّادَ ، ومَقصودُه بذلك أَن يُعجبوا بأَنفسهم .

وحُكي أَنَّ بعضَ العُبّادِ نزلَ صومعةً يتعبَّد فيها ، فأَتاهُ شخصٌ بسراجٍ وطعامٍ ، فتعجَّب العابدُ من ذلك ، فقال له شَخصٌ بالصَّومعة : إِنه المُذهبُ ، يريدُ أَنْ يُخَيِّلَ لك أَن ذلك من كرامتكَ ، واللهِ إِنِّي لأَعلمُ أَنَّه شيطانٌ[2] .

وقال بعضُ الصُّوفيَّة : المُذهبُ : أَصنافٌ ، منهم مَن يَحملُ الفانوسَ بين يَدي الشَّيخ ، ومنهم مَن يأتيهِ بالطَّعام والشراب ، وغير ذلك ومنهم من ينشدُ الشِّعر .

• وقال[3] بعضُ المسافرين : أَبَقَ لي غُلامٌ ، فخرجتُ في أَثره ، فإِذا أَنا بأَربعةٍ يتناشَدون شِعر الفَرزدق وجَرير . قال : فدنوتُ منهم ، وسلَّمتُ عليهم ، فقالوا : أَلك حاجةٌ ؟ فقلتُ : لا ؛ فقال بعضُهم : تُريد غُلامَك ؟ قلتُ : وما أَعلمَك بغُلامي ؟ قال : كَعِلْمي بجَهْلِكَ . قلتُ : أَوَ جاهلٌ أَنا ؟ قال : نَعم ، وأَحمق . قال : ثم غابَ وأَتاني بالغُلام مُقَيَّداً ، فلمّا رأَيتُه غُشي عليَّ ، فلمّا أَفقتُ قال : انفخْ في يَده ؛ ففعلتُ ، فانفرجَ القَيْدُ عنه ، وصرتُ لا أَنفخُ في شيءٍ من ذلك ولا في وَجَعٍ من الأَوجاع إِلاّ بَرِىءَ ؛ وخلصَ صاحُبه .

• ومنها نوعٌ يُقال له : **العِفريت**[4] : يخطفُ النِّساء . يقال : إن رجلاً اختطفت ابنته في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .

---

(١) عجائب المخلوقات (٢٣٧) .

(٢) كذا في الأصول وهو اختصار مخلٌّ عن القزويني ، والخبر كما ورد فيه : إنَّ بعضَ العُبّاد نزل به ضيفٌ ، وأَقام عنده أَيّاماً ، لم يرَ في صومعةِ العابدِ أَحداً ، وكان يرى كلَّ ليلةٍ عند الإِفطار منارةً ومَسرجةً وخِواناً عليه طعامٌ ، فعجب الضَّيفُ من ذلك ، وسأَل العابد عنه ، فأَعرضَ عن جوابه ، فأَلحَّ عليه ، فقال : اعلمْ أَنَّ هذا منذ مدَّةٍ يأتيني به شيطانٌ يريدُ أَن أَحملَه على كراماتي ، وأَنا أَعلم أَنَّه من الشَّيطان من أَوَّل يومٍ ، فعند ذلك انطفأَ السِّراجُ وزالَ الطَّعام .

(٣) عجائب المخلوقات (٢٤١) . وأبق : هرب .

(٤) حياة الحيوان (٢/ ٣٢) .

● وقال[1] بعضُ المسافرين : بينَما نحنُ سائِرون ذاتَ ليلةٍ إذ عرضَ لي قضاءُ الحاجة ، فانفردتُ عن رُفْقَتي ، وضَللتُ عنهم ، فبينَما أَنا سائرٌ في أَثرهم إذ رأَيتُ ناراً عظيمةً وخَيْمَةً ، فجئبتُ إلى جانبها ، وإذا أنا بجاريةٍ جميلةٍ جالسةٍ فيها ، فسأَلتُها عن حالِها ، فقالَت : أَنا من فَزارة ، اختَطفني عِفريتٌ يُقال له : ظَليم ، وجَعلني هٰهنا ، فهو يَغيبُ عنّي باللَّيل ، ويأتيني بالنَّهار ؛ فقلتُ لها : امضي مَعي ؛ فقالت : أَهلكُ أَنَا وأَنت ؛ فإِنَّه يَتبعنا ويأتينا ، فيأخذُني وَيقتلك ؛ فقلتُ : لا يَستطيعُ أَخْذَكِ ولا قَتْلي ؛ وما زلتُ أُرَدِّدُها الحديثَ حتَّى رَضِيَت ، فأَنَخْتُ لها ناقَتي ، فركبتُها ، وسِرتُ بها حتَّى طلعَ الفَجر ، فالتفتُّ ، فإذا أَنا بشخصٍ عظيمٍ مُهْولٍ قد أَقبل ، ورِجلاهُ تَخُطّان في الأَرض ؛ فقالت : ها هو قد أَتانا ؛ فأَنختُ ناقَتي وخَطَطْتُ حَوْلَها خَطّاً ، وقرأَتُ آياتٍ من القُرآن ، وتعوّذتُ باللهِ العظيمِ ؛ فتقدَّم وأَنشدَ يقولُ : [من الرجز]

يـا ذا الَّـذي لِلْحَيْـنِ يَـدْعُـوهُ القَـدَرْ
خَـلِّ عـن الحَسْنـاءِ رِسْـلاً ثُـمَّ سِـرْ
إِنِّـي امـرؤٌ مـالِـكُ خَيْـرٍ فـاصْطَبِـرْ[2]

قال : فأَجبتُه :

يـا ذا الَّـذي لِلْحَيْـنُ يَـدعُـوهُ الحُمُـقْ
خَـلِّ عــن الحَسْنــاءِ رِسْــلاً وانْطَلِـقْ
مـا أَنْـتَ فـي الجِـنِّ بـأَوَّلِ مَـن عَشِـقْ

قال : فَتَبَدَّى لي في صُورة أَسَدٍ ، وجاذَبني وجاذَبتُه ساعةً ، فلم يظفرْ أَحدٌ منا بِصاحبه ؛ فلمّا أَيسَ منِّي قال : هل لك في جَزِّ ناصِيَتي ، أَو إِحدى ثلاثِ

---

(١) عجائب المخلوقات (٢٤٠) عن رجل من بني الحارث .
(٢) روايته في ط : وإن تكنْ ذا خِبْرَةٍ فينا اصطبرْ .

خِصالٍ ؟ قلتُ : وما هُنَّ ؟ قال : مئتان من الإبل ، أو أَخدمك أيَّام حياتي ، أَو أَلف دينار السّاعة ؛ وخَلِّ بيني وبين الجارية ؛ فقلتُ : لا أَبيعُ دِيني بدُنياي ، ولا حاجةَ لي بخدمتك ، فاذهبْ من حيثُ أَتيت . قال : فانطلقَ ، وهو يتكلَّمُ بكلامٍ لا أَفهمُه ؛ وسِرْتُ بالجاريةِ إلى أَهلها ، وتَزَوَّجْتُ بها ، وجاءَني منها أَولادٌ .

• وقيل : لمّا سَخَّر الله تعالى الجِنَّ لسُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام نادى جِبريل عليه السَّلام : أَيُّها الجِنُّ ، أَجيبوا نَبِيَّ الله سُليمان بن داود بإذن الله تعالى ؛ قال : فخرجَت الجِنُّ والشَّياطينُ من الجبال والكهوفِ والغِيران والأَودية والفَلَوات والآجام ، وهم يقولون : لبَّيك لَبَّيْك ؛ والملائكةُ تَسوقُهم سوقَ الرَّاعي للغَنم ، حتَّى حُشِرَتِ بين يَدَي سُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام طائعةً ذليلةً ، وكانوا إذا ذاك أَربعاً وعشرين فرقةً ، فنظرَ إلى أَلوانها ، فإذا هي سُودٌ وشُقْرٌ ورُقْطٌ وبِيْضٌ وصُفْرٌ وخُضْرٌ ، وعلى صُوَرِ جميعِ الحيوانات ، ومنهم من رأسُهُ رأسُ أَسَدٍ وبَدَنُه بَدَنُ الفِيل ، ومنهم مَن له خُرطومٌ وذَنَب ، ومنهم مَن له قُرونٌ وحَوافر ، وغير ذلك من الأَنواع .

قال : فعند ذلك تعجَّب نبيُّ الله سُليمان عليه الصَّلاة والسَّلام من هذه الأَشكال ، وسَجد شُكراً لله تعالىٰ ، وقال : إلٰهي ، أَلْبِسْني هيبةً من عِندك ؛ وجعلَ يسأَلُهم عن طِباعهم ، وعن طَعامهم وشَرابهم ، وهم يُجيبونَه ، ثم فَرَّقهم في الصَّنائع : مِن قَطْعِ الصُّخورِ والأَحجار والأَشجار ، والغَوْصِ في البِحار ، وأَبنية الحُصون ، وفي استِخراج المعادن والجَواهر .

قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٩] .

ونكتفي من ذلك بهذا القَدْر اليَسير ، واللهُ المسؤول في تيسيرِ كلِّ عَسيرٍ ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد ، وعلى آله وصَحبه وسلَّم .

البابُ الخامسُ والسِّتُّونَ

في ذِكر البحار ، وما فيها من العَجائب ، وذِكر الأَنهار والآبار وفيه فصول

الفصل الأوَّل

في ذِكر البحار

• رُوي عن ابن عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما أَنَّه قال : لمّا أَراد الله تعالى أَن يخلقَ الماءَ ، خَلَقَ ياقوتةً خضراءَ لا يَعلمُ طولَها وعرضَها إِلاّ اللهُ سُبحانه وتعالى ، ثم نظرَ إِليها بعينِ الهَيْبَة ، فذابَت وصارَت ماءً ، فاضطربَ الماءُ ، فخلَقَ الرِّيحَ ووضَع عليها الماءَ ، ثم خلَق العَرْشَ ووضَعه على مَتْنِ الماءِ ؛ وعليه قولُه تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود : ٧] .

• واعلمْ أَنَّ بحرَ الظُّلمات لا يَدخلُه شمسٌ ولا قَمَر ، وأَنَّ بحرَ الهندِ خليجٌ منه ، وبحرَ فارس خليجٌ منه ؛ وكلُّ هذه البحار الَّتي ذكرتُها أَصلُها من البَحر الأَسود الَّذي يُقال له : البحرُ المحيط .

وأَمّا بحرُ الخَزَر وبَحر خُوارَزم ، وبَحر أَرمينيَّة ، والبحرُ الَّذي عند مدينة النُّحاس ، وغير ذلك من البحار الصِّغار فهي مُنقطعةٌ عن البحرِ الأَسود ، ولذلك ليس فيها جَزْرٌ ولا مَدٌّ .

• وقيل : سُئل النَّبيُّ ﷺ عن الجَزْرِ والمَدِّ ، فقال : « هو مَلَكٌ عالٍ قائمٌ بين البَحرين ، إِن وَضَعَ رِجْلَهُ في البَحر حَصَلَ له المدُّ ، وإِذا رَفعها حَصَلَ له الجَزْرُ » .

• وقيل : إِنَّما سُمِّي البحرَ الأَسودَ ، لأَنَّ ماءَه في رأْي العين كالحِبْر الأَسود ؛ فإن أَخذَ منه الإِنسانُ في يَده شيئاً رآه أَبيضَ صافياً ، إلاّ أَنَّه أَمَرُّ من الصَّبرِ ، مَالحٌ شديدُ المُلوحة .

فإذا صار ذلك الماء في بَحر الرَّوم تَراه أَخضرَ كالزِّنْجار ، والله تعالى يَعلم لأَيِّ شيءٍ ذلك .

وكذلك يُرى في بَحر الهندِ خليجٌ أَحمرُ كالدَّم ، وبَحرٌ أَصفرُ كالذَّهب ، وخليجٌ أبيضُ كاللَّبن ؛ تتغيَّرُ هذه الأَلوانُ في هذه المواضِع ، والماءُ في نفسِه أَبيضُ صافٍ ؛ وقيل : إنَّ تَغيُّر الماءِ بلونِ الأَرض .

• وأمّا[1] ما يَخرجُ من البَحر من السَّمك وغَيره ؛ فقد رُوي عن جابرٍ بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى ساحلِ البحرِ ،وأَمَّر علينا أَبا عُبيدة رضي الله تعالى عنه ، نَتَلقَّى عِيْرَ قُريش ، وزوَّدَنا جِراباً من تَمْرٍ لم يجد لنا غيرَه ، فكان أَبو عُبيدة يُعطينا تَمرةً تمرةً ، نَمُصُّها ثم نشربُ عليها الماءَ ، فتكفينا يومَنا إلى اللَّيل ، فأَشْرَفْنا على ساحلِ البحرِ ، فرأَينا شيئاً كهيئةِ الكَثيبِ الضَّخمِ ، فأَتيناه ، فإذا هو دابَّةٌ من دوابّ البحر تُدعى العَنبر ، فأَقمنا شهراً نأكلُ منها ، ونحن ثلاثمئة ، حتَّى سَمِنّا ، ولقد رأَيْتُنا نغترفُ من الدُّهنِ الَّذي في وَقْبِ عَينيها بالقِلال ، ونقطعُ منه القِطعة كالثَّور ، ولقد أَخذ مِنّا أَبو عُبيدة ثلاثةَ عشرَ رجلاً فأَقعدهم في وَقْبِ عَيْنِها ، وأَخَذ ضِلْعاً من أَضلاعها ، فأَقامها ، ثم رحلَ أَعظمَ بعيرٍ معنا ، فمرَّ من تَحتها ؛ وتزوَّدْنا من لَحمها ، فلمّا قَدِمنا المدينة ذَكَرْنا لرسولِ الله ﷺ ذلك ، فقال : « هو رِزْقٌ أَخرجَه الله لكم ، فهل معكم شيءٌ من لَحمها ، فَتُطْعمونا ؟ » فأَرسلنا له منه ، فأَكله .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٣٧) .

• وقيل : يخرجُ من البحر سمكةٌ عظيمةٌ ، فتتبعها سمكةٌ أُخرى أَعظمُ منها لتأكلَها فتهربُ منها إلى مَجمع البَحرين ، فتتبعُها ، فيضيقُ عليها مَجمع البحرين ، لِعِظَمِها وكِبَرِها ، فترجعُ إلى البحر الأَسود ؛ وعرضُ مَجمع البحرين مئة فرسخٍ ؛ فتباركَ الله ربُّ العالمين .

• وقال صاحبُ « تُحفة الأَلباب »[1] : ركبتُ في سَفينةٍ مع جماعة ، فدخَلنا إلى مَجمع البحرين ، فخرجَت سمكةٌ عظيمةٌ مثلُ الجَبَل العظيم ، فصاحَت صيحةً عظيمةً لم أَسمع قطُّ أَهْوَلَ منها ولا أَقوى ، فكادَ قلبي ينخلعُ ، وسقطتُ على وَجهي أَنا وغيري ، ثم أَلقَت السَّمكةُ نفسَها في البَحر ، فاضطربَ البحرُ اضطراباً شَديداً ، وعَظُمَت أَمواجُه ، وخِفْنا الغَرَقَ ، فنجّانا الله تعالى بفَضله .

وسمعتُ الملاّحين يقولون : هذه سَمكةٌ تُعرفُ بالبَغل .

• قال[2] : ورأَيتُ في البحرِ سمَكةً كالجَبَل العظيمِ ، ومِن رأْسِها إلىٰ ذَنَبها عِظامٌ سُودٌ كأَسنان المِنْشار ، كلُّ عَظْمٍ أَطولُ من ذِراعين ، وكان بَيننا وبينَها في البحرِ أَكثر من فَرْسَخٍ ، فسمعتُ الملاّحين يَقولون : هذه السَّمكةُ تُعرفُ بالمِنْشار ، إذا صادَفتْ أَسفلَ السَّفينة قَصَمَتْها نِصفين .

• ولقد سمعتُ أَنا مَن يَقولُ : إنَّ جماعةً ركبوا سَفينةً في البحر ، فأَرْسَوا علىٰ جزيرةٍ ، فخَرجوا إلىٰ تلك الجزيرة ، فغَسلوا ثِيابهم واستَراحوا ، ثم أَوْقَدوا ناراً لِيطبخوا ، فتحرَّكت الجزيرةُ ، وطلَبت البحرَ ، وإذا بها سَمكةٌ ؛ فسُبْحان القادرُ علىٰ كلِّ شيءٍ ، لا إلٰه إلاّ هو ، ولا مَعبودَ سِواه .

• وقيل : إنَّ في البحرِ سَمكةً تُعرف بالمَنارة لِطولها ؛ يُقال : إنَّها تخرجُ من البَحر إلىٰ جانب السَّفينة ، فَتُلقي نفسَها عليها ، فَتَحْطِمُها ، وتُهلكُ مَن فيها ،

---

(١) عجائب المخلوقات (٩٥) .
(٢) عجائب المخلوقات (٩٢) .

فإذا أَحسَّ بها أَهلُ السَّفينة صاحوا وكبَّروا وضَجُّوا ، وضَربوا الطُّبولَ ، ونَقروا الطُّسُوتَ والسُّطولَ والأَخشاب ، لأَنَّها إذا سَمعت تلكَ الأَصوات رُبَّما صَرَفَها الله تعالىٰ عنهم بفَضله ورَحمته .

● وقال الشَّيخ عبد الله صاحب « تُحفة الأَلباب » : كنتُ يوماً في البحر علىٰ صَخرة ، فإذا أَنا بِذَنَبِ حَيَّةٍ صَفراء مُنَقَّطةٍ بسَواد ، طولُها مقدارُ باع ، فطلبتْ أَن تَقبضَ علىٰ رِجْلي ، فتباعدتُ عنها ، فأَخرجَت رأسَها كأَنَّه رأسُ أَرنب من تحت تلك الصَّخرة ، فَسَلَلْتُ خِنجراً كبيراً كان معي فطَعنتُ به رأسَها ، فغارَ فيه ، فلم أَقدر علىٰ خَلاصه منها ، فأمسكتُ نِصابه بيديَّ جميعاً ، وجعلتُ أَجُرُّه حتَّىٰ أَلصقتُها ببابِ الجُحر ، فتركَتِ الجُحْرَ ، وخرجَت من تحت الصَّخرة ، فإذا هي خَمسُ حيّاتٍ في رأسٍ واحد ، فتعجَّبتُ من ذلك ، وسأَلت مَن كان هناك عن اسمِ هذه الحيَّة ، فقال : هذه تُعرف بأُمِّ الحيَّات ؛ وذَكروا أَنَّها تقبضُ علىٰ الآدميِّ في الماء ، فتُمسكه حتّىٰ يموتَ وتأكلُه ، وأَنها تَعظُم حتّىٰ تكونَ كلُّ حَيَّةٍ أَكثر من عِشرين ذِراعاً ، وأَنَّها تَقلبُ الزَّوارق ، وتأكلُ مَن قَدرت عليه من أَصحابها ، وأَنَّ جِلدها أَرَقُّ من جِلْدِ البَصَل ، ولا يُؤَثِّر فيها الحديد شيئاً[١] .

● قال : ورأَيتُ مرَّةً في البحرِ صخرةً عليها شيءٌ كثيرٌ من النَّارنج الأَحمر الطَّريِّ الّذي كأَنَّه قُطِعَ من شَجرة ، فقلتُ في نفسي : هذا قد وَقَعَ من بعضِ السُّفن ؛ فذهبتُ إليه ، فقبضتُ منه نارنجةً ، فإذا هي ملتصقةٌ بالحَجَر ، فجذَبتُها ، فإذا هي حيوانٌ يتحرَّكُ ويضربُ في يدي ، فلففتُ يَدي بِكُمِّ ثَوبي ، وقبضتُ عليه وعَصَرْتَه ، فخرجَ من فيهِ مياهٌ كثيرةٌ ، وضَمر ، فلم أَقدر أَن أَقلعَه من مكانه ، فتركتُه عَجزاً عنه ؛ وهو من عَجائب خَلْق الله تعالىٰ ، وليسَ له عَيْنٌ

---

(١) لعله أراد الأخطبوط .

ولا جارحَةٌ إلاّ الفَم ؛ والله سُبحانه وتعالىٰ أَعلم لأيِّ شيء يَصلحُ ذلك .

● قال : ولقد رأَيتُ يوماً علىٰ جانب البحر عُنقودَ عِنَبٍ أَسود ، كبيرِ الحَبّ ، أَخضر العُرجون ، كأَنَّما قُطِفَ من كَرْمِهِ ، فأَخذتُه ، وكان ذلك في أَيّام الشِّتاء ، وليس في تلك الأرض الَّتي كنتُ فيها عِنَبٌ ، فَرُمْتُ أَن آكُلَ منه ، فقبضتُ علىٰ حَبَّةٍ منه ، وجذَبتُها ، فلم أَقدرْ أَن أَقلعَها من العُنقود ، حتَّىٰ كأَنَّها من الحديدِ قُوَّةً وصَلابةً ، فجذبتُها جذبةً أَقوىٰ من الأُولىٰ ، فانقَشرت قِشرةٌ من تلك الحَبَّةِ كقِشر العِنَبِ ، وفي داخِلها عَجَمٌ كعَجَمِ العِنَبِ ، فسأَلتُ عن ذلكِ ، فقيل لي : هذا من عِنَبِ البَحر ، ورائحتُه كرائحةِ السَّمك .

● وفي البحر أَيضاً حيوانٌ رأسُه يُشبه رأسَ العِجْل ، وله أَنيابٌ كأَنياب السِّباع ، وجِلْدُهُ له شَعرٌ كشَعر العِجْل ، وله عُنُقٌ وصَدْرٌ وبَطْنٌ ، وله رِجلان كرجلي الضِّفدع ، وليس له يَدان ؛ يُعرف بالسَّمك اليَهوديّ ؛ وذلك أَنَّه إذا غابَت الشَّمسُ ليلةَ السَّبتِ يخرجُ من البحر ويُلقي نفسَه في البَرِّ ولا يتحرَّك ، ولا يأكلُ ، ولو قُتِل ، ولا يدخلُ البحر حتَّىٰ تغيبَ الشَّمسُ ليلة الأَحد ، فحينئذ يدخلُ البحر ، ولا تَلحقُه السُّفُن لِخِفَّته وقُوَّتِه ؛ وجِلْدُهُ يُتَّخَذُ منه نَعْلٌ لصاحبِ النِّقْرِس ، فلا يجدُ له أَلماً ما دام ذلك الجِلْدُ عليه ، وهو من العَجائب .

● وقيل : إنَّ في بَحر الرُّوم سَمَكاً طويلاً ، طولُ السَّمكة مئة ذِراعٍ وأَكثر ، وله أَنيابٌ كأَنيابِ الفيلِ ، تُؤخذُ وتُباع في بلاد الرُّوم ، وتُحمل إلىٰ سائرِ البلاد ، وهي أَحسن وأَقوىٰ من أَنياب الفيل ؛ وإذا شُقَّ النّابُ منها يظهرُ فيه نُقوشٌ عجيبةٌ ، ويُسَمُّونه الجَوهر ، ويَتَّخِذون منه نُصُباً للسَّكاكين ، وهو مع قُوَّتِه وحُسْنِ لونه ثَقيلُ الوزن كالرَّصاص .

● وفي البحر أَيضاً سَمَكٌ يُسَمَّىٰ الرَّعّاد ، إذا دخلَ في شبكةٍ ، فكُلُّ مَن جَرَّ تلك الشَّبكة أَو وضعَ يدَه عليها أَو علىٰ حَبْلٍ من حِبالها تأخُذه الرِّعدةُ حتّىٰ لا يملكَ من نَفسه شيئاً ، كما يرعدُ صاحبُ الحُمَّىٰ ، فإذا رفعَ يدَه زالت عنه

الرِّعدةُ ، فإن أَعادها عادَت إليه الرّعدة ؛ وهذا أَيضاً من العَجائب ، فسُبحان الله جَلَّت قُدرته .

• وقال صاحبُ « تُحفة الأَلباب » : حدَّثني الشَّيخ أَبو العبّاس الحِجازي ، قال : حدَّثني رجلٌ يُعرف بالهاروني ، من وَلَد هارون الرَّشيد ؛ أَنَّه رَكِبَ سَفينةً في بَحر الهِند ، فرأَىٰ طاووساً قد خرجَ من البَحر أَحسنَ من طاووس البَرّ وأَجمل أَلواناً ؛ قال : فكبَّرنا لِحُسْنِهِ ، فجعلَ يَسبحُ وينظرُ لِنفسه ، وينشرُ أَجنحته ، وينظرُ إِلىٰ ذَنَبِهِ ساعةً ، ثم غاصَ في البَحر .

• وفي[1] البحرِ دابَّة يُقال لها : الدُّخَس ، تُنجي الغَريق ، لأَنّها تَدنو منه حتَّىٰ يَضعَ يدَه علىٰ ظَهرها ، فيستعينُ بالاتّكاءِ عليها ، ويَتعلَّق بها ، فتَسبحُ بِهِ حتَّىٰ يُنجيه الله بقُدرته ؛ فسُبحان مَن دَبَّر هذا التَّدبير اللَّطيف ، وأَحكمَ هذه الحِكمة البالغةَ .

• وزَعموا[2] أَنَّ السَّمكَ يَتَّجِهُ نحو الغِناء والصَّوتِ الحَسَنِ ، ويَصبو لِسَماعه .

ورُبَّما قيلَ : إِنَّ بعضَ الصَّيّادين يَحفرون في البحرِ حَفائر ، ثم يَجلسونَ ، فَيَضربون بالمعازِفِ وآلات الطَّرَبِ ، فيجتمعُ السَّمكُ ، ويَقعُ في تِلك الحفائِر .

• وقيل[2] : إِنَّ الدُّلفين وأنواعَ السَّمك إِذا سَمعت صوتَ الرَّعد هَربت إِلىٰ قَعر البحر .

• وقيل[3] : إِنَّ خيلَ البحر تُوجد بِنِيل مِصر ؛ وهي صِفَةُ خَيل البَرِّ .

وقيل : إِنَّها تأكلُ التَّماسيحَ ، ورُبَّما خرجَت فَرعَت الزَّرْعَ ، وإذا رأَىٰ أَهلُ مِصر أَثَرَ حَوافِرِها حَكموا أَنَّ ماءَ النِّيل يَنتهي في طُلوعه إِلىٰ ذلك المكان .

---

(١) ربيع الأبرار (٥/ ٤٤٠) . والدُّخَس : هو الدّلفين .
(٢) ربيع الأبرار (٥/ ٤٤٠) .
(٣) ربيع الأبرار (٥/ ٤٣٨) .

• وقيل : إنَّ في البَحر المحيطِ شيئاً يتراءىٰ كالحُصون ، فيَرتفعُ علىٰ وَجه الماء ، ويَظهرُ منه صُوَرٌ كثيرةٌ ، ويَغيبُ .

• ومن عَجيب ما حُكيَ أَنَّ فيه جَزيرة فيها ثلاثُ مُدُنٍ عامِرة ، وهي كثيرةُ الأَمطارِ ، وأَهلُها يَحصدُون زَرْعَها قبل جَفافه لِقِلَّة طلُوع الشَّمس عندَهم ، ويَجعلونَه في بيتٍ ويُوقدون حَولَه النِّيران حتَّىٰ يَجفَّ ؛ وعَجائبه لا تُحصىٰ ، ولا يُمكن حَصْرُها .

• ويُقال : إنَّ الإسكندرَ لمَّا سارَ إلىٰ بَحر الظُّلمات ، مَرَّ بِجزيرةٍ بها أُمَّةٌ رُؤوسهم مثلُ رُؤوس الكِلاب ، يَخرجُ من أَفواههم مثلُ لهبِ النَّار ، وخَرجوا إلىٰ مَراكبه ، وحارَبوه ، ثم تخلَّص منهم وسارَ ، فرأَىٰ صُوَراً مُتلَوِّنَةً بألوانٍ شَتّىٰ ، وسَمَكاً طولُه مئة ذِراع ، وأكثر ، وأَقلّ ؛ فسبُحان الله تعالىٰ ما أكثر عجائب خَلْقه .

• ويُقال : إنَّه مَرَّ في بعضِ الجَزائر علىٰ قَصْرٍ مَصنوعٍ من البِلّور ، علىٰ قلعةٍ مُحكمةِ البِناء ، وحولَها قَناديل لا تُطفأ .

• ومن جزائر البحر : جزيرةُ القَمر[١] ، يُقال : إنَّ بها شَجَراً ، طُولُ الشَّجَرة مئتا ذِراعٍ ، ودَور ساقِها مِئة وعشرون ذِراعاً ؛ وبها طوائفُ مِن السُّودان عَرايا الأَبدان ، يلتحِفون بِوَرَقِ الشَّجَر ، وهو وَرَقٌ يُشبهُ وَرَق المُوز ، لكنَّه أَسمكُ وأَعرضُ وأَنعمُ .

ويُقال : إنَّ هذه الجزيرة بالقُرب من نِيل مِصر ، وإنَّ هذه الأُمَّة الَّتي بها يَتَمَذهبون بمَذهب الإمام الشّافعيِّ رضي الله تعالىٰ عنه ، وهم في غايةِ اللَّطافة ، من الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر ؛ وبالقُرب منهم مَعدن الذَّهب

---

(١) لعلها جمهورية جزر القمر ، بين رأس مدغشقر وموزامبيق .

والياقوت ، وبها الفِيَلَة البِيض ، وحَيوانات مُختلفةُ الأَشكال من الوُحوش وغيرها ، وبِها العُود القَماري والآبنوس والطَّواويس ، وبها مُدُنٌ كثيرةٌ .

• ومنها[1] جزيرة الواق واق ، خلفَ جَبَلٍ يُقال له : اصطَفيون ، داخلَ البحر الجنوبيّ ، ويُقال : إنَّ هذه الجزيرة كانت مَلِكَتُها امرأَة ، وإنَّ بعضَ المسافرين وصلَ إليها ودَخلها ، ورأىٰ هذه المَلِكَة ، وهي جالِسَةٌ علىٰ سَرير [عاريةً] ، وعلىٰ رأسِها تاجٌ من ذَهَبٍ ، وحولَها أَربعمئة وَصيفةٍ كُلُّهن أَبكار .

وفي هذه الجزيرة من العَجائب شَجَرٌ يُشبه شَجَرَ الجَوز ، وخِيار الشَّنبر ، ويَحمل حَمْلاً كهيئة الإنسان ، فإذا انتهىٰ سُمِع له تَصويتٌ يُفهم منه واق واق ، ثم يسقُط .

وهذه الجزيرةُ كثيرةُ الذَّهب ، حتَّىٰ قيل : إنَّ سلاسلَ خِيَمِهم ومَقاودَ كِلابهم وأَطواقَها من الذَّهبِ .

• ومنها جزيرة الصِّين ، يقال : إنَّ بها ثلاثمئة مدينة ونَيِّفاً سوىٰ القُرىٰ والأَطراف ، وأَبوابها اثنا عشرَ باباً ؛ وهي جبال في البَحر بينَ كُلِّ جَبَلين فُرْجَةٌ ، وهذه الجبالُ تَمُرُّ بها المراكبُ مَسيرةَ سبعةِ أَيّام ، وإذا جاوَزَتِ السَّفينةُ الأَبوابَ سارت في ماءٍ عَذْبٍ حتّىٰ تصلَ إلىٰ الموضع الَّذي تُريده ؛ وفيها من الأَودية والأَشجار والأَنهار ما لا يُمكن وَصْفَه ؛ فتبارك الله ربُّ العالمين .

• وقيل[2] : إنَّ الإسكندر[3] لمّا فرغَ من بناءِ سَدِّه ، حمدَ الله تعالىٰ وأَثنىٰ عليه ، ثم نام ، وإذا بِحَيوان عظيمٍ صعدَ من البَحر إلىٰ أَعلىٰ وسَدَّ الأُفق ، فظنَّ مَن حولَ الملِك أَنَّه يريدُ ابتلاعَهم ، ففَزِعوا ، فانتبهَ ، فقال : ما لكم ؟ فقالوا

---

(١) عجائب المخلوقات (٨٠) .
(٢) عجائب المخلوقات (٩٧) .
(٣) كذا في الأصول وهو خطأ ، صوابه : كسرىٰ أنوشروان .

له : انظرْ ما حَلَّ بنا ؛ فقال : ما كان الله ليأخذَ نَفْساً قبل انقضاءِ أَجَلِها ، وقد مَنَعني من العَدُوّ فلا يُسَلِّطُ عليَّ حيواناً من البَحر .

قال : فإذا بالحيوانِ قد دنا من الملِك ، وقال : أَيُّها الملِك ، أَنا حيوانٌ من هذا البَحر ، وقد رأَيتُ هذا السَّدَّ بُني وخَرِبَ سبعَ مرّات ؛ ولم يزدْ علىٰ ذلك ، ثم غابَ في البحر ؛ فتباركَ مَن له هذا المُلك العظيمُ ، لا إِلّه إِلاّ هو العزيز الحكيم .

• وقيل : إِنَّ بجزيرة النَّسناسِ باليَمن مدينةً بين جَبَلين ، وليس لها ماءٌ يدخل فيها إِلاّ من المطر ، وطولُه نحو ستَّة فراسِخ ، وهي حَصينةٌ ذات كُرومٍ ونَخيلٍ ، وأَشجارٍ ، وغير ذلك ، وإِذا أَراد إِنسانٌ الدُّخولَ فيها حُثِيَ في وَجْهِهِ التُّرابُ ، فإِن أَبى إِلاّ الدُّخولَ خُنِقَ أَو صُرِع .

وقيل : إِنَّها مَعمورةٌ بالجانِّ ، وقيل : بِخَلْقٍ من النَّسناسِ ، ويُقال : إِنَّهم من بقايا عادٍ الَّذين أَهلكهم الله بالرِّيح العقيمِ ؛ وكُلُّ واحدٍ منهم شِقُّ إِنسانٍ .

• ونُقل[١] عن بعض المسافرين أَنَّه قال : بَينما نحنُ سائرون إِذ أَقبلَ علينا اللَّيلُ فَبِتْنا بوادٍ ، فلمّا أَصبحَ الصَّباح سَمعنا قائلاً يقولُ من الشَّجرة : يا أَبا بجير ، الصُّبح قد أَسفر ، واللَّيلُ قد أَدبرَ ، والقَنّاصُ قد حَضَر ، فالحذَرَ الحذرَ .

قال : فلمّا ارتفعَ النَّهار أَرسلنا كَلْبين كانا معنا نحو الشَّجرة ، فسمعتُ صوتاً يقول : ناشَدتُك الله . قال : فقلتُ لرفيقي : دَعْهما . قال : فلمّا وثقا بنا نَزلا هاربَين ، فتبَعهما الكلبان وجدّا في الجَرْي ، فأَمسكا شخصاً منهما . قال : فأَدركناه وهو يقول : [من الرجز]

الـوَيْـلُ لـي مِمّـا بِـهِ دَهـانـي ... دَهْـري مِـن الهُمـومِ والأَحـزانِ

(١) مروج الذهب (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) .

قِفَـــا قليـــلاً أيُّهَـــا الكَلْبَـــانِ   إلـــى مَتـــى إلـــيَّ تَجـــريـــانِ[1]

قال : فأَخذناه ورَجعنا ، فذَبحه رفيقي وشَواه ، فَعِفْتُه ولم آكُل منه شيئاً ؛ فتبارك الله ما أَكثر عجائب خَلْقه . لا إِلَه إلاّ هو ، ولا مَعبود سِواه .

الفصل الثّاني

في ذِكر الأَنهار والآبار والعُيون

● قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٢١] .

قال المفسِّرون : هو المطَر ؛ ومعنى سَلَكَه : أَدخله في الأرض ، وجَعله عُيوناً ومَسايل ومَجاري كالعُروق في الجسد .

فمن الأَنهار ما هو من الأَمطار المجتمعة ، ولهذا يَنقطعُ عند فَراغِ مادَّتِهِ ، ومنها ما يَنبعُ من الأرض .

وأَطولُ ما يكون من الأَنهار أَلفُ فرسَخٍ ، وأَقصره عَشرة فراسخَ إِلى اثنين وثلاثة ، وبين ذلك ؛ وكلُّها تَبتدىءُ من الجِبال وتَنتهي إِلى البحار والبَطائح ؛ وفي مَمَرِّها تَسقي المُدن والقُرى ، وما فضلَ منها ينصبُّ في البحر المالحِ ويَختلطُ به ؛ ولا يمكنُ استيفاءُ عدَدها ، لكنّا نُشير إِلى بعضها ، فنقول :

● **النِّيلُ المبارك**[2] : ليسَ في الأَنهار أَطولُ منه ، لأَنَّه مسيرةُ شَهرين في بلاد الإِسلام ، وشَهرين في بلاد النُّوبة ، وأَربعةً في الخراب ؛ وقيل : إِنَّ مسافَتَه

---

(١) رواية الشطر الرابع في أ : إليكما كم ذا تجريان ! . ويصحّ الوزن إذا قرأنا : ذاك . وسقط الخبر كله من ب .

(٢) عجائب المخلوقات (١٢٥) ومعجم البلدان (٥/ ٣٣٤) .

من مَنبعه إلى أَن ينصبَّ في البحر الرُّومي أَلف وسَبعمئة فرسخٍ وثمانية وأَربعون فرسخاً . قال ذلك صاحبُ « مَباهج الفِكَر ومَناهج العِبَر » .

واختُلف في زِيادته ، فقيل : إِنَّ الأَنهار والعُيون تمدُّه في الوَقت الَّذي يُريده الله تعالى .

وفي الحديث : « إِنَّه من أَنهار الجنَّة » .

وقال أَهلُ الأَثر : إِنَّ الأَنهار الَّتي من الجنَّة تَخرجُ من أَصلٍ واحدٍ من قُبَّةٍ في أَرض الذَّهب ، ثم تمرُّ بالبحر المحيط ، وتشقُّ فيه .

قالوا : ولولا ذلك لكانت أَحلى من العَسَل ، وأَطيبَ رائحةً من الكافور .

● **نهرُ الفُرات**[١] : يُوجد بأَرض أَرمينيَّة ؛ فَضائله كثيرةٌ ؛ والنِّيلُ أَصدقُ حلاوةً منه ، وبه من السَّمك الأَبيض ما تكونُ الواحدة قِنطاراً بالدِّمشقي .

وطولُ هذا النَّهر من حين يخرجُ من عند مَلَطْيَةَ إلى أَن يأتي إلى بغداد ستّمئة وثلاثون فرسَخاً ؛ وفي وسَطه مُدُنٌ وجَزائر تعدُّ من أَعمال الفُرات .

● **جَيْحون**[٢] : نهرٌ عظيمٌ تَتَّصلُ به أَنهارٌ كثيرة ، ويمرُّ على مُدنٍ كثيرةٍ حتَّى يَصل إلى خُوارزم ؛ ولا ينتفعُ به شيءٌ من البلاد سِوى خُوارزم ، لأَنَّها مُنْسَفِلَةٌ عنه ، ثم يصبُّ في بُحيرةٍ بَينها وبين خُوارزم سِتَّة أَيّام .

وهو يَجمدُ في الشِّتاء خمسةَ أَشهرٍ ، والماءُ يجري من تحتِ الجَمد ، فيحفرُ أَهلُ خُوارزم منه لهم أَماكَن لِيَسْتَقوا منها ؛ وإِذا اشتدَّ جُموده مَرُّوا عليه بالقَوافل والعَجَل المُحَمَّلَةِ ، ولا يَبقى بينَه وبينَ الأَرض فَرْقٌ ، ويَعلوهُ التُّرابُ ، ويَبقى على ذلك شَهرين .

---

(١) عجائب المخلوقات (١٢٤) ومعجم البلدان (٤/ ٢٤١) .

(٢) عجائب المخلوقات (١٢٢) ومعجم البلدان (٢/ ١٩٦) .

• **سَيْحون**[١] : نهرٌ عظيمٌ ؛ قيل : إِنَّ مَبْدأَه من حُدود التُّرك ، ويَجري حتَّى يتَّصل ببلادِ الفرغانة ، وربَّما يجتمعُ مع جَيجون في بعض الأَماكن .

• **دِجلة**[٢] : نهرُ بغداد ؛ وله أَسماءٌ غير ذلك ؛ وماؤُه أَعذبُ المياهِ بعد النِّيل ، وأَكثرُها نَفْعاً . قيل : مِقداره ثلاثمئة فرسَخٍ ، وفي بعض الأَوقات يَفيضُ حتَّى قيل : إِنَّه يُخشى على بَغداد الغَرق منه ؛ وهو نهرٌ مُباركٌ ، كثيراً ما يَنجو غَريقُه .

حُكي أَنَّه وُجدَ به غريقٌ فيه الرُّوح ، فلمَّا أَفاق سأَلوه عن حاله ، فأَخبرهم أَنَّه لمّا غُلِبَ على نَفسه رأَى كأَنَّ أَحداً يَحملُه ويَصعدُ به .

ورُوي في الأَثر أَنَّ الله تعالى أَمر دانيال عليه الصَّلاة والسَّلام أَن يحفرَ لعباده ما يَستقونَ منه ويَنتفعون به ، فكان كُلَّما مَرَّ بأَرضٍ ناشَدَهُ أَهلها أَن يحفرَ ذلك عندَهم[٣] ، إِلى أَن حفرَ دِجلة والفُرات .

وأَمّا الأَنهارُ الصِّغار فكثيرةٌ ، ولكنّا نَذكرُ منها طَرَفاً ، فنَقولُ :

• **نهرُ حِصْن المَهْديّ**[٤] : قال صحابُ « تُحفة الأَلباب » : إِنَّه بين البَصرة والأَهواز ، وإِنَّه يرتفعُ منه في بعضِ الأَوقاتِ شيءٌ يشبهُ صورةَ الفيل ، ولا يَعرفُ أَحدٌ شأنَه .

• **نهرُ أَذْرَبيجان**[٥] : قيل : إِنَّ بالقُرب منه نَهراً يَجري فيه الماءُ سنةً ، ثم ينقطعُ ثمان

---

(١) معجم البلدان (٣/ ٢٩٤) .

(٢) عجائب المخلوقات (١٢٢) ومعجم البلدان (٢/ ٤٤٠) .

(٣) كذا في الأصول ، وهو اختصار سيّء . وفي مصادره : وكلّما مرَّ بأرض يتيمٍ أَو أَرملةٍ أو شيخٍ ناشدَه الله تعالى فيحيدُ الماء عنهم .

(٤) عجائب المخلوقات (١٢٢) ومعجم البلدان (٢/ ٢٦٦) .

(٥) عجائب المخلوقات (١٢٢) وخلط المؤلف هنا ما ذكره القزويني في مادتي : نهر أذربيجان ونهر أسفار .

سنين ، ثم يعودُ في التّاسعة ؛ وقيل : إنَّه ينعقدُ حَجَراً ويُستعملُ منه اللَّبنُ ويُبنى به .

وقيل : إنَّ في تلك الأَرض بُحيرةً تَجِفُّ ، فلا يوجَدُ فيها ماءٌ ولا سَمَكٌ ، ولا طينٌ ، سبعَ سِنين ، ثم يعودُ الماءُ والسَّمكُ والطِّين ؛ فتَبارك الَّذي بيده المُلك وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

• **نهرُ صِقْلاب**[١] : يَجري فيه الماء يوماً واحِداً في كُلِّ أُسبوع ، ثم يَنقطعُ سِتَّة أيّام .

• **نهرُ العاصي**[٢] : بأَرض حَماة ، وقيل : بِحمص ؛ وهو نهرٌ مَعروفٌ وفيه يقولُ بعضُهم : [من الطويل]

مَدينة حِمْصٍ كَعْبَةُ القَصْفِ أَصْبَحَتْ ... يَطوفُ بها الدَّاني ويَسْعَى لها القاصِي

بِها رَوْضَةٌ مِن حُسْنِها سُنْدُسِيَّةٌ ... تَعَلَّقَ في أَكنافِ أَذْيالِها العاصي

• **نهرُ العَمود** : بأَرض الهندِ ، عليه شجرةٌ نابِتَةٌ من حَديد ، وقيل : من نُحاس ؛ وتحتَها عَمودٌ من نُحاس ؛ وقيل : من حديد ؛ طولُه من فَوق الماء نحوَ عشرة أَذرع ، وعرضُه ذِراع ، وعلى رأسِه ثلاثُ شُعَبٍ مَسنونةٍ مَحدودةٍ ، وعندَه رجلٌ يَقرأُ كتابَ الله تعالى ، ويقولُ : يا عَظيم البَرَكَة ، طُوبى لمن صَعَدَ هذه الشَّجرة وأَلقى بنفسِه على هذا العَمود ، فيدخلُ الجنَّة[٣] ! .

وقال أَهلُ تلك النّاحية : منهم مَن يريدُ ذلك ، فيصعدُ على تِلك الشَّجرة ، ويُلقي نفسَه ، فيتقطَّعُ !

• **نهرٌ باليمن**[٤] : قال صاحبُ « تُحفة الأَلباب » : إنَّه عند طُلوع الشَّمس يَجري من المشرقِ إلى المغرب ، وعند غُروبها يَجري من المغربِ إلى المشرق !! .

---

(١) عجائب المخلوقات (١٢٤) .
(٢) عجائب المخلوقات (١٢٤) ومعجم البلدان (٤/ ٦٧) .
(٣) وأيّ كتاب لله يحضّ على هذه القتلة الشنيعة ؟! .
(٤) عجائب المخلوقات (١٢٧) .

● **نهرٌ ببلادِ الحبشَةِ والسُّودان** : يَجري إِلى المَشرق ، يُشبه النِّيل في زِيادته ونُقصانه ، وأَرضُه بها الخِصْبُ والبَركة ؛ وبها شَجَرٌ كالأَراك ، يَحملُ ثَمَراً كالبِطِّيخ ، داخِلُه شيءٌ يُشْبِهُ القَنْدَ في الحَلاوة ، ولكنْ فيه بعضُ حُموضَةٍ ؛ وهذا النَّهر يَجري في بلادهم ثَمانية أَشهر ، ثم ينصبُّ في البَحر المحيطِ .

فسُبحان مَن دَبَّر هذا التَّدبير ، وأَحكم هذه الصَّنعة ؛ لا إِلَه إِلاّ هو الحكيم الخَبير .

الفصلُ الثّالث

في ذِكر الآبار

● قال[1] مُجاهد : كنتُ أُحِبُّ أَن أَرى كُلَّ شيءٍ غريبٍ ، فسمعتُ أَنَّ ببابل بئرَ **هاروتَ وماروت** ، فَسِرْتُ إِليها ، فلمّا وَصلتُ إِلى ذلك المكان وجدتُ عندهُ بُيوتاً ، فدخلتُ في بَعضها ، فوجدتُ شَخْصاً ، فسلَّمت عليه ، فرحَّب بي ، وسأَلني عن حاجَتي ، فذكرتُ له غَرَضي ؛ فأَمر يَهوديّاً يذهبُ مَعي ، فَيُوقِفني على البِئر ، ويُطلعني على المَلَكين .

قال : فَسِرْنا إِلى البئر ، فَفَتَح سِرداباً ونَزلنا ، فأَمرني أَن لا أَذكرَ اسمَ الله تعالى . قال : فلمّا رأَيتُ المَلكين رأَيتُ شيئاً كالجَبَلين العَظيمين ، مُنَكَّسَين على رُؤوسهما ، وَالحديدُ من أَعناقهما إِلى رُكَبهما .

قال مُجاهد : فلمّار رأَيتُ ذلك ذكرتُ الله تعالى . قال : فاضطَربا اضطراباً شديداً حتّى كادا يَقطعان السَّلاسل .

قال : فَفَرَّ اليهوديُّ ، فتعلَّقتُ به ، فقال : أَما أَمرتُك أَن لا تذكرَ اسمَ الله تعالى ؟ كِدْنا والله نَهلكُ .

---

(١) عجائب المخلوقات (١٣٢) .

• **بئر بَرَهُوت**[1] : بِقُرْبِ حَضْرَمَوْتِ ؛ وهي الَّتي قال النَّبيُّ ﷺ : « إِنَّها مَجْمَعُ أَرواحِ الكُفّار » .

قال عليٌّ كرَّم الله وَجْهَه : أَبغضُ البِقاعِ إِلى الله تعالى بِئرِ بَرهوتَ ، ماؤها أَسودُ مُنْتِنٌ ، تأوي إِليها أَرواحُ الكُفّار ؛ والمُوَكَّل بها مَلَكٌ يُسَمَّى دُومة .

• **بئر بُضاعة**[2] : ماؤها يُستشفى به . قيل : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ تَفَلَ فيها .

قالت أَسماء بنت أَبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنهما : كُنّا نَغسلُ المريضَ منها ، فيعافى . وقيل : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ تَوَضّأَ منها .

• **بئرٌ مَعروفةٌ بأَرض حَلب**[3] : خاصِّيَّتُها أَنَّها إِذا شَرِب منها المَكلوبُ زالَ كَلَبُهُ ما لم يُجاوز الأَربعين [يوماً] .

• وبنَيسابور[4] آبارٌ كثيرةٌ ، وهي مَعادن الفَيروزج ، وإِنَّما يَمنعُ النّاسَ عنها كثرةُ عَقاربها .

• وبأَرض فارس بئرٌ[5] ينبعُ منها ماءٌ في وقتٍ من السَّنة ، فيرتفعُ على وَجه الأَرض[6] لَمحةً واحِدةً ويَجري ، فَيُنْتَفَعُ به في سَقْيِ الزَّرع ، ثم يعودُ إِلى ما كان .

وعجائبُ الله كثيرةٌ لا تكادُ تَنحصرُ ؛ لا إِلَه إِلاّ الله ولا مَعبود سِواه .

* * *

---

(١) عجائب المخلوقات (١٣٢) ومعجم البلدان (١/ ٤٠٥) .
(٢) في أ ، ط : بئر عسفان ، وهو خطأ . والمثبت من ب . وانظر عجائب المخلوقات (١٣٣) ومعجم البلدان (١/ ٤٤٢) .
(٣) هي بئر الكلْب الكَلِب . عجائب المخلوقات (١٣٤) .
(٤) عجائب المخلوقات (١٣٥) .
(٥) هي بئر قرية عبد الرّحمن . عجائب المخلوقات (١٣٤) .
(٦) قال القزويني : يرتفع على وجه الأرض مقدار ما يدير رحىً . . .

البابُ السَّادس والسِّتُّون

في ذِكر عجائبِ الأَرض ، وما فيها من الجِبال والبُلدان وغَرائب البُنيان

وفيه فصول

الفصل الأوَّل

في ذِكر الأَرض وما فيها من العمران

• رَوى وَهب بن مُنَبِّه رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « إنَّ لله تعالى ثمانية عَشر أَلف عالَم ؛ الدُّنيا منها عالَمٌ واحِدٌ ، وما العمرانُ في الخَراب إلاَّ كخَرْدَلَةٍ في كَفِّ أَحدِكم » .

• وقال رُواة الأَثر : إنَّ لله عزَّ وجلَّ دَابَّةً في مَرْجٍ من مُروجِهِ ، في غامِضِ عِلْمِهِ ، رِزْقُها في كُلِّ يومٍ بقدرِ رِزْقِ العالَم بأَسْرِه ، وجَميعُ مَدائنِ الدُّنيا أَربعةُ آلاف مَدينة ، وخَمسمئة وستٌّ وخَمسون مدينةً ؛ وقيل : غير ذلك .

• وأَقاليمُ[1] الأَرض سبعةٌ ؛ الإقليمُ الأَوَّلُ : الهِندُ ؛ والثّاني : الحِجازُ ؛ والثّالثُ : إقليم مِصر ؛ الرّابع : إقليم بابِل ؛ الخامس : إقليمُ الرُّوم والشَّام ؛ السّادس : إقليمُ التُّرك ؛ السّابع : إقليم الصِّين .

• وأَوسطُ[2] الأَقاليم : إقليمُ بابِل ، وهو أَعْمَرُها ، وفيه جَزيرة العَرب ، وفيه العِراق الَّذي هو سُرَّةُ الدُّنيا ، وبَغداد في وَسَطِ هذا الإقليم ؛ فلاعتدالِه اعتدلَت

---

(١) مروج الذهب (١/ ١٠٠) .

(٢) مروج الذهب (٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥) .

أَلوانُ أَهلِه ، فَسَلِموا من شُقْرَةِ الرُّوم وسَواد الحبشة ، وغِلَظِ التُّرك ، وجَفاء أَهل الجِبال ، ودَمامة أَهل الصِّين .

● والممالكُ المشهورةُ الَّتي ضُبِطَت عِدَّتُها في زَمن المأمون ثلاثمئة وثلاثٌ وأَربعون مَملكةً ؛ أَوسعُها ثَلاثةُ أَشهرٍ ، وأَضيقُها ثلاثة أَيّام .

● وقال أَهلُ الهيئة : إِنَّه يكونُ عند خطِّ الاستواءِ رَبيعان وصَيفان وخَريفان وشِتاءان في سنةٍ واحدة ؛ وإِنَّه يكونُ في بعضِ البلاد ستّة أَشهر ليلٌ ، وستّة أَشهرٍ نهارٌ ، وبعضُها حَرٌّ وبعضُها بَرْدٌ ؛ فسُبحان مَن خَلَقَ كُلَّ شيءٍ ، فأَتقنه ؛ لا إِلٰه إِلاّ هو ولا مَعبود سِواه .

الفصل الثّاني

في ذِكر الجِبال

● قيل : إِنَّ الله تَعالىٰ لمّا خلَق الأَرض ماجَت واضطَربت ، فخلَق الجبالَ وأَرساها بها ، فاستقرَّت ؛ ومَجموع ما عُرف بالأَقاليم السَّبعة من الجبالِ مئةٌ وثمانيةٌ وتِسعون جبلاً ؛ فمنها ما طُوله عِشرون فَرْسَخاً ، ومنها ما طُوله مئةُ فرسخٍ إِلىٰ أَلف فرسَخٍ .

ولْنذكرْ منها ما هو مَشهورٌ مَعروفٌ بينَ النّاس .

● فمن أَعجبها : **جَبَلُ سَرَنْديب**[1] : وطولُه مئتان ونَيِّف وسِتُّون ميلاً ؛ وفيه أَثَرُ قَدَمِ آدم عليه الصَّلاة والسَّلام حين أُهبط ، وحولَه الياقوتُ ؛ وفي أَوديتِه الماسُ الَّذي يُقطعُ به الصُّخور ويُثقب به اللُّؤلؤ ؛ وفيه العُود والفُلفل ، ودابَّةُ المِسْكِ ، ودابَّة الزَّباد .

---

(١) عجائب المخلوقات (١١٦) ومعجم البلدان (٣/ ٢١٦) .

• **جبلُ الرَّدْم** : الَّذي فيه السَّدُّ ، طولُه سبعمئة فرسخٍ ، وينتَهي إِلىٰ بحرِ الظُّلمات .

• **جَبل أَبي قُبَيْس**[1] : سُمِّي بذلك لأَنَّ آدمَ عليه الصَّلاة والسَّلام كنّاه بذلك ، حينَ اقتبسَ منه النَّار الَّتي بين أَيدي النّاس ، وقيل غيرُ ذلك .

• **جبلُ القُدس**[2] : جبلٌ شَريفٌ مُباركٌ ، فيه غارٌ يضيءُ باللَّيل من غيرِ سراجٍ ، ويزورُه النّاس .

• **جبل أَرْوَنْد بَهمذان**[3] : برأسِه عينٌ تَخرجُ من صَخْرةٍ أَيّاماً مَعدودةً في السَّنة ، تُقصد من كلِّ وجهٍ ، يُستشفىٰ بها .

• **جبلٌ بالشّام** : لونُه أَسود كالفَحم ، وتُرابه أَبيضُ تُبيَّضُ به الثِّيابُ .

• **جبلُ الأَندلس**[3] : فيه غارٌ إِذا دَهنتَ فَتيلةً وأَدخلتَها فيه أُوقدَت ؛ وبها جبلٌ به عَيْنان إِحداهُما باردةٌ والأُخرىٰ حارَّةٌ ، والمسافة الَّتي بينهما مقدارُ شِبْرٍ ؛ وجبلُ به معدنُ الكبريتِ والزِّئبق والزَّنجفر .

• **جبلُ سَمَرْقَنْد**[4] : يَقطرُ منه ماءٌ في الصَّيف يَصيرُ جَليداً ، وفي الشّتاء يحرقُ من حَرارته .

• **جبلُ الصُّوَر**[5] : بِكِرْمان ، يُكْسَرُ حَجَرُهُ ، فيخرجُ منه كَصُوَرِ الآدميِّين ، قائِمين وقاعِدين ومُضطجعين ، وإِذا سُحِقَ وطُرح في الماءِ يُرىٰ كذلك .

• **جبلُ الأَرَّجان**[6] : بطَبَرِسْتان ، يَقطُر منه ماءٌ ، كُلُّ قطرةٍ تَصيرُ حَجَراً مُسَدّساً أَو مُثَمَّناً .

---

(١) عجائب المخلوقات (١١٠) .

(٢) عجائب المخلوقات (١١١) .

(٣) عجائب المخلوقات (١١٠) ومعجم البلدان (١/ ١٦٣) .

(٤) عجائب المخلوقات (١١٦) .

(٥) عجائب المخلوقات (١١٧) .

(٦) عجائب المخلوقات (١٢٠) .

• **جبلُ هُرْمُز**[1] : ينزلُ منه ماءٌ إلىٰ وَهْدَةٍ ، فإن صاحَ إنسانٌ صيحةً وقفَ ، فإن ثنّىٰ جَرىٰ .

• **جبلُ الطَّير**[2] : بإقليم الصَّعيد ، يَجتمعُ عنده الطَّير في كُلِّ سنة مرَّةً ويدخلُ في كُوَّةٍ هناك ، فتُمسكُ الكُوَّةُ علىٰ واحِدَةٍ ، وتطيرُ البَقيَّة ؛ ويكونُ ذلك علامة الخِصْبِ في تلك السَّنة .

ولْنقتصرْ علىٰ ذلك ، ومَن أَراد الوقوف علىٰ جِميعها فعليه بتاريخِ « مِرآة الزَّمان » .

الفصل الثّالث

في ذِكر المباني العظيمة وغَرائبها وعَجائبها

• قال أهلُ التَّواريخ ، ونَقَلَهُ الأَخبار : إنَّ أَوَّلَ بناءٍ بُني علىٰ وَجْهِ الأَرض الصَّرحُ الَّذي بَناه نُمرود الأكبر بن كُوش بن حام بن نُوح عليه الصَّلاة والسَّلام ، وبُقْعَتُهُ بِكُوثىٰ من أَرض بابِل ؛ وبهِ إلىٰ عَصرنا أَثَر ذلك البِناء كأَنَّه جِبالٌ شاهِقات .

قالوا : كان طولُه خمسةَ آلاف ذراعٍ ، بناهُ بالحِجارة والرَّصاص والشَّمع واللَّبان لِيمتنَع هو وقومه من طُوفانٍ ثانٍ ، فأَخربَ الله تعالىٰ ذلك الصَّرَح في ليلةٍ واحدةٍ بصيحةٍ ، فتَبَلْبَلَت بها أَلسنةُ النّاس ، فَسُمِّيَت أَرض بابل .

• **إرم ذات العماد**[3] : الَّتي لم يُخْلَقْ مثلُها في البِلاد .

حكىٰ الشَّعبي في كتاب « سِيَر المُلوك » : أَنَّ شَدّاد بن عادٍ مَلَكَ جميعَ

---

(1) عجائب المخلوقات (١٢٠) .

(2) عجائب المخلوقات (١١٨) . ومعجم البلدان (٢/ ١٠٢) .

(3) معجم البلدان (١/ ١٥٥) والروض المعطار (٢٢ ـ ٢٤) .

الدُّنيا ؛ وكان قومُه قومَ عادٍ الأُولىٰ ، زادَهم الله بَسْطَةً في الأَجسام وقُوَّةً ، حتّىٰ قالوا : مَن أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً ؟ قال الله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] وأَنَّ الله تعالىٰ بعثَ إِليهم هُوداً نبيّاً ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، فدعاَهم إلىٰ الله تعالىٰ ، فقال له شَدّاد : إِن آمنتُ بإِلَٰهك فماذا لي عنده ؟ قال : يُعطيك في الآخرة جَنَّةً مَبْنِيَّةً من ذَهَبٍ ويَواقيت ولُؤلؤ وجميعِ أَنواع الجواهر . قال شدّاد : أَنا أَبني مثل هذه الجَنَّة ، ولا أَحتاجُ إِلىٰ ما تَعِدُني به .

قال : فأَمر شدَّادُ أَلف أَميرٍ من جَبابرة قوم عادٍ أَن يخرجوا ، ويطلُبوا أَرْضاً واسِعةً ، كثيرةَ الماءِ ، طيِّبةَ الهواءِ ، بعيدةً من الجبالِ ، ليبنيَ فيها مدينةً من ذهبٍ .

قال : فخرجَ أُولئك الأُمراء ، ومع كلِّ أَميرٍ أَلفُ رجلٍ من خَدَمِهِ وحَشَمِهِ ، فساروا في الأَرض حتَّىٰ وَصلوا إِلىٰ جبلِ عَدَن ، فرأَوا هناك أَرضاً واسعةً طيِّبة الهواء ، فأَعجبتهم تلكَ الأَرضُ ، فأَمروا المُهندسين والبنّائين ، فخَطُّوا مدينةً مُرَبَّعَةَ الجوانبِ ، دَوْرُها أَربعون فَرْسَخاً ، من كُلِّ جِهةٍ عشرةُ فراسِخ ، فحفَروا الأَساس إِلىٰ الماء ، وبَنَوا الجدران بحجارةِ الجَزْعِ اليَماني حتَّىٰ ظهرَ علىٰ وَجه الأَرض ، ثم أَحاطوا به سُوراً ارتفاعُه خَمسمئة ذراعٍ ، وغشَّوهُ بصَفائح الفِضَّة المُمَوَّهة بالذَّهب ، فلا يكادُ يُدركه البَصَرُ إِذا أَشرقَتِ الشَّمس ؛ وكان شدّاد قد بعثَ إِلىٰ جميع مَعادن الدُّنيا ، فاستخرجَ منها الذَّهب واتَّخذه لَبناً ، ولم يتركْ في يدِ أَحدٍ من النّاسِ في جَميع الدُّنيا من الذَّهب إِلاَّ غَصَبَهُ ، واستخرجَ الكنوزَ المدفونةَ ، ثم بنىٰ داخلَ المدينة مئة أَلف قصرٍ ، بعدد رُؤساء مَملكته ، كلُّ قصرٍ علىٰ عُمُدٍ من أَنواع الزَّبرجد واليَواقيت ، مَعقودةٍ بالذَّهب ، طول كلِّ عَمود مئة ذِراعٍ ، وأَجرىٰ في وَسَطها أَنهاراً ، وعملَ منها جداولَ لتلك القُصور والمنازلِ ، وجعلَ حَصاها من الذَّهب والجواهِر واليَواقيت ، وحلَّىٰ قُصورَها بصفائح الذَّهبِ والفِضَّة ، وجعل علىٰ حافّات الأَنهار أَنواعَ الأَشجار ، جُذوعُها من الذَّهب ، وأَوراقُها وثَمَرُها من أَنواع الزَّبرجد واليواقيت

واللآلىء ، وطَلىٰ حيطانها بالمِسْكِ والعَنبر ، وجعلَ فيها جَنَّةً مُزخرفةً له ، وجعلَ أَشجارَها الزُّمُرُّد واليَواقيت وسائر أَنواع المعادن ، ونَصَبَ عليها أَنواع الطُّيور المَسموعة ، الصّادح والمُغَرِّد ، وغير ذلك ، ثم بنىٰ حولَ المدينة مئة أَلف مَنارة بِرَسْمِ الحُرّاسِ الَّذين يُحرسُونَ المَدينة .

فلمّا كَمُلَ بِناؤها أَمر في مُشارق الأَرض ومَغَاربها أَن يتَّخذوا في البلادِ بُسُطاً ، وسُتوراً وفُرُشاً ، من أَنواع الحرير ، لتلكَ القُصور والغُرَف ، وأَمر باتِّخاذِ أَواني الذَّهب والفِضَّة ، فاتَّخذوا جميعَ ما أَمر به ، فلمّا فَرغوا من ذلك جميعِه خرج شدّاد من حَضْرَمَوْت في أَهل مَملكته ، وقصد مدينةَ إِرم ذات العِماد ، فلمّا أَشرف عليها ورآها قال : قد وصَلْتُ إِلىٰ ما كان هُود يَعِدُني به بعد الموتِ ، وقد حَصَلْتُ عليه في الدُّنيا .

فلمّا أَراد دُخولها أَمر الله تعالىٰ مَلَكاً ، فصاحَ بهم صَيْحَةَ الغَضَبِ ، وقَبَضَ مَلَكُ الموت أَرواحَهم في طَرْفَةِ عَيْنٍ ، فخَرُّوا علىٰ وُجوههم صَرْعىٰ . قال الله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم : ٥٠] . وذلك قبل هَلاك عادٍ بالرِّيح العقيم ؛ وأَخفىٰ الله تعالىٰ تلك المدينة عن أَعينِ النّاسِ ، فكانوا يَرون باللَّيل في تلكَ البَرِّيَّة الَّتي بُنيت فيها مَعادن الذَّهب والفِضَّة واليَواقيت تُضيءُ كالمصابيح ، فإِذا وَصَلوا إِليها لم يَجدوا هناك شيئاً .

وقد نُقِلَ أَنَّ رجلاً من أَصحابِ رسولِ الله ﷺ يُقال له : عبد الله بن قِلابة الأَنصاري ، دخلَ إِليها ، وذلك أَنَّه ضَلَّت له إِبِلٌ ، فخرجَ في طَلَبها ، فوصلَ إِليها ، فلمّا رآها دَهِشَ وبُهِتَ ، ورأَىٰ ما أَذهلَه وحَيَّرَهُ ، وقال في نفسه : هذه تُشبهُ الجنَّة الَّتي وَعَد الله بها عِباده المتَّقين في الآخِرة ؛ فقَصد باباً من أَبوابها ، فلمّا وصلَ إِليه أَناخ راحلته ، ودخلَ المدينة ، فرأَىٰ تلك القُصور والأَنهار والأَشجار ، ولم يرَ في المدينة أَحداً ، فقال : أَرجعُ إِلىٰ مُعاوية وأُخبرُه بهذه المدينة وما فيها ؛ ثم حملَ معه شيئاً من تلكَ الجواهر واليواقيت في وعاءٍ ، وجعله علىٰ راحلته ، وعَلَّمَ علىٰ المدينة عَلامةً ، وقال : قُرْبُها من جَبَل عَدن

كذا ، ومن الجهةِ الفُلانيَّةِ كذا ؛ ثم انصرفَ عنها بعدما ظَفِرَ بإبله .

ثم دخل علىٰ مُعاوية رضي الله تعالىٰ عنه بدمشق ، وأخبره بجميع ما رآه ، فقال له مُعاوية : في اليَقَظَة رأيتها أَم في المنام ؟ قال : بل في اليَقظة ، وقد حملتُ من حَصْبائها ؛ وأخرجَ له شيئاً ممّا حَمله من الجواهر واليواقيت ، فتعجَّب مُعاوية من ذلك ، ثم أَرسل إلىٰ كَعْبِ الأَحبار رضي الله تعالىٰ عنه ، فلمّا دخلَ عليه قال له مُعاوية : يا أَبا إِسحاق : هل بَلَغَكَ أَنَّ في الدُّنيا مدينةً من ذَهب ؟ قال : نعم يا أَمير المؤمنين ، وقد ذَكرها الله عزَّ وجلَّ في القُرآن لِنبيِّه ﷺ بقوله عزَّ من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ [الفجر : ٦ ـ ٨] . وقد أَخفاها الله تعالىٰ عن أَعينِ النَّاس ، وسيدخلُها رجلٌ من هذه الأُمَّة ، يُقال له عبد الله بن قِلابة الأنصاري ؛ ثم التَفَتَ ، فرأىٰ عبد الله بن قِلابة فقال : هاهو يا أَمير المؤمنين ، وَصْفُهُ واسْمُهُ في التَّوراة ، ولا يدخلُها أَحَدٌ بعدَه إِلىٰ يوم القيامة .

وقيل : إِنَّ ذلك كان في خِلافة عُمر بن الخطّاب رضيَ اللهُ تعالى عنه ، وأَنَّ الرَّجلَ الَّذي دَخَلَها حكى ذلك لعمر بن الخطّاب ، فلم يُنكِرْه ولا مَن كان حاضِراً ، بل قال : إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « يدخلُها بعضُ أُمَّتي » . والله سُبحانه وتعالى أَعلم .

● ومن المباني العجيبة : **الخَوَرْنَق**[1] : الَّذي بَناه النُّعمان بن امرىءِ القَيْس ، وهو النُّعمان الأَكبر ، بَناه في عِشرين سنة ، فلمّا انتهى أَعْجَبَهُ ، فَخَشِيَ أَن يبنيَ لغيره مثلَه ، فأَمر أَن يُلقى بانيهِ من أَعلاه ، فأَلقوه فتقطَّعَ ؛ واسمُ بانيه سِنِمّار ؛ فصارت العربُ تَضربُ به المَثَلَ ، يَقولون : جَزاه جَزاءَ سِنِمّار ؛ قال الشّاعر[2] : [من البسيط]

(١) ثمار القلوب (١/ ٢٤٨) والأغاني (٢/ ١٤٤) والهفوات النادرة (٢٣٦) والحيوان (١/ ٢٣) .

(٢) البيت لسَليط بن سعد في الأغاني (٢/ ١٤٥) والخزانة (١/ ٢٨٠ و٢٩٣ و٢٩٤) . وبلا نسبة في سفر السعادة (١/ ٣٠٧) وتاج العروس (سنمر) (١٢/ ٩٨) .

جـازى بَنُـوه أَبـا الغَيْـلان عـن كبَـرٍ وَحُسْـنِ فِعْـلٍ كمـا يُجْـزى سِنِمّـارُ

● ومن المباني العَجيبة : **حائطُ العَجوز**[1] : واسمُها دَلوكة القِبْطيَّة ، وسببُ بِنائها لذلك أَنَّها وَلَدَت وَلَداً ، فأَخذت له الرَّصَدَ ، فقيل لها : يُخشى عليه من التّمساح ؛ فلمّا شَبَّ الغُلام خافَت عليه ، فَبَنَت الحائطَ ، وجَعلَته من العَريش إِلى أَسوان ، شامِلاً لِكُورة مِصر من الجانب الشَّرقيِّ .

وقيل: بَنَتْهُ خوفاً على مصر وأَهلها بعد غَرَق فِرعون أَن يطمعَ المُلوك فيها .

وقد قيل : إِنَّها أَرادت أَن تُخَوِّف وَلَدَها من التِّمساح حتَّى لا يَنزل البَحر ، فَصَوَّرَت له صُورَة التِّمساح ، فرآهُ شَكلاً مُهْولاً ، فأَذهلَه ، وأَخذَه الفَزَعُ والهَمُّ ، فضَعف وانْسَلَّ إِلى أَن مات ؛ لا مَفَرَّ من قَضاءِ الله تعالى .

● ومن المباني العجيبة : **الأَهرام**[2] : وهي بالجانب الغربيِّ من مِصر ، مُشاهدةٌ في زَماننا هذا .

قيل : إِنَّ دَوْرَ الهرمِ الأَكبر من الثَّلاثة أَلْفا ذراعٍ ، من كُلِّ جهةٍ خَمسمئة ذراعٍ ، وعُلُوُّهُ خَمسمئة ذراع .

وقد ذهب المأمونُ إِلى مصر حتَّى شاهدَها على ما ذُكر ، وفَتَحَ منها هَرَماً ، وتعجَّب من بُنيانها وصِفتها .

قيل : إِنَّ كُلَّ حجرٍ من حِجارتها ثلاثون ذراعاً في عَرض عَشرة أَذرعٍ ، وقد أُحكم إِلصاقُه ونَحْتُهُ وتَسويتُه ، ولا يقدرُ النَّجّار الصّانعُ أَن يتَّخذَ من خَشَبٍ صُندوقاً صَغيراً على إِحكامه ؛ وهي من عَجائب الدُّنيا .

---

(١) حسن المحاضرة (١/ ٤٦) والفضائل الباهرة (١٦ و١٥١) والروضة الفيحاء في تواريخ النساء (٤١٥) وتفريج الكروب في تدبير الحروب للرشيدي (٢٣) ومروج الذهب (٢/ ٨٧) .

(٢) ثمار القلوب (٢/ ٧٥٣) والفضائل الباهرة (١٥٥) ومعجم البلدان (٥/ ٣٩٩) والروض المعطار (١٦) ومروج الذهب (٢/ ٩٠) .

قال بعضُهم[1] : [من الكامل]

أَيْنَ الَّذي الهَرَمانِ من بُنيانِهِ ... ما قَوْمُهُ ما يَوْمُهُ ما المَصْرَعُ
تَتَخَلَّفُ الآثارُ عن سُكّانِها ... حِيْناً وَيُدْرِكُها الفَناءُ فَتُصْرَعُ

وزَعم قومٌ أَنَّ الأَهرامَ الموجودةَ بمصر قُبورٌ لِملوكٍ عِظامٍ ، أَرادوا أَن يتميَّزوا بها عن النّاس بعد مَماتهم كما تَميَّزوا عنهم في حَياتهم ، ورجَوا أَن يبقى ذِكرُهم بِسَببها على تَطاول الدُّهور وتَراخي العُصور .

ولمّا وصلَ المأمونُ إِلى مِصر أَمر بِنَقبِها ، فَنُقِبَ أَحدُها بعد جَهْدٍ شديدٍ وعناءٍ طويلٍ ، فوُجِد داخِله مَزاليق ومَهاوي يَهولُ أَمرُها ويَعسرُ السُّلوك فيها ، ووُجد في أَعلاه بيتٌ وفي وَسَطه حَوضٌ من رُخام مُطبق ، فلمّا كُشف غطاؤه لم يُوجَد فيه إِلاّ رِمَّةٌ باليةٌ ، فعند ذلك أَمر المأمونُ بالكَفِّ عمّا سِواه .

ويُقال : إِنَّ الَّذي بَناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق ، لرؤيا رآها وهي آفَةٌ تنزلُ من السَّماء وهي الطُّوفان ؛ فقالوا : إِنَّه بناها في سِتَّة أَشهر وقال : قُلْ لمن يأتي بعدَنا يَهدمها في ستِّمئة سنة ، والهَدْمُ أَيْسَرُ من البُنيان ؛ وكَسوناها الدِّيباج المُلَوَّن ، فَلْيَكسُها حُصُراً ، والحُصُر أَهونُ من الدِّيباج . والأَمر فيها عجيبٌ جِدّاً ، والله سُبحانه وتعالى أَعلم .

● ومن المباني العجيبة : **مَنارة الإِسكندريَّة**[2] : الَّتي بَناها ذو القَرنين .

قيل : إِنَّها كانت مبنيَّةٌ بحجارةٍ مُهندمةٍ مَغموسةٍ في الرَّصاص ، فيها نحوٌ من ثلاثمئة بيتٍ ، تصعدُ الدَّابَّةُ بِحِمْلِها إِلى كُلِّ بيتٍ ، وللبيوتِ طاقاتٌ تطلُّ على البحر .

---

(١) هما للمتنبي في ربيع الأبرار (١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) والفضائل الباهرة (١٥٥) وليسا في ديوانه .
(٢) ثمار القلوب (٢/ ٧٥٤) والفضائل الباهرة (٥٧ و١٥٢) ومروج الذهب (٢/ ٩٩ ـ ١٠٩) ومعجم البلدان (١/ ١٨٢) والروض المعطار (٥٤) .

ويُقال : إنَّ طولَها كان أَلف ذِراع .

وفي أَعلاها تماثيلُ من نُحاسٍ ؛ منها تمثالُ رجلٍ قد أَشار بيده إِلى البحر ، فإِذا صار العدوُّ على نحوِ ليلةٍ منه سُمِعَ له تَصويتٌ يَعلمُ به أَهلُ المدينة مَجيءَ العدوِّ ، فيَستعدُّون له .

ومنها تمثالٌ كلَّما مَضى من اللَّيل ساعةٌ صَوَّت تَصويتاً مُطرباً .

ويُقال : إنَّه كان بأَعلاها مِرآةٌ من الحديدِ الصِّينيِّ عَرْضُها سَبعة أَذرع ، كانوا يَرَون فيها المراكبَ بجزيرةِ قُبرص .

وقيل : كانوا يَرون فيها مَن يَخرجُ من البحر من جميع بلادِ الرُّوم ، فإِن كانوا أَعداءً تَركوهم حتَّى يَقربوا من المدينة ، فإِذا مالَت الشَّمسُ للغُروب أَداروا المرأةَ مُقابلةَ الشَّمس ، واستقبلوا بها السُّفُن ، فيقعُ شُعاعها بضَوءِ الشَّمس على السُّفن فَتُحْرَقُ في البحر ، ويَهلك كُلُّ مَن فيها ؛ وكانت الرُّوم تُؤَدِّي الخراج ليأمَنوا بذلك من إِحراق السُّفن ، ولم تزل كذلك إِلى زمن الوليد بن عبد الملك .

قال المسعودي : قيل : إنَّ مَلِكاً من الرُّوم تَحَيَّل على الوليد ، وأَظهر أَنَّه يُريد الإِسلام ، وأَرسل إِليه تُحَفاً وهدايا ، وأَظهر له بواسِطة حُكماءَ كانوا عنده أَنَّ ببلاده دفائن ، وأَرسل له بذلك قسِّيسين من خواصِّه ، وأَرسل معهم أَموالاً ؛ قيل : إنَّهم حَفروا بقُرب المنارة ودَفنوا تلك الأَموال ، وقالوا للوليد : إِنَّ تحتَ المنارة كُنوزاً لا تنفدُ ، وبإِزائها خَبِيَّةٌ بها كذا وكذا أَلف دينار ؛ فأَمرهم باستخراجِ ما بالقُرب من المنارة ، فإِن كان ذلك حقّاً استَخرجوا ما تحتَ المنارة بعد هَدْمها ، فحفَروا واستخرجوا ما دَفنوه بأَيديهم ، فعند ذلك أَمر الوليدُ بِهَدْمِ المنارة واستخراجِ ما تَحتها ؛ فَهدموها ، فلم يَجدوا تحتها شيئاً ، وهربَ أُولئك القِّسيسون ، فعلم الوليدُ أَنَّها مكيدةٌ عليه ، فنَدم على ذلك غاية النَّدمِ ، ثم أَمر بِبنائها بالآجُرِّ ، ولم يقدروا أَن يرفعوا إِليها تلك الحِجارة ، فلمّا

أتمُّوها نَصبوا عليها المرآةَ كما كانت ، فَصَدِئَت ، ولم يروا فيها شيئاً مثلَ ما كانوا يَرون أَوَّلاً ، وبَطَلَ إحراقُها ، فندموا على ما فَعلوا ، وفاتَهم من جَهلهم وطَمَعهم نَفْعٌ عظيمٌ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاّ بالله العليِّ العظيم .

وقد عَمِلَت الجِنُّ لسُليمان بن داود عليهما الصَّلاة والسَّلام في الإسكندريَّة مَجْلِساً على أَعمدةٍ من الجَزْعِ اليمانيّ المصقولِ كالمرآةِ ، إذا نظرَ الإنسانُ إليها يَرى مَن يمشي خلفَه لِصَفائها ؛ وفي وسَط ذلك المجلس عَمودٌ من الرُّخام طولُه مئة وأَحد عشرَ ذراعاً ، وفي تلك الأَعمدة عمودٌ واحدٌ يتحرَّكُ شرقاً وغرباً بِطلوع الشَّمس وغُروبها ، يُشاهد النّاسُ ذلك ولا يَعلمون ما سَبَبُهُ .

• وفي مدينة حِمْصَ مدينةٌ أُخرى تحت المدينة المسكونة العُليا ، فيها من عَجائب البُنيان والبُيوت والغُرَف والماءِ الجاري في كُلِّ طريقٍ من طُرُقها ما لا يَعلمُه إلاّ الله تعالى .

• وعند حوران مدينةٌ عظيمةٌ يقال لها : اللَّجاة ، فيها من البُنيان ما يَعجزُ عن وَصْفه أَلسنةُ العُقلاءِ . كلُّ دارٍ منها مبنيَّةٌ من الصَّخرِ المنحوتِ ، ليس في الدّارِ خَشَبَةٌ واحدةٌ ، بل أَبوابُها وغُرَفُها وسُقوفها وبُيوتها من الصَّخر المَنحوت الّذي لا يَستطيع أَحَدٌ أَن يعمَله من الخشَب ، وفي كلِّ دارٍ بئرٌ وطاحون ، وكلُّ دارٍ مُفردَةٌ لا يُلاصقها دارٌ أُخرى ، وكلُّ دار كالقَلعة الحصينة إذا خاف [أَهل] تلكَ النَّواحي من العدوِّ دَخلوا إلى تلك المدينة ، فينزلُ كُلُّ إنسانٍ في دارٍ بجميعِ عياله وخَيْله ، وغَنَمه وبَقَره ، ويُغلق بابَه ، ويَجعل خلفَ الباب حَصاةً ، فلا يقدرُ أَحدٌ على فتحِ ذلك الباب لإِحكامِه .

وفي هذه المدينة أَكثرُ من مِئتي أَلف دارٍ ، فيما يُقال ، ولا يَعلم أَحدٌ مَن بناها ، وسمَّتها العربُ اللَّجاة ، لأَنَّهم يَلجأون إليها عند الخوف .

• ومن المباني العجيبة : **إيوان كِسرى أَنو شِروان**[1] : بَناه سابورُ ذو الأَكتاف

---

(١) ثمار القلوب (١/ ٣٠٣) والفخري (١٥٧) .

في نَيِّفٍ وعشرين سنةً ، وطولُه مئة ذراعٍ في عَرض خمسين ، بَناهُ بالآجُرِّ والجصِّ ، وجعل طولَ كُلِّ شرّافةٍ من شَراريفه خَمسة عشر ذراعاً ؛ ولمَّا مَلَكَ المسملون المدائنَ أَحرقوا هذه الإِيوان ، فأَخرجوا منه أَلف دينار ذَهباً .

وحُكي أَنَّ المنصورَ لمّا أَراد بِناء بغداد عَزَم على هَدْمِهِ ، وأَن يجعلَ آلَته في بِنائه ، فقيل له : إِنَّ نَقْضَهُ يتكلَّفُ بقدر العَمارة ؛ فلم يَسمعْ ، وهدَم شرّافةً ، وحسبَ ما أَنفق عليه ، فوجدَ الأَمر كذلك .

وقيل : إِنَّ بعضَ رُؤساء مَملكته[1] قال له لمّا أَراد هدمه : هو آيَةُ الإِسلام ، فلا تهدمْه .

• **وحُكي** أَنَّه كان بمدينة قَيْسارِيَّة كنيسةٌ ، بها مِرآةٌ إِذا اتَّهم الرَّجلُ امرأَتَه بِزنا نظَر في تلك المرآةِ ، فيرى صُورة الزَّاني ؛ فاتَّفق أَنَّ بعضَ النّاس قَتَلَ غَريمه ، فعمَد أَهلُه إِليها ، فكسَروها .

والله سُبحانه وتعالى أَعلم ، وقد اقتصرتُ من ذلك على هذا القَدر اليسير ، وحسبُنا الله ونِعم الوكيل ، وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

---

(١) هو خالد بن برمك .

البابُ السَّابع والسِّتُّون
في ذِكر المعادن والأَحجار وخواصِّها

• المعادنُ لا تَكاد تُحصى ، لكنَّ منها ما يَعرفُه النّاسُ ، ومنها ما لا يَعرفونه ؛ وهي مَقسومةٌ إِلى ما يَذوبُ وإِلى ما لا يَذوب ؛ والَّذي اشتُهر بين النّاس من المعادن سبعةٌ : وهي الذَّهب والفِضَّةُ والنُّحاسُ والحَديدُ والقصديرُ والأَسْرَبُ والخارصيني ؛ ولْنبدأْ أَوَّلاً بذكْرِ :

• **الذَّهَب**[1] : فقيل : طَبْعُهُ حارٌّ لطيفٌ ، لِشِدَّةِ اختلاطِ أَجزائه المائِيَّةِ بالتُّرابيَّة .

قيل : إِنَّ النّارَ لا تقدرُ على تَفريق أَجزائه ، فلا يحترقُ ولا يَبلى ولا يَصدأُ ، وهو لَيِّنٌ بَرّاقٌ ، حُلْوُ الطَّعم ، أَصفرُ اللَّون ؛ فالصُّفْرَةُ من نارِيَّتِهِ ، واللُّيونةُ من دُهْنِيَّتِهِ ، والبراقةُ من صَفاءِ مائِه .

خواصُّه : يُقَوِّي القلب ، ويَدفعُ الصَّرَعَ تَعليقاً ، ويمنعُ الفَزَعَ والخَفَقان ، ويقوِّي العينَ كُحْلاً ، ويَجلوها إِذا كان مِيْلاً ، ويُحسِّن نَظَرَها ؛ وإِذا ثُقبت به الأُذُن لم تَلتحمْ ، وإِذا كُوي به لم يَتَنَفَّطْ ويبرأُ سريعاً ؛ وإِمساكُه في الفَم يُزيل البَخْرَ .

• **الفِضَّة**[1] : قريبةٌ منه ، وتَصدأُ وتَحترقُ وتَبلى بالتُّراب ، وإِذا أَصابتها رائحةُ الرَّصاص والزِّئبق تكسَّرت ، أَو رائحةُ الكِبريت أسوَدَّتْ .

ومن خواصِّها : أَنَّها تُزيل البَخْرَ من الفَم إِذا وُضعت فيه ، وإِذا أُذيبت مع الزِّئبق وطُلي بها البَدَنُ نَفَع ذلك من الحَكَّةِ والجَرَب وعُسر البَوْل .

---

(١) عن عجائب المخلوقات (١٣٧) .

• **النَّحاس**[1] : قريبٌ منها ، لكنَّه أَيبسُ ، وأَغلظُ في الطَّبع .

ومن خواصِّه : إِذا صَدِيءَ وطُلي بالحامِض زال صَدَؤُهُ ؛ والأَكلُ في آنيتِه يُوَلِّدُ أمراضاً لا دواءَ لها .

• **الحديد**[1] : كثيرُ الفائِدة إِذ ما مِن صَنعةٍ إِلاّ وله فيها مَدخلٌ .

ومن خواصِّه : أَنَّه يمنعُ غَطيط النّائم إِذا عُلِّق عليه ، وحَملُه يقوي القلبَ ، ويُزيل الخوفَ والأَفكار والأَحلام الرَّديئة ، ويسرُّ النَّفسَ ؛ وصَدؤُهُ يَنفعُ أَمراض العينِ كُحْلاً والبَواسيرَ تَحَمُّلاً .

• **الرّصاص**[2] : صِنْفٌ من الفِضَّة ، دخلَ عليه آفاتٌ من الأَرض .

ومن خواصِّه : أَنَّه إِذا أُلقي في قِدْرٍ لم يَنضَجْ ما فيها .

• **الأَسْرَب**[3] : هو كالرَّصاص، [وهو صنفٌ أَردأُ منه، لأَنَّ مادَّته أَكثر وسخاً].

ومن خواصِّه : أَنَّه يكسرُ الماسَ ، ومن خواصِّ الماس الدُّخول في كُلِّ شيءٍ ، وإِذا شُدَّ من الرَّصاص قطعةٌ على الخنازير والغُدَد أَبْرَأَتْها .

• **الخارِصيني**[4] : حَجرٌ لَونُه أَسودُ ويعطي حُمرةً .

ومن خواصِّه : إِذا عُمل منه مِرآةٌ ونُظِرَ فيها في الظُّلمات نَفَعَت [صاحبَ] اللَّقْوَة ، وإِذا نُتف الشَّعر بِملقاطٍ منه لم ينبتْ .

الأَحجارُ الجوهريَّة : أَصلُ الجوهرِ[5] ، وهو **الدُّرُّ** ، على ما قيل : أَنَّ حَيواناً يَصعد من البحر على ساحِله وقتَ المَطر ويفتحُ أُذنه يلتقطُ بها المطرَ ،

---

(١) عجائب المخلوقات (١٣٨) .

(٢) في الأصول : القصدير ! وانظر عجائب المخلوقات (١٣٨) .

(٣) عجائب المخلوقات (١٣٨) والزيادة منه .

(٤) عجائب المخلوقات (١٣٩) .

(٥) عجائب المخلوقات (١٤٧) .

ويَضُمُّها ويَرجع إلى البحر ، فينزلُ إلى قرارِه ، ولا يزالُ طابِقاً أُذنه على ما فيها خوفاً أَن يختلطَ بأَجزاءِ البحر ، حتَّى ينضجَ ما فيها ، ويصيرَ دُرّاً ؛ فإن كانت القَطرةُ صغيرةً كانت الدُّرَّةُ صَغيرةً ، وإِن كانت كبيرةً فكبيرةً ، فإِن كان في بَطن هذا الحيوان شيءٌ من الماء المُرِّ كانت الدُّرَّةُ كَدِرَةً ، وإِن لم يكن كانت صافيةً ؛ وقيل غير ذلك .

والدُّرُّ نوعان : كبيرٌ وصغيرٌ ؛ وقيل : إِنَّه تَصلُ الواحدةُ إِلى مثقال .

خواصّه : إِنَّه يُفرحُ القلبَ ، ويبسطُ النَّفس ، ويحسِّنُ الوَجه ، ويصفِّي دمَ القلب ؛ وإِذا خُلط مع الكُحل شَدَّ عَصَبَ العين .

● **الياقوت**[1] : سيِّدُ الأَحجار ؛ وأُصول أَلوانه أَربعةُ : الأَحمر والأَصفر والأَزرق والإسمانجوني ؛ ويتولَّد منها أَلوانٌ كثيرةٌ ، وأَعْدَلُها الأَحمر الخالصُ الرُّمّانيُّ ، الشَّبيه بِحَبِّ الرُّمّان الأَحمر ، ودُونَه الأَحمر المُشْرَبُ ببياض ، ثم الورديّ ، ثم الخَمْريّ ، ثم العُصْفُرِيّ ، وأَرْدَؤُهُ الأَزرق الَّذي لونُه يُشبه زَهْرَ السَّوسن ، وأَقَلُّهُ قيمةً الأَبيضُ .

خواصّه : إِنَّه لا يعملُ فيه الفولاذ ، ولا حجرُ الماس ، ولا تُدَنِّسُهُ النّار ؛ ويُورثُ لابِسَهُ مَهابةً ووقَاراً ، ويُسَهِّلُ قضاءَ الحوائج ، ويدرُّ الرِّيقَ في الفَم ، ويقطعُ العَطش ، ويدفعُ السُّمَّ ، ويقوِّي القلبَ ؛ وجَمعيه ينفعُ المصروعَ تعليقاً ؛ والأَبيض منه يبسطُ النَّفس ؛ ويُوجد من الأَصفر ما وزنُه ثلاثون مِثقالاً على ما قيل .

● **البَلَخْش**[2] : هو مقاربُ الياقوت في القيمة ، ودُونَه في الشَّرف .

ومن خواصّه : أَنَّه يُورثُ قَبْضَ النَّفْس ، وسُوءَ الخُلُق ، والحُزن ؛ وهو أَلوان أَحمر وأَخضر وأَصفر .

---

(١) عجائب المخلوقات (١٥٩) .

(٢) نخب الذخائر (١٤) .

● **البَنَفْش**[1] : أَصنافٌ ؛ أَحمر مَفتوح اللَّون صافٍ ، وأَحمر قويُّ الحُمرة ؛ وأَسود يَعلوه حُمرةٌ مُطَوَّسَةٌ بِزُرْقَةٍ خفيفةٍ ، ثم أَصفر مَفتوح اللَّون .

● **عينُ الهِرّ**[2] : حجرٌ يتكوَّنُ من مَعدن الياقوت ، والغالبُ عليه البَياض النَّاصع بإِشراقٍ مُفْرِطٍ ، ومائِيَّتُهُ رقيقةٌ شفّافةٌ ، وفي مائِيَّتِهِ سِرٌّ إِذا حُرِّكَ يميناً تحرَّكت يَساراً ، وبالعكس .

ومن خواصّه : إذا عُلِّقَ علىٰ العَين أُمِنَ عليها من الجُدَريّ علىٰ ما قيل .

● **الماس**[3] : يُوجد بوادٍ بالهند ، يُقال : إِنَّه مشحونٌ بالحَيّات ، فيأتي مَن يُريدُ استخراجَه من ذلك الوادي فيضَع في الوادي مِرآةً كبيرةً ، فتأتي الحيّاتُ فتنظرُ إِلىٰ خَيالها في المرآةِ ، فتفرُّ من ذلك الجانبِ ، فَينزلُ ، فيأخذُ ما له فيه رِزْقٌ .

وقيل : إِنَّهم يَنحرونَ الجُزُرَ ، ويُلقون لَحمها في ذلك الوادي ، فليتصقُ الماسُ وغيره باللَّحم . فتأتي الطَّير ، فتختطفُ اللَّحم وتصعدُ به إِلىٰ الجبال ، فتأكلُ اللَّحم وتتركُ الحَجَر ، فيأخذُه صاحبُ اللَّحم .

وقيل : إِنَّ الحيّات لها مَشتىٰ سِتَّة أَشهر في مكانٍ ، ومَصيفٌ ستّة أَشهر في مكانٍ آخر ، فإِذا ذهبَت إِلىٰ مَشتاها ومَصيفها أُخِذَ الحجرُ في غَيبتها ، والله أَعلم بصحَّة ذلك .

ومن عجيب أَمره ، أَنَّه إِذا أُريد كَسْرُهُ جُعِلَ في أُنبوبةِ قَصَبٍ ، وضُرب ، فإِنَّه يتفتَّت ؛ وكذا إِذا جُعل في شَمْعٍ أَو قارٍ ، وإِذا جُعل عليه دَمُ تَيْسٍ وقُرِّبَ من النّار ذابَ .

ومن خواصّه : أَنَّ الملوكَ يتَّخذونَه عندهم لِشَرَفِهِ ؛ وهو من السُّموم القاتلة ؛

---

(١) نخب الذخائر (١٧ و٨٥) .
(٢) نخب الذخائر (١١ و١١١) .
(٣) عجائب المخلوقات (١٥٥) ونخب الذخائر (٢٠) .

القطعةُ الصَّغيرة منه إذا حَصَلت في الجوفِ ولو بقدرِ السِّمْسِمَةِ خَرَقَت الأَمعاءَ .

ومن **خواصّه الجليلة** : أَنَّه يعرقُ عند وُجود السُّمِّ أَو الطَّعام المسمومِ .

● **الزُّمُرُّد**[١] : ويُسَمَّىٰ الزَّبَرْجَد ، وهو أَلوانٌ : أَخضر وزِنْجاري وصابوني ، ويكون الحجرُ منه خَمسة مثاقيل وأَقلّ .

ومن **خواصّه** : أَنَّه يدفعُ العَين ، ويُفرح القَلب ، ويُقوِّي البَصر ، ويُصَفِّي الذُّهن ، وينشِّط النّفس .

● **الفَيروزج**[٢] : نوعان : إِسحاقيّ ، وخَلَنْجيّ ؛ وأَجوده الإسحاقيّ الأَزرق الصّافي .

خواصّه : النَّظَر فيه يَجلو البَصَر ، ويُقَوِّيه ، وينشِّط النَّفس ، ولا يُصيب المتختِّم بهِ آفَةٌ مِن قَتْل أَو غَرَقٍ .

وقال جعفر الصّادق رضي الله تعالىٰ عنه : ما افتقرَت يَدٌ تختَّمت بفَيروزجٍ .

وإذا مضىٰ له بعد خُروجه من مَعدنه عِشرون سنةً نقصَ لونه ، ولا يزالُ كذلك حتَّىٰ يَنطفىء .

● **العقيق**[٣] : معدنٌ بأَرض صنعاء باليمن ؛ وهو أَلوان ، ويُوجدُ عليه غِشاوةٌ ، ويُحمىٰ عليه بِبَعْرِ الإِبل ، ثم يبرَّد ويُكسر ؛ وقيل : يوجدُ بِالهند ، ولكنَّ اليمنيَّ أَجودُ .

خواصّه : التَّختُّم بهِ وحَمْلُهُ يورثُ الحِلمَ والأَناة ؛ وتَصويبَ الرَّأْي ، ويسرُّ النَّفس ، ويكسبُ حامِلَه وَقاراً ، وحسنَ خُلُق ، ويُسكنُ الحِدَّةَ عند الخُصومة .

قال رسولُ الله ﷺ : « مَن تَختَّم بالعَقيق لم يَزَلْ في بَرَكَةٍ » .

---

(١) نحب الذخائر (٤٨ و٥٣) .

(٢) عجائب المخلوقات (١٥٢) ونخب الذخائر (٥٥) .

(٣) عجائب المخلوقات (١٥١) .

• **الجَزْع**[1] : هو حجرٌ أيضاً يُؤْتىٰ بهِ من اليَمن والصّين ؛ وأَلوانُه كثيرةٌ ، والنّاس يَكرهونه لأنَّه يُورثُ الهَمَّ والأَحلام الرَّديئة ، وسُوءَ الخُلُق ، وتعسُّر قَضاء الحوائج ، ويُكثرُ بُكاءَ الصَّبيِّ وسَيلان لُعابه ، ويُثقلُ اللِّسان إذا سَحق وشُرِب ماؤُه ؛ وإذا وُضع بين قومٍ لا عِلْمَ لهم به حصلَت بينهم العداوةُ ، لكنَّه يُسَهِّل الوِلادة تَعليقاً .

• **البِلَّور**[2] : هو صنفٌ من الزُّجاج .

يُحكىٰ أَنَّ ببلادِ كيسان جبلين أَحدُهما بِلَّور ، وإذا أُريد قطعُ البِلَّور في ذلك الموضِع ، قُطِعَ في اللَّيل ، لأنَّه في النَّهار يكونُ له شُعاعٌ عظيمٌ .

خواصُّه : النَّظَرُ فيه يشرحُ القَلب ، ويبسطُ النّفس ، ويُسَكِّن وَجَع الضّرس .

• **المُرْجان**[3] : هو واسطةٌ بين النَّبات والمعدن ، لأنَّه بِتَشَجُّرِهِ يُشبهُ النَّبات ، وبِتَحَجُّره يُشبهُ المعدنَ ، ولا يزالُ لَيِّناً في مَعدنه ، فإذا فارقَه تحجَّر ويَبس .

خواصّه : النَّظر فيه يشرحُ الصَّدر ، ويبسطُ النَّفْسَ ، ويُفرحُ القَلب ، ويَذهبُ بالدَّاء المُحْتَبَسِ في العين ، ويسكنُ الرَّمد ؛ وسُحاقته المخلوطةُ بالخَلِّ تَجلو قَلَحَ الأَسنان ؛ وإذا وُضع علىٰ الجرح مَنَعَه من الانتفاخ .

وأَنواعه كثيرة ؛ أَحمر وأَزرق وأَبيض ، وأَصله من البحر .

قيل : إنَّه شَجَرٌ ينبتُ . وقيل : إنَّه من حيوانه .

• **حجرُ الماطيلس**[4] : هو حجرٌ هِنديٌّ لا يعملُ فيه الحديد ، والبيتُ الذي يَكون فيه لا يدخلُه السِّحر ولا الجِنُّ ، ولأَجل ذلك كان الإِسكندرُ يجعلُه في عَسكره .

---

(١) عجائب المخلوقات (١٤٢) .

(٢) عجائب المخلوقات (١٤١) ونخب الذخائر (٦٣) .

(٣) عجائب المخلوقات (١٥٦) .

(٤) عجائب المخلوقات (١٥٦) وفيه : حجر مغناطيس . وسيأتي المغناطيس بعد قليل .

• **الحجرُ الماهاني**[1] : مَن تَخَتَّمَ به أَمِن من الرَّوع والهَمِّ والحُزْنِ والغَمِّ .

ولونُه أَبيض وأَصفر ؛ ويوجدُ بأَرض خراسان .

• **حجر مراد**[1] : يوجدُ بناحية الجنوب .

وخاصِّيَّته : أَنَّ الجِنَّ تتبعُ حاملَه ، وتعملُ له ما أَراد .

• **الدَّهْنَج**[2] : [حجرٌ أَخضر في لون الزَّبرجد ، ليِّنُ المَجَسِّ ، يتكوّن في معدن النُّحاس] .

خاصِّيَّته : أَنَّه إذا سُقيَ إنسانٌ من مَحَكِّه يفعل فِعْلَ السُّمِّ ، وإذا سُقي شاربُ السُّمِّ منه نَفَعه ، وإذا مُسح به مَوضعُ اللَّدغ سَكن ، وينفعُ من خَفَقان القلب ، وإذا طُلي بِحُكاكته بياضُ البَرَصِ أَزاله ، وإن عُلِّقَ علىٰ إنسانٍ غلبَ عليه الباهُ .

• **السَّبَج** : [حجرٌ أسود شديد البريق ، شديد الرّخاوة ، يتكسَّر سريعاً] .

خواصُّه : إنَّه يقوِّي النَّظَر الضَّعيف من الكِبر ، أَو نُزول الماء ، ولُبسه ينفعُ عُسر البول ، وإدمان النَّظر فيه يحدُّ البَصر ، وسُحاقته تَجلو البَصر ، وإذا عُلِّق علىٰ مَن به صُداعٌ زالَ عنه .

• **المغناطيس**[3] : يوجدُ في بحر الهند ، وهناك لا يُتَّخذُ في السُّفن حديدٌ ؛ ويوجدُ ببلاد الأَندلس أَيضاً ؛ وأَجودُ أَنواعه ما كان أَسود يضربُ إلىٰ حُمرة .

خواصُّه : الاكتحالُ بِسُحاقته يُورث أُلفةً بين المُكتحِل وبينَ من يحبُّه ، ويُسَهِّلُ الوِلادة تَعليقاً ، ومَن تَخَتَّم به كانت حاجَته مقضيَّةً ، وتَعليقهُ في العُنق يزيدُ في الذِّهن ، وإذا سُحق وشَرب من سُحاقته مَن به سُمٌّ بطلَ سُمُّه ؛ وإذا أَصابته رائحةُ الثُّوم بَطلت خاصِّيَّته ، وإذا غُسل بالخَلِّ عاد إلىٰ حالته ؛ وأَجودُه ما جذب نِصف مثقالٍ من الحديد .

---

(١) عجائب المخلوقات (١٥٦) .

(٢) عجائب المخلوقات (١٤٨) ونخب الذخائر (٦٩) .

(٣) عجائب المخلوقات (١٥٧) .

• **حجر الخُطّاف**[1] : الخُطّاف يُوجد في عُشِّه حَجَران . أَحدُهما أَحمر ، والآخرُ أَبيض ، فالأَحمر إِذا عُلِّق علىٰ مَن يَفزعُ في نَومه زال فَزَعُه ، والأَبيضُ إِذا عُلِّق علىٰ مَن به صَرَعٌ زال عنه .

• **حجر الزّاج**[2] : إذا دُخِّن البيتُ بِسُحافته هربَ منه الفأرُ والذُّباب .

• **حجر الزَّنجفر**[3] : أَصلهُ من الزِّئبق واستحال .

وخاصِّيَّته : أَنَّه يدملُ الجِراحات ، وينبتُ اللَّحم .

• **حجر المِلْح**[4] : هو أَنواعٌ ، وأَجودُه ما يوجدُ بأَرض سُدوم بالقرب من بَحر لُوط ، وقد جعلَه الله قواماً للدُّنيا .

ومن خاصِّيَّته : أَنَّه يُحَسِّن [لونَ] الذَّهب ، ويزيدُ في صُفرته .

وعن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « يا عليُّ ، ابدأْ بالمِلح واختمْ به ، فإِنَّ فيه شِفاءً من سَبعين داءً » .

• **حجرُ النّطرون**[4] : قال أَرسطو : ينفعُ الأَرحام الَّتي غلَبت عليها الرُّطوبة يُنَشِّفُها ويُقَوِّيها ، وإِذا أُلقي في العَجين طَيَّبَهُ وبَيَّضَهُ ونَشَّفه ؛ وهو نَوعان : أَبيض وأَحمر .

• **حجر اللاَّزَوَرد**[5] : مشهورٌ . قال أَرسطو : مَن تَخَتَّم بهِ عَظُمَ في أَعين النّاس ، وينفعُ من السَّهر . والله أَعلم .

ومَن أَراد التَّعَمُّق في ذلك ، فعليه بالكُتب الموضوعَة له ، ولكن قد ذَكرنا ما هو مَعروفٌ ، والحمدُ لله علىٰ كل حالٍ ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد ، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

---

(١) عجائب المخلوقات (١٤٤) .
(٢) عجائب المخلوقات (١٤٩) .
(٣) عجائب المخلوقات (١٥٠) .
(٤) عجائب المخلوقات (١٥٨) .
(٥) عجائب المخلوقات (١٥٤) .

البابُ الثَّامن والسِّتُّون

في الأَصوات والأَلحان ، وذِكر الغِناء ، واختلافِ النَّاس فيه ، ومَن كرهه ومَن استَحسنه

• وما ذكرتُ ذلك إلاّ لأَنِّي كرهتُ أَن يكونَ كتابي هذا بعد اشتِماله علىٰ فُنون الأَدب والتُّحَف والنَّوادر والأَمثال عاطلاً من هذه الصِّناعة الَّتي هي مُرادُ السَّمع ، ومَرْتَعُ النَّفس ، ورَبيعُ القَلبِ ، ومَجالُ الهوىٰ ، ومَسْلاةُ الكَئيب ، وأُنْسُ الوَحيدِ ، وزادُ الرّاكبِ ، لِعظمِ مَوقعِ الصَّوت الحَسَنِ من القَلب ، وَأَخْذِهِ بِمجامِعِ النَّفْسِ .

فصلٌ

في الصَّوت الحَسَن

• قال[1] بعضُ أَهل التَّفسير في قَوله تعالىٰ : ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر : ١] هو الصَّوتُ الحَسَن .

• وعن[2] النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال : « أَتدرونَ متىٰ كان الحُداء ؟» قالوا : لا ، بأَبينا أَنت وأُمِّنا ، يا رَسول الله . قال : « إِنَّ أَباكُم مُضَر خرجَ في طلبِ مالٍ له ، فوجدَ غُلاماً قد تفرَّقَت إِبلُه ، فضرَبه علىٰ يَده بالعَصا ، فعدا الغُلامُ في الوادي

---

(١) العقد الفريد (٦/ ٤) .

(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٢١) .

وهو يَصيحُ : وايَداه وايَداه ، فسمعَت الإبلُ صَوته ، فعطَفَت عليه ، فقال مُضَر : لو اشتُقَّ من الكلامِ مثلُ هذا لكانَ كلاماً تَجتمعُ عليه الإبل ، فاشتُقَّ الحُداء » .

• وقال[1] النَّبيُّ ﷺ لأَبي موسىٰ الأَشعريِّ رضي الله عنه ، لمّا أَعجبه حُسْنُ صَوته : « لقد أُوتيتَ مِزماراً من مزاميرِ آلِ داود » .

• وقيل[2] : إنَّ داودَ عليه الصَّلاة والسَّلام كان يَخرجُ إلىٰ صَحراء بيت المَقدس يوماً في الأُسبوع ، وتَجتمعُ عليه الخَلْق ، فيقرأُ الزَّبور بتلك القراءَة الرَّخيمة ؛ وكان له جاريتان مَوصوفتان بالقُوَّةِ والشِّدَّةِ ، فكانتا تَضْبِطان جَسَدَهُ ضَبْطاً شَديداً خِيْفَةَ أَن تنخلعَ أَوْصالُه ممّا كان يَنتحبُ ؛ وكانت الوُحوشُ والطَّير تجتمعُ لاستماعِ قِراءته .

• قال[3] مالكُ بن دينار رحمه الله تعالىٰ : بَلَغَنا أَنَّ الله تعالىٰ يُقيمُ داود عليه الصَّلاة والسَّلام يومَ القيامة عند ساقِ العرشِ ، فيقولُ : يا داودُ ، مَجِّدْني اليومَ بذلكَ الصَّوت الحَسَن الرَّخيم .

• وقال[4] سَلاّم الحادي للمنصور ـ وكان يُضْرَبُ المثلُ بِحُدائه ـ : مُرْ ـ يا أَميرَ المؤمنين ـ بأَن يُظْمِئوا إِبلاً ثم يُورودها الماءَ ، فإِنِّي آخُذُ في الحُداء فتَرفعُ رُؤوسها ، وتتركُ الشُّرْبَ .

• وزَعم[5] أَهلُ الطِّبِّ أَنَّ الصَّوتَ الحَسَنَ يَجري في الجِسم مَجرىٰ الدَّمِ في

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٤٨) والعقد الفريد (٦/ ٤) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٤٧) .
(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢٤٨) والديباج للختلي (٥٥ ـ ٥٦) وتاريخ حلب (٧/ ٣٤١٢) ومختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٤٠) .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٢٥١) وثمار القلوب (١/ ٣٣٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٢٣٠) .
(٥) العقد الفريد (٦/ ٤) .

العُروق ، فَيصفو له الدَّمُ ، وتَنمو له النَّفس ، ويَرتاحُ له القَلب ، وتهتزُّ له الجَوارح ، وتخفُّ له الحركاتُ ؛ ولهذا كرهوا للطِّفلِ أن ينامَ علىٰ أَثَرِ البُكاء ، حتَّىٰ يرقُصَ ويَطرب .

● وزَعَمت[1] الفلاسفةُ : أَنَّ النَّغَمَ فَضْلٌ بَقِيَ من المنطقِ لم يقدر اللِّسانُ علىٰ استِخراجه ، فاستخرجَتْهُ الطَّبيعةُ بالأَلحان ، علىٰ التَّرجيع لا علىٰ التَّقطيع ؛ فلمّا ظَهَرَ عَشِقَتْهُ النَّفْسُ وحنَّت إليه الرُّوح ؛ أَلا ترىٰ إِلىٰ أَهل الصِّناعات كلِّها إِذا خافوا المَلالة والفُتورَ علىٰ أَبدانهم تَرَنَّموا بالأَلحان ، واستراحَت إليها أَنفُسهم ؟ وليس من أَحدٍ كائناً مَن كان إلاّ وهو يَطربُ من صَوت نَفسه ، ويُعجبه طنينُ رَأسه ، ولو لم يكن من فَضْلِ الصَّوتِ الحَسَنِ إلاّ أَنَّه ليس في الأَرض لَذَّةٌ تُكْتَسَبُ من مأكلٍ ولا مَشربٍ ولا مَلبسٍ ولا صَيْدٍ ، إلاَّ وفيها مُعاناةٌ علىٰ البَدَنِ ، وتَعَبٌ علىٰ الجَوارح ، ما خَلا السَّماعَ ، فإِنَّه لا مُعاناةَ فيه علىٰ البدن ولا تَعَبَ علىٰ الجوارح .

● وقد[2] يُتَوَصَّلُ بالأَلحان الحِسان إِلىٰ خَيْرَي الدُّنيا والآخِرة ؛ فمِن ذلك أَنَّها تَبعثُ علىٰ مَكارم الأَخلاق ، من اصطِناع المعروفِ ، وصِلَةِ الأَرحام ، والذَّبِّ عن الأَعراضِ ، والتَّجاوز عن الذُّنوب ؛ وقد يَبكي الرَّجلُ بها علىٰ خَطيئته ، ويتذكَّرُ نَعيمَ الملكوتِ ، ويُمَثِّلُه في ضَميره .

● ولأَهل[3] الرَّهبانيَّة نَغماتٌ ، وأَلحانٌ شَجِيَّةٌ ، يُمَجِّدون الله تعالىٰ بها ، ويَبكون علىٰ خَطاياهم ، ويتذَكَّرون نَعيمَ الآخِرة .

● وكان[2] أَبو يوسف القاضي يحضرُ مَجلس الرَّشيد ، وفيه الغِناء ، فيجعلُ مَكان السُّرور بهِ بُكاءً ، كأَنَّه يتذكَّرُ نَعيم الآخِرة .

● وقد تَحِنُّ القُلوب إِلىٰ حُسن الصَّوت ، حتَّىٰ الطَّيْرُ والبَهائمُ .

---

(١) العقد الفريد (٦/ ٤) .

(٢) العقد الفريد (٦/ ٥) .

(٣) ربيع الأبرار (٣/ ٢٢٢) .

• وكان[1] صاحبُ « الفِلاحات » يقولُ : إنَّ النَّحْلَ أَطرَبُ الحيوانِ كُلِّه علىٰ الغِناء ؛ قال الشّاعر : [من الرجز]

والطَّيْـرُ قَـدْ يَسُـوقُـهُ لِلْمَـوْتِ   اصْغـاؤُهُ إِلـىٰ حَنِيـنِ الصَّـوْتِ

• وزَعموا[2] أنَّ في البحر دوابَّ ، رُبَّما زَمَرَت أَصواتاً مُطْرِبَةً ، ولُحوناً مُسْتَلَذَّةً ، يأخذُ السّامعينَ الغَشْيُ من حَلاوتها ؛ فاعتَنىٰ بها وَضَعَةُ الأَلحانِ بأَن شبَّهوا بها أَغانيهم ، فلم يَبْلُغوا .

• ورُبَّما يُغْشَىٰ علىٰ سامعِ الصَّوتِ الحَسَنِ لِلَطافةِ وُصُولِه إلىٰ الدّماغ ، ومُمازَجته القلبَ ؛ أَلا[2] ترىٰ إلىٰ الأُمِّ كيف تُناغي وَلَدها ، فيُقْبِلُ بِسَمعه علىٰ مُناغاتها ، وَيتلهَّىٰ عن البُكاء ؟ .

والإبلُ[2] تزدادُ في نَشاطها وقُوَّتها بالحُداء ، فترفعُ آذانَها ، وتلتفتُ يَمْنَةً ويَسْرَةً ، وتَتبخترُ في مِشيتها .

وزَعموا[2] أنَّ السَّمّاكين بِنَواحي العِراق يَبْنون في جَوْفِ الماء حَفائر ، ثم يَضربونَ عندها بأَصواتٍ شَجِيَّةٍ ، فَتجتمعُ السَّمَكُ في الحفائِر ، فَيَصيدونَه .

وقد نَبَّهتُ علىٰ ذلك في باب ذِكر البِحار ، وما فيها من العَجائب .

والرّاعي[2] إذا رفَع صَوته ، ونفخَ في يَراعته تَلَقَّتْهُ الغَنَمُ بآذانِها ، وَجَدَّت في رَعْيِها ؛ والدَّابةُ تَعافُ الماءَ ، فإذا سمعَت الصَّفيرَ بالَغَت في الشُّرب ؛ وليس شيءٌ ممّا يُسْتَلَذُّ بِهِ أَخَفُّ مؤونةً من السَّماعِ .

• قال[3] أَفلاطون : مَن حَزِنَ فلْيسمع الأَصواتَ الحسنةَ ، فإنَّ النَّفْسَ إذا

---

(١) العقد الفريد (٦/ ٥) والشطران فيه بلا نسبة .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨) .
(٣) التذكرة الحمدونية (٩/ ١٧) .

حَزِنَت خَمَدَت نارُها ، فإذا سَمعت ما يُطْرِبُها ويَسُرُّها اشتعلَ منها ما خَمد .

● وما[1] زالَت مُلوكُ فارس تُلهي المحزونَ بالسَّماع ، وتُعَلِّلُ به المريضَ ، وتَشغلُه عن التَّفكير ؛ ومنهم أخذت العرب حتىٰ قال ابنُ عسلةَ الشَّيباني[2] :

[من الكامل]

وَسَمــــاعِ مُسْمِعَــــةٍ تُعَلِّلُنــــا حتَّــىٰ نَنــامَ تنــاومَ العُجْــمِ[3]

● وحُكيَ[4] أَنَّ البَعْلَبَكِّيَ مُؤَذِّنَ المنصور رجَّعَ في أَذانه ليلةً ، وجاريةٌ تَصُبُّ الماءَ علىٰ يدِ المنصور ، فارتَعدَت حتَّىٰ وقعَ الإبريقُ من يَدها ، فقال له المنصورُ : خُذْ هذه الجارية ، فهي لكَ ، ولا تَعُدْ تُرَجِّعُ هذا التَّرجيع .

● وقال[5] عبدُ الرَّحمن بن عبد الله بن أبي عمّار في قَيْنَةٍ : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَهـا لا أَبْعَـدَ اللهُ دارَهـا إِذا رَجَّعَتْ في صَوْتِها كَيْفَ تَصْنَعُ
تُـدِيْـرُ نِظـامَ القَـوْلِ ثُـمَّ تَـرُدُّهُ إِلىٰ صَلْصَلٍ مِن صَوْتِها يَتَرَجَّعُ

● وبعد[6] : فهل خَلَقَ الله شيئاً أَوْقَعَ بالقُلوب ، وأَشَدَّ اخْتِلاساً للعُقول ، من الصَّوتِ الحَسَنِ ، لا سيَّما إذا كان من وَجْهٍ حَسَنٍ ؟ كما قال الشّاعر : [من الرجز]

رُبَّ سَمــاعٍ حَسَــنٍ سَمِعْتُــهُ مِــن حَسَــنِ
مُقَــرِّبٌ مِــن فَــرَحٍ مُبَعِّــدٌ مِــن حَــزَنِ
لا فــارقــانــي أَبَــداً فــي صِحَّــةٍ مــن بَـدَنـي

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٢٩) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١٧) .
(٢) ابن عسلة : هو حرملة بن حكيم ، وعسلة أُمه . (المؤتلف والمختلف للآمدي ٢٣٥) .
(٣) البيت في ربيع الأبرار (٣/ ٢٢٩) والآمدي (٢٣٥) . وروايته عند الآمدي : × حتىٰ تؤوبَ تناؤمَ العُجْمِ . وقال : تناؤم : من النئيم ، أي تتكلم بما لا يُفهم .
(٤) ربيع الأبرار (٣/ ٢٣٠) وثمار القلوب (١/ ٣٣٠) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١٧) .
(٥) ربيع الأبرار (٣/ ٢٥٣) والأغاني (٨/ ٣٣٦) .
(٦) العقد الفريد (٦/ ٥ ـ ٦) .

وهل علىٰ الأَرض من جَبانٍ مُسْتَطارِ الفُؤادِ يُغَنَّىٰ بقولِ جَرير[1] : [من الكامل]

قُـلْ لِلْجَبـان إذا تَـأَخَّـرَ سَـرْجُـهُ هَـلْ أَنْـتَ مِـن شَـرَكِ المَنِيَّـةِ نـاجِ

إِلاّ شاشَ وشَجعت نَفْسُهُ ، وقَوي قَلْبُهُ ؟

أَم هل علىٰ الأَرض من بَخيلٍ قد انقَبضت أَطرافُه لُؤماً يُغَنَّىٰ بقَول حاتِم الطّائي[2] : [من البسيط]

يَـرَىٰ البَخيـلُ سَبيـلَ المـالِ واحِـدَةً إِنَّ الجـوادَ يَـرىٰ فـي مـالِـهِ سُبُـلا

إِلاّ انبسطَت أَناملُه ، ورَشَحَت أَطرافُه ؟ .

• واختلفَ[3] النّاسُ في الغِناء ، فأَجازَه عامَّةُ أَهْل الحِجاز ، وكَرِهَهُ عامَّةُ أَهلِ العِراق ؛ فمِن حُجَّةِ مَن أَجازه : ما رُوي أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لحسّان : « شُنَّ الغَطاريف علىٰ بَني عبدِ مَناف ، فواللهِ لِشِعْرُكَ عليهم أَشَدُّ مِن وَقْعِ السِّهام في غَلَسِ الظَّلام » .

• واحتجُّوا[3] في إِباحة الغِناء ، واستِحسانه بقَول النَّبيِّ ﷺ لعائشةَ رضي الله تعالىٰ عنها : « أَهْدَيْتُمُ الفَتاةَ إِلىٰ بَعْلِها ؟ قالت : نعم . قال : فَبَعَثْتُمْ معها مَن يُغَنِّي ؟ قالت : لم نفعلْ . قال : أَوَما عَلِمْتِ أَنَّ الأَنصارَ قومٌ يُعجبهم القَوْلُ ، أَلا بَعثتُم معها مَن يقولُ : [من الهزج]

أَتَيْنـاكُـمْ أَتَيْنـاكُـمْ فَحَيُّـونـا نُحَيِّيكُـمْ

ولـولا الحَبَّـةُ السَّمْـرا ءُ لـم نَحْلُـلْ بِـوادِيكُـمْ »

• ولا بأسَ بالغِناء إِذا لم يكن فيه أَمرٌ مُحَرَّمٌ ، ولا يُكرهُ السَّماع عند العُرس

---

(١) ديوانه (١/ ١٣٧) .
(٢) ديوانه (١٩٢) .
(٣) العقد الفريد (٦/ ٦ ـ ٧) .

والوَليمة والعَقيقة وغيرها ، فإنَّ فيه تَحريكاً لزيادة سُرورٍ مُباحٍ أَو مندوبٍ ؛ ويدلُّ عليه ما رُوي من إنشاد النِّساء بالدُّفِّ والأَلحان عند قُدوم النَّبيِّ ﷺ حيثُ قُلْنَ[1] : [من مجزوء الرمل]

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا ... مِن ثَنِيّاتِ الوَداعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنا ... ما دَعا للهِ داعْ
أَيُّها المَبْعُوثُ فِينا ... جِئْتَ بالأَمْرِ المُطاعْ

● ويدلُّ[2] عليه ما رُوي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أَنَّها قالت : رأَيتُ النَّبيَّ ﷺ يستُرني بِردائه ، وأَنا أَنظرُ إِلى الحَبَشَةِ يلعبونَ في المسجدِ الحرامِ ، حتَّى أَكونَ أَنا الَّتي أَسْأَمُهُ .

● ويدلُّ[3] عليه أَيضاً ما رُوي في « الصَّحيحين » من حديثِ الزُّهريِّ ، عن عُروة ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها أَنَّ أَبا بكر دخلَ عليها ، وعندها جاريتان في أَيّام مِنى يُدَفِّفان ويَضْربان ، والنَّبيُّ ﷺ مُتَغَشٍّ بثوبه ، فانتَهرهما أَبو بكر ، فكشَفَ النَّبيُّ ﷺ عن وَجهه ، وقال : « دَعْهُما يا أَبا بَكر ، فإِنَّها أَيّامُ عِيْدٍ » .

● وعن[4] قُرَّةَ بن خالد بن عبد الله بن يحيى ، قال : قال عُمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه للنّابغة الجَعْديّ : أَسمِعْني بعضَ ما عفا الله لك عنه من هَناتِك ؛ فأَسمعَه كلمةً ، فقال له : وإِنَّك لقَائلُها ؟ قال : نعم . قال : طالما غَنَّيْتَ بها خَلْفَ جِمالِ الخَطّاب .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٢٥) .
(٢) صحيح البخاري (٢/ ٣) (كتاب العيدين) ومسند أحمد (٦/ ٨٣ و٢٣٣) وصحيح مسلم (٢/ ٦٠٨) رقم (٨٩٢) .
(٣) صحيح البخاري (٢/ ٣) (كتاب العيدين) ومسلم (٢/ ٦٠٨) رقم (٨٩٢) .
(٤) العقد الفريد (٦/ ٨) .

• وعن[1] عبد الله بن عَوف ، قال : أَتيتُ بابَ عُمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فسمعتُه يُغنّي بالرُّكبانيَّة ، يقول : [من الطويل]

فكَيـفَ ثَـوائـي بـالمَـدينَـةِ بَعْـدَمـا قَضَى وَطَراً مِنْها جَميلُ بنُ مَعْمَرِ

وكان جَميلُ بنُ مَعْمَرٍ من أَخِصّاءِ عُمر .

قال : فلمّا استأْذَنْتُ عليه قال لي : أَسَمِعْتَ ما قُلْتُ ؟ قلتُ : نعم . قال : إذا خَلَوْنا قُلْنا ما يَقولُ النّاسُ في بُيوتهم .

• وقد[2] أجازوا تَحسينَ الصَّوتِ في القِراءةِ والأَذان ؛ فإن كانت الأَلحانُ مَكروهةً ، فالقِراءةُ والأَذان أَحَقُّ بالتَّنزيهِ عنها ، وإن كانت غَيْرَ مَكروهةٍ ، فالشِّعر أَحوجُ إليها لإقامةِ الوَزن ، وما جَعلَتِ العربُ الشِّعْرَ مَوزوناً إلاّ لِمَدِّ الصَّوتِ والدَّندنة ، ولولا ذلك لكانَ الشِّعر المنظومُ كالخَبَر المَنْثُورِ .

ومِن[3] حُجَّةِ مَن كَرِهَ الغِناءَ ، أَنَّه قال : إنَّهُ يُنفِّرُ القُلوبَ ، ويَستفزُّ العُقول ، ويَبعثُ على اللَّهو ، ويحضُّ على الطَّرب ؛ وهذا باطلٌ في أَصله ؛ وتأَوَّلوا في ذلك قولَه تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ [لقمان : ٦] وأَخطأَ مَن أَوّلَ هذا التّأويل ، إنَّما نزلَت هذه الآيةُ في قوم كانوا يَشترون الكُتُبَ من أَخبار السِّيَر والأَحاديث القَديمة ، ويُضاهون بها القُرآن ، ويقولون : إنَّها أَفضلُ السِّيَرِ والأَحاديث القَديمة ، ويُضاهون بها القُرآن ، ويقولون : إنَّها أَفضلُ منه ! وليسَ مَن سمعَ الغِناءَ يتَّخذُ آياتِ الله هُزُواً .

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٧٨) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١٧) وكامل المبرد (٢/ ٥٦٤) . قلت : قال المرصفي في رغبة الآمل (٤/ ١٧٤) : روى الزبير بن بكار قال : جاء عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن بن عوف فسمعه يتغنّى بالنَّصب : وكيف ثوائي . . .

(٢) العقد الفريد (٦/ ٧) .

(٣) العقد الفريد (٦/ ٩) .

• وقال[1] رجلٌ للحَسن البَصْري : ما تقولُ في الغِناء يا أَبا سَعيد ؟ فقال : نِعْمَ العونُ [الغنى] على طاعةِ الله تعالى ، يصلُ الرَّجلُ بهِ رَحِمَه ، ويُواسي به صَديقَه . قال : ليسَ عن هذا أَسأَلُك . قال : وعمَّ سأَلتني ؟ قال . أَن يُغَنِّي الرَّجلَ . قال : وكيف يُغَنِّي ؟ فجعلَ الرَّجلُ يَلوي شِدْقَيْهِ ويَفْتَحُ مِنْخَرَيْهِ ؛ فقال الحسنُ : والله يا ابنَ أَخي ، ما ظننتُ أَنَّ عاقلاً يفعلُ بنفسه هذا أَبداً ؛ فلم ينكر الحسنُ عليه إِلاّ تَشويهَ وَجهه وتَعويج فَمِه .

• وسمعَ[2] ابنُ المبارك سَكرانَ يُغَنِّي هذا البيت : [من الوافر]

أَذَلَّنِـيَ الهَـوى فـأَنـا الـذَّلِيـلُ وَلَيْـسَ إِلـى الَّـذي أَهْـوى سَبيـلُ

قال : فأَخرج دواةً وقِرطاساً ، وكتبَ البيتَ ؛ فقيل له : أَتكتبُ بيتَ شعرٍ سمعتَه من رجلٍ سَكران ؟ فقال : أَما سمعتُم المثلَ : رُبَّ جوهرةٍ في مَزْبَلَةٍ .

• وكان[3] لأَبي حَنيفة جارٌ من الكيّالين ، مُغرمٌ بالشَّراب ، وكان يُغَنِّي على شَرابه بِقَوْلِ العَرْجيّ[4] : [من الوافر]

أَضـاعُـونـي وأَيَّ فَتـىً أَضـاعـوا لِيَـوْمِ كَـريهـةٍ وَسِـدادِ ثَغْـرِ

قال : فأَخذَه العَسَسُ ليلةً وحَبسه ، ففقدَ أَبو حنيفة صوتَه ، واستوحشَ له ، فقال لأَهله : ما فَعَلَ جارُنا الكيّال ؟ قالوا : أَخذَه العسسُ ، وهو في الحبسِ ؛ فلمّا أَصبح أَبو حنيفة توجَّه إِلى عيسى بن موسى ، فاستأذنَ عليه ، فأَسرع إِذنُه ، وكان أَبو حنيفة قليلاً ما يأتي أَبوابَ المُلوك ، فأَقبل عليه

---

(١) ربيع الأبرار (٣/ ٢٣١) والتذكرة الحمدونية (٩/ ١٦) ونثر الدر (٥/ ١٩١ ـ ١٩٢) والعقد الفريد (٦/ ١٠) .
(٢) العقد الفريد (٦/ ١٣) .
(٣) الأغاني (١/ ٤١٤) والعقد الفريد (٦/ ١٥) وتاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) .
(٤) ديوانه (٣٤) .

عيسى بن موسى ، وسأَله عمّا جاءَ بسببه ، فقال : أَصلحَ الله الأَمير ، إنَّ لي جاراً من الكيّالين ، أَخذَه عَسَسُ الأَمير ليلةَ كذا ، فوقعَ في حَبسه ؛ فأَمر عيسى بن موسى بإِطلاقِ كُلِّ مَن في الحبسِ إِكراماً لأَبي حنيفة ؛ فأَقبل الكيّالُ على أَبي حنيفة يتشَكّرُ له ؛ فلمّا رآهُ أَبو حنيفة ، قال له : هل أَضعناكَ يا فتى . يُعَرِّضُ له بِشِعره الَّذي يُنشده ؟ قال : لا واللهِ ، ولكنَّك بَرَرْتَ وحَفِظْتَ .

● وكان[1] عُروة بن أُذَيْنَةَ ثقةً في الحديث ؛ رَوى عنه مالكُ بن أَنس ، وكان شاعِراً مُجيداً لَبِقاً غزِلاً ، وكان يَصوغُ أَلحان الغناءِ على شِعره ويَنْحَلُها المغنِّين .

قيل : إِنَّه وقَفت عليه امرأَةٌ يوماً وحولَه التّلاميذ ، فقالت له : أَنت الَّذي يُقال فيك الرَّجلُ الصّالح ، وأَنت تقول : [من البسيط]

إذا وَجَدَتْ أُوارَ الحُبِّ في كَبِدي ... عَمَدْتُ نَحْوَ سِقاءِ القَوْمِ أَبْتَرِدُ
هَبْني بَرَدْتُ ببَرْدِ الماءِ ظاهِرَهُ ... فَمَنْ لِنارٍ على الأَحشاءِ تَتَّقِدُ

[لا والله ، ما قَال هذا رجلٌ صالحٌ قطّ] .

● وكان[2] عبد الرّحمن بن عبد الله المُلَقَّب بالقَسّ عند أَهل مكَّة ، بمنزلة عطاء بن أَبي رَباح في العِبادة . قيل : إِنَّه مرَّ يوماً بسَلاّمة وهي تُغَنِّي ، فأَقام يسمعُ غِناءَها ، فرآهُ مَولاها ، فقال له : هل لكَ أَن تدخلَ ، وتَسمَع ؟ فأَبى ؛ فلم يزلْ به حتَّى دخلَ فَغَنَّتْهُ ، فأَعجبتْهُ ، ولم يزلْ يَسمعُها ، ويُلاحظُ النَّظَرَ حتَّى شُغِفَ بها ، فلمّا شَعرت بلَحْظِهِ إِيّاها غَنَّتْهُ : [من السريع]

---

(١) الأغاني (١٨/ ٣٢٩) والعقد الفريد (٦/ ١٦) وروضة المحبين (١٧٢) والتذكرة الحمدونية (٦/ ١٨٩) والمرأة هي سكينة بنت الحسين .
(٢) العقد الفريد (٦/ ١٦) والأغاني (٨/ ٣٥١) ومجالس ثعلب (٥ ـ ٦) وروضة المحبين (٣٢٥) والتذكرة الحمدونية (٦/ ١٤٢) وأخبار النساء (٣٩) .

رُبَّ رَسُـــوليــــنِ لَنَــــا بَلَّغــــا   رِســالــةً مِــن قَبْـلِ أَنْ نَبْـرَحـا
الطَّـــرْفُ لِلطَّـــرْفِ بَعَثْنــاهُمــا   فَقَضيَّــا حــاجــاً ومَــا صَــرَّحـا

قال : فأُغميَ عليه ، وكادَ يَهلكُ ؛ فقالت له : إنِّي واللهِ أُحِبُّك . قال : وأَنا والله أُحِبُّك ؛ قالت : وأُحِبُّ أَن أَضعَ فَمي على فَمِك . قال : وأَنا والله كذلك . قالت : فما يَمنعُك من ذلك ؟ قال : أَخشى أَن تكونَ صداقةُ ما بَيني وبينَك عَداوةً يومَ القِيامة ؛ أَما سمعتِ قولَه تَعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] . ثم نهضَ وعادَ إِلى طريقتِهِ الَّتي كان عليها ؛ وأَنشأَ يقول : [من الكامل]

قدْ كُنْتُ أَعْذِلُ في السَّفاهَةِ أَهْلَها   فـاعْجَـبْ لِمـا تَـأْتـي بِـهِ الأَيّـامُ
فـاليَـوْمَ أَعْـذِرُهُـمْ وأَعْلَـمُ أَنَّمـا   سُبُـلُ الضَّـلالَـةِ والهُـدى أَقْسـامُ

• وقَدِمَ(١) عبدُ الله بن جعفر على مُعاوية بالشّام ، فأَنزلَه في دارِ عِياله ، وأَظهرَ من إِكرامهِ ما يَستحقُّه ، فغاظَ ذلك فاخِتَةَ بنت قَرَظَة زوجَ مُعاوية ، فسمعَت ذاتَ ليلةٍ غناءً عند عبد الله بن جَعفر ، فجاءت إِلى مُعاوية ، فقالت : هَلُمَّ ، فاسمعْ ما في مَنزلك ، هذا الَّذي جعلتَه من لَحْمِكَ وَدَمِكْ ، وأَنْزَلْتَهُ بين حُرَمِكَ ؟ فجاءَ مُعاوية ، فسمعَ شيئاً حَرَّكَه وأَطربَه ، فقال : واللهِ إِنِّي لأَسمعُ شيئاً تكادُ الجبالُ أَن تَخِرَّ له ، ؛ ثم انصرفَ .

فلمّا كان في آخرِ اللَّيل سمعَ مُعاوية قراءةَ عبد الله بن جعفر ، وهو قائمٌ يُصَلِّي ، فنَبَّهَ فاخِتَة ، وقال لها : اسمَعي مكانَ ما أَسْمَعْتِني ؛ هؤلاءِ قَومي مُلوكٌ بالنَّهار ، رُهبانٌ باللَّيل .

ثم إِنَّ معاوية أَرِقَ ذاتَ ليلةٍ ، فقال لخادِمه : اذهبْ فانظرْ مَن عندَ عبد الله بن جعفر ، وأَخبِرْهُ أَنِّي قادمٌ عليه ؛ فذهبَ وأَخبرَهُ ، فأَقام عبدُ الله كُلَّ

---

(١) العقد الفريد (٦/ ١٨) وتاريخ دمشق (٣٣/ ٣٣) .

مَن كان عندَه ، فلمّا جاءَ مُعاوية لم يَرَ في المجلسِ غيرَ عبد الله ، فقال : مَجلسُ مَن هذا ؟ قال عبدُ الله : هذا مجلسُ فلانٍ يا أَمير المؤمنين ؛ فقال مُعاوية : مُرْهُ فَلْيَرجعْ إِلى مَجلسه ؛ حتَّى لم يبقَ إِلاّ مَجلسُ رجلٍ واحدٍ . قال : مَجلسُ مَن هذا ؟ قال : مَجلسُ رجلٍ يُداوي الآذانَ يا أَمير المؤمنين . قال : إِنَّ أُذُني عَليلةٌ ، فَمُرْهُ أَن يَرجعَ إِلى مَجلسه ؛ وكان مَجلسَ بُدَيْحٍ المُغَنِّي ، فأَمَرَهُ عبدُ الله بن جعفر ، فرجعَ إِلى مَوضعه ، فقال له مُعاوية : داوِ أُذُني من عِلَّتها ؛ فتناولَ العُودَ وغَنّى وقال[1] : [من البسيط]

وَدِّعْ سُعادَ فإِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وهَلْ تُطيقُ وَداعاً أَيُّها الرَّجُلُ

قال : فَحَرَّكَ عبدُ الله بن جعفر رأْسَه ، فقال له مُعاوية : لِمَ حَرَّكتَ رأسَك يا ابنَ جَعفر ؟ قال : أَرْيَحِيَّةٌ أَجِدُها يا أَمير المؤمنين ، لو لُقيتُ لأَبْليتُ ، ولو سُئِلْتُ لأَعطيتُ ؛ وكان مُعاوية قد خَضَب . قال ، فقال ابن جَعفر لِبُدَيح : هاتِ غيرَ هذا ؛ وكان عندَ مُعاوية جاريةٌ أَعَزُّ جَواريه عليه ، وكانت تتولَّى خِضابَه ، فغنَّى بُدَيح وقال : [من البسيط]

أَلَيْسَ عِنْدَكَ شُكْرٌ لِلَّتي جَعَلَتْ ... ما ابْيَضَّ مِن قادِماتِ الرَّأْسِ كالحُمَمِ
وَجَدَّدَتْ مِنْكَ ما قَد كانَ أَخْلَقَهُ ... صَرْفُ الزَّمانِ وطُولُ الدَّهْرِ والقِدَمُ[2]

فطربَ مُعاوية طَرَباً شَديداً ، وجعلَ يُحَرِّكُ رِجله ، فقال له ابنُ جعفر : يا أَمير المؤمنين ، إِنَّك سأَلتَني عن تَحريكِ رأسي ، فأَجبتُكَ وأَخبرتُك ، وأَنا أَسأَلُك عن تَحريك رِجْلِك ؛ فقال : كُلُّ كريمٍ طَروبٌ ؛ ثم قام ، وقال : لا يَبرحْ أَحَدٌ منكم حتَّى يأتيَ له إِذْني ؛ ثم ذهبَ ، فبعثَ إِلى ابن جعفر بِعشرةِ آلافِ دينارٍ ومئةِ ثوبٍ من خاصَّةِ كُسْوَتِهِ ، وإِلى كُلِّ رجلٍ منهم بأَلف دينار ، وعَشرة أَثواب .

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه (١٠٥) . والرواية : ودِّع هريرة إن الركب مرتحل × .
(٢) في البيت إقواء .

• وحدّث[1] ابنُ الكَلْبيِّ ، والهيثم بن عَدِيٍّ قالا : بَينما عبدُ الله بن جعفر في بعضِ أَزِقَّة المدينة إِذ سمعَ غناءً ، فأَصغى إِليه ، فإِذا صوتٌ رقيقٌ لِقَيْنَةٍ تُغَنّي وتقول : [من الكامل]

قُــلْ لِلكِــرامِ بِبــابِنــا يَلِجُــوا ما في التَّصابي على الفَتى حَرَجُ

فنزلَ عبدُ الله عن دابَّته ، ودخلَ على القوم بلا إِذْنٍ ، فلمّا رأَوهُ قاموا إِجلالاً له ، ورفَعوا مَجلسه ، فأَقبل عليه صاحبُ المجلسِ ، وقال : يا ابنَ عَمِّ رسولِ الله ﷺ ، أَتدخلُ مَجلِسَنا بلا إِذْنٍ ، وليسَ هذا مِن شأنِك ؟ فقال عبدُ الله : لَمْ أَدخلْ إِلاّ بإِذْنٍ . قال : ومَن أَذِنَ لكَ ؟ قال : قَيْنَتُكَ هذه ؛ سَمِعْتُها تَقولُ : قُلْ لِلكرام بِبابنا يَلجوا ؛ فَوَلَجْنا ، فإِن كُنّا كِراماً ، فقد أُذِنَ لنا ، وإِن كُنّا لِئاماً خَرجنا مَذمومين ؛ فَقَبَّلَ صاحبُ المنزلِ يَدَهُ ، وقال : جُعِلْتُ فِداك ، واللهِ ما أَنتَ إِلاّ من أَكرمِ النّاس ؛ فبعثَ عبدُ الله إِلى جاريةٍ من جَواريه ، فحضَرت ، ودعا بثيابٍ وطيبٍ ، فَكسا القومَ ، وطَيَّبَهم ، ووهَب الجاريةَ لصاحبِ المنزلِ ، وقال : هذه أَحْذَقُ بالغِناءِ من جارِيَتِكَ .

• وسمعَ[2] سُليمان بن عبد الملكِ مُغَنِّياً في عَسكره ، فقال : اطلُبوه ؛ فجاؤوا به ، فقال : أَعِدْ عَلَيَّ ما غَنَّيتَ به ؛ فغنَّى وأَحْفَلَ ؛ وكان سُليمان أَغْيَرَ النّاسِ ، فقال لأَصحابه : كأَنَّها والله جِرْجِرَةُ الفَحْلِ في الشَّوكِ ، وما أَظنُّ أُنثى تَسمعُ هذا إِلاَّ صَبَتْ إِليه ؛ ثم أَمر به فَخُصِيَ .

أَصل الغناء ومَعدنه :

• قال[3] أَبو المنذر هِشام : الغِناءُ على ثلاثةِ أَوْجِهٍ : النَّصبُ ، والسِّنادُ ،

---

(١) العقد الفريد (٦/ ٢٠) وتاريخ دمشق (٣٣/ ٦٣) .
(٢) ربيع الأبرار (٣/ ٢٣٤) والعقد الفريد (٦/ ٥٠) .
(٣) العقد الفريد (٦/ ٢٧) .

والهَزَجُ ؛ فأَمّا النَّصَب : فغناءُ الفتيان والرُّكبان ؛ وأَمَّا السِّناد : فالثَّقيلُ التَّرجيعِ ، الكثيرُ النَّغمات ؛ وأَمّا الهَزَج : فالخفيفُ كُلُّه ، وهو الَّذي يَستفزُّ القلوبَ ، ويَهيجُ الحليم .

• وقيل[1] : كان أَصلُ الغِناء ومَعدنه في أُمَّهات القُرى فاشياً ظاهراً ؛ وهي المدينةُ ، والطّائفُ ، وخَيبرُ ، وفَدَك ، ووادي القُرى ، ودُومةُ الجَندل ، واليمامة ؛ وهذه القُرى مَجامعُ أَسواقِ العَرب .

• ويُقال[1] : إِنَّ أَوَّل مَن صَنَع العودَ لامِكُ ابن قايِن بن آدم ، وبَكى بهِ على وَلده .

• ويُقالُ[1] : إِنَّ صانِعَهُ بَطليموس صاحبُ الموسيقى ، وهو كتابُ « اللُّحون الثَّمانية » .

والله سُبحانه وتعالى أَعلم بحقيقة ذلك ، وحَسبنا الله ، ونِعم الوكيل ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

* * *

(١) العقد الفريد (٦/ ٢٧) .

كمل الجزء الثّاني بتقسيم محققّه ؛

يتلوه في الجزء الثّالث :

البابُ التّاسع والسّتُّون

في ذِكر المُغَنِّين والمُطربين ، وأَخبارهم ،
ونَوادر الجُلساء في مَجالس الرُّؤساء



فهرس الأبواب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❋ ❋ ❋



DAR SADER Publishers
P.O.Box 10 - BEIRUT

AL-MUSTAṬRAF

FI KULLI FANNEN MUSTAẒRAF

BY

BAHĀ'AL-DĪN ABI AL-FATḤ MOḤAMAD AL-ABŠĪHĪ

EDITED BY

IBRAHĪM SĀLIḤ

Vol. II

DAR SADER
BEIRUT

